وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد

السياسة الخارجية

تأليف

الاستاذ الدكتور
أحمد نوري النعيمي
جامعة بغداد

2009



((فَمَن كَانَ يَرجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً))

صدق الله العظيم

[سورة الكهف : ١١٠]

اني رأيت انه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هكذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهاني

الإهداء

إلـــــى مــن ....
كانت وراء سداد خطواتـــي
العلمية ، إلى زوجتي الوفية
" أم أولادي الأربعـــــة "

أحمد

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيبنا ونبينا وشفيعنا أبو القاسم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أن الحمد لله نحمده ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله خير المرسلين.

أما بعد، فهذا الكتاب الذي بين أيدينا (السياسة الخارجية) يرجع الفضل في كتابته إلى الله سبحانه وتعالى، ثم إلى نخبة إجلاء من أساتذة كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد، الذين لهم الفضل على المضي في السير قدماً لإنجاز هذه المهمة العلمية بعد سنوات طوال من الجهد العلمي المضني، وكان في مقدمة هؤلاء، صديق عمري وأخي الكريم الأستاذ الدكتور جهاد تقي الحسني الذي كان له الفضل الكبير في إخراج مؤلفاتي إلى النور منذ عام ١٩٨٩، ولا سيما كتابي هذا (السياسة الخارجية)، وكان الحافز الكبير والأول بعد الله سبحانه وتعالى، في إتمام ذلك، ولولاه لما تم إنجازه، تعجز كلماتي عن التعبير عن بالغ شكري وتقديري لشخصه الكريم. ويسعدني أن أقدم الشكر الجزيل لزميلي في كلية العلوم السياسية اللذان حفزاني كثيرا لطبع هذا الكتاب وهما الأستاذ الدكتور سعد حقي توفيق، والأستاذ الدكتور حميد شهاب أحمد.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل شكري وتقديري لولداي العزيزين مقداد وبالأخص مثنى الذي بذل جهداً كبيراً في طبع بعض مسودات الكتاب بكل صبر وأناة وعزيمة، جعلهما الله من الأولاد الصالحين.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوبُ إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربي العالمين.

قال تعالى "رَبِّ أوزعني أن أشكرَ نعمتكَ التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ وأن أعملَ صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتكَ في عبادكَ الصالحين" النمل ١٩.

المحتويات

	الفصل الرابع **ظاهرة القيادة وأثرها في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية .**	
	أ- دوافع ونظريات القيادة . ١- دوافع القيادة ٢- نظريات القيادة ب - الكارزما . ج - الكاريزما والظاهرة السياسية .	
	أنواع وحدات صنع القرار . أ - وحدة القائد المسيطر ب- وحدة القائد المستقلين ج - وحدة القائد المفوضين	
	نماذج عملية صنع القرار. أ - الأسلوب التحليلي . ب - الانموذج التنظيمي (الإداري) . ج - الانموذج العقيدي .	
	الفصل الخامس **العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية**	
	أولا: الأبعاد الداخلية . (١) - العوامل المادية الدائمة ديمومة نسبية أ - العامل الجغرافي ب - العامل الاقتصادي الإعتمادية الاقتصادية الدولية (١) - مفهوم العولمة (٢) - العولمة والدولة (٣) - العولمة والثورة المعلوماتية ج - العامل السكاني د - العامل العسكري (٢) - العوامل الإجتماعية اولا- الطابع القومي أ - العوامل المكونة لنظرية الطابع القومي ب - الرأي العام ج - الأحزاب السياسية د - جماعات الضغط ثانياً: الأبعاد الخارجية أ - الرأي العام الدولي ب - التكتلات الدولية ج - المنظمات الدولية د - الشركات متعددة الجنسية	

المقدمة

تعد مادة السياسة الخارجية من المواد الرئيسة في مفردات علم السياسة ، لا سيما إذا عرفنا أنها تدرس في جامعات متقدمة بلغة سوسيومترية يطغى عليها نظرية التكامل والتفاضل في الرياضيات والإحصاء التي من شأنها محاولة الوصول الى بناء نظرية عامة في السياسة الخارجية.

قد يبدو في البداية، أن منطق العلوم الرياضية هو منطق رمزي يتصادم مع المنطق السياسي القائم على قيم Values، ويفترض أحكاماً Judgement، وهي جميعها تتصادم مع خصائص التحليل الرياضي؛ لأن التطور المعاصر يجعل من أداة التحليل الرياضي عنصراً أساسياً من عناصر بناء النظرية السياسية. من هذا المنطلق، كانت هناك محاولات من بعض العلماء لخلق ما أسموه بالرياضة الإنسانية، وهي ترتبط بخصوص الظواهر التي لا تخضع بطبيعتها لعملية التحويل الكمي .[1]

وهنا لا بد من الإشارة ، من أن عملية بناء النموذج التي تتباين من عملية بناء النظرية Theory Building ، هي عملية عقلية تخضع للعلوم الرياضية في التحليل . ومن هنا تأتي أهمية أعتماد عملية البحث السياسي على الأساليب الرياضية ، وفي هذا المجال يثار السؤال الآتي : أليست الأساليب الرياضية هي الدراسة المنطقية للعلاقات الرمزية ؟ من هذه العلاقة ، بين التحليل السياسي ، والمنطق الرياضي نستطيع أن نذهب إلى القول ، أنه كيف أستطاع أسلوب التحليل السياسي ، أستخدام أدوات التحليل التي كانت مصدرها العلوم الأخرى في بناء النظرية المنهاجية : تحليل أحصائي في التحويل الكمي، تحليل نفسي في التحليل المعملي ، تحليل رياضي في عملية التجريد الفكري والبناء الرمزي لنماذج التحليل .[2]

يدور مفهوم أستخدام المنطق العلمي في السياسة الخارجية حول ثلاثة مفاهيم رئيسة:[3]

١- أمكانية التنبؤ برد الفعل ، يليه بعد ذلك تقديم نماذج للحركة .
٢- تصور نتائج الحركة السياسية وآثارها على المستوى الداخلي والاقليمي والدولي .
٣- قياس الرأي العام لإكتشاف الإتجاهات الحقيقية بصدد أعداد قرار معين .
والرأي العام هنا ينبغي أن يفهم على أنه يمثل الرأي العام الخارجي أو الإقليمي.

وفي هذا الشأن ، ينبغي أن نؤكد ، من أن إستخدام المنهج العلمي بالمعنى الواسع لا يعدو وأن يكون محاولة رفض مفهوم الأنطباع في دلالته التقليدية ، ووضع قواعد تسمح بالضبط الكمي والكيفي للإنطباعات . وهنا يجب أن نميز بين التحليل الكمي والتحليل النوعي والتحليل الكيفي ، إذ أن التحليل الكمي تغلب عليه فكرة التكرار ، بمعنى آخر أن عدد المرات التي تساق

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٧ ص ٤٩ .
[2] المصدر نفسه ، ص٤٩ – ٥٠ .
[3] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص١٠١ .

فيها كلمة معينة أو حجة معينة أو رمز معين يمثل في ذاته الدلالة التي يجب أن نبحث عن اكتشافها التي نكوينا في التحليل . وراء هذا الأسلوب تستتر فكرة عامة وهي أن رقم التكرار يعني درجة معينة من الأهتمام ، أو بتعبير آخر يعكس فكرة الأهمية . أما التحليل النوعي فانه لا يقف عند ذلك ، وانما يسعى إلى اكتشاف ما هو أبعد من التكرار ، أي ما هو أبعد من الأهتمام . التحليل النوعي يقدم تساؤلات حول وجود صفة معينة من عدمه ، حيث أن الصفة تحدد النوع ، وهكذا هو قد يتساءل هل الأهتمام هو بالتأييد أو بالمعارضة ، بالقبول أم بالرفض . أما التحليل الكيفي فانه يمثل خطوة نحو الأمام : التكرار لا يكفيه ولكن النوع أيضا لا يقنعه . انه يريد أن يجيب عن السؤال كيف حدث الوصول إلى تلك الصفة ؟ بعبارة أكثر دقة ، فانه يتابع الحقيقة الإتصالية كعملية تطور ، ومن ثم يسعى إلى التعمق في حقيقة العملية النفسية التي تستتر وراء الكلمات والرموز [١] .

ولأهمية المنطق العلمي في دراسة السياسة الخارجية ، بدأت تظهر في السنوات الأخيرة بما يسمى بمراكز التفوق في البحث السياسي . ويكفي أن نتذكر بهذا الخصوص الأبحاث التي تجرى بجامعة شيكاغو لحساب البنتاغون حول ظاهرة الذعر الجماعي كأحد الأساليب المكملة للسياسة الخارجية [٢] .

وبلغ الأمر بهذا التقدم والتخصص ، أن بدأت الأساليب العلمية تغزو الدول الصغيرة أو على الأقل الدول غير الكبرى ، فمراكز تحليل السياسة الخارجية اليوم منتشرة في جميع أنحاء العالم بما في ذلك دراسة السياسة الخارجية للدول غير الكبرى . فالهند بعد الصين الشعبية تولي أهتماماً كبيراً بهذه الأساليب . وينبغي في هذا المجال أن لا ننسى أهتمامات الكيان الصهيوني بتحليل السياسة الخارجية لها [٣] .

ويمكننا أن نذهب إلى القول في هذا المجال ، إذا كانت مادة العلاقات الدولية تعد من افقر المواد في علم السياسة من حيث الاعتماد على لغة الرياضيات والإحصاء بسبب هيمنة الدراسات التاريخية والقانونية عليها ، نرى أن مادة السياسة الخارجية تعد من اكثر مواد علم السياسة علمية بسبب العوامل السالفة الذكر .

لم تدرس مادة السياسة الخارجية في الوطن العربي في العشرينات من القرن الماضي كمادة مستقلة ، فتارة كانت تدرس في إطار مادة العلاقات الدولية او مادة السياسة الدولية الا ان بعض الجامعات العربية بدأت تخطو خطوات جديدة كجامعة بغداد مثلاً- كلية العلوم السياسية - في تدريسها مادة مستقلة لها إطارها العام تدرس على مستوى الدراسات الاولية والدراسات العليا . من هذا رأينا أنه من باب اولى تاليف كتاب في هذا الشأن ، يضاف الى الكتب العلمية التي كتبت من أساتذة اجلاء في الجامعات العربية .

---

[١] المصدر نفسه ، ص ١٠٢ ، ١٦٧ . ومارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، ترجمة د. حسن نافعة ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص١٠٨ - ١١٩ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

ولأهمية هذا الموضوع ، فقد تناولناه في الفصول الآتية :

الفصل الأول : دراسة نظرية السياسة الخارجية ، التي تناولت الموضوعات الاتية : مفهوم السياسة الخارجية ، السياسة الخارجية والسياسة الدولية ، السياسة الخارجية والستراتيجية ، السياسة الخارجية والدبلوماسية ، السياسة الخارجية والعلاقات الدولية ، العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية .

الفصل الثاني : مناهج السياسة الخارجية .

تناولنا في هذا الفصل ، المناهج التقليدية والمناهج المعاصرة في السياسة الخارجية ، في حين خصصنا الفصل الثالث عن العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية والتي تندرج تحت عوامل داخلية وخارجية ، وقد طرحنا في الأول منها الإمكانات الموضوعية الدائمة او شبه الدائمة ، التي تتحدد في المتغيرات الجغرافية والاقتصادية والسكانية والعسكرية ، فضلاً عن المتغيرات الإجتماعية التي تكمن في الطابع القومي والرأي العام والأحزاب السياسية وجماعات الضغط ، أما العوامل الخارجية فانها تتركز في الموضوعات الاتية: الرأي العام الدولي والتكتلات الدولية والمنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسية .

أما الفصل الأخير من الكتاب ، فانه احتوى على دور وزارة الخارجية في عملية صنع القرار ، على الرغم من معرفتنا ان هذا الدور يقتصر على جانب تنفيذي ، بسبب ان الدبلوماسية لها علاقة في نقل قواعد السلوك السياسي الداخلي على مستوى العلاقات الدولية .

وارجو من الله تعالى ان اكون قد وفقت في كتابة هذا الموضوع ، كي اضيف هذا الجهد المتواضع الى المكتبة العربية .

ومن الله التوفيق

الفصل الأول

في معنى السياسة الخارجية

الفصل الأول

في معنى السياسة الخارجية

١ – مفهوم السياسة الخارجية :

لا يوجد هناك تعريف متفق عليه لمفهوم السياسة الخارجية عند علماء علم السياسة بشكل عام ، وعلم العلاقات الدولية بشكل خاص ، وعليه فقد تعدد تعريفات الباحثين ازاءها . والحق ، فان تعدد التعريفات ، وتفاوت نواحي التركيز فيها ، انما يعكس تعقيد ظاهرة السياسة الخارجية ، وصعوبة التوصل الى مجموعة الابعاد التي تندرج في اطارها والعلاقة بينها[١].

ازاء ذلك ، نرى ان (كورت) يقدم لنا تعريفا للسياسة الخارجية بانها : " السياسة الخارجية لدولة من الدول تحدد مسلكها تجاه الدولة الاخرى ، انها برنامج ، الغاية منها تحقيق افضل الظروف الممكنة للدولة بالطرق السلمية التي لا تصل حد الحرب"[٢].

ويضيف كورت في تعريفه للسياسة الخارجية قائلاً: " بكلمات اخرى ، انها تعبر عن مجموعة اجمالية من تلك المبادئ التي في ظلها تدار علاقات دولة مع الدول الاخر"[٣].

الا ان هذا التعريف ، يقتصر على جانب واحد ، هو أنه لايعد القنوات القتالية اداة من ادوات السياسة الخارجية[٤].

اما السفير (ليون نويل) فقد عرفها بانها : " فن ادارة علاقات دولة مع الدول الاخرى"[٥] . في حين يرى (مودلسكي) بانها : " نظام الانشطة الذي تطوره المجتمعات لتغيير سلوكيات الدول الاخرى ، ولأقلمة انشطتها طبقاً للبيئة الدولية : المدخلات والمخرجات "[٦].

أمّا فيما يخص فيرنس وريتشارد سنايدر فانهما عرفا السياسة الخارجية بانها : " منهج للعمل او مجموعة من القواعد او كلاهما ، تم اختياره للتعامل مع مشكلة او واقعة معينة تحدث فعلاً او تحدث حالياً ، او يتوقع حدوثها في المستقبل "[٧]. وهذا التعريف يرادف بين السياسة الخارجية وبين قواعد العمل ،واساليب الاختيار المتبعة للتعامل مع المشكلات .

يؤكد هذا التعريف على صانع القرار ، ويولي له اهمية كبيرة في تحليل السياسة الخارجية لاية دولة ، اذ يرى (سنايدر) في هذا المجال ان الدولة تحدد بأشخاص صانعي قراراتها من الرسميين ، ومن ثم فان سلوك الدولة هو سلوك الذين يعملون باسمها ، وان

---

[١] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، ط٢ ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص١٠.

[٢] Kurt , J., How Foreign Policy is Made , New Yourk , ١٩٤٩ , P.١٢.

[٣] Ibid.,

[٤] هشام الشاوي ، الوجيز في فن المفاوضة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص٣٨.

[٥] مارسيل ميرل ، السياسة الخارجية ، ترجمة خضر خضر ، جروس برس ،(بلا) ، ص١٦.

[٦] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٨.

[٧] المصدر نفسه ، ص٧.

السياسة الخارجية عبارة عن محصلة لقرارات من خلال اشخاص يتبوؤن المناصب الرسمية في الدولة[1].

ويقترب من هذا التعريف ، التعريف الذي قدمه تشارلز هيرمان للسياسة الخارجية ، التي يرى فيها بانها مرادفة لسلوكيات السياسة الخارجية والتي يقوم بها صانعو القرار الرسميون ، اذ يعرفها : " تتألف السياسة الخارجية من تلك السلوكيات الرسمية المتميزة التي يتبعها صانعو القرار الرسميون في الحكومة او من يمثلونهم التي يقصدون بها التأثير في سلوك الوحدات الدولية الخارجية "[2].

وفي المعنى نفسه ، يعرف باتريك مورجان السياسة الخارجية بانها : " التصرفات الرسمية التي يقوم بها صانعو القرار السلطويون في الحكومة الوطنية ، أو ممثلوهم بهدف التأثير في سلوك الفاعلين الدوليين الاخرين "[3].

وبموجب هذه التعاريف ، تكون السياسة الخارجية بمثابة تصرفات وسلوكيات تمثل صانعي القرار في المحيط الخارجي ، بهذا المعنى يفهم السياسة الخارجية بانها مجرد رصد سلوكيات الدول ، وابعاد لمجالات اخرى في السياسة الخارجية كالاهداف والستراتيجيات المعلقة .

اهتم سنايدر في دراسته للسياسة الخارجية بالبعد الادراكي عند صانعي القرار ، هذا يعني ان الاخيرين يتعاملون مع بيئتهم بموجب ادراكهم الحسي لهذه البيئة والتصورات المكونة في مخيلتهم عنها ، اذ ان هؤلاء يتعاملون مع العوامل البيئية تبعا لتصوراتهم وادراكهم لها ، وليس مع حقيقتها في الواقع الفعلي ، وقد اكد على الحقيقة نفسها هولستي في أنموذجه القائم على العلاقة الترابطية بين نظام المعتقدات وعملية الادراك وعملية صنع القرار ،وبعبارة أدق ان صانعي القرار وفقاً لهذا الأنموذج لا يتصرفون تبعا لمعرفتهم بالموقف ،كما هو في الواقع وفي حقيقته الموضوعية ، بل يأتي تصرفهم بموجب ما يتصورونه عن هذا الموقف .

أمّا روزيناو فيعرف السياسة الخارجية بانها : " منهج للعمل يتبعه الممثلون الرسميون للمجتمع القومي بوعي من اجل اقرار او تغيير موقف معين في النسق الدولي بشكل يتفق والاهداف المحددة سلفاً "[4].

او بعبارة اكثر دقة : " المجهود الذي تبذله جماعة وطنية من اجل التحكم في او مراقبة محيطها الخارجي سواء من خلال تكريس الوضعيات الايجابية او تعديل تلك الوضعيات السلبية التي لا تخدم مصالحها "[5].

---

[1] زايد عبيد الله مصباح ، السياسة الخارجية منشورات Elga ، مالطا ، ١٩٩٤ ، ص١٠.

[2] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠.

[3] المصدر نفسه ، ص٩.

[4] المصدر نفسه ، ص١٥.

[5] الدكتور عبد المجيد العبدلي ، قانون العلاقات الدولية ، دار أقواس للنشر ،مطبعة فن والوان ، تونس ، ١٩٩٤ ، ص١٢٣.

يشير والتر ليبمان الى اهمية الثقل السياسي في ادارة نشاط الدولة الخارجية من حيث تأكيده الى ايجاد نوع من التوازن بين الالتزام الخارجي للدولة، والادارة المتوفرة على مدى نقل هذا الالتزام على مستوى السلوك الخارجي ، والمقدرة اللازمة في اعتقاد ليبمان ،هو ان تكون هذه المقدرة في حالة تنفيذها اكبر بكثير مما يحتاج اليه هذا الالتزام(١).

أمّا مارسيل ميرل فانه يرى في السياسة الخارجية بانها : " هي ذلك الجزء من نشاط الدولة الموجه للخارج ، بمعنى الذي يهتم عكس السياسة الداخلية بالمسائل الواقعية ما وراء الحدود "(٢).

ويعرفها Leon Noel بانها " فن تسيير علاقات دولة مع الدول الاخرى "(٣). وقد قال عنها ريتشارد نيكسون الرئيس الامريكي السابق : " ان الاستعمال الناجح للسلطة وبالخصوص على الساحة العالمية هو فن لا تعلمه الا التجربة "(٤).

يقدم لنا نورمان هيل ، تعريفاً للسياسة الخارجية ، يتسم بالدقة والواقعية، عندما يقول:" بانها نشاط الدولة قبل الدول الاخرى سواء اتخذ هذا النشاط مظهراً سياسياً او اقتصادياً او عسكرياً على اساس الفلسفة او الايديولوجية التي يتمسك القادة بها "(٥).

أمّا الدكتور حامد ربيع فيعرف السياسة الخارجية بانها : " جميع صور النشاط الخارجي حتى ولو لم تصدر عن الدولة كحقيقة نظامية ، أن نشاط الجماعة كوجود حضاري أو التعبيرات الذاتية كصور فردية للحركة الخارجية تنطوي وتندرج تحت هذا الباب الواسع الذي تطلق عليه السياسة الخارجية "(٦).

وهناك من ينظر الى السياسة الخارجية على انها سياسة الدولة تجاه بيئتها الدولية غير الدول ، لأن مجالات السياسة الخارجية تتضمن الى جانب الدول ، مجالات اخرى مثل الشركات متعددة الجنسية والمنظمات الدولية والمنظمات السياسية (٧).

ويعرف زايد عبيد الله مصباح السياسة الخارجية بانها : " ان السلوك السياسي الخارجي لأية دولة واحدة دولية هو عبارة عن حدث ،وفعل ملموس تقوم به هذه الوحدة الدولية

---

(١) Lippmann , Walter , United States Foreign Policy , Boston , ١٩٩٣ , P.٩.

(٢) العبدلي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص١٢٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص١٢٣.

(٥) Hill , Norman , International Politics , New York , Happer and Row , ١٩٦٧ , P.٧٣.

هناك ست قنوات تسلكها السياسة الخارجية ، وهي بمثابة تنفيذ السياسة الخارجية وهذه القنوات هي : الاداة الدبلوماسية والتعامل الاقتصادي والاكراه النفسي والحرب النفسية والتفتيت الداخلي ، استناداً الى مبدأ التعامل المباشر مع الاقليات والحركات الانفصالية القومية ، المنظمات والصراع الجسدي ؛ راجع في هذا الصدد : الدكتور حامد ربيع ، من يحكم في تل ابيب ؟ حول تحليل علاقة التماسك في النظام الاسرائيلي ومتغيرات الحركة السياسية في الشرق الاوسط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص٤٣٦.

(٦) محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧.

(٧) مصباح ، مصدر سبق ذكره ، ص٨.

بصورة مقصودة وهادفة للتعبير عن توجهاتها في البيئة الخارجية ، فالسلوك السياسي الخارجي يتحدد بالبواعث أو المقاصد المرتبطة به ، ومايترتب عليها من نتائج خارج الحدود "[1].

يقدم لنا الدكتور عبد المجيد العبدلي تعريفاً لها " بأنها فن تسيير الدولة الخارجية في جميع الميادين مع بقية الممثلين الدوليين سواء كانوا أشخاصاً دوليين كدول ومنظمات دولية أو جماعات ضغط دولية أخرى وهذا الفن تحكمه المصلحة الوطنية"[2].

أمّا الدكتور محمد السيد سليم فانه يعرف السياسة الخارجية بأنها : " برنامج العمل العلني الذي يختاره الممثلون الرسميون للوحدة الدولية من بين مجموعة البدائل البرنامجية المتاحة من أجل تحقيق أهداف محددة في المحيط الخارجي "[3].

وهذا التعريف ينطوي على الأبعاد التالية : الواحدية والرسمية والعلنية والاختيارية والهدفية والخارجية والبرنامجية [4].

والحق ، أن الكتاب العرب ، يديرون مفاهيمهم عن السياسة الخارجية حول محورين:

١- أمّا بدلالة الخطة [5] أو بمعنى يقترب منها ، وخير من يمثل هذا الاتجاه الأستاذ الدكتور فاضل زكي محمد في كتابه " السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية " والدكتور محمد طه بدوي في كتابه "مدخل الى علم العلاقات الدولية" .

٢- يفهم أصحابه السياسة الخارجية سلوكياً ، أي بمعنى الفعل وماشابه ذلك، وخير من يمثل هذا الاتجاه الدكتور علي الدين هلال في كتابه "الأمن القومي العربي" ، والدكتور محمد السيد سليم في كتابه "تحليل السياسة الخارجية"، والدكتور محمد الحلوة ، في كتابه "مبادئ علم السياسة [6].

والحق، ان جل المعضلات الناتجة من تناول تخطيط السياسة الخارجية، هي معضلات غير محددة ،وذلك للأسباب الآتية : [7]

١- هناك العديد من الأهداف والستراتيجيات القابلة لتفسيرات واسعة النطاق .

---

[1] المصدر نفسه ، ص١٤.

[2] العبدلي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٤.

[3] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢.

[4] المصدر نفسه ، ص١٣-٣٦.

[5] يقصد بالتخطيط بأنه تحديد الأهداف التي تسعى الدولة الى تحقيقها سواء اتخذت جانباً سياسياً او اقتصادياً أو اجتماعياً والدولة هنا تضع مجموعة من الوسائل لتحقيق ذلك ، فضلاً عن ذلك تقوم الدولة بدور تنسيق الأنشطة بين مؤسسات عديدة تشترك في مجال معين ، وبين اكثر من وحدة وفي اطار مؤسسة واحدة ، والتخطيط يجمع في كثير من الحالات بين المعلومات الجديدة والخبرات السابقة ، راجع : الدكتورة ودودة عبد الرحمن بدران ،" تخطيط السياسة الخارجية نظرية وتحليلية" ، السياسة الدولية ، العدد ٦٩ ، ١٩٨٢ ، ص٦٦ ، ٧٣.

[6] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية دراسة نظرية ، مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص٢٦-٢٧.

[7] المصدر نفسه ، ص٦٧.

٢- هناك نوع من التعقيد للخلفيات والمواقف المرتبطة بالسياسة الخارجية ، وتتصف بالتالي بعدم التنسيق .

٣- قبل وصول صانع القرار الى اتفاق بشأن الاهداف ، لابد ان يكون هناك نوع من الاندماج بين المفاهيم والادراك .

٤- هناك العديد من البيانات التي تتميز بخاصية التوسع ووجود تشعبات عديدة، التي تؤدي بازدياد صعوبة الاعتماد على مثل هذه البيانات .

٥- قد يختفي التجريب والاختبار نسبياً ، ومما يؤدي الى الصعوبة هو عدم تكرار مواقف السياسة الخارجية الذي من شأنه ان يقوم بتحقيق التجريب .

٦- من الصعوبة بمكان القياس الدقيق للمؤسسات المشتركة التي تقوم بدور المخطط في السياسة الخارجية .

٧- بسبب الحاجة الملحة لمناقشة متغيرات عديدة ومتباينة ،وهي غير خاضعة الى الفحص والمراجعة وبدرجات كبيرة .

٨- ان صانعي القرار قد يعتنقون فلسفات وايديولوجيات معينة، ووجود صراعات بين هذه المفاهيم ،وهي بالتالي تزيد الحاجة الى اتباع انموذج للوساطة والتوفيق في حسم المعضلات الدولية [1].

ان التعاريف التي قدمناها في هذا الصدد قد تكون لاتفي بالغرض الاكاديمي المطلوب، فعلى سبيل المثال ان التعاريف المعطاة للسياسة الخارجية بانها النوايا ، قد تكون لها جانب من الصحة لتأثيرها في صياغة اهداف وتحديد حركة صانع القرار ، "الا أنها لاتكون الوحيدة في فهم ظاهرة السياسة الخارجية وذلك لسببين رئيسين هما[2].

١- من الصعوبة بمكان معرفة مايفكر به صانع القرار ،او بتعبير أدق معرفة نواياه الحقيقية في مسألة من مسائل السياسة الخارجية .

٢- في حالة عدم تطبيق النوايا في السياسة الخارجية ، ان ذلك قد لا يؤثر في مصالح الدول الاخرى ،وفي مثل هذه الحالة يكون الرد عليها من خلال افعال سياسية خارجية محدودة .

وبالإمكان ان نستشهد على ذلك مثالاً الذي يشير الى واقع تعامل الغرب مع العرب ابان الحرب العالمية الاولى ، اذ اعطيت وعود للعرب التي اكدت على استقلالهم عن الدولة العثمانية ، واقامة دولة موحدة لهم ، في حين ان هذه الوعود كانت تخفي من ورائها سياسة التفتيت [3].

ومن ناحية اخرى ، ان التعاريف المعطاة للسياسة الخارجية بانها الخطة او الخطط من دون ان تكون هناك مقومات في نجاحها ؛ أو على اقل تقدير عدم ترجمتها الى الواقع العلمي ؛ لا يمكن ان يعطي لنا فهما حقيقيا لمعنى ظاهرة السياسة الخارجية[4].

---

[1] الدكتورة ودودة عبد الرحمن ، "تخطيط السياسة الخارجية نظرية وتحليلية" ،مصدر سبق ذكره ، ص ٦٧.

[2] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩.

[3] المصدر نفسه ، ص ٣٠.

[4] المصدر نفسه ، ص ٣١.

ان التعريفات السالفة باستثناء تعريف روزيناو لاتحدد كل الأبعاد المقصورة لعملية السياسة الخارجية فهي تقتصر على تعريف السياسة الخارجية بأحد ابعادها او مكوناتها على مستوى السلوك –هيرمان– او الاهداف– سيبوري – " مجموعة الاهداف او الارتباطات التي تحاول الدولة بواسطتها من خلال السلطات المحددة دستوريا ان تتعامل مع الدول الأجنبية ; ومشكلات البيئة الدولية باستعمال النفوذ والقوة بل والعنف في بعض الاحيان " . كما ان بعضها شديد العمومية بحيث لايوضح طبيعة السياسة الخارجية ولايميزها عن غيرها من السياسات [1].

ان السبب من تعدد هذه المفاهيم ازاء السياسة الخارجية ، مرده غياب نظرية اكاديمية عامة للسياسة الخارجية [2]، التي تعزى الى الأسباب الاتية : الطبيعة الديناميكية للسياسة الخارجية والتفاعلات الدولية ،وانعكاسات بزوغ قوى جديدة في السياسة الدولية[3]،تحديات اكاديمية عديدة تجابه بناء مثل هذه النظرية ،وواقع اختلاف السياسة الخارجية من دولة الى اخرى ،وحدود الموضوع التي اضحت تمتد لتشمل السياستين الداخلية والخارجية [4].

تستشف من هذه التعريفات ، مجموعة من الملاحظات ،من بينها ان السياسة الخارجية التي تتبناها دولة ما ، قد تكون نتيجة لظروف بيئية داخلية املتها الظروف البيئية المحيطة ، او انها قد تكون نتيجة لرد فعل لعوامل بيئية خارجية فرضتها او تفرضها ملابسات المحيط الخارجي [5].

---

(1) الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١.

(2) تعرف النظرية : " بانها مجموعة من المقترحات التي تنطبق على مجال معين من الواقع الموضوعي والهدف منها التركيز على الجانب التفسيري والتوقعي ; أي بمعنى ادق تفسير ظواهر العلاقات الدولية ، والأخذ بنظر الاعتبار بفرضيات مسبقة ومسلم بصحتها للوصول الى قواعد تسمح بتوقع الأحداث ،وفي هذا المجال ، فان النظرية قد تكون استقرائية والتي لها علاقة بتجارب معينة لاجل الوصول الى استنتاج معين او مقياس أي سيستنتجه من نظرية اخرى ، أو استقرائية وقياسية في آن واحد " .

وهنا لابد من التمييز بين النظرية Theoretic التي تتكون من مجموعة من المقترحات تأخذ شكل القوانين ، والمنهج Methods الذي هو نظام قواعد والافتراض Hypothese أي النظرية التي لم تتأكد بعد ، راجع : الدكتور ريمون حداد ، العلاقات الدولية ، بيروت ، ٢٠٠٠، ص١٥٤.

(3) ارتبط بزوغ هذه القوى بظهور دول العالم الثالث في العلاقات الدولية التي بدأت تزتاب من ظاهرة التوسع الإستعماري من خلال سياسة الاحلاف العسكرية التي ظهرت بعد الحرب الباردة ، وكانت الدول الأسيوية وبزعامة الهند هي الرائدة في الرفض من الانخراط الى مثل هذه السياسات ، وشاركها في الأمر فيما بعد الاقطار الافريقية المستقلة وكان اولى نتائج هذا الرفض هو انعقاد مؤتمر باندونغ في المدة الواقعة بين ١٨– ٢٤ نيسان ١٩٥٥ الذي ضم تسعاً وعشرين دولة من القارة الأسيوية والأفريقية ، التي رفضت سياسة الاحلاف الدولية ، والدعوة الى احترام الاستقلال والمساواة بين الدول والتأكيد الى إيجاد علاقات دولية تتحكمها مبادئ التعايش السلمي بين الدول ، راجع : د. حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٦.

(4) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره ، ص٦٨ ، ولمزيد من التفصيل حول الحاجة الى نظرية في السياسة الخارجية راجع :

Rosenau James N., the Scientific Study of Foreign Policy , the Free Press New York ١٩٧١ ,pp.٩٨-١٠٢.

(5) الدكتور مصطفى عبد الله خشيم ، موسوعة علم العلاقات الدولية مفاهيم مختارة ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، بنغازي ، ١٤٢٥ ، ص٢٠١.

من هذا المنطلق ، يمكننا ان نذهب الى القول بان السياسة الخارجية لاي دولة تعكس وجود عملية ديناميكية تأخذ في الاعتبار المصلحة القومية والظروف البيئية الدولية ، التي تترجم الى واقع ملموس ومن خلال الاداة الدبلوماسية ، كما تجسد السياسة الخارجية وجود عديد من الخطوات ، بالامكان ايجازها في الاتي : [1].

١- قيام الدولة في الغالب بترجمة المصالح القومية الى مبادئ واهداف محددة في حالة تبني سياسة خارجية محددة .

٢- ان صانعي القرار ، في ترجمة المصالح القومية ، يأخذون في حسبانهم الظروف البيئية المختلفة على المستوى الداخلي والخارجي.

٣- ان تحقيق الاهداف المراد تحقيقها يتطلب من صانع القرار رفد العوامل المادية والبشرية والتكنولوجية .

٤- قيام صانع القرار من تطوير خطته او ستراتيجيته تبعاً لقدرات او امكانيات الدولة ، الى درجة من الممكن التعامل مع مواقف السياسة الخارجية بالسلوك العقلاني من اجل تحقيق الاهداف الخارجية للدولة .

٥- تبني الدولة المواقف الايجابية التي من شأنها تحقيق مصالح الدولة الخارجية وتبعا لقدرات الدولة .

٦- قيام مؤسسات الدولة جميعاً ، بتقويم دوري للتقدم الذي انجزته هذه المؤسسات تجاه تحقيق اهداف الدولة الخارجية .

والحق ، ان العملية الاخيرة – عملية التقويم – هي عملية معقدة وصعبة ، وذلك نتيجة للاسباب الاتية : [2].

١- ان الاهداف المتوخاة تحقيقها في السياسة الخارجية ، لا يمكن فصلها باي حال من الاحوال عن الستراتيجية الطويلة المدى .

٢- ان عملية تأثير سياسة خارجية لدولة معينة على باقي الوحدات الدولية الاخرى تتسم بصعوبتها من حيث التقويم بسبب تعذر الحصول على البيانات والمعلومات اللازمة .

٣- ان النتائج المترتبة على تبني سياسة خارجية معينة ، تحيط بها عوامل النجاح والاخفاق ، يدفعنا الى القول بعدم امكانية وصف السياسة الخارجية لدولة ما بانها ناجحة او غير ناجحة بالمرة .

٢- السياسة الخارجية والسياسة الدولية :

هناك تفاعل بين البيئة الداخلية Internal Politics والبيئة الخارجية External Politics ، أما استجابة Respone ، أو رد فعل Reaction ، أو كلاهما ، وفي هذا المجال، لابد من طرح مفهوم Interaction ، الذي يعد موضوعا من موضوعات السياسة الدولية[3].

---

[1] المصدر نفسه ، ص١١٣-١١٤.

[2] المصدر نفسه ، ص١١٥.

[3] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص١٣. تجدر الاشارة في هذا المجال ، ان عالم السياسة الخارجية " روزنو " الذي قام باصدار كتابه الموسوم " السياسات الدولية والسياسة الخارجية " في عام ١٩٦١ أشار فيه إلى طبيعة العلاقة بينهما ، وكتابه هذا هو مجموعة قراءات تدور حول تأصيل العلاقة بينهما ، كانت في مجموعها تمثل جهود علماء من شتى الثقافات ، وتعبر عن مختلف الاتجاهات الفكرية في نطاق التحليل السياسي . يستطيع القارئ أن يجد بينها المؤرخ وعالم العلاقات الدولية والقانوني والمتخصص في علم الاجتماع .سينجح استطاع وفقط خلال خمسة أعوام من ذلك التاريخ أن يجعل مجموعة الباحثين التي يتناولون موضوع تحليله فقط علماء السياسة ، ولا يعكسون سوى المنهاجية السلوكية . راجع : الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٨ .

وعليه فان الدكتور حامد ربيع ، يعرف السياسة الدولية بانها : " التفاعل الذي لابد ان يحدث الصدام والتشابك المتوقع والضروري نتيجة لاحتضان الاهداف والقرارات التي تصدر من اكثر من وحدة سياسية واحدة " [1].

وتستنتج من هذا التعريف ، ملاحظات معينة ، بالامكان ايجازها في:[2].

١- ان السياسة الخارجية هي عنصر من عناصر السياسة الدولية ولكن ليس بوصفها تعبيراً عن اهداف محلية وانما بوصفها انموذجاً من انماط السلوك الدولي .

٢- ان السياسة الدولية بهذا المعنى تفترض علاقات تقاطعية تفترض تفاعل بين اكثر من دولة واحدة ، لا بل بالامكان القول التقاطع بين اكثر من كتلة واحدة من التكتلات الدولية .

أي بين اكثر من مجموعة الدول المرتبطة بعلاقات اقليمية او مواقف ستراتيجية.

٣- ان السياسة الدولية لاتقتصر على مجرد العلاقات بين الدول- بمعنى العلاقات التي تقوم على اسس رسمية بين اشكال النظام السياسي الرسمي – فحسب ، بل العلاقات بين مختلف اشكال التنظيمات غير الرسمية ، طالما لهما صفة دولية ، وهذا يعني :

١- ان السياسة الدولية تقوم على المنظمات غير الحكومية مثل منظمة الصليب الاحمر ،والاتحادات العالمية للعمال ، والجمعيات الدولية العلمية .

٢- المنظمات الدولية الحكومية ، وعلى الرغم من انها تشكل جزءاً من السياسة الخارجية ،الا انها تتضمن عنصراً مستقلاً عنها .

أما جوزيف س.ناي، الابن فانه يعرف السياسة الدولية على انها: "سياسة تنشأ في غياب سياسة مشتركة، أو سياسة بين كيانات ليس لها حاكم عام ،وهكذا يطلق على السياسة الدولية عادة انها فوضوية "لاركية". وكما تعني كلمة " ملكية " حاكم واحد تعني كلمة " فوضوية " عدم وجود أي حاكم وتعد السياسة الدولية نظاماً للاعتماد على الذات . " [3].

يتضح مما تقدم أن السياسة الخارجية هي بصورة افتراضية اقل من مجموعة من كل السياسات التي لها تأثير على علاقات الحكومة الوطنية مع الحكومات الوطنية الاخرى ، ان الجمعية العامة للامم المتحدة قد ارتأت منذ مدة طويلة المبدأ المتضمن : اذا تأثرت حساسيات اعضاء كانوا بفعل قطر معين تجاه مواطنيها ، فان ذلك الفعل لا يعد محلياً ، مع ذلك لازلنا لانقول ان الابارتايد (الفصل العنصري في جنوب افريقيا)هو جزء من السياسة الخارجية لجنوب افريقيا [4].

---

[1] المصدر نفسه ، ص١٣-١٤ .

[2] المصدر نفسه ، ص١٤-١٥ .

[3] جوزيف س.ناي ، الابن ، المنازعات الدولية مقدمة للنظرية والتاريخ ، ترجمة الدكتور احمد امين الجمل ومجدي كامل ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، القاهرة ، ص١٧.

[4] Rosenau James (Ed) , International politics and Foreign Policy A reader in Research and Theory , The Free Press , Collier Macmillan Publisher , London ١٩٦٩ , P.٥٧.

ان اولئك الذين يدرسون السياسة الدولية يهتمون اساساً بافعال ، وردود افعال ، والتفاعلات بين الوحدات السياسية التي تدعى الدول الوطنية " الدول القومية " . فالتأكيد على الفعل يتضمن تحليل العملية ، أي مرور الوقت زائداً التغيرات المستمرة في العلاقات متضمناً الشروط التي تحدد التغيير ونتائجه . مادام هناك تحديــة فــي الافعــال ، وردود الافعال ، والتفاعلات ، فان التحليل يجب ان يهتم بعدد العمليات [1].

لذن يشكل " الفاعلون " " والأهداف " " والادوات " مفاهيم ثلاثاً لتنظير السياسة الدولية ، ولكن كلاً من هذه المفاهيم يكون في حالة تغير . ففي رأي اصحاب النظرية الواقعية التقليدية للسياسية الدولية تعد الدولة " الفعل " الهام الوحيد والدول العظمى التي تحظى بالاهتمام ولكن هذا المفهوم يتغير . فقد ازداد عدد الدول بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية : ففـي عام ١٩٤٥ كان هناك ما يقرب من خمسين دولة في العالم ، وفي عــام ١٩٩٢ وصــل عــدد الدول :الاعضاء في الامم المتحدة الى ١٧٨ دولة ، وفي حالــة تزايــد مــستمر فــي الوقــت الحاضر ، والاهم من عدد الدول هو ظهور فاعلين من غير الدول ، فهنــاك مــثلاً الــشركات المتعددة الجنسية التي تخطت الحدود الدولية ، التي تتحكم في مصادر اقتصادية اكثر من بعض الدول .

وهناك على سبيل المثال ١٢ شركة متعددة الجنسيات يتجاوز اجمال مبيعاتها السنوي الناتج القومي الاجمالي لدول مثل النرويج وبلجيكا واليونان وتركيا ،وعلى الرغم من ان هــذه الشركات تفتقد لبعض انماط القوة مثل القوة العسكرية ، إلا أنها تمثل اهمية قــصوى لتحقيــق الاهداف الاقتصادية لاي دولة ، واذا تحدثنا بلغة الاقتصاد سنجد ان أي . بي . ام اكثر اهمية لبلجيكا من بوروندي احدى المستعمرات البلجيكية السابقة[2].

أمّا فيما يخص الأهداف ، فان الدول في الوقت الحاضر لاتولي فقط على اهمية الأمن العسكري ، بل تأخذ في الحسبان الرخاء الاقتصادي وامور اجتماعيــة اخــرى مثــل تهريــب المخدرات وانتشار الايدز والتغيرات البيئية ، صرح احد الدبلوماسيين الكنديين ذات مــرة انــه لايخشى ان تتحرك الولايات المتحدة بقواتها لتغزو " تورنتو " كما فعلت عام ١٨١٣ ، ولكنــه يخشى ان يتم برمجة تورنتو باجهزة كمبيوتر من ولاية تكساس وهي وجهة نظر مختلفة عــن المعضلة الامنية ، وكذلك لم تحل الاهداف الاقتصادية محل اهداف تحقيق الامن العــسكري ، ولكن برنامج عمل اجندة السياسة الدولية اصبح اكثر تعقيداً يــسعى الــدول لتحقيــق اهــداف اوسع[3].

امّا الأدوات ، فاننا نرى أنها في حالة تغير ، ففي النظرة التقليدية تعد القوة العسكرية هي الاداة الوحيدة ذات الاهمية في العلاقات بين الدول ففي وصف المؤرخ البريطاني أ.ج.ب. تايلور للعالم قبل عام ١٩١٤ يعرف القوة العظمى على انها القوة القادرة على الانتــصار فــي الحرب ،ومن الواضح ان الدول تستخدم القوة العسكرية الآن ، ولكن على مدى نصف القــرن الماضي تغير الدور الذي تقوم به ، فقد وجدت العديد من الدول ولا سيما العظمــى منهــا ان استخدام القوة لتحقيق اهدافها اصبح اكثر تكلفة مما كان عليه في السابق . فكما يقــول ســتانلي

[1] Ibid ., P.١٩٩ ....

[2] جوزيف س.ناي ، الابن ، مصدر سبق ذكره ص٢٢.
[3] المصدر نفسه ،ص٢٣.

هوفمان الاستاذ بجامعة هارفارد : " لقد ضعفت الرابطة بين القـوة العسكرية والانجازات الايجابية " [١].

ماهي أسباب ذلك ؟ ان احد هذه الاسباب يرجع الى ان اقوى وسائل القوة العسكرية وهي الاسلحة النووية ، مقيدة ، فعلى الرغم من ان عدد هذه الاسلحة جاوز ٥٠,٠٠٠ لم تستخدم الاسلحة النووية في الحروب منذ عام ١٩٤٥ ، لأن عدم التناسب بين حجم الدمار الذي تسببه تلك الاسلحة وبين أي اهداف سياسية معقولة دفع عادة الدول الى الاحجام عن استخدامها، لذلك فقد اصبح الشكل الاقصى للقوة العسكرية باهظ التكلفة لدرجة تجعله لا يستخدم في الحروب ، حتى الاسلحة التقليدية اصبحت مكلفة حين تستخدم لحكم الشعوب التي تتميز بصحوة وطنية ، وقد اكتشف الامريكيون ذلك في فيتنام في السبعينات من القرن الماضي ، واكتشف السوفيت في أفغانستان ولم تكن فيتنام ، أو أفغانستان أقوى من الدول العظمى صاحبة الاسلحة النووية ولكن مجرد محاولة حكم شعوب تنبهت قومياً ودينياً كان باهظ التكاليف للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة [١].

وهناك ايضاً تغيير آخر طرأ على دور القوة يرتبط بالقيود الداخلية فقد كان هناك دائماً عبر الزمن اتجاه اخلاقي قائم ضد استخدام القوات القتالية . وأخيراً ، هناك بعض الامور لا يمكن ان تحل عن طريق استخدام القوة ، لأنها ليست الاداة الوحيدة ، لأن استخدام الاعتماد الاقتصادي الدولي اصبح دوره واضحاً واكثر ايجابية من الدور الذي تلعبه القوة [٢].

وانطلاقاً من ذلك ، فان هناك ثلاثة اشكال رئيسة عبر القرون من السياسات الدولية[٤]:

١- النظام الامبريالي العالمي من خلال سيطرة حكومة واحدة على جل بقاع الارض الذي يتصل بها ، والمثال على ذلك : الامبراطورية الرومانية في العالم الغربي.
٢- النظام الاقطاعي ، وقد شاع هذا النظام في الغرب بعد انهيار الامبراطورية الرومانية [٣].
٣- نظام الدولة الفوضوي " الاناركي " الذي يتألف من دول مترابطة نسبياً ولكن لا تحكمها حكومة عليا واحدة ، والامثلة على ذلك موجودة في انظمة الدول في اليونان القديم او في ايطاليا في القرن الخامس عشر ايام ميكافللي.

ان الطريقة الاكثر تأثيراً للحصول على رسم منظوري للسياسة الدولية ، ولايجاد طرق فهم " القرارات التصميمية " المعقدة لسلوك الدولة هو ان يوضع التحليل على مستوى أي دولة [١].

---

[١] المصدر نفسه ، ص٢٣.
[٢] المصدر نفسه ، ص٢٣.
[٣] المصدر نفسه ، ص٢٣-٢٤.
[٤] المصدر نفسه ، ص ٢٤.
[١] المصدر نفسه ، ص ١٦-١٧.

حوّل الكتاب في الستينات من القرن الماضي على الفواصل الموجودة بين السياسة الدولية و السياسة الخارجية ووضعا بمثابة مادتين في حقل معرفة واحدة " الا انهما غير متشابهين ، بل وان الفوارق بينهما في بعض الجوانب لايمكن ردمهما " [1].

يعرف الاستاذ الدكتور فاضل زكي محمد السياسة الدولية بانها : " تلك العملية السياسية المتفاعلة التي تجري على صعيد محلي او داخلي ، والسياسة الدولية بكلمة موجزة هي حصيلة تفاعل السياسات الخارجية " [2].

والحق ، أن التمييز بين السياسة الدولية و السياسة الخارجية قد يبدو واضحاً في غير حاجة الى تحديد ؛ فالسياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخلية ، والسياسة الدولية هي مجموع المبادئ المرتبطة بالنشاط الدولي.

يجب ان نتصور نتائج القرارات المختلفة التي تنبع من دولة معينة باسم سياستها الخارجية ، فأي نشاط من هذا القبيل لابد من تحديد صورة او اكثر من نوعين من انواع التفاعل .

ولابد ان نؤكد في هذا المجال انه لايمكن فصل السياسة الخارجية عن نظرية العلاقات الدولية ، السياسة الخارجية تعني من حيث جوهرها القدرة والصلاحية على ان تجعل الاخرين ينفذون الى ذلك الذي تريده ، أو بتعبير أدق تطويع لارادة الاخرين ،وعليه بالامكان ان نذهب الى القول كيف ان السياسة الخارجية كحقيقة فكرية هي نقطة التقاء بين النظرية السياسية بوصف كون هذه اداة التنبؤ واتخاذ القرار ونظرية العلاقات الدولية ، اذ ان الاخيرة تعد محصلة لمجموعة من السياسات الخارجية في حقبة زمنية معينة أو بخصوص معضلة محددة [4].

---

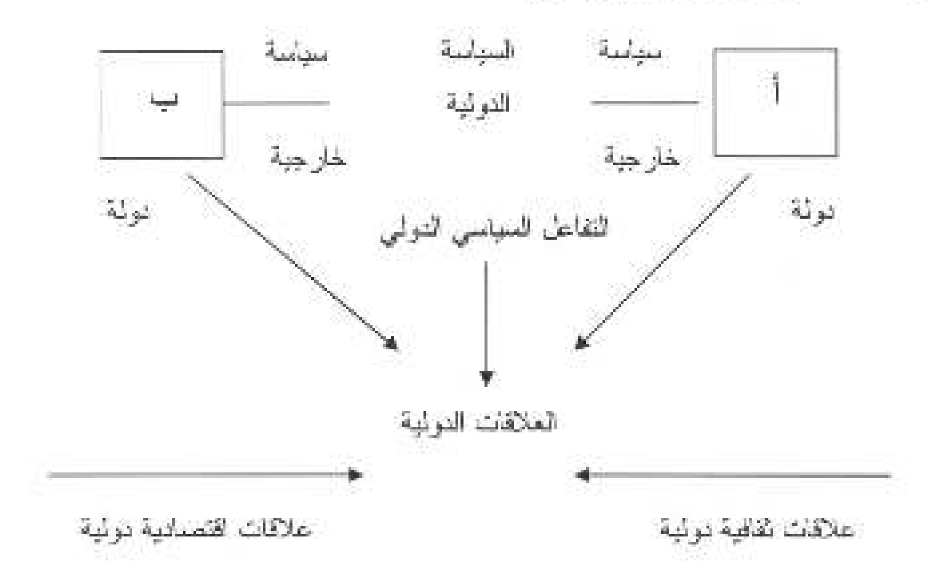
[1] Rosenau , Op . Cit ., P .300.

[2] الدكتور كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، الجزء الاول ، مؤسسة دار الكتب والطباعة والنشر ، فرنسا ، ١٩٧٩، ص١٨.

[3] الدكتور فاضل زكي محمد ، السياسة الخارجية وابعادها في السياسة الدولية ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٧٥، ص٣٦.

[4] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٧-٨.

ومن الممكن توضيح هذه العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الدولية والعلاقات الدولية في الرسم البياني الاتي [1]:



٣- السياسة الخارجية والستراتيجية :

يرجع استخدام مصطلح الستراتيجية الى الإغريق ، حيث تميز حياتهم الحرب والقتال، وهذه الكلمة من حيث المضمون ، كانت تشير عندهم : " بفن القائد " ،وهي تعني عندهم " فن الاشياء العامة " . الا أن هذه الكلمة تتميز بالتطور ، فعليه نرى ان مدلولها لا يشير الى تعيين مضمون مطلق وثابت ،كونها كلمة تتصف بالنشاط والديناميه ، أو عمل فعل معين في مجال من المجالات المختلفة في السياسة بشكل عام ،وعلى هذا الاساس فان المعنى الواسع لها يقترن بالسياسة .

أما من حيث المعنى الضيق لها من حيث اقترانها بالقيادة –وعلى الارجح القيادة العسكرية –فانه اتسع ليتضمن بفعاليات سياسية واقتصادية واجتماعية ،واصبح من المعروف وفي اطار العلوم الاجتماعية ، ان نعثر على معنى الستراتيجية في اكثر من مكان ومعنى [2].

وقد تطور معنى الكلمة فيما بعد ، فاصبح يشير الى التمييز بين الستراتيجية العليا

---

[1] الدكتور سعد حقي توفيق ، مبادىء العلاقات الدولية ، دار وائل للطباعة والنشر ، عمان ، ٢٠٠٠ ، ص٢٢.

[2] الدكتور كاظم هاشم نعمة ، الوجيز في الاستراتيجية ، شركة اياد للطباعة الفنية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٥٦ ، والدكتور عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري ، الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص٤٦-٤٣.

والستراتيجية العظمى والستراتيجية الوطنية والستراتيجية العسكرية [1].

يعرف كلوزفيتش الستراتيجية : " فن استخدام المعارك وسيلة للوقاية من الحرب ،أي ان الستراتيجية تضع مخطط الحرب ،وتحدد التطور المتوقع فيها التي تتألف منها الحرب ،كما تحدد الاشتباكات التي تقع في كل معركة" [2].

والحق أن هناك جملة مآخذ على هذا التعريف ، بالامكان ايجاز ذلك في: [3].

١- يدخل هذا التعريف فكرة استخدام المعارك في مجال السياسة أو في اعلى مستوى لقيادة الحرب ،وهذه امور تتعلق بمسؤولية الدولة لابحدود عمل القادة العسكريين الذين تستخدمهم السلطة الحاكمة ليقوموا بادارة العمليات وتنفيذها .

٢- ان هذا التعريف يحدد معنى الستراتيجية "باستخدام المعارك فقط ، أي تكريس كل الاعتبارات والامكانيات في الحرب للبحث عن المعركة التي تحقق الحل الحاسم بقوة السلاح .

وهذا يعني أن النظام السياسي يستخدم جميع إمكاناته لبلوغ أهدافه . فعلى سبيل المثال ، في حالة تعرض دولة لهجوم عسكري وقوات العدو في حالة تقدم، فإن الدولة في مثل هذه الحالة تقوم بإستخدام كل إمكانياتها لمنع تقدم جيش العدو ، وإبعاده من حدودها ، ومن ثم رفع تهديداته . في تلك الحالة يكون " الدفاع " أمراً حيوياً ، والدولة يجب أن تكون لها ستراتيجية قومية [4] .

---

[1] الدكتور عبد الوهاب الكيالي ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٣.
هذه الستراتيجيات تدخل في اطار نظرية الأمن القومي ، ولكن ينبغي هنا ان نميز بين مفهوم السياسة الخارجية ،ونظرية الامن القومي ، الامن القومي كما يعرفه الدكتور حامد ربيع : " بأنه الحد الادنى الذي تستطيع دولة معينة ان تسمح به في حماية وجودها الذاتي ، انه بعبارة اخرى حائط يجب ان تقف عند حدوده نشاط أي دولة اخرى في علاقاتها بتلك الدولة ،وهو لذلك يدور عادة حول الحدود الاقليمية ويرتبط بها ، فالسياسة الخارجية يصير احد اهدافها وليس الهدف الوحيد هو حماية الامن القومي ،كذلك نجد ان الامن القومي بحسب القيادة يصير كل منهما من ناحية معينة اداة من ادوات الربط بين السياسة الداخلية و السياسة الخارجية ، راجع : الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٩.

[2] آل . ليدل هارت ،الاستراتيجية وتأريخها في العالم ،ط٢ ترجمة هيثم الأيوبي دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص٢٧٤ ، وادوارد ميدايرل واخرين ، رواد الستراتيجية الحديثة ، ترجمة محمد عبد الفتاح ابراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، ١٩٥٦ ،ص١٥ ، ومنصف السليمي ، القرار السياسي الامريكي ، مركز الدراسات العربي –الأوربي ، باريس ، ١٩٩٧ ، ص٩٣.
K.von . Cluse Witz Onwar , Translation by J.J., Graham ١٩٠٨ , London , Rootledge ،١٩٦٦ , P.١٦٥ .
استخدام سياسة القوة من لدن الدولة من اجل تحقيق اهدافها في السلوك السياسي الخارجي " راجع :
Granett , John Strategic Studies and Its Assumptions , in J.Boglist ,, Eds Contemporary Strategy , London , Cromm Helm Ltd ., ١٩٧٥ , P.٣.
فهي تعني فن قيادة الجيوش ،ووضع الاطار العام للحركة او التخطيط لها " . راجع : منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٢-٩٣.

[3] ليدل هارت ، مصدر سبق ذكره ،ص٢٧٤.

[4] الدكتور محمد جواد لاريجاني ، الإستراتيجية القومية دراسات في معالمها وأهدافها ، ترجمة علاء الرضائي ، دار التعارف للمطبوعات ، (بلا) ، ١٩٩٥ ، ص ٦٦ .

أما ليدل هارت فانه يعرف الستراتيجية بانها : " هي فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة [1]،وفي المعنى نفسه ، يعرف ريمون ارون الستراتيجية بانها " قيادة وتوجيه مجمل العمليات العسكرية " .[2]

ويقترب من هاتين التعريفين ، تعريف الدكتور محمد طه بدوي اذ يعرفها : " ان الستراتيجية والدبلوماسية " في نظرية وحدة السياسة الخارجية " ، ليستا الا الوجهين المتكاملين لفن واحد هو فن السياسة " [3].

ويذهب الدكتور البدوي قائلاً : " ان الستراتيجية كمظهر لفن السياسة الخارجية ، تعني فن ادارة العمليات العسكرية في كلياتها اثناء الحرب [4].

أما ادوارد ميد ايرل فانه يعرف الستراتيجية بانها : " فن السيطرة على كل موارد الأمة واتحاد الامم بما في هذا القوات المسلحة ، ثم استخدام هذا كله الى غاية مايمكن وفي اكمل صور الاستخدام " [5].

ولو حاولنا ان نرجع الى قاموس اوكسفورد ، نجد أن معنى الستراتيجية يشير الى " فن القائد العام ، وكذلك فن عرض وتوجيه الحركات العسكرية الكبيرة ، والعمليات للحملة ، وأنها تتميز عن التعبئة التي هي ادارة القوات في المعركة ، أو عندما يكون وجود العدو مباشرا " [6].

أمّا قاموس العلوم السياسية ، فانه يعرفها : " بأنها خطة عمل لدحر عدو او لتحقيق هدف ما ، وتشير الستراتيجية إلى خطة شاملة او للأمد الطويل تتألف من سلسلة من الحركات من اجل هدف عام ، في حين تتألف التعبئة من حركة او طور محدود من الخطوات صوب اهداف وسطية في اطار خطة ستراتيجية كبيرة [7]. أمّا مولتكة ، فيعرفها : " بانها عملية المواءمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد من اجل انجاز الاهداف " [8]. في حين يعرفها توماس شلنج " أنها ليست معنية بالتطبيق الكفوء للقوة ، بل تتعلق أساساً بكيفية إستغلال عناصر القوة الكامنة والمحتملة ، ويربط بذلك تحجيم إمكانات الخصم أو الطرف الأخر في صراع القوة بما في ذلك التأثير في سلوك الأخر في الصراع " .[9] أما اندريه بوفر

[1] المصدر نفسه ص ٢٧٦.

[2] أكرم الديري ، آراء في الحرب (الإستراتيجية وطريقة القيادة) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦ .

[3] الدكتور محمد طه بدوي ، مدخل الى علم العلاقات الدولية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص٣٩.

[4] المصدر نفسه ، ص٣٩.

[5] ادوارد ميد ايرل ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦.

[6] الدكتور كاظم هاشم نعمة ، الوجيز في الإستراتيجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٧.

[7] المصدر نفسه ، ص ٥٧.

[8] B.H.L., Hart .Strategy : The Indirect Approach , London , ١٩٦٦ , P.٣٣٩.

[9] محمود عبد الفضيل ، حول أزمة الفكر الإستراتيجي – نظرة مستقبلية – ، المستقبل العربي ، العدد ١٩٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، شباط ١٩٩٥ ، ص ٢٤ – ٢٥ .

فيعرفها " أنها ليست عقيدة جامدة ، ولكنها أسلوب في التفكير ، يسمح بدراسة الأحداث وتصنيفها حسب أهميتها ، وإختيار الوسائل الفعالة الملائمة لها " .[1]

والحق ، أن الستراتيجية في معناها المعاصر ، بدأت تحتوي على جوانب سياسية واقتصادية ودعائية وفنية وغيرها ،بهذا المعنى دخلت الستراتيجية المعاصرة في التخطيط الإقتصادي لتكون الستراتيجية الإقتصادية ، والتخطيط السياسي لتكون الستراتيجية السياسية ، وهلم جرا .

والحقيقة ، أن بوفر له الفضل في اعطاء الستراتيجية المعنى المعاصر لها[2].

وهذا يعني أن مصطلح الستراتيجية في البداية كان يستخدم لمفهوم عسكري من هذا القبيل ، وهو إستخدام كل الإمكانيات لأجل الحصول على إنتصار عسكري ، وحتى يمكن القول أنه كان أضيق من هذا المعنى أيضا ، لإن الإمكانيات كانت محصورة بالإمكانيات العسكرية فقط ،بهذا المعنى فإن "الستراتيجية في معناها القديم" هي فن إستخدام كل الإمكانيات العسكرية لأجل الحصول على إنتصار في الحرب [3] .

إن أقدم الوثائق العسكرية مثل كتب الستراتيجي الصيني Zuntzu يدل على أنه في أي صراع مسلح فإن الإمكانيات غير العسكرية يمكن أن يكون لها دور فاعل . لذلك فإن" كلوزويتس" الذي يعد مؤسس فن الستراتيجية الحديثة يقول في كتابه " حول الحرب " : " أن الستراتيجية علم إستخدام كل امكانيات شعب ما لنيل هدف عسكري " ، بعد ذلك وسع الستراتيجيون من حدود دائرة الهدف حتى وصلنا اليوم إلى المفهوم التقليدي لذلك[4] .

أما من حيث عملية صنع القرار ، فإن الستراتيجية تعد " الاطار العام الذي يضبط قواعد سلوك اصحاب القرار للوصول الى القرار النهائي ،وفي هذا المجال ينبغي التمييز بين القرارات الستراتيجية والقرارات التكتيكية او الفرعية او الروتينية . وفيما يخص القرار الستراتيجي فانه يعني : " القرار الأساسي الذي يحمل خصائص السياسة العامة للدولة وليس وجهاً او خاصية فرعية عنها ، كما هو الحال بالنسبة للقرارات الفرعية أو التكتيكية او الروتينية " . وعليه نرى بأن مصدر هذا القرار ، يكون من خلال اعلى مصدر قرار في الدولة، كرئيس الدولة او القائد العام للقوات المسلحة ، والقرار موقع القيادة ومسؤوليتها بمصلحة الشعب والبعد التاريخي للقرار . وفي هذا المجال ، من الممكن أن نعد قراري الاتحاد السوفيتي بغزو أفغانستان سنة ١٩٧٩م وقرار انسحابه سنة ١٩٨٨ بأنهما قراران

---

[1] أكرم الديري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥ .

[2] الدكتور كامل زكي محمد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣.

يقول اندريه بوفر : " لاتعد الستراتيجية مجرد رياضة عقلية تتضمن معنى الغرور أو التحذلق وانما تشير الى أنموذج التعبير ،وعلى ملابساته وتعقيده يعني : أن يقوم بدور المرشد العملي لانجاز عمليات السياسة بالشكل المطلوب ، من أجل تجنب الاخطار الكبيرة ، لا يستشهد التاريخ بأمثلة عديدة منها " . راجع : اندريه بوفر ، مدخل إلى الستراتيجية ، ترجمة هيئة الاستعلامات ، العدد ٦٩٩ ، القاهرة ، ص٨٠.

[3] الدكتور محمد جواد اللاريجاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٦ .

[4] المصدر نفسه ، ص ٦٦ - ٦٧ .

إستراتيجيتان بسبب تأثيرهما الكبير في المجالات العسكرية والسياسية على مفهوم التوازن بين القوتين العظميين في العلاقات الدولية وقتذاك ، كما تعد اتفاقيات سالت الاولى والثانية بين القوتين الاخيرتين في سنة ١٩٧٣ و ١٩٧٥ بمثابة قرارات ستراتيجية ، بسبب تأثيرها على العلاقات الدولية في مجال التوازن العسكري والنووي [1].

٤- السياسة الخارجية والعلاقات الدولية :

يعد مصطلح العلاقات الدولية حديثاً من حيث النشأة ، لأن الدولة القومية هي العنصر الأساس في تنظيمها ، وقد دخل هذا المفهوم الى حيز الواقع العملي في القارة الاوربية في نهاية القرن الثامن عشر ،وشاع في أرجاء العالم كافة من خلال الإستعمار الأوربي الى حد كبير . كانت الدولة القومية مرتبطة بحرب الثلاثين سنة التي واجهت في البداية الاقاليم الالمانية البروتستانتية ، والنمسا الكاثوليكية والتي شاركت فيما بعد السويد في الشمال وفرنسا في الجنوب والتي ادت الى قتل ٣٠% من السكان في وسط أوربا ، إذ دفعت معاهدة وستفاليا – التي تم الوصول اليها في مدينتي مونستر واوزنابروك في مقاطعة وستفاليا شمال المانيا ، حضر مندوبون عن الأقطار الأوربية كافة ، ناقش المؤتمر عدداً من الموضوعات السياسية والأقليات والعلاقات الدبلوماسية بين الدول الأوربية –الى ايجاد المبادئ الرئيسة للعلاقات الدولية ومن خلال نشوء مفهوم السيادة [2].

العلاقات الدولية كحقل اكاديمي قد أسس قرابة اربعين سنة مضت .خلال هذه المدة سادت وجهة نظر جامعات اوربية والى حد ما بين علماء أميركان ، أن هذا الموضوع الخاص يضع كثيراً من المطالب الثقافية (العقلية) على طلبته الى حد يتوجب ان يتم التقرب اليه بجدية فقط من قبل طلبة خريجين احسن تدريباً وناضجين ،وعندئذ فان فكرة العرض العام ، أو التقديم الشامل الى هذا الحقل تستمر لتبدو غير ملائمة لهؤلاء الناس ،الاسباب تمثل هذا الموقف قد طرحت في اوقات كثيرة ،وهذا يشمل ليس فقط دراسة اكثر اعتناء، ولكن ايضاً المكنة من لغات عديدة ، انه يقال في الغالب انه فقط من خلال معرفة اللغة يمكن للشخص ان يفهم افكار واحاسيس شعب معين . ثانياً : من اجل تطوير رؤى ملائمة يتوجب على المرء ان تكون له خبرة مباشرة في العيش والعمل في الخارج ، يعد السفر جوهرياً .

---

[1] منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٣-٩٤.

[2] هنري كيسنجر ، هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية ؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ٢٠٠٩ ، ص١٠ ، والدكتور ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٧.

من نتائج معاهدة وستفاليا (١٦٤٨) تقسيم المانيا الى ٣٥٠ دولة صغيرة والاعتراف بالكانتونات السويسرية والمقاطعات الهولندية كما اصبح التمثيل الدبلوماسي وتبادل السفراء شيئاً ثابتاً في العلاقات الدولية ، ومن نتائجها ايضا انبثاق القانون الدولي العام وظهور مبدأ التوازن الدولي . راجع : د. محمد محمد صالح ، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩ ، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص٣٠١-٣٠٦ ود.ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٨.

أخيراً من المعتقد ، أن معرفة وافية يمكن الحصول عليها فقط في مناطق ذات ظروف معينة بوساطة البحث الدقيق والحثيث لعدة موضوعات مثل الادارة الكولونيالية في اندونيسيا تحت الهولنديين ، أو دبلوماسية المعاهدة النازية السوفيتية في عام ١٩٣٩[١].

من بين كل التقدم الذي حصل في دراسة الظواهر الدولية ، ربما لايوجد اكثر اهمية من النزعة المتنامية جداً الى اعتبار العالم كنظام دولي لسنوات كثيرة ، اشار العلماء الى " اسرة الامم " " المجتمع الدولي " او المجموعة " الجماعية الدولية " ، مثل هذه التخصيصات – الصيغ النصية –قد استخدمت بشكل سائب وبشكل متداخل متغير وبصورة حدسية –بالمقارنة العقلية – وبشكل اعتيادي ؛ فانها لم تمثل جهوداً جدية لتنظير " لوضع مفهومات " تنظيم العلاقات الدولية ضمن خطوط عائلية " اسرية " أو اجتماعية او جماعاتية [٢].

وهذا يعني ان دراسة العلاقات الدولية تعد حديثة عندما نقارن ذلك بدراسة العلوم التي تولي إهتماماً بدراسة الظواهر الدولية مثل العلوم السياسية والتاريخ الدبلوماسي والقانون الدولي العام ، ولكن هذا لا يعني ، ان العصور القديمة والوسطى لم تكن لتعرف مفهوم العلاقات الدولية ، لا انها وجدت في تلك الحقب وتطورت وبموجب حاجات ومصالح الشعوب [٣].

سعت دراسات العلاقات الدولية في بداياتها إلى محاولة تحديد طبيعة ومجال هذه العلاقات لاسيما في نطاق الدراسات الجامعية وهو ماسيتضح من إشارة ألفريد زيمرن الذي كان أستاذا للعلاقات الدولية عام ١٩٣٥ في جامعة أكسفورد حيث يقول : " إن دراسة العلاقات الدولية تمتد من العلوم الطبيعية من جهة إلى الفلسفة الأخلاقية من جهة ثانية " . وعرف هذا الحقل من الدراسة لا على أساس أنه موضوع أو نسق واحد ، ولكن على أساس أنه " مجموعة من الموضوعات ينظر إليها من زاوية مشتركة "[٤] .

---

[1] Rosenau , James (Ed.), International Politics and Foreign Policy areader in Research and theory , Op.Cit ., P.٣.

[2] Ibid ., P.٧١.

[3] العبدلي ، مصدر سبق ذكره ص ١٦. أن دراسة العلاقات الدولية كقاعدة أساسية كانت قديمة ، حيث ترجع جذورها إلى تحليل الحروب التي نشبت بين المدن اليونانية القديمة ، والعلاقات التي كانت قائمة بين الدول الإيطالية ودافعي الجزية من الدول التي ارتبطت بالأمبراطورية الصينية . أن دراسة العلاقات الدولية بدأت في وقت مبكر من القرن العشرين كدبلوماسية المصلحة التاريخية وخاصة الحقوقيين الدوليين . عندما تأسست كليات علم السياسة في الولايات المتحدة عام ١٨٨٠ خصصت هذه الكليات في تدريس مادة العلاقات الدولية عند حلول الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) ، وعند أنشاء عصبة الأمم (١٩١٩-١٩٣٩) ، هذه الحوادث برمتها شجعت الأهتمام بالشؤون الدولية عند الدول الناطقة بالانكليزية . والحق ، ان الحرب العالمية الأولى من تورط الجيش الأمريكي في أوربا ولأول مرة وفي عصبة الأمم ، والإنحراف الواضح من ممارساتها التاريخية . وفي خضم هذه التطورات كانت هناك رغبة من منع نشوب الحرب في المستقبل والتي أسبغت الإتجاه المثالي في حقل العلاقات الدولية . راجع : Conway W. Henderson ,International Relations ,Conflict and Cooperation at the Turn of the ٢١st Century , Adivision of The McGraw-Hill-Companies , ١٩٩٧ p.٢١.

[4] جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ، ترجمة الدكتور وليد عبد الحي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٥ ، ص ١٧ .

والحق ، تدع العلاقات الدولية جانباً ، الوحدات النوعية ، وبعبارة أكثر دقة ، أنهـا لا تنظر إلى البيئة الداخلية ، لأنها تسير على خط الفلك الكلي ، أو مدار الكون العالمي ، تجعـل من مختلف صور تنظيم العلاقات بين الوحدات الدولية ، موضوعاً لدراستها .[1]

أمّا فيما يخص مصطلح العلاقات الدولية فإن هناك تعاريف متعددة ، حيث نـرى أن نيكولاس سبيكمان من بين أولئك الباحثين الذين حاولوا تقديم تعريف لهذا الحقل مـن الدراسـة الذي أطلق عليه مصطلح " العلاقات بين الدول " وعرف سبيكمان العلاقـات الدوليـة بأنهـا " العلاقات بين أفراد ينتمون لدول مختلفة ، والسلوك الدولي هو السلوك الاجتماعي لأشخاص أو مجموعات تستهدف أوتتأثر بوجود أو سلوك أفراد أوجماعات ينتمون إلى دولة أخـرى " .[2] ، وفي هذا المعنى يعرف C.A.Mcclelland " إن العلاقات الدولية تدرس العلاقـات المتفاعلـة فيه تركيب معين في الوحدات الاجتماعية وبـضمنها دراسـة الظـروف المعينـة المحيطـة بالعلاقات المتفاعلة " [3].

ويرى ماكيلاند ان الوحدات هي الممثل Actor أو المتفاعل ، ثم هناك ظاهرة التفاعل بين المتفاعلين او الممثلين [4].

أمّا كابلان ، فانه يعرف العلاقات الدولية بأنها " حقل من حقول الموضة يتمتـع بهـا بخصوصيته واستقلاليته وهو حقل يتضمن علاقات متبادلة تجري مابين الدولة او الدول عبـر الحدود " [5].

والحق ، ان هذا التعريف قاصر لان العلاقات الدولية اليوم لا تقوم فقط بـين الـدول كشخص وحيد في القانون الدولي العام بل توجد ايـضاً المنظمـات الدوليـة المعتـرف لهـا بالشخصية القانونية الدولية [6].

ويعرف ارينولدز العلاقات الدولية بانها " تعني بطبيعة وتعريف وآثار علاقات بـين افراد او جماعات يعملون في مسرح ذي خصوصية تسوده الفوضى ،وكـذلك تعنـي بطبيعـة التفاعلات المتبادلة بينهما والعوامل المتغيرة او المؤثرة فيها" [7].

اما الدكتور محمد طه بدوي فيعرف العلاقات الدولية بأنها : " علاقات بين وحـدات بشرية وهي تنمي الدراسات السياسية بالذات ، ذلك بأن الوحدات البشرية اطـراف العلاقـات الدولية هي وحدات سياسية والتي هي في عالمنا الحديث " الدول القومية " [8].

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص٩ .

[2] المصدر نفسه ، ص ١٢ .

[3] الدكتور كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، الجزء الأول ، مصدر سبق ذكره ، ص٥-٦.

[4] المصدر نفسه ، ص ٦.

[5] المصدر نفسه ، ص ٦.

[6] العيثاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١.

[7] الدكتور كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، الجزء الأول ، مصدر سبق ذكره ، ص٦.

[8] الدكتور محمد طه بدوي ، مدخل الى علم العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧.

يعرف هولستي العلاقات الدولية : " جمع أشكال التفاعل بين الأعضاء للمجتمعات المستقلة سواء أكانت حكومية أو غير حكومية "[1].

يقدم لنا الدكتور عبد المجيد العبدلي تعريفاً لها : " كل علاقة تتعدى من حيث آثارها الحدود الإقليمية لأية دولة من الدول سواء كان أطرافها دولاً أو منظمات دولية ، ومهما كانت طبيعتها : سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو عسكرية "[2].

إن العلاقات الدولية تتضمن تحليل السياسة الخارجية أو العمليات السياسية بين المجتمعات المختلفة ،وفي هذا المجال نرى أن العلاقات الدولية تتضمن دراسات لنقابات العمال الدولية ، والصليب الأحمر الدولي والسياحة والتجارة الدولية والنقل الدولي والاتصالات الدولية وتطور القيم والعرف الدولي [3].

وعليه نرى ، أن دراسة العلاقات الدولية ترتبط بتفسير العلاقات بين الجماعات السياسية المنظمة في إطار إقليم ما ، ونقصد بذلك العلاقات بين الدول ، مع الأخذ بنظر الاعتبار العلاقات القائمة بين الشعوب وبين الأشخاص الذين يؤلفون هذه الشعوب ، كتبادل المنتجات والخدمات وتداول الأفكار ومجموعة المؤثرات المتقابلة بين أشكال المدنية ومظاهر العطف أو النفور ، أن هذه العلاقات من النادر جداً فصلها عن العلاقات القائمة بين الدول ، إلا أن الحكومات في أغلب الأحيان تتدخل في هذه العلاقات من خلال وضعها لبعض القيود إزاء ذلك ،على مستوى حركة البضائع والرساميل أو حركات الهجرة أو حتى في مستوى الأفكار . وهذا يعني أن العلاقات الدولية عندما تخضع للتنظيم من قبل الدول تصبح عمل مساومات أو مجادلات بين الحكومات ونتيجة لذلك فإن فعل الدول يصبح هو الكائن في صميم العلاقات الدولية [4].

وهذا يعني أن العلاقات الدولية في الوقت الحاضر لها جوانب مختلفة سواء أكانت سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ؛ وبعض هذه الجوانب لها علاقة بالوحدات السياسية (الدول) إذ تعد علاقات سياسية ، في حين يقع البعض الآخر منها على مستوى العلاقات الخاصة ، وذلك بعدم ظهور الدول كطرف مباشر في التعامل [5].

هـ- السياسة الخارجية والدبلوماسية :

هناك ثمة اختلاف في مفهومي السياسة الخارجية والدبلوماسية ، إذ " أن السياسة الخارجية لدولة ما هي : تعبير نشاط الدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى ، أو المنهج الذي تسير بمقتضاه الدولة في علاقاتها في الشؤون السياسية والتجارية والاقتصادية والمالية مع الدول الأخرى "[6].

---

[1] K.J. Holesti , International Politics Aframework for Analysis , third Edition , New Delhi , ١٩٧٨ , P.٢١.

[2] العبدلي ، مصدر سبق ذكره ص ٤٢ ، قارن مع الدكتور سعد حقي توفيق ، مصدر سبق ذكره ، ص١٤.

[3] K.J.Holesti , op.Cit ., P.٢١ .

[4] بيير رونوفان وجان باتيست دوروزيل ، مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية ط٢ ، ترجمة فايز كم نقش منشورات عويدات ، بيروت ـ باريس ، ١٩٨٢ ، ص٧.

[5] الدكتور محمد طه بدوي ، مدخل إلى علم العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١.

[6] الدكتور عز الدين فودة ، النظم الدبلوماسية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص٦٣.

بينما ترى أن الدبلوماسية هي أداة تنفيذ السياسة الخارجية ، فالدبلوماسي هو الذي يقوم في تنفيذ الخطة التي يرسمها رجل السياسة في الدولة في اوقات السلم ،الا ان هذا لا يعني بان الدبلوماسية في تنفيذها للسياسة الخارجية لا تلجأ الى نوع من الصراع السياسي او آثاره .

أن ما يطلق عليه بعض الكتاب ، بالدبلوماسية السرية التي تعني قيام الدبلوماسي على افساد علاقة الدولة المعتمد لديها الدبلوماسي بدولة اخرى ،وفي حالة اخفاق تلك الاساليب السرية ، من الممكن للدولة ان تلجأ الى استخدام الادوات القتالية لتحقيق اهدافها في السياسة الخارجية ، وفي هذا المجال يقول ميكافيلي في كتابه الامير : " انه ولابد أن يسمع زئير الاسد (الحرب) بين الحين والحين كلما أخفق الثعلب (الدبلوماسية) في قطف عنقود العنب " [1].

ويتضح مما تقدم ، أن السياسة الخارجية ، تمثل الجانب التشريعي في الدولة في حين تدخل الدبلوماسية في اطار التنفيذ ، بينما يجب ان تكون السياسة الخارجية في الانظمة الديمقراطية من "الامور التي يقررها رئيس الوزراء -بموجب طبيعة الانظمة السياسية " بعد موافقة المجالس الإنتخابية منها ، نرى ان تنفيذ هذه السياسة التي توصف بالدبلوماسية ، هو من اختصاص اصحاب الخبرة واهل الحكمة في وزارة الخارجية [2].

ومن مظاهر إختلاف السياسة الخارجية عن الدبلوماسية ، أن الاولى يجب ان لاتكون سرية على إعتبار أن الرأي العام المحلي لايمكن الارتباط بمعاهدة أو إتفاقية ، مالم تكن معروفة عندهم ، او يوافقون عليه سلفا ، أما الثانية فانها تتصف بالسرية[3].وعلى الرغم أن الدبلوماسية استخدمت الدعاية من خطابة أو اذاعة او صحافة للتأثير على الرأي العام ،الا أنها بقيت في سريتها بغية الوصول إلى تحقيق أهدافها[4].

يميز J.R.Childs بين السياسة الخارجية و الدبلوماسية ، إذ تعد السياسة الخارجية للدولة جوهراً اساسياً لعلاقاتها الخارجية ، بينما الدبلوماسية هي المكان المناسب الحقيقي للعمليات بحيث تقوم على تنفيذ هذه السياسية [5].

وعلى هذا الأساس ، فان السياسة الخارجية يتم اتخاذ القرار فيها بوساطة اشخاص وهيئات في اعلى المستويات ، أما الدبلوماسية فانها تزود جهاز اتخاذ القرار بالمعلومات اللازمة [6].

---

(1) المصدر نفسه ص ٦٥ ، يقول ميكافيلي في كتابه الأمير : " وعلى الأمير الذي يجد نفسه مرغما على تعلم طريقة عمل الحيوان ، ان يقلد الثعلب والاسد معا ، لا ان الاسد لايستطيع حماية نفسه من الاشراك والثعلب لايتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئب ولذا يتحتم عليه أن يكون ثعلبا ليميز الفخاخ واسدا ليرهب الذئب " . راجع : ميكافيلي ، الأمير الكتاب المشهور عن السياسة والسلطان ، ط٢ ، تعريب خيري حماد ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص١٢٤ ، وحول مفهوم الغاية تبرر الواسطة عند ميكافيلي . راجع : مطارحات ميكافلي ، تعريب خيري حماد ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص١٤١-١٥١.

(2) هارولد نيكولسون ، الدبلوماسية ، ترجمة محمد مختار الزقزوقي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص٤٣.

(3) شارل : الدبلوماسية ، ترجمة خيري حماد ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص٩.

(4) الدكتور عز الدين فودة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤-٦٦.

(5) Perkins Palmer , International Relations : The World Community in Transition , Second Edition , U. S.A, ١٩٥٧ , P.٥٧.

(6) Ibid ..

أما تونكين الكاتب الروسي فانه يعرف الدبلوماسية بانها النشاط (بما في ذلك مضمون، وإجراءات واساليب هذا النشاط الذي تمارسه اجهزة الدولة ، العامة او الخاصة القائمة على العلاقات الخارجية) الذي يمارسه رؤساء الدول ، والحكومات ، وادارة الشؤون الخارجية ، والوفود والبعثات الخاصة ، والممثليات الدبلوماسية ، ويحقق بوسائل سلمية أهداف وشؤون السياسة الخارجية للدولة .[1]

يقول نيكولسون في الدراسة التي قدمها إلى مؤتمر فينا : " من الناحية التاريخية تنتهي الدبلوماسية حيث تبدأ السياسة الخارجية أن كليهما يتعلقان بتوافق القومية مع المصالح الدولية ، تستند السياسة الخارجية على المفهوم العام للمتطلبات القومية ، أن الدبلوماسية تبحث عن طريق استخدام السبب التوفيقي ، وتبادل المصالح لمنع الصراعات الكبيرة من النشوء بين الدول ذات السيادة ،وهي هيئة عن طريق بحث السياسة الخارجية لتحقيق اغراضها عن طريق الاتفاق اكثر من اللجوء الى الحرب .

وهكذا عندما يكون الإتفاق متعذراً عن طريق الدبلوماسية التي تعد اداة السلم وغير فعالة وقتئذ ، فان السياسة الخارجية هي الرادع الاخير ، اذ انها تستخدم الحرب ، التي تعد وحدها الة فعالة للوصول الى اهداف الدولة " [2].

ويؤكد نيكولسون في هذا المجال ، بان الدبلوماسية تتوقف عن وظائفها عندما تنشأ ازمات قومية دولية كبيرة ولاسيما في اوقات الحرب ،اذن بالامكان القول ان اهداف الدبلوماسية كالسياسة الخارجية هي حماية الامن القومي ولكن بوسائل سلمية ، وهذا يعني ان الدبلوماسية لا تعطي اية مساعدة او عون للفعاليات العسكرية بغية منع نشوب الحرب .وفي الحقيقة ان الدبلوماسية لا تتوقف عن اداء وظائفها كما يقترح نيكلسون في وقت الحرب ،على الرغم من الانشطة الضرورية للدور المختلف للدبلوماسية في زمن الحرب ، ان عمل الدبلوماسية كوزراء الخارجية من الممكن ان يتوسع في هذه المدة بالذات [3].

ولابد أن نميز في هذا المجال ، مصطلح السياسة الخارجية من الدبلوماسية والعلاقات الدولية والسياسة الدولية ، وفي الحقيقة ان هناك اتفاقاً قليلا حول الفروقات بين هذه

---

[1]) ج . أ . تونكين ، القانون الدولي العام ، ترجمة أحمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢١٠ ، جاء في برنامج الحزب الشيوعي السوفيتي : (كانت الدبلوماسية ولم تزل ، بالنسبة الى الدول الامبريالية ، اداة لفرض ارادتها على مقدرات الشعوب ، وسلاحا لاعداد الحروب). الا أن الفقه السوفيتي قد غير من هذا المفهوم كثيرا ، وذلك لتطور أدوات السياسة الخارجية ، وكانت الدبلوماسية من اكثر ادوات السياسة الخارجية اهمية في معالجة وتسوية قضايا الشؤون الخارجية . وهذا يرى اوتكن ان مجالات العلاقات بين الدول ، اتسعت اتساعا كبيرا بالنسبة الى ماكانت عليه في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، واصبحت تضم مجالات جديدة ، كالتعاون العلمي والفني ، والمشاركة في ميدان الصناعة ، والتأمين الاجتماعي ، والاتفاقيات الثقافية وغيرها . فبينما كانت مجالات السياسة الخارجية والدبلوماسية كافية بذاتها في وقت السلم ، فقد اصبحت السياسة الخارجية تتضمن اليوم الكثير من المسائل التي تتجاوز نطاق الدبلوماسية .
راجع : المصدر نفسه ، ص٢١٢، ٢١٤ و Grigory Tunkin, Contemporary International Law, Progress Publishers, Moscow, ١٩٨٦,P. ١٩٠.

[2]) Ibid.,

[3]) Ibid.,

المصطلحات [١]. إن هذه المصطلحات تركز حول وصف المصالح والاعمال وعناصر القوة للقوى الكبرى [٢].

أن مصطلح الدبلوماسية من أكثر المصطلحات امتزاجاً وعلاقة بالسياسة الخارجية ، إذ كثيرا ما يستخدم الدبلوماسية بمعنى واسع تتضمن صنع وتنفيذ السياسة الخارجية ، أمّا معناها الفني ، كما في تعريف جورج كينان : " عملية الاتصال بين الحكومات " [٣].

فالدبلوماسية في الكلام العام ، تعني دراسة الوثائق إلا انها مشتقة من الكلمة الاغريقية Diploma التي تعني بأنها مطوية بشكل معين [٤]. إلى جانب ذلك فان الدبلوماسية تعني دراسة الوثائق القانونية والادارية والمهمة ، كما انها تتضمن دراسة السجلات والمفكرات والمخطوطات [٥].

أمّا Quincy Wright ، فانه يعرف الدبلوماسية : بانها تعني استخدام التكتيك في اية مفاوضة او في محضر جلسة وبصورة عامة انها تستخدم في العلاقات الدولية بانها تعني فن المفاوضة لتحقيق الحد الادنى لاهداف الجماعات مع الحد الادنى من الكلفة [٦].

وفي هذا المجال ، يشبه Quincy Wright الدبلوماسية بالحرب ، الا أنها تختلف عنها ، بسبب استخدام الكلمات في الدبلوماسية اكثر من الاسلحة المادية [٧].

وأكثر من ذلك أن الدبلوماسية تستخدم افضل الظروف الملائمة للحرب وتحقيق الحد الادنى للمنافع منها [٨]. أمّا جوزيف فرانكل فيعرف الدبلوماسية بانها " عملية الاتصال بين الحكومات " [٩].

أمّا المفهوم المعاصر للدبلوماسية فانها تعني الحرفة المبنية على التدريب الذهني الطويل والتحقيق الذي نستطيع عن طريقه تأدية خدمة معينة ، وفي عمليات الحرفة نرى بأن الاعضاء يستطيعون عن طريق هذه الحرفة تركيز دوافعهم في الحكم المحلي لتأمين أهلية العضوية ومعيار اوامر الخدمة على الاقل منعزلة عن الجماعات الضاغطة [١٠].

٦- العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية :

إن صنع السياسة الخارجية يخضع اساساً للسياسة الداخلية ، ويمكن القول في هذا المجال بأن السياسة الخارجية هي استمرارية للسياسة الداخلية وعلى هذا الاساس فان صياغة السياسة الخارجية تتأثر بالمحيط الداخلي سواء على مستوى الفرد –القيادة – او على مستوى الجماعة –طبيعة المجتمع وخصائصه المرحلية –او على مستوى حالة العلاقة السلمية [١١].

---

[١] K.J.Holesti ; Op.Cit ,PP.٢٠–٢١.

[٢] Frankel , Joesph , International Relations , Second Edition , Oxford University Press , ١٩٦٦ , P.٩٦.

[٣] Ibid .

[٤] The new Encyclopedia Britannia in ٣ ovolum , vol .٥ , ١٩٧٤ , P.٨٠٧.

[٥] Ibid .

[٦] .Wirght , Quincy , The Study of International Relations , New York Appleton –crofis , Inc , P.١٥٨.

[٧] Ibid .

[٨] Ibid ,١٥٩

[٩] World Politics , Vol . XIV , July , No.٩ , ١٩٦٢ , P.٥٦١.

[١٠] Ibid ,. P.٥٦٢.

[١١] الدكتور حامد ربيع ، نظرية الدعاية الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩–٢٠.

" أن السياسة الخارجية كالسياسة الداخلية كل منهما يكون بعداً من ابعاد الحركة السياسية بحيث ان اختلاط الواحد منها بالاخر هو الذي يسمح بخلق القوة والتعبير عن الارادة الحاكمة تطورات معينة فرضت هذا الارتباط حتى ان جميع علماء السياسة الخارجية يسلمون اليوم بانه من العبث تصور امكانية الفصل بين الناحيتين الا اذا اردنا تشويه معنى الدولة العصرية [1].

وقد اشار الى هذه الحقيقة ، كارل فردريك في كتابه عن السياسة الخارجية الذي تم اصداره عام ١٩٣٨ ،الى العلاقة الوثيقة بين السياستين ،عندما قال : " أن السياسة الخارجية تتأثر بالسياسة الداخلية ولاسيما في النظم الديمقراطية ،والى ان كل مشكلة داخلية تتضمن بالضرورة ابعاداً خارجية " [2]. اكثر من هذا يقول هالبرين انهما اصبحتا متشابهتين الى حد بعيد وهو ما يطلق عليه تعبير تدخيل Domestication السياسة الخارجية [3].

وفي هذا المجال كتب غريغوري فلاين المدير المساعد للمؤسسة الاطلسية للشؤون الدولية قائلاً : " لا يمكن فصل السياسة الداخلية عن السياسة الخارجية في عالم اليوم " [4].

وفي هذا المعنى جاء في تقرير جاكسون حول مجلس الامن القومي الأمريكي ما يأتي : " خلال هذه السنوات اصبحت الحرب الباردة الواقع السائد في الحياة الدولية ، انا نشهد التمييز الذي كان قائماً وقتئذ بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية ، وقد زالت الحدود الان تقريبا بينهما . لقد تضاعفت ادوات السياسة الخارجية بحيث اصبحت تتضمن من الآن وصاعداً العون الاقتصادي والمساعدة التقنية والعلمية والمبادلات التربوية والثقافية والمساعدة العسكرية للخارج" [5].

وعلى الرغم ، من العلاقة بين السياسة الداخلية و السياسة الخارجية ،الا ان هناك معياراً للتمييز بينهما ، يمكننا ايجاز ذلك في الآتي :

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ و
Frankel , Joseph , the Making of Foreign Policy , London , Oxford University Press ,١٩٦٥ , PP.٢٦،٨٠.

[2] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٦.

[3] المصدر نفسه ، ص ٧٦. هنا لابد من الاشارة الى مسألة الخبز في مصر عام ١٩٧٧ وعلاقتها مع السياسة الخارجية ؛ ابتداء من شهر كانون الثاني وصولاً الى زيارة السادات للقدس في تشرين الثاني من العام نفسه ،فقد ذاع حجم التظاهرات التي انطلقت ضد اقتراح زيادة اسعار المواد الغذائية بنسبة ٥٠% وعمت ارجاء مصر كافة خلال يومي ١٨ و١٩ كانون الثاني وكان من نتائجها تدخل الجيش الذي ادى الى مقتل ٧٩ شخصاً وجرح ٨٠٠ آخرين اظهار حجم الفقر المتفاقم والغضبة العارمة التي عمت البلاد اثر قرار الانفتاح محددا على متطلبات الرأسمال الخاص ،وبعد اخفاق التظاهرات عمدت الحكومة الى شن حملات اعتقال واسعة ، وسجن الالاف من المعارضين واصدرت قراراً بحظر التظاهرات وحركات الاضراب .ولم تكن زيارة السادات للقدس الا مظهراً من مظاهر الالتفاف على هذه الاحداث ، حاول النظام من خلاله في وقت معا أن يجد له اسما جديدة تحصن بتأييد شعبي من الداخل ، وان يحقق له موقعا افضل في مدار النفوذ الامريكي . راجع : تيموثي ميتشل ، تجربة الاستقلال في الخطب الاسلامي القراءة في 'ايام من حياتي' لزينب الغزالي، في المثقف والمناضل في الاسلام المعاصر ،اعداد جيل كيبل ويان ريشار ، ترجمة بسام حجار ، دار الساقي ، بيروت ١٩٩٤ ، ص١٨٦ .

[4] مارسيل ميرل ، السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٢.

[5] المصدر نفسه ، ص ١٥١-١٥٢.

١- حدود العمل للسياستين مختلفة من حيث تحديد مصادرها ، فالدولة في المجال الداخلي بصورة عامة لها السيطرة التامة على مستوى الافراد والجماعة ، في حين تتصدى هذه الحكومة في السياسة الخارجية الى الارادات المتنازعة للدول الاخرى التي تثبت غالبا- أي هذه الأرادات -انها غير مرنة ،وتتميز بصعوبة التوفيق بينهما .
٢- الاهداف الرئيسة للسياستين مختلفة ، لأن محور السياسة الخارجية يدور حول البقاء والدفاع والحماية ، ان مجموعة من عناصرها لها علاقة مع عناصر السياسة الداخلية مثل التجارة الخارجية والانفاق الدفاعي التي لها ثقل واضح على الرخاء ومستوى المعيشة ، ولكنها تؤخذ بعين الاعتبار من زاوية مختلفة جدا.
٣- في السياسة الداخلية ، من الممكن القاء بعض الشك على التحقق الفعلي " الوجود الفعلي " للرخاء العام " الرفاه المشترك " .
٤- الاهتمامات المركزية للسياسة الخارجية تدور حول مسألة احتكار الدفاع والدبلوماسية ،والحكومة تقوم بوظيفة التنمية اكثر من السياسة الداخلية ،وفي قضايا الشؤون الخارجية تهمل الافراد والعشائر بصورة عامة ، اذ لا تمنح لهم قوة في هذا المجال [1].
٥- يتطلب العمل الداخلي بناء وإدامة القوة التي قد تبذل خارجيا .
٦- تتطلب النشر الخارجي للقوة ضمان الشؤون الداخلية للدولة ، الى درجة أن لا تكون الاخيرة – السياسة الداخلية – خاضعة ، أو تقرر أعمالها السياسية من قبل الدول الاخرى[2].

وفي هذا المجال يقول هارولد نيكولسون : " فلا غرو ان كان حل كثير من مشكلات السياسة الخارجية لا يوجد الا في داخل السياسة الداخلية " [3]. ان العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية ، دفعت الكثير من المهتمين بالسياسة الخارجية من عد كلا السياستين وجهين لشيء واحد ، جزئين متكاملين لكل واحد . ان هذه العلاقة دفعت أيضا جلادستون ان يقول : " السياسة الداخلية الصالحة أول شرط من شروط السياسة الخارجية الرشيدة "[4].

كان هناك اعتقاد من المفكرين والسياسيين في الولايات المتحدة ، انطلاقا من مفهوم الامن النسبي والانعزال عن الدول الأخرى ، الانفصال بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية بحيث ان هؤلاء أعطوا الأولوية للسياسة الداخلية [5] . والنظر إلى السياسة

---

[1] Frankel , Joseph , National Interest , Printed in Great Britian , ١٩٧٠ , PP ,٣٨ – ٣٩ .
Fridrich , Joachim , Carl , Foreign Policy in the Making , New York , ١٩٨٣ , PP,٦٢-٨٩,
[2] Johes , Roy E., Principles of Foreign Policy the Civil States in Its World Setting Printed and Bound by Richad Claylnt , Banany , Suffolk , ١٩٧٤ , p.٤.
[3] السير هارولد نيكولسون ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩ . وللمزيد من التفاصيل حول العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية راجع : مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٨ – ٣٤٢ .
[4] نيكولسون ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩ .
[5] جوزيف فرانكل ، العلاقات الدولية ، ط٢ ، ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٠ ، ص٥٨ .

الخارجية كامتداد للسياسة الداخلية تأثير جانبي مهم ؛ مثال على ذلك ، تشجع الكونغرس الأمريكي ، الذي يخضع لضغوط من مجموعات لوبي السياسة الخارجية ، لتوسيع محاولاته لإصدار تشريعات في السياسة الخارجية .غير أن ذلك لم يكن ظاهرة جديدة تماماً . ففي الماضي ، لا سيما عندما كانت السياسة الخارجية تصاغ على أساس الحزبين، كانت السلطة التنفيذية تخطط مع الكونغرس لإصدار تشريعات تعزز أهداف السياسة الخارجية الأمريكية ، وتقوي القدرة التفاوضية للسلطة التنفيذية فيما يبدو أنها تحد من خياراتها ، وبعد إنتهاء حرب فيتنام ، انتقل التشديد إلى التشريعات المصممة لتفرض على السلطة التنفيذية أهدافاً محددة يحبذها لوبي معين لسياسة الخارجية ؛ أو لتحد من حرية حركة السلطة التنفيذية ؛ وأصبح هذا الميل واضحا في التسعينات ، واستمر إلى وقتنا الحالي ؛ بسلسلة من القوانين التشريعية التي صدرت نتيجة ترويج ناشط تقوم به مجموعات لوبي مكرسة لمصلحة هذه الجالية العرقية أو تلك في السياسة الخارجية ، بغض النظر عن آراء البيت الأبيض أو وزارة الخارجية . وأكثر هذه المجموعات نشاطا ونجاحا اللوبيان الصهيوني الأمريكي والكوبي الأمريكي ، ولدى كل منها من الموارد ما يؤثر بشدة على جمع المعلومات للكونغرس ، وحشد دعم إنتخابي كبير في ولايتين كبيرتين ، نيويورك وفلوريدا [1] . أما فيما يخص الدول الأوربية، فأن منطق التقليد يشير الى عدم فصل السياستين . وهذه المسألة واضحة في فرنسا الى عهد نابليون وألمانيا على عهد بسمارك ، إذ ان الأمور العسكرية وأهداف السياسة الخارجية قد اندمجت بالقضايا الرئيسة في السياسة الداخلية . أما الدول الصغيرة والضعيفة التي كانت عرضة للغزو الأجنبي فقد تشكلت سياسة الضرورة – في وجهة نظر الفكر السياسي الأوربي [2] .

أما في الوقت الحاضر ؛ فنرى ان هناك عدم اتفاق بشأن العلاقة العضوية بين السياسة الداخلية و السياسة الخارجية ، لأن البعض يعتقد ان كل ما تستطيع الدولة القيام به هو ان تقوم بردود فعل لا بد منها ولاسيما فيما يخص أبعاد ومضاعفات المشكلة الذرية . أما البعض الاخر فيعتقد أنه لا زال امام السياسيين مجال للاختيار وذلك ضمن الحدود التي تفرضها البيئة [3] .

ان النظام السياسي الدولي المعاصر ، بدأ يتعامل مع حقائق وظواهر ، لم تكن معروفة من قبل ، بحيث ، وصلت الى درجة المتغيرات الأصلية المتحكمة في الحركة السياسية ، وقد أصبحت العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية واضحة من حيث التفاعل الديناميكي بين القوى المحلية والقوى الدولية ، اذ ان هناك استحالة في الفصل بينهما . فضلاً عن ذلك ؛ هناك الترابط الاعلامي الذي قاد الى عملية التأثير المتبادل بين الاعلام المحلي والأعلام الخارجي [4].

---

[1] زبغنيو بريجنسكي ، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٩٥ .

[2] جوزيف فرانكل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٨ .

[3] المصدر نفسه ، ص٥٨ .

[4] الدكتور حامد ربيع ، من يحكم في تل أبيب ، حول تحليل علاقة التماسك في النظام الإسرائيلي ومتغيرات الحركة السياسية في الشرق الأوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣٨ .

ولا يغيب عن البال في هذا المجال ، اخفاق السياسة الخارجية الأمريكية في فيتنام ، بحيث كان هذا الاخفاق احد مظاهر الوهن والضعف في السياسة الداخلية الأمريكية . زد على ذلك ان الاهتمام الأمريكي بالكيان الصهيوني هو نتيجة وخاتمة لوضع سياسي داخلي برزت من الطابع القومي الامريكي [1].

وفي حدود الفصل بين السياسة الداخلية و السياسة الخارجية يقول ريمون ارون: " هناك ثمة اختلاف اساسي بين السياسة الداخلية و السياسة الخارجية "[2].

والحق ، كانت هناك محاولات في الولايات المتحدة لفصل السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية ، وقرار القاضي سالزلاند في عام ١٩٣٦ والخاص بقضية " الحكومة ضد كيرتس – رايت " واضح في هذا المجال ، الذي جاء فيه : " ان الشؤون الخارجية " والداخلية يشكلان مجالين مختلفين وذلك فيما يخص أصل وطبيعة كل مجال " . وقد جاء في القرار ايضا، ان هناك مدى واسعا للشؤون الخارجية ، بما تحتويه من معضلات رئيسة ومعقدة وحساسة ومتعددة ، وبموجب رأي سالزلاند ، أنه من الضروري اعطاء الرئيس الامريكي صلاحيات واسعة والتحرر من القيود القانونية التي لا يمكن السماح بها لو ان الامر يخص شؤون داخلية فحسب [3].

ان قرار المحكمة هذا قد انحصر في ان التشريع في السياسة الخارجية يمكن ان يمنح الرئيس حرية تصرف تزيد عما هو مسموح به في التشريع المحلي ، وبدلا من ذلك تخطى

---

[1] المصدر نفسه ، ص ١١١-١١٢.

على العكس من ذلك ، نرى في الكيان الصهيوني بان السياسة الداخلية هي امتداد للسياسة الخارجية ، لا ان السياسة الخارجية في الكيان الصهيوني تتحدد باوضاع داخلية ذاتية واوضاع داخلية غير ذاتية ، والحق ان مخطط السياسة الخارجية الصهيوني ، يأخذ بنظر الإعتبار موقف القوى السياسية في الولايات المتحدة ، قبل اهتمامه بالرأي العام المحلي الصهيوني ، كما ان هناك علاقة بين الإقتصاد الصهيوني والرأسمالية الغربية ، وقد برزت هذه الظاهرة منذ بداية ١٩٥٧ .

كما ان هذه الحالة واضحة بين القوى السياسية في داخل الكيان الصهيوني وبالامكان تقسيمها الى :-

١- قوى سياسية محلية .

٢- قوى سياسية خارجية .

القوى الاولى تدور حول : الهستدروت والكيبوتز والمؤسسة العسكرية والرأي العام والرأسمالية الناشئة من البيروقراطية الادارية ، اما القوى الثانية فانها تكمن في : الدياسبورا أو اليهود في المهجر والوكالة اليهودية ، وبالامكان تفسير ذلك بنقطتين :

١- ان الاحزاب الصهيونية من الناحية التاريخية والنظامية تعيش على المساعدات الخارجية الامريكية والاقطار الاوربية .

٢- ان الكيان الصهيوني يعيش على يوتوبيا ، إلى درجة يعد نفسه انه الممثل ليهود العالم . راجع : المصدر نفسه ، ص ١١٢-١١٣.

والدكتور حامد ربيع ، النموذج الإسرائيلي للممارسة السياسية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص١٦-١٧.

[2] مارسيل ميرل ، السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤.

[3] لويس فيشر ، سياسة تقاسم القوى الكونجرس والسلطة التنفيذية ، ط٣ ، ترجمة مازن حماد ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٤ ، ص١٨٨.

ساترلاند قضية التفويض كثيرا ، مضيفا صفحات من الملاحظات العابرة (الخارجية عن القضية المعروضة امام المحكمة) التي تعطي الرئيس عدداً من السلطات غير الموجودة في الدستور[1].

ان اكثر ما يمكن استنتاجه من قضية كيرتس - رايت ، كما يقول القاضي جاكسون " في الاعلان الصريح " عن ان الرئيس يمكن له ان يتصرف في الشؤون الخارجية دون سلطة من الكونجرس ، ولكن دون ان يستطيع التصرف بشكل يتعارض مع قانون اصدره الكونغرس[2].

وفي هذا المجال ، اكد جاكسون ، الى ان كثيرا من آراء ساترلاند ذات صفة عابرة وغير ملزمة ، وفي عام ١٩٨١ حذرت محكمة استئناف فيدرالية من أي اعتماد في غير مكانه على ملاحظات معينة وردت خلال ساترلاند لرأيه . وقالت المحكمة " أن تسمية الرئيس كجهاز وحيد للولايات المتحدة في الشؤون الدولية ، يشكل اقرارا فعلياً بسلطة رئاسية كامنة على أي مسألة تمتد خارج حدود هذه البلاد . ونحن نرفض مثل هذا التصنيف "[3].

ان فكرة " الجهاز الوحيد " في الولايات المتحدة [4] ، تعود اساسا الى عام ١٨٠٠ ، فكرة توصل اليها مارشال كان يؤكد بان الرئيس ينفذ السياسة الداخلية ، بعد ايجادها من خلال القانون او معاهدة ، فالفرعان يعملان بانسجام ، ولم يدع مارشال ابدا ان الرئيس يصنع عملية صنع القرار في السياسة الخارجية[5].

وفي هذا المجال ، يمكننا الرجوع الى قرار الرئيس ادامز[6] بتسليم بريطانيا شخصا متهما بالقتل ، ولان القضية كانت وما تزال تنظر امام المحاكم، فقد اوصى بعض اعضاء الكونغرس بتوجيه الاتهام للرئيس ادامز لتجاوزه على السلطة القضائية ، ودافع مارشال عن ادامز ، مشيرا الى ان الرئيس ينفذ معاهدة معقودة مع بريطانيا [7].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ١٨٨.

[2] المصدر نفسه ، ص ١٨٩.

[3] المصدر نفسه ، ص ١٨٨.

[4] الرئيس في الولايات المتحدة لا يتمتع باستقلالية تامة ، إنه منتخب ومسؤول طليق اليدين في نطاقه ، ويخضع لمراقبة مجلس الشيوخ لكنه لا يخضع لتوجيهاته . يعين مرتبه فور تسلمه مهامه . ينتخب الرئيس لولاية تدوم أربع سنوات ، وقد يعاود إنتخابه لولاية ثانية . وقد جعل إحتمال تجديد الولاية حافزا له لخدمة الصالح العام وتطوير الوسائل الممكنة للقيام بذلك . إلى ذلك يزود الرئيس بحق النقض (الفيتو) المعطل الذي يتيح له أن يعطل القوانين التي من شأنها المساس بحيز الإستقلالية الذي يكفله له الدستور . لكن حق النقض المعطل يرغمها ، في الأقل ، على التراجع قليلا ، ويجبرها على النظر مجددا في المسألة ، وعندئذ لا يعود ممكنا حسم القرار بشأنها إلا بأغلبية ثلثي الأصوات . وحق النقض ، من ناحية أخرى ، هو أشبه بالإحتكام إلى الشعب . راجع : ألكسي دو توكفيل ، عن الديمقراطية في أمريكا ، الجزء الأول ، ترجمة بسام حجار ، معهد الدراسات الإستراتيجية ، بغداد - بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

[5] يحتل منصب الرئاسة لدى شرائح الرأي العام الأمريكي مكانا مرموقا في النظام السياسي ، الا ان عددا كبيرا من هذه الشرائح لايعرفون عن ممثليهم في الكونغرس ، الا انهم يعرفون من هو الرئيس ولديهم آراء حول كيفية ادارته للسلطة . راجع : لاري الزتز ، نظام الحكم في الولايات المتحدة ، ترجمة جابر سعيد عوض ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العلمية ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص١٧٣ .

[6] جون ادامز (١٧٣٥ - ١٨٢٦) الرئيس الثاني للولايات المتحدة (١٧٩٧ - ١٨٠١) كان نائبا للرئيس واشنطن . وهو والد جون كوينسي ادامز الرئيس السادس للولايات المتحدة . راجع : نعوم تشومسكي ، سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، ترجمة مي النبهان ، ط٢ ، دار المدى للثقافة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص ٤٠ .

[7] فيشر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٩.

فهم مارشال السياسة الخارجية على انها وظيفة مشتركة بين الرئيس ومجلس الشيوخ (بالنسبة للمعاهدات) او بين الرئيس والكونغرس (بالنسبة للقوانين) [1]. ولا يعمل الرئيس "كجهاز وحيد" في تطبيق السياسة الداخلية ، الأبعد ان يؤسس الفرعان لتلك السياسة [2].

وهنا لابد من الاشارة ، من ان الرئيس في الولايات المتحدة وبموجب الدستور لايعد مسؤولاً امام الكونغرس ، الا ان الاخير له صلاحية الاشراف على الميزانية . وإذا ارتأى الكونغرس من عرقلة مشروع من مشروعات الرئيس ، فان بامكانه ان يستخدم سلاح الاعتماد المالي ، وتجربة محاصرة الكونجرس للرئيس جونسون واضحة في هذا المجال . والحق ، ان الكونجرس الامريكي استطاع من التأثير على الرئيس وبنجاح في حرب فيتنام الا انه في قضايا اخرى اقل اتساعاً من حرب يشترك فيها نصف مليون جندي " . فان هذه الحالة يمكن تطبيقها بدون اعتمادات تعرض على الكونغرس اذ في حوزة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من ميزانية ما تكفي من الانفاق على فعالية من فعاليات السياسة الخارجية ، يكفي ان نذكر في هذا المجال ان ميزانية الوكالة في عام ١٩٦٥ بلغت ثمانية بلايين دولار ، وعليه يمكننا القول في هذا الشأن ، انه اصبح للرئيس مصدر جديد للتمويل ومن خلالها [3].

---

[1] أعضاء مجلس الشيوخ يعينون من قبل الهيئات التشريعية في الولايات . النواب يعينهم الشعب ، إنتخاب مجلس الشيوخ يتم على مرحلتين ، وإنتخاب مجلس النواب على مرحلة واحدة . لا تدوم ولاية النواب إلا سنتين، أما أعضاء مجلس الشيوخ فتستمر ولايتهم ست سنوات . لا يستطيع مجلس النواب إلا بمهام تشريعية ، وهو لا يشترك في السلطة القضائية إلا عبر توجيه الإتهام إلى الموظفين العامين . أما مجلس الشيوخ فيسهم في صنع القوانين ، وينظر في الجرائم السياسية التي تحال عليه من قبل مجلس النواب ، وهو إلى ذلك يعد المجلس التنفيذي الأعلى للأمة . فالمعاهدات التي يعقدها الرئيس تحتاج إلى تصديق مجلس الشيوخ . كما أن قرارات الرئيس تحتاج لكي تغدو نهائية ونافذة إلى موافقة هذا المجلس . راجع : ألكسي دو توكفيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .

[2] المصدر نفسه ، ص ١٩٠.

اعتزم المؤسسون الأوائل الذين وضعوا الدستور الأمريكي منذ نحو اكثر من مائتي عام ان يكون الكونغرس تعبيراً عن صوت الشعب ، وان ينقل تأثير هذا الصوت ليتحمل مسؤوليته في السياسة القومية . والكونغرس وفق ما تخيله المؤسسون الاوائل هو المكان الذي يمكن ان يشعر به الرأي العام بنبض الامة مباشرة والمكان الذي يتم التعبير فيه عن آمال ورغبات الجماهير وايجاد الحلول لشكاواها . راجع : ستيفن جود، الكونغرس الأمريكي الجديد ، ترجمة عزة قناوي ، مكتبة غريب ، القاهرة ،(بلا) ، ص١١.

[3] محمد حسنين هيكل ، حرب الثلاثين سنة ١٩٦٧ الانفجار ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص١٠٧ و د. حسين شريف ، السياسة الخارجية الأمريكية وتحديثها من الحرب العالمية الثانية إلى النظام الدولي الجديد ١٩٤٥ – ١٩٩٤ : مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ١٩.

يمنح الدستور الكونغرس السلطات التشريعية كافة المكفولة للحكومة الفدرالية . وتتضمن هذه السلطات الحق في فرض الضرائب ، وفي تحديد كيفية انفاق الأموال المفروضة المجباة من الضرائب المفروضة .

تعد هذه الوظيفة من السلطات غير العادية وهذه السلطة :

– فرض الضرائب والانفاق تعطي الكونغرس القوى المحرك لصلاحياته الدستورية والراغب في ممارسة سلطاته يعد مساويا تماما للرئيس ويمكن ان يؤثر تأثيرا هاما على مصير الدولة . راجع : جود ، مصدر سبق ذكره ، ص١١-١٢. والحق، تتضمن هذه السلطة في الأشراف أو السيطرة على الانفاق والذي يشبه أي عمل تجاري ، وبدونها لا يمكن إدارة السياسة الخارجية بدون اعتماد . ومن ناحية أخرى ، يمنح الدستور الأمريكي للكونغرس سلطة أقرار القوانين والقرارات، ولاسيما اذا عرفنا أن قسم منها يتعلق برسم الأتجاهات الجديدة في السياسة الخارجية . فضلاً عن سلطة إبداء النصيحة وموافقة مجلس الشيوخ للتصديق على المعاهدات ، والتصديق على تعيينات السفراء ، راجع: Temple Wanamaker , American Foreign Policy Today , Printed In The U.S.A. , ١٩٦٥ , p.١٩.

وهكذا حاولت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من التنسيق مع شركات أمريكية عملاقة وفي اطار الشركات متعددة الجنسيات ، وحكومات اجنبية في بعض الحالات ، التي هي مستفادة من نجاح عملية معينة ، الاسهام في تكاليفها ، وقد جرى هذا في بعض الحالات وبعلم الرئيس واسمه ، وهنا لابد ان نستشهد تمويل عمليات الكونغو ومن خلال احتكار الماس العالمي التي كان من نتائجها اغتيال لومومبا وايصال موبوتو الى السلطة في زائير ، واسهام بعض الحكومات العربية في المجال المالي في تمويل الوكالة التي بدأت في انجولا وانتهت في نيكاراغوا ، واكثر من هذا تم مفاتحة بعض رجال الاعمال الامريكيين باسم جونسون الى ريغان ، من التبرع بملايين الدولارات لعمليات سرية من اجل الحد من نشاط الشيوعية الدولية، أو ما قام به رجل الاعمال الامريكي الكبير سبيتز شاتل من ولاية تكساس من دفع مليون من الدولارات تبرعاً في قضية إيران- كونترا[1] ، ومشاركة ريتشارد ميللر ، رجل الاعمال الكبير ، بخمسة ملايين دولار ، واسهام سلطان بروناي بعشرة ملايين دولار وبطلب من الرئيس ريغان ، وقيام السعودية بدفع سبعين مليون دولار[2].

وقد اصر ساذرلاند ان السياستين الداخلية والخارجية امران مختلفان سواء بالنسبة لاصلهما او طبيعتهما ، واستشهد بمثال معين يكمن في ان الولايات المتحدة لم تمتلك ابدا سلطات دولية ككيانات فردية وانه بعد انفصالها عن بريطانيا انتقلت سلطات السيادة الخارجية من التاج البريطاني الى المستعمرات في وضعها الجماعي والمشترك بوصفها الولايات المتحدة، وليس الى المستعمرات بحالتها الفردية . ومن خلال تحويل السياسة الخارجية بالهيئة الخارجية مباشرة الى الحكومة الوطنية ، ومن ثم ربط السياسة الخارجية بالمؤسسة التنفيذية[3].

والحق ، ان الفرضية التي ذهب اليها ساذرلاند ليست صحيحة ، لان السياسة الخارجية لم تشمل المستعمرات والولايات كي تنقل مباشرة الى هيئة تنفيذية مستقلة . ففي عام ١٧٧٦ لم يكن هناك رئيس او فرع تنفيذي منفصل ، فقد كان فرع واحد من الحكم يعمل على الصعيد الداخلي وهو الكونغرس الاول الذي تولى مهمات الحكم جميعا بما فيها التشريعي

---

[1] الكونترا : هي المجموعات المسلحة التي قاتلت ضد الحكومة الساندينية بعد انتصار الثورة النيكاراغوية . كان نشاط الكونترا ينطلق من معسكرات لهم في الدول المجاورة وخاصة الهندوراس بتمويل ودعم من الولايات المتحدة . وبعد سقوط الساندينيين وتولي حكومة شامورو وضع برنامج لدمج الكونترا في الشرطة والجيش . أما الثورة الساندينية التي أنهت عام ١٩٧٩ دكتاتورية سوموزا في نيكاراغوا . كانت الثورة بقيادة الجبهة الساندينية للتحرير الوطني F.S.L.N التي حكمت برئاسة دانييل أورتيغا حتى عام ١٩٩٠ . تجدر الإشارة في هذا المجال ، أن الجبهة الساندينية للتحرير الوطني هي التي فازت بهذه الإنتخابات . لكن الولايات المتحدة ، ووسائل الإعلام فيها تصر على أن إنتخابات ١٩٩٠ التي خسرتها الجبهة الساندينية ، هي أول إنتخابات حرة في نيكاراغوا . وقد فاز في هذه الإنتخابات تحالف ضم كل القوى المعادية للساندينيين برئاسة فيوليتا شامورو . راجع : نعوم تشومسكي : سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥ ، ٧٤ ، ٣١٧.

[2] فيشر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٧-١٠٨ .

[3] المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .

والتنفيذي والقضائي . فضلاً عن ذلك فانه في المدة الواقعة مابين ١٧٧٤-١٧٨٨ [١] تصرفت المستعمرات (الولايات) ككيانات مستقلة ،وليس كأجزاء من جسم جماعي عرف بانه الولايات المتحدة ، وكانت الولايات المتحدة تعمل بحرية واستقلالية عن بعضها البعض ، وفي اعقاب انفصالها عن بريطانيا ، مارست سلطة السيادة لعقد المعاهدات واقتراض المال والبحث عن السلاح وفرض الحظر وجمع المكوس، وتنفيذ الحملات العسكرية المنفصلة [٢].

وفي حالات اخرى ، اعترفت المحكمة العليا ، ان الولايات المتحدة احتفظت بسلطة السيادة عند استقلالها مباشرة عن بريطانيا ، وحتى ان سلطة السيادة الخارجية انتقلت بصورة ما سليمة من التاج البريطاني الى ولايات امريكية متحدة ، تبقى الحقيقة البسيطة وهي ان الدستور يوزع سلطة السياسة الخارجية على الكونغرس والرئيس معاً[٣].

يقول آرون ويلدافسكي ان الرؤساء اكثر قدرة على الانتصار في كفاحهم السياسي ضد الكونغرس عندما تكون القضية ذات علاقة بالسياسة الخارجية . وبالرجوع الى المدة الواقعة ١٩٤٨-١٩٦٤ ، توصل آرون ويلدافسكي الى فرضية من ان الرؤساء منذ الحرب العالمية الثانية حققوا نجاحا اكبر بكثير في السيطرة على سياسات الامة الدفاعية والخارجية من السيطرة على سياساتها الداخلية [٤].

وبعد انقضاء ثماني سنوات من دراسة ويلدافسكي ، اكتشف دونالد بييرز أمراً اخر مختلفا اذ ان سنوات جونسون ونيكسون ضيقت الفجوة للسلطة الرئاسية في القطاعين الداخلي والخارجي [٥].

ويعترف المسؤولون التنفيذيون أن التمييز بين السياسة الخارجية والداخلية هو امر شكلي ،وعلى سبيل المثال فقد سعى مسؤولون في ادارة نيكسون للحصول على حرية كاملة في التنصت على عملاء أجانب ومنظمات محلية . واصرت الحكومة ان السياسة الخارجية والداخلية متداخلة الى درجة لا يمكن التخلص منها ، وأن أي محاولة لاجراء تمييز قانوني بين

---

[١] كان للشؤون الخارجية من أثر كبير في الولايات المتحدة بعد صدور دستور عام ١٧٨٧ . ان استقلال حتم الاستقلال من ناحية ، والدفاع عنه من ناحية اخرى ، ومتطلبات وجود جهاز جديد للحكومة من ناحية اخرى ، كانت بحاجة الى ادارات عسكرية ودبلوماسية اقترنت في هذه الحقبة على نشاط كبير للسياسة الخارجية الامريكية . ومن وجهات النظر الأمريكية ان نشأة وتطوير الدستور كانت بحاجة الى وجود دولة مركزية حرم بتمثيل المستعمرات المستقلة حديثا في المجالات الدبلوماسية. راجع : بروستراك ، نيبي ، نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية ، ترجمة د. ودودة عبد الرحمن بدران ، الدار القومية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص١٢.

والحق ، ان واضعي الدستور في الولايات المتحدة ، كانوا يرومون منح الحكومة المركزية جميع السلطات التي تحتاجها لإدارة السياسة الخارجية ، وكيفية الدفاع المشترك عن الدولة . راجع: المصدر نفسه ، ص ١٤.

[٢] فيشر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٠-١٩١.

سلطة اقرار او رفض المعاهدات تعطي الكونغرس نفوذاً هاماً في صنع السياسة الخارجية الأمريكية. راجع : ستيفن جود ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢،و Walter J . Oleszek , Congress & Its Members , Washington , D . C . , P . ١٧ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٩١.

[٤] المصدر نفسه ، ص ١٩١.

[٥] المصدر نفسه ، ص ١٩١-١٩٢.

تأثير السياسة الخارجية والمسائل الخاصة بنشاطات تخريبية محلية هي ممارسة فاشلة .وفي عام ١٩٩١ جابه الرئيس بوش معارضة قوية لرحلاته الخارجية ، فقد نظر اليه على انه اكثر اهتماماً بالمشكلات الدولية منه بالمشكلات الداخلية ، وبالإتحاد السوفيتي من كاليفورنيا .ورد بان الجهود التي تستهدف تشجيع الإتفاقات التجارية مع الدول الاخرى سيفيد الصادرات الأمريكية ، اذ قال : " اظن أن جوهر الموضوع هو انك لاتستطيع ان تفصل السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية"[1].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ١٩٢-١٩٣.

كانت المعاهدات هي مصدر الصراع في الولايات المتحدة بين الرئيس والكونغرس في مناسبات كثيرة ، ولعل من بين ذلك معاهدة فرساي التي انبثقت منها عصبة الامم (اعد مشروع ميثاق العصبة كل من الأمريكي دافيد ميلر والإنكليزي " سيسل هرست " ، وتبناه الرئيس ويلسن الذي طرحه بدوره على اللجنة بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩١٩ ، علماً أن ويلسن لم يحضر الجلسة ، لأن الولايات المتحدة لم تكن تنضم الى عصبة الامم بسبب عدم موافقة الكونجرس الأمريكي على معاهدات الصلح ككل . راجع : الدكتور رياض الصمد ، العلاقات الدولية في القرن العشرين ، الجزء الاول ، تطور الاحداث لفترة مابين الحرب ١٩١٤-١٩٤٥ ، بيروت (بلا) ؛ ص١٢٩-١٣٠ . وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع : الدكتورصالح جواد الكاظم ، دراسة في المنظمات الدولية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص٧٧-٧٩ و الدكتور حسن العطار، المنظمات الدولية ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص٧٢-٧٣ و Temple Wunamakaer ,Op.Cit ., p.١٩ وعليه فقد كانت هناك محاولات من قبل رؤساء الولايات المتحدة ، ان يكون لهم رجحان على الكونجرس في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، ومن خلال الاتفاقيات التنفيذية التي عقدها هؤلاء . وهذه الاتفاقيات هي شبيهة بالمعاهدات مع فارق انها ليست بحاجة الى موافقة مجلس الشيوخ ، وعليه يلجأ الرئيس اليها في وقت السلم والحرب من اجل عدم اخضاع قراراته الخارجية للكونجرس ، معطيا محادثاته السياسية مع الدول الاخرى صفة الاتفاقات التنفيذية ، وهناك امثلة على ذلك ، لعل من بينها قيام الرئيس الأمريكي في اعقاب الحرب العالمية الثانية تسليمه لبريطانيا ومن خلال تفاهمه معها على تسليمها عددا من الطرادات التي ان وقع اتفاقية بوتسدام ، ويفوق عدد هذه الإتفاقات في بعض السنوات عدد المعاهدات .وقد حدث هذا فعلا في عام ١٩٣٩ ، فبلغ عددها ستا وعشرين ولم يزد عدد المعاهدات عن العشر ، وكانت هذه المسألة واضحة في تغلب هذه الاتفاقات على المعاهدات في المدة الواقعة بين ١٩٥٠-١٩٥٩ . راجع : هانس مورجانثو ، السياسة الامريكية في السياسة الخارجية في روي مكريدس ، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم ، ترجمة الدكتور حسن صعب ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص٣٨٣-٣٨٤.

وهناك قوانين تتبناها الكونغرس ، تعد غير ملزمة للرئيس في الولايات المتحدة ، وعلى سبيل المثال ، تبنى مجلس النواب الأمريكي قانونا غير ملزم في ١٦ شباط من العام ٢٠٠٧ ، بمنع زيادة عدد القوات الأمريكية في العراق ، وكان نتيجة ذلك ، أن صوت ٢٤٦ نائبا لصالح القرار و ١٨٢ نائبا صوتوا ضد قرار منع زيادة القوات ، ومن القرارات غير الملزمة ، ما تبناها مجلس الشيوخ الأمريكي في ١٩ أيلول ٢٠٠٧ ، قرارا حول تقسيم العراق ، الداعي الى تقسيم العراق إلى ثلاثة كيانات للشيعة والسنة والأكراد ، مع حكومة مركزية مكلفة بأمن الحدود وإدارة الموارد النفطية فقط . وقد رفض الرئيس بوش الابن قبل عدة أشهر الدعوة نفسها ، وقال معلقا عليها في مقابلة أجرتها معه محطة فوكس نيوز : " إن تقسيم العراق إلى ثلاثة مناطق تتمتع بالحكم الذاتي أمر سيخلق ليس فقط وضعا من شأنه أن يجعل السنة والدول السنية والمتطرفين السنة يتناحرون مع المتطرفين الشيعة ، بل أن الأكراد سيخلقون مشكلات مع تركيا وسوريا " .

فكرة تقسيم العراق إلى دويلات ثلاث كردية وسنية وشيعية ليست جديدة على العقل الأمريكي ، فقد تناولتها بعض الساسة والباحثين في حقب زمنية مختلفة ، وعرضوها بصيغ ، وعبارات متعددة . والحق ، أن دول الجوار الجغرافي للعراق ترفض تقسيمه ممثلا مستشعرة تهديدا ستراتيجيا لها . ومن القرارات غير

المتأزمة ، ما قام به مجلس النواب الأمريكي من تبني قرار حول الأرمن ، حيث صوتت لجنة في الكونغرس الأمريكي ، على نص ، يعترف بموضوع ما يسمى " بإبادة الأرمن " ، أمام هذا ، أعرب البيت الأبيض عن خيبة أمله من التصويت على ذلك ، في حين نددت تركيا على قرار الكونغرس هذا ، حيث قامت ، باستدعاء سفيرها بواشنطن ، وفي هذا الشأن ، صرح رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ، قائلا : " ستتخذ مزيدا من الإجراءات ضد قرار لجنة الكونغرس " ، من ناحية أخرى ، أشار ناطق باسم البيت الأبيض ، بأنه يأمل ، في عودة سريعة للسفير التركي في واشنطن ، ونتيجة لذلك ، ألغى وزير تركي زيارة مقررة للولايات المتحدة على خلفية هذا القرار ، الأمر الذي دفع بالإدارة الأمريكية ، إرسال مبعوثين أمريكيين إلى تركيا لتخفيف أثر ذلك . أما فيما يخص موقف المؤسسة التركية ، إزاء ذلك ، فقد حذر رئيس هيئة الأركان التركي يشار بيوكانيت ، في لقاء مع صحيفة ملليت في ١٣ تشرين الأول من العام ٢٠٠٧ ، واشنطن من تبني قرار يعدها تعرض له الأرمن في عهد العثمانيين " إبادة جماعية " . قائلا : " علاقتنا العسكرية مع واشنطن لن تبقى كما هي عليه ، إذا صدر قرار " إبادة الأرمن " . وأضاف بيوكانيت قائلا : " الولايات المتحدة ، دولة حليفة مهمة لتركيا ، لكن الحليف لا يتصرف على هذا النحو " .

وفي هذا السياق ، أكدت رئيسة مجلس النواب الأمريكي ، نانسي بيلوسي ، على عرض نص قرار التصويت يصف مذابح الأرمن بأنها إبادة ، وأضافت قائلة : " تبني هذا القرار سيعيد تثبيت القيم التي تدافع عنها الولايات المتحدة " . والحق ، هناك إصرار من الديمقراطيين في الولايات المتحدة على تصعيد قضية مذابح الأرمن ، وأثر ذلك على العلاقة مع تركيا ، من ناحية أخرى ، ، قللت بيلوسي ، من أهمية التهديدات التركية ، واصفة إياها ، بأنها مجرد إجراءات افتراضية . ولكن من ناحية أخرى ، عارض نواب ديمقراطيون ، مشروع القرار هذا .

أما البيت الأبيض ، فإنه ذهب قائلا : " هذا القرار سيؤذي المصالح الأمريكية في أوروبا والشرق الأوسط . مضيفا ، بأنه سيعترض على هذا القرار الذي سيضرر العلاقة مع تركيا وفي هذا المعنى ، ذكر متحدث باسم البيت الأبيض ، بأنه يأسف لتجاهل بيلوسي بالقلق الذي أثاره مشروع القرار . وفيما يخص زعيم المعارضة الجمهورية بمجلس النواب جون بوينر ، فإنه انتقد بشدة موقف بيلوسي ، مشيرا أن هذا الأمر ، وقع قبل تسعين عاما ، ويجب تركه للمؤرخين لا السياسيين في واشنطن .

يدعي الأرمن ، بقيام الدولة العثمانية ، في الحرب العالمية الأولى ، بقتل ٨٠٠،٠٠٠ أرمني ومازيد ، والحق ، القتلى بين ٢٥٠ ألف و ٥٠٠ ألف شخص ، تآمروا مع روسيا القيصرية ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى .

وهنا لابد من الإشارة ، من أن الولايات المتحدة ، قامت على إبادة ملايين من السكان الأصليين من الهنود الحمر ، فضلا عن قيامها على غزو العراق في العام ٢٠٠٣ وما ترتب عليه من القتل والتشريد ضد الشعب العراقي ، وهذا يعني أنه في حالة إصدار هذا القرار من قبل الإدارة الأمريكية تكون قد ناقضت نفسها .

وهناك ، أسباب عديدة دفعت الكونغرس الأمريكي بعدم الموافقة على معاهدات الصلح ، يمكننا إيجازها في الآتي :-

١- تم إعطاء بعض التنازلات الإقليمية للدول المنتصرة الأخرى ، والشروط القاسية التي فرضت على ألمانيا والتي تم قبولها من قبل ولسن كي يتم الوصول إلى اتفاق .
٢- الأخطاء الستراتيجية والتكتيكية التي ارتكبها ولسن بسبب آرائه الكالفينية ومرضه ، وانه كان سابقا لعصره .
٣- فضلاً عن هذا فإن عصبة الأمم في ظل تحفظات لودج ومشاركة الولايات المتحدة كانت ستكون خطوة إيجابية إلى الأمام إذ أن المادة ١٠ لم يكن لها معنى كبير على أي الأحوال .

٤- يعتقد ديني أتشيسون أن دبلوماسية القمة التي تبناها ونسن كانت السبب في اخفاقه فقد حدت من تأثيره علـى مائدة المفاوضات (بسبب وجوده شخصياً هناك) ، وفي واشنطن وفي الولايات المتحدة بصورة عامة (بسـبب عدم وجوده هناك) . راجع : بروستراك . نيلي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٢.

اكتشف الكونغرس الأمريكي أن إدارة جونسون دخلت في عدد من الإتفاقات التنفيذية السـرية التـي تحتوي على وعود بتقديم اموال أمريكية الى دول اجنبية مقابل استعدادها لمـنح تأييـدها الرمـزي للحـرب الفيتنامية.

وقد ايدت المحكمة العليا هذه الإتفاقيات ، وتدخل سلطة الاعتراف بحكومات أجنبية من ضـمن هـذه الإتفاقيات . وتقر وزارة الخارجية الأمريكية ان الاتفاقات التنفيذية يجب الا تتـضارب مـع تـشريع سنّه الكونجرس خلال ممارسته لسلطته الدستورية ، وإذا ما تعارضت اتفاقية تنفيذية مع قانون معمول به في مجال مفوض للكونغرس مثل التجارة الخارجية فانها تكون قابلة للالغاء من قبل المحاكم .

هناك ما يسمى " البيانات السياسية المتوازية " التي لها علاقة من تخطي الرئيس الكونغرس ، ففي ٢٣ أيلول ١٩٧٧ وقبل عشرة ايام من انتهاء مفعول اتفاقية سولت -١ الرقابة على الاسلحة اصـدرت الولايـات المتحدة والإتحاد السوفيتي بيانين جاء فيهما ان البلدين سيلتزمان بالاسقف التي حددتها الاتفاقية . وطالمـا ان البيانين صدرا بشكل منفصل واحادي فقد قالت وزارة الخارجية الامريكية بانهما لايشكلان اتفاقية ، ولذلك فلا داعي لابلاغ ذلك الى الكونغرس .راجع : فيشر ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠١-٢٠٢ . وللمزيد من التفاصيل راجع :

Havard , William C., Government and Politics of the United States , London , ١٩٦٥ , PP.٨٩-٩٠ ; Wanamaker Temple , American Foreign Policy Today , U.S.A., ١٩٦٦ , PP.١٦-٢١; Larry J . Sabato , Essentials Of American Government Continuity & Change , New Yourk , ٢٠٠٢ , PP , ١٩١-١٩٤ , , Walter J . Oleszek , Congressional Procedures & The Policy Process , Fifth Edition , Washington , D . C , P١٧ , Oleszek , O.P . Cit. , PP.٢٩٣-٢٩٤ , , Sabato , Op . Cit pp . ١٩١-١٩٢ .

وهنا لابد من الإشارة ، على الضغط الذي مارسه الكونغرس على ادارة كلينتون فيما يخص موضوع إيران الذي يفسر بالدور الرئيس الذي قام به في عملية صنع القرار ، وذلك عند قيام الكونغرس على تـشريع قانون يعاقب اية شركة اجنبية تستثمر ٤٠ مليون دولار او اكثر في المجال التنظيمي والصناعي الإيـرانيين ، والذي عد قانونا في صيف عام ١٩٩٦ . راجع : فواز جرجس ، السياسة الامريكية تجـاه العـرب ؟ ومـن يصنعها ؟ ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص٨٦.

هناك مثال أخر ، لتجاوز الرئيس بوش الأب لصلاحياته الدستورية وذلك في أزمة الكويت في المدة الواقعة بين ١٩٩٠-١٩٩١ عندما حاول تنفيذ التزام ما يسمى بعاصفة الصحراء من خلال أرسال ٢٠٠ الف جندي إلـى المملكة العربية السعودية لمواجهة الرئيس صدام حسين في الكويت . وفي هذا المجال كتب الرئيس بوش رسالة إلى الكونغرس من أجل تنفيذ هذا الإلتزام . أن بعضاً من المسؤولين في الإدارة الأمريكية حثـوا الكـونغرس لأعطاء الرئيس التصويت إلى جانب هذا القرار . راجع : Jentleson, Op. Cit.,pp.١٩١-١٩٢.

كان من المتوقع ، وضع وزارة الدفاع الأمريكية في خانة الصقور ، الا ان بعضا منهم ، وفي مقدمتهم وزير الدفاع ديك تشيني المرشح الجمهوري لمنصب نائب الرئيس اثناء حملة الانتخابات الرئاسية سنة ٢٠٠٠ (وفي هذا الشأن يقول تشيني : ((لابد لنا بالفعل من اطلاع الرئيس المنتخب على بعض الامور ، وانـه يريـد نقاشا جادا حول العراق وخيارات مختلفة)) ، وكان يحتفظ شعورا عميقا بوجود عمل لم يتم انجازه بالنسبة الى العراق ، كان تشيني راغبا في ضمان تمكين بوش من فهم جملة القضايا العسكرية وغيـر العـسكرية فـي احتمالات الحرب مع العراق ، وكان يرى الابقاء على الضغط الأمريكي على العراق . تجدر الإشارة في هذا المجال ، في عام ١٩٩٠ ، قبل حرب الخليج الثانية ، طالب تشيني من الرئيس جورج هربرت ووكر بوش ، الا يسعى إلى موافقة الكونغرس على طلبه لشن حرب لاخراج القوات العراقية من الكويت ، واختار بوش الأب

عدم الأخذ بنصيحة وزير دفاعه ، إلا أن تشيني أضاف بعد لحظة أن ادارة بوش الاولى قد امتنعت من اسقاط الرئيس صدام حسين لأنها لم تكن تريد أن يتصور أحد أن الولايات المتحدة قوة استعمارية تدخل الى العواصم عنوة في ذلك الجزء من العالم وتسقط حكوماتها) ورئيس هيئة الاركان العامة كولن باول ، عارضا الخيار العسكري مع العراق ، وكان هناك أعتقاد من باول بأنه : " لا يوجد أستخدام شرعي للقوة العسكرية بدون هدف سياسي " وعليه فقد قدم تشيني أقتراحاً ثالثاً ، مؤداه أن بالأمكان خدمة الرئيس بصورة أفضل لو قام باول بتقديم النصيحة السياسية للإدارة الأمريكية في الأيام الأولى من أزمة الكويت ، والحق شعر باول بأن من المهم الحصول على تصريح الكونغرس ، فقد كان يخشى أرسال القوات الأمريكية إلى الحرب ، دون مساندة صريحة من الكونغرس . وفي هذا المجال لابد من الاشارة ان باول الذي كان متردداً في التزام القوات الأمريكية بالخليج في المقام الاول ، كان له دور فاعل في وقف الحرب وذلك وفقا لمقابلة مع باول في سنة ١٩٩٥ ، في ٢٧ شباط ١٩٩٦ ، لاطلاع الرئيس على الوضع في العراق ، وابلغ الرئيس بانه سيقدم خلال الاربع والعشرين ساعة التالية توصية بشأن وقف العمليات الحربية ، وسأله الرئيس بوش آنذاك (لما لاننهي الحرب الان) لكن المحافظين الجدد كان لديهم مايعتقدون انه الجواب : لقد بخست الإدارة تقدير قدرة الرئيس صدام حسين وتصميمه على الاحتفاظ بالسلطة ، وهكذا كانوا غير متحمسين لمشورة باول بانهاء الحرب في ذلك الوقت الحرج . في حين ان الاعضاء في البيت الابيض ، وفي المقدمة برنت سكوكرفت ، رئيس مجلس الامن القومي (الذي عمل مستشارا للامن القومي لدى كل من فورد ١٩٧٤ – ١٩٧٧ وبوش الاب ١٩٩٣) استماتوا للخيار العسكري. استمر سكوكرفت وعلى مضض مواصلة خيار الحرب ، كأزمة من الممكن ان تؤدي الى الاخفاق ، عند تغيير الخطة الستراتيجية من الدفاع الى الهجوم ، والحق ، دافع سكوكروفت عن الذهاب الى الكونغرس ، وتقديم اقتراح بقرار ، (فحتى لو كان الرئيس يمتلك السلطة الدستورية ، فان سلطته الاخيرة ستتعزز بشكل كبير وملموس ، عند مساندة الكونغرس له ، والرئيس لايروم اتخاذ قرار الحرب ، والامة منقسمة على نفسها) .
وفي المعنى نفسه قال باول ساربانش : ((ان فكرة كون الرئيس وحده ، هو القادر على ارسال قوات أمريكية الى خارج الحدود الجغرافية ، من دون موافقة مرهونة من الكونغرس ، يعد خروجاً على الدستور)) . اما السناتور مارك هاتفيلد ، فقد قام بتقديم مشروع قرار طلب من الرئيس بوش إلى اقرار سلطات الحرب ، ومن خلال الاحتكام الى موافقة محددة من الكونغرس قبل ارسال القوات الامريكية الى منطقة الخليج العربي . وقد ادى هذا النقاش والحوار حول ذلك ، ان قام مجلس النواب الامريكي ، منح الرئيس صلاحية تفويض الحرب باغلبية ٢٥٠ صوتا ، امام معارضة ١٨٣ صوتا . اما في مجلس الشيوخ، فقد أيد قرار الحرب ٥٢ سيناتورا ، مقابل ٤٧ سيناتورا الذين عارضوا القرار . (في عام ٢٠٠٢ كانت إدارة بوش الثانية تخطط لحرب الخليج الثالثة ، تصرف تشيني بشكل اخر ، فلن يكون هنالك اي مشاورة جادة أو مصادقة للكونغرس ، ولن تجري أية حوارات عشية الحرب في هذه المرة . في أوائل أيلول ٢٠٠٢ ، عندما إجتمع مساعدو البيت الأبيض لمناقشة الطريق إلى الحرب ، دعا تشيني إلى إجبار الكونغرس على التصويت عاجلا وليس آجلا . واقترح إجبار الكونغرس على التصويت في تشرين الأول ٢٠٠٢ على قرار كان مكتوبا لإعطاء الرئيس بوش الأبن تخويلاً عريضا بإستخدام القوة ضد العراق . وفي هذا المجال ، قال عضو الكونغرس الأمريكي جسيم : " إذا وافقنا على هذا القرار فإننا نضع أسبقيات سنندم عليها : بأن الولايات المتحدة تستطيع أن تبدأ حروبا إستباقية ، وأن الكونغرس يمكن أن يتخلى عن الصلاحية ببدء الحرب للرئيس . وحذر عضو مجلس الشيوخ ويست فرجينيا ، روبرت بيرد ، وهو أشد المدافعين في الكونغرس عن الدستور ، من " أن هذا القرار يعطي الرئيس كل الصلاحيات ، بإستخدام القوات العسكرية لهذا البلد كيفما ووقتما يشاء ، ولأي مدة يريدها مهما طالت " ، لكن معظم أعضاء الكونغرس ، جمهوريين وديمقراطيين ، لاحظوا موعد الإنتخابات ، التي يلوح في الأفق ، وصوتوا لإعطاء البيت الأبيض ماكان يريده ، ونجح المخطط ، ومع إقتراب الحرب فقد تم تهميش الكونغرس فعليا ، وهذا ما كان يريده تشيني . إن إستحواذ العراق على تشيني كان يعود إلى عملية العقرب ، على الأقل ، وهي خطة مكتوبة في البنتاغون ، وهي الخطة التي اتصفت بعبارة : لا تخبروا باول أو أي شيء آخر " ، لاجتياح العراق والقضاء على الرئيس العراقي صدام حسين ، كجزء من حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ،

ومرة بعد أخرى ، خلال المقابلة التي استمرت ساعة ، قال تشيني عن الشعب العراقي : " إنهم سيرحبون بنا كمحررين " راجع : جون نيكولز ، ديك تشيني رئيس أمريكا الفعلي ، ترجمة محمود برهوم ، ورغدة محمد حسن عزيزية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٨٨ – ٨٩ ، ١٧٩ ، ١٨٧ .) .

اما بالنسبة الى أسرار حرب الخليج الثالثة ، فانها بقيت في الكتمان والسر ، حيث اقتصرت بين أشخاص ثلاث : الرئيس بوش الأب ، ووزير الدفاع رامسفيلد : " دخل رامسفيلد مكتبه غير مستعد في الظاهر للتغيرات التي طرأت منذ تجربته السابقة فيه قبل خمسة وعشرين عاماً ، وسمع وهو يشكو من عملية التثبيت ومصاعب ملء الثغرات في السياسة وما يستغرقه من وقت ويتطلبه من رجال تقديم ٩٠٢ تقرير سنوي إلى الكونغرس والاستجابة إلى ٢٠٠٠ طلب من الكونغرس كل أسبوع ، وقانون التفويض الدفاعي الذي تضخم من خمسين صفحة أثناء شغله في السابق إلى ٩٠٠ صفحة ، وافتقاره العام للسيطرة على كثير من أجزاء أنشطة البنتاغون ومسؤول السنتكوم (وهي القيادة المسؤولة عن الشرق الاوسط وجنوب اسيا والقرن الافريقي) فرانكس ، ودون اشراك مدير وكالة المخابرات المركزية جورج تينت ، حيث اكد الرئيس بوش من اشراكه والآخرين في تاريخ لاحق ولكن ليس الآن . والحق ، بقيت هذه المقابلات بين هؤلاء سرية لمدة عامين قبل نشوب الحرب . ومن وجهات نظر الرئيس بوش الاب ، ان أي تسرب للمعلومات حول ذلك من شأنه ان يثير ذعرا دوليا ، ومضاربات محلية صاخبة . وقد قوم سكوكروفت ، عملية اتخاذ القرار حول حرب الخليج الثالثة قبل نشوبها قائلا : ((ان من شأن أي هجوم على العراق ، ان يقلب منطقة الشرق الاوسط كلها الى : ((مرجل ويؤدي بالتالي الى تخريب الحرب على الارهاب)) ، ويرى سكوكروفت ايضا ان ستراتيجية الإدارة في العمل بمفردها سيترتب عليها تكاليف مالية هائلة تفرض قيودا غير معقولة على الموارد المتوفرة للحملة العالمية لمكافحة ماسماه بالارهاب ، مشددا ان نتائجها في المنطقة ستكون رهيبة . وسينظر إلى واشنطن على انها تتجاهل مصلحة اساسية للمسلمين في العالم من اجل ارضاء مايعد في المنطقة مصلحة امريكية ضيقة ، وبالتالي فان مستوى الارهاب الذي يمكن ان يشهده الأمريكيون سيزداد بشكل كبير . ويرى سكوكروفت ايضا ان ثمة تكلفة مماثلة من حيث الاهمية وهي التراجع الكبير في التعاون الدولي مع الولايات المتحدة ضد الارهاب . في المشاركة الفعالة في تبادل المعلومات الإستخبارية مع الولايات المتحدة عبر الحدود الدولية يعد عاملا اساسيا في أي حملة قائمة الهيمنة على ماسماه بالارهاب الدولي وان ذلك قد يتطلب اتصالات مفتوحة ودبلوماسية جيدة بين الحكومات على المستويات البيروقراطية كافة . من ناحية اخرى ، دعا الرئيس بوش وزراء خارجية ودفاع جمهوريين وديموقراطيين سابقين الى البيت الابيض لمناقشة ستراتيجية حكومته بعد احتلال العراق لتحقيق النجاح فيه وذلك في ٦ كانون الثاني ٢٠٠٦ ، لسماع ارائهم حول ذلك ، ووزراء الخارجية السابقون الذين شاركوا في الاجتماع هم : كولين باول ومادلين اولبرايت ولورنس اغلبيرغر وجيمس بيكر وجورج شولتز والكزاندرهيغ ، اما وزراء الدفاع السابقون الذين شاركوا في الاجتماع فهم : وليام كوين ووليام بيري وفرانك كارلوتشي وهارولد براون وجيمس شلزنجر وملفن لايرد وروبرت ماكنمارا . اشار الرئيس بوش في هذا اللقاء : ان لدى الولايات المتحده ستراتيجية ذات شقين في العراق هما تشجيع عملية سياسية جامعة ، واعداد القوات العراقية ، وعبر بوش عن امتنانه للإقتراحات التي تم تقديمها في هذا الشأن ، ومدى جديته باخذ النصائح حول ذلك . وبعد حديث الرئيس بوش أعقبه تقرير عبر الفيديو من سفير الولايات المتحدة في بغداد ، فضلا عن ذلك ، وزع الموظفون لدى الرئيس كراسا يعرض اقتباسا متفائلا عن العراق نقلا عن نائب الرئيس تشيني ، ومجموعة من الأحاديث التي تشير إلى المكاسب الامنية والعسكرية التي تم إنجازها من الولايات المتحدة ، وتقرير قدمه القائد العسكري الامريكي في العراق . ناقش وزراء الدفاع السابقون – وهناك الكثير منهم وصولا إلى روبرت مكنمارا – التكتيكات العسكرية مع الرئيس ، وعبروا عن قلقهم بشأن تأثير الانتشار الطويل في الخارج على القوات المسلحة الأمريكية . وقد تحدثت في الإجتماع وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق مادلين اولبرايت ، مشيرة إلى تراجع الموقف الأمريكي في العالم ، ومقدار تزايد صعوبة التعامل مع المخاطر في أماكن أخرى من العالم بسبب العراق . والحق ، يعد هذا الاجتماع تطورا جديدا في عملية صنع القرار خارج اطار مجلس الامن القومي الامريكي . ولكن من جانب اخر ، لم يستمر

النقاش حول موضوع العراق من المجتمعين الا لمدة عشر دقائق فقط ، مقابل عدة ساعات تم تخصيصها لسماع التقارير ليس الا، والحق ، لم يكن هذا الاجتماع اجتماعا جدا . علقت وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق مادلين اولبرايت على ذلك قائلة : " بتجاهل نصيحة الخبراء ، قامر الرئيس بوش بنجاح غزو العراق ، على الرغم من التعقيدات التي يشكلها الدين والتاريخ ، وغياب مبرر " الحرب العادلة " المقنع ، وما نتج عن ذلك من الافتقار إلى الدعم الدولي . ولتبرير الرهان ، بالغ في المخاطر التي تشكلها الحكومة العراقية والمنافع التي يحققها إقصاء صدام حسين . والأدهى من ذلك ، أنه وعد القوات الأمريكية بتقلص التهديد الإرهابي لأمريكا والعالم لحظة نزع سلاح صدام حسين " . وتبين في الواقع أن الغزو والاحتلال زادا ذلك الخطر " . راجع ستيفان هالبر التفرد الأميركي المحافظون الجدد والنظام العالمي ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٩٤ . والسيدة الوزيرة مادلين اولبرايت سيرة ذاتية ترجمة محمد توفيق البجرمي ، الحوار الثقافي ، لبنان ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص٤٠٣ . ومادلين اولبرايت بالاشتراك مع بيل وودوورد ، الجبروت والجبار تأملات في السلطة ، والدين ، والشؤون الدولية ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش . م . ل ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ١٦٩-١٧٠ . و

Charles W. Kegley, Jr. Eugene R.Wittkopf,World Politics Trend And Transformation,Fifth Edition, St.Martion Press,New York, ١٩٩٥ , pp.٥٤-٥٥ ,

Jean Edward Smith, George Bush s War, Henry Holt And Company, New York, ١٩٩٢, p. ١٧٣, ٢٤٢-٢٤٣. وبوب وودورد ، القادة ، ترجمة محمد مستجير ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٤٨٥ ، ٤٨٧ -٤٨٨ . وبوب وودورد ، خطة الهجوم ، ترجمة فاضل جتكر ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٤ ، ص١٣-٢١٩،٢١،١٤ .

انتقدت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين اولبرايت خلال زيارتها الى فرنسا في تشرين اول ٢٠٠٣ السياسة الخارجية الامريكية ، مشيرة ان الرئيس بوش والعاملين معه يمارسون سياسة خارجية ليست في صالح الولايات المتحدة ، ولا في صالح العالم . راجع : ديفيد فروم ، ريتشارد بيرل ، نهاية الشر كيفية الانتصار على الإرهاب ، ترجمة فؤاد السروجي ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ٢٠٠٤ ، ص١٢ .

وفي هذا المجال يقول فرانسيس فوكوياما في عام ١٩٩٢ :إن الأمم المتحدة نافعة تماما كأداة لاحادية القطب الامريكي ولعلها تكون بالفعل الآلة الرئيسة التي ستمارس من خلالها احادية القطب هذه في المستقبل .راجع نعوم تشومسكي ، الهيمنة أم البقاء السعي الأميركي إلى السيطرة على العالم ، ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص٤٠ .

والحق، قرر الكونغرس الامريكي في العام ٢٠٠٢ بعد مناقشات مستفيضة اطلاق يد الرئيس بوش الابن للشروع في عمل عسكري ضد العراق بتفويض من الامم المتحدة او بدونه ومن غير الحاجة الى الحصول على الموافقة الثانية من الكونغرس .ان الحملة الشعبية التي قادها الرئيس ودمج قضية الارهاب بعد تقييد الرئيس العراقي السابق صدام حسين بسلسلة من قرارات صدرت من مجلس الامن مع ادعاءه بأن العراق له ترسانة من اسلحة الدمار الشامل ،ادت الى تنازل الكونغرس عن حقه في اعلان الحرب، مما ادى في نهاية الامر الى عدم التوازن الدستوري بين المؤسسة التشريعية والمؤسسة التنفيذية .راجع: بريجنسكي، الاختيار السيطرة على العالم ام قيادة العالم" ، مصدر سبق ذكره ،ص ٢٢٦ . وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع : ميلان راي ، خطة غزو العراق، دار الكتاب العربي ، بيروت ،٢٠٠٣، ص ٢٨٦-٢٩٩ . وبوب وودورد ، خطة الهجوم، ترجمة فاضل جتكر ، مكتبة العبيكان ،الرياض ٢٠٠٤ ص١١-٤٢ .

وكما قال مسؤول أمريكي : (لا نريد التفاوض بشأن مشروع قرار ثان لأننا لسنا بحاجة اليه ... اذا شاء بقية المجلس أن يلحقوا بنا فقد نوافق على التوقف لبرهة وجيزة فقط ولكن لا شئ اكثر من ذلك.لقد ابلغ العالم بان واشنطن سوف تستخدم القوة بالشكل الذي ترتئيه،والمجتمع المجادل يمكنه ان يلحق بالركب وينضم

ان التوزيع الاساسي لاقتسام السلطات للمعاهدات يضع سلطة التفاوض عند الرئيس ولكن يتطلب ان يتم المصادقة على المعاهدة بوساطة ثلثي الاغلبية لمجلس الشيوخ. على السطح يظهر بان هذا التقويم يعمل بصورة جيدة فمن ١٧٠٠ معاهدة تم توقيعها من قبل الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة فقط تم رفع ٢٠ منها الى مجلس الشيوخ ولكن هناك بعض الاحصائيات البسيطة التي يمكن ان تودي الى استنتاجات خاطئة .

ان مجلس الشيوخ ، قد يرفض معاهدة لها نتائج كبيرة كرفضه عام ١٩١٩-١٩٢٠ لمعاهدة فرساي ورفضه عام ١٩٩٩ لمعاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية وسبب اخر ان الكونغرس له طرق بديلة للتاثير على المعاهدات من خلال رفضها فعلى سبيل المثال فانه يمكن ان يعرض

الى المشروع، ويتحمل العواقب التي ستنزل بمن ليسوا معنا وبالتالي فهم مع الارهابيين وفق الخيارين اللذين طرحهما الرئيس بوش) .

وفي هذا المجال ، قال مسؤول كبير في ادارة بوش في تشرين الاول ٢٠٠٢ :" لسنا بحاجة الى مجلس الامن اذا اراد المجلس ان يبقى ذا صلة ، فعليه الآن أن يمنحنا سلطة مماثلة لتلك التي اعطاها اياها الكونغرس،أي سلطة استخدام القوة كما نشاء ". وقد حظي هذا الموقف بمباركة الرئيس ووزير الخارجية كولن باول الذي قال يستطيع المجلس ان يفعل دائما مايشاء ، وان يجري مداولات اخرى لكننا نملك السلطة لفعل ما نراه ضروريا ".وقد وافقت واشنطن على التقدم بمشروع قرار إلى مجلس الامن (القرار الدولي رقم ١٤٤١)انما من غير ان تدع مجالا للشك في ان ذلك لا معنى له.وعلق مراسلون دوليون قائلين:"ايا تكن التفاصيل فقد اوضح السيد بوش بجلاء انه يعد القرار بمثابة التفويض الكامل الذي يحتاجه للعمل ضد العراق فيما لو تراجع السيد صدام حسين عما تعهد به".لقد كان في مقدور واشنطن ان تتشاور مع اعضاء مجلس الأمن الآخرين ، الا أنها لم تجد ضرورة لكسب موافقتهم".وصرح اندرو كارد رئيس هيئة موظفي البيت الابيض "للامم المتحدة ان تجتمع وتتناقش الا اننا لسنا بحاجة الى اذنها منهم .

وعقد الرئيس بوش وبلير ورئيس وزراء اسبانيا خوسيه ماريا ازنار من تاكيدهم في قاعدة عسكرية امريكية بجزر الآزور "باننا سنستخدم القوة ضد العراق في غضون اربع وعشرين ساعة وبدون مجلس الامن وكان هذا انذار لمجلس الامن – والا سوف نغزو العراق ونفرض نظام الحكم الذي نختاره من دون مصادقته عليه بمهمة المعلن وسوف نقوم بذلك حتما سواء اغادر صدام وافراد اسرته البلاد ام لا . وقال بوش "ان غزونا مشروع لان الولايات المتحدة تملك السلطة السيادية لاستخدام القوة في ضمان امنها القومي المهدد من قبل العراق بوجود صدام او بعدمه. وان الأمم المتحدة غير ذات صلة لانها لم ترتفع الى مستوى مسؤولياتها. وان الولايات المتحدة عازمة على تنفيذ مطالب العالم الدولية " راجع : نعوم تشومسكي ،الهيمنة ام البقاء السعي الامريكي الى السيطرة على العالم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣-٤٤ . لم يحصل الرئيس جورج بوش على موافقة الكونغرس في شن عدوان ضد العراق في عام ١٩٩٠ ، وعلى الرغم من تأييد الكونغرس في النهاية بقرار الرئيس بوش ، فقد اعلن الاخير قائلا : " انه كان سيهجم ويقاتل العراق سواء وافق الكونغرس ام لم يوافق " . راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٢.

يدور نقاش كبير حول منح تفويض للرئيس الأمريكي جورج بوش يمنحه حق شن حرب عسكرية ضد العراق ، مما يعني حسب رأي عضو الكونغرس الامريكي السابق بول فندلي تحويل رئيس الولايات المتحدة الى دكتاتورية بشكل رسمي ، راجع:

http/ www . Alagzeera . Net/programs / No ,١٩/١٠/٢٠٠٢,

وهنا لابد من التأكيد ، من أن الولايات المتحدة خاضت اكثر من ١٣٠ حربا ، الا أن خمسا منها تم اعلانها من قبل الكونجرس . راجع : فواز جرجس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠.

تجدر الاشارة في هذا المجال ، من أن الرئيس بوش الابن اعترف ولأول مرة بأن قرار الحرب على العراق أستند على معلومات إستخبارية خاطئة ، مشيرا أنه يتحمل مسؤولية شن الحرب على العراق .

تصبحة خلال المفاوضات من خلال مسؤولين رسميين (مجاميع مراقبة) التي غالباً ما ترافق مفاوضي قسم الدولة او قد يحاول الصاق ملحق لتغيير نقاط المعاهدات وبالتالي قد تصبح متضاربة لانها قد تتطلب اعادة فتح المفاوضات مع الدولة او الدول الاخرى.

ومن جانب اخر فان للرؤساء عدة طرق وستراتيجيات لتفادي او تحوير اعتراضات المجلس وبالذات فانهم قد يلجاءون لطرق غير المعاهدات مثل الاتفاقات التنفيذية لعمل الالتزامات الدولية ،الأتفاقات التنفيذية عادة لا تتطلب موافقة الكونغرس اصلاً تترك لموافقة الثلثين ، وعلى الرغم من الناحية النظرية ان الأتفاقات التنفيذية من المفترض انها تستعمل الشؤون الصغرى بين الحكومات مع ترك المواضيع الرئيسة الى المعاهدات ولكن لم يتم تحديد الخط بدقة بين الحدود.

فضلاعن ذلك ، فانه احياناً الإلتزامات السياسية الخارجية الاكثر أهمية تاتي من المعاهدات والاتفاقات الثنائية او التنفيذية او أي شكل قانوني او مكتوب اخر مثل تلك الالتزامات الاعلانية تاتي من الخطب والاقوال من قبل الرئيس ، وهذه كانت الحالة على سبيل المثال مع اعلان مونرو والتي بدأت من خلال حديث من قبل جيمس مونرو في عام ١٨٢٣ والذي اصبح حجر الأساس لسياسة امريكا الخارجية غربي خط الاستواء وكذلك اعلان ترومان ١٩٤٧ حيث يدعو اعلانه الى مساندة الناس الاحرار الذين يقاومون محاولات القمع من الأقليات المسلحة او من خلال الضغوط الخارجية الذي اصبح اساساً لستراتيجية الإحتواء في الولايات المتحدة الأمريكية خلال عقداً من الزمن بين ٤٠ - ٥٠ سنة[١].

ليس كل ممثلي الفرع التنفيذي لهم ادوار رئيسة في السياسة الخارجية ،إذ يبقى الرئيس في الولايات المتحدة الشخص الأساس المتخذ للقرارات ، والحق ، أن هذا يتوقف على جملة عوامل ، يمكننا إيجازها في الآتي :_

١- خبرته في السياسة الخارجية ، التي يترجمها في مكتبه ،وعليه نرى ان الخبرة عند الرئيس جورج بوش كانت عاملا دفع له في البيت الابيض من خلال عمله رئيساً للمخابرات المركزية الأمريكية ، وسفيرا في الامم المتحدة ،ومدير مكتب CIS في الصين،وهذا ما يدفعنا ايضاً العودة الى خبرة الرؤساء في القرن الثامن عشر والعشرين ،اذ كانت لهؤلاء خبرة مستديمة في السياسة الخارجية . فأربعة من أول ستة رؤساء قد خدموا سابقاً في وظيفة سكرتير الدولة امثال:توماس جيفرسون وجيمس مونرو وجون كوينسي ادام.الى جانب هذا كان هناك رئيسان آخران في القرن التاسع عشر وهما: مارتن فان بورن وجيمس بوكنان ولكن لا يوجد الان رؤساء يتسمون بهذه الصفة. ومن بين سبعة قادة عسكريين ، اصبح واحد منهم رئيساً للجمهورية وهو دوايت ايزنهاور في القرن العشرين،اما في القرن الثامن عشر فنكون امام جورج واشنطن ، وفي القرن التاسع عشر فلنا تجربة اندرو جاكسون ووليام هنري هاريسون وزاكاي تايلور ويوسلوس كوانت وبنيامين هايسون.والعديد من الباحثين يعزون الى بعض معضلات السياسة الخارجية لكل من رونالد ريغان وبيل كلينتون اذ كانت لهما خبرة اولية سابقة في السياسة الخارجية .

---

[١] Bruce W. Jentleson, American Foreign policy The Dynamics of choice in the ٢١ st Century , printed in the United States of America ٢٠٠٠,pp.٣١-٣٠

٢- العامل الثاني الذي له دور في عملية صنع القرار ، يكمن في صفات الرئيس كشخص مثل أي انسان له مسيرة في الحياة ، وعلى الرغم من ان الشخصية نادراً ما تكون المحدد الرئيس للسلوك، فانها في بعض الحالات لها تأثير كبير عليه .ان عدم رغبة الرئيس ودروولسن التفاهم مع اعضاء مجلس الشيوخ على معاهدة فرساي انما يعزا الى اعتداده الشخصي مع سمات شخصية اخرى.

أن شخصية نيكسون قد اثرت بصورة واضحة على سلوكه الخارجي ولا سيما في قضية فيتنام راعى نيكسون الخصوم كونهم اعداء ، والانحناء السياسي عنده يعد اهانة شخصية ، فضلاً عن الحاجة الملحة لمفهوم الامن.هذه الصفات الملحة عنده ابقت نيكسون على جهوده في حرب فيتنام، على الرغم من معرفته ، لخفاق ذلك، ونزعة الخوف التي لاحقته دفعته وضع ذلك:أي وضع اعداد الحرب على لائحة الاعداء ، وتوظيفه وكلاء CIA السابقين للعمل بالسر والكتمان كعامل مجار،ومثل هذه التصرفات المدمرة للشخصية في الأساطير الإغريقية القديمة قد أدت الى سقوط نفسه عبر فضيحة ووترغيت.

وفي هذا المجال ، يقول روبرت جيفرسون"انه من المستحيل عادة تفسير القرارات الحسمة بدون الرجوع الى معتقدات وافكار صانع القرار حول العالم وتصوره نحو الاخرين"[١] .

والحق ، ان هناك مجموعة من الاسباب ، التي ادت الى سمو المؤسسة التنفيذية على الكونغرس في الولايات المتحدة ، يمكننا ايجازها في الآتي :

١- تحتكر المؤسسة التنفيذية في الولايات المتحدة جميع المعلومات الخاصة في القضايا الاستخبارية والدبلوماسية والدفاع والتجارة .

٢- ان القضايا الخاصة بالتجارة الدولية ، ومعرفة التاريخ الدبلوماسي ، والامور الخاصة بالشؤون الثقافية والعسكرية بحاجة الى معرفة تخصصية نوعية ،وفي هذا المجال فان المؤسسة التنفيذية لها القدرة في كيفية الوصول اليها .

٣- قدرة المؤسسة التنفيذية في اتخاذ القرار ولاسيما في مجال الأمن القومي وبدون التشاور مع الكونغرس ، وهناك امثلة متعددة تعزز هذا الرأي ففي الرابع من حزيران عام ١٩٥٠ قرر ترومان مستخدما سلطته الطارئة لمساعدة كوريا الجنوبية ضد كوريا الشمالية بدون استشارة الكونغرس ، دخول ايزنهاور في عام ١٩٥٤ بالتزامات كبيرة مع حكومة ديام في فيتنام بدون استشارة الكونغرس ، ابرام كينيدي اتفاقية امنية مع لاوس بدون معرفة الكونغرس وقيام جونسون في ربيع عام ١٩٦٥ بارسال ٢٢,٠٠٠ جندي أمريكي الى جمهورية الدومنيكان دون موافقة الكونغرس ، واستمرار نيكسون على غزو كمبوديا عام ١٩٧١ ، والتجنب في التشاور مع الكونغرس في المشكلات الخاصة بالحرب ، وتخطيط

---

[١] Lbid. ,p.٢٨

كارتر في عام ١٩٨٠ بعملية كبيرة لإنقاذ الرهائن الأمريكان في طهران من دون اعلام المؤسسة التشريعية [1].

يتضح مما تقدم ، ان المجتمع المعاصر هو مجتمع يتصف بالجماهيرية ، وذلك بالكثر من معنى واحد تسيطر عليه من ناحية فكرة الرجل العادي الذي له معرفة وادراك بما يحيط به، وخضوعه لنظام سياسي قائم على سيادة الكم على الكيف ، ويقوده قائد يعبر عن الوعي الجماعي اكثر من تعبيره عن النبوغ الفردي ، وقد ادى هذا الى انهيار الحواجز بين السياستين الداخلية والخارجية ، وكان من نتائج ذلك ان ادى الى خلق أزمات قومية ومن خلال الملاحظات الآتية :

١- بدأت السياسة الخارجية تؤثر على السياسة الداخلية ، او بتعبير آخر بدأ هذا العامل من تأثير عكسي للعوامل السابقة ، فالقائد الجماهيري الذي يحاول استمالة تأييد الخاضعين له، يعمل جاهداً ومن خلال فوز خارجي في قضية من القضايا الى تعظيم انتصاراته للحصول على التأييد الشعبي ، وقد اسهمت عوامل محددة على ذلك ، ويمكننا ايجازها في:

I) ان النظام السياسي الداخلي قد لايسمح بخلق عملية توفيق مع متطلبات السياسة الدولية في عالم اليوم .

II) سطحية المعلومات لدى الرأي العام المحلي وتكوينه الجماهيري تدفعه بان لا ترى المخاطر الكامنة حوله ، وهي ليست على استعداد لان تصغى الى غير ذلك الذي يكون صانع القرار مصدر هذه المعلومات ، ومن هنا نستطيع ان نقول ان سعي القيادة الجماهيرية في ان تشكل السياسة الخارجية على اسس من معايير السياسة الداخلية ، هي من ضمن خصائص دول العالم الثالث ، التي تتميز بعدم التوازن وحالة القلق في السياسة الخارجية ، لأن مثل هذه الدول تتبنى مواقف قد تتسم بالنقيض ، واتخاذ قرارات تتحكمها اعتبارات الساعة والأهداف المؤقتة التي في الغالب تكتنف بالزعيم الملهم او بالطبقات الحاكمة او مستشاريهم .

٢- أسهمت الظاهرة الجماهيرية للمجتمع المعاصر الى هيمنة الجوانب الاقتصادية ومن نوع معين في السياسة الخارجية ، بسبب سيطرة الجانب الاستهلاكي على المجتمع المعاصر ، اذ يسعى هذا الجانب من اشباع حاجاته المادية الآنية التي تراود ذهنه وفي فهمه التقدم الاجتماعي والرخاء السياسي [2].

من كل هذا يتضح بان هنالك قول قديم (السياسات تقف عند حافة المياه) وبكلمات اخرى فان اعضاء الاحزاب والاختلافات السياسية الاخرى التي تميز السياسة الداخلية يجب اما

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٧٢-٧٣، وجود ، مصدر سبق ذكره ص١٢٩،١٣٣،١٢٦ ؛ تجدد إهتمام الكونغرس خلال حرب فيتنام بتقيد سلطات الرئيس في مجال السياسة الخارجية وشن الحروب ، وتحدى الكونغرس خطوة خطوة سلطات الرئيس ، وبلغت ذروة هذا التحدي بقانون سلطات الحرب لعام ١٩٧٣ ، راجع : جود، مصدر سبق ذكره ، ص٢١٥.

دافع بول دوجلاس (من الحزب الديمقراطي عن تصرفات الرئيس بقوله : إن الحرب الحديثة تجعل التصرف الفوري امراً ضرورياً وهو نوع التصرف الذي لايمكن ان يمارسه الكونغرس واضاف : " مع استخدام الدبابات والطائرات والقنبلة الذرية فان الحرب يمكن ان تحدث فور اللحظة ، ويمكن ان تقع كارثة بينما يجتمع الكونغرس ويتباحث " ، راجع : جود ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٧.

[2] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥ .

تجاهلها او تركها عند حافة المياه.عند الدخول في معمعة السياسة الخارجية وذلك لكي يتوحد البلد لمواجهة التحديات الخارجية.

والمثال الاكثر تقييماً من قبل المحللين لهذه الفكرة هو وقائع العهد المبكر للحرب الباردة التي كانت العهد الذهبي للشراكة الحزبية" وهنا كما صورها كتاب مهم بعنوان" قصة الديمقراطية في افضل حالاتها"عندما يعمل الجناح التنفيذي للحكومة ابعد بكثير من الحدود والحواجز الطبيعية للسياسة الحدية والكونغرس ابعد من هذه الحزبية الاعتيادية ،والامريكيين كمجموعة واحدة ابعد من الانانية والتنافس ، وكل هذه الاطراف الثلاثة تعمل معاً لاكمال قبول الامة بالمسؤولية على العالم، وهذا ما يفترض ان تكون عملية السياسة الخارجية بأنها تسير وفق سياسة ما تسمى بحافة المياه [1] .

وباعتبارات ثلاثة رئيسة فان هذا الاعتبار بان السياسة تقف عند حافة المياه هي اسطورة يجب التخلص منها:-[2]

اولاً : وبصورة تاريخية فان الإعتبارات الداخلية التي تميز عهد الحرب الباردة هي استثناء وليست قاعدة فان النظرة العامة بان السياسات الانقسامية الخارجية قد بدأت مع حرب فيتنام ولكن على الرغم من ان فيتنام ثم تقسم احساسات الحرب الباردة فانها كانت وبالكاد اول مرة التي لم تقف فيها السياسة الخارجية عند حافة المياه..وفي السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية فان الرئيس فرانكلين روزفلت كانت له معركة سياسية شديدة مع الكونغرس المنعزل.

وفي السنوات التي تبعت الحرب العالمية الاولى فان الرئيس ودرو ولسن عانا من واحدة من اسوأ الخسارات في السياسة الخارجية على الاطراف عندما رفض مجلس الشيوخ التوقيع على معاهدة فرساي.

وبإمكاننا العودة الى عام ١٧٩٤ والرئيس جورج واشنطن الاب وصراعه مع الكونغرس على المعاهدة مع بريطانيا العظمى (معاهدة جاي) ان الجدل الشديد على المعاهدة المذكورة للتودد الى بريطانيا في حربها مع فرنسا كانت مقارنة مساوية إلى المعارك السياسة الحالية. وان مجلس الشيوخ وقع على المعاهدة ولكن بفارق صوت واحد فقط و بالتاكيد فان نقاشات معاهدة جاي كانت عاملاً رئيساً في قرار الرئيس واشنطن بالتقاعد لـ مونت فيرنون بدلاً من الحصول على تجديد لمرة ثالثة للرئاسة.

ثانياً : ان الموافقة ليست دائماً شئ جيد انه من الأكيد ان تكون تقوية التضامن الوطني خلف سياسة الأمة الخارجية لكن الوحدة الوطنية شئ وتوحد الاختلافات شئ آخر والمثال الاكثر وضوحاً كان ضد الشيوعيين الذي اطلقه ماك كارثيزم في ١٩٥٠ والذي من خلاله تم اطلاق مصطلح الولاء على مسؤولي الدولة من الأساتذة والعلماء والمواطنين العاديين وقد تم تحريم الاختلاف كذلك خلال الحرب العالمية والتي كان فيها من المهم جداً الإتفاق الداخلي لغرض مواجهة تحديات الحرب ومع ذلك فان العديد من الامريكان قد دفعوا ثمناً قليلاً من الحريات الشخصية والحقوق الفردية خلال الحرب، ان قوانين معينة قد تم تمريرها خلال الحرب العالمية الاولى سمحت بمثل هذه الاجراءات التعسفية

---

[1] . Jentleson, Op. Cit.,p.٢٦.

[2] . Ibid.,pp.٢٦-٢٨.

مثل منع التسليم البريدي لاي مجلة تتضمن وجهات نظر منتقدة لجهود الحرب وكانت هذه التحديات عديدة، فخلال الحرب العالمية الثانية فان عقلية الامن القومي قد امتدت الى قمع ١٢١٠٠٠ أمريكي ياباني ووضعهم في معسكرات حجز على اساس اصلهم فقط.

ثالثاً : اختلافات السياسة الداخلية ليست دائماً ضارة للمواضيع السياسية الخارجية .فان بامكانها طرح افتراضات متبادلة لاطراف جدية ، فان الاختلافات والمفاوضات يمكن ان تفعل ذلك من خلال الاعتبارات للمواضيع فان بامكانها بدء مفاوضات بناءه حول السياسة التي تخدم المصالح الوطنية اكثر من أي شئ آخر، وكما كتب لي هاملتون رئيس هيئة لشؤون الخارجية السابق بان الجدال والتوتر البناء وأراء السياسة يمكن ان تجلب قرارات واعمال تمثل فرصة افضل لخدمة مصالح وقيم الامريكيين وكذلك مثال جيد على هذا متمثلاً بظهور الخلافات حول دور الولايات المتحدة بالمساعدة في استعادة الديمقراطية في الفلبين في منتصف الثمانينات حيث ان السياسة المفضلة من قبل رونالد ريغان هي الاستمرار بدعم الديكتاتور فرنيناد ماركوس حتى بعد ان اغتالت قائد المعارضة الديمقراطية بانكو اكينو وحتى بعد ادلة ثابتة على تفشي الفساد بحكم ماركوس ولكن الكونغرس الامريكي وبقيادة تحالف ثنائي بين الجمهوريين والديمقراطيين ، رفض ان يماشي الدعم غير المشروع او المشروط لماركوس حين دفع لمساندة القوات ما قبل الديمقراطية بقيادة كروزان اكينو ارملة المعارض المقتول، حيث تم استعادة الديمقراطية وجعلها حليف اكثر استقراراً للولايات المتحدة وقد لا يمكن تحقيق ذلك في أي حال عندما لاتكون الأمور جيدة وهي تأتي احياناً من معارضة موضوعات السياسة الخارجية المعاصرة.

وبالتالي فان حقائق السياسات الخارجية العملية التي يتم من خلالها عمل خيارات السياسة الخارجية فيها اكثر تعقيداً من الحكمة الاعتيادية.

يتضح مما تقدم : أن السياسة الخارجية تشمل غالبا الاحتفالية (المراسيم) ، وهكذا تسمح للرئيس ان يظهر في دوره كرئيس دولة ، ممثلاً للامة وتجسيداً للشعب . في هذه الأيام : أيام السياسة المتقززة ، وباختصار ، تبدو السياسة الخارجية وكأنها تسمح للرئيس بأن ينشيء تصوراً محبذاً بصورة غير متحفظة ، وأن واحداً لايمكن لاي ممثل سياسي اخر ان يشابهه [1].

وهذه النقطة واضحة في السياسة الخارجية الأمريكية ، اذ تسمح هذه السياسة للرئيس أن يبدو وكأنه بصورة حاسمة ، أن يعرض قيادة ، قادرة على اتخاذ موقف حازم فيها ، وأن يضع موافقة شخصية على السياسة الوطنية [2].

وفي الواقع ، يعد الرئيس الأمريكي المسؤول الاول عن وضع السياسة الخارجية ، ويخول الدستور لرئيس الجمهورية المبادرة ، في موضوعات السياسة الخارجية ولاسيما فيما تضمنته المادة الثانية منه . التي اشارت من ان رئيس الجمهورية هو القائد العام للجيش والبحرية الأمريكية ، وكذا لقوات ميلشيا الولايات المتحدة عندما يتم استدعاؤها للخدمة . وتمنح

---

[1] Stuckey , Mary E., " the Traps of power : The president , Foreign Policy , and the paplic " . Wirld Affairs , Vol.١١١ , Issue , Winter / Spring ١٩٩٦, P.٢٩٦.
[2] Ibid .,

الفقرة الثانية من المادة نفسها سلطة عمل "الإتفاقيات وتعيين السفراء والوزراء والقناصل وغيرهم من المسؤولين وإن كان ذلك مشروعاً بالحصول على مشورة وموافقة الكونغرس . على ان رئيس الجمهورية يتمتع بحق استخدام الفيتو ضد أي مشروع يوافق عليه الكونغرس ؛ وهذه الأداة يستخدمها الرئيس ضد الكونغرس عند اللزوم [1].

كل ذلك يعني بالطبع ، أن إدارة الرئيس في الولايات المتحدة للسياسة الخارجية تفعل شيئاً ، لكنها تفعل بطرق تفهم فقط للشعب بان الرئيس يقود كلاً من السياستين الداخلية والخارجية ، ان تعريف ما يؤسس قيادة ، في الفقه الأمريكي كيفما كان هو قابل للتطويع ، ويعتمد على كل من الظروف المحددة والافراد المشمولين [2].

ان دور الكونغرس الامريكي ، في استخدام القوات ما وراء البحار يبقى واحداً من اكثر المشكلات صعوبة في السياسة الخارجية . أن دراسة حالة البوسنة ، يمكن ان يساعدنا ان نفهم بشكل افضل كيف تفاعل الرئيس والكونغرس في المرة القادمة اذا ماواجهت الولايات المتحدة قراراً لأرسال قوات امريكية الى حالة خطر كامن ، من وجهات نظر صانع القرار [3].

حين اصبحت معاهدة السلام في البوسنة حقيقية في خريف ١٩٩٥ ، فإن ادارة كلينتون بينت بوضوح انها ستعمل من اجل دعم الكونغرس لارسال القوات ؛ قبل ذلك بسنتين قال الرئيس كلينتون انه سوف يعمل في الحصول على موافقة الكونغرس قبل ارسال القوات ؛ وحين كان القرار وشيكا ، مع ذلك ، فان الرئيس كلينتون ، مثل الرئيس بوش ، في العدوان على العراق عام ١٩٩١م ، اوضح ، انه سوف يرسل القوات الى البوسنة حتى في غياب الدعم من الكونغرس [4].

النزاع بين الرئيس الأمريكي والكونغرس ظهر واضحا في سلسلة من الاصوات المثيرة للجدل في مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ خلال تشرين الاول ، وتشرين الثاني وكانون الاول ١٩٩٥ . مجلس النواب صوت مرتين قبل اكمال اتفاقية دايتون . القرار الاول ، المصادق عليه بأغلبية كبيرة في أواخر تشرين الأول عشية محادثات السلام في دايتون ، بين اطراف مفاوضات السلام يجب ان لا يفترضوا ان تسهم قوات الولايات المتحدة في تنفيذ

---

[1] الدكتور حسين شريف ، مصدر سبق ذكره ، ص١٨.

[2] Ibid ., P. ٢٩٦.

المؤسسة التنفيذية ، عادة لها وظائف ترتبط بالتنفيذ ، والأداة التنفيذية ، تعد في مكانة القيادة في اطار النظام السياسي ، فقد يتولى قادة مثل لينين ومصطفى كمال اتاتورك ، وروزفلت ، وديغول وريغان واديناور مهمة رئاسة المؤسسة التنفيذية ، وتضفي نشاطهم ، وأفكارهم وتصوراتهم على النظام السياسي قدرة على التكيف والاستقرار .. راجع :

Almond , Gabriel A., and Powell Jr ., G. Bingham , Comparative Politics Today A Wirld riew , print in UAS, ١٩٨٨ , P.١١٣ .

[3] Hamition , Lee " Congress and Foreign Policy ; the Case of Bosnia " , World Affaris , Vol.١١١ , Issuel , Winter / Spring ١٩٩٦ , P.٢٩٩,

[4] Ibid ., P.٣٠١.

الاتفاق ، وان قوات الولايات المتحدة يتوجب ان ترسل فقط اذا اعطى الكونغرس تفويضا مسبقا [1].

التصويت الثاني جاء بعد ذلك بثلاثة أسابيع ، وقت اكتمال محادثات دايتون تقريبا . كان هذا القرار ملزما في لغته : انه منع استخدام البنتاغون للأموال لأجل البوسنة الا اذا تم تخصيصها بصورة محددة لذلك الغرض [2].

والمثال على ذلك هو فعل الكونغرس الحالي حول استخدام ٢٠٠٠ – ٤٠،٠٠٠ من القوات الأمريكية في البوسنة كجزء من قوة تنفيذ السلام التابعة لحلف شمال الاطلسي IFOR . رغم ان الرئيس كلينتون قال انه رحب بدعم الكونغرس لمبادرته ، الا انه بين بوضوح ، كما فعل سابقوه المقربون رونالد ريغان وجورج بوش ، انه لم يؤمن بان تفويض الكونغرس كان ضروريا وان استخدام القوات كان سيتم مع أو بدون مثل هذا التخويل [3].

١- في بداية الحرب الباردة ، بعد ان عم السلام العلاقات الدولية ، طالب ترومان من اعضاء الكونغرس الأمريكي بتقديم المساعدة العسكرية والاقتصادية لليونان وتركيا لوقوفهما ضد التهديدات الشيوعية ،وخلالها صوت كل من العضوين جون كيندي ونيكسون لصالح مناشدة ترومان . وعلى الرغم من صعوبة التصويت من الناحية السياسية للعضو جون كيندي لان الديمقراطيين في مقاطعة ماسوشوست وهي مسقط رأسه إذ ان الرأي العام فيها يعارض اية مساعدة عسكرية ؛ أما فيما يخص نيكسون ، فان كاليفورنيا وهي مسقط رأسه والرأي العام هو الاخر يعارض أي نوع من المساعدات الخارجية . وفي هذا المجال يقول نيكسون : " .. أن تصفية اعظم حركات سواكننا الداخلية وكانت اسمى من الساسة الموالين ، أنها هزيمة الشيوعية ،ونحن بما فعلناه قد مددنا يد العون واطلقنا عنان مساعي الحزبين معا لتكبح جماح الحوان الشيوعي في اوروبا الغربية على مدى اربعة عقود من الزمن ولتوحد الامة في قضية جليلة [4].

---

(1) Ibid., P.٣٠٢

انهت إتفاقية دايتون الحرب الدائرة في البوسنة ، حيث أنها فتحت المجال لقوة حفظ سلام تحت قيادة حلف الشمال الأطلسي ، وقد أكدت هذه الاتفاقية مبدأ البوسنة الموحدة ، ومن جانب آخر ، حددت الإتفاقية مجموعة من الأهداف تركزت حول "الإنتخابات ، وأعادة اللاجئين ، ووحدة الدولة ، والحق تم رفع العقوبات المفروضة على يوغوسلافيا (صربيا والجبل الأسود) عندما أجريت الإنتخابات في البوسنة بعد سنة من اتفاقيات دايتون . ومع ذلك احتفظت ادارة كلينتون بعقوبات ثنائية من أجل الضغط على ميلوسوفيتش للرضوخ لإتفاقيات دايتون والتعاون مع محكمة جرائم الحرب و والأمتناع عن سياسة العنف في كوسوفو . على الرغم من ذلك فان ميلوسوفيتش لم يرضخ لأي من هذه المعايير . ولم يتم رفع العقوبات الأمريكية الابعد أرغامه من الشعب الصربي الذي ادى الى خروجه من السلطة في عام ٢٠٠٠ . تجدر الإشارة في هذا المجال ، في أن الجنرال ويسلي كلارك القائد الأعلى لحلف شمال الأطلسي كان له الدور الكبير في مفاوضات دايتون . راجع :السيدة الوزيرة مادلين اولبرايت سيرة ذاتية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٥،٢٨٤ – ٣٨٦ ، ٣٩٤ .

(2) Ibid.,

(3) Feingold , Russ , " The Rule of Congress in Deploying U.S. Troops Abroad " , World Affairs , Vol. ١١١ , Issue١ , Winter / Spring ١٩٩٦ , P.٣٠٥.

(4) ريتشارد نيكسون : ماوراء السلام ، ترجمة مالك عباس ، الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ١٩٩٥ ، ص٢١-٢٢.

٢- وكان هناك اعتقاد من قبل الرأي العام الامريكي ، أن انتهاء الحرب الباردة اسهم في حل مشكلات السياسة الداخلية الامريكية ، الا ان ذلك قد ادى الى عكس ذلك لان نهاية الحرب الباردة قد ادت الى زيادة تلك المشكلات ، واصبح الامريكان كما يقول نيكسون يتحدون ضد التحديات الخارجية والاختلاف ضد التحديات الداخلية والحق ان السياسات الداخلية والخارجية توأمان متلاصقان لا يعيش احدهما دون الاخر . وفي هذا المجال يقول نيكسون : " .. الشعب الأمريكي لن يساند سياسة خارجية قوية مالم يكن اقتصاده الداخلي قوياً ، وكما تعلمنا من حقبة الثلاثينات فان الاقتصاد الضعيف لن يقود الا لسياسة خارجية ضعيفة ذات عواقب وخيمة وليس من قبيل الصدفة ان يتسلق الى السلطة في اوربا الفاشيون بسبب الكساد الذي فاقمه سياستنا التجارية قصيرة الأمد .. "[1].

وعلى الرغم من كل المحاولات لم يتم لحد الآن التوصل الى جواب محدد للسؤال عن المنحى التشريعي والتصميمي للعلاقات بين الرئاسة والكونغرس في صنع السياسة الخارجية . ان التشريع في المعنى التقليدي يعد قديماً ودعوة للصراع للحصول على امتياز ادارة او توجيه السياسة الخارجية الامريكية[2] .

وبالتاكيد وعلى الرغم من اننا عادة تعودنا ان نفكر على مدى العلاقة بين الرئيس والكونغرس إلاانه في واقع الأمر تعد هذه المؤسسات منفصلة.

أن فصل السلطات سوف يعني ان الرئيس له القوة A والكونغرس القوة B والرئيس القوة C الخ ... ولكن العلاقة الفعلية هي اكثر من ذلك حين يتشارك كل من الرئيس والكونغرس بالقوة A ومشاركته بالقوة B الخ...[3] .

القادة بالطبع قد دخلوا كذلك وبخاصة عندما يكون هناك حكومة مقسمة حيث يسيطر حزب سياسي واحد على البيت الأبيض والاخرى على الاغلبية في واحد او كلاهما على البيت الابيض والكونغرس ، وبالاساس فان ديناميكية القوى هي تركيبية وهذه العلاقة التركيبية الاساسية واضحة في خمسة مناطق رئيسة كمسلمات السياسة الخارجية (انظر ديناميكيات الاختيار ادناه)[1] .

تقسيمات السياسة الخارجية الاساسية للدستور (التشريع) (*)

القوى	الكونغرس	الرئيس
سلطة الحرب	التزويد للدفاع العام واعلان الحرب	القائد العام للقوات المسلحة
المعاهدات	التصديق على المعاهدة بثلثي الاغلبية(الشيوخ)	التفاوض/المعاهدات
التعيينات	قبول تسمية الرئيس للأعضاء مجلس الشيوخ	تسمية مسؤول الدولة الأعلى
التجارة	سلطة مطلقة لتحديد التجارة الخارجية	ليس له سلطات مطلقة
السلطات العامة	سلطة تشريعية سلطة الاقناع والاشراف والتحقيق (الفحص)	التفاوض وتعيين المسؤولين الفيتو/السلطة التنفيذية

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

[2] Jentleson , Op . Cit . , P . ٢٨ .

[3] Ibid . , P . ٢٩ .

[4] Ibid . , PP . ٢٨ – ٢٩ .

[5] Ibid . , P . ٢٩ .

من هذا المنطلق ، يمكننا أن نحدد موضوع سلطات الحرب في العلاقة بين الـرئيس والكونغرس حيث لم يتم الخلاف او النقاش على منطقة من سياسات السياسة الخارجية اكثر من سلطات الحرب حيث أن الدستور عين الرئيس كقائد مسؤول ولكن اعطى الكونغرس الـسلطة لإعلان الحرب وتوفير الدفاع العام وهذه ليست فصل للسلطات ولكن كل منهما له حصة فـي السلطة نفسها[1] .

كلا الجانبين يساندان دعواتهما لاسبقيتهما وحصتهما في سلطة الحرب مع مقـاطع او تعاريف من مؤسسي الامة ،حيث أن دعاة الرئاسة تدعو للمنطق المطور المطروح مـن قبـل الكسندر هاملتون في اوراق الفيدرالية بان الحاجة لسياسة خارجية فعالة كانت من احـدى اهـم الاسباب التي تجعل الامم الفتية بحاجة الى حكومة فعالة.(اللائحة الفيدرالية رقم ٢٣) بان القوة في التنفيذ كانت صفة رئيسة في تعريف الحكومة الجيدة.(اللائحة الفيدرالية رقم ٧٠) وانه فـي حالة اجراء حرب فان قوة التنفيذ هي دعامة لامن الدولة (اللائحة الفيدرالية رقم ٧٥) [2] .

أما دعاة الكونغرس في الجانب الاخر فانهم يؤشرون إلى بـدايات المـؤتمر التـشريعي الدستوري مع مقدمة جيمس ماديسون والكلمات الاصلية للدستور المفروض والذي قد اعطـى الكونغرس السلطة لمنع الحرب والتي تم تغييره الى إعلان الحرب، وهذا قد تم تفسيره من قبل دعاة الكونغرس بانه يراد به للتمييز بين كيفية أستخدام القوة العسكرية (عمل الحـرب) وهـذا يعني سلطة القائد المسؤول وبين كيفية استخدام القوة العسكرية في (إعـلان الحـرب) كانـت للكونغرس واكثر من ذلك وكما اقر ماديسون برسالة الى تومـاس جيفرسـون (ان الدسـتور يفترض ما قد بينه تاريخ كل الحكومات بأن التنفيذ هو الفرع الاكثر رغبة بالحرب والاكثر جلباً لها)[3] .

وعلى الرغم ، من أن السوابق التاريخية تفضل جانب على الآخر فإن مـن الاحـصاءات المفضلة لخصوص سلطة الرئيس الحربية بأن اكثر من ٢٠٠ مرة أستخدمت الولايـات المتحـدة القوة العسكرية خمس مرات فقط للحرب عام ١٨١٢ والحـرب المكـسيكية ١٨٤٦-١٨٤٨ أو الحرب الامريكية الاسبانية ١٨٩٨ والحرب العالمية الاولى ١٩١٧ -١٩١٩ والحرب العالميـة الثانية ١٩٤١-١٩٤٥ قد تمت من خلال اعلان الكونغرس للحرب وربمـا خمـساً وثمـانين أو تسعين حالة اخرى (حرب الخليج ١٩٩١) قد كانت عبر بعض السلطات القضائية الاخرى كلها كانت تحت تصرف الرؤساء[4] .

هذه الإحصائية على الرغم من ذلك تعدّ مشكوكاً بصحتها نوعاً ما حيث ان العديـد مـن حالات التصرف الرئاسي على مسؤوليتهم قد تتضمن حالات التدخل العسكري الثانوي الذي يعدّ من مسؤوليات القائد الاعلى. والى جانب ذلك فأن المدافعين عن حصة الكونغرس لـسلطات الحرب يعترضون على هذا التقسيم[5] .

---

(1) Ibid ., P , ٣٠
(2) Ibid ., p , ٣٠
(3) Ibid ., P , ٣٠
(4) Ibid ., P , ٣٠
(5) Ibid ., PP , ٣٠ – ٣١

والحق ، إن سلطة إعلان الحرب من قبل الكونغرس كانت في قبضة " المجموعات غير المنتخبة " في الإدارة الأمريكية ، ولاسيما في حقبة إدارة الرئيس ريتشارد نيكسون ، فقد عقد هنري كيسنجر العزم بصورة سرية على توسيع دائرة الحرب الفيتنامية لتشمل دولاً مجاورة ، وأقدم على تضليل موظفي وكالة الأمن القومي التابعين له والذين استقال كثيرون منهم فيما بعد نتيجة لذلك ، كما أعطى عمداً معلومات مضللة لكل من وزيري الدفاع والخارجية الأمريكيين إزاء توسيع دائرة الحرب ، وكانت كل من لاوس وكمبوديا[1] ضحية لهذه القرارات[2] .

من هنا ، يمكننا تحديد مسؤولي السياسة الخارجية : وبصورة إعتيادية وكما تم في ديناميكيات الإختيار هي ان الرئيس يرشح او يسمي أعضاء مجلس الشيوخ وبأغلبية بسيطة تتم ترشيحات اعضاء الوزارة و السفراء، ومسؤولي السياسة الخارجية رفيعي المستوى، وفي مصطلحات الاحصائيات الخالصة فان معدل التاكيد لمرشحي الرئيس لمسؤولي السياسة الخارجية أعلى من نسبة ٩٠% ولكن هنا يجب علينا النظر الى ما خلف الارقام. وفي هذا المجال ينبغي التاكيد على حقيقتين جوهريتين[3] :

---

[1] إن عملية صنع القرار في البيت الأبيض تدار من قبل مجموعة من المسؤولين من غير المنتخبين ، وأن قرار غزو كمبوديا في شهر نيسان عام ١٩٧٠ (أشار كيسنجر في آذار ١٩٧٠ بقصف كمبوديا سراً أملاً أن يمكن من الاستيلاء على مركز قيادة عمليات الشيوعيين في فيتنام الجنوبية المعروف باسم Cosvn وبعد ١٠٤٥ غارة شنتها الطائرات المقاتلة الأمريكية وألقت خلالها ١٠٨٨٢٣ طناً من القنابل ، منيت المهمة بالفشل الذريع) قد يؤكد صحة هذا القول ، فلم يقتصر الأمر على شن حرب على دولة أخرى ، ولكن كانت هناك تصريحات وأقاويل صيغت ونشرت بصورة متعمدة لتضليل الرأي العام الأمريكي ، وفي هذا السياق كتب والتر ايزاكسون Walter Isaacson في كتابه " كيسنجر سيرة ذاتية " ، قائلاً : " إن دولة في تاريخ الحضارة الانسانية لم تتحمل جحيما كالمحرقة التي اجتاحت كمبوديا خلال السبعينات ، إن عبء المسؤولية يقع في المقام الأول على الخمير الحمر القتلة الشيوعيين الذين امسكوا بزمام السلطة ، ولكن إيجاد حقول ومجالات لممارسة القتل كان له أكثر من سبب ، وقد اسيلت من الدماء ما يكفي لتلطيخ أيد كثيرة ، إلى جانب اللائمة الذي يمكن أن ينحى على الولايات المتحدة وعلى كيسنجر لا يتأتى من اقدامها على هذه الحرب بنية غادرة ، ولكنه ناجم عن قلب متحجر ونظرة قاسية جعلت ما تصورته الولايات المتحدة احتياجات لها في فيتنام أعلى منزلة وأكثر أهمية من مصالح دولة جارة ضعيفة " . راجع : عبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٩ – ٣٢٠ .

[2] وعندما استقال بعض من موظفي كيسنجر إحتجاجاً على قراره توسيع الحرب في كمبوديا ، وجد الكثيرون من هؤلاء أن هواتفهم قد وضعت تحت المراقبة السرية للتأكد من أنهم لن يبادروا بأية وسيلة من الوسائل إلى فضح هذه الأعمال وإطلاع الرأي العام عليها ، وكان مورتون هالبيرن Morton Halperin من الأشخاص ذوي الأهمية لسياسة كيسنجر في فيتنام وكمبوديا ، وبعد أن استقال تعبيراً عن احتجاجه ، اكتشف أن هاتفه قد وضع تحت المراقبة والتجسس لمدة ٢١ شهراً ، وأوضح هالبيرن أن استمرار خرق القوانين والإعتياد عليه في الدول الأجنبية سيجعل من خرق القوانين عادة طبيعية ، ولذلك فإنه يجري خرق القوانين حتى في داخل الولايات المتحدة ، أي أن القوانين تخترق وتنتهك في عقر دارها ، ويصبح خرق القوانين عادة سارية ، تم إتخاذ قرار بغزو دولة أخرى دون موافقة الكونغرس ووزيري الخارجية والدفاع وموظفي مجلس الأمن القومي الذين استقالوا على هذا القرار وهم : واتس Watts ، وليك Lake ، وموريس Morris ولين Lynn ، وبناء على طلب البيت الأبيض ، وضعت هواتف هؤلاء تحت المراقبة من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي . راجع : عبد الحي يحيى زلوم ، نذر العولمة ، مطبعة الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٩ ، ص ١٥٣ – ١٥٤ ، ٢٣١ .

[3] Gentlesson , P . ٣٢

أولاً : ان هذه الارقام لا تشمل الترشيحات العددية قبل الاقتراع عليها حيث عندما يرجع مساعدو الكونغرس تثبيت الابيض من الكابيتول هل ويقولون ان " عند التصويت لا يبشر بخير فان الرئيس غالباً ما يفضل اجتناب الإحراج ويسحب الترشيح، وهذا حصل مع الرئيس جيمي كارتر في عام ١٩٧٧ عندما كان مرشحه الرئيس كمدير لوكالة المخابرات المركزية (ثيودور سورينسن) قد قوبل بمعارضة قوية في الكونغرس ، وكذلك مع الرئيس كلينتون في ١٩٩٧ مع مرشحه كمدير لوكالة المخابرات المركزية انتوني ليك.

ثانياً : وبصورة دقيقة بسبب انه في الأغلب افتراض بانه سوف يتم تأكيد المرشحين وعندما لا يحدث ذلك فان التأثير السياسي قد يكون مستتيما.وهكذا او على سبيل المثال في عام ١٩٨٩ قد تم اعطاء اهتمام اقل بكثير الى كل من ترشيحات ادارة بوش الاخرى للخارجية بالمقارنة مع حالة واحدة للسناتور السابق جون تاور مرشح بوش لسكرتارية الدفاع والذي انتهى بالتصويت ضده . مجلس الشيوخ قد ترك ايضاً علامته على بعض المرشحين حتى في عملية تأكيدهم وهذا كان مصير وليام كولبي المقبول كمدير لوكالة المخابرات المركزية للرئيس نيكسون عام ١٩٧٣ بخصوص المجادلات على فيتنام والعمليات السرية CIA وكذلك باول ارنكي اختيار كارتر كرئيس لوكالة نزع السلاح وضبط التسلح الذي تم وصفه من قبل المعارضين بانه رد وديع جداً ولم يتعاف أي واحد من هؤلاء المسؤولين من جراح معارك تأكيد ترشيحهم.

وعلى اية حال ، فانه هذه التقسيمات جميعاً تطبق على مسؤولي السياسة الخارجية الذين لا يتطلبون موافقة مجلس الشيوخ وهذا على وجه الخصوص يتضمن مساعدي الرئيس لشؤون الامن القومي حيث يدعون بمستشاري الامن القومي للاختصار وملاكات مجلس الامن القومي وكذلك فان مثل هذه الشخصيات الرئيسة في هذا المجال مثل هنري كسنجر وزبغنيو بريجنسكي اللذين عملا كمستشارين للأمن القومي للرئيس نيكسون وفورد وكارتر على التوالي لم يكونوا مختارين لموافقة الكونغرس على مركزهم ولكن عند ترشيح كيسنجر لسكرتير الدولة في عهد نيكسون احتاج الى موافقة مجلس الشيوخ الامريكي [1] .

أما فيما يخص الكونغرس ، فأن البروفيسور هينكين من جامعة كولومبيا " ذهب إلى حد القول بأنه لا يوجد جزء من السياسة الخارجية ليس عرضة للتشريع من قبل الكونغرس . قد يكون هذا التصريح غارقا في التعميم أو قد يحمل معنى المغالاة " إلا انه بدون شك ان المؤسسة التشريعية تعطي للكونغرس قدراً كبيراً من التأثير على السياسة الخارجية . ان التمييز الذي تم طرحه من خلال جيمس ليندس بين التشريع الإجرائي والتشريع الإستذاتي (المستديم) مفيد جداً لمعرفة بان الكونغرس له طرق عديدة لإستخدام نفوذه على السياسة الخارجية [2] .

---

[1] Ibid ., PP . ٣٢ – ٣٣ .

[2] يقول زبغنيو بريجنسكي في هذا المجال : " ولأن الكونغرس موجه للسياسة الداخلية أكثر من الماضي ، حيث أن جناح الجمهوريين الجدد ، تعد من أكثر المحافظين ، في حين كان الديمقراطيون في موقف التناقض حول الإلتزامات الخارجية منذ الحرب الفيتنامية ، إلى جانب هذا هناك أقلية تؤمن بالتدخلية ، لكن الراي العام المحلي ، وجل النخبة السياسية لاتولي أهمية لذلك ، حيث يقوم الرئيس الأمريكي بتخفيض ذلك . راجع : Brian Knowlton ,Set back for Clinton Raise Concern : If U.S Looks Inward , Then Whos to Blane ? International Herlad Tribune , June ١٨ , ١٩٩٨ , pp . ١٢٧-١٢٩ .

التشريع المستديم أو المتتابع يحدد السياسة العامة معطياً تفاصيل السياسة الخارجية .

أن معاهدة فرساي ١٩١٩ والموافقة على مشروع مارشال ١٩٤٧و معاهدة السيطرة على الأسلحة مع الإتحاد السوفيتي ١٩٧٢ والموافقة على اتفاقية التجارة الحرة لدول أمريكا الشمالية NAFTA ١٩٩٣ مثال على التشريع المستديم [١] .

والحق " يعد التشريع الإجرائي من أكثر الأمور أستقراراً " وعليه فإنه يتطلب شيئاً في غاية الإتقان والدقة ، فهو يتعامل في أكثر الأحيان مع الإطار العام للسياسة الخارجية ، وهذا يعني من جانب آخر " أنه لو أراد الكونغرس أجراء تغييرات في عملية صنع القرار " فبإمكانه تحقيق ذلك . مثال على ذلك : قرار حل سلطات الحرب الذي يشير إلى أعاد الشكل العام من حيث إصدار القرارات الخاصة بإستخدام القوة العسكرية وهذا يعني أن سلطات الحرب يشير إلى استخدام الفيتو التشريعي وهو أجراء يمكن فيه أن يتجاوز الكونغرس بعض الأفعال والسياسات التي أتخذها الرئيس عبر حل وليس عبر قائمة ما . والتباين الرئيس هنا " هو أن القائمة بصورة عامة أن توقع من الرئيس كي يغدو قانوناً " وبالتالي فأنها تمنح فرصة للرئيس لممارسة الفيتو وفي الواقع أن الحلول المقدمة من قبل الكونغرس ليست بحاجة الى ذلك ولهذا السبب بالذات فأن المحكمة العليا قد حددت وبصورة أكثر دقة ، إستخدام الفيتو التشريعي في قرارها لسنة ١٩٨٣ في قضية INS v.Chadha [٢] .

ومن بين السلطات الأخرى الممنوحة للكونغرس هي السلطات الرقابية (الإشرافية) والتحقيقية وبالأخص سلطاته المالية ، وبموجب ذلك أنه لا يمكن سحب أي مال من الخزينة عدا الإجراءات المعمولة من قبل وبوساطة القانون . وهذه السلطة تعطي للكونغرس نفوذاً مباشراً على القرارات المتخذة التي لها علاقة بالأنفاق من حيث نسبة المبالغ التي يتم أنفاقها وعلى ماذا يتم الأنفاق ؟ فضلاً من التحكم على الميزانية الكلية المرتبطة بوزارة الدفاع . وبموجب ذلك نرى أن الكونغرس يمكن أستخدم سلطاته التنموية بصورة مباشرة للتأثير على قرارت السياسة الأكثر أساسية مثل الشروط على كيفية إمكان وعدم إمكان صرف المبالغ على مشروع أو دولة معينة [٣] .

ومن ناحية أخرى ، سمح الرئيس الأمريكي جورج بوش الأبن لوكالة الأمن الوطني – التي من واجباتها الرئيسة ، مهمة مراقبة الأتصالات بالخارج – خلال عام ٢٠٠٢ بالتنصت على أتصالات هاتفية وألكترونية لمئات وربما الآف الأشخاص داخل البلاد ، بمقتضى أمراً وقعه الرئيس بوش عام ٢٠٠٢ ، إذن بمراقبة الأشخاص بدون ترخيص القضاء في أطار مكافحة ما يسمى الأرهاب بعد هجمات ١١ أيلول عام ٢٠٠٢ . دافع الرئيس بوش في خطابه الأذاعي عن هذا القرار ، واصفاً إياه بأنه كان أداة حيوية لحماية الولايات المتحدة من هجمات أخرى ، وأوضح أن قراره هذا كان دستورياً ، وخضع لمراقبة دقيقة من الهيئات القانونية . [٤]

---

[١] Jentleson , Op . Cit . , P . ٣٤ .

[٢] Ibid . , PP . ٣٤ – ٣٥ .

[٣] Ibid . , P . ٣٥ .

[٤] Http // WWW . Aljazeera . Net / News / Aspx / Print . Htm , ١٨/١٢/٢٠٠٥ .

وفي هذا المجال ، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز ، أنها لم تسرب هذا الخبر منذ سنة بطلب من البيت الأبيض الذي عد " أن الأرهابيين قد يستفيدون منه ، الأمر الذي قد يعقد في مكافحة الأرهاب " .[١]

وقد عد بعض المسؤولين في الإدارة الأمريكية ، أن هذا التصرف يعد تغييراً جذرياً في السياسة الحكومية ، لأن وكالة الأمن الوطني عادة لا تراقب سوى الأجانب ، وأن عمليات التنصت هذه قد تكون تجاوزت الحدود التي يسمح بها الدستور الأمريكي بشأن المراقبة لأسباب أمنية .

ولكن مسؤولين آخرين قالوا أن برنامج المراقبة هذا أتاح اكتشاف ما أسموه عدة مؤامرات إرهابية ، أحد أحداها أيمن فارس في عام ٢٠٠٣ ، الذي كان يعمل في ولاية أوهايو ، حيث ساعد تنظيم القاعدة في محاولة لتدمير جسر بروكلين في نيويورك .[٢]

ودعا الرئيس بوش ، في خطابه للكونغرس الأمريكي إلى تمديد العمل بقانون مكافحة الأرهاب المعروف بالقانون الوطني Patriot Act جاء ذلك بعد أن رفض مجلس الشيوخ تمديد العمل بالقانون الذي يتعرض لأنتقادات من المنظمات الحقوقية والمدافعين عن الحريات الفردية. وأشار زعيم الغالبية الجمهورية بيل فريست إلى أن عدم تمديد سريان القانون لا يعني سحب النص من التداول إذ أنه ما زال على جدول الأعمال ، دون تحديد تاريخ مناقشته . ورفض فريست أي تسوية ، مثل ابقاء القانون على حاله والتمديد له ثلاثة أشهر .

من جهة أخرى ، عد عضو اللجنة العربية الأمريكية لمناهضة التمييز كريم شورى رفض تمديد العمل بالقانون هزيمة للبيت الأبيض الساعي لحشد قوة كبيرة للتضييق على الحقوق المدنية . وعد شورى أن رفض تمديد العمل بقانون الوطنية يمثل خطوة من أجل حماية أكثر لحقوق الأنسان ، وفصلاً جديداً من فصول الأنتقادات الموجهة للبيت الأبيض بشأن سياسته الداخلية والخارجية .

على الرغم من هذه المداخلات التي جرت لمناقشة موضوع التنصت ، خرجت وزارة العدل من صمتها في نهاية الأمر قائلة : ((أنه من حق الرئيس بوش إصدار أوامر بالتنصت دون أذن المحكمة .)) ومن جانب اخر ، قلل الرئيس بوش من اهميةعملية المكالمات الهاتفية، مشيرا بانها تستهدف تنظيم القاعدة .

وفي خضم هذه التطورات ، اصدرت محكمة فيدرالية بولاية ميشيغن الامريكية في ١٧ اب ٢٠٠٦ حكما يقضي بعدم دستورية برامج المراقبة دون ترخيص التي تبنتها وكالة الأمن الوطني الأمريكية ، وردت وزارة العدل بالقول انها ستستأنف الحكم .

ويقضي الحكم الصادر ، والذي جاء في ٤٤ صفحة ، بأن برامج مراقبة الاتصالات الدولية ، بما فيها الهواتف والبريد الالكتروني ، التي تبنتها وكالة الأمن الوطني الأمريكية ، تنتهك حقوق الأفراد في التعبير عن ارائهم وفي حماية خصوصياتهم .

---

[١] Ibid.,

[٢] Ibid.,

وجاء الحكم رداً على قضية رفعها اتحاد الحريات المدنية الأمريكية وطالب فيها بعدم دستورية برامج التنصت التي تبنتها وكالة الامن الوطني للتجسس بدون اذن قضائي على المكالمات والرسائل الألكترونية الدولية بناءاً على قرار تنفيذي اصدره الرئيس جورج بوش وذلك على اساس ان هذه البرامج تعد انتهاكا للتعديلين الاول والرابع من الدستور الامريكي ، وانتهاكا للفصل بين السلطات .

وتتضمن قائمة المدعين في القضية المرفوعة كلاً من اتحاد الحريات المدنية الامريكية ، ومجلس العلاقات الاسلامية الامريكية (كير) وعدداً من المؤسسات والشخصيات التي تنتمي لتيارات فكرية وسياسية مختلفة داخل المجتمع الامريكي .

غير ان نائب الرئيس ديك تشيني[1] رد الهجوم على انتقاد سياسة الرئيس بوش بالقول (انها تبدو جيدة ، ولو فعلنا ذلك قبل ١١ ايلول ٢٠٠١ لكان بامكاننا مختطفين اثنين كانا في سان دييغو)[2] .

---

[1] ولد ريتشارد بروس تشيني في عهد ميلات روزفلت التاسع والخمسين ، ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١ . وهو أكبر ثلاثة أخوة . قضى أجداد ديك تشيني أول شتاء قاس على حدود ويومنغ (ولاية الكاوبوي) . ليس لشجرة عائلة تشيني أية جذور في ويومنغ ، فهو ينحدر من مهاجرين بريطانيين يعودون إلى حقبة البروتستانت المتزمتين ، الذي وصلوا إلى نيو إنجلاند باسم " تشيني " ، ولم يقم أجداد تشيني بهجرة رومانسية نحو الغرب إلى لينكولن ، نبراسكا ، حيث عملوا كأمناء صندوق بنكيين وموظفين حكوميين .

إن ديك تشيني ، يحب أن يستذكر أن رئيساً جمهورياً ، هو دوايت أيزنهاور ، هو الذي نقل عائلته إلى ويومنغ . عندما تولى أيزنهاور السلطة في عام ١٩٥٣ ، كأول رئيس جمهوري خلال عقدين ، بدأ تفكيك بطيء للبرنامج الجديد ، بدءاً بوزارة الزراعة . وكجزء من إعادة تنظيم الوزارة ، نقل والد تشيني غرباً إلى ويومنغ ، وهنا يقول تشيني : " لولا الإنتصار الجمهوري الكبير في عام ١٩٥٢ ، لما وضع قدماً في ويومنغ " . إرتحلت عائلة تشيني فجأة إلى كاسبر ، وهي مدينة في وسط ويومنغ ، احتضنت الضفة الجنوبية لنهر نورث بلاتي .

أحرز تشيني درجة البكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة ويومنغ في ١٩٦٥ ، وحصل على الماجستير في المجال نفسه بعد سنة ، ثم انطلق بها من ويومنغ ، وبعد العيش في الولاية ما يقارب عشر سنوات ، رحل عنها بصورة نهائية . لكن بمساعدة مورتون وماير وسيمبسون ، استطاع أن يعود إلى الولاية عندما احتاج إلى مقعد في الكونغرس ، أو إقامة قانونية لم تكن في تكساس . بعد أن ترك مجلس النواب في عام ١٩٨٩ ليخدم كوزير للدفاع في حكم هربرت ووكر بوش ، أصبح تشيني نائباً للرئيس جورج بوش الإبن في عام ٢٠٠٠ . كان تشيني ، حسبما قال المحلل البارز للسياسة الخارجية الأمريكية وصانعي السياسات والذي خدم كنائب مفيد في مركز الدراسات الستراتيجية والدولية جيمس مان " كان تشيني الشخصية المهيمنة في الحادي عشر من أيلول " . كان تشيني يقول للعالم : " لا تقلقوا فنّا أعرف ما يجري " . وكان الرئيس بوش يقوم بدور المرشح الدائم ، يتنقل في الولايات التي تشكل ساحات قتال بالنسبة له ، بينما كان تشيني يحكم البلاد .

قد يحمل جورج ووكر بوش لقب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، لكن الصلاحيات كانت وما زالت بيد تشيني ، وهو شخصية مبهمة قضى أفضل جزء من أربعة عقود يشتك ويبذره ، في هذا المعنى يقول أوليفر ويندل هولمز بأن " الجائزة الوحيدة التي يهتم بها الرجل القوي هي القوة " .

إن تشيني المولع بالبقاء وراء كواليس السلطة ، والذي كان يعبر عنه وكلاء الجهاز السري بالعباءة حتى انهم وصفوه ذات يوم بالمقعد الخلفي ، يملك سيرة ذاتية يمكن أن تؤهله ، وفق أي مقياس تقليدي ، للرئاسة : فقد عمل مساعداً لثلاثة رؤساء ، وكان أصغر رئيس لطاقم البيت الأبيض في التاريخ الأمريكي وثاني أقوى عضو في حزبه في مجلس النواب ، ووزيراً ، ومديراً تنفيذياً لأقوى شركة ذات إرتباطات سياسية .

تجدر الإشارة في هذا المجال ، أن تشيني قام باختيار جون بولتون ، وهو أعادي مولع بالقتال ، ليعمل كوكيل وزير الخارجية للحد من الأسلحة . راجع : جون نيكولز ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ ، ١٣ – ١٥ ، ٢٢ ، ٢٧ – ٢٨ .

[2] http://arabic.cnn.com/٢٠٠٦/world/٨/١٢/us.wiretapping/index.html.

ومن خلال هذا العرض ، يمكننا أن نقدم ملاحظتين حول مدى العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية [1] :

١- يمكن أن نرفض ببساطة مجرد اثارة التساؤل حول التسلسل الهرمي لكل من السياستين الداخلية والخارجية ، فنظرا لأن العلاقة بينهما تتم اساسا في صورة تفاعلات ، لذلك فان الظروف هي وحدها التي تحدد أولوية احداهما على الاخرى .

٢- ومن الملائم أن التركيز المبالغ فيه على السياسة الخارجية قد يؤدي الى اهمال السياسة الداخلية [2]، وهو ماينطوي على خط احتمال اثارة ردود فعل مضادة من جانب الرأي العام ، فعندما اندلعت على سبيل المثال احداث مايس ١٩٦٨ في فرنسا كانت بوخارست تستقبل ديغول استقبال الابطال ، وقد كاد ديغول ان يفقد السلطة في فرنسا في اللحظة نفسها التي بلغت فيها مكانته الدولية ذروتها ، ومما لاشك فيه ان هذه المكانة قد تأثرت خلال الشهور التي اعقبت هذه الاحداث وحتى رحيله الاختياري بسبب ماجرى من تطورات في السياسة الداخلية الفرنسية .

أن المفاهيم السالفة الذكر تنطبق أيضا على الفقه الأشتراكي ، حيث ينظر الأخير للعلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية بالأهمية نفسها ، وفي هذا الشأن :

---

[1] مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤١-٣٥١ .

[2] أشار ليوبولدفون رانكة Leopold Von Ranke مؤرخ القرن التاسع عشر الى اولوية السياسة الخارجية ، ولكن هذه الفكرة كانت انسب للملكيات منها للمجتمعات الديمقراطية . راجع : Dutsch , Karl , W., The Analysis of International Relations , : Second Edition , Printed in the United States of America , ١٩٧٨,P.١٢٩.

هناك تصورات حول أولوية السياسة الداخلية على السياسة الخارجية وهذه التفسيرات تتركز في

١- التفسيرات بوساطة المزاج الوطني .. هذه الصفة لايمكن ان تطبق بحسب بعض المؤلفين على الشعوب مثلما تطبق على الافراد ، فالشعور الشعبي يتقاسم ويغذي هذا الاعتقاد عندما يستخدم أنماذج مصغرة تصف بكلمة واحدة سلوك الدول الاجنبية : الالماني 'تحاربي' والانكليزي 'اناني' والروسي 'متوحش' والفرنسي 'غير ثابت' والأسباني 'مغرور'، وتتعقد الامور وتزداد خطورة عندما تقوم بعض الدول بقرن وعي هويتها بمهمة يجب القيام بها ، ان عدة دعوات تبشيرية تتصادم فعليا في العالم .

٢- التفسير بوساطة ميزان القوى .. وصورتها الاكثر انتشارا قد استلهمت ونشرت من قبل رواد السياسة الواقعية وتقتصر في نهاية الامر على نظرية المصلحة الوطنية التي يدافع كل بلد بحسبها على الساحة الدولية عن مصالحه الخاصة وبالتالي يقرن سياسته الخارجية بمبرراته من النوع الداخلي .

اما أولوية السياسة الخارجية على السياسة الداخلية فانها تقوم على أطروحة :

أ) وجهة نظر الجغرافية السياسية ب) نظريات التبعية فهي تضع البرة على الصفة التي لا تقاوم للضغوط الخارجية التي قد تثقل ليس فقط على مجرى السياسة الخارجية وانما ايضا على السياسة الداخلية ، ان البرهان يرتكز على حالة الدول النامية التي يخلق فقرها او حالة خضوعها الكلي للسوق العالمية او المساعدة الخارجية، وضع تبعية ، ويؤدي الى استلاب حقيقي للسيادة .وهذه هي حالة من الدول الاقل تقدما التي توجد رسميا في وضع المساعد بالنسبة للجماعة الدولية .

بجانب هاتين النظريتين المتناقضتين ، يميل روزيناو ، إلى نظرية التفاعلات بين السياسة الداخلية و السياسة الخارجية ، وفي هذا المجال يؤكد روزيناو على حقيقة ان معظم المحللين يعالجون التفاعلات كثوابت بدلاً من معطيات أو كتوابع متنوعة وليس كتوعات مستقلة ، مشيرا الى أن علم السياسة لا يمتلك لمواجهة هذه الصعوبات مايعادل نظرية الشركة لدى الإقتصاديين او البنية لدى دارسي البيئة . راجع : مارسيل ميرل ، السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٥-١٧٠.

يرى Levin في السياسة الخارجية بأنها خلاصة لكل أهداف الدولة ووسائل التعامل مع الدول والشعوب . وفي العلاقة بينهما ، يرى Levin أنهما تقومان على الأسس نفسها والتي تستند على أسس النظام الأجتماعي للدولة ، وهذا يعني ، أنطباق هذه الأسس على البيئتين الداخلية والخارجية وأذا كانت الدولة تقوم بمهمة الدفاع عن أمنها الوطني بموجب المفهوم الإشتراكي ، فأن هذا يسري على البيئة الداخلية ، ومن منطلق أن السياسة الخارجية هي أمتداد للسياسة الداخلية . [1]

وفيما يخص الأهداف في الفقه الإشتراكي وعلاقتها بالبيئتين الداخلية والخارجية ، فأنها تتحدد في تقوية النظام الإجتماعي للدولة ، وتحسين ذلك في ظل نظام الوحدات الدولية ، ودعم مصالح الطبقة الحاكمة ، ولاسيما إذا عرفنا وتبعا للفلسفة السوفيتية ، أن مصالح الشعب الكلي هي فوق حدود الدولة . ومن هذا المنطلق ، فإن الدولة تباشر السيطرة عليهما من خلال مجلس السوفيت الأعلى ، ومجلس الوزراء ، ومجلس الدوما . [2]

[1] Grigory Tunkin , Contemporary International Law , Progres Publishers , Moscow ،١٩٦٩ ,P١٨٩ .

[2] Ibid ..

الفصل الثاني

مناهج السياسة الخارجية

الفصل الثاني

مناهج السياسة الخارجية

لفظ المنهج ترجمة للكلمة Methode الفرنسية ومثيلاتها في بقية اللغات الاوربية الاخرى. وجميع هذه الكلمات ، تعود في نهاية الامر الى مصطلح يوناني ، استخدمه افلاطون للأشارة الى معنى البحث أو النظر أو المعرفة ، وقد استخدمه أيضاً ارسطو للدلالة الى معنى بحث " . والمعنى الاشتقاقي الاصلي له يدل على الطريق أو المنهج الموصل الى الغرض المطلوب [1].

يعد المنهاج بمثابة الأقتراب من الظاهرة ، والأخيرة تشير إلى الحقيقة التي تتميز بمجموعة من الخصائص ، وهذه الخصائص تفرض أسلوب الوصول اليها ، ورغم أن هذا القول ينتابه نوع من التناقض المنطقي، إلا أنه من الممكن أزالة ذلك من خلال التحليل العميق. وفي الواقع أن الوصول إلى الظاهرة يفرض لغة للتخاطب، وهذه اللغة برمتها هي المنهاجية.[2]

أن موضوع الظاهرة ،لا يثير معضلة بالنسبة للعلوم الطبيعية ، في حين أن هذا يشكل عملية معقدة بالنسبة للعلوم الأجتماعية بصورة عامة ، وعلم السياسة بصورة خاصة . التحليل في العلوم الطبيعية لا يفرض الخروج عن حدود الظاهرة ذاتها ، لأن الظاهرة تجيب على علامات الأستفهام ، أما على مستوى العلوم الأجتماعية ، فأن الأمر يختلف أختلافاً كلياً ، لأن الأجابة لا تنبع من الظاهرة ، وأنما من عملية التصور العقلي . والمنهاج قد يقع في أطار التجريد الذي يدور في أطار المنطق الصوري ، وحول الكليات الفكرية ، أو التجريب الذي هو أسلوب للبحث أساسه المعرفة المباشرة بالظاهرة والأمساك بها لا عن طريق المنطق ، وأنما من خلال الأحتكاك المباشر . وهناك نوعان ، من أنواع البحث التجريبي هما : جمع المعلومات gathering deta ، ومتابعة عملية التطور process . [3]

المنهاج بهذا المعنى ، هو دراسة الأدوات والمسالك التي يستخدمها الباحث لبناء القوانين العلمية ، وتتميز هذه القوانين بصفة الأطلاق زماناً ومكاناً . علماً أن بناء القانون يفترض وجود عنصرين هما :

أ- يكون الواقع ، هو موضوع التفسير والتحليل .

ب- يكتشف الواقع كلاً من التأمل والتفكير والأستدلال .

الوظيفة الرئيسة لعلم المنهاجية ، هي كيفية ايجاد العلاقة بين العنصرين السالفي الذكر .[4]

وعليه يمكن القول أن المنهج هو : " البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول الى الحقيقة ، أو الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة في العلوم "[5] .

---

[1] الدكتور عبد الرحمن بدوي ، ، مناهج البحث العلمي ، ط٣ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص٣ .

[2] الدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص٥ .

[3] المصدر نفسه ، ص٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٤٣ .

[4] المصدر نفسه ، ص٣٩ .

[5] المصدر نفسه ، ص٦ .

ومن الممكن تقسيم المناهج في السياسة الخارجية الى :-

أولا – المناهج التقليدية :

تؤكد المناهج التقليدية ، ان السياسة الخارجية بوصفها ظاهرة ، لا يمكن ارتباطها بدراسة علمية ومفاد هذا القول ، يرجع الى ان موضوع السياسة الخارجية له علاقة ببرامج العمل التي يتبناها القيادة السياسية ازاء العالم الخارجي ، هذه البرامج التي تتضمن أيضاً الاهداف والوسائل أي تصور ما يجب ان يكون ، ولا علاقة للعلم بتحليل هذه البرامج ، بسبب ان العلم ينصب اهتمامه بالواقع [1].

ونتيجة لذلك ، فان هذه المناهج اقتصرت على مجرد وصف السياسة الخارجية[2]، ولا سيما السياسة الخارجية للقوى الكبرى ، على مستوى التتبع التاريخي أو بمحاولة تحديد الاهداف القيمية والاساليب التي تتضمنها [3].

الا ان كتاب السياسة الخارجية وابتداء من منتصف الخمسينات ، بدأوا ينتقدون هذا المفهوم ، مؤكدين ان موضوع السياسة الخارجية يخضع أساساً للتحليل العلمي ، لأن ما ذهب اليه أصحاب هذا الرأي من ان السياسة الخارجية هو برامج العمل للقيادات السياسية لا ينفي من اخضاعها للوصف والتفسير والتنبؤ العلمي [4].

ان برامج العمل هي ظواهر يمكن تحديد ماهيتها وتفسير مصادرها والتنبؤ بها تنبوءاً موضوعياً ، عن ذلك فانها تتضمن اكثر من مجرد تحديد ما يجب ان يكون فالوحدة الدولية تتعامل مع عالم محدد تحاول التأثير فيه ، كما أنه يفرض عليها قيوداً محددة في التعامل معه ومن ثم فهي تدخل هذا العالم في أمور تتسم بالتعقيد من الاتصالات ، وتحتل وضعاً فعلياً في هذا العالم قد لا يكون هو بذاته الوضع المنشود[5].

والحق ، ان المنهج العلمي ، يؤكد على حقيقتين جوهريتين : الأولى تكييف المنهجية وفقاً لموضوع البحث وليس العكس ، ونتيجة لذلك فان المنهج العلمي ميز بين مضمون موضوع الاهتمام وطريقة دراسته ، في الوقت الذي يرى أساتذة السياسة الخارجية في هذا التمييز الافتقار الى عملية الاقناع . أما الحقيقة الثانية ، فأنها تتركز على موضوع الاعتماد

---

[1] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٦ .

[2] يقصد بوصف ظاهرة السياسة الخارجية ، توصيف وتصنيف الابعاد الاساسية المكونة لظاهرة السلوك السياسي الخارجي ، والاخيرة تتضمن ابعاداً أساسية كالتوجهات العامة والاهداف والادوار الاولية والاستراتيجيات والقرارات والسلوكيات وغيرها ، وهذه الابعاد جميعها قابلة للتحليل العلمي راجع : المصدر نفسه ، ص ك .

[3] المصدر نفسه : ص ك .

[4] يدخل التفسير العلمي للسياسة الخارجية في صلب موضوع السياسة الخارجية ، الذي يعني تحديد مجموعة المتغيرات التي تؤثر على السياسة الخارجية ، وتحليل الأثر النسبي لتلك المتغيرات على شكل السياسة . المصدر نفسه ، ص : ك .

[5] فالعلم أساساً هو منهج للتحليل والمعرفة ، بمعنى انه يتناول ظواهر يمكن ملاحظتها ، كما أنه يحللها بحيث لا يمكن الفصل بين الحقيقة والقيم الذاتية للباحث . راجع : المصدر نفسه ، ص٦ وكذلك :

Rosenau , James n , The Scientific Study Of Foreign Policy , Op . Cit , p . ٢١ .

المتبادل بين موضوع الدراسة والقيم الذاتية للباحث ، وعليه فأن المنهج لا يقوم على الفصل بين الوقائع والقيم الذاتية ، لأن العلم وفي اعتقاد اصحاب هذا الرأي لا يعد محايداً[1] .

وفي هذا المجال ، لا بد من التأكيد ، من ان عملية صنع القرارات في السياسة الخارجية أصبحت جزءاً من عملية التحليل العلمي للسياسة الخارجية ، فتحديد القوى المؤثرة في الصياغة المباشرة لتلك الدول وتحليل عملية صنع القرارات في السياسة الخارجية هي كلها عمليات تدخل في اطار التحليل العلمي للسياسة الخارجية [2].

تأثر دعاة المنهج التقليدي بآراء توماس هوبز التي تقوم على فكرة مفادها : ان الظاهرة السياسية الدولية تعكس العلاقات المتباينة التي تتسم بالفوضوية بين دول متصارعة ودول ذات سيادة . وعلى هذا الاساس فان المنهج التقليدي بدأ يستخدم المدلولات الدبلوماسية والعسكرية لحركة تلك الدول المؤثرة في السياسة الدولية عبر مراحلها المختلفة [3].

يقوم المنهج التقليدي على المناهج الآتية :

١ – المنهج التاريخي :

يعد هذا المنهج من أكثر المناهج استخداماً في العلاقات الدولية ، يولي أهمية كبرى على دراسة التاريخ الدبلوماسي ، بسبب ان العلاقات الدولية المعاصرة لها جذور وإمتدادات تاريخية سابقة ينبغي الإحاطة بها من جوانبها كافة ، وعلى هذا الأساس فان الروابط والصراعات والأحقاد التاريخية تعد عند دعاة هذا المنهج من بين القوى الرئيسة التي تتحكم في الاتجاهات السياسية الخارجية للدول [4] .

يرى أصحاب هذا المنهج ان أغلب العلاقات الدولية كانت تقع في نطاق السياسة الخارجية ، فان الدبلوماسية كان لها دورها في الإشراف على التنفيذ من خلال وزارات الخارجية ، فضلاً عن ذلك فان ممارسة العمل الدبلوماسي في المجال الخارجي أدت الى تكوين التجارب الشخصية . زد على ذلك فان السياسات الخارجية للدول الأوربية كانت تقنن في معاهدات واتفاقيات وبروتوكولات لتنظيم تلك السياسات ولتحديد المواقف إزاء قضايا دولية [5].

يؤكد دعاة هذا المنهج ، ان بإمكان المدرسة التاريخية تحقيق المزايا الآتية [6]:

١. القدرة على تحري الأسباب التي تكمن وراء نجاح أو إخفاق قادة الدول في تبني سياسة خارجية محددة في وقت ما ، والتوصل إلى دلالات عامة لأنماط السلوك الدولي المختلفة .

---

[1] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٦ – ٨٧ .

[2] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ك .

[3] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧ .

[4] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية ، دراسة في الأصول والنظريات ، ط٤ ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٥ ، ص١٤ ، والدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٩ .

[5] الدكتور كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٥ .

[6] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية ، دراسة في الأصول والنظريات ، مصدر سبق ذكره ، ص١٤–١٥ .

٢. ان استخدام المنهج التاريخي يؤدي إلى تفهم أكبر وأعمق للاتجاهات التي يسلكها تطور العلاقات السياسية بين الدول ، وانتقالها من نظام إلى آخر .

٣. يساعد على تفهم الكيفية التي يتم بها اتخاذ بعض قرارات السياسة الخارجية والدوافع التي تمليها والنتائج التي تتبلور عنها وذلك في الإطار التاريخي الحقيقي لهذه القرارات .

٤. ان التاريخ عند دعاة هذا المنهج ، يعد بمثابة معمل للتجريب واختبار العلاقة التي تقوم بين الأسباب والنتائج في السياسة الدولية على أساس ان لكل موقف دولي طبيعته المتميزة ، وان مواقف السياسة الدولية لا تتكرر على النحو نفسه.

إلا أن هذا المنهج لا يخلو من بعض الانتقادات ، يمكننا إيجازها في الآتي :-

١. تشير الأحداث الدولية ، إلى كثرتها وتعقدها وتداخلها ، إذ أنه من الصعوبة بمكان تحديد القوى الرئيسة التي تتحكم في السياسة الدولية في أي مرحلة من مراحل تأريخها[١] .

ولهذا السبب ، فان المؤرخين لم تكن في حوزتهم إلا انتقاد احداث معينة ، وبالتالي إهمال المجال الآخر منها[٢] .

٢. في كثير من الأحيان ، يحاول هذا المنهج إثبات فرضية معينة ، ومن هنا يحدث نوع من التأثير أو التلاعب بالمادة التاريخية بحيث تصل إلى الخلاصة التي تعكس العناصر المؤيدة لهذه الفرضية , واستبعاد العناصر التي تتعارض معها , و عليه تكون الاستنتاجات و التعميمات قد فرضت , و لا تعكس إلا جزءً يسيراً من الحقيقة التاريخية , التي قد تتعلق بمزاجية كل باحث وكيفية تحليله للحقيقة التاريخية التي في حوزته[٣] .

٣. عدم تطويع المادة التاريخية في اتجاه معين أو معلوم ، كي يتسنى الوصول الى خلاصة من شأنه استنباط واستخلاص قوانين التي بإمكانها تفسير الظواهر المختلفة المكتنفة بعملية التطور هذه . وفي هذا المجال تحدث هوفمان عن ازمة هذا المنهج قائلاً : " ان المنهج التاريخي قد ينتهي بنا الى التحليق في السماء ، ولكنه لا يستطيع ابدا ان يمدنا بنظرية في العلاقات السياسية الدولية " [٤].

٢ -المنهج المثالي :

يعد من المناهج التقليدية في السياسة الخارجية ، يتمثل في المنهج المثالي ، وقد مثل هذا المنهج في الماضي جروشيوس ، وويلسون في بداية القرن العشرين ، وثروب في الفكر

---

[١] المصدر نفسه ، ص١٥ .

[٢] الدكتور كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٧ .

[٣] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات ، مصدر سبق ذكره ، ص١٥.

[٤] المصدر نفسه ، ص١٥ .

المعاصر ، ويدور هذا المنهج حول فكرة مفادها : وجود مستوى اخلاقي للسلوك يستقل عن الوحدة البشرية ، يقوم بالتحكم في منطق السلوك ذاته [١] . ويقر هذا التصور إلى الاعتراف بمجتمع دولي يسوده قانون عام يطبق عليه ، وخصوصاً لمبدأ Servanda Pacta Punt والإمتناع عن التدخل العنيف في شؤون الآخرين . [٢] أكد أصحاب هذا المنهج على مبدأ توازن القوى الذي يعد أداة من ادوات تحقيق المثالية السياسية ، فالتوازن بين القوى هو وسيلة غير مباشرة لمنع الصراع . وبتعبير اخر انه تعبير عن قانون سياسي يماثل قانون الجاذبية في العلوم التطبيقية . تعطي هذه المدرسة أهمية كبيرة للمثل والأخلاق، وفي هذا المجال يرى لبرنر : (أن المثل والأخلاق هامة في السياسة كمقاييس لكنها نادرا تكون فعالة كأساليب ، وغالبا ما نجح المصلحون الدينيون في جعل الأخلاق العامة أقرب إلى بعض النظم الأخلاقية ، بيد أنهم لم ينجحوا البته كرجال دولة) [٣] .

ويبدو أن المثالية ارتبطت بشكل وثيق بالتوجه الانجلو أمريكي القائم على افتراض وجود مجال اختيار واسع أمام صانع القرار السياسي في تقرير الشكل الذي تتخذه سياسة بلاده الخارجية [٤].

ونتيجة لإستناد المذهب المثالي على أساس معرفة " كيف يجب " أن يتصرف السياسيون في العلاقات الدولية لا على أساس " كيف يتصرف هؤلاء فعلا " وقف المثاليون موقف الرفض من مجموعة من المبادىء السائدة في العلاقات الدولية كمبدأ توازن القوى المرتبط تاريخيا بأوربا ومبدأ استخدام القوة في الشؤون الدولية والمعاهدات السرية للحلفاء والتقسيم المجحف للعالم خلال الحرب العالمية الأولى ، وطرحوا مبادىء مقابلة تمثلت في الحقوق والالتزامات القانونية الدولية والتناسق الطبيعي بين المصالح القومية كوسيلة للحفاظ على السلام العالمي والتركيز على دور العقل في إدارة الشؤون العالمية وإبداء ثقة في الوظيفة التي يمكن أن يقوم بها الرأي العام [٥].

قوم ادوارد هاليت كار المثاليين على أنهم من الناحية الفكرية ورثة التفاؤل الفكري الذي أتى به عصر التنوير في القرن الثامن عشر من جهة ، ولبيرالية القرن التاسع عشر من جهة ثانية ، والمثالية التي اتسم بها القرن العشرين متأثرا بأطروحات ولسون من جهة ثالثة.[٦]

---

[١] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧ .

[٢] كارن إي . سميث و مارغوت لايت ، الأخلاق والسياسة الخارجية ، تعريب فاضل جتكر ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٥ ، ص ١٥ .

[٣] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٧-٢٨ . وللمزيد من التفاصيل راجع : الدكتور إبراهيم أبو خزام ، الحروب وتوازن القوى دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٩ ، ص٢١٩-٢٤٢ و د. سعد حقي توفيق ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٤-٨٧ ، ود. كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩-٥٣ ، و ريتشارد نيكسون ، القادة ، ترجمة خضر أبراهيم ، ص٤٥١ ، و ole R.Holsti, Allianze and Coalition Diplomacy .In James N.Rosenau Kenneth W.Thompson Gavin Boyd, World Politics An Introduction, The Free Press Advision Of Macmillan Publishing Co.,Inc. New York ,١٩٧٦, pp.٣٣٩-٣٤٠ .

[٤] جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ .

[٥] المصدر نفسه ، ص ١٠ – ١١ .

[٦] المصدر نفسه ، ص ١٠ .

ويمكن عدّ ادوارد هاليت كار " أفضل من بحث جوانب الخلاف الفلسفية بين المثاليين والواقعيين بخاصة في دراسته المنشورة عام ١٩٣٩ والتي استند اليها أغلب الباحثين الذين جاءوا من بعده "[١].

يرى كار أن الأزمات الدولية المعاصرة تحمل في طياتها الدلالة الكافية على انهيار التحليل المثالي المستند لمبدأ التناسق أو التناغم في المصالح القومية ؛ ولكنه ينتقد كلا المذهبين الواقعي والمثالي ، على أساس أن الأول ينظر للتاريخ نظرة تشاؤمية، في الوقت الذي يتجاهل الثاني الدروس المستفادة من التاريخ ذاته ، وفي الوقت الذي يبالغ فيه المثاليون في حرية الاختيار لصانع القرار يبالغ خصومهم في التأكيد على ضرورة العلية أو السببية وينزلقون نحو شكل من أشكال الحتمية ، فضلاً من أن المثاليين يخلطون بشكل كبير بين المصالح الذاتية القومية ، والمبادىء الأخلاقية ، في الوقت الذي يحصر الواقعيون أنفسهم في هيمنة المصالح الذاتية متجاهلين الأفعال أو التصرفات البناءة والمفيدة " وهو الأمر الذي يجعل من الواقعيين ينكرون إمكانية تعديل السلوك الإنساني من خلال الفكر[٢].

ويذهب كار ، وهو ينتقد المنهج الواقعي في مجال العلاقة بين الفكر والسلوك " أن الكيمائيين الذين حاولوا تحويل الرصاص إلى ذهب عاودوا تفحص ما بدا لهم في البداية حقائق " بعد أن فشلوا في تحقيق فكرتهم وخلص من ذلك إلى نتيجة مؤداها أن النظريات السياسية تتضمن عناصر مثالية وواقعية ممثلة في القوة والقيم الأخلاقية "[٣].

وفي واقع الأمر ، أنه من الناحية التقليدية يجري تحميل المدرسة المثالية مسؤولية الإنهيار السريع لأمل السلام الدولي في أعقاب الحرب العالمية الأولى[٤].

٣ – المنهج الواقعي :

ظهرت الواقعية التقليدية في عام ١٩٤٠ ، حيث هيمنت على عقول الشباب من الدارسين لمادة العلاقات الدولية في الولايات المتحدة[٥] ، وتمت معالجتها من الاكاديميين الى عام ١٩٥٠، واستمرت الى عام ١٩٦٠[٦] يشير هذا المنهج الى أهمية القوة في العلاقات الدولية ، إذ ان الاخيرة هي علاقات قوة ، وهي ظواهر لها . وعليه ذهب هذا المنهج من ان الرغبة في الهيمنة هي الظاهرة والسمة المميزة للعلاقات الدولية . بمعنى اكثر دقة ، ان الدول بامكانها ان تصل في تحقيق اهدافها في السياسة الخارجية بالوسائل كافة ، دون ان تعطي اية أهمية للجوانب القانونية والاخلاقية[٧].

---

[١] المصدر نفسه ، ص ١٠ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ١١ – ١٢ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٢ .

[٤] كارن اي . سميث و مارغوت لايت ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ .

[٥] جيمس دورتي – روبرت بلستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٩ .

يقول كارن اي . سميث ، أن المنهج الواقعي ، ساد في نظرية العلاقات الدولية وبين صانعي القرار السياسي الغربيين خلال الحرب الباردة . راجع : كارن اي – سميث ومارغوت لايت ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ .

[٦] Peter Hough , Understanding Global Security , Routledge Taylor & Francis Group , London & New ,York , ٢٠٠٥ , Charles W. Kegley,.Op. Cit. , pp. ٢٢-٢٣.

[٧] ج . أ تونكين ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٢١ – ٢٢٢ ، وأنطونيا فيليكس ، كوندي قصة نجاح كوندوليزا رايس ، ترجمة سعيد الحسنية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٧ ، ص ٩٩ . و Henderson, Op.Cit., pp٢٣-٢٤.

وبدون شك ، تحتل القوة أحدى المحاور الأساسية في حركة المجتمعات والأنظمة السياسية ، وتعد من أكثر الموضوعات أثارة في الوقت الحاضر ، إذ أصبح من مسلمات الموضوعات في تحليل التطورات المختلفة بالدول ، وتفسير التاريخ على أساس تغير القوى المهيمنة وفي حقب زمنية متباينة [1].

الواقعية كنظرية سياسية ، ترجع جذورها الى تاريخ Tucydides لليونان القديمة ، وحرب بلوبونيز بين أثينا وأسبارطة (٤٠٤-٤٣١ ماقبل الميلاد) . عناصر الواقعية ترجع الى كتابات Kautilya الذي كان وزيرا للأمبراطور Maurya في الهند أكثر من ألفين سنة الماضية . فمنذ تأكيدات توسيديس قبل أكثر من ألفي عام في حوارات ميليان بأن " الأقوياء يصنعون كل ماتمكنهم القوة من صنعه ، فقد دأب دعاة الواقعية على ترديد التفسير القائل بأن طبيعة الأنسان وما تمليه الفوضوية في النظام الدولي يدفعان إلى ماأسماه فريدريك الأكبر " المبدأ الدائم للحكام " : " أن يتوسعوا إلى أقصى حد تسمح به قوتهم " . [2] تستمد الواقعية أفكارها وبصورة خاصة من الفلاسفة الأيطاليين مثل نيقولا ميكافيلي ((١٤٦٩-١٥٢٧)) ، وتوماس هوبز البريطاني (١٥٨٨-١٦٧٩) [3] ، وميفغ تسي في الصين . وقد أكد هؤلاء في بحوثهم ورسائلهم على The Prince ((الأمير)) ، Leviathan ((الليوثان)) الدولة ذات النظام الدكتاتوري . وعلى التوالي الحسابات القائمة على المصالح والحذر والأحتراس والقوة والنفعية فوق كل الإعتبارات الأخرى مثل الأخلاقية . [4] أما في القرن السادس عشر ، فقد ركز ميكافلي على دور القوة في الممارسة السياسية في عصره ، مؤكدا ان الحاكم لا بد ان يعتمد على معايير أخلاقيه تختلف عن تلك التي يتبناها الفرد العادي من أجل ضمان امن الدولة وبقائها ، وان السياسة هي تصارع على المصالح ، ثم تحدث ميكافلي عن التشاؤم تجاه الطبيعة البشرية [5].

فضلا عن ذلك ، أسهم المفكر الأمريكي عالم اللاهوت البروتستانتي رينهولد نيبور ١٨٩٢ – ١٩٧١ في تطوير المنهج الواقعي في السياسة الخارجية [6].

يؤكد نيبور ان الانسان ملطخ بالخطيئة الأولى وعليه فأنه سهياً للشر، والخطيئة عنده تنبع من القلق الشديد ، والاخير هو الملازم الحتمي لهذا التناقض الظاهري الذي

---

[1] الدكتور نظام بركات ، ، مراكز القوى وتموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل ، ١٩٦٣ – ١٩٨٣ ، دار الجليل للنشر ، عمان ، ١٩٨٣ ، ص٢٩ ، و ، و Henderson, Op Cit., pp .٢٣-٢٤

[2] فريد زكريا ، من الثروة إلى القوة الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي ، ترجمة رضا خليفة، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٩، ص ٢٨ ، وجيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦١ – ٦٢ .

[3] جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦١ – ٦٢ . يشير هوبز ، إن الانسان لايمكنه تحمل حالة إنعدام الأمن حينما تكون هي الوضع الطبيعي السائد ، حتى إنه ليقبل الطغيان ، ولكنه لايقبل أن يعيش في ظل ظروف من الفوضى . بيد أن فوضى الحياة الدولية لاتدفع الدولة بالمثل إلى قبول وجود مستبد عالمي ، وذلك لأن الدولة تأوي الانسان في كنفها ، وتخفف من شعوره بانعدام الأمن . راجع فريد زكريا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠ .

[4] Kegley , Op. Cit.,P٢٢ .

[5] جيمس دورتي ، بالستغراف ، روبرت ، مصدر سبق ذكره ، ص٦١-٦٢ . قارن مع الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦ .

في هذا المجال يقول جون ميرشيمر الاستاذ في جامعة شيكاغو " العلاقات الدولية هي ليست في حالة حرب مستمرة ولكنها في حالة تنافر أمني قاسي)- راجع: Jentleson , Op.C it. p.١١

[6] جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٣ .

يعيشه الانسان بين الحرية والتقييد [1] والإنسان عند نيبور مسير ومخير ، فهو وإن كان ملطخا بالخطيئة الأولى ، ويسعى نحو القوة ، الا أن له جانب الخير والشر ، ومع أن إرادته في الحياة قد تقوده للهيمنة على الآخرين فإنها أيضا قد تتحول إلى السعي نحو تحقيق الذات ، والشكل الاسمي في تحقيق ذلك هو – وهذا التناقض الظاهري – عدم الأنانية ، وهذا يعني أن إرادة الحياة لدى الإنسان قد تقوده للاختيار بين سلوك أو آخر .[1]

وفي هذا المعنى ، ذهب نيبور قائلا : " أن الصراع الاجتماعي أمر محتوم في التاريخ البشري ، وربما حتى نهايته .. أن الصالحين والحكماء قد يسعون إلى تجنب الكارثة ، لكنهم لن يستطيعوا أن يجاوزوا المخاوف والطموحات التي تدفع الجماعات إلى المواجهة " .[3] علقت وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق مادلين اولبرايت على ذلك قائلة : " لقد كان نيبور حكيما في التوصل إلى هذا الحكم الكئيب قبل الحرب العالمية الثانية ، إذ أنه لم يكن يتفاعل مع الحرب ، وإنما يتوقعها " [4].

وفي مجال الحديث عن القوة ، يذهب نيبور قائلا : " أن سعي الانسان لأغتصاب عرش الله يحتم عليه أن يخضع حياة الآخرين لإرادته وهكذا يقدم على ظلم حياة الآخرين ... وان القوة القومية ليست الا انعكاسا لإرادة الافراد في تحقيق القوة"[5].

وفي المعنى نفسه ، يقول نيبور في كتابه (الإنسان الأخلاقي والمجتمع اللاأخلاقي) : " يجب أن يمتلك الوطن القوة والنفوذ بسبب عوامل أخلاقية ، لا عسكرية ، لأنه يمكن أن يكون متواضعا وليس صلفا ومتغطرسا ، لأن وطننا وشعبنا

---

[1] المصدر نفسه ، ص٦٣ . قارن مع : الدكتور ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٥٩ – ١٦٠ .

بذلت الكنيسة الكاثوليكية جهودا كبيرة منذ القرون الوسطى بعدم استخدام القوة أو على الأقل التقليل من أهميتها . ومن الممكن الاشارة إلى هذا ، إلى نظرية الحرب العادلة التي تبنها توماس الأكويني في القرن التاسع عشر التي أشارت إلى أن استخدام القوة لا بد أن يخضع إلى شروط ثلاثة هي :– عدالة الأساس القانوني ، عدالة القضية ، سلامة القصد . عادت البابوية من جديد تنادي الكفاح من اجل السلام . وفي هذا المجال وجه البابا بنوا الخامس عشر في عام ١٩١٧ الى المتحاربين (دعوى اشار فيه العمل من اجل السلام) . راجع مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٥-٢٦.

[2] يعتقد نيبور – يعده توجها تاريخيا في الولايات المتحدة إزاء السياسة الخارجية ، ويرى أن الأمريكيين غير ملتفتين لدافع القوة في السياسات الدولية بسبب حقبة العزلة الطويلة التي عاشها المجتمع الأمريكي بعيدا عن الصراع على القوة مع الدول الأخرى . راجع : جيمس دورتي – روبرت بالستغراف . مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤ .

[3] مادلين اولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوورد ، الجبروت والجبار تأملات في السلطة ، والدين ، والشؤون الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٧ .

[4] المصدر نفسه ، ٢٥٧ – ٢٥٨ .

[5] جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٣ .

هناك كتاب آخرون ، رفضوا المثالية ، وحاولوا أحياء المنهج الواقعي في السياسة الخارجية ، ومن أشهر هؤلاء : فردريك شومان ونيقولاس سبيكمان . وقد أكدا على أهمية توازن القوى وذلك للحد من السياسات التوسعية . وهنا ينبغي أن نشير على مدى تأكيد شومان على أهمية عامل البقاء في السياسة الدولية ، في حين يحث سبيكمان على دور العامل الجيوسياسي في تقرير السياسات الخارجية . راجع : الدكتور ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٥٩-١٦٠ .

يريد أن يخدم الآخرين ، لا أن يسيطر عليهم . والأمة التي لا تتحلى بالأخلاق ستفقد نفوذها في كل أرجاء العالم سريعا " [1] .

ويردف نيبور قائلا : " فما هي أهداف الشخص أو الطائفة أو الوطن ؟ إنها جميعا هي نفسها : الرغبة بالسلام ، والحاجة إلى التواضع ، وتحري الأخطاء والإقلاع عنها ، والتزام حقوق الانسان في أوسع معنى الكلمات ، بالاعتماد على مجتمع أخلاقي مهتم بتخفيف المعاناة الناجمة عن الحرمان أو الكراهية أو الجوع أو الألم الجسدي ، والإرادة وحتى التلهف إلى مشاركة الآخرين بمثله وإيمانه وتحويل الحب المتجسد في شخص إلى حب للعدالة " [2] . وهنا نرى أن نيبور " يفرق بين المجتمع والناس ، فالتوقعات من شخص ما ، هي معيار أعلى كثيرا . فعلى الشخص – كهدف للمجتمع المسيحي – أن يتحلى بالحب المسيحي الكامل ، الحب الغيري . أما أقصى ما نتوقعه من مجتمع ما ، فهو أن يقيم عدالة بسيطة . وهكذا علينا – كأشخاص – أن نكون أفضل ، خصوصا إذا حظينا بفرصة لإظهار ما نحن جديرون به . وعلى القادة أن يكونوا حذرين وألا يكونوا جبناء جدا " [3] .

على الرغم من تأكيد نيبور ان الصراع مسألة متأصلة في العلاقات بين الجماعات والدول فهو لا يوافق ان يكون رجل الدولة غير اخلاقي ، ويرى بدلا من ذلك ان تلطف الواقعية بالاخلاقية بحيث يكون على الدولة ان تستخدم قوتها ، من اجل تحقيق العدالة وتحقيق اكبر عدد من المصالح[4].

وهناك كتاب آخرون ، اعتقدوا ان الصراع وليس التعاون هو المحور في السياسات الخارجية ولعل من بين هؤلاء سبيكمان ١٨٩٣ – ١٩٤٣ ، الذي أكد ان الاوضاع التي تميز العلاقات بين الجماعات داخل دولة معينة خلال الازمات ، وعند انهيار السلطة المركزية هي أوضاع طبيعية للعلاقات بين الدول في النظام الدولي[5].

والحق ، قام الباحثون في السياسة الدولية لسنوات عديدة مناقشة مفهوم القوة كمنهج ملائم في دراسة Processes في الانظمة الدولية ، ولعل من بين هؤلاء هانز مورجانثو[6]

---

[1] جيمي كارتر ، قيمنا المهددة : أزمة أمريكا الأخلاقية ، ترجمة : حسام الدين خضور ، (بلا) ، ص ٥٩ – ٦٠ .

[2] المصدر نفسه : ص ٦٠ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٥٩ – ٦٠ .

[4] جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٤ .

[5] المصدر نفسه ، ص٦٥–٦٦ .

[6] هانز مورجنثو الماني الأصل ، امريكي الجنسية ، وهو من كبار اساتذة القانون وعلم السياسة . عمل في المحاماة منذ عام ١٩٢٧ ، وكان رئيسا لمحكمة العمل في فرانكفورت في المانيا ، ثم أصبح مستشاراً في وزارة الخارجية الامريكية في عام ١٩٤٩ ، ومحاضراً في كليتي الحربية والطيران في الولايات المتحدة للاقتصاد السياسي في جامعة شيكاغو ، وله مؤلفات عدة في هذا المجال لعل أهمها كتابه " العلم وسياسات القوة " ، و " دفاعاً عن المصلحة القومية " ، و " السياسة بين الصراع من أجل السلطان والسلام " ، راجع : هانز ، جي مورجنثو ، السياسة بين الصراعات من أجل السلطان والسلام ، ج١ ، ترجمة خيري حماد ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، (بلا) ، ص٨ ، وجيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦ .

Holesti , k . J . , The Concept Of Power in the Study Of International Relation, pp . ٨٩ – ٩٠ .

وقد اكتشف مورجانثو السياسة الدولية من خلال اختباره للدول الكبيرة ومسؤولياتها الدولية المتنامية بعد الحرب العالمية الثانية . راجع : ريمون حداد، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٦ .

هناك صعوبات أمام الباحثين لتقديم تعريف لمفهوم القوة ، إن القوة في الرياضيات تعبير فني يعني الناتج المتحصل من ضرب الرقم باستمرار في نفسه ، أما في الفيزياء فالقوة تعني معدل انتقال الطاقة في عمل إحدى المكائن مثلاً ، أما في العلاقات الانسانية فإن القوة ينظر اليها في العادة باعتبارها علاقية لا شيئاً يمتلكه المرء ، ولكن تعني القدرة على احداث الاثارة المرغوب فيها ، فالقوة بالذات لا تمارس على الطبيعة أو على مادة أو على الذات ، وانما تمارس على عقول واسواق الاخرين .

وهنا لابد أن نميز بين العلاقات التي تحتوي على عنصر القمع وتلك التي لا تحتوي عليه ، بل قد يكون من الافضل قبول ما يذهب اليه الاستاذ سبروت الأبعاد العسكرية للقوة وتقصر على تلك الامور التي لها علاقة باستخدام مفهوم العنف . أما الجوانب الاخرى للقوة التي لا تحتوي عنصر القمع فيمكن أن نسميها النفوذ. راجع : Frankel, Joseph , International Relations , Op . Cit. , P . ٧٧ .

أما كارل دويتش فانه يعرف القوة بأنها : " القدرة على الانتصار في الصراع وفي التغلب على العقبات " في حين يرى فردريك شومان ، أنه في نظام دولي يفتقد الحكومة المشتركة من الضروري لكل وحدة في هذا النظام أن تسعى لضمان أمنها اعتمادا على قوتها الذاتية ، وأن تنظر بحذر إلى قوة الدول المجاورة لها .

راجع جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦١ . و

Dutsch , Op . Cit , P . ٢٢

والقوة عند نيكولاس سبيكمان هي في النهاية ماتعتمد عليه الحياة سواء بالاقناع أو الإغراء أو الإكراه . أما مورجانثو فانه عرفها : " بأنها امكانية شخص ما في الهيمنة على تصرفات وتفكير شخص آخر " ويعرف أرنولد وولفرز القوة بأنها القدرة على دفع الأخرين نحو عمل ماتريد ومنعهم من عمل مالا تريد " . أما ريمون آرون فيصفها على أنها " القدرة على الفعل أو الصنع أو التدمير " . راجع :

Morgenthau , Hans , Politics a Mong Nations , Alfred Knopf Publishers , ٣rd Edition New York mm ١٩٦٠ , pp . ٩ – ١٠ .

قارن مع تراكين ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٢٣ . وجيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦١ وروبرت د . كانتور ، السياسة الدولية المعاصرة ، ترجمة د . أحمد ظاهر : مركز الكتب الأردني ، عمان ، الأردن ، (بلا) ، ص ١٨٥ .

أما روبرت دال فانه يرى في القوة بأنها القدرة على جعل الأخرين يقومون بأعمال ما كانوا ليقوموا بها أو بمعنى آخر إن القدرة أ على دفع ب للقيام بالعمل من احتمال قيام ب بالعمل من بعض النشر عما فعله أ. والحقيقة فإن دارسي السياسات الخارجية لم يحاولوا تطبيقها في دراستهم ، وربما السبب وراء ذلك في صعوبة تحديد ما الذي كان يجب أن يفعله في غياب محاولة أ دفعه للقيام بالعمل س وبعبارة أكثر دقة : " أنها قدرة أعلى على استخراج نتائج متوافقة مع تفضيلات أو رغباته " . وهذا يعني أن روبرت دال في تحليله لمصطلح القوة : يشير إلى التعريف الشائع للقوة أو التأثير . راجع: الدكتور لويد جنسن ، تفسير السياسة الخارجية. ترجمة محمد بن أحمد مفتي والدكتور محمد السيد سليم ، مطابع الملك سعود، الرياض، ١٩٨٩ ، ص ٢٤٠ . و جوزيف س . ناي الابن ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٢ . وجوزيف س. ناي، ج . ر ، حتمية القيادة الطبيعة المتغيرة للقوة الأميركية ، ترجمة عبد القادر عثمان ، مركز الكتاب الأردني ، عمان ، ١٩٩١ ، ص ٢٧ ، وروبرت دال ، التحليل السياسي الحديث عنه ، ترجمة د. علاء ابو زيد ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص٤٨ والدكتور نبيل السمالوطي ، بناء القوة والتنمية السياسية دراسة في علم الإجتماع السياسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٧٨ ، ص ٤٣ – ٤٤ .

إن التعريف السلوكي للقوة يكون مفيداً للمحللين والمؤرخين الذين يعملون الكثير من قوتهم في إعادة بناء الماضي ، ولكنه يبدو شيئاً سريع الزوال بالنسبة للسياسيين والقادة العمليين . فيما أن القدرة على التحكم بالآخرين غالباً ما تكون مصحوبة بإمتلاك موارد معينة ؛ لذلك فإن القادة السياسيين غالباً ما يعرفون القوة بأنها إمتلاك الموارد ، وهذه الموارد تتضمن من بين أشياء أخرى السكان والأرض والموارد الطبيعية والحجم الإقتصادي والقوات المسلحة والإستقرار السياسي . ومن مزايا هذا التعريف أنه يجعل القوة تبدو شيئاً ملموساً وقابلاً للقياس ويمكن التنبؤ به أكثر مما يسمح به التعريف السلوكي . وبهذا المعنى فإن القوة تعني إمتلاك أوراق اللعب الرابحة في لعبة " البوكر " الدولية . والقاعدة الأساسية في هذه اللعبة هي أنه إذا ظهر لك أن الأوراق التي بيد خصمك تستطيع أن تهزم أي شيء لديك ، فإنك ستستسلم . وهذا يعني أنه إذا كنت تعرف بأنك ستخسر الحرب ، فإنك لا تبدأها .

ويعد تحويل القوة من المشكلات الأساسية عندما نفكر بالقوة بمعنى الموارد . فبعض البلدان أكثر مهارة من البلدان الأخرى في تحويل مواردها إلى نفوذ فعال ، تماماً مثلما أن بعض لاعبي الورق الماهرين يمكن أن يربحوا على الرغم من ضعف أوراقهم . ويعني تحويل القوة ، القدرة على تحويل القوة الكامنة ، مقيسة بالموارد ، إلى قوة متحققة ، مقيسة بالسلوك المتغير للآخرين . وهكذا ، فإذا إستطعنا معرفة مهارة بلد ما في تحويل القوة ، وإذا إستطعنا معرفة ما يمتلكه من موارد القوة ، عندئذ نستطيع أن نتنبأ بالنتائج على نحو صحيح.

لقد ناقش بعض أساتذة السياسة الخارجية ، بأن مصادر القوة بشكل عام تتحرك بعيداً عن التركيز على القوة العسكرية ، والفتوح التي ميزت العصور السابقة . ولو أجرينا تقويماً للقوة العالمية الآن ، لوجدنا أن عوامل مثل التكنولوجيا والتعليم والنمو الإقتصادي قد أصبحت أكثر أهمية ، في حين أن الجغرافيا والسكان والمواد الخام قد أصبحت أقل أهمية . ويرى كينيث والتز بأن تحقيق نمو إقتصادي في الولايات المتحدة بنسبة ٥ % سنوياً ولمدة ثلاث سنوات متتالية من شأنه أن يضيف للقوة الأمريكية وربما أكثر مما يأتيها من تحالفها مع بريطانيا . أما ريتشارد روزكرينس فإنه يرى أنه منذ عام ١٩٤٥ أصبح العالم موزعاً بين نظام إقليمي يتألف من دول تركز في القوة أرضاً ومساحة ، وبين نظام تجاري نجده في تلك الدول التي ترى بأن الإكتفاء الذاتي هو وهم من الأوهام . ويقول روزكرينس بأنه في الأيام الماضية كان الإستيلاء على أراضي دولة أخرى بالقوة أرخص ثمناً من تطوير الجهاز الإقتصادي والتجاري المتقدم الذي نحتاجه الآن لإستخلاص الفائدة من التبادل التجاري مع هذه الدولة . راجع : جوزيف س . ناي ، ج . ر . : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨ – ٣٠ .

من هذا المنطلق ، يمكننا أن نميز بين التأثير والقوة ، وتبعاً لـ " كيوبر " ، فإن التأثير تتمثل في تغيير سلوك الآخرين بطريق الإقناع والمنطق أو الوجدان. أما القوة فهي التأثير على الآخرين بشكل قهري أو جبري غير طوعي ، فما يمارسه الواعظ أو الخطيب أو عالم الدين أو الأديب نوع من النفوذ أو التأثير يختلف عن القوة التي يمارسها رجال القضاء أو الحكام أو المديرون في أعمالهم .

أما " جوند هسر " و " ثملز " فإنهما يعرفان القوة بأنها القدرة على التأثير في سلوك الآخرين ، وهما بهذا يقتربان كثيراً من تعريف داهل ، ويذهب بلاو الى أن القوة تتمثل في قدرة فرد أو جماعة على فرض إرادتها على الآخرين ، مع القدرة على مواجهة مايبدونه من مقاومة ، من خلال التهديد بتوقيع جزاءات معينة . ويعرف " كلارك بك " و " جيمس مالوري " ، القوة بأنها قيام شخص بممارسة السيطرة – سواء بشكل مباشر أو غير مباشر – على بعض الأمور السياسية أو على عملية توزيع القيم ، بما يتفق مع إتجاهه المفضل . راجع : الدكتور نبيل السمالوطي : مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤ – ٤٦ .

الذي قام بدراسة القوة كجزء مركزي للسياسة الدولية ، مؤكدا أن غاية جميع السياسات القائمة على الصراع للحصول على القوة ، وان الأخيرة هي الهدف الكبير للسياسة والدافع المقرر لأي عمل سياسي [1].

وفي هذا المجال ، انتقد هانز مورجانثو الجوانب المثالية في حل معضلات السياسة الدولية ، وهذا يعني التخلي عن القانون الدولي العام ، وان لا تستهدي في سعيها الا بعلاقات القوة [2].وفي هذا المجال ، يقول مورجانثو : " العالم البعيد عن الكمال من وجهة النظر العقلية ، هو محصلة قوى ملازمة للطبيعة البشرية ، وعلى المرء أن يعمل وفق هذه القوى ، لا ضدها إذا شاء تحسين العالم " . [3]

---

[1] أما روزيناو ، فانه يعرف القوة بانها: تستعمل هنا بمعنى واسع جدا لتشمل المجال الكلي لتأثير الانسان على زميله الانسان، انها تتضمن كل من قدرته على فرص التأثير والفرص الفعلي لتأثيره وسيطرته على عقول وأفعال الناس الاخرين". راجع:

Rosenau , International Politics and Foreign Policy a Reader in Research and Theory , Op . Cit , p . ١٣

يرى ماكس فيبر ، في القوة بانها " الامكانية التي يمتلكها شخص ما وفي اطار العلاقات الاجتماعية ، في وضع يساعد على انجاز رغبته معه ، على الرغم من رفض ومقاومة الاخرين له " ، راجع :

Weber , Max , The Theory of Social and Economic Organization , Translated by : A Henderson and Tacitt , Oxford University Press , New York , Second Edition , ١٩٥٧ , p. ١٥٨ .

أما Jentleson فانه يعرفها بانها القدرة للتغلب على العقبات والفوز في النزاعات ،ووصفها احد اساتذة العلاقات الدولية في الولايات المتحدة بانها "القدرة العامة للدولة المهيمنة على سلوك الاخرين" ، ووفقاً لكتاب اخرين بانها المعيار الاكثر اهمية لمفهوم القوة هو الامكانيات العسكرية ،ولكن القوة تتضمن ايضا عناصر غير ملموسة كالمصداقية أو كيف تفهم الدولة من قبل الاخرين في نظام العلاقات الدولية بانها قادرة على استخدام قدراتها. والحق ، تشير القوة في هذه الصياغات إلى الموارد المادية المتاحة للدولة ، في حين تشير المصالح إلى أهداف الدولة أو أولياتها راجع: فريد زكريا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨ ، و

Jentleson , Op. Cit.,p.١٢

وهنا ينبغي ان نميز القوة عن النفوذ ، اذ يعرف الاخير بانه : " هو علاقة بين فاعلين لا تؤثر احتياجات أو رغبات أو تفضيلات ، أو نوايا فاعل أو أكثر على تصرفات أو نوازع التصرف لدى فاعل اخر أو اكثر " .

راجع : المصدر نفسه ، ص٤٩ .

والنفوذ ، ليس هو الغاية في حد ذاته ومن ذاته ، فالدول تملك أولويات تتباين في أغلب الاحيان ، وترجع مصادر هذه الاوليات الى مجموعة أسباب على مستوى البيئة الداخلية ، والنفوذ هو وسيلة الانسان لانجاز اهدافه ، والدول هي الاخرى تعمل جاهدة إلى إمتلاك القدرة من أجل إبراز أولياتها ، راجع : فريد زكريا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨ .

تجدر الإشارة في هذا المجال ، ان مفهوم سياسة القوة ، مفهوم تحدث عنه ميكافللي فضلاً عن ذلك ، فهناك فرع يتصل بالستراتيجية وينبثق عن الميكافيلية مباشرة ، وهو الفرع الذي وضع كلوزفيتش أسسه وقواعده في القرن التاسع عشر ، عندما قال ان الستراتيجية العسكرية التي تهدف الى شل إرادة العدو من خلال استخدام العنف يستحيل فصلها عن الستراتيجية السياسية . راجع : مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٦ .

[2] تونكين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

[3] روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

وتبعاً لذلك ، فقد ذهب المنهج الواقعي قائلاً : " ان النزعات المثالية في التحليل تذهب وراء معان واهداف وهمية لا وجود لها في واقع الامر"[1].

وعليه يؤكد مورجانثو ، ان القانون الدولي هو نظام بدائي مماثل للقانون السائد في بعض المجتمعات التي لم يزل افرادها اميين مثل سكان استراليا الاصليين وقبائل ايروكوا (من قبائل هنود الحمر) في شمال كاليفورنيا [2].

من هذا المنطلق ، تعني الواقعية السياسية عند المنهج الواقعي ، الاهمية المعنوية للعمل السياسي وعياً كاملاً . وهي تعني أيضاً التوتر العنيف الذي لا يقهر بين الفروض الاخلاقية وبين متطلبات العمل السياسي الناجح. واكثر من هذا يرى المنهج الواقعي ان المبادئ الخلقية العامة الشاملة لا يمكن ان تطبق على اعمال الدول في اشكالها العامة المطلقة، وانها لا بد من تمحيصها وتنقيتها لتكون صالحة من حيث الزمان والمكان[3]، وهذا يعني ان المنهج الواقعي يرفض الربط بين الجانب الاخلاقي لأي شعب ، وبين القوانين الخلقية التي تسود العالم[4]،وعليه نرى أن الواقعيين يحذرون من الاكتراث للاعتبارات الأخلاقية ، لأن هذه الاعتبارات قد تؤدي إلى غياب كيفية سلوك الحكومات في الواقع عن الذهن [5] .

---

[1] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٧ ، ص٢٢ .

[2] تونكين ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٢٢.

على الرغم من تأكيد مورجانثو مفهوم الصراع في العلاقات الدولية ، الا أنه كان يشير الى ان الدولة من الممكن ان تسعى الى السلم من خلال مجموعة ادوات : لعل من بينها ، الدبلوماسية السرية وسياسات توازن القوى . راجع : الدكتور مازن اسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٧.

وتجدر الاشارة في هذا المجال ، ان الاستخدام التقليدي لتوازن القوى كأداة نظرية تم استخدامها من ارنست هاس . تستعمل عبارة توازن القوى أحيانا ليس كتنبؤ ، بل كوصف لكيفية توزيع القوة . وفي الحالة الأخيرة ، قد يكون من الأصح أن تشير إلى توزيع القوة . وفي حالات أخرى يجري إستعمال هذا التعبير للإشارة إلى توزيع عادل للقوة مثل كفتي ميزان متساويتين . والمشكلة في هذا الإستعمال هو أن الغموض في قياس القوة يجعل من الصعب تحديد متى يكون هناك توازن متساو . والحق ، أن مشاعر القلق الرئيسة في السياسات الدولية تميل إلى أن تبرز للوجود من حقيقة أن هناك تفاوتا في القوة ، وعلى الأخص من التغييرات الرئيسة في التوزيع غير العادل للقوة . راجع جوزيف س . ناي ، ج . ر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦ و :
Holesti , Op . Cit. , p . ١٤٨ , Haas , Ernest , The Balance Of Power as Analytic Concept , p . ١٥٩ .

وقد أكد الحقيقة نفسها هارولد لاسويل عندما تحدث عن تلك : Balancing Process
راجع: Haas , Ernest , Op . Cit . p. ١٥٣ ويؤكد المنهج الواقعي الأشكال التالية : القوة العسكرية والاحلاف العسكرية والتوازن - Balance Of Power Alignments . راجع :
Carleton , William G., Realism and World Politics , Op . Cit ., P. ٧٦

[3] مورجانثو ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٢ – ٣٣ .

[4] المصدر نفسه ، ص٣٣ .

[5] مادلين اولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوورد ،الجبروت والجبار تأملات في السلطة ، والدين ، والشؤون الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥ .

ينتقد جورج كينان–سفير الولايات المتحدة في موسكو[1]، ومن الموالين للمنهج الواقعي– المنهجين القانوني والاخلاقي في حل المشكلات الدولية ، مؤكداً ان القانون الدولي لا يصلح ان يكون أداة لتسوية هذه المشكلات ، فضلاً عن ان استخدامه لهذه الاغراض شديدة الضرر؛ ليس القانون الدولي بالوسيلة الملائمة لتسوية المشكلات الدولية، ولكن يعد عقبة في هذا المجال ، لتحيا الدبلوماسية بدون قانون دولي "[2].

ويضيف جورج كينان قائلا : "إن أكبر المساوىء التي انطوت عليها سياستنا الخارجية في الماضي يكمن في نظرتها للمشكلات الدولية بروح يغلب عليها ما أسميه بالطابع القانوني – الأخلاقي ، وهي روح مبعثها الأقتناع بأنه من الممكن القضاء على التطلعات الخطرة والفوضوية التي تحرك الحكومات اذا ما قبلت هذه الأخيرة عددا من القواعد والألتزامات في الميدان الدولي ، وتمثل هذه القناعة بالتأكيد محاولة لحث الحكومات المعنية على تطبيق التصور الأنكلو- سكسوني للقانون المدني ، أن مصدر هذه القناعة يعود الى

---

1) عمل كينان مستشاراً للسفارة الامريكية في موسكو عام ١٩٤٤ ثم سفيراً للولايات المتحدة في موسكو عام ١٩٥٢ ، ألف عديداً من الكتب حول السياسات المتبعة للحد من الشيوعية . راجع : ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص١١٣ .

2) توبكين ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٢٤ .[للمزيد من التفاصيل حول منهج جورج كينان راجع : جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدرسبق ذكره ، ص ٧٤ – ٧٩ .

تجدر الإشارة في هذا المجال ، ان مادة القانون الدولي قد حذفت من قائمة المواد التي يمتحن فيها الدارسون في الولايات المتحدة في تبوؤ الوظائف الدبلوماسية ، وفي الوقت نفسه، قد حذف من معاهد الدراسات العليا القانونية واستبدل به منهاج في العلاقات الدولية . راجع : المصدر نفسه ، ص٢٢٤ .

أشارت مجلة نقدية تصدرها الأكاديمية الأمريكية للآداب والعلوم " إلى أن الاستراتيجية الإمبريالية الكبرى تستغني فعليا عن حكم القانون الدولي ، بما هو غاية السياسة الجامحة والخطيرة ، ملاحظة أن استراتيجية الأمن القومي قد خلت من أي ذكر للقانون الدولي أو لميثاق الأمم المتحدة . إن أسبقية القانون على القوة التي طالما كانت أهم خيط في نسيج السياسة الخارجية الأمريكية ، تكاد تختفي تماما من الإستراتيجية الجديدة . كما اختفت كذلك المنظمات الدولية التي تعمل على نشر مفاعيل القانون ، وتسعى إلى كبح جماح القوي ، فضلاً عن إسماع صوت الضعيف من الآن فصاعدا ، القوة هي التي ستسود ، وستمارس الولايات المتحدة تلك القوة بالشكل الذي تراه مناسبا " . راجع : نعوم تشومسكي السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٨ – ٣٩ .

وفي المعنى نفسه يقول جون بولتون : " ان من الخطأ الفادح ان يمنح أي صلاحية للقانون الدولي العام حتى عندما يبدو من مصلحتنا القصيرة الامد فعل ذلك ، فإن هدف اولئك الذين يفكرون بان القانون الدولي يعني فعليا أي شيء للذين يريدون ان يحصروا الولايات المتحدة" . راجع : John R. Boltom , " American Skepticism about the United Nations " ,U.S.A Foreign policy Journal , U.S.A Electroni Journals ٢ ,May ١٩٩٧ , ١.

الذكريات المتعلقة بأصل نظامنا السياسي حين تمكنا ، من خلال قبولنا المشترك لبناء أداري وقانوني محدد ، من تقليل حدة التعارض بين مصالح المستعمرات الثلاث عشر الى حدودها الدنيا و أقامة علاقات سلمية بينها ... " [1]

ولكن في العقود الأخيرة من جورج كينان الممتد طيلة قرن إشتكى بشدة من التدخلات الأمريكية في الخارج . فهو يؤمن بأنه من الخطأ أن تسعى الولايات المتحدة إلى نشر قيمها في مجتمعات غير مهيأة لقبولها . ولعله يتفق مع جيرالد فورد بأن على الولايات المتحدة ألا تحاول " تحرير الشعوب في العالم بالقوة " [2] .

والحق،أن الفكرة المهيمنة على تحليلات مورجنثاو كافة تتلخص ان القوة المادية العسكرية لدى الدولة هي القوة التي يجب ان تأخذ بنظر الاعتبار [3].

يقول شوارز نبرجر : " ان القوة بلا منازع محور الارتكاز في حركة التفاعلات الدولية كلها والسبب هو انه في غياب مجتمع دولي حقيقي، فان المجموعات الدولية المتنافسة بناء على ما تمتلكه من إمكانيات مادية وعسكرية، وليس من أي منطلق قانوني أو أخلاقي [4].

---

[1] مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ص٢٩١ – ٢٩٢ .

[2] وعندما توفي جورج كينان في سنة ٢٠٠٥ ، عادت الواقعية إلى الرواج . لقد قاد الرئيس بوش الابن ، الولايات المتحدة إلى مستنقع الشرق الأوسط ، ورأى العديد من منتقديه أن الأخلاقية الولسونية هي السبب . وفي حين أن بوش الأب إنتهج سياسة خارجية شديدة البراغماتية ، فإن إبنه حاج بأن الولايات المتحدة تلقت نداء من وراء النجوم " لتخليص العالم من الشر " . وفي حين إمتنع بوش الأب عن إرسال جيوشه إلى بغداد في نهاية حرب الخليج الثانية ، فإن بوش الابن لم يتردد في فعل ذلك في الثالثة . وبالنظر إلى النتائج ، إستنتج العديدون أن الولايات المتحدة ستكون أفضل حالا إذا ما إسترشد الرئيس القادم للولايات المتحدة بالواقعية بدلا من المثالية . . راجع : مادلين أولبرايت مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا إستعادة سمعة أميركا ودورها القيادي ، ترجمة عمر الأيوبي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ش . م . ل ، بيروت ٢٠٠٨ ، ص ٢٥.

[3] المصدر نفسه ، ص٢٢٢ .

[4] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٢-٢٣ .

أصبح منهج استخدام القوة في العلاقات الدولية هو جزء من العقيدة الفكرية للولايات المتحدة ، فمنذ منتصف السبعينات من هذا القرن ، أكدت التقارير المقدمة للكونجرس الامريكي الى ضرورة عدم استبعاد استخدام القوة من اجل خدمة المصالح الامريكية، بصرف النظر عن مطابقتها أو عدم مطابقتها مع القانون الدولي.

وقد طبق هذا المنهج كيسنجر ، من خلال دبلوماسية التي عرفت وقتئذ بسياسة الخطوة خطوة وفي هذا المجال يعتقد كيسنجر ان التهديد باستعمال القوة هو أفضل من استخدامها فعلاً شريطة ان تقوم الدولة في استخدامها فعلاً . أما نظريته في الرد المرن فانها تقوم على مبدأ الاستقرار وليس السلام الشامل الذي لا يتحقق

ان تحولات القوة وطبقاً لمفهوم اورجانسكي تمر بمراحل ثلاث [1] :

١- مرحلة القوة الكامنة .

٢- المرحلة الانتقالية في تحولات القوة .

٣- مرحلة نضج القوة .

الا بإبادة الآخر. راجع: الدكتور إبراهيم أبو خزام ، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين دراسة لواقع القوى العظمى وانعكاسات هذا الواقع على الوطن العربي ، ليبيا ، طرابلس، ١٩٩٦، ص٢٤-٥٦ .

وفي مواجهة سؤال من قبيل :هل تتطابق السياسة الخارجية مع القيم أو المصالح ؟ يجيب كيسنجر قائلا : يكمن التحدي الحقيقي في دمج الإثنين معا ، حيث لا يمكن لصانع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية الجاد إغفال التفوق الإستثنائي التي كرمت الديمقراطية الأمريكية نفسها بها . لكن لم تكن في استطاعته أيضا اغفال الظروف التي يجب أن تطبق فيها" .

روبرت كابلان بدوره حاول أن يلخص لنا النظرية الواقعية في مفهوم كيسنجر ، معتما بعض المبادىء الرئيسة معدا إياها محددات كيسنجر لهذه النظرية :

١ – الفوضى أسوأ من الظلم . الظلم يعني أن العالم يتميز بعدم تكامله ، لكن الفوضى تعني أن العدالة غير متوفرة لأي كان ، بحيث تصبح الممارسات الحياتية البسيطة واليومية أعمالا تحيطها الخطر .

٢ – ليست الإشكالية الرئيسة في السياسة الهيمنة على الشرور ، ولكن وضع حدود للحق . فلا شيء أخطر من اقتناع مجموعة من البشر بسيطرتها المعنوية ، وقتها يظهر إلى الوجود الديكتاتوريات .

٣ – المهمة الرئيسة لرجل الدولة هي الإبتعاد عن الثورات .

راجع : هادي قبيسي ، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين : المحافظية الجديدة والواقعية ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش . م . ل ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ٧٧ – ٧٨ .

فضلاً عن ذلك ، يعتقد الأمريكيون المحدثون ان الواقعية تجسد في كتابات وسياسات ريتشارد نيكسون . راجع : جوزيف س . ناي الابن ، المنازعات الدولية مقدمة للنظرية والتاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩ .

وقد انعكست هذه المفاهيم ، على سلوك الولايات المتحدة من خلال مفهوم ما يسمى Pax Americana أو السلام الامريكي ، وهو السلام الذي لا يعد صنيع الدبلوماسية أو توازنات القوى ، بل يعد من نتائج نجاح قوة عظمى من خلال فرض الارادة والسيطرة على الدول الاخرى ، وقد كانت هناك ممارسات لهذا المفهوم ، إذ اعتبرت الحضارة الرومانية هذا المفهوم في العصور الغابرة ، ثم جاءت بريطانيا في العصور الحديثة لتمارسها على الاخرين وكلا التجربتين قامتا على القهر والاضطهاد. راجع: الدكتور إبراهيم ابو خزام، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين دراسة لواقع القوى العظمى وانعكاسات هذا الواقع على الوطن العربي ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

وعليه يمكننا القول في هذا المجال، ان دراسات المدرسة الواقعية انصبت حول دراسة السياسات الخارجية للقوى الكبرى، وبموجب ذلك فان الدول الكبرى تهيمن على السياسة الدولية، اما الدول الصغرى فتكون تابعة لها. راجع: الدكتور علي محمد شمبش، العلوم السياسية ، ط٢ ، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية ، ١٩٨٢ ، ص٣٦٠-٣٦١ .

[1] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٩-٩٤ .

ومن ناحية اخرى ، يقسم اورجانسكي الدول بمقياس القوة والسلوك الدائم للسلم الدولي أو المضاد له الى الفئات التالية [1]:

١- فئة الدول القوية القانعة .

٢ – فئة الدول القوية غير القانعة .

٣ – فئة الدول الضعيفة القانعة .

٤ – فئة الدول الضعيفة غير القانعة .

والحق ، فان المدرسة الواقعية ،اقترنت بها ثلاثة تطورات أساسية هي: [٢]

١- اوشك عالم النصف الاخير من القرن العشرين الخاضع لقدر متوازن نسبياً من هيمنة قطبين عظيمين على اخلاء مكانة لعالم مضطرب ومتزايد " تعددية الاقطاب" نظام قائم على التعددية في السلطة والهيمنة بوليازكي تتعرض فيه سلطة الولايات المتحدة القائمة على الهيمنة للتحدي من عدد غير قليل من الاطراف الفاعلة الرسمية منها وغير الرسمية.

٢- ثمة نزوع متزايد لدى الادارة الامريكية الى التهديد باستخدام القوة في سبيل ابقاء الجوانب الاخطر من النظام التعددي الفاشي تحت السيطرة ولاسيما تلك العداء المتنامي للهيمنة والحضور العالميين للولايات المتحدة .

٣- باسم الثورة في القضايا العسكرية تعد بجلب قدر غير مسبوق من قابلية التحكم بادارة الحرب . يرى حملة راية الثورة في الشؤون العسكرية ان الاضطرار للقيادة لا يعني الاضطرار للنزف.

---

[1] المصدر نفسه ، ص٩٤-٩٧ .

[2] سيوم براون ، وهم التحكم القوة والسياسة الخارجية في القرن الحادي والعشرين ، تعريب فاضل جتكر ، شركة الحوار الثقافي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ،ص١٨-٢٠

يتحدث نائب وزير الدفاع الأمريكي ، وعميد كلية الحكومة في جامعة هارفارد جوزيف ناي عن مفهوم القوة الطرية-الناعمة- وهو مفهوم يؤكد إلى مضاعفة الإعتماد على القوة الاقتصادية وهو من السمات التي يركز عليها المجتمع الامريكي . أن القوة الناعمة من وجهة نظره هي : " الوسيلة المناسبة لتحقيق المصالح الأمريكية .. إن الصراع الحالي ضد المتشددين ليس صدام حضارات ، وإنما هو عبارة عن سباق مرتبط بشكل وثيق بالحرب الأهلية المندلعة داخل الحضارة الإسلامية بين المعتدلين والمتشددين ولن تنتصر الولايات المتحدة وحلفاؤها في هذا المضمار إلا عن طريق تبني سياسات تجتذب عقول هؤلاء المعتدلين عن طريق إستخدام دبلوماسية الرأي العام بشكل فعال ومؤثر لاجتذابهم .. إن القوة الناعمة ليست مجرد جانبية هامشية ، وإنما هي وسيلة للحصول على نتائج تريدها الولايات المتحدة ، وعندما تستبعد الأخيرة ، وتستخف بأهمية القوة الناعمة في النماذج فإنها تدفع ثمنها باهضا " . ويقصد ناي بالقوة الناعمة قوة الأفكار كالديمقراطية وحقوق الإنسان والتعليم والرأي العام . في حين أن القوة الصلبة عند ناي تشير إلى القوة العسكرية والإقتصادية ، منتقداً إياها في كونها لا تحقق المصلحة الأمريكية . أن هذا التأكيد من قبل ناي على أهمية العامل الثقافي ، إنما له علاقة بالإتجاهات الفكرية للمنهج الواقعي في السياسة الخارجية ، والقائمة على الإستعمار الثقافي ، والذي يعد أخطر بكثير من الإستعمار العسكري . راجع : المصدر نفسه ، ص٢٠. والدكتور أحمد سليم البرصان ، " مبادرة الشرق الأوسط الكبير : الأبعاد السياسية والإستراتيجية " ، السياسة الدولية ، العدد ١٥٨ ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، أكتوبر ٢٠٠٤ ، ص ٤٢ ، ٤٥ .

هذه التطورات الثلاثة مجتمعة تنذر بتزايد الولع باستخدام القوة العسكرية اداة من ادوات تنفيذ الصراعات الدولية والتحكم بها.

تجدر الاشارة في هذا المجال ،الى الحملة الانتخابية للرئيس بوش سنة ٢٠٠٠ قامت على الشكوى من ان ادارة كلينتون كانت قد بالغت في الميل الى التدخل بالقوة في صراعات لم تكن منطوية على أي تهديد للمصالح الامريكية الحيوية .غير ان ادارة بوش لم تكن اقل ميلاً الى اطلاق التهديدات بالقوة لردع او صد أي اعمال استفزازية ضد مصالح الولايات المتحدة في العالم كله[1] .

والحق ، ان الميل في استخدام سياسة القوة ، انما يرجع الى عبارة كلاوز فيتز القائلة:ليست الحرب إلا أستمراراً للمساومة السياسية بطرق أخرى ... ما أن تندلع الحرب حتى تصبح أستمراراً للمساومة السياسية بأساليب أخرى[2].

---

[1] المصدر نفسه ص٢١

[2] المصدر نفسه ، ص٦٢ ، ٢٠٣ .

كانت ستراتيجية "قوة العزل" هي الستراتيجية المفضلة لدى مسؤولي الأمن القومي المدنيين وهم من أقطاب إدارة كينيدي((بالفكرة [illegible] الذين قاموا [illegible] الرئيس [illegible] جون كنيدي بتوريط الولايات المتحدة في العمل في فيتنام ، ومع تعرض تطبيق [illegible] ستراتيجيتهم [illegible] لقصف الذي كتب له الأخفاق في إرغام الفيتناميين الشماليين على وقف حركتهم التحررية في الجنوب [illegible] أصبح مستشار [illegible] الذين كانوا [illegible] اعتمد حملة عسكرية أكثر تقليدية لتسخير قوات الدولة لخصم [illegible] بغض [illegible] النظر [illegible] التأثير على السياسة [illegible] وبخصوص العراق [illegible] حملة [illegible] الأمير وقد عارض دون نجاح أراء كل من وزير الدفاع ريتشارد تشيني ومستشار الأمن القومي برنت سكوكروفت قائلاً : ((من الضروري إعطاء العقوبات الاقتصادية الفرصة لتفعل فعلها ، لمدة ربما سنة أو سنتين ، قبل الأقدام على تنفيذ عملية عسكرية للأطاحة بنظام الحكم في العراق ، وقد أيد آراء باول عدد من رجال الأمن القومي السابقين نذكر منهم وزيري الدفاع في أدارتي كندي وجونسون ، روبرت مكنمارا [illegible] الأركان المشتركة في ظل أدارة ريغن الأميرال وليم كراو ، الا أن الكونغرس أقدم في [illegible] اره المشترك المؤرخ في الثاني عشر من كانون الثاني ١٩٩١ على تفويض الرئيس باستخدام القوة ضد العراق في الكويت [illegible] الرغم من أن الرئيس بوش الأب ، اتجه الى الحرب دون أي تفويض من الكونغرس ، ومع كل [illegible] وجهة نظر الادارة الأمريكية ان السماح للعراق التواجد في الكويت سيشكل تكرارا للخطأ الذي أقترفه العالم في ميونخ سنة ١٩٣٨ حين سمح بالأستيلاء على مقاطعة بوهيما التشيكية . ومن الممكن أن نرجع الى أعوام ١٩٨٣ و١٩٨٦ و ١٩٩٠ و ١٩٩٤ لمعرفة خط الصقور والحمائم والتي تشير الى قدر أكبر من العزوف لدى كبار الضباط العسكريين مقارنة برؤسائهم المدنيين او الجمهور عموما عن أستخدام القوة بشأن طيف واسع من أهداف السياسة الخارجية . وفيما يخص المسألة المسماة بالأرهاب ، يقول نائب الرئيس ديك تشيني : ((صحيح أن لأمريكا أصدقاء وحلفاء في هذه القضية ، غير أننا نحن القادرون وحدنا على قيادة العملية ، نحن فقط نستطيع حشد العالم في مهمة على هذا المستوى من التعقيد ، أن الولايات المتحدة وحدها تستطيع أن توصل هذه المبادرة الى النصر . وهذه المسؤولية لم تقع على عاتقنا مصادفة فنحن في وضع فريد بسبب موجوداتنا الفريدة ، وبسبب طبيعة شعبنا ، وقوة مثلنا ، وجبروت جيشنا جنبا الى جنب مع الأقتصاد العملاق الذي يسنده .)) . راجع المصدر نفسه ، ص٢٣ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٩٠ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ .

إذا يمكننا القول ، إن الأساس الذي يقوم عليه المنهج الواقعي هو فكرة القوة ومفهوم المصلحة والمفهوم الأخير يتحدد في اطار القوة التي تتحدد بدورها في نطاق ما يسميه مورجانثو بفكرة التأثير أو السيطرة [1].

فالمدرسة الواقعية التي جاء منها كل من ميرشايمر ووالت تفهم أن الدول يجب أن تعمل لما فيه مصلحتها القومية . فما هي مصلحتها القومية هذه ؟ من المعتقد أن آدم سميث كان مصيبا عندما قال : " إن المصلحة القومية هي مصلحة " المهندسين البارزين " للسياسة " ، وفي زمانه ، كان هؤلاء هم التجار والصناع ، وهم اليوم الشركات متعددة الجنسيات ، وما على شاكلتها . غير أن المدرسة الواقعية للعلاقات الدولية تتجاهل إلى حد بعيد التوزيع الداخلي للسلطة المحلية [2] .

كتب جويل روزنتال يقول : " يصر الواقعيون على أن باستطاعة المصلحة القومية أن تكون تعبيرا عن القيم الأمريكية ، بل يجب أن تكون كذلك " . يورد روزنتال" بعض هذه القيم ، ومنها التعقل والتواضع والحفاظ على الحرية ، فضلاً عن مجهود صادق النية للموازنة مابين المثل العليا والمصالح الذاتية " [3] .

إن القوة السياسية ، المشار اليها من قبل هذا المنهج ، هي مدى التأثير النسبي الذي تمارسه الدول في علاقاتها المتبادلة ، وهذا يعني ، ان هذه القوة لا تكون مرادفا للعنف بأشكاله المادية والعسكرية وانما هي اوسع نطاقاً من ذلك بكثير – فهي النتاج النهائي في خطة ما – لعدد كبير من المتغيرات المادية وغير المادية والتفاعل الحاصل بين هذه العناصر والمكونات ، هو الذي يحدد في النهاية حجم قوة الدولة وبحسب هذا الحجم تتحدد امكانياتها في التأثير السياسي في مواجهة غيرها من الدول . من هنا تنظر النظرة الواقعية الى المجتمع الدولي والعلاقات الدولية على أنها صراع مستمر نحو زيادة قوة الدولة واستغلالها بالكيفية التي تمليها مصالحها أو ستراتيجيتها بغض النظر عن التأثيرات الواقعة على مصالح الدول الاخرى [4].

وفي هذا المجال ،أشار Joseph SNye . Jr إلى أن أستخدام القوة في الوقت الحاضر قد طرأ عليها بعض التغيير، حيث تغير من مفهوم القوة الصلبة hard power إلى القوة المرنة soft power والتي تعني الإقناع والتأثير والتحول التدريجي من الفوضوية إلى النمط المجتمعي للعلاقات الدولية. يتحدث هندرسون عن هذا التغير من خلال تجارب دولية من بينها: أرضاخ ألمانيا في الحرب العالمية الثانية التوقف في حدودها الإقليمية من قبل الحلفاء ، وقيام الولايات المتحدة من قصف فيتنام الشمالية في نهاية عام ١٩٦٠ ، وبداية عام ١٩٧٠ ، وأخراج العراق من الكويت في عام ١٩٩١ عند إخفاق العقوبات الاقتصادية التي فرضت عليه

---

[1] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية في الأصول والنظريات ، مصدر سبق ذكره ، ص١٨ – ١٩ . قارن مع ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٣ .

[2] نعوم تشومسكي ، أمريكا ... ماتقوله نحن نمشي محاورات حول القوة الأميركية في عالم متغير ، ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

[3] أنطونيا فيليكس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩ .

[4] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية في الأصول والنظريات ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩ .

بموجب قرار مجلس الأمن ٦٦١ في الثامن من شهر آب ١٩٩٠ وكان إلزاميا شاملاً، وقبضة اليابان للأدوات التكنولوجية الحديثة كقوة عظمى في المجال الاقتصادي والتكنولوجية مع صفحة سياسية وعسكرية ضعيفة في العلاقات الدولية. [١]

يبحث مورجانثو عن قوانين تطور العلاقات الدولية من خلال الطبيعة البشرية ، وفي هذا المجال يقول مورجانثو : " تعد الواقعية السياسية ، ان الحياة السياسية مثلها مثل الحياة الاجتماعية العامة ، السنن الموضوعية التي تنبع من الطبيعة البشرية " [٢].

وفيما يخص السياسة الدولية ، يقول مورجانثو : " ليست السياسة الدولية كغيرها من السياسات الاصراعا على السلطان ، فالسلطان هو هدفها الآني والفوري ، مهما كانت أهدافها النهائية البعيدة ، وقد ينشد الساسة والشعوب الحرية في النهاية والأمن والازدهار والسلطان ، وقد يحددون أهدافهم على صعيدين وفي مثل دينية وفلسفية واقتصادية واجتماعية ، وقد يأملون في تحقيق هذه المثل عن طريق قواتها الذاتية أو تدخل السماء أو التطور الطبيعي للشؤون الانسانية [٣].

فضلاً عن ذلك، تولي المدرسة الواقعية، اهتماماً على ملاحظة الحقائق، ومنحها مفهوماً عقلانياً، والاخير عند الواقعيين، يعني انه لا يمكن تحديد سمة سياسة خارجية لدولة ما، الا عن طريق تدقيق واختبار التصرفات التي كانت قائمة، والنتائج الملموسة لهذه التصرفات ومن خلال ذلك يقول مورجانثو "تستطيع ان نستنبط الأهداف الكامنة وراءها"[٤].

من هذا المنطلق ومن وجهة نظر المنهج الواقعي ، فانه يمكن من خلال تتابع الاسباب والنتائج ، والعلاقة بين الغايات والوسائل اكتشاف العقلانية التي يفترض ان تقوم عليها تصرفات رؤساء الدول [٥].

---

[١] توتكين ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٢٢ . قارن مع الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦ .

[٢] Henderson , Op.Cit ., p.١٠٠ .

كان قرار مجلس الأمن رقم ٦٦١ الزاميا وشاملا ، وكان النقاش حول امكانيات العقوبات الاقتصادية يبدو مقبولا من الأوساط الدولية ، وان الحوار ازائها غير مجد ، لكن المفروض في هذا النقاش هو الحديث عن أن العقوبات كانت قد بدأت قبل ذلك حسب ماتشير اليه عروض الأصحاب التي جرى التكتم عليها . والحق ساعدت حكومة الكويت بإرسال ملايين الدولارات من أجل التأثير على الأعضاء في مجلس الأمن وفق لما نقله محللون كويتيون حول ٥٠٠ مليون دولار مفقودة من مكتب صندوق الأستثمار الكويتي . راجع : جيف سيمونز، التنكيل بالعراق العقوبات والقانون والعدالة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ايلول ١٩٩٨ ، ص٣٣١ و نعوم تشومسكي ، النظام الدولي الجديد ، ترجمة صفوان عكاش ، قصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب ، ٢٠٠١ ، ص٢٧-٢٨ .

[٣] مورجانثو ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٣ . قارن مع الدكتور ريمولد حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٤ .

[٤] مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٦ .

[٥] المصدر نفسه ، ص٣٦ .محص جون هيرز ما تنطوي عليه الواقعية التقليدية من مفاهيم ، حيث قدم لنا في هذا المجال مقترحا يقضي باعتماد الدول على بعضها بعضا والتغيرات الناجمة عن إستنزاف الموارد والضغوط السكانية ، وتخريب البيئة ، وسباق التسلح النووي ، وعليه فإنه بدأ يتحدث عن تغليب السياسة الواقعية تبعـا لاعتبارات الإهتمامات الدولية بدلاً من حصرها في المصالح المنظورة للدولة الواحدة ، ويعد هذا منهجا عاما يقضي بإعادة تعريف المثالية بدلا من رفضها كمفهوم ، راجع : روبرت د. كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠٣ .

ويتضح من العرض السالف الذكر ، ان المنهج الواقعي يقوم على المبادئ الآتية[1]:

١- ان العلاقة الدينامية بين سياسة القوة والمجتمع ، بحيث يمكن تطبيق القوانين عليهما.
٢- الربط العضوي بين مفهوم القوة ومفهوم المصلحة ، وعليه فان السياسات الدولية تمارس هذين المفهومين .
٣- ان المصالح المادية وليست الافكار تهيمن مباشراً على أعمال البشر ، وهذا ما يذهب اليه ماكس فيبر ، أحد رواد المنهج الواقعي .
٤- ترفض الواقعية السياسية الطموحات الاخلاقية ، والقومية المفردة مع القوانين الأخلاقية الحاكمة للكون .
٥- ان الاختلاف بين الواقعية السياسية ومدارس اخرى فكرية فضلاً من أنها حقيقية وعميقة .

اتضح عما تقدم ، من أن الواقعيين من أمثال كار ووايت ومورجانثو يؤكدون بأن السياسة الدولية كانت بشكل متفرد سياسة قوة . [2]

والحق ، لم تسلم المدرسة الواقعية من انتقادات وجهت اليها ، يمكننا ايجازها في الآتي :

١- لم تستطع المدرسة الواقعية ان تميز بين القوة كمحصلة سياسية ، والقوة كأداة ، والقوة كدافع محرك ، إذ ان لكل من هذه المفاهيم مدلولاتها تختلف الواحدة عن الأخرى، الا ان مورجانثو دمجها في مفهوم واحد .
٢- عالج مورجانثو مفهوم المصلحة القومية كهدف سهل من الممكن تحقيقه ، والحق انه لا يميز بين ظروف العلاقات الدولية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، التي لم تعد صالحة التطبيق على الظروف المستجدة في القرن الحالي [3].
٣- يعتقد مورجانثو بثبات النظام السياسي الدولي ، طالما ان مصالح الاطراف تتحدد دائماً بدافع القوة تحت اية ظروف ، ومهما كانت طبيعة هذه الظروف . هذا المفهوم عند مورجانثو يخلط بين ظاهرة صراعات القوى السياسية الدولية وبين الحالات الانتقالية لهذه الصراعات والمؤسسات التي نشأت في إطارها في القرون الأخيرة ، وبمعنى آخر ، ان صراعات القوى شيء والظروف الدولية التي تحركها ، والمؤثرات التي تخلقها ودوافع الاطراف المشاركة فيه شيء آخر متباين [4].

---

[1] Ed ., by Miltan L. Rakove, Arms and Foregin Policy in the Nuclear Age, Oxford University Press , PP. ١٦-٢٤ , Waltz, Kenneth N., Theory Of International Politics , Addison-Wesley _Publishing Company , Inc, ١٩٧٩, P. ١١٧ .

[2] جيفري ستيرن ، تركيبة المجتمع الدولي مقدمة لدراسة العلاقات الدولية ، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث ، ٢٠٠٤ : ص ١٩٥ .

[3] للمزيد من التفاصيل راجع : الدكتور زيمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٨ وجيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٥ . و Hough , Op , Cit ., P ٣ .

[4] ان التصورات التي جاء بها مورجانثو تؤكد على مدى دفاعه عن الأمر الواقع Statu quo مع الاخذ بنظر الاعتبار تبني معايير مطلقة في العلاقات الدولية ، وهذا الأمر يجمع أساساً بين الرؤية البيولوجية التي تطورت مع الداروينية التي تذهب الى القول "بأن صاحب الحق هو الاقوى" . راجع : المصدر نفسه ، ص١٦٨-١٦٩

٤ – ان المنهاج الذي اتبعه مورجانثو في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية هو عملية ترشيدية مستمرة ، يأخذ عملية التوفيق بين الوسائل المتاحة وبين الاهداف التي تعد ثابتة وموضع اعتراف عام في الوقت نفسه.

ان عملية صنع القرار في السياسة الخارجية في الوقت الحاضر ، هي عملية صراع مستمر في الدول المختلفة ، من اجل الوصول الى الاهداف ، واذا كانت الاخيرة تختلف من دولة الى اخرى ، فان الوسائل لا بد ان تكون مختلفة .

٥ – لا تعد القوة وحدها كأداة لتحليل الظواهر كافة في السياسة الدولية ، اذ توجد الى جانب قيم وعوامل اخرى مؤثرة في السلوك السياسي الخارجي للدولة ، مثل الرغبة في التعاون الدولي والنزعات الاندماجية في السياسة الدولية كالحالة في أوربا الغربية [١].

٦ – تتسم تحليلات مورجانثو بالتشاؤمية في السياسة الدولية ، التي لا تستند الاّ على افتراضات واهية للغاية . وفي هذا المجال يرى بييردي ستاركلنز ، ان الواقعيين تأثروا بظروف خاصة واهملوا حركة التاريخ ، فهم يحاولون توفير التفسيرات العلمية للسياسة الخارجية الامريكية خلال حقبة الحرب الباردة [٢].

٤ – الواقعية الجديدة: تعد الواقعية الجديدة التي تعرف أيضا بالواقعية البنيوية أو الواقعية العصرية بمثابة امتداد للواقعية التقليدية في الثمانينات . ومن أهم مؤيديها كينيث والتز [٣]

---

[١] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الاصول والنظريات ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩-٢٦ .

[٢] الدكتور ابراهيم أبو خزام ، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٣ ، وللمزيد من التفاصيل حول ذلك ، راجع : فريد زكريا ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٢ – ٤٦ . وجيمس دورتي روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١ .

[٣] ولد كينيث والتز في العام ١٩٢٤، حصل على على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة كولومبيا في العام ١٩٥٧ . وهو من أحد أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة كولومبيا ، ومن البارزين في حقل العلاقات الدولية ، عمل أستاذا فخريا في العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا – بيركلي ، وأستاذا مساعدا أقدم في جامعة كولومبيا ، وزميل في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم ، وأستاذا متمرسا . من أبرز كتبه في حقل العلاقات الدولية كتابه المعروف ب " الإنسان ، الدولة والحرب " . أطلق كينيث والتز في كتابه نظرية العلاقات الدولية من أطار نظري سوسيولوجي هو النظام الدولي وسماته البنيوية ليشرح ويفسر سلوكيات الدول . راجع : ناصيف يوسف حتي ، النظرية في العلاقات الدولية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥ ، ص ٦٤ . **والدكتور كاظم هاشم نعمة ، نظرية العلاقات الدولية ، دار النقط للأعمال الفنية والأخراج الصحفي ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٩٩ ، ص٥٧ .**

حاول كينيث والتز ، ترجمة حالة " الفوضى " في النظام السياسي الدولي ، والقائمة على وجود وحدات دولية ، تتمتع بالسيادة ، مع عدم توفر نظام قانوني يستحوذ على الهيمنة عليها ، عند ذلك ، لا محالة من نشوب الحرب بين مثل هذه الوحدات ، من المؤكد فيه ، انه في ظروف تسود فيها حالة " الفوضى الدولية " فإن الوحدات الدولية تفقد مفهوم الإنسجام التلقائي بينها ، في مثل هذه الحالة عندما تكون الدولة هي مخيرة في الحكم على طبيعة نواياها ، فإنها لا محالة لها من إستخدام القوات القتالية لتحقيق أهدافها في السياسة الخارجية في إي وقت تشائها . وبالنتيجة فإن إي وحدة دولية ينبغي أن تكون مهيأة ، وعلى الدوام ، رد القوة بالقوة ، أو دفع الكورة ضعفها ، راجع : Keneeth N. Waltz , Mar , The State & War , Athearetical Analysis N . Y : Colombia Unversity Press , ١٩٥٩ , pp . ١٥٩ – ١٦٠

وستيفن كريزنر وروبرت جيلبن [1] وروبرت تاكر وجورج موتلسكي . وهؤلاء تخطو كثيراً سابقيهم من الواقعيين التقليديين التجريبية المتنافرة الأجزاء أو ما يعرف Atomistic Empiricism من خلال جهودهم بأيجاد نظرية علمية موضوعية للسياسة الخارجية على عكس المدرسة التقليدية القائمة على البديهة وبعبارة أكثر دقة أنها تحاول تغيير السياسة الخارجية الى مواد العلوم الاجتماعية . وهناك سمات معينة للواقعية الجديدة، يمكننا إيجازها في الآتي :– [2]

١– تأكيدها على معنى الصراع السياسي الدولي للسيطرة ومن خلال العلاقات الاقتصادية الدولية ، وقد ذهبت الواقعية الجديدة إلى القول بأن كل من المدرسة الليبرالية والمدرسة الراديكالية في الاقتصاد أخفقت في أدراك وفهم هذه العلاقات الاقتصادية عندما تناولتها بمعزل عن العلاقات بين الدول . وقدمت الواقعية الجديدة نظريات لتفسير وشرح العلاقات البنيوية أو الارتباط السببي بين الوسائل والأهداف التي تؤدي إلى نشوء السيطرة أو أضمحلالها ، وبالتالي تحديد مؤشرات أو معايير للتنبؤ بالنشوء والأضمحلال.

٢– تتميز الواقعية الجديدة بمفهوم الدولتية Statism من خلال منح الدولة القدرة على تكوين الأهداف والمصالح .

ولإدخال هذه المبادىء الى حيز الواقع العملي ، كتب Kenneth N . Waltz في نهاية عام ١٩٩٣ قائلا : ((من أسفيتي الرئيسة هي أبراز السياسة الداخلية الأمريكية ، وأنهماكها في الشؤون الدولية ، وهذا يعني بعدم أقرارنا بسياسة الأنعزال ، حيث أصبحت متعذرة التطبيق ، ووقفت أمام الاقطار الأخرى وعلى المدى البعيد لمعالجة مشاكلاتها ولخطائها)) . وفي هذا المعنى ، يقول Charles Kegley: ((وأنى تمدرك تماما ، أنه في حالة عودة العالم الى نظام القطبية المتعدد مرة ثانية فأن الواقعية بحاجة الى من يدافع عنها)) . [3]

أن غياب التهديدات الخطيرة على الأمن الأمريكي ، بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي ، وأنتقال النظام السياسي الدولي إلى نظام القطب الواحد ، أعطى للولايات المتحدة نطاقا واسعا

---

[1] روبرت جيلبن هو استاذ العلاقات الإقتصادية الدولية، وأستاذ فخري في العلوم السياسة والسياسة الخارجية في كلية "ودرو ولسن" للعلاقات الدولية في جامعة "برنستون" يحمل لقب "أيزنهاور" للأستاذية . له مجموعة من المؤلفات ، في مقدمتها : الحرب والتغير في السياسة العالمية ، الإقتصاد السياسي في العلاقات الدولية . لجأ جلبن في كتابه ((الحرب والتغير في السياسة العالمية)) الى منهج أستقرائي منطلقا من نظرية الأختيار العقلاني ليحلل موقف الدول أفرادا ، وبالتالي ليحدد من خلال ذلك السمات والتغيرات في النظام الدولي . راجع : الدكتور ناصيف يوسف حتي ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٤ . ولمزيد من التفاصيل حول الواقعية الجديدة راجع : الدكتور كاظم هاشم نعمة ، نظرية العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٧ – ٦١ .

[2] دكتور ناصيف يوسف حتي ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٣ .

[3] Kenneth N . Weltz , "Structural Realism After The Cold War , In Understanding International Relations The Value Of Alternative Lenses , By Daniel J.Kaufman . Jay M.Parker. Kimberly C.Field , Fourth Edition, The McGraw-Hill Companies , Inc , New York, ١٩٩٩ ,P٣١٢ , Charles W.Kegley,Op.Cit.,P.٢٥.

في خيارات عملية صنع القرار في السياسة الخارجية . والمثال على هذه الخيارات يتركز في الآتي : أنه عند انهيار يوغسلافيا وتفككها الى دول ، وتخلي الولايات المتحدة ، تحرك السيناتور Robert Dole كي يجعل من الخطر البوسني ، موضوعا من موضوعات الإنتخابات الرئاسية ، وجعل من ذلك ، ليس عملية البحث عن أمن الولايات المتحدة ولكن الدفاع عن الوضع القيادي لها في أوربا . وبهذا المعنى أن نشوء السياسة الأمريكية بعد الحرب الباردة ، ناتج ليس من خلال "الأمن الخارجي" ، وأنما جاء من ضغط السياسة الداخلية والطموح القومي .[1]

وهذا يعني ، أنه مع زوال الأتحاد السوفيتي ، ليس بعيدا أن تواجه الولايات المتحدة تهديد قوة عظمى لأمنها ، وفي هذا المجال ، يقول الجنرال كولين باول عندما كان رئيسا لهيئة الأركان العامة : ((لم يكن لي شيطان ، ولم يكن لي أعداء سوى الصغار : كاسترو وكم سونك)) .[2]

من هذا المنطلق ، برزت فئة جديدة في الولايات المتحدة ، وفي أطـار الواقعيـة الجديـدة بالأمكان تسميتها "تركيا الفتاة" التي أصبحت لها رؤية متباينة وبـصورة واضـحة "لأمريكـا" والعالم. وفي هذا المعنى يقول كروثامر : "مع سقوط الـشيوعية، يجـب أن يـصبح الارتقـاء بالديموقراطية محك السياسة الخارجية "الأيدولجية الجديدة". وقد عزز هـذا الـرأي والتبريـغ عندما قال : " بوصفنا القوة العظمى الأخيرة ، علينا أن نحاول تشكيل التطـور ... علينـا ألا نكون لاعبين سلبيين ... أن الدولة الأولى ستكون في المستقبل الدولة الأكثر نجاحاً في تـشكيل الثقافة الديموقرطية العالمية ".[3]

والحق ، أن الواقعية الجديدة ، تعد غارقة فـي التعمـيم وهـي بـصدد المواقـف الإيديولوجية، كونها تبغي الحفاظ على الأوضاع الراهنة في البنية الهرمية للعلاقات الدوليـة ، وبهذا يمكن وصفها بأنها تدخل في إطار النظرية المحافظة والتي تدور أساساً على نظام توازن القوى الثنائي ، وهذا يعني ، أنها تروم الإبقاء على تصنيفات القوى العظمى والتي تؤكد علـى ظاهرة الأستقرار ، وإبعاد النظام الدولي من حالة الفوضى التي تكتنـف بـه بـسبب غيـاب مجموعة من القيم والقواعد الأخلاقية العالمية . بعبارة أكثر دقة ، أنه يتوجـب علـى القـوى الضعيفة الإقرار والأعتراف بأهمية القوى العظمى في العلاقات الدولية ، حيث أن موضوعات الحرب والسلم ليس من واجباتها ، وعليه ينبغي على هذه الـدول الرضـوخ بـسياسة القـوى العظمى .

٥ – المنهج السلوكي :

نشأت المدرسة السلوكية في منتصف الخمسينات ، وتبلـورت بـشكل أساسـي فـي الستينات. وهدفت السلوكية إلى إيجاد نظرية تعليلية تفسيرية وتنبوية [4] .

---

[1] Ibid., P.٢١١

[2] Ibid.,

[3] هالبر ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠٥ ، ١٠٨ .

[4] الدكتور ناصيف يوسف حتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠ . والدكتور سعد حقي توفيق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٧ .

يقوم المنهج السلوكي على مجموعة من العناصر ، يمكننا إيجازها في الآتي : التناسق ، والتثبت ، والوسائل المستعملة ، والقياس الكمي ، والقيم ، والترتيب المنهجي ، والعلم التجريدي، والإندماج [(1)] .

إن السلوك السياسي قد يكون في صورته الأولى والأكثر عمومية هو سلوك المواطن العادي الذي يتعامل مع السلطة في كيفية تعامله معها . نقصد بالمواطن العادي ذلك الذي لا يمارس السلطة ولا يعنيه السلطة . هو مواطن مكره على أن يحتك بالسلطة وصورته العادية في هذا الإحتكاك هو عملية التصويت السياسة [(2)] .

ثم أن هناك نموذج آخر أقل وضوحا ولكنه أكثر أهمية ، وهو الشخص الذي ينتمي إلى الطبقة المحكومة ومن ثم لا يمارس السلطة ، ولكنه يرغب ويسعى في أن يصل إلى السلطة ، ومن ثم ينتظر الفرصة المناسبة لينقض على السلطة وصاحب السلطان [(3)] .

كذلك أن السلوك السياسي من الممكن أن يفهم أنه سلوك جماهيري وليس فقط سلوك فردي أوجماعي ، فالإشاعة السياسية تعبير عن السلوك الجماعي ، والذعر الجماعي السياسي تعبير عن السلوك السياسي الجماهيري . على أن النظرية السلوكية تعودت عندما تتحدث عن السلوك السياسي أن تقصد به فقط ذلك النموذج الأول : المواطن العادي الذي يتعامل مع السلطة دون أن يقصد أو يسعى إلى ممارسة السلطة ودون أن يعبر عن سلوكه بموقف المعارضة المتحفزة إلى الوصول إلى دفة السلطة [(4)] .

السلوك السياسي ليس إلا أحد نواحي الشخصية الفردية بحيث لا يستطيع أن نفصله لا جزئيا ولا كليا عن السلوك الفردي .الشخصية حقيقة واحدة : حقيقة ديناميكية لا تقبل التجزئة، وكذلك السلوك السياسي ليس إلا إمتداد للسلوك الفردي [(5)] .

فالثقافة السلوكية تمثل حلقة الوصل التي تربط العلوم الإجتماعية بالعلوم الأساسية . أن أحد الأجزاء الرئيسة التي منها تنبع النظرة السلوكية هي علم البيولوجيا ، وهذا يمثل القنطرة التي كانت مفقودة في العلاقة بين النوعين من أنواع المعرفة استطاعت المنهاجية السلوكية أن تمزج بينهما . كذلك فإن العلوم السلوكية قامت على أساس استقبال مناهج البحث التجريبي والمعملي كما عرفها السلوك الحيواني . فضلا عن ذلك ، أن العلوم السلوكية ولو في مرحلة معينة من مراحل تطورها أن أحد أهدافها هو توحيد الثقافة الإجتماعية . وهكذا فهي لا تقتصر على أن تنشر الثقافة الإجتماعية ، وتدخل فيها مناهج جديدة أساسها التجريب والإحتكاك المباشر بالظاهرة ، بل هي تسعى أيضا لخلق تلك المناهج الصالحة للتطبيق في نطاق جميع العلوم الإجتماعية [(6)] .

---

(1) المصدر نفسه ، ص ٤٠ – ٤١ .

(2) الدكتور حامد ربيع ، العلوم السلوكية ، الجزء الثاني ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٤٢ .

(3) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

(4) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

(5) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(6) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .

ثانيا – المناهج المعاصرة

١ – منهج التحليل النظمي

ظهرت قبل حقبة من الزمن مدارس فكرية حاولت توحيد مختلف العلوم من أجل الوصول إلى الإطار الفكري والمنهجي الموحد ، وقد تمثلت هذه المدارس النظرية العامة للتنظيم General Systems Theory التي تعود جذورها إلى جهود العالم البايلوجي "فون بيرتا لانفي" في العشرينات من هذا القرن [١] .

ومن أجل إدخال هذه المفاهيم الى حيز الواقع العملي ،عقدت مؤتمرات عديدة بعد الحرب العالمية الثانية ضمت علماء من اختصاصات مختلفة ، اثارت الجدل والمناقشة حول ذلك الامر الذي ادى في عام ١٩٥٦ الى انشاء جمعية بحوث النظم العامة التي قامت فيما بعد الى اصدار كتابها السنوي الاول ، ومنذ تلك الحقبة حاولت الجمعية خلق اطار عام للنظرية العامة للنظم.

وقد تمتعت محاولات بيرتا لانفي بصدى عام من بعض الكتاب [٢]، إلا ان الكتابات الاكاديمية التي كانت تغلب عليها المنهج التقليدي حالت من دون انتشار هذه الافكار ، إلا أن هذه الامور تكون قد تغيرت بعد منتصف الخمسينات من خلال تأثير الدراسات الاقتصادية والاجتماعية التي اشارت الى اهمية افكاره من خلال دراسة الابعاد الداخلية والدولية في آن واحد[٣].

انطلق دعاة هذه النظرية من مفهوم النظام " System " الذي يعد عندهم بمثابة وحدة التحليل الاساسية [٤]. وقد عرف النظام بريار قائلا : " أنه مجموعة العناصر المتفاعلة المكونة لكلية ، التي تنم عن تنظيم ما " [٥].

اما نيكولسون وريتولدز ، فانهما يعرفان النظام بانه : " مجموعة من الاجزاء التي تتسم بالتفاعل فيما بينها ، التي تحدد نمط العلاقات بين هذه الاجزاء ، اذ تعد هذه الأنماط اهم من هذه الاجزاء نفسها ، بسبب انه يكون خاصية النظام الرئيسة " [٦] .

---

[١] الدكتور كمال المنوفي ، الانظمة السياسية المقارنة ، الكويت ، ١٩٨٧ ، ص٩٣ و Rothman Stanly , Systematic Theory : Observations of the Group Approach , in Puplic Opinion and Policy : Models of Political linkage , E.d., by Norman R.Luttbeg , U.S.A, ١٩٦٨ , P.١٣٥.

[٢] عمل فون بيرتالانفي على اعداد نظرية عامة للعلوم مستنداً على علم الأحياء تكون صالحة سواء للعلوم الطبيعية أو للعلوم الاجتماعية مؤكداً حول امكانية توحيدها على قواعد منطقية – رياضية فكان يعمل على تداول التصرف البشري في اطار نظام حي وبوساطة حساب التوازنات الدينامية الدائرة في انظمة مفتوحة " ، راجع : ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩٧.

[٣] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠٧-١٠٨.

[٤] المنوفي ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٣. وللمزيد من التفاصيل حول مفهوم النظام راجع : Waltz, P. ٤٥ , Op.Cit.,

[٥] الدكتور غسان سلامة ، السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ دراسة في العلاقات الدولية ، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ ، ص٩.

[٦] M.B. Nicholson and P.A.Reynolds , General Systems the International System and the Eastonian Analysis , PP.١٦-١٤،٢١.

يعرف جابرييل اي . الموند ، النظام : " هو منظمة تتفاعل مع البيئة ، وتؤثر وتتأثر بها . وتشير هذه الكلمة ايضاً الى وجود اطراف داخلية كثيرة ،وهي في حالة تتفاعل بعضها مع البعض "[1].

---

[1] يعرف الموند ، النظام السياسي بأنه : " مجموعة المؤسسات والتي تتكون من المؤسسات الاجتماعية ، ومن مهمتها اعداد الاهداف العامة لمجتمع ما أو لمجموعة ضمن اطار هذا المجتمع ، والسير في كيفية تنفيذها " . راجع :
Almond , Gabriel A., and Powell , Jr ., G. Bingham , Comparative Politics Today a World View , Printed un U.S.A., ١٩٨٨ , P.٢.

يعد الموند النظام السياسي بأنه متغير مستقل بذاته ،وفي داخله تتم عملية التحول . ونرى من جانب آخر : ان الموند اعطى بعداً تطويرياً بالتحليل النسقي الذي أكد عليه ايستون . صنف الموند النظم السياسية من اجل مفهوم القدرة لتحليل اداء النظام السياسي ، والمتضمن في :

١- من خلال ممارستها ونظمها التي تؤثر على أدائها الداخلي كالنظم الحزبية أو الاطار العام للنظام (برلمانية أو رئاسية) .

٢- اضاف الموند مفهوم القدرة كأداة للتحليل والمقارنة في انماط قراراتها من حيث التفاعل مع المحيط الداخلي والدولي .

اما دافيد ايستون فانه يعرف النظام السياسي بانه " مجموعة الظواهر التي تكون نظاماً فرعياً من النظام الاجتماعي الرئيس . وتكون هذه الظواهر الخاصة بالحكم والجماعة السياسية والسلوك السياسي ينطلق ايستون في تحليل النظام السياسي في وظيفتين اساسيتين هما :

١. المدخلات Inputs وتعني مجموعة المطالب أو التأييدات التي يتلقاها النظام السياسي ، وتتضمن هذه المطالب : بالمطالب المادية والاجتماعية ، كالمطالبة بتحسين شروط العمل والامور التي تواجهها الفئات العمالية غير النقابات أو المطالبة بتوفير مواد غذائية معينة والتي تترجمها جمعيات المستهلكين الى مطالب ، والمطالب المعنوية او الرمزية المتعلقة بما تتطلبه المحافظة على القيم الجماعية وتتولى الهيئات الثقافية والدينية ترجمة الاحتجاجات او الدعوات الى مطالب يتلقاها النظام . أما المطالب السياسية فلها علاقة بالضغوط او الاحتجاجات او التدخلات من قبل الهيئات والجماعات السياسية أو الافراد للمهام في وضع السياسة العامة للنظام أو المشاركة في السياسة . وفي الوقت نفسه ، نرى ان المدخلات يمكن ان تكون تأييدات توجهها مختلف الهيئات أو الافراد للنظام ، ولها أشكال : قد تكون مادية كدفع الضرائب واداء الخدمة العسكرية أو التطوع للخدمة المدنية ، أو معنوية كالامتثال للقوانين وتنفيذها ، فضلاً عن المشاركة الفعالة في الحياة السياسية واحترام القيم ورموز السلطة العامة .

٢. المخرجات Outputs : كل ما يصدر عن النظام من اجراءات وردود افعال تقوم بها سلطات لمواجهة المدخلات (المطالب والتأييدات) ، وتتمثل المخرجات في شكل تدابير وقرارات . وفي هذا المجال ، قدم لنا ايستون علاقة تحليلية في الوظائف المتعلقة بين المدخلات والمخرجات ومن خلال العناصر الثلاثة الاتية :

١. يقدم لنا ايستون مفهوم العلبة السوداء التي تعبر عن مركز اتخاذ القرار ، وفي اطاره يتم تحويل المطالب والتأييدات الى قرارات سياسية أو تدابير تنفيذية جزئية ، مع الملاحظ ان ايستون لم يقدم لنا تحليلاً دقيقاً بما يجري في داخل هذه العلبة .

٢. يقوم النظام السياسي بممارسة وظائفه في اطار المحيط الداخلي والمحيط الخارجي ومن خلالهما يتلقى التأثيرات على وظائفه .

٣. يعد محيط النظام السياسي بمثابة الهيكلية التي تتم من خلالها التأثير على عملية الانعكاس الذي يحدث داخل النظام عندما يتم تحويل المخرجات الى مدخلات جديدة . وقد أطلق ايستون على هذا العنصر بالتأثير العكسي . راجع : منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص١١٠-١١٢ . وجيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٩ – ١١٠ .

يستخدم بعض الاساتذة العرب ، مصطلح النسق بدلالة البحث النظمي ويمثل هذا الاتجاه الدكتور محمد طه بدوي ، في حين يميل غالبية الاساتذة العرب الى استخدام مصطلح " النظام " بدلالتها النظمية لمفهوم النظام ، أكثر من صفته النظمية ، ويمثل هذا الاتجاه الدكتور غسان سلامة[1].

أما بيرتا لانفي فيعرف النظام " بانه عبارة عن مجموعة عناصر معقدة وهي في حالة تفاعل "[2]. اما سكوت فيعرفه " مجموعة اجزاء ذات خصائص متباينة ترتبط مع بعض عبر تفاعل مستمر لمدة من الزمن وتنجز وظائف محددة لها علاقة مهمة في كيفية اداء النظام لوظيفته "[3].

أما فانه يعرف النظام : " بانه مجموعة عناصر متفاعلة ، يؤلف كلاً واحداً ، ويظهر تنظيماً معيناً " . في حين يعرف Lesourme Jacque النظام بانه : " مجموعة عناصر مرتبطة من خلال مجموعة من العلاقات بشكل يسمح لاي تغيير في أي عنصر ان يؤدي الى تغيير او تبدل في بعض العناصر الاخرى "[4].

ويرى جارلس ماكيلندان ان النظام يعني : " عبارة عن كيان عام تتداخل عناصره ومكوناته على نحو يجعله يتفاعل ويتبلور في النهاية في صورة اخرى ، واي نظرية تحاول ان تتعرف على الكيفية التي تترابط بها هذه المكونات ، وتتفاعل يطلق عليها نظرية القيم "[5].

يرى نورتي – بالمستغراف ان مفهوم النظام ينطوي على :

١- اطار نظري يقوم على تدوين المعلومات المتعلقة بظاهرة سياسية.

٢- نسق من العلاقات القائمة الى مجموعة فرضية من المتغيرات السياسية، وعلى سبيل المثال فان النظام الدولي يستند على الحكومة العالمية والاخيرة متغير سياسي مفترض .

٣- نسق من العلاقات بين المتغيرات السياسية في نظام دولي مثل نظام القطبية الثنائية في حقبة الخمسينات من القرن الماضي[6].

فضلاً عن استخدام دعاة هذا المنهج مصطلح النظام، فانهم استخدموا مجموعة اخرى من المفاهيم الملائمة للانظمة العضوية والطبيعية والاجتماعية والاقتصادية، ويمكننا تصنيف ذلك الى المجاميع الاتية[7].

---

[1] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠٧ ، وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع : الدكتور محمد طه بدوي ، ، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية الاسكندرية ، ١٩٨٦م ، ص٣٢٦-٣٤٩.

[2] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٩.

[3] المصدر نفسه ، ص١٠٩.

[4] الدكتور ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ص١٩٩.

[5] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، ، النظريات السياسية الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص١٣١.

[6] الدكتور ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩٩.

[7] الدكتور كمال المنوفي ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٣-٩٤.

١- مجموعة مفاهيم ذات طابع وصفي بالاساس تقترح تصنيفات للنظم وتوضح الخطوط العريضة لابنية وحركة النظم والمثال على ذلك : مفاهيم النظام المغلق والنظام المفتوح والنظام العضوي والنظام غير العضوي . مفاهيم تتعلق بالمستويات الهيراركية للنظم مثل النظام الفرعي[1] مفاهيم تتناول جوانب التنظيم الداخلي للنظم مثل مفاهيم التكامل Integration والاعتماد المتبادل Interdpendance مفاهيم تخص ارتباط النظام بالبيئة مثل الحدود والمدخلات والمخرجات .

٢- مجموعة مفاهيم تركز على البعد الدينامي للنظم أي التعبير الذي يصيب النظم ذاتها او بفعل الاستجابة لتعديل في الظروف البيئية . ومن الامثلة على ذلك : التكيف والتعلم والنمو والعطل والازمة والحمل المتزايد والانهيار .

٣- مجموعة مفاهيم تخص ضبط وتنظيم وبقاء النظام مثل الاستقرار والتوازن والتغذية العكسية .

ويتضح مما تقدم ان المنهج النظمي له سمات وخصائص يمكننا ايجازها في الآتي [2]:

١- ان النظام لايخرج في حقيقته النهائية عن كونه وحدة عضوية حية ومتحركة وقابلة للتطور والتغير المستمر .

٢- يعمل النظام من خلال المؤثرات الداخلية والخارجية .

٣- ان النظام قد يكون محكمة في تكوينه ، او قد يكون مغلقاً .

---

[1] ان معنى مصطلح " النظام الفرعي " ، يأخذ معنى عدم الثبات ، وفي هذا المجال يجد رينولدز استخدام القطاعات المختلفة (الاقتصاد ، الدبلوماسية ..) التي تتكون منها الحياة الدولية . أما مرل فانه يشير الى وجود نظام فرعي ايديولوجي او جغرافي . وقد اعتمد كل من فريمان وكانتوري وسبيغل وريمون ارون الى تصنيف مرل ، في حين يستخدم مورتون كابلان مصطلح النظم الفرعية الدول . راجع : الدكتور غسان سلامة ، السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ دراسة في العلاقات الدولية ، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ ، ص ١٠.

[2] نقلاً ، اسماعيل صبري (دكتور)، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٢-١٣٣.

تأثر ايستون بمنهج التحليل النظمي ، وقد اراد تطبيق ذلك في النظام السياسي الداخلي . ويتكون الاخير عنده من مجموعة من العناصر :

١- المدخلات Input تنبع من البيئة ومن داخل النظام نفسه . وقد قسمها ايستون الى المطالب Demands قد تكون عامة او خاصة ، ويتم التعبير عنها في برنامج مبسط من خلال جماعات الضغط والاحزاب وقادة الرأي ووسائل الاعلام . ومن ثم يستطيع النظام السياسي الاستجابة لها بصورة اكثر فعالية . والمساندة Support التي تعني ضمان حد ادنى من الولاء والمساندة ، والاخيرة عنده نوعان : تأييد عام الذي يعد بمثابة الاداة التي يعتمد عليها النظام والتأييد الخاص الذي يعد بمثابة الرضا الذي يشعر به الفرد حينما يتصور ان مطالبه قد تحققت .

٢- عملية التحويل .. تشير الى استيعاب المطالب في ابنية النظام التشريعية والتنفيذية .

٣- المخرجات وهي تمثل استجابة النظام للمطالب الفعلية او المتوقعة ، قد تكون ايجابية ورمزية وسلبية .

٤- التغذية الاسترجاعية وهي تشير الى تدفق المعلومات من البيئة الى النظام السياسي عن نتائج الفعل ، راجع: الدكتور كمال المنوفي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦-٩٩ قارن مع الدكتور مازن اسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٠-١١٧.

٤- هناك فواصل بين النظام وبيئته الخارجية ، ينتج منها حاجات وضغوطا وتحديات مادية وانسانية وفكرية.

٥- قدرة النظام على التكيف مع الظروف المكتنفة به .

اقترح ديفيد ايستون لتحليل النظم السياسية وجواره . وبموجب ذلك يمكن الانطلاق من المدرسة الاستونية لدراسة السياسة الخارجية لدولة ما كسلوك فاعل محدد . ولكن المسألة تصبح معقدة في حالة تطبيق الأنموذج المنظومي الذي وضعه ايستون على النظم الدولية اقليمية كانت أم شاملة . الا ان ايستون لم يعط اهمية تذكر لهذه الصعوبة ، وفي هذا المجال يقول ايستون : " ان أي نظام هو مجرد نظام اخر على مستوى مختلف من التنظيم ، وبالامكان مقاربته من خلال الجهاز نفسه الذي نستخدمه لدراسة النظم السياسية الداخلية . ان مثل هذا التفسير لا تنشأ عنه صعوبات نظرية ، ويمكننا تبيان كل المتغيرات الاساسية في النظم الداخلية، في النظام الدولي الشامل " .

ويردف ايستون قائلاً : " أن معظم النظم تتطلب مجموعة من السلطات الثابتة نسبياً " . واشار نيكولسون وريتولتز عن ماهية هذه السلطات في النظام الدولي الشامل وعن كيفية تحديد الطلبات والردود والإسترجاعات Feed backs ، ويخلص الكاتبان ، " ان المتغيرات التي اشار اليها ايستون هي في النظام الشامل من الهشاشة بمكان، والسبل المنظومية التي يحددها على قدر من صعوبة التحديد بحيث ان فائدة أنموذجه في فهم النظام الشامل تبدو قابلة للشك"[١].

٦- تتفاعل السياسة الخارجية لجميع الدول بمفهوم البيئة ، ويدخل ضمن هذا التفاعل امور كثيرة تتمثل في الاهداف والقدرات والستراتيجيات والوسائل والطرق الفنية والتكتيك والاسلوب والآلية ، فضلاً عن القرارات والافعال ومحصلات السياسة الخارجية ،وقد اشار جيمس روزيناو الى مسألة الترابطات الدولية الوطنية [٢].

انتقد الاستاذ الموند ، روزيناو بسبب اهماله لمفهوم النظام الدولي ،وفي هذا المجال يذكر الموند ان البيئة الدولية تؤثر على تطور الانظمة السياسية الوطنية ، مهما كانت بنية او تركيب ذلك النظام الدولي [٣].

واكثر من هذا ، فان الموند وباول لايريان وجود علاقة تفاعلية بين الامكانية الوطنية والامكانيات الدولية [٤].

هناك تفاعل بين الانشطة المتكونة خارج البيئة المحيطة الوطنية و السياسة الخارجية للامم النامية والعوامل التي ذكرها روزيناو بهذا الخصوص قد تكون ذات فائدة، وهذه العوامل هي: العامل المحلي والعامل الاقليمي ،والعامل العرقي، وعامل الموارد ، والعامل التنظيمي[٥].

---

[١] الدكتور كمال المنوفي ، مصدر سبق ذكره .

[٢] روح الله رمضاني ، سياسة ايران الخارجية ١٩٤١-١٩٧٣ ،ترجمة علي حسين فياض وعبد المجيد حميد جودي ، مطبعة جامعة البصرة ،١٩٨٤، ص٣٠.

[٣] المصدر نفسه ، ص ٢٣.

[٤] المصدر نفسه ، ص ٢٣.

[٥] المصدر نفسه ، ص ٣٣.

ومن السهولة بمكان إقامة علاقات متبادلة بين هذه العوامل الستة ومشكلات السياسة الخارجية وفي هذا المجال تثار أسئلة عديدة والتي تتركز في : ما هو اثر العامل المحلي على أهداف السياسة الخارجية لدولة ما او قدراتها او ستراتيجياتها أو أساليبها ؟ فضلاً عن ذلك يمكن إثارة اسئلة مشابهة بخصوص التفاعلات بين كل هذه العوامل وكل من مكونات السياسة الخارجية[1].

يتحدث روزيناو عن متغيرات لها علاقة باقتصاديات الدول النامية والتي يمكن الاستفادة منها عند تحليل السياسة الخارجية لهذه الدول، وهذه المتغيرات هي : المتغير الفردي ومتغير الدور، والمتغير الحكومي والمتغير الاجتماعي والمتغير الجهازي[2] .

وقد حاول مجموعة من اساتذة السياسة الخارجية استخدام المنهج النظمي على مستوى النظام السياسي الدولي ، ولعل من بين هؤلاء تشارلز ماكليلاند وجورج مودلسكي والروسكوت وريتشارد روزكرينس ودوجرتي ، وكابلان الذي تحدث عن انموذجه في النظم الدولية الحقيقية والنظم الدولية الافتراضية ، إذ قسم النظم الدولية الى: نظام توازن القوى ونظم القطبية الثنائية الهشة ونظم القطبية الثنائية المحكمة والنظام العالمي والنظام الدولي الهرمي ونظام وحدة الفيتو [3].

والحق ، قام مورتون كابلان بتطوير المنهج العلمي في نظرية الانظمة الدولية ، وقد أكد على ذلك كابلان من خلال الانماذج التاريخية واربعة انظمة دولية ممكنة [4].

وقد حاول كابلان الاستفادة من المنهج النظمي لأجل اعداد انماذج نظرية للسياسة الدولية معداً من ان سلوك الاشخاص الدوليين تحدده عدد من القواعد التي يقبل بها هؤلاء من اجل استمراريتها .

وقد دفع هذا الموضوع كابلان حول تبني مفهوم توازن القوى والذي يتغير حسب المعطيات الدولية ، وفي الوقت نفسه رفض كابلان موضوع الفوضى الذي اعتمدته المدرسة

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٣٣.

يضيف روح الله رمضاني عامل اخر الى هذه العوامل الستة الذي يكمن في عامل " الانفراج في العلاقات الدولية المتوترة " ، أو استبدال عامل الحرب الباردة بعامل الشرق والغرب ، لأن هذا العامل من وجهة نظره (أي الشرق والغرب) يتضمن بدوره عامل الحرب الباردة وعامل الانفراج أو أي عامل اخر له علاقة بموضوع العلاقات بين الشرق والغرب . راجع : المصدر نفسه ، ص٣٣ .

[2] حاول روح الله رمضاني ان يطبق هذه المتغيرات على السياسة الخارجية الايرانية للمدة من ١٩٤١ – ١٩٧٣، ويرى ان هناك تذبذباً في هذه السياسة ، ويرى ايضاً ان هناك تذبذباً واضحاً في القوة والفاعلية النسبية لكل من السياسة الخارجية الايرانية منذ أوائل الستينات قد تجاوزت المتغيرات الجهازية من حيث القيمة والاهمية ، وهو يمكن ملاحظته منذ بداية حقبة السبعينات . راجع : المصدر نفسه ، ص٣٣ .

[3] لمزيد من التفاصيل حول ذلك ، راجع : الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٤ – ١٧٥ .

[4] Bull , Hedley , International Theory , P . ١٦ .

لمزيد من التفاصيل حول المنهج النظمي راجع :

Rosenau , James N., The Scientific Study of Foreign Policy , Op . Cit ., pp . ٢٣ - ٣٣

الواقعية ، بعداً من ان النظام العالمي يضفي عليه حالة من الاستقرار النسبي . وعليه فان مبدأ التوازن يرتبط بهذا النظام من اجل بقاءه واستمراره . ويؤدي هذا التحليل الى طرح انملاج عن النظام الدولي القديم والجديد والقائم[١] والتي تقتضي ادراك القواعد الخاصة بكل نظام والتي ستسمح بالتالي للأشخاص الدوليين – ولا سيما فيما يخص النظام القائم – ان يحددوا وبصورة مسبقة الطرق والوسائل الواجب اتخاذها في السياسة الدولية [٢].

يقسم مورتون كابلان النظم الدولية الى ستة أنواع هي [٣]:

أ – نظام توازن القوى Balance of Power System [٤]

ب – نظام القطبية الثنائية الهشة Loose Bipolar System .

ج – نظام القطبية الثنائية المحكمة Tight Bipolar System .

د – النظام العالمي Universal System .

هـ – النظام الدولي الهرمي Herarchial System.

و – نظام وحدة الفيتو Unite Veto System .

وفيما عدا النظامين الأولين ، فان النظم الاربعة هي نظم افتراضية لم تتحقق تاريخياً وان كان من الممكن ان تنبثق الى الواقع كما يزعم كابلان في مراحل تاريخية لاحقة[٥]

وقد استخدم كابلان خمس متغيرات في النظام الدولي والتي تعد مهمة لوصف أي وحدة دولية والتي تتركز في: القواعد الأساسية للنظام، وقواعد الأنتقال، والمتغيرات المصنفة الفاعلة، والمتغيرات القادرة، والمتغيرات التي لها علاقة بالمعلومات . [٦]

---

[١] قدم مورتون كابلان تصوره القائم على أساس جعل النظام الدولي ككل هو موضع التحليل في دراسة السياسة الخارجية ، في حين قدم جورج موديلسكي فرضيته المبنية على وجود انموذجين رئيسين للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي ، وهما الانموذج الزراعي والانموذج الصناعي ، ولكل منهما مضامين متميزة فيما يخص السياسة الخارجية للدول منفردة ، وللسياسات الدولية ككل . راجع : جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

[٢] ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠٢ . وجيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٧ – ١٣١ .

[٣] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥ – ١٥٦ . لمزيد من المعلومات أنظر :

Weitman , Johan ,System Theory International Relations , University Of Jouthern Californig , ١٩٧٣ , p . ٢٠ . النظام الدولي كما يراه هولستي أنه تجمع يضم كيانات سياسية مستقلة بصفة قبائل ،دويلات ، مدن، أمم ، أو امبراطوريات تتفاعل في ما بينها بتعاقب معقول وطبقاً لعمليات منتظمة . راجع :

Waltz , Op.Cit., P.٥١ .

[٤] ان مفهوم توازن القوى مفهوم غامض ، الا أنه يمكن القول بشكل عام بان توازن القوى يشير الى وضع أو إتجاه أو قانون عام لسلوك دولة معينة أو دليل لرجل الدولة أو هو صيغة تمثل إطاراً يتم من خلاله الحفاظ على عدد محدد من النظم الدولية . راجع : جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩ .

[٥] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٦

[٦] Ibid .,

كان نظام توازن القوى لكابلان الذي كان من بين هذه المتغيرات الخمس ، من أكثر الأنظمة أهتماما الذي كان سائدا في القرن التاسع عشر ، قام على القواعد الآتية :- (١)

١- العمل على زيادة القدرات ، ولكن في أطار المفاوضات أكثر من مفهوم القتال .

٢- القتال بدلا من أن تخفق في زيادة القدرات .

٣- إيقاف الحرب أكثر من التخلص عنها كعمل وطني أساسي .

٤-العمل على معارضة أي ائتلاف أو أي عمل فردي مع الميل لتبني وضع الهيمنة ، أخذا بنظر الأعتبار أستقرارية النظام .

٥- إجبار الفاعلين عن منع الطرف الذي يسعى في الأشتراك في المبادىء المنظمة لمفهوم ما فوق القومية .

٦- سماح الفاعلين الوطنيين الأساسيين للاعب خاسر لدخول النظام بصفته كشريك أو السعي من أجل قبولهم مشاركة الدور أو العمل لجلب الفاعل الأساسي السابق ضمن تصنيف الفاعل الأساسي ، ومعاملة الفاعلين الأساسيين لمشاركة الدور المقبول .

في مقارنة للأحداث أو التغييرات التي حدثت على الساحة الدولية ، نستطيع القول ان النظام الدولي الذي كان سائداً قبل الحرب العالمية الثانية القائم على توازن القوى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (السابق) كانت هرمية النظام الدولي تعد في مرحلة القطبية الثنائية المحكمة أو الصلبة ، ففيه تختفي الأطراف غير المنحازة – إلا نادراً – والقاعدة في هذا النظام هو ان تكون منتمياً إلى أي من الكتلتين أو تفقد الوجود المؤثر في هذا النظام . كما ان الأطراف العالمية – كالمنظمات – تفقد دورها كوسيط في نزاعات الكتلتين ، فضلاً من فقدان الشعور بالتضامن .

ولكن بعد التطور التدريجي في الإمكانية الذاتية للقوى الكبرى مثل فرنسا وبريطانيا والصين الشعبية بعد الحرب العالمية الثانية الذي أدى الى امتلاكها للسلاح النووي وكسر الاحتكار النووي من القوتين العظميين نتج عنه تحول من القطبية الثنائية الصلبة الى القطبية الثنائية الهشة أو المرنة .

في النظام القائم على القطبية الثنائية الهشة نجد ان الأطراف فوق القومية أخذت تشارك جنباً الى جنب مع الأطراف القومية في القيام بالأدوار الرئيسة .

وفي نظام القطبية الثنائية الهشة يقوم طرف قائد بدور القطب الرئيس في كل تكتل دولي وفي داخل هذا النظام تتعقد الأدوار والوظائف والمسؤوليات وتميل الى التخصص وعلى نحو يسمح بالقول بأن نظام القطبية الثنائية هذا يتميز بدرجة من التعقيد في طبيعته وعلاقاته وتفاعلاته.

---

(١) Ibid . , Kaplan Morton , "Variants On Six Models Of International Politics & Foreign Policy : Areader In Research & Theory " .The Free Press , New York . ١٩٦٩ . PP .٢٩٢ -٢٩٣ .

ويلاحظ موركون كابلان أنه " إذا كان نظام القطبية الثنائية الهشة يسمح من حيث المبدأ بوجود بعض الكتل الدولية الأخرى فأن هذه الكتل بصورة عامة تكون على مستوى من الإمكانيات أقل بكثير من الكتلتين الرئيسيتين اللتين تشكلان بقوتهما الضاربة حجر الأساس في هذا النظام كله"[1].

ولهذا فان هذه الكتل ذات الإمكانيات المحدودة لا يمكنها التأثير في الصراعات التي تنشب بين الكتلتين الرئيسيتين وبأي شكل فعال .

ولكن ثمة تحولات قد طرأت على النظام الدولي القائم أدت الى حدوث التحولات التي شهدها ؛ من هذه الأحداث [2].

أ- التحولات في المعسكر الاشتراكي .

ب - الثورة الصناعية الثالثة (ثورة المعلومات) .

ج - انحسار فاعلية دول العالم الثالث ودول حركة عدم الانحياز .

د - التكتلات الاقتصادية الكبرى

هـ - هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية .

ولا بد من الإشارة هنا الى ان توظيف الولايات المتحدة لبعض تطبيقات الثورة التكنولوجية ، ولا سيما في مجال ادخال أنظمة جديدة من الأسلحة النووية وتطوير بعض حلقاتها التسليحية المهمة قد عجل بأنتهاء معادلة (توازن الرعب النووي) الذي كان سائداً بين القوتين العظميين ، وبالتالي انتهاء مرحلة القطبية الثنائية ونشوء واقع دولي جديد يتسم بخواص تختلف عما سبقه تتجسد بانقلاب كمي ونوعي في ميزان القوى العالمي ، ووجود بنية عسكرية قائمة على هيمنة قطب واحد وهو الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن هنا تأتي الخطورة في امتلاك طرف دولي قوة تميزت بالأرجحية على باقي أطراف النظام ، ويصبح هذا على الولايات المتحدة التي تسعى لديمومة هيمنتها على الساحة الدولية ، وفرض ارادتها على معظم المجتمع الدولي ، مع عدم ترددها في استخدام القوة العسكرية واختراق سيادة الدول والتدخل في شؤونها الداخلية ، فضلا عن أنماط سلوكية أخرى.

وبذلك فان انهيار الاتحاد السوفيتي (السابق) قد احدث في الواقع تغييرات أساسية في النظام وفي نمط تفاعلاته ، اذ أدى غياب الاتحاد السوفيتي (السابق) وانتهاء دوره العالمي الى تقليل هامش المناورة والحركة للدول الصغرى .

ومن بين الحقائق الملموسة " على صعيد الممارسة الأمريكية الكونية في أعقاب الحرب الباردة ، ان الولايات المتحدة صارت تعتمد على سياسة الترهيب والتهديد لتقييد حركة الدول والأنظمة السياسية وتأمين انسياقها وراء السياسة الأمريكية وبما يؤمن قدراً اكبر من المصالح التي تسعى لتحقيقها والتي لم تكن بمعزل عن الغاية النهائية للستراتيجية الأمريكية الكونية أي السيطرة على العالم" [3].

---

[1] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية ، مصدر سبق ذكـره ، ص١٥٨ و Waltz , Op .Cit., PP .٥٩-٦١.

[2] أحمد زكي الجنابي ، النظام السياسي الدولي والصراع العربي – الاسرائيلي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ١٩٩٣ ، ص٢١ – ٣٥ .

[3] عارف محمد خلف البياتي ، أثر المتغيرات الدولية الجديدة ، على السياسة الخارجيـة السـورية (١٩٨٥ – ١٩٩٥) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ١٩٩٦ ، ص٣٦ .

لقد بات واضحاً الآن وبعد مناقشة تفرد وهيمنة الولايات المتحدة في الوضع الدولي الحالي وأساليبها التعسفية ، نتساءل هل ما يزال النظام الدولي هو النظام المرن أو الهش ؟ .

بعد كل ما ناقشناه من تفرد أمريكي وسياسة متغطرسة ، نجد ان النظام الدولي الآن يتجه ، وبحسب التصنيف الذي وضعه مورتون كابلان من جهة ، وطبقاً لمساعي الأمريكية وما تعلن عنه في سياستها الخارجية من جهة أخرى ، نرى هذا النظام يتجه نحو النظام العالمي، وهو ما يقترب مع ما أطلق على العولمة أو الكوكبة ... الخ من تسميات تعبر عن نظام عالمي يتجه للاندماج .

النظام العالمي يظهر عندما يدعم دور احد الأطراف العالمية في نظام الثنائية المرنة، ويتميز هذا النظام بدرجة عالية من الاندماجية وعلاقات التضامن، وإذا نشأت تحالفات سياسية إقليمية في نطاقه فهي تكون مقيدة بالقواعد السياسية الرسمية التي يقرها هذا النظام ويتخذها معياراً لأنشطته وعلاقاته .

ويسعى هذا النظام الى دمج النظم القيمية للدول القومية للتمهيد لظهور معايير قيمية عالمية متفق عليها ، ومن دلائل هذا التحول الجديد في انماذج القيم، ان المكانة الأدبية والسياسية والمنح والمكافآت التي تحصل عليها الدول من هذا النظام العالمي لا تتقرر تبعاً لما تمتلكه تلك الدول من إمكانيات وانما يكون المعيار هو ما تشارك به فعلاً في تحقيق اهداف هذا النظام العالمي .

وفي مقارنة بسيطة لسمات هذا النظام العالمي مع السياسة الخارجية الأمريكية نجد انهما متطابقان ، وتسعى الولايات المتحدة للوصول الى هذا النظام العالمي بشرط ان تتزعمه هي ولوحدها .

ولا يغيب عن بالنا ان نذكر ان من المتوقع أيضاً تصاعد قوى أخرى – اقتصادياً – الى جانب الولايات المتحدة الأمريكية مثل ألمانيا ، واليابان ، أو حتى الاتحاد الأوربي تضيف إليها مساعي روسيا الاتحادية في ان ترجع لمكانة الدولية التي كان يتمتع بها الاتحاد السوفيتي (السابق) ، تصاعد هذه القوى قد يبقي النظام ثنائياً (أو متعدد) القطبية المرنة أو الهشة ، بسبب تعدد الأطراف الدولية .

ومن الجدير بالذكر ان مساعي ومحاولات ومشروعات إصلاح الأمم المتحدة كأعلى منظمة دولية ، قد يعزز ظهور مثل هذا النظام ذي القطبية الثنائية أو المتعددة المرن[1] .

نخلص هنا ، بان اهمية هذا العامل تكمن في أحداث تغيير أساسي في النظام الدولي القائم ، وما ينطوي عليه هذا التغيير من اثر في تحديد نوعية العلاقات بين الأطراف الأساسية في النظام الدولي وما يترتب عليه من انعكاسات على حركة السياسة الخارجية للدول المختلفة وتبعاً لإمكانياتها وقوتها المتفاوتة .

وعلاوة على ذلك فان التغيير في الإمكانيات والموارد وما يتبعها من تغيير في القدرة التأثيرية ، ستؤدي بالتأكيد الى الإخلال في التوازن الدولي.

---

[1] لمزيد من التفاصيل حول مشروعات اصلاح الأمم المتحدة راجع : أحمد الرشيدي وآخرون ، الأمم المتحدة ضرورات الاصلاح بعد نصف قرن وجهة نظر عربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦ .

وهنا تكمن الخطورة " ولا سيما إذا أدى التغيير الى انفراد فاعل قوي اساسي ، حيث لا يتوقع ان يؤدي دوراً وفقاً لأحكام اللعبة ، وإنما طبقاً للاتجاهات التي تخدم استمرار مركزه الدولي وقوة تأثيره " [1].

وبالتالي فان قدرة أو عدم قدرة صانع القرار السياسي الخارجي في اتخاذ القرار السياسي تتوقف على إدراكه لما يمتلكه من قدرات وإمكانيات تتيح له ولو هامشاً بسيطاً من حرية الحركة السياسية الدولية المستندة الى القوة والنفوذ ، ومدى استعداده ان يقوم بدور فاعل ومؤثر وأيضاً مستقل في المجتمع الدولي .

وجه غونبدك بعض الانتقادات الى كابلان والتي اشارت الى عدم تحديده للعناصر المؤثرة على سلوك الاشخاص الدوليين ، والمثال على ذلك هو انموذج نظام توازن السلطة الذي كان قائماً بين القوى العظمى والذي كان يعني قائماً من اجل تبرير مفهوم التوسع الاستعماري [2].

ان منهج التحليل النظمي قد ادخل مفاهيم جديدة الى تقاليد التحليل السياسي ، ومبرزاً الطابع الحركي للنظام السياسي من خلال التأكيد على التفاعل بين النظام والبيئة، ومساعدة الباحث في جمع وتصنيف المعلومات وعرض نتائج البحوث [3].

على الرغم من المزايا التي تحدث عنها انصار المنهج النظمي ، هناك بعض الانتقادات توجه اليه يمكننا ايجازها في الاتي [4]:-

١- الاهتمام المبالغ فيه باستمرار النظام ، وهذا يعني ان نظرية التحليل النظمي هي محافظة بطبيعتها ومتحيزة للوضع القائم . وبالتالي هي غير صالحة لتناول النظام السياسي ابان حقب التغيير الثوري .
٢- يعكس هذا المنهج مستوى عالياً من التجريد ، وافتقار عناصره الى التحديد الاجرائي الواضح مما يقلل من فرص استخدامه في البحث السياسي التجريبي المقارن .
٣- يعاب عليه تناوله السريع الغامض لعنصر التحويل ، فقد اكتفى بالقول ان هذه العملية تحدث داخل ابنية النظام ، دون ان يوضح ماهية هذه الابنية والوزن النسبي لكل منها والتفاعلات التي تحدث بداخلها ، ولهذا السبب دفع بعض المؤلفين تسمية هذا الانموذج بالصندوق المظلم أو الاسود .

---

[1] Kaplan , Mocton A ., Balance of Power , In : Rosenau , James World Politics : An Introduction (New York : Adviser of Macmilan Publishing , ١٩٧٩) , p. ٣٤٥ .

[2] المصدر نفسه ، ص٢٠٢ – ٢٠٣ .

[3] الدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٩ .

[4] المصدر نفسه ، ص٩٩–١٠٠ والدكتور إسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ١٧٠ – ١٧٥ .

٢ – المنهج المقارن

" المقارنة هي التمييز بين أو وصف الخصائص والصفات المشتركة أو المختلفة لشيئين أو أكثر أي هي تقصي نقاط التشابه أو الاختلاف وتحل المقارنة أحياناً محل التعريف أو تكمله . وقد تعني المقارنة أيضاً النتيجة التي قد تتمخض عن أي من تلك الدراسات "[1].

وفي هذا المجال ، يقول الفيلسوف الإجتماعي الفرنسي أليكس دي توكفيل : " أن المقارنة شيء أساسي للفكر البشري ، علاوة على أنها جوهر المنهج العلمي ، فمقارنة ماضي أمتنا وحاضرها ، ومقارنة تجاربنا بتجارب الأمم الأخرى يعمق من رؤيتنا لمؤسساتنا الخاصة . ويتيح لنا تفحص سياسات المجتمعات الأخرى ورؤية مدى أوسع من البدائل السياسية ، ويلقي الضوء على فضائل حياتنا السياسية وعيوبها . وبإخراجنا من شبكة المسلمات والترتيبات المألوفة التي أعتدنا العمل من خلالها ، فإن التحليلات المقارنة تساعدنا على توسيع وعينا للإمكانات الكامنة في السياسة "[2] .

ويتشابه هذا منطق المناهج المقارنة المستخدمة من قبل العلماء السياسيين ومفهومها مع تلك المستخدمة في العلوم الدقيقة . إن العالم السياسي لا يستطيع أن يصمم تجارب يتفحص من خلالها الترتيبات السياسية ويراقب النتائج . لكن من الممكن وصف وشرح مجموعة مختلفة من الأحداث والمؤسسات الموجودة في سياسات المجتمعات المختلفة[3] . قبل ألفي عام ، استعرض أرسطو في كتابه " السياسة " البنى الإقتصادية والإجتماعية للعديد من المدن اليونانية في مسعى لمعرفة كيفية تأثير البيئة الاجتماعية والإقتصادية على المؤسسات والسياسات[4] .

قارن روبرت دال ، وهو عالم سياسي حديث ، في دراساته عن الديمقراطية ، بين الخصائص الإقتصادية ، والثقافية ، والتجارب التاريخية للعديد من الأمم المعاصرة في محاولة لإكتشاف تركيبات الظروف والصفات المميزة التي ترتبط بذلك الشكل من أشكال الحكومة[5] .

قارن منظرون آخرون في محاولتهم لتفسير الفروق بين أعمال وإنجازات الأنظمة السياسية والأنظمة الدستورية والأنظمة الإستبدادية ، والديمقراطيات ثنائية الأحزاب مع الديمقراطيات متعددة الأحزاب ، والحكومات المستقرة مع الأنظمة المزعزعة[6] .

---

[1] الدكتور محمد محمود ربيع ، مناهج البحث في السياسة ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ١٩٧٨ ، ص٣٤٩ .

انتقد روي مكريدس في عام ١٩٥٥ في كتابه " دراسة السياسة المقارنة " المنهج التقليدي للتحليل السياسي ، على الرغم مما قدمه هذا المنهج في مجال البحث العلمي ، فلم يكن دراسته الا المقارنة بالشكل والتسمية ، لا بل غير مقارن في فحواه ، فجل دراسته اهتمت بدولة واحدة أو غلبت عليه جانب الوصف في تناول المؤسسات في عدد من الوحدات الدولية . راجع : الدكتور كاظم هاشم نعمة ، في السياسة المقارنة المدخل النظرية ، دالة للطباعة والنشر ، طرابلس ، ١٩٩٨ ، ص٤٠ .

[2] جابرييل إيه . ألموند جي . بنجهام باول الإبن ، السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية ، ترجمة : هشام عبدالله ، الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، ١٩٩٨ ، ص ١٥ .

[3] المصدر نفسه : ص ١٥ .

[4] المصدر نفسه ، ص ١٥ .

[5] المصدر نفسه ، ص ١٥ .

[6] المصدر نفسه : ص ١٥ –١٦ .

والتحليل المقارن أداة قوية ومتعددة الإستعمالات ، فهو يحسن القدرة على وصف وفهم العمليات السياسية والتحولات السياسية في أي بلد بتقديم مفاهيم ونقاط مرجعية من منظور أوسع . ويحفز إسلوب المقارنة أيضا على صياغة نظريات عامة عن العلاقات السياسية ، كما أنه يشجع ويدفع إلى إختبار النظريات السياسية بمقابلتها بتجارب مؤسسات وأوضاع عديدة [1].

ولا بد من الاشارة في هذا المجال ، أن الأراء متباينة حول دلالة المنهج المقارن، وفي هذا المجال يطرح ماكوون اتجاهات خمسة بالامكان ايجازها في الأتي : يؤكد الاول منه بانه احد اشكال القياس ، في حين يشير الثاني بانه اداة تستخدم لتوضيح احد المفاهيم وخلفيته الواقعية ، والثالث يتضمن على نحو مرادف لمنطق التحليل العلمي، والرابع يشمل احد انماط البحث العلمي ، أما الاخير فانه يشير الى احد صيغ تحليل مشكلة التكامل والتعامل الثقافي بين الدول ومعالجتها [2].

يستخدم المنهج المقارن أسلوب الملاحظة والاستنتاج في مراحل البحث المختلفة خلال وضع الفرضية أو عند التأكد من المصادر والقواعد من أجل الوصول الى التعميمات أو النظريات الناتجة من البحث . وعلية يمكننا القول في هذا المجال ، ان هذا المنهج يعد الاساس العلمي الذي يقدم التفسير في العلوم الاجتماعية ، وعلى صعيد المستويات الأتية في البحث : الوصف وبناء الانماذج والتحقق من القوانين [3].

يقوم هذا المنهج بمقارنة السياسة الخارجية لدولة معينة مع السياسة الخارجية لدولة اخرى من اجل الوصول الى نقاط الشبه او الاختلاف فيما بينهما [4]. ويطبق المنهج نفسه على السياسة الخارجية لدولة معينة في حقبتين لكل منهما طابعها الخاص ، أو في حقبتين لكل حقبة منهما زعامة خاصة تختلف عن زعامة حقبة اخرى تالية أو لاحقة ، والغاية من ذلك هي التوصل الى ابراز أوجه الشبه ونقاط الاختلاف ، واوجه النقص والقوة في حالة وجودها من خلالها المقارنة بين السياسة الخارجية خلال الحقبتين أو السياسة الخارجية بين الدولتين المعنيتين . فضلاً عن ذلك ، يطبق المنهج المقارن على السياسة الخارجية لأكثر من دولتين [5]. وتبعاً لذلك ، يعد المنهج المقارن وسيلة لبحث وتحليل الظواهر المختلفة وتقصي الجذور التاريخية من خلال ابراز اوجه الشبه او الاختلاف في الأنموذج والأسلوب ، الا ان هذا لايمنع الحديث عن المشكلات الحديثة بمنهج مقارن كما هو الحال بالنسبة لمعظم الدراسات المعاصرة التي تكاد تنتمي بما تحويه من مادة ومشكلة الى حقل السياسة الخارجية [6].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ١٦ .

[2] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٠ .

[3] الدكتور غازي فيصل ، ، منهجيات وطرق البحث في علم السياسة ، مطابع دار الحكمة ، بغداد ، ص٣٧ .

[4] الدكتور عبد الله سعود القباع ، السياسة الخارجية السعودية ، الرياض ، ١٩٨٦ ، ص٢٨ ؛ والدكتور فاضل زكي محمد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٤.

[5] الدكتور محمد علي العويني ، العلاقات الدولية بين النظرية والتطبيق ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص . قارن مع : الدكتور كاظم هاشم نعمة ، في السياسة المقارنة المداخل النظرية ، مصدر سبق ذكره ، ص١٥ ، ٤١ .

[6] الدكتور محمد محمود ربيع ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٥٠.

تم استخدام المنهج المقارن في بداية الامر على مستوى الدول الأوربية ، اما الآن فانه يستخدم في الاقطار غير الاوربية . فضلاً عن ذلك انه لم يعد يقتصر الى ابراز الجوانب الشكلية للمؤسسات ، تجاوز ليشمل دراسة الجماعة السياسية والابعاد والمواقف المؤثرة في عمليات صنع القرار في مختلف الدول وقد ادى هذا الامر ان تتحول دراسة التاريخ الدبلوماسي من التوقف عند القرارات الدبلوماسية وتصرف الدبلوماسيين ، لتشمل تأثير السياسة الداخلية لكل دولة على سياستها الخارجية ، والتفاعل بين السياستين الداخلية والخارجية [1].

والحق ، كانت هناك بعض العوامل التي اسهمت في بلورة الدراسة المقارنة في السياسة الخارجية ، وبالامكان ايجازها في عاملين رئيسين هما:-

١- التطورات الدولية التي حصلت في الستينات من هذا القرن ، وهذه التطورات لها علاقة بتوسيع حجم السياسات الخارجية ، التي كانت حكراً على الدول الاوربية ، وذلك بعد بزوغ دول جديدة في العلاقات الدولية ، الامر الذي ادى الى ظهور مفهوم مايسمى " بديمقراطية العلاقات الدولية " وكانت سببا الى فتح المجال امام الدارسين لمتابعة علاقاتها ببعضها مع البعض الآخر .

٢- التطور العلمي :

ان الدراسة المقارنة في الستينات من هذا القرن وفي مجال السياسة الداخلية ، كانت لها التأثير الواضح على الدراسات المقارنة في السياسة الخارجية ، ولاسباب عديدة من بينها التوسع في حجم المعلومات وانهيار الحواجز بين السياسة الداخلية و السياسة الخارجية ، الى درجة اصبحت الاخيرة تعكس الاولى في النظام السياسي الدولي [2].

وكان لبعض الفقهاء في السياسة الخارجية دورهم في ابراز هذه الدراسة ، ومنهم على سبيل المثال روزيناو ، الذي نادى في عام ١٩٦٨ ، الى اسباغ هذه الدراسة بالعلمية ، وانشاء النظرية ،الامر الذي شجع الصدر الدراسة المقارنة من تطوير هذا المفهوم في السبعينات . والحق فقد اسهم كل من ريتشارد سنايدر وروزيناو وميخائيل رودلف روميل ووليم كوبلين وميخائيل اوليري وجونثان ولكينفليد ، من ايجاد نظريات المقارنة في السياسة الخارجية [3].

نخلص من ذلك ، ان الدراسة المقارنة في السياسة الخارجية هي كل تحليل يجعل وحدته تدور حول اكثر من أنموذج واحد من أنماذج السياسة الخارجية من اجل البرهان و لاكتشاف اوجه الخلاف واوجه الشبه او كلاهما [4].

---

[1] جيرول الموند ، استهلال الدراسة المقارنة للسياسة الخارجية ، باشراف روي مكريدس : مناهج السياسة الخارجية في دول العالم ، ترجمة الدكتور حسن صعب ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٦ ، ص١٧ . قارن مع الدكتور كاظم هاشم نعمة ، في السياسة المقارنة المداخل النظرية ، مصدر سبق ذكره ، ص١٣-١٩.

[2] الدكتور ناصيف يوسف حتي ، النظرية في العلاقات الدولية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٥ ، ص١٩٢-١٩٣.

[3] الدكتور كاظم هاشم نعمة ، نظرية العلاقات الدولية ، طرابلس ، ١٩٩٩ ، ص١٨١-١٨٤.

[4] الدكتور حامد ربيع ، ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩.
والدكتور كاظم هاشم نعمة ، في السياسة المقارنة المداخل النظرية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤-١٨.

والحق ، تتجلى الدراسات المقارنة بشكل واضح بخصوص التحليل الانتخابي ، فعلاقة الارتباط بين النواحي الماكروكزمية والميكروكزمية تسمح بالتمييز بين اربعة اتجاهات في التحليل ، يمكننا ايجازها في النقاط الآتية :- [1]

١- ميكرو ميكرو Micro-Micro ، حيث يكون أساس المقارنة هو كل ماله من صلة بخصوص الفرد اي الناخب.

٢- مكرو مكرو Macro-macro ، حيث نجعل اساس المقارنة يدور حول الوسط الهيكلي ، اي حول خصائص النظام السياسي .

٣- ميكرو ومكرو Micro-Macro ، وفيها يتم التحليل ويدور حول اثار الاتجاهات والقرارات الفردية على السياسة العامة والستراتيجية العامة سواء للحزب او للحكومة .

٤- مكرو ميكرو Macro-Micro ،وهي تدور حول مدى آثار التحفظ واحترام الشرعية من جانب نظام معين على استقرار وثبات النظام السياسي الكلي.

والحق ، ان الأنموذج الافضل لدراسة السياسة الخارجية هو الوصول الى اهم انماط صانعي القرار ، والتعرف على الاحوال الملائمة لبروزهم واستمرارهم وتغيرهم ، فتتجاوز بذلك التمييز القائم في الوقت الحاضر بين قوى عظمى وصغرى ، ودول استعمارية واخرى مسالمة ودول ثورية واخرى محافظة [2]

ينطوي هذا المنهج على مزايا عديدة ، لعل من بينها : انه يساعد على وصف السياسة الخارجية من حيث شموليتها وتفسيرها من خلال ربط الافعال التي تقترن بها واسبابها والوصول الى اسلوب التنبؤ في تفسير السلوك السياسي الخارجي ، ويمكننا ان نذهب الى القول الى ان هذا المنهج يستطيع ان يقدم مقترحات تتضمن ماينبغي ان يكون عليه السلوك السياسي الخارجي [3].

٣- المنهج التحليلي :

من الناحية التاريخية ، فقد اشار الى هذا المنهج كل من ارسطو في دراسته المنطق ، وايمانويل وهوسيرل [4].

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨

[2] الدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٥ – ٢٦ .

التحليل على مستوى الميكرو والتمييز بينه وبين التحليل على مستوى المكرو ، هو احد انجازات الفكر الأقتصادي المعاصر ، أساس هذه التفرقة هو أن التحليل من الممكن أن يتم على واحد من مستويين : أما على مستوى الفرد المنعزل ، الوحدة النهائية السلوك الأقتصادي ، وهو على مستوى المجموعة : الحقيقة الشاملة وهكذا فجميع كليات الوجود الأقتصادي : الأدخار والأستثمار والأستهلاك من الممكن أن نتصورها على مستوى ميكرو ، أي مستوى الفرد المواطن ، أو على مستوى مكرو أي مستوى كلي أو جماعي . وبعبارة اكثر دقة : أن التحليل المكرو يعني التحليل على مستوى الظاهرة الكلية التي تنتهي في أقصى درجاتها بان تتحدد بالدولة أو الأمة الى الجماعة السياسية الكلية ، أما التحليل الميكرو فيعني التحليل على مستوى الفرد او المواطن كوحدة للتحليل . راجع : الدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، ص ٢٣ .

[3] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٣-١٣٤.

[4] الدكتور محمد محمود ربيع ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٠.

ويمكننا ان نعرف التحليل بانه " عملية تعريف وتقويم للاجزاء التي يتكون منها الكل، وبتعبير اخر هو تعريف وتقويم للاجزاء المكونة للموضوع قيد البحث كوسيلة للحصول على معرفة غنية وجديدة ، والمنهج التحليلي يتخذ اشكالا ومستويات مختلفة تبعا لطبيعة ذلك الموضوع ، وان تعدد عمليات التحليل يعد شرطا لتوفير ادراك اعم واشمل له [1].

ساد هذا المنهج في اعقاب الثورة الفرنسية ، وقد ركز على اهمية الفهم الصحيح للتطورات الدولية من خلال التعرف على غرض الدولة واهدافها وتسلسل مصالحها وتحليل الظواهر المتكررة في سياسات الدول الاخرى [2].

يشير هذا المنهج ، أن للدول نمطا من المصالح والالتزامات وكذلك تقاليد الدولة من خلال دراسة تاريخها وجغرافيتها واهداف الأمن القومي وحاجاته ، وبموجب هذا المنهج ، يتم التركيز على عملية السياسة الخارجية Process وهذا يسهم في تحليلها[3].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٤.

وفي هذا المجال ، لابد من التمييز بين أسلوب الاستقراء ، وأسلوب الاستنباط ، يشير الأول إلى كيفية الانتقال من الخاص إلى العام ، وبعبارة أخرى ، هو عملية تقويم لحكم معين ، وهذا الحكم قد يكون مصدره الملاحظة ، أو المنطق المجرد . أما الثاني فانه يشير الانتقال من العام إلى الخاص ، وهو تفريع نتيجة على قاعدة أو حكم ، هو بطبيعته عملية منطقية ، ولكن هذه العملية قد تكون مجربة وقد ترتبط بواقعة معينة ، وهي على كل حال عملية تطبيق وتخصيص .

وهذا ما يقودنا ان نميز بين المنهج الاستدلالي والمنهج التجريبي ، في المنهج الاستدلالي ، نرى ان موضوعه يتحدد في المخلوقات العقلية ، الذي لايقتصر على السير من الكل الى الجزء ، بل يسير من الخاص الى العام ، وهذا يعني بان هذا المنهج يقترب كثيراً من المنهج الاستقرائي ،الذي يقوم على اساس الانتقال من الخاص الى العام . اما المنهج التجريبي فان موضوعه يتمحور في الوقائع الخارجية : أي وقائع تتجاوز العقل سواء اكانت خارجة عن النفس اطلاقا او باطنة فيها :أي عدم الاعتماد على مبادئ الفكر وقواعد المنطق الصورية وحدها ، والاعتماد على التجربة في البحث العلمي . راجع : الدكتور عبد الرحمن بدوي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٧-١٢٨ . علماً ان العلوم الطبيعية تعتمد اعتماداً كليا على منطق المنهج التجريبي ، وترجع اليه حسب ما تقتضي عليه اجراءات البحث وطبيعة المتغيرات والعناصر ، اما في مجال العلوم الانسانية التي تتميز بوجود سلسلة من العلاقات المتداخلة والتي تتسم بالتعقد بين متغيراتها بسبب اكتنافها بظواهر اجتماعية متعددة على نطاق واسع وارتباطها بجذور تاريخية . ولابد من التأكيد في هذا المجال ، ان هذا المنهج يشير من ناحية اخرى الى اختيار متغير او اكثر من ذلك يوجد بينهما صلة سببية بينهما ، ثم القيام بعد ذلك بعزل البقية الباقية من المتغيرات في البيئة ، وفي مرحلة لاحقة من ذلك ، عرض ذلك المتغير الى منبه لملاحظة التأثيرات المترتبة على هذه العملية ، وبعد ذلك الانتقال الى دراستها وذلك بالمقارنة مع المتغيرات التي بقت خارج اطار المنبه المشار اليه .وتجدر الاشارة في هذا المجال من ان علماء السياسة لا يعولون على هذا المنهج كثيرا على الرغم من المزايا العلمية لهذا المنهج . راجع : الدكتور كاظم هاشم نعمة ، في السياسة المقارنة المداخل النظرية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤. والدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص٣١ .

[2] الدكتور عبد الله سعود القباع ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦.

[3] الدكتور محمد علي العويني ، العلاقات الدولية بين النظرية والتطبيق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦ ، وكنيث ثرمسون ، وروي مكريدس ، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها ، من اعداد روي مكريدس ، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم ، ترجمة الدكتور حسن صعب ،دار الكتاب العربي ،بيروت ١٩٦٦ ، ص٣١.

وهذا يعني ، أن المنهج التحليلي يقوم على ما تقف عليه من حقائق تخص تخطيط السياسة الخارجية والاساليب الموضوعة لها لتحقيق اهدافها. وتبرز اهمية هذه الطريقة في التحليلات التي تجريها للحقائق وفي الخلاصات والاستنتاجات التي تتوصل اليها [١].

ويجب أن نؤكد في هذا المجال : ما يحتله المنهج التحليلي من اهمية في السلسلة الطويلة من الخطوات التي يستلزمها المنهج العلمي ، وفي هذا المجال يرى جون ديوي ان البحث لايبدأ بالحقائق او وضع الفروض وانما بالاعتراف بوجود وضع شائك او مشكلة تحتاج الى حل ، أما نور ثروب فيرى أن تحليل المشكلة هو الخطوة المهمة ، ثم تأتي بعدها مرحلة صياغة الفرض العلمي بينما يضيف ارنولد بريشت الاعتراف بوضع ما على انه شائك ثم الانهماك في تحليله هما خطوتان يجب ان تسبقها فكرة مايكون الباحث او فرض تجريبي (فرض عمل) بان الوضع القائم يخفي مشكلة هامة قد يكون تحليلها ذو علاقة بالمعرفة الانسانية بشكل عام [٢].

٤- منهج اتخاذ القرار

يتضمن البحث العلمي ان نميز بين عملية صنع القرار كمنهج لتحليل السياسة الخارجية، وعملية اعداد القرار اذ تعد الاولى " عملية ناتجة عن اختيار خطة ضمن عدد محدود وذوي طابع اجتماعي من البدائل التي تهدف الى صياغة وتحديد الموضوعات المستقبلية التي يعالجها صانعو القرار " [٣]. او بعبارة اخرى هناك منهج للحركة يقوم مخطط السياسة الخارجية بتحديدها للانتقال من الإعداد إلى التنفيذ على ضوء الاهداف والمصالح القومية والتقاليد التاريخية . وتتأثر هذه النواحي جميعا بقدرات الدولة الستراتيجية والتكتلات التي تنتمي اليها من اجل السعي في تحقيق اهداف ومصالح الدولة الخارجية [٤].

وبتعبير ادق ، أن عملية صنع القرار هي المرحلة المحورية في العملية السياسية ، فقد تم ترتيب القوى السياسية ، وبعدها يتم الانتقال الى من سياسات رسمية : مشروعات قوانين تقترح وتمرر من خلال المؤسسة التشريعية او اصدار مراسيم من خلال القادة ، وبعد ذلك يتم الانتقال الى تنفيذ اهداف السياسة الخارجية ومن ثم مراجعة النتائج [٥].

ويشير المفهوم الثاني الى " وضع منهج للنشاط الاداري والعلمي بغية تحقيق الاهداف الوطنية بحيث يشمل هذا المنهج تحديدا زمنيا لتحقيق هذه الاهداف ، ويعين الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق هذه السياسة"[٦]. أو بمعنى اخر ان هناك مجموعة من الاهداف تبغي الدولة تحقيقها وقد تحددت في ضوء الامكانيات ومقومات التطور ، وقد نظر الى هذا الاخير نظرة

---

[١] الدكتور فاضل زكي محمد ، السياسة الخارجية وابعادها في السياسة الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣.

[٢] الدكتور محمد محمود ربيع ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٢.

[٣] Snyder , Richard C., H.W.Bruck and Spain , Buron , Foreign Policy Decision Making , NewYork , ١٩٦٢, P.٩٠.

[٤] Norman J. Padelford and George K, Lincion , The Dynamics of International . Politics , NewYork , The Mecmillam Company ١٩٦٧ , PP.٢١٤ -٢١٥.

[٥] Almond and Powell , Op.Cit ., P.١٠٢.

[٦] Dutsch , Karl. The Analysis of International Relation , Englewood Prentic -Hall , ١٩٦٨, P.٧٧.

متسعة نسبيا من حيث الزمان . هذه العملية من حيث طبيعتها لاتعدو ان تكون محاولة خلق الاتصال الضروري بين الواقع السياسي و"الاهداف القومية ، ومن ثم يسعى صانع السياسة الى تخطي الحواجز التي تفصل الاهداف بالامكانيات [1].

ولابد من التأكيد في هذا الشأن ، أن عملية صنع القرار تشير الى عملية التفاعل بين المشاركين كافة على المستوى الرسمي وغير الرسمي في رسم السياسات العامة . فعملية صنع القرار تعد بمثابة الوظيفة الرئيسة الملقاة على عاتق المؤسسات السياسية ، وقد تقوم الأخيرة في اختيار البديل المناسب من خلال المناقشة والمفاضلة .

وقد برز في هذا الحقل ريتشارد سنايدر ، اذ عد ان الاساس في الوحدة النهائية لتحليل السياسة الخارجية هي عملية صنع القرار . فحوى هذه النظرية هو ان الحركة السياسية لاتعدو ان تكون لموقف تحدد زمانا ومكانا وموضوعا . وهذا يعني ان صانع القرار السياسي ، سواء على مستوى الحركة او على مستوى التنبؤ لابد وان يقوم بتحديد المتغيرات التي تتحكم في الموقف [2].

وتبعا لذلك فانه يحاول التلاعب بهذه المتغيرات من حيث الأبعاد الداخلية والخارجية لعملية صنع القرار للوصول الى تحديد اثارها على موقفه السياسي ، ومن ثم يصل الى القرار الرشيد الذي يتخذه تعبيرا عن مصالحه القومية . وقد ادت هذه الدراسة الى ازالة الفوارق بين حقيقة الحركة السياسية على المستوى الداخلي وحقيقتها على المستوى الخارجي [3].

---

(1) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠.

(2) يعرف الموقف بانه " مفهوم تحليلي يشير الى العلاقة بين الحوادث والاهداف والأوضاع ، وبين العوامل المنظمة الاخرى التي تشكل محط نظر صانعي القرارات " . راجع : Snyder , Op.Cit., PP.٨٠-٨١ .

(3) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩.

بلور سنايدر ومجموعة من الاساتذة الجامعيين في جامعة برينستون الأمريكية سنة ١٩٥٤ نظرية متكاملة لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، وقد جاء هذا على اثر دراسة قرار الادارة الامريكية سنة ١٩٥٠ بالاشتراك في حرب كوريا . ان اسهامات سنايدر لم تقتصر في المجال العلمي فقط ، وانما انصبت ايضا بمنهج التحليل الذي ادخل الديناميكية والفعالية للتحليلات السكونية للدراسات السياسية . راجع : منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٧.

اذا كان سنايدر قد بلور المدخل العقلاني في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، نرى ان هناك اساتذة جامعيين تبنوا الاتجاه نفسه ، مثل روبنسون ، الذي قدم عمله في هذا المجال مع سنايدر في المدة الواقعة بين ١٩٥٤-١٩٦٦ ، اللذين اكدا على دور صانعي القرارات الرسميين وعن طريق ادراكات الفاعلين الدوليين واختياراتهم وتوقعاتهم ، ومن وجهات نظرهم ان هذه الامور جميعاً هي عمليات متواصلة وبشكل حلقات مترابطة . راجع : د. جمال علي زهران ، " عملية صنع القرار في السياسة الخارجية المصرية في نصف قرن (السمات والتحديات) " ، السياسة الدولية ، العدد ١٤٩ ، ص٢٣ و Norman J.Padelford , and George K. Lincoin , Op.Cit., PP.٢١٤-٢١٥ و Dutsch , Karl , Op.Cit., P.٧.

تجدر الاشارة في هذا المجال ، ان صانعي القرارات الرئيسية في السياسة الخارجية يعتمدون على عدد من المستشارين في اختصاصات مختلفة ، وفي احيان كثيرة يتم عرض الموضوع الواحد على تخصصات مختلفة ونتيجة لذلك يتم التوصل الى مجموعة من البدائل ، اذ تعالج قضية معينة ، ويوضح لكل بديل مزاياه ومساوئه ، كما يرجح على اخر ، وبهذا يترك لصانع القرار ان يختار البديل الملائم من بين البدائل المعروضة . راجع في هذا المجال :

الدكتور محمد علي العويني ، الاعلام الدولي بين النظرية والتطبيق ، ط٢ ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٣٠.

والحق، ان عملية صنع القرار في السياسة الخارجية تتم على مراحل ، ومن المنطقي ، ان هناك تركيزاً على اهمية بعض البدائل السياسية من بين هذه البدائل ، واستبعاد لبعضها ، وعلى سبيل المثال عندما يكتب احد السفراء تقريره في الدولة المعتمدة لديها ، وعندما تأتي مرحلة تقويم هذا التقرير بوساطة المسؤول عن شؤون تلك الدولة في دائرتها الجغرافية بالوزارة تتبلور السياسة في " ورقة تقدير الموقف Position Paper التي يعدها هذا المسؤول في صورة مسودة قد يصدق عليها رئيسه بالموافقة او يعيد صياغتها او يرفضها .

وبعد هذه المرحلة ، تحال هذه المسودة الى مرافق عليا وفي هذه الحالة من الممكن الرجوع الى الدوائر الوظيفية بغية استشارتها ، او حصول موافقة دوائر اخرى ، او قد تعقد اجتماعات للتوحيد وجهات النظر المختلفة . راجع في هذا الصدد :-كارل دوتيش ، تحليل العلاقات الدولية ، ترجمة شعبان محمد محمود شعبان ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ١٣١-١٣٣.

وقد قسم Snyder المواقف في السياسة الخارجية الى الاقسام الاتية :-

١- المواقف المنظمة المحددة والمواقف غير المنظمة التي تشير الى الغموض وعدم الاستقرار اذ انه من الصعوبة بمكان لصانعي القرارات استنتاج دلالات محددة لها .

٢- المواقف الضاغطة ، والمواقف غير الضاغطة ، وقد يكون الضغط نابعا من اطار الجهاز الذي تتخذ فيه القرار او من خارجه .

٣- المواقف الحاسمة ، والمواقف غير الحاسمة ، ويركز التفرقة في هذا الصدد على مدى ارتباط الموقف بالاهداف الرئيسة التي يكون مركز اهتمام صانعي القرارات .

٤- نوع التأثير الذي يكتنف بالموقف من حيث درجة التهديد والعداء .

٥- كيف يتم تفسير المشكلة ، وكيف يتم تحديد طابعها الوظيفي الرئيس هل هو سياسي او معنوي او اقتصادي او عسكري أو مركب من كل هؤلاء .

٦- المواقف من حيث البعد الزمني ، لأن هناك مواقف تفتقر الى خاصية الثبات .

٧- مدى فرض العوامل الموضوعية على صانعي القرارات ومدى تأثر المواقف التي تفتقر الى ضغط العوامل الموضوعية .

أن الذي يقرر اتجاهات وردود فعل صانعي القرارات من هذه المواقف هو خاصية الاهداف التي يرمون من وراء هذه القرارات ومدى ارتباطها باستجابات معينة . راجع : Snyder , Op.Cit., PP.٨٠-٨٢ ، ١٧٩-١٨٦.

وبصورة عامة ، من الممكن وضع "الاطار العام لموضوع " النسق الواحد للاختيار في ثلاثة مواقف رئيسة هي :

١- المواقف الجديدة : هي تلك المواقف التي تتطلب من صانع القرار ، اكثر من مجرد تطبيق قواعد اتخاذ القرار التقليدية ، لأنها تتميز بانها مواقف غير تقليدية ، والمثال على ذلك ، موقف اتخاذ قرار الحرب وانهاء الحرب او الدخول في تحالف عسكري رئيس .

٢- المواقف الغامضة : وهي قابلة اكثر من تفسير واحد وفي هذا المجال يشير بورتر الى ان هذه المواقف هي على انواع ثلاث :

I) ان يكون الموقف جديدا تماما ، أي لم يسبق حدوثه من قبل .

II) كون الموقف يتميز بالتعقيد ، بمعنى اخر ، أن يكون هناك تراكم من المعلومات ، ينبغي اخذها بنظر الاعتبار .

III) احتواء الموقف على معلومات متناقضة ، من الصعوبة بمكان تفسيرها .

٣- مواقف القلق والاجهاد النفسي : في ظل الاجهاد النفسي ، تقل قدرة الفرد على تفحص المعلومات الجديدة او تفسيرها بطابع التفسير العقلاني ، وفي خضم ذلك ، نرى ان الفرد يحاول استخدام النسق العقيدي كأداة للتعرف واتخاذ القرار . راجع : الدكتور محمد السيد سليم ، التحليل السياسي الناصري ، دراسة في العقائد و السياسة الخارجية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٣٣-٣٤.

يعد سنايدر من الاساتذة البارزين في مجال تحليل عملية صنع القرار ، وقد طبق هذا المفهوم على السياسة الخارجية ، الا أنه لم يستبعد استخدامه في السياسة الداخلية .

وقد اراد سنايدر وبروك وسابين قصور الانموذج الستراتيجي او الرشيد (استخدام مؤرخو الدبلوماسية الانموذج الستراتيجي او الرشيد في وصف تفاعلات السياسات الخارجية المختلفة وتصرفات زعماء تلك الدول تجاه بعضهم البعض ، وبموجب ذلك فان الدول تشكل وحدات منفصلة تسعى الى تعظيم اهدافها في السياسة العالمية . وفي هذا المجال يرى هذا الانموذج في عملية صنع القرار على انها صندوق اسود ، اذ انه من الصعوبة بمكان فهم القوى السياسية الداخلية المؤثرة على خياراتها . وعليه نرى ان هذا الانموذج يفسر السياسة الخارجية في ضوء الفعل ورد الفعل . ووفقا لذلك يحاول الباحث تفسير كل تصرف على عملية حساب رشيدة لكل تصرف قام به الطرف الاخر .

ويعد المحللون الستراتيجيون الذين يحللون ظاهرة الردع العسكري ومنظرو المباريات الذين يبنون انماذج او تجارب لإختبار الحسابات الرشيدة من اهم الباحثين الذين يستعينون بالانموذج الستراتيجي) . وقدموا أنموذجا بديلا لفهم عملية صنع القرار في السياسة الخارجية . راجع : لويد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦-٨.

ومما هو جدير بالاشارة ، ان روي مكريدس من اساتذة السياسة الخارجية المقارنة ادخل مفهوم القرار في اطاره التحليلي . راجع : الدكتور كمال المنوفي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٣.

يؤكد هولستي انه في حالة دراسة الموقف ، يتضمن معرفة جميع المتغيرات الداخلية والخارجية التاريخية والمعاصرة التي يعدها صانعو السياسة الخارجية على صلة بالمشكلات التي يعالجونها بقراراتهم ، ويرى انه من الصعوبة بمكان التعميم حول مدى الاهمية التي يتمتع بها كل متغير فيها في أي موقف خارجي لا ان التقويم النسبي لتلك الاهمية يخضع كل واحد من هذا الموقف . يصنف هولستي تلك المتغيرات على النحو التالي :-

١- الانطباعات والصور والقيم والمعتقدات والسمات الشخصية والدوافع السياسية للافراد الذين تناط بهم مسؤولية تقرير الاهداف وتحديد أولوياتها وتعيين الوسائل الكفيلة بتحقيقها في اطار القاعدة المتاحة من الامكانات والموارد القومية .

٢- هيكل النظام السياسي الدولي القائم والعوامل التي تؤثر في تفاعلاته واتجاهاته العامة .

٣- الدور القومي في السياسة الدولية .

٤- الاحتياجات القومية كما يتفهمها الجهاز المسؤول عن اتخاذ القرار .

٥- الرأي العام وجماعات المصالح ومنظومة القيم الاجتماعية السائدة .

٦- القيم والتقاليد التي تؤثر في سلوك الاجهزة التنظيمية المسؤولة عن اتخاذ قرارات السياسة الدولية.

ويشير هولستي الى دور كل واحد من هذه المتغيرات بالشكل الاتي :

أ) الصور والاتجاهات والقيم والمبادئ والمعتقدات الشخصية كعنصر اساس في تعريف الموقف الخارجي ورؤيته.

ب) هيكل النظام الدولي ، وطبيعة الظروف الدولية السائدة كأحد العناصر الداخلة في تعريف الموقف الخارجي .

ج) ابعاد الدور القومي في السياسة الدولية .

د) عامل الاحتياجات القومية .

هـ) الرأي العام .

و) القيم والتقاليد التنظيمية والجوانب الاجرائية .

راجع : الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٨-١٩٩ ، ٢٠٥ و الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسة الدولية دراسة في الاصول والنظريات ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤.

درس كثير من الكتاب ظاهرة اتخاذ القرارات السياسية ، ومن اكثرهم في هذا المجال، ريتشارد سنايدر الذي يعد من المتأثرين بنظرية بارسون العامة في الفعل ورد الفعل التي اعتمدت علم النفس والاجتماع لتفسير العوامل التي تؤثر في منهج اتخاذ القرار في السياسة الخارجية ، واهتم بذلك ايضا كل من دويتش وكابلان في تحديد متغيرات السياسة الخارجية ، فضلا عن مودلسكي الذي اولى اهتماما بتجميع متغيرات صنع القرار والذي ادرج تحت مفهومي المصلحة والقوة ، جاهدا في بحث العوامل المحددة لاهداف وسلوك متخذي القرار ، ويجب ان لايخفى عن البال في هذا المجال دراسات السياسة الخارجية لي رايت ميلز على انواع القرارات واهميتها وتأثير المناصب القيادية عليها [1].

تعد نظرية اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية من النظريات الاساسية التي يهتم بها اساتذة السياسة الخارجية ، وتنصب اهتمامات هذه النظرية على تفاعل الدول مع العوامل المؤثرة من النظام الدولي الذي تعمل في اطاره والتعرف على الكيفية التي يعبر بها هذا التفاعل مع الواقع الدولي عن نفسه من خلال اتخاذ قرارات خارجية محددة تبرز بها الدول اتجاهاتها وتدافع بها عن مصالحها ازاء الاطراف الخارجيين الذين تتعامل معهم [2].

يعد كارل دويتش من رواد منهج الاتصال في دراسة النظام السياسي ، طرح افكاره في هذا المجال من خلال عديد من المؤلفات ، من بينها العصب الحكومي ، والسياسة والحكم ، وكيف يقرر الناس مصيرهم .

ان عملية الاتصال تعد بمثابة الجانب المحوري في أي نظام سياسي ، ويمكننا توضيح ذلك في الشكل الاتي :



تتلقى اجهزة الاستقبال Receptors المعلومات في صورة رسائل Messages وتتولى نقلها الى مركز القرار Center Decision ويعتمد هذا الاخير على ذاكرته Memory (أي المعلومات المختزنة في العقل او السجلات) وقيمه Values " أي تفضيل قرار على اخر " في التوصل الى القرار الذي يبعث به الى الابنية التنفيذية Effectors التي تتخذ الافعال والاجراءات الكفيلة بتنفيذه [3].

وهنا لابد من تحديد بعض المفاهيم المتعلقة بتدفق ومعالجة المعلومات : الحمل ، ومقدرة التحمل والاستدعاء ، وهذا الى جانب تلك مفاهيم تخص القرارات وآثارها : المخرجات ومدة الابطاء والكسب والتغذية العكسية . والاخيرة تنقسم الى تغذية عكسية ايجابية وتشير الى

[1] الدكتور نظام بركات ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٥-١٥٦.

[2] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨١.

[3] الدكتور كمال المنوفي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٨.

تدفق المعلومات الى النظام عن نتائج قراراته تدفعه الى انتهاج السلوك نفسه من اجل الوصول الى الهدف ، وتغذية عكسية سلبية وتشير الى تدفق معلومات الى النظام عن نتائج قراراته تدفعه الى تعديل سلوكه في الاتجاه الذي يؤدي الى بلوغ الهدف . تغذية عكسية تستتبع تغيير الهدف الاصلي أي تدفق المعلومات الى النظام عن نتائج قراراته تحمله على تغيير هدفه الاصلي [1].

وهناك مفاهيم تخص التجديد والتكيف وهي الاخرى تتفرع الى : القدرة على التعلم والتحول الذاتي ، يؤخذ على المنهج استخدامه لمفاهيم مشتقة من هندسة الاتصال والقوى في تحليل النشاط السياسي بياثر الانسان صاحب العواطف تلك التي يصعب التحكم فيها ، فضلاً عن وجود عناصر نسق الاتصال ، من الصعوبة بمكان اخضاعها للقياس مثل : معنى الرسالة، شدة الرسالة ، العلاقة بين مصدر الرسالة وتاثيرها [2].

في حوار بين كيسنجر وترومان ، اكد الأول أن البيروقراطية تتجلى في النظام السياسي الامريكي كانها الفرع الرابع في الحكومة التي تؤدي الحد من حركة الرئيس في عملية صنع القرار ، وقد اجاب ترومان عن ذلك قائلاً : "اذا علم الرئيس ماذا يريد فلن تقف البيروقراطية بينه وبين مراده هذا ، فعليه ان يعرف متى يتوقف عن اخذ بنصائح الاخرين" [3].

ويرى سنايدر في هذا المجال ، ان عملية اتخاذ القرارات هي عملية متابعة المراحل اذ تتركز في بيئة قرارية معينة والاخيرة تضم الوحدات المسؤولة عن اتخاذ القرار الخارجي وهناك عوامل عديدة تؤثر على الاطراف المتفاعلة ، وهذه العوامل هي:- الدوافع ومجالات الخبرة ونمط الاتصالات المسيطر ، وطرق تفسير البيانات التي تتناول العناصر المختلفة للقرار عن طريق التفاعل بين هذه الدوافع ، نتوصل في نهاية الامر الى قرار السياسة الخارجية [4].

وقد اقترح سنايدر ثلاث وسائل لتحليل العوامل التي يتبناها صانعو القرار [5]:

١- البيئة الداخلية .

٢- البيئة الخارجية .

٣- صيرورة صناعة القرار .

وعند سنايدر تتكون عملية صنع القرار من مستويات دنيا ثلاث هي [6]:

١- دائرة الاختصاص .

٢- الاتصال والمعلومات.

٣- الدوافع والمحركات .

---

[1] المصدر نفسه ، ص ١١٩-١٢٠.

[2] الدكتور كمال المنوفي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٠-١٢١ ، حول منهج الاتصال في دراسة النظام السياسي راجع : Dutsch , Op.Cit., PP.١١٩-١٣١.

[3] هنري كيسنجر ، الدبلوماسية من الحرب الباردة الى يومنا هذا ، ترجمة مالك فاضل البديري ،الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٥ ، ص٩-١٠.

[4] الدكتور كمال المنوفي ، مصدر سبق ذكره .

[5] منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٨.

[6] المصدر نفسه ، ص ٩٩.

اعطى سنايدر اهمية كبيرة للتحليل السايكولوجي لسلوك صانعي القرار وافعالهم وردود افعالهم فضلاً عن اهتمامه على الجوانب الجغرافية والتاريخية والتكنولوجية . ومن جانب آخر اكد سنايدر من ان " سلوك الدولة يعكس سلوك صانعي قراراتها وتبعا للظروف المكتنفة بهم "[1].

وفي حقيقة الامر ، أن هناك جملة من الإنتقادات توجه إلى منهج اتخاذ القرار لسنايدر ، بالامكان اجمالها في الاتي :

١- ان معالجة سنايدر لموضوع الدوافع في اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية ، تتسم بعدم الوضوح والتحديد .[2]

٢- إن منهج اتخاذ القرار في السياسة الخارجية ، لم يحدد لنا نوعية التأثيرات المتبادلة والارتباطات القائمة بين مختلف العناصر والمتغيرات الاساسية في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، لابد من دراسة هذه العناصر والمتغيرات تقع في اطـــار معين ، في حين تحديد تفاعلات هذه العناصر وتأثيراتها تدخل في اطار اخر .

٣- في حالات لاحصر لها ، هناك افتقار في البيانات والمعلومات ، كل ذلك يؤدي الى عدم امكانية الوصول الى بناء استنتاجات معينة بشأن عملية صنع القرار في السياسة الخارجية[3].

٤- مقر التحليل على عملية صنع القرار يعني خلطاً بين مرحلة اعداد السياسة ومرحلة تنفيذها وادارتها .

٥- يركز منهج صنع القرار على دراسة السياسة الخارجية بتجزئتها الى مجموعة من القرارات موضحا دور كل مؤسسة وتأثير كل عامل بيئي في أنماط مختارة من القرارات. ومن ثم هو يفقد النظرة الشاملة للسياسة الخارجية كمجرد واحد متكامل ، وليس لمجرد جزئيات والقدرة على تحديد الخصائص العامة لسياسة دولة ما.

٦- لم يرد في أنموذج سنايدر اشارة الى " النظام الدولي " كواحد من اهم مؤثرات البيئة الخارجية [4].

٧- ان تحديد الاهداف قد يكون صعبا في التطبيق نظرا للاختلاف بين الاهداف المعلنة والاهداف الحقيقية التي تتبناها الدول في مثل هذه المواقف الخارجية .

٨- ان الوضع النفسي لمتخذ القرار (حالته –استعداده – تكوينه) يجعل من الصعب التوصل الى قواعد موضوعية تكون قابلة للتطبيق في المواقف الدولية المشابهة خلافا لما تميل نظرية اتخاذ القرارات الخارجية الى افتراضه.

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٩٩.

[2] للمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع : جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٨ – ٢١٩ .

[3] المصدر نفسه .

[4] مصطفى محمد سيف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤-٥.

٩- صعوبة تتبع ورصد التفاعلات المستمرة التي تحدث على كل مستوى بين أطراف المواقف الخارجية والتي تحدد عناصر رؤيتهم وتؤثر في توقعاتهم ، وفي تعريفهم لأهدافهم وتجعلهم يبدون ردود أفعالهم ازاء تطوراتها بصورة او اخرى .

١٠- صعوبة تقويم الدور الذي تسهم به المؤثرات التنظيمية والبيروقراطية في عملية القرارات الخارجية ومنها على سبيل المثال : قيم وتقاليد الجهاز البيروقراطي المسؤول ومدى تاثيرها والعوائق البيروقراطية وطبيعتها والمناخ التنظيمي العام لحظة اتخاذ القرار وانعكاساته [1].

١١- ينتقد سنايدر على تصنيفه للعناصر المكونة لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية من حيث تقسيمها الى عوامل كبرى وصغرى دون تحديده لكيفية التآلف بينها ، وتأثير احداها على الاخرى .

١٢- أولى سنايدر اهمية كبرى على العوامل الخارجية في عملية صنع القرار ، في حين كان اهتمامه قليلاً بالمحيط الداخلي ، في الموقف الذي نرى ان هناك علاقة ديناميه وعضوية بينهما [2].

الى جانب هذه الانتقادات الموجهة الى نظرية اتخاذ القرار ، هناك بعض الايجابيات المنسوبة اليها ، يمكننا ايجازها في الاتي [3]:

١- تساعد هذه النظرية التعرف مسبقا على مختلف القوى والعوامل الثابتة والمتغيرة والمتداخلة التي يتشكل من مجموعها السلوك الخارجي لاي دولة عضو في النظام الدولي.

٢- ان الدولة القومية National State ستظل ولمدة طويلة قائمة اهم وحدة سياسية مسؤولة في النظام السياسي الدولي ، واذا كانت هناك بعض المنظمات الدولية فوق القومية التي تستند الى العديد من القوى التي تحركها وتحاول من خلالها ترتيب اوضاع دولية او اقليمية معينة ، الا ان ذلك على اهميته النسبية لايغير من الحقيقة الثابتة ، وهي ان الدول ما تزال تمثل قوة التأثير الاولى في السياسة الدولية .

٣- ان عملية اتخاذ القرارات الخارجية تشتمل على كل العناصر والمتغيرات الرئيسة التي تحدد في النهاية حركة الدول وترسم الاطار الذي تنبثق تصرفاتها الدولية من داخله ، ويأتي في مقدمة قائمة تلك العناصر والمتغيرات الطرف او الأطراف الفاعلة والاهداف والوسائل والمواقف التي تتخذ تلك القرارات ازاءها .

٤- تجمع نظرية اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية مستويات عديدة للتحليل ، اذ تستخدم المتغيرات السيكلوجية وتحليل اثر العوامل الاجتماعية والتنظيمية –المتغيرات البيئية .

---

[1] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٤-٢٥٦ ، ومنصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٠ ،وجيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٩ – ٣١١ .

[2] منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٠.

[3] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٣-١٨٧.

٥- بسبب اعتماد نظرية اتخاذ القرار الكثير من المتغيرات ، فانها تكون كأساس لربط العديد من نظريات العلاقات الدولية ببعضها وهي النظريات التي اقتصر تطبيقها على امور محددة وضيقة دون محاولة لتجميعها وتنسيقها في اطار متكامل . وفي النظريات التي تبرز امكانية هذا الربط نظريات الاتصال ونظريات التفاوض والمساومة ونظريات التهديد والصراع ونظريات التحالف والمشاركة ونظريات الشخصية القومية او نظريات الطابع القومي .

٦- عدّ قارما منهج اتخاذ القرارات لسنايدر بمثابة انتصار لمفهوم الصيرورة في تحليل القرار على مفهوم الآلة الذي اكد عليه التحليل الوظيفي [١].

والحق ، ان نظرية اتخاذ القرار هي بالاساس اطار فكري Framework Conceptual اكثر من كونه نظرية علمية شاملة تستطيع ان تفسر مختلف حقائق السياسة الدولية وان تربطها ببعضها ربطا شاملا متكاملا . وفي هذا المجال يقول سنايدر انه من المفضل النظر الى عملية اتخاذ القرارات في السياسة الدولية كفكرة او كمفهوم اكثر منه كانموذج Model او كنظرية [٢].

فضلاً عن أنموذج القرار الذي قدمه سنايدر عن الدور المركزي للاطار المرجعي لصنع القرار ،هناك الانموذج الذي قدمه بريتشر ، وهو يدور حول " صفوة النخبة " وعلى هذا الاساس فان واضعي سياسة الردع بدأوا في الاونة الاخيرة التخلي عن مفهوم الرشادة في بناء نماذج الردع الدولي ، وفي تطوير النماذج جديدة تنهض بالدور الرئيس للعمليات المعرفية لكل من الرادع والموجه اليه الردع ، ويمكننا ان نستشهد بانموذج جورج وسمرك وسنايدر وديمزغ[٣].

كما واشتهر روزيناو في دراسة صنع القرار كمنهج لتحليل السياسة الخارجية ان قدم لنا في هذا المضمار صياغة مبدئية لعملية صنع القرار تقوم على اساس التمييز بين مجاميع خمس من المتغيرات هي :

١ - خصائص الاشخاص الذين يقومون بتحديد سياسة الدولة .
٢ - وظيفة صانع القرار السياسي في الدولة .
٣ - طبيعة هيكل الاطار الحكومي .
٤ - الخصائص الذاتية للمجتمع السياسي .
٥ - تأثير العوامل الخارجية على المجتمع السياسي .

---

[١] منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩.

[٢] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨١-١٨٢.

عملية صنع القرار في السياسة الخارجية تتضمن مرحلتين هما :

١- مرحلة صياغة القرارات (سواء أكانت ستراتيجية أم تكتيكية في تعلق أربع قضايا رئيسة وهي : الامن العسكري والدبلوماسية والنمو الاقتصادي والمكانة الثقافية أو الحضارية).

٢- مرحلة التنفيذ : وتعني تنفيذ القرارات من خلال الاجهزة المتعددة والمؤسسات المختصة بذلك (كرئيس الدولة ورئيس الحكومة والمسؤولين بوزارة الخارجية) ، راجع : جمال علي زهران ، السياسة الخارجية لمصر ١٩٧٠-١٩٨١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص٣٥-٣٦.

[٣] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ،مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤.

والحق ، ان روزيناو كان متأثراً بنظرية دوتيش الفقيه الامريكي وصاحب المؤلفات الشهيرة في العلاقات الدولية وعملية الاتصال [1] ، ويتضح هذا التأثير في استخدام روزيناو هذه المتغيرات لتحديد القوى النسبية للدولة فيقرر ان ذلك ينبع من خصائص الجماعة سواء كانت مغلقة أو مفتوحة ، نامية أو مختلفة ، دولة كبرى أو دولة صغرى ، مجتمع يقوم على أساس فكرة المشاركة الكاملة المباشرة او عكس ذلك[2].

الى جانب هذا ، هناك أنموذج برويت ، الذي يشير ، أن القرارات المتوصلة اليها لها علاقة بتعريف صناع القرار للموقف الخارجي ، والقرار عند برويت هو نتيجة التصورات التي يحتفظ بها واضعو السياسة الخارجية عن الدول الأخرى [3].

اما فيما يخص أنموذج هولستي في عملية صنع القرار ، فأنه يؤكد من أن الموقف الذي يتحدد في اطاره الموقف لابد ان يؤخذ بنظر الاعتبار الابعاد الداخلية والخارجية ، والاطار العام للتاريخ القديم والمعاصر [4].

فضلاً عن ذلك ، هناك أنموذج لوفيل الذي ينطلق من ان عملية صنع القرار تستند على الموقف والبيئة الخارجية والامكانيات التكتيكية ، ومن خلالها يمكننا ادراك وفهم السياسة الخارجية لأي وحدة دولية ، وهذا الأنموذج يجمع بين عملية صنع القرار والديمومة التاريخية والعوامل الستراتيجية [5].

وهنا لابد من الاشارة ايضاً ، الى أنموذج مايكل بريتشر الذي يقوم اساسا على منهج الدراسات النظمية ، مع ابراز اهمية الابعاد الداخلية والخارجية في عملية صنع القرار ، مع تأكيد الترابط بينهما من خلال الأثر الراجع (التغذية الإسترجاعية) . وتتطلب هذا الأنموذج ايضاً ، في كون السياسة الخارجية تقوم على مجموعة من المتغيرات التي لها علاقة مع البيئة والفاعلين ومكونات النظام من " خلال البداية بالقرارات والاستجابة للتحديات " [6].

واخيراً ، يتوجب علينا الاشارة الى أنموذج هالبرين الذي يؤكد على مركزية الاشخاص الذين تقع عليهم مسؤولية عملية صنع القرار وفي اطار مجلس الأمن القومي الامريكي . ويرى هالبرين في هذا المجال من أن الاهداف الداخلية لها الاولوية على قضايا الشؤون الخارجية ، لأن الاخيرة لا تعد الا انعكاسا للبيئة الداخلية [7].

---

[1] يرى دوتيش المجتمع السياسي انه جسم حي يستقبل المعلومات ، فان هضمها ، وتفاعلها مع منطقه وادراكه تخذ موقفاً معيناً يعكس تحركه نحو اتخاذ قرار معين . هذه النظرية في واقع الأمر تعد نقطة اساسية في تفسير الحركة السياسية . بهذا المعنى نظرية الاتصال عند دوتيش تقدم لنا انموذجا يسمح بالاجابة على هذه التساؤلات كيف ولماذا استطاعت نظم معينة البقاء والتغيير . راجع : حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠ .

[2] المصدر نفسه ، ص٢٠ .

[3] الدكتور جمال علي زهران ، " عملية صنع القرار في السياسة الخارجية المصرية في نصف قرن السمات والتحديات " ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦.

[4] المصدر نفسه ، ص ٢٢.

[5] المصدر نفسه ، ص ٢٣.

[6] المصدر نفسه ، ص ٢٣.

[7] المصدر نفسه ، ص ٢٣.

هناك آراء مختلفة بين أساتذة السياسة الخارجية حول الدور الذي يقوم به صانع القرار في السياسة الخارجية ، ويمكننا تقسيم هذه الآراء الى قسمين يذهب الاول منه ان دور صانع القرار في عملية صنع القرار يعد دورا محدودا بسبب الاطار العام الذي يخص بالدرجة الاولى طبيعة النظام السياسي التي من شأنها مشاركة العديد من مؤسسات الدولة في صنعها ، التي من نتائجها الحد من دور صانع القرار في التحرك السياسي الخارجي . أما القسم الثاني ، فانه على العكس من ذلك يؤكد اعطاء دور كبير لصانع القرار في الدولة .

ان عملية صنع القرار كمنهج لتحليل السياسة الخارجية ليست بسيطة ، لأن هناك عوامل تحيط بها ، يمكننا ايجازها في الآتي :-

١- طبيعة الظروف الموضوعية التي تدفع الى صنع قرار معين .
٢- طبيعة القيم المتضاربة في كل مرحلة يمر بها صنع القرار .
٣- العلاقة المتبادلة بين هذه القيم وبين تقاليد المؤسسات التي يتم في داخلها القرار .
٤- تأثير الابعاد الثقافية والطبيعية والمصلحية لصانعي القرار على اختيارهم النهائي للقرار .
٥- تأثير البيئة الداخلية على صانعي القرار .
٦- تأثير الخبرات والمهارات الموجودة على صانعي القرار [١].

ويتضح من تعريف عملية صنع القرار في السياسة الخارجية على ان هناك مجموعة من العوامل والظروف التي تحيط بصانع القرار ، لابد ان تؤخذ بنظر الاعتبار ، الا أن اهمية هذه العوامل والظروف تختلف من قرار لآخر تبعا لطبيعة القرار ومن نظام سياسي لآخر ، وتتحدد هذه العوامل والظروف في نقطتين اساسيتين : اولاهما : الخلفية الداخلية ، وثانيهما الخلفية الخارجية ، ولمتابعة هذه الابعاد يقتضي من الباحث تناول هذه الامور على انفراد كي يكون القارئ على بينة تامة عن ماهية الابعاد الداخلية والخارجية .

أ – مراحل عملية صنع القرار :

هذه المراحل بالامكان تقسيمها الى النقاط الثلاث الاتية [٢]:

١- المرحلة السابقة لاتخاذ القرار ، أي مرحلة الاعداد .
٢- اتخاذ القرار ، أي مرحلة الاختيار .
٣- المرحلة اللاحقة لاتخاذ القرار ، أي مرحلة التطبيق .

هذه المراحل برمتها ، من الممكن ان تكون متداخلة فيما بينها ، فضلاً عن ذلك ، فان كل مرحلة قد تحتوي على عديد من المراحل الجزئية.

١- المرحلة السابقة لاتخاذ القرار :

تتضمن هذه المرحلة ، عديدا من العمليات ، اهمها المبادأة والتخطيط وتعريف الموقف والتنبؤ والمشورة .

---

[١] محمد نوري النعيمي ، " الابعاد المؤثرة في السياسة الخارجية "، الحقوقي ،العددان الاول والثاني ، بغداد ١٩٧٧ ، ص٧٠-٧١ ، والدكتور إسماعيل صبري مقلد ، " اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية " ، مجلة السياسة الدولية ، عدد ١٤ ، اكتوبر ، ١٩٦٨ ، ص١٤٢.

[٢] ودودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩.

أ) المبادأة :

وبها نعني ، الحالات التي ادت الى تبني مثل هذا القرار وحالات الضرورة التي ادت الى بلورتها ، تتشأ من النظام بحد ذاته أو ظروف نشأت لمتطلبات فرضتها دولة اخرى أو الوضع الدولي[1]. ويعد هذا المعيار هو الاساس للتمييز بين السياسة الخارجية الايجابية ، وتلك التي تتصف بانها سلبية ، نقصد بالاولى ، المبادأة المتخذة من لدن صانعي القرار في ضوء افكارهم عن النظام الدولي ، في حين تشير الثانية الى انها تعد بمثابة رد فعل لمواقف من جانب دول اخرى ، وقد تجمع السياسة الخارجية بين الاولى والثانية [2].

ب) التخطيط :

يعد هذا المفهوم من المفاهيم الحديثة الى حد ما في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، اذ لم يدخل في ادب السياسة الخارجية الا في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما قامت وزارة الخارجية الامريكية، من تشكيل مجموعة تقوم بتخطيط السياسة الخارجية سنة ١٩٤٧ للأستجابة مع متغيرات ظهرت بعد انتهاء تلك الحرب ، فضلاً عن قيام وزارة الخارجية البريطانية في عام ١٩٥٧ من انشاء هيئة التخطيط وقامت كل من كندا والمانيا الاتحادية ايجاد هيئة التخطيط سنة ١٩٦٩ واعقبتها استراليا وهولندا سنة ١٩٧١ وفرنسا والكيان الصهيوني في ١٩٧٥. وقد ظهر مفهوم التخطيط في حقبة السبعينات في كتابات روثشتين وطومفيلدا وميسرا وموريس وايست ونستلر[3].

والتخطيط السياسي يتجه بطبيعته لان يصير كليا وشاملاً ، والتخطيط نوع من التصور الذي يتضمن اصطناعا للحركة وكل تطور لابد ولن يتجه الى التجرد ، وكل حركة مصطنعة لاتستطيع ان تنعزل في جزئية معينة تاركة النواحي الاخرى تنطلق دون توجيه ودون رقابة ودون ضبط يسمح بتجنب النتائج غير المعقولة .[4]

يعرف ميسرا تخطيط السياسة الخارجية بانه " توقع الاحداث الدولية، والاحداث الداخلية ذات الاهمية الدولية ، بهدف تعديل السياسة الخارجية بشكل محسوب ، يحقق اهداف الدولة [5]. اما طومفيلدا فانه يعرف ذلك : بانه تحديد المصالح والاهداف الوطنية[6] ، وعلى هذا الاساس نرى ان تخطيط السياسة الخارجية يتضمن ابعادا اربعة هي : التخطيط العام وقدرات الدولة ، وتخطيط البرامج ، وتخطيط الطوارئ والتخطيط المؤسسي [7].

---

[1] Snyder , Ruchard and Furnis , Edgar , American Foreign Policy , NewYork , Rinchard and Company , Inc , ١٩٥٤ , P.٩٥.

[2] ودودة عبد الرحمن بدران ، السياسة الخارجية الأمريكية في عهد كندي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٥٠.

[3] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩٣، ٥٠٧ ، وودودة عبد الرحمن بدران ، " تخطيط السياسة الخارجية " : دراسة نظرية تحليلية ، السياسة الدولية ، يوليو ١٩٨٦ ، ص٦٧ ، والدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، " نحو تخطيط سياسي خارجي عربي " ، مجلة العلوم السياسية، آذار ١٩٨٨ ، بغداد ، ص٩٥-٩٧.

[4] المصدر نفسه ، ص ٤٩٦-٤٩٧.

[5] المصدر نفسه ، ص ٤٩٥.

[6] المصدر نفسه ، ص ٤٩٦-٤٩٧.

[7] المصدر نفسه ، ص ٤٩٧.

ج) الموقف :

أي وضع تصور للمجتمع ، والظروف المكتنفة بالموقف ، مع ضرورة ابراز القيم المحيطة بالواقع محل البحث [١].

د) التنبؤ :

يمثل التنبؤ افتراضا موجها للمستقبل ، والتنبؤ في اوسع معانيه لايعدو ان يكون تخطيطا سياسيا .الا ان عملية التنبؤ في مجال السياسة الخارجية قد تواجه العديد من الصعوبات، بسبب اتساع الظاهرة ، ومايحيط بها من غموض في احيان كثيرة [٢].

هـ) المشورة :

قد يكون للمشورة دور في تعريف الموقف ووضع التوقعات بخصوص ذلك .

٢- اتخاذ القرار :

ويمكننا في هذه المرحلة ، أن نميز بين القرارات الاتية : القرارات الايجابية والقرارات السلبية، القرارات المرنة والقرارات الجامدة، القرارات الرئيسة والقرارات التابعة، القرارات الاجرائية والقرارات الموضوعية [٣].

٣- المرحلة اللاحقة لاتخاذ القرار :

وتعد هذه المرحلة من المراحل المهمة، التي تعني تطبيق القرار، لأن هذه المرحلة تشكل المصدر الاساس لرد الفعل، كما انها تفترض نوعا من الشرح والتفسير [٤].

والحق، تسمح هذه المرحلة بتقويم الخطة التي تم اتخاذها، وعلى الرغم من دقة الامور التي بموجبها اعداد السياسة الخارجية، من الممكن بروز الاختلافات بين التصور والواقع عند اتخاذ القرار [٥].

ج- اختيار السياسات

هناك مجموعة ملاحظات بالنسبة لاختيار القرارات في السياسة الخارجية، والتي تكمن في :-

اولاً: ان صانعي القرارات في اختيارهم للسياسات لا يختارون من بين كل السياسات البديلة الممكنة، وانما يختارون فقط تلك البدائل المنظورة لهم التي تكون اكثر قبولا من بين كل السياسات الممكنة، اذ قد تتوافر بعض السياسات من النوع غير المنظور هي اكثر

---

[١] Frankel , Op.Cit., P١١.

[٢] Robert Jervis , " Hypotheses on Misperception " , Ed., by Rosenau ١٩٦٤ , PP. ٢٣٩-٢٥٤,

والدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦ .

[٣] Frankel , Op. Cit., ١٩٦-١٩٧؛٢١٠,

[٤] الدكتورة ودودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥-١٦ و

William Wallace , Foreign Policy and the Political Process , London , the Macmillan Press Ltd , ١٩٧١ , P.٣٣,

[٥] الدكتورة ودودة عبد الرحمن ، "تخطيط السياسة الخارجية دراسة نظرية وتحليلية" ، مصدر سبق ذكره ، ص٧٣.

واقعية من الناحية السياسية، في حين ان بعض السياسات البديلة الممكنة قد لاتكون مرغوبة من جانب سياسي، غير ان عدم الملم صانع القرارات بالانموذج الاول هو الذي حداه الى تبني النوع الثاني[1].

ثانياً: أن اتساع البدائل المنظورة والمقبولة سياسيا قد يفتح المجال امام واضعي القرارات التكيف مع تغير الزمن والظروف وطبيعة المشكلة.

ثالثاً: عدم تواجد احكام موضوعية متفق عليها لترشيد احكام صانعي القرارات في السياسة الخارجية، وعلى هذا الاساس فان جل السياسات التي يصل اليها صانعو القرارات تعاني من بعض نقاط الضعف وذلك نتيجة للعوامل الاتية:-

١- غموض او عدم التأكد من الاهداف عند صانعي القرارات، ويؤدي هذا الغموض الى الصعوبة في عدم قراراته.
٢- ان بعض الاتجاهات المألوفة عند المجتمع قد يعوق الى اختيار سياسة معينة.
٣- ان عملية صنع القرارات قد تعوز الى تبني اهداف شاملة.
٤- ان متابعة صانعي القرارات مصالح متباينة عن مصالح المجتمع يؤدي الى اختيار قرارات غير رشيدة.
٥- من الممكن ان يختار صانعو القرارات قرارات رشيدة الا ان مثل هذه القرارات بحاجة الى تأييد شعبي.
٦- ان الاختلافات والمنازعات بين صانعي القرارات تقود الى اتخاذ قرارات خاطئة.
٧- ليس من الصحيح ان تكون البدائل الممكنة منظورة عند صانعي القرارات، ونتيجة لذلك من الممكن اهمال اختيار سياسة مرجوة.
٨- يمكن ان يؤدي تعقد الموقف الى عدم فهمه بصورة جيدة من قبل صانعي القرارات.
٩- ان الميول الشخصية قد تقف حجر عثرة امام اختيار بعض البدائل الممكنة.
١٠- تأثير العاطفة على احكام صانعي القرارات في السياسة الخارجية.
١١- ان جهاز اتخاذ القرارات قد يكون مثقلاً بالتبعات والواجبات التي تعوق اتخاذ قرار رشيد.
١٢- ان جهاز اتخاذ القرارات قد يكون مكتضاً بمعلومات مفرطة.
١٣- ان جهاز اتخاذ القرارات يصبح من المتعذر عليه اصلاح ما قام به.
١٤- ان القصور في جهاز الاتصالات يؤدي الى الفشل في اتخاذ القرارات.
١٥- استناد القرارات على معلومات ناقصة.
١٦- استناد القرارات على معلومات خاطئة.
١٧- عدم الفهم الصحيح للمعلومات المتاحة.
١٨- ان قصور جهاز اتخاذ القرارات قد يرجع الى التنوع في الطرق، وبالتالي يؤدي الى التحريف والاخفاق[2].

---

(1) للمزيد من التفاصيل حول تحديد البدائل في السياسة الخارجية ، راجع : الدكتورة ودودة عبد الرحمن بدران ، " تخطيط السياسة الخارجية دراسة نظرية وتحليلية " ، مصدر سبق ذكـره ، ص ٧٢-٧٣، وروبـرت أ. دال، مصدر سبق ذكره ، ص١٨٠ – ١٨٢ .

(2) Scott , Op .Cit ., PP.٥٣-٩٤.

٥ – المنهج الوظيفي

يقوم المنهج الوظيفي على الوصف، ويجعل منه الوظيفة Fanction، وعلى الرغم من الغموض وعدم الدقة حول مصطلح الوظيفة ، فانه يشير في اغلب الاحيان، الى كلمة مفيد Utile او الصالح لانه يحقق الغرض الذي وجد من اجله. وقد استخدم هذا المصطلح وبالتحديد في مجال التحليل الاجتماعي. وفي هذا المجال يقول احد رواد هذا المنهج العالم الامريكي مرتن Merton: (التحليل الوظيفي هو اكثر انواع التحليل في المجال الاجتماعي من حيث الغنى والخصوبة، ولكنه في الوقت نفسه يتميز بعدم التقنية). وبعبارة اكثر دقة، انه يعد من اكثر المناهج صلاحية، لتقديم نتائج تجسد عن الظاهرة الاجتماعية، ولكنها اقل صلاحية من حيث البناء المنتهي لاصوله، وطرق استخدامه وتطبيقه وصياغة نتائجه.[1]

بهذا المعنى، يشير علماء الاجتماع، الى توافر العناصر الثلاث في المنهج الوظيفي: [2]

١- تحدد الوظيفة في اطار النظام الاجتماعي.

٢-ان العناصر والمقومات الاجتماعية والثقافية كافة تؤدي وظيفة اجتماعية.

٣-ان الظاهرة الكلية، لاتستطيع بصورة او اخرى، الاستغناء عن المقومات الاجتماعية.

الا أن العالم الامريكي مرتن، يشير الى حقيقة تعارض هذه المقومات مع الحقيقة الاجتماعية، لاسباب عديدة، يمكننا ايجازها في الاتي:-

١- هناك عادات وتقاليد اجتماعية من الممكن ان تكون وظيفة بالنسبة لمجتمعات معينة، ولكنها لاتعبر عن اي حقيقة وظيفية في مجتمعات اخرى.

٢- ان التسليم بان هذه المقومات تؤدي وظائف اجتماعية، لايفسر شيئا في طبيعة هذه الظاهرة. لان الوظيفة قد تتنوع بين وظائف واضحة، واخرى باطنة او خفية.

٣- على الرغم، من عدم وضوح التحليل الوظيفي، الاانه يعد من اكثر التحليلات مصداقية كما عبر عنه مالينوفسكي.

نشأ هذا المنهج في الولايات المتحدة، كرد فعل لمبالغة المنهج التاريخي، وقد خلط هذا المنهج بين تحديد نواحي التحليل التي تفرضها طبيعة الظاهرة، واسلوب التحليل، فالوظيفة عنصر اساسي من عناصر التحليل ،ولكنها ليست الوحيدة، وانها ليست سوى احد عناصر الحقيقة الوصفية التي نستطيع ان نصل اليها سواء عن طريق المنهج التحليلي او المنهج الوصفي.[3]

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٦.

[2] المصدر نفسه ، ص٦٦-٦٧ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٦٧-٦٨ .

الفصل الثالث

أهداف السياسة الخارجية وعملية صنع القرار

الفصل الثالث

أهداف السياسة الخارجية وعملية صنع القرار

يعرف الهدف في السياسة الخارجية بانه : " الغايات التي تسعى الوحدة الدولية الى تحقيقها في البيئة الدولية " [1]. ان الهدف الذي يرنو صانع القرار من تحقيقه ،هو عبارة عن جوهر ما يتصوره صانع القرار للظروف والاوضاع التي يروم انجازها في المستقبل بوساطة التأثير على معطيات المحيط الخارجي [2].

من الصعوبة بمكان تحديد أهداف أية دولة من الدول في السياسة الخارجية ، اذ ان مايعد هدفا لدى وحدة دولية قد يكون وسيلة لدى الوحدة الدولية نفسها في حقبة زمنية اخرى ,كذلك تختلف درجات تحديد اهمية الاهداف من وحدة دولية الى اخرى ، ويعزى السبب في ذلك الى تباين العناصر التي تسهم في بلورة وتحديد الاهداف ، ومن ثم فان تحليل ذلك ، ينبغي من التمييز بين المفاهيم الاتية : القيادة والامن القومي ، والقدرات الذاتية ،والاطار الدولي وخصائصه [3]. وان كانت هناك محاولات بين اساتذة السياسة الخارجية لترتيب هذه الأهداف ، والاخيرة تصنف حسب المعايير الاتية :-

١- أهداف بعيدة المدى ، التي تعكس فلسفياً او عاما عند وحدة دولية معينة لمحيطها ولاتقوم الدولة عادة بتعبئة قدراتها لاستثمارها من اجل خدمة هذه الاهداف ، تعكس هذه الاهداف رؤيا معينة لبنية النظام الدولي ، كالنظام الاقتصادي الدولي أو للنظام الاقليمي المباشر مثل اوربا الموحدة .

٢- فئة الأهداف المتوسطة ، وهذه الفئة تفرض احداث تغيير في البيئة الخارجية للدولة ، والاخيرة يتوجب عليها الالتزام بها . والمثال على مثل هذه الاهداف بناء النفوذ السياسي في العلاقات الخارجية ،والقيام بدور متميز في البيئة الخارجية ،وخدمة المصالح العامة للدولة .

٣- فئة الأهداف المحورية ،التي يساوي تحقيقها وحمايتها وجود الدولة او النظام ذاته بحيث قد تكون علة وجود الدولة احياناً كالسيادة الوطنية ، وحماية الحدود والامن القومي ، ومن ثم استثمار الامكانات والوسائل كافة من اجل الحفاظ عليها ، ولكن من ناحية اخرى قد لايتطلب المحافظة عليها اجراء تغييرات في البيئة الخارجية للدولة [4].

---

[1] مصباح ، مصدر سبق ذكره ص ٦٠. ود. ودودة عبد الرحمن ، تخطيط السياسة الخارجية دراسة نظرية وتحليلية " مصدر سبق ذكره ص ٦٧.

يتضمن مفهوم السياسة الخارجية لاي وحدة دولية كلاً من الاهداف والوسائل التي يبغي هذه الوحدة من تحقيقها وعلى مستوى العلاقات الدولية .راجع د. ودودة عبد الرحمن "تخطيط السياسة الخارجية -دراسة نظرية وتحليلية " ، مصدر سبق ذكره ص ٦٧.

[2] مصباح ، مصدر سبق ذكره ص ٦٠.

[3] المصدر نفسه ، ص٣٨.

[4] حتي ، مصدر سبق ذكره ص ١٧٥-١٧٦ ،ومصباح ،مصدر سبق ذكره ص ٦٢-٦٦.

٤- أهداف ايجابية واهداف سلبية [1].

ان اهمية تصنيف الاهداف في السياسة الخارجية تكمن في ان معرفة الهدف وطبيعته تسهم في تحديد سلوكية الدولة ورد فعلها ازاء البيئة الخارجية عندما يكون الهدف المعني موضوع قضية قائمة ،وفي هذا الشأن يمكننا ان نقدم ملاحظتين رئيسيتين هما:[2]-

١- ان الكثير من الأهداف على درجة كبيرة من الوضوح بحيث يمكن تصنيفها ضمن فئة او اخرى ، ومن ثمة الوزن الذي يولونه اياها ، فالتصنيف يصبح في هذا الشأن نسبياً وليس مطلقاً فقد يكون مثلاً عقد اتفاقية اقتصادية هدفاً محورياً بالنسبة لبلد معين او قد يكون هدفاً متوسطاً .

٢- يمكن على المدى الطويل ،ونتيجة قيام متغيرات داخلية وخارجية حدوث تغيير في بعض الأهداف في حالة انتقالها الى مجموعة اخرى.

كما بذل البعض، الجهود الرامية لإيجاد العلاقة بين هذه الاهداف[3] وعلى الرغم من تعدد الاهداف في السياسة الخارجية ، فانه بالامكان تعيين هذه الاهداف ،والتي تتركز في : حماية الامن القومي ، وتنمية الرفاهية الاقتصادية ،وزيادة السمعة الوطنية ، جميعها ابعاد مختلفة تعبر عن مفهوم المصالح الوطنية [4].

---

[1] الدكتور اسماعيل صبري مقلد " اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية ، السياسة الدولية ،عدد ١٤ ،١٩٦٨ ، ص١٤٤-١٤٥ .

هناك من يقسم الاهداف الى اهداف مباشرة ووسيطة ونهائية ولهم تفسير ان ازاء ذلك :

١- يؤكد التفسير الاول بان ايا من الاهداف المعنونة بالمباشرة وسيطة ، من الممكن عدها كوسائل بالتبادل .

٢- يشير التفسير الثاني الى عدم وجود اساس حقيقي لمعيار التمييز بين الاهداف والوسائل بسبب العلاقة العضوية بينهما ،وقد اكتشف هذه العلاقة عبد الرحمن بن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي . اذ لم تكن له نظرة جامدة لكن يعتقد على سبيل المثال بان الوسائل تعد بصورة دائمة وسائل ،والاهداف على الدوام أهداف ،راجع : الدكتور محمد محمود ربيع ، مصدر سبق ذكره ،ص ٢١١-٢١٢.

[2] علي ،مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٦.

[3] Snyder , Op.Cit.,P.٨٦.

[4] Norman ,Op.Cit.,PP.٧٥-٦٧.

مهما يكن نوع الحكومات ، فان الدول تتصرف تبعاً لمصلحتها القومية ، وفي هذا المجال ، يذهب الاتجاه الواقعي أن الدول ليس لديها مساحة كبيرة من الأختيار في تعريف مصالحها القومية وذلك بسبب المنظومة الدولية لانها يجب عليها تعريف تلك المصالح بلغة توازن القوى والا سوف تزول هذه الدول ، تماماً مثل شركة تعمل في سوق مثالية وتريد ان تؤثر مصالح الشركات الاخرى على تعظيم ارباحها فانها ستختفي ، لهذا يرى الواقعيون ان وضع الدولة في المنظومة الدولية يحدد مصالحها القومية وينبئ عن سياستها الخارجية ، أما الليبراليون فيقولون ان المصالح القومية تعرف بما هو اكثر من مجرد وضع الدولة في المنظومة الدولية ، هؤلاء يعتمدون في تعريف المصالح القومية تبعاً على المجتمع الداخلي لتلك الدولة – راجع : جوزيف س.ناي الابن ، مصدر سبق ذكره ،ص ٦٩.

تعد المصلحة الوطنية هي المصدر الرئيس في السياسة الخارجية التي هي مجموع القيم الوطنية ، تلك القيم التي تنبثق من الامة والدولة في الوقت نفسه ، واكثر من هذا فان المصلحة الوطنية هي الاهداف العامة المستمرة التي تعمل الامة من اجل تحقيقها ،وتبعاً للحالة الاخيرة فان المصلحة الوطنية تتميز بعموميتها واستمرارها وارتباطها بالعمل السياسي ،ومن ناحية اخرى فان مفهوم المصلحة الوطنية يقوم على وجود قيم في الجماعة الوطنية ،وهذه القيم التي تعكس ثقافتها والمعبرة عن روح تجانسها ، راجع : جوزيف فرنكل ، مصدر سبق ذكره ،ص ٥٢-٥٣.

ويعرف الكاتب الهندي A Appadora : Ms Rajsan المصلحة الوطنية بانها:مدى قدرة الدولة في الحفاظ على استقلالها السياسي واندماجها الاقليمي عن طريق حماية حدودها الدولية بوسائل متعددة منها توازن القوى والاحلاف ومن خلال مفهوم عدم الانحياز Panchsheel،راجع : Appadorai Ms Rajan , op.Cit ., P.٩.

ان المصلحة القومية هي جوهر الخيارات للعمل في سياسة الأمة الخارجية ومن الصعوبة بمكان تحديد ماهية وتطوير السياسات من اجل الوصول اليها ، والحق فان دورها كوجه للسياسة الخارجية مثير للجدل والنقاش .وفي هذا المجال فان كلاً من جورج وروبرت كوهان اشارا إلى اهمية المصلحة الوطنية لان بامكانها تقديم العون والمساعدة في تنمية الاحكام المتعلقة بالتنبؤات والاهداف المناسبة في السياسة الخارجية .

راجع: Jentleson , Op.C it.,p.١٠

عرف مجلس الامن القومي الامريكي في عام ١٩٩٨ المصلحة الوطنية التي تؤلف عماد الستراتيجية الأمريكية "المصالح الحيوية"بانها: المصالح ذات الاهمية الواسعة الطاغية بالنسبة لبقاء وسلامة وحيوية امتنا. من بين هذه: الامن الطبيعي لاراضينا واراضي حلفائنا وسلامة المواطنين ورفاهنا الاقتصادي وحماية بنانا التحتية الحيوية. سنفعل ما يتوجب علينا للدفاع عن هذه المصالح،بما في ذلك عند الضرورة / راجع:مايكل كلير ،الحروب على الموارد الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية، دار الكتاب العربي ،بيروت،٢٠٠٢،ص٣٦. وفي هذا المجال ، لابد من التمييز بين المصالح الحيوية والتي قد تكون لاحقا في تحليلها النهائي لاستخدام القوة ، والمصالح الثانوية التي تعد ذات اهمية اقل والتي يمكن أن تتراجع عنها بصورة نهائية . وعلى الرغم من أن الأولويات يمكن ان تتغير مع الزمن ، تبعا لتغير الظروف والمفاهيم ، فانها تتشكل بفعل المطالب المختلفة الموجهة للحكومات من العناصر الداعمة لها في الداخل والخارج . راجع : جيفري ستيرن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨١ .

في هذا المجال فان جوهر الأهداف الاربعة التي تدخل في تعريف المصلحة القومية الأمريكية تتركز في القوة، وتماثلها في نظرية العلاقات الدولية (الواقعية) ، والسلام ويماثله (الليبرالية الدولية) ، والازدهار ويماثله (الاقتصاد السياسي الدولي) ، والمبادئ وحركة الاختيار، وتماثلها (المثالية الديمقراطية) .

القوة هي المتطلب الرئيس لاغلب الأهداف الاساسية للسياسة الخارجية و الدفاع الذاتي و الحفاظ على الاستقلال القومي والاقليمي. كذلك هي جوهر ردع العدوان والتأثير على الدول الاخرى.

"القوة تمكن المسؤول من ان يشكل بيئة على نحو يعكس مصلحته" ، وفي هذا الشأن يؤكد صاموئيل هانتنغتون(بأن الدولة في خصوصيتها لابد من أن تقوم على حماية امنها او منع التهديد على ذلك . وعلى مدى بعيد تهتم الدولة بالدفاع عن نفسها ، تقدم مصالحها الخاصة وبناء نفسها ضد العدوان، والقوة ضرورية لذلك.)

المبشرات المبدأية لاجل انجاز القوة قامت ستراتيجيات السياسة الخارجية على وحدات الارغام بشكل كبير، في اغلب الأحيان فان الدولة تؤكد على مفهوم الدفاع والردع في آن واحد . أن المتطلبات الخاصة لتجهيز الولايات المتحدة مع الدفاع والردع تتنوع دراماتيكيا عبر الزمن مع التغير في هوية العدو المحتمل بريطانيا العظمى في التاريخ المبكر للولايات المتحدة ،المانيا في الحربين العالميتين ، الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة- وطبيعة السلاح -من بنادق المسكة القديمة والسفن الحربية القليلة إلى الأسلحة النووية و الغواصات و القنابل فوق الصوتية. لكن الستراتيجية الرئيسة هي دائما ذات جوهر واحد التي تكمن في ردع العدوان .

التحالفات ضد اعداء متعددين هي جزء اساسي لكل من ستراتيجيتي الدفاع والردع. في اغلب التاريخ الامريكي ،التحالفات شكلت اساسا في وقت الحرب؛ على سبيل المثال ، مع فرنسا في عام ١٧٧٨ عندما جاء اثنا عشر الف مقاتل فرنسي للمساعدة في الحرب الامريكية من اجل الاستقلال ضد العدو المشترك مع بريطانيا وفرنسا في الحرب العالمية الاولى ،مع بريطانيا والاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية ، ومع ٢٦ امة اخرى في حرب الخليج ١٩٩٠-١٩٩١ .

خلال الحرب الباردة (رسميا في اوقات السلام) الولايات المتحدة نصبت شبكة تحالفات عالمية ، تتضمن وحدات متعددة مثل منظمة معاهدة شمال الاطلسي(ناتو) ،منظمة معاهدة جنوب آسيا (سيتو) ومعاهدة ريو (مع بلدان امريكا اللاتينية) وكذلك الاتفاقيات الثنائية التي أبرمت مع اليابان وكوريا الجنوبية و تايوان والكيان الصهيوني و ايران ودول اخرى، وتكون الستراتيجية متصلة مع أهداف الدولة والتي تتركز في توفير المساعدة العسكرية كالاسلحة و الاستشارات و التمويل واشكال اخرى من المساعدة .

أساس ستراتيجية القوة في النهاية ، بالطبع، هو الحرب ، استمرارية السياسات بوسائل اخرى في كلمات الستراتيجي البروسي الكبير في القرنين التاسع عشر والعشرين كارل فون كلاوزفيتز الذي أشار إلى أن الغاية في عمل العنف هي اخضاع خصمنا لتسلم ارادتنا . والتدخل العسكري هو حرب صغيرة واستخدام القوة العسكرية في شكل محدود جدا، كما في اسقاط الحكومات التي تعد معادية لمصالح الولايات المتحدة و الحفاظ او جلب القوة للقادة الامريكيين ، كان في الحالات المعروفة تاريخيا وكذلك الامثلة المعاصرة.

القوة يمكن ان تمارس من خلال اكثر من وسيلة لعل من بينها القوة العسكرية. الدبلوماسية ايضاً يمكن ان تستخدم الارغام. ارغام الدبلوماسي يمكن ان يتخذ عدة صيغ، من اعمال ذات مستوى منخفض كتقديم احتجاج رسمي او اصدار ادانة عامة، الى سحب السفير وتعليق العلاقات الدبلوماسية، الى فرض عقوبات اقتصادية واعمال اخرى بمستويات اشد . ثم هناك الاعمال السرية: ادارة العمليات السرية لوكالات المخابرات ، كتلك التي وضعها سكرتير الدولة هنري كيسنجر للدفاع عن المصلحة القومية الامريكية في المناطق الرمادية عندما لاتتناسب العمليات العسكرية ولا تستطيع الدبلوماسية العمل بموجبها . وبالرغم من انها ارتبطت خصوصاً مع الحرب الباردة ، الا ان العمليات السرية تعود الى وقت مبكر من تاريخ الولايات المتحدة عندما اشترى بنيامين فرانكلين سراً معدات عسكرية من فرنسا خلال الحرب الثورية ، او عندما رتب الرئيس توماس جيفرسون سرا لاسقاط باشا طرابلس (في ليبيا اليوم)

وعلى أية حال ، ان كل اهداف المصلحة القومية الاربعة تؤدي في النهاية الى السلام .لكن في هذه المقولة التحليلية الخاصة نجد تحدياً نظريات الليبرالية الدولية وتمطين للسياسة الخارجية.رؤى الليبرالية الدولية لسياسات العالم كـ"حديقة قابلة للحراثة"في خلاف مع الرؤية الواقعية لعالم "الغاب" .تلك النظريات تؤكد على كل من امكانية وقيمة تخفيض فرص الحرب وانجاز مصالح مشتركة رسمية لاجل نظام دولي يكون وحدة واحدة . الليبراليون الدوليون اعترفوا ان التوترات والنزاعات بين الامم تنتهي ، لكن التعاون بين الامم الاكثر امكانية واكثر فائدة من عمل الواقعيين .لذلك ان متابعة التعاون ليست بسيطة ولا خطرة، لكنها بالاحرى طريقة عقلانية لتخفيض الاخطار وصنع الارباح التي لا تستطيع اكبر القوى مجردا انجازه لوحدها . وللتاكيد ، عرف الاستاذ انيس كلود" مشكلة القوة(هي هنا لتبقى ، انها ، واقعيا ، ليست مشكلة للتخلص ، لكن"-القطعة الرئيسة لليبراليين الجدد- مشكلة للتدار).

انسجاما مع هذا المعنى ان السلام يمكن انجازه ولكن ليس تلقائياً ، الباحثون مثل كيوهان اكدوا على اهمية ايجاد مؤسسات دولية كاساس لـ"مؤازرة التعاون".

فضلاً عن ذلك ، ان القوة والمصالح لدى الواقعيين تؤكد العنف، لذلك "المؤسسات الدولية... ستكون عناصر ثابتة لاي سلام دائم" . هذا صحيح مع اعتبار ان العلاقات بين الحلفاء . الدول قد تكون لديها علاقة صداقة ومصالح عامة مشتركة لكن تبقى لديها مشكلات العمل الجماعي او حتى التنسيق فقط.المؤسسات الدولية توفر الهيكل والتعهدات للتسهيلات ، وفي بعض الاقتراحات المطلوبة ، انجاز التعهدات للعمل الجماعي والتنسيق.

المؤسسات الدولية قد تكون هيئات رسمية مثل الأمم المتحدة ، لكنها ايضا قد تكون اكثر لا رسمية . كما في تلك التي غالباً ما تدعى بـ"الانظمة الدولية"كيوهان عرف المؤسسات الدولية وظيفيا وهيكليا ، بـ "الاحكام التي تحكم عناصر سياسات العالم والمنظمات التي تساعد في تطبيق تلك الاحكام".هذا التعريف يشمل قواعد واحكام السلوك والاجراءات الادارية وحل النزاعات والاساس المنظم للتحكم العملي بعض الدرجات الدنيا.

باستطاعتنا ان نطابق خمسة انماط رئيسة للمنظمات الدولية.(أ) عالمية، مثل عصبة الامم (مثال غير ناجح) والامم المتحدة (الوحدة الاكثر نجاحا) ؛ (ب) اقليمية كما في حقبة الحرب الباردة مثال على ذلك : مؤتمر الامن والتعاون في اوربا ، او مؤتمر بان امريكان في نهاية القرن التاسع عشر ، (ج) قانونية دولية ، كمحكمة العدل الدولية الدائمة (المحكمة العالمية) ، (د) السيطرة على السلاح وعدم الانتشار ، كالوكالة الدولية للطاقة الذرية ومنظمة حظر انتشار الاسلحة الكيمياوية ، و(هـ)اقتصادية ، وحدات عالمية خاصة كصندوق النقد الدولي و البنك الدولي ، ومنظمة التجارة العالمية ، و كذلك وحدات اقليمية كمنتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا -الباسفيك-في تلك الحالات أصبحت الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة الداخلة في اقامة المؤسسات والمنظمات .لكن في الغالب ، وليس بشكل عام، الولايات المتحدة تلعب الدور الرئيس.

النمط الآخر لستراتيجية السياسة الخارجية الذي يتناسب هنا هو "سلام الوسيط" الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة في الحروب والنزاعات التي لا تدخل فيها كطرف مباشر. والمثال المعاصر لذلك يتضمن في "الدبلوماسية المكوكية" في الشرق الاوسط من قبل هنري كيسنجر ١٩٧٣-١٩٧٥ واتفاقيات كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني في ١٩٧٨ بوساطة من الرئيس جيمي كارتر ، ودور ادارة كلنتون في اتفاقية دايتون التي انهت الحرب في البوسنة عام ١٩٩٥ . لكن هذا الدور ايضاً ، له جذوره التاريخية، كما في معاهدة السلام بوساطة الرئيس ثيودور روزفلت التي انهت الحرب الروسية-اليابانية، ولاجلها كان قد حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٠٦.

أما الازدهار فانه يولي الاهتمام بالمصلحة الاقتصادية القومية فوق اي شيء ، ويبحث عن الربح للاقتصاد الامريكي من السياسات التي تساعد على توفير الثقة ، وكلف وإرادات منخفضة ، ونمو الاسواق للصادرات

الأمريكية و استثمارات خارجية مربحة وفرص اقتصادية دولية اخرى. التي تعد وحدات اقتصادية خارجية خاصة ، كالسياسة التجارية . واخرى متضمنة علاقات عامة مع البلدان لمهمة السياسة الخارجية الامريكية اقتصاديا وبشكل واسع، مثل بلد نفطي غني كالعربية السعودية .

نستطيع التمييز بين نمطين رئيسين من النظريات ، واحدة تقدم نظرة حميدة معتدلة واخرى نظرة نقدية.

النظرة الحميدة تقيت بالرفاهية العامة (كما جاء في أحدى فقرات الدستور الامريكي التي أشارت إلى مفهوم تعزيز " الرفاهية العامة")، ولكنت على المدافعة من خلال سياسة خارجية مفيدة للاقتصاد العام ثلاثة : ميزان ملائم للتجارة ، نمو اقتصادي قوي و اقتصاد حزني صحي . الهدف النهائي هو ازدهار جماعي ، تلك المصالح تخدم الشعب الامريكي بشكل عام. ذلك كان يشغل الجزء الأساسي من السياسة الخارجية الامريكية في القرن التاسع عشر ، تجدر الأشارة في هذا المجال أن ٧٠% من المعاهدات و الاتفاقيات الدولية الاخرى وقعتها الولايات المتحدة على قضايا تتعلق بالتجارة و النشاط التجاري الدولي وهو ايضا بدأ و اضحا في السنوات الاخيرة ، كما في العام ١٩٩٥ حيث وضع سكرتير الدولة وارن كريستوفر تأكيد السيطرة على السلاح.

معظم النظريات الاقتصادية ، كالامبريالية ، ترى مثل هذه السياسات كهيمنة وخدمة لمصالح طبقة الرأسماليين ونخب اخرى ، كالشركات المتعددة الجنسيات و البنوك الكبرى و الازدهار سيعود بنفع خاص لمصالح خاصة، والطرق التي اتبعتها انت الى استغلال حال البلدان الاخرى. اسس هذه النظرية تعود الى الاقتصادي البريطاني جون هوبسون في كتابه الامبريالية ١٩٠٢ بسبب عدم المساواة في توزيع مستويات الثروة للطبقات الدنيا مع قدرة شرائية محدودة ، الرأسمالية خلقت لنفسها مشكلة مزدوجة هي انخفاض التسويق وزيادة الانتاج وهي تلك المشاكل التي يجد اسواق جديدة لمنتجاتها لتجنب نفسها الانحسار والكساد .

اما المبادئ فتعد الهدف الجوهري الرابع ويتضمن القيم و المثل والمعتقدات التي تدعي الولايات المتحدة حملها الى العالم، وكنظرية عامة ، هذا التأكيد على المثالية يعود في جذوره الى الديمقراطية المثالية.

المثاليون الديمقراطيون حملوا عقيدتين مركزيتين حول السياسة الخارجية . الاولى لها علاقة بمفهوم عمل التناوب وعمل الحق والأخير يعني هو أن من يمتلك الحق يمتلك " القوة" هذا القول صحيح بالنسبة للولايات المتحدة لأن الدور الخاص المزعوم وضع عليها الوقوف لأجل المبادئ التي كانت قد وجدت وليس فقط لاعبا آخر في سياسات القوة العالمية . ونجد تأكيداً لهذه الفكرة في " الاستثنائية الامريكية " خلال تاريخ الولايات المتحدة ، توماس جيفرسون ، سكرتير الدولة الأول في البلاد وثالث رئيس لها : وصف الولايات المتحدة الامريكية على النحو الآتي:الجمهورية المنفردة في العالم و البارزة في حقوق الانسان والمستودع الفريد لنار الحرية والحكم الذاتي ، من هنا لنكان تنير هذه المنطقة من الارض ، و المنطلق سيصبح للأبد متقبلة للتكوين". وبعد ذلك كان الاعلان المشهور للرئيس ودرو ولسن عندما دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الاولى : اعتزم جعل العالم يحيا لأجل الديمقراطية"سنقاتل لاجل الأشياء التي طبقناها دائماً واعتمرت قلوبنا -لأجل الديمقراطية، لأجل حق أولئك الذين يخضعون للسلطة ليمكروا التصويت في حكوماتهم، لاجل الحقوق والحريات لكل الامم : لأجل سيادة عالمية تتحق بتعاقد الشعوب الحرة التي ستجلب السلام والامن لكل الامم وتجعل العالم بنفسه' اكثر حرية"، والمثالية نادى بها ايضاً من قبل عدد من الرؤساء في الحرب الباردة ، من الديمقراطيين كجون كيندي مع دعوته في خطابه الافتتاحي الى تحمل أي عبئ ، دفع أي ثمن للدفاع عن الديمقراطية وقتال الشيوعية ،الى الجمهوريين كرونالد ريغن وحملته ضد امبراطورية الشر .

العقيدة الرئيسة الأخرى للديمقراطية المثالية هي على المدى الطويل احدى التصريحات الاقوى لوجهة النظر هذه هي نظرية سلام الديمقراطية ، التي تؤكد انه بتعزيز الديمقراطية تعزز السلام لان الديمقراطيات لا تذهب للحرب ضد بعضها البعض،لصياغتها بطريقة اخرى،العالم يستطيع صنع الأمن بوساطة الديمقراطية . لكن الاهتمام بنظرية السلام الديمقراطي ازداد في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، القلق المركزي والاساس الفلسفي يعود اثره الى الفيلسوف السياسي في القرن الثامن عشر (عمانوئيل كانت) وكتابه السلام الدائم "اذا..تطلب اعلان الحرب رضا المواطنة كتب كانت " لا شئ اكثر طبيعية من الاحتراس في بدء مثل هذه اللعبة... لكن ، من جانب آخر ، في الدستور الذي هو غير جمهوري، مثل هذا الموضوع لا يخضع للمواطنين، و اعلان الحرب يكون قرارا اسهل".

في خدمة هذه القوة، الاستاذ جوزيف من جامعة هارفرد ابتكر مفهوم "السلام المرن" الذي يعني الاشارات الى الطريقة التي توضع فيها القيم لاجل قيم الامة. انه ذو جاذبية ثقافية، وملامحه الاخرى ذات سمة تستطيع وضع قيم سياسية مثلا كمصدر للتأثير . هذا كان فقط عن قضية كيفية ان القادة الامريكان يدعون بلادهم، لكن الحكومات والشعوب الاخرى تركوا انفسهم متناقضين بين المبادئ المعتنقة و السياسات الحقيقية المتبعة من قبل

والحق ، ان هناك ثمة اتفاق في الآراء بين المختصين في السياسات الخارجية ،على ان الهدف الرئيس في السياسة الخارجية للدولة، على الرغم من تباين انظمتها السياسية والايدلوجية، وعدد سكانها هو حماية وجودها الذاتي ودعم أمنها[1].

وحري بالذكر ، فان الامن القومي يصير احد اهداف السياسة الخارجية، الا أنه ليس بالهدف الوحيد. وهناك معايير مختلفة تستخدم عند تقويم الاهداف وتصنيفها، وهذه المعايير هي[2]:-

١- معيار الرغبة في الهدف :

يتضح مما تقدم، أن السياسة الخارجية تتضمن مجموعة من الاهداف التي لها علاقة بالقيم والمصالح الاساسية للدول، ويقصد بها التفضيلات المتعلقة لمستقبلية المحتملة أي الاوضاع التي تبغي الدولة تحقيقها في المحيط الخارجي، وذلك من خلال التأثير في النسق الدولي، أو في السياسات الخارجية للدول الاخرى بوساطة تخصيص بعض الموارد. و"الاهداف تكون مرتبطة بوحدة اتخاذ القرار التي تتضمن رئيس الدولة ورئيس الوزراء، ووزير الخارجية أو الدبلوماسيين"[3].

ومؤدى هذا المعيار هو تقدير او تقويم طبقا لدرجة ارتباطها بالمصالح القومية للدولة، ويعد الحاجة ضرورية في هذا التقويم، وذلك عند اعادة النظر في الاهداف التي لم تكن متاحة ، ذلك للأسباب الاتية:

أ- ظهور بعض الحقائق والابعاد التي كانت خافية عن الاذهان.

ب- التغير الاستثنائي على اهداف الدولة، الامر الذي يستوجب اعادة التقويم من جديد، وفقا لمتطلبات هذا التغيير.

٢- المعيار الخاص بمدى توافر الاهداف، او عدم توافرها من عدمه:

يقضي هذا المعيار اجراء تحليل كامل ودقيق للموقف من جانب الوحدة المتخصصة بصنع القرار، للاتفاق على رأي بات بالنسبة لتوافر الاهداف، ان الوقوع في خطأ هذا التحليل يؤدي الى انتقاص الاساس الذي تعتمد عليه عملية التقويم.

ومن المعلوم ان هناك اعتقاداً شائعاً في كثير من المجتمعات وذلك بعدم اعطاء الطابع الشرعي لبعض الاهداف ذات الطابع الشرعي.

الولايات المتحدة. انهم اعتقدوا ايضاً على كيفية اعتقاد الولايات المتحدة تحولتها ومثلها ضمن مجتمعها الخاص على قضايا مثل سباق العلاقات وحماية البيئة والعنف.

ان الديمقراطية المثالية تحمل تشابهات من الليبرالية الدولية، المشروع اكثر شدة الولاء للمثل، والتي تطويق تأثير المؤسسات الدولية التي تستطيع حمل مثل هذه المثل. من جانب آخر تأثير التقاولية حول طبيعة الانسان المختلفة للديمقراطية المثالية تتعارض بحدة مع كل من القوة القائمة على الواقعية ومعظم نظريات السياسيين للازدهار القائم على المدارس ، راجع : , ١٨ – ١٠ , Jentleson , PP.

فكرة العزلة مثلا في الفقه الامريكي التي وصفت خلال القرن ١٩ الى حد تبني قانون باسم "قانون الدين" الذي يقوم على منع أي امريكي من القيام بأي دعاية لصالح الثورة الفرنسية، وفكرة الامن القومي التي عبر عنها الكيان الصهيوني عام ١٩٦٧. راجع: الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣.

[1] Dyke , Van , Vernon . International politics , Appleton century –Crofts , NewYourk, ١٩٦٦, PP.١٧٥–١٧٧. و نعوم تشومسكي، النظام الدولي الجديد، مصدر سبق ذكره ، ص٥٣–٦١.

[2] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، "اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية"، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٤–١٤٥، والدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

[3] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠ .

٣-المعيار الخاص بإمكانية الحصول على الهدف :

ونعني بذلك هو تقويم قابلية الدولة في اطار امكانيات معينة وحري بالذكر، من انه يتعين على صانعي القرار، التأكد من أن الوصول الى اهداف محددة لايؤثر في الحصول على غيره من الاهداف المرغوب فيها.

ان وسائل متابعة الأهداف متعددة، وتتراوح بين العنيفة المكشوفة ،وبين الوسائل القانونية ذات الاجراءات المرعية والسبب في هذا التراوح هو ضعف القواعد الدولية القانونية لتسوية المنازعات، فما دامت الدول لا تلتزم بهذه القواعد التزاما كافيا، فان المجال يظل مفتوحا للتهديد بالعنف، ويظل مفتوحا للتهديد بالعنف الى الحرب[1].

<u>القيود على القرارات في السياسة الخارجية :</u>

هناك عدة قيود على اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية، وتنحصر هذه القيود في النقاط الاتية:-

١- الاهداف البديلة.
٢- الطرق البديلة.
٣- الجمع بين الاهداف البديلة والطرق في ستراتيجيات او مشروعات.
٤- مصادر عملية اتخاذ القرارات مثل الوقت والطاقة، والخبرات والمعلومات.
٥- درجة ضغوط المحيط الخارجي[2].

ومن الممكن تقسيم هذه القيود الى الانواع الاتية[3]:-

١- القيود الخارجية:

لاشك في ان القيود الخارجية لها تأثيرها على اتخاذ القرارات وعليه فان السلوك الرشيد Rational Behavior يجب عليه عدم التأكيد على اهميته بعض الطرق دون الاخرى.

وبعد ذلك، يجب على صانع القرار اجراء تقسيم للقيود المحتملة، وفي هذا الصدد يمكن تقسيم هذه القيود الى نوعين:-

أ- امكانية سوء التقدير أو الخطأ فيه محدود بصورة نسبية، وتخضع هذه القيود الى تقويم كيفي وكمي.

ب- قيود لايمكن اخضاعها لمعايير القياس الكمي، وانما تجري لها تحليلاً كيفياً ،وفي هذا المجال فان الاجتهاد الشخصي يقوم بدور مؤثر.

---

[1] روي مكريدس، كينث تومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومحصلاتها، في مناهج السياسة الخارجية في دول العالم ترجمة: الدكتور حسن صعب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص ٤٦ – ٤٧ .

[2] Snyder , op.Cit., P.١٠٠.

[3] هناك أنواع ثلاث لقرارات السياسة الخارجية التي تتضمن في :القرارات العامة والتي تقترب الى معنى السياسة والقرارات الادارية ،والتي تدخل في وظائف المؤسسات الحكومية الرسمية والمسئولة بادارة السياسة الخارجية، أما الثالث فيخص قرار الازمة الكامن في عنصر المفاجأة ومناخ المواجهة المباشرة بين دولتين .راجع:
Spanier , John , Games Nations play Analyzing International Politics , N.Y., Holt Rinehort and Winston Praeger , ٢ed., ١٩٦٧, PP.٣١-٣٢.

٢- القيود الداخلية:

ان صنع القرارات في السياسة الخارجية في اطار تنظيمات واسعة معقدة لدرجة كبيرة، اذ تتطلب الى تأدية عدد من الوظائف، ومهارات متعددة، وبالامكان تحديد مصادر القيود الداخلية في النقاط الآتية:-

أ- المعلومات **Information**:

لاشك في ان صانعي القرارات في السياسة الخارجية تعوزهم المعلومات اللازمة، او قد تكون المعلومات الموجودة لديهم غير دقيقة ،وكل هذه العوامل لها تأثير في تقديرات صانعي القرارات لخطط العمل البديلة.

ب- الضعف في الاتصال **Communications Failures**:

من الممكن رؤية المعلومات الصحيحة في اطار وحدة اتخاذ القرار، الا ان هذه المعلومات تكون غير متيسرة لدى صانعي القرارات، مما يؤدي الى عرقلة المشاركة في العملية.

ج- السوابق **Precedent**:

ان بعض الاعمال السياسية السابقة، أو الاحكام السياسية الحالية لابد وان تقيد المداولات التي يستند عليها صانعو القرارات ،كما قد تعوق على اجراء تغييرات اساسية في طبيعة مشروعات السياسة الخارجية.

د- أن ندرة الموارد والخبرات والطاقات لها تاثيرها في تقييد الاعمال البديلة التي يمكن ان يعتمد عليها صانعو القرارات.

هـ - الادراك او القدرة على الفهم **Perception**:

وهذه العملية لها تأثير فعال في تحديد العمل حول مايقوم به صانعو القرارات، اذ يتصرف من خلال الادراك والتحكم والقيود الخارجية ذات التأثير الهام، ومن الطبيعي فان صانعي القرارات قد يعطون اهمية لبعض العوامل، او يستغنون عنها.

٣- القيود المختلطة :

وقد اصبح واضحاً من الملاحظات السالفة الذكر، ان القيود الداخلية تؤدي الى تقوية القيود الخارجية أو تقليل تأثيرها وعليه لابد من بحث العلاقة بين القيود الداخلية والخارجية، وتحديد ما اذا كان بالامكان التحكم في احداها عن طريق التحكم في الاخر ،وذلك بافتراض انه لم يكن هناك انفصال تام بينهما[1].

٣- خصائص القرارات في السياسة الخارجية [2]:-

يلخص ريتشارد سنايدر خصائص القرارات في السياسة الخارجية في النقاط الاتية:-

١- وجود مدى واسع من الاهداف والخطط الخاضعة لنطاق من التفسيرات الممكنة.

٢- انعدام التجانس بالنسبة لاوضاع الاطراف التي تختصها قرارات السياسة الخارجية، ويؤدي هذا الوضع الى بروز امكانية ظهور ردود فعل سخاء او عداء او مطاليب.

---

(1) Ibid ., pp.١٠٠-١٠٣.

(2) Ibid.,pp.١٠٤-١٠٥.

٣- وجوب الوصول الى نوع من الاندماج لمجموعة من المفاهيم والادراك قبل ان يتم التوصل لاجماع الاراء بشأنها.

٤- تتميز المواقف التي تتخذ في اطارها القرارات بالتعقيد وعدم الاستقرار وينجم عن ذلك صعوبة اجراء التنبؤ والسيطرة على النتائج.

٥- تتصف مصادر المعلومات بالاتساع والتشعب، كما ان هناك مشكلات اخرى بالنسبة لتصنيف هذه المعلومات وتبويبها.

٦- الفقدان النسبي لفرص التجريب وندرة تكرار المواقف.

٧- صعوبة اجراء القياس لفعالية المنظمات والنتائج السياسية.

٨- الحاجة لمناقشة البدائل على اساس عدم خضوعها للاختبار الدقيق بصورة مستمرة.

٩- انقضاء حقبة زمنية بين ظهور مشكلات الموقف، وتوضيح مضمونها الكلي.

١٠- وجود صراعات بين القيم والمبادئ التي يدين بها صانعو القرارات تبعا للعقيدة والفلسفة التي يعتنقوها، وبالنتيجة لابد وان تؤدي هذه الصراعات الى تبني حل يتسم بالاعتدال لحسم المعضلات الدولية.

وجدير بالذكر، ان هذه الخصائص تحدد السمات التي يختص بها صنع القرار في اطار السياسة الخارجية، غير ان هذه الخصائص لا تكون واضحة الا في حالة تأثير مقتضيات الموقف على وحدات صنع القرار في مكان وزمان معينين[1].

---

[1]) Ibid., PP. ١٠٤-١٠٥.

هناك تصنيفات عديدة للقرارات، من بينها: القرار الحاسم، وقرار التأجيل، قرارات تتخذ بمبادرة من صانع القرار، وقرارات تتخذ بصورة رئيسة بصفة رد فعل القرارات، او تبعا لسلوكيات بعض الوحدات الاقليمية او الدولية، قرارات تشكل نقطة تحول اساسية في مجرى السياسة العامة وقرارات تتم تنفيذا لستراتيجية مستقلة وفي اطارها. وهناك تصنيف يعتمد على اساس ما اذا كان القرار يتم بالفعل او بالامتناع عن الفعل، وفقلاً عن تصنيف يميز بين القرارات وبموجب اسلوب اتخاذها، وهناك قرار يتخذه فرد واحد القائم على المشورة ام لا، وقرارات تتخذ باسم المجموعة سواء بالاجماع او بالاغلبية، او قرارات تحتكرها المؤسسات التشريعية، راجع: حمادة بسيوني ابراهيم، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص٩٦-٩٧؛ وحتي، مصدر سبق ذكره، ص١٨٧-١٨٨.

الفصل الرابع

ظاهرة القيادة وأثرها

في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية

الفصل الرابع

ظاهرة القيادة وأثرها

في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية

جرى التقليد بين علماء السياسة الخارجية على عدم الاهتمام بظاهرة القيادة السياسية في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ،غير ان الابحاث الميدانية والتطبيقية اثبتت عكس ذلك ، ان هذا المتغير يمثل العامل الاصيل الذي تتبع عملية التلاعب بالقوى والمواقف [1].

ويدخل القادة في خانة العوامل النوعية ، التي تعد من العوامل المهمة في السياسة الخارجية ، وهو دور يعنى بدراسته الباحثون في السياسات الدولية ، والباحثون في السياسات المقارنة ، فيتناولون في دراستهم عمليات تطبيق السياسة ،واساليب هذه العمليات ونوعها ، وتكشف هذه الدراسة عن الاهليات السياسية تنوعا بالغا ، كما تظهر إختلاف الطرق العقلانية التي يتبعها المسؤولون من دولة لأخرى .

إن دراسة البيئة النفسية لظاهرة القيادة ، تعد مهمة ، لأن تلك تعطي الصورة الواضحة للقرار المتخذ من لدن صانع القرار وفي هذا المجال ، يرى فاتيكيوس ان فقدان جمال عبد الناصر الاحساس بالأمن في طفولته نتيجة وفاة والدته [2] عندما كان طفلاً و الإقدام السريع لزواج ابيه من اخرى، قد جعل عنده نوعاً من الريبة والشك نحو الآخرين [3]، كل ذلك دفعه الى تبني قرارات تحمل معنى الكرامة واحترام الذات .

والحق ، كان عبد الناصر رجل عواطف وإنفعال وخيال ، وفي هذا المجال ، يقول محمد حسنين هيكل : " أن عبد الناصر في أوائل عهده ، كان قد أعد خطبة يلقيها ، ويعلن فيها خطة أو رؤية للسلام في المنطقة . غير أنه سمع من السفير الأمريكي ، وقتئذ ، كلمة إستقبله به في زيارة فلم تعجبه الكلمة ، وإنفعل وغير خطبته وإتجاهه في الحال . وكان لهذا المسلك الإنفعالي تأثيره على مصير الوطن كله .. كما سارت الأمور كلها بعد ذلك في شؤون الدولة خارجها وداخلها على هذا المسلك وبهذا المحرك : إنفعال ورد فعل " [4] .

ومن يدرس الأحداث السياسية والعسكرية والإجتماعية في مصر على عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، يجد أن المحرك الخفي لها كان هو " الإنفعال ورد الفعل " ، وليس

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ٣٤.

[2] كان لوفاة والدته الأثر العميق في نفسه ، تركت في نفسه الحزن العميق ، حيث كان يكن لها كل التقدير والاحترام ، وكانت مصدراً له بالمشورة وهو في مقتبل عمره ، وقد احدثت هذه الوفاة فجوة في حياته لم يستطع فيما بعد السيطرة عليها وتحمله المسؤوليات ، راجع : د. بثينة عبد الرحمن التكريتي ، جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص٦٦.

[3] يقول السادات في هذا المجال : " عبد الناصر مات دون أن يستمتع بحياته كما يستمتع الآخرون ، فقد قضاها كلها بين انفعال وانفعال ، القلق يأكله اكلاً فقد كان يفترض الشك في كل انسان مسبقاً .." راجع : انور السادات، البحث عن الذات قصة حياتي ، ط٢ ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٧٨م ص٩٢.

[4] نقلا عن توفيق الحكيم ، عودة الوعي النص الأصلي والكامل ، ط٢ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص٤٠ .

التفكير الهادىء الرصين الرزين المبني على بعد النظر ، فعبد الناصر ظهر فيما بعد من النتائج أنه لم يكن رجلا سياسيا ، ولم تكن له قط طبيعة رجل السياسة ، التي يمتلكها رجال إتصل بهم وعرفهم مثل " نهرو " و " تيتو " [1] .

ومن المعروف ، أن نهرو قال لعبد الناصر في عبارة رقيقة موحية أنه يحتاج إلى قليل من الشعر الأبيض ، وهو يقصد بلا شك قليلا من الرزانة والحكمة والتجربة . وقد ظهر فيما بعد أن نهرو على حق ، وأن عبد الناصر لم يستطع تحقيق عدم الإنحياز كما استطاع تحقيقه بطلاه الحقيقيان نهرو وتيتو . فهما سياسيان حقا . فقد كان عبد الناصر أقرب إلى طبيعة الكاتب الفنان الحالم العاطفي ، ويظهر أن الظروف هي التي دفعته إلى طريق غير طريقه . ولو أنه ترك لطبيعته لكان كاتبا ناجحا . ولعل هذا ما خطر له أول الأمر فقد إتجه بالفعل في مطلع شبابه إلى كتابة القصة . وكتب صفحات من قصة بعنوان " في سبيل الحرية " جعل إسم بطلها محسن ، أيضا كإسم بطل " عودة الروح " [2] . ولكن الظروف حولته من مؤلف محسن على الورق إلى محسن نفسه ، أيضا على أرض الحياة . فعاش مثله وتصرف تصرفاته الشخصية الوطنية العاطفية الإنفعالية ،حتى في المسائل البعيدة عن السياسة وشئون الحكم تبدو طبيعته العاطفية والإنفعالية [3] .

أما فيما يخص أنور السادات [4]، أنه منذ صباه كانت لديه الرغبة الكبيرة ان يكون نجماً ساطعاً ،وقد انعكس هذا على سلوكه في السياسة الخارجية [5] .فقرار السادات بالذهاب إلى الأرض المحتلة في العام ١٩٧٧ ، كان إنعكاسا لرغبته في أن يجد فرصة أخرى لتأكيد تسليط الأضواء عليه التي أفلت بعد أحداث كانون الثاني من العام ١٩٧٧ في السياسة الداخلية[6] . يكشف بوست بأن اللمحات النفسية لأنور السادات ومناحيم بيغن كانت لها الدور البارزفي إدارة جيمي كارتر لمفاوضات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ . ويكتب المحلل النفسي الدكتور جيرالد م . بوست ، " وصف وزير الدفاع رونالد رامسفيلد أثناء جلسات تثبيته في

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

[2] قرأ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، عندما كان شابا صغيرا كتاب عودة الروح لتوفيق الحكيم ، وكان بطل الكتاب " محسن " ، وهو كتاب بشكل رواية ، يمثل محسن بأنه معبود الجماهير ، وقد أعجب به . راجع : توفيق الحكيم ، عودة الروح ، ط ٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٤٠ – ٤١ .

[4] يقول السادات في كتابه : البحث عن الذات : " وعندما زحف هتلر من ميونيخ على برلين ليخلص بلاده من اثار هزيمتها في الحرب العالمية الاولى ويعيد بناءها كنت في ذلك الوقت اقضي الصيف في القرية .. فجمعت اقراني وقلت لهم اننا يجب ان نفعل كما فعل هتلر ، وانني انوي ان ازحف على القاهرة من ميت ابو الكوم .. كان عمري في ذلك الوقت ١٢ سنة فضحكوا مني وانصرفوا عني ،كانت هذه في اغلبها ارهاصات تلقائية بخط كفاح لم اكن بعد قد بنيته ولكن من بين هذه الارهاصات التي كانت في الحقيقة مجموعة انفعالات وتفاعلات مع الاحداث – بقي كل شيء واحد هو حبي لكمال اتاتورك .. فمن اتاتورك استهوتني البدلة العسكرية وهو لم يستطع ان يفعل شيئا ويحقق ثورته الا بالقوات المسلحة " . راجع : المصدر نفسه ،ص ٢١-٢٢.

[5] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨٦ .

[6] المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

منصبه ، إمكانية عدم فهمه نوايا خصومه الخطرين ، بأنها الكابوس بالنسبة إليه "[1] . إن طفولة ودرو ولسن تميزت بسيطرة والده عليه سيطرة كاملة، مما دفعه الى الانجاز والقوة ، وفرض إرادته على الآخرين[2].

جورج دبليو بوش هو حالة نموذجية عن التناقض[3] ، وأمثلة واضحة على عدوانيته، هي جزء صغير فقط من البحث التحليلي النفسي في نموذج كلاين ، أن الفتى جورج دبليو بوش ، وهو بعمر السابعة ، كان يواجه مسبقا تحديات تعيق تطوره النفسي ، وسوف تتردد خلال بقية عمره ، إن قصة السنين الأولى لجورج دبليو بوش بما فيها ذكرياته الحية الأولى ، تحتوي على جذور عدة عناصر أولية لما تعرفه اليوم في شخصيته[4] .

كان جورج دبليو بوش ، في السادسة من عمره[5] عند بداية الحادثة المأساوية التي قال عنها بأنها أثمرت أولى ذكريات صباه الحية ، مرض وموت أخته ، شخصت روبين

---

[1] د . جوستن أ . فرانك ، بوش تحت المجهر الرئيس على أريكة التحليل النفسي ، ترجمة سعيد الحسنية ، الدار العربية للعلوم بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ١٠ .

[2] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨٥ – ٣٨٦ .
يقول نلسون مانديلا في مذكراته : " ظل والدي وانا لم ازل رضيعا في نزع حرمه من حقه في زعامة قرية مفيتزو ، وكشف عن جانب من شخصيته اعتقد انه ورثه لابنه وانا اؤمن بأن العامل الأساس في صياغة شخصية الإنسان هو تنشئته وليست طبيعته التي ورثها ، فقد كان والدي يجنح الى التمرد والاعتزاز بالنفس وكان متشددا في فهمه للعدل والظلم ، وهو ما المسه انا في شخصيتي " . راجع : مانديلا نلسون ، رحلتي الطويلة من اجل الحرية ، ترجمة عاشور الشامس ، لندن ، ١٩٩٨ ، ص ٦٠ . وحول الإطار العام للبيئة النفسية لصانع القرار ، راجع : زهران حسان علي ، السياسة الخارجية لمصر ١٩٧٠ – ١٩٨١ ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٤٧-٤٨.

[3] آل بوش كانوا جميعا من أصول بروتستانتية منحدرة من نيو إنغلاند ، وقد أعدوا إلى الأخيرة من أجل الالتحاق بمدارس تعليمية منتقاة متخصصة في تخريج القادة الارستقراطيين . أحد هؤلاء المتعلمين جيدا كان بريسكوت بوش ، المولود في مدينة كولومبوس بولاية أوهايو في العام ١٨٩٦ ، وقد التحق بأكاديمية فيليبس في أندوفر بولاية ماساتشوستس ، ثم التحق في العام ١٩١٣ بجامعة يال . بعد تخرجه من الجامعة ، حصل على وظيفة في شركة " هب برودكتس كومباني " . بعد قليل من عمله في تلك الشركة ، حصلت مشاكل فيها ، وأدين مالكها بتهمة الاحتيال ، انتقل بريسكوت الى بوسطن ، وهناك ولد جورج هربرت والكر بوش في ١٢ حزيران من العام ١٩٢٤ . ولم يمض وقت طويل حتى انتقلت العائلة إلى مدينة جرينويتش بولاية كونكتيكت . وبناء على شهادة أحد المخضرمين ، وهو جندي كان على متن طائرة أخرى قريبة ، فإن جورج هربرت والكر بوش ، كان مسئولا عن موت الرجلين برفقته على متن تلك الطائرة ، حيث دفعه إلى الهرب والتخلي عنهما . وإن ذلك الضابط ، كان مطلوبا للإدارة الأمريكية بناء على علاقته بالنازية . في العام ١٩٤٢ ، تولى المدعي العام في الولايات المتحدة هذه القضية فحجز ممتلكاته لصالح الخزينة . وهذا الأمر كان معروفا على نطاق ضيق ، بحيث أن الأعضاء الآخرين في هذه الأسرة لم يرغبوا في تحمل المزيد من المسئولية عن ذلك . راجع : كيفين فيلبس ، أوكار الشر دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات المركزية والشكوك حول هجمات ١١/٩ ، الدار العربية للعلوم ، مطبعة المتوسط ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ١١ – ١٢ .

[4] د . جوستن أ . فرانك ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .

[5] ولد جورج دبليو بوش في شهر تموز من العام ١٩٤٦ في نيو هافن بولاية كونكتيكت ، كان الابن الأكبر بين ستة أطفال – باربارا روبنسون (روبن) ، نيل مالون ، مارفن بيرس ، جون إليس (جب) ودوروثي والكر، بينما كان والده لا يزال في يال ، حيث كان لديه القليل من الوقت ليساعد زوجته في واجبات تربية أولاده نتيجة متطلبات برنامجه الاجتماعي والرياضي والأكاديمي . وبعد تخرجه بيوم واحد من العام ١٩٤٨ ، توجه بوش الكبير ، لينطلق ويلاحق فرص الثروة في فورة غرب تكساس النفطية ، مستقرا في أوديسا ، مدينة الطبقة العاملة الشقيقة لميدلاند . راجع : المصدر نفسه ، ص ١٨ . وكيفين فيلبس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢.

الصغيرة والتي ولدت في كانون الأول من العام ١٩٤٩، وثبت على أنها مصابة بمرض اللوكيميا (سرطان الدم) في ربيع من العام ١٩٥٣ ، الأمر الذي تسبب بالبدء بسلسلة رحلات واسعة نحو الساحل الشرقي قامت بها الأسرة مع الطفلة من أجل العلاج الذي لم يجد في النهاية. وقد عبرت السيدة بوش عن شكوكها بشأن كيفية معالجتها المسألة مع إبنها ، الذي كان كبيرا بما فيه الكفاية لكي يتأثر بفقدان أخته [١] .

وفي السياق نفسه ، يمكننا إبراز هذه النقطة في علاقة الشاه محمد رضا ، شاه إيران السابق مع والده رضا خان . خلال السنوات السابقة التي أمضاها مرافقا لوالده ، سنحت للضابط الشاب – محمد رضا – فرصة طيبة لمراقبة والده وهو يدير الحكم في البلاد ، وتعلمه إقتبس منه ذلك "الإهتمام الكبير بالإطلاع على كل صغيرة وكبيرة للأمور التي يعالجها [٢] .

هناك إعتقاد من بعض الباحثين ، أن الشاه الإبن كان يفتقر منذ شبابه لتلك القناعات العميقة التي كان يؤمن بها والده طول حياته ، ولذلك كان في شبابه كثير الميل لحياة اللهو الفارغة ، وكان يمضي معظم أوقاته خارج إيران متنقلا بين أوربا والولايات المتحدة . كما أنه كان في شبابه رياضيا جيدا يجيد التزحلق والفروسية والصيد وقيادة السيارات السريعة والطائرات [٣] .

تعرض الشاه محمد رضا خلال مدة حكمه للإغتيال مرتين نجا منهما بأعجوبة حيث أصيب في المحاولة الأولى في شفته ، وإستقرت في الثانية رصاصة في كتفه ، ويقال أنه في المرتين حافظ على رباطة الجأش بشكل أثار إعجاب مرافقيه[٤] .

ولكن أحداث سنة ١٩٥٣ ، أظهرت أنه رجل متردد تعوزه القدرة على إتخاذ قرارات حاسمة . ويقول بعض الإيرانيين الذين عاصروا عهد والده رضا شاه إن المجابهة التي وقعت بينه وبين رئيس وزرائه الدكتور مصدق عولجت بطريقة تختلف كليا عن معالجة والده للأزمات السياسية الحادة التي كان يواجهها طوال مدة حكمه . فقد كان الشاه الأب رجلا ذا إرادة صلبة وقدرة فائقة على إتخاذ القرارات القاطعة التي لا رجوع عنها [٥] .

التفسير الذي يقدمه بعضهم لنقطة الضعف هذه لدى الشاه الإبن هو رضوخه التام لإرادة أبيه في صباه وشبابه مما ولد لديه الشك بنفسه وبالآخرين أيضا ، ولكن هناك تفسير آخر لذلك حيث يقول البعض أن مدة إعداده وتهيئته لإستلام زمام الأمور كانت قصيرة ، ولم يكن مهيئا ومدربا تدريبا كافيا حينما أنزل والده عن عرشه ووضع في مكانه . كما أن البعض الآخر يعتقد أن دراسته الغربية في بلد ديمقراطي كسويسرا جعلته غير مؤهل لممارسة الحاكم الأوتوقراطي المطلق الذي يحتاجه بلد مثل إيران [٦] .

---

[١] المصدر نفسه ، ص ١٩ .

[٢] وليم سوليفان ، أمريكا وإيران ، ترجمة نجدة الشواف ، دار الملتقى للنشر ، ليماسول – قبرص ، ١٩٩٦ ، ص ٥٠ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

[٤] المصدر نفسه ص ٥٠ .

[٥] المصدر نفسه : ص ٥٠ .

[٦] المصدر نفسه : ص ٥٠ – ٥١ .

أن الصورة الشائعة عنه في الخارج والتي تمثله كحاكم[1] أوتوقراطي متغطرس وهي الصورة التي صقلها رجال البلاط وتبنتها ونشرتها الفئات المعارضة لم تكن صورة حقيقية ودقيقة . فالشاه محمد رضا بهلوي لم يخلق ليقود رجالاً أو أمة في أوقات الأزمات .

من ناحية أخرى ، باربارا بوش التي يشير أولادها ب " الفارضة الأوامر " كانت على الدوام فارضة النظام في العائلة ، كانت تحدد المهام بكل برودة ، وكانت تضرب أولادها حالاً . أسمتها صديقة مقربة للعائلة " الشخص الذي يستدعي الخوف " ، واعتادت أن تحسم الخلافات بين أولادها بجرأة ، وذلك عن طريق تعنيفهم وصفعهم [2] .

يقول أرنولد توينبي، ان هناك نوعان من السلوك تسلكها الامة عندما تغلب أمة اخرى، او عندما تقع في وضع خطر يهدد كيانها: أمّا ان تتقوقع على نفسها، وفي هذا المجال يعطي مثالا لذلك من الحركة السنوسية في شمال افريقيا والحركة الوهابية في الجزيرة العربية، او ان تقلد الامة الغالبة وهذا يعطي مثالا لذلك من حركة محمد علي باشا في مصر ؛ وحركة مصطفى كمال في تركيا [3].

والحقيقة، نستطيع ان نكتشف اموراً كثيرة تحيط بشخصية مصطفى كمال، بيئته الإجتماعية الأولى في سلانيك، فقدانه للعطف الأبوي، تربيته على والدته، كل هذه الامور انعكست على سياسته الداخلية والخارجية بعد انتهاء حرب الاستقلال في عام ١٩٢٢م .

والحق ، ان القيادة لاتعني شخصاً وانما تعني قيماً ، وان الظاهرة لاتفرض ، ولا تختلط بأسلوب ممارسة السلطة ، وانما تصور عملية علاقة بين الطبقات الحاكمة والطبقات المحكومة [4].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٥١ .

يقول السفير الأمريكي الأسبق في إيران ، وليم سليفان في هذا الصدد : " شعرت وأنا استعرض في ذهني في ذلك المساء هذا الواقع الذي توصلت إليه بشيء من القلق والارتباك عندما تذكرت أيضاً الرد الذي صدر عن المسؤولين في وزارة خارجيتنا في واشنطن على إستفساري عن أسباب اختياري شخصياً لسفارة أمريكا في طهران إذ كانوا يعتقدون أن تجاربي السابقة بالتعامل مع حكام أوتوقراطيين متغطرسين هي التي جعلتني في أعينهم مؤهلاً لمهام السفارة في طهران . إذ أن الحقيقة التي توصلت إليها عن هذا الرجل الذي قدمت له أوراق إعتمادي في صباح ذلك اليوم أنه لا يدخل قطعاً ضمن هذا التصنيف للحكام " . راجع : المصدر نفسه ، ص٥١ .

[2] د . جوستن أ . فرانك ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

وصفت باميلا كيليان في كتابها الصادر في العام ١٩٩٢ بعنوان " باربارا بوش : الأم الحاكمة لسلالة من الحكام " بأنها رياضية ممتازة وأنها من أروع الفتيات في سنوات مراهقتها ، وبأن لديها موهبة التسبب بالأذى للناس ، قاسية ، كما أنها معروفة بالبطش والسيطرة على زميلاتها في حافلة المدرسة ، حيث كانت تستهدف واحداً منهم كل يوم ليكون ضحيتها . فيما بعد أصبحت باربارا من الأوصياء على جمعية أبير كير الخيرية . راجع : كينيون غيبسون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

[3] ضابط تركي سابق، الرجل الصنم كمال اتاتورك ، ط٢ ، ترجمة عبد الله عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٩ .

[4] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٤.

وفي هذا المعنى ، كتب الجنرال ديغول قائلاً : (لا شيء عظيم يصنع بدون رجال عظماء ، وأولئك عظماء لأنهم أرادوا أن يكونوا كذلك).[1]

يتحدث نيكسون عن عنصر القيادة مشيراً إلى أن هناك عنصران فقط وهما: التمتع بالسلطة وعدم خشيته من المجازفه بالأخطاء سيقوم بالتحركات الجريئة التي تتطلبها القيادة العظيمة . ويردف نيكسون قائلاً : (فالقرارات الصعبة التي تعين على اتخاذها بشأن أنهاء التورط الأمريكي في فيتنام غالباً ما كانت قرارات مغلقة . وعندما يعرب المستشارون الذين أسهموا في صنع تلك القرارات عن شكوكهم ، بصورة سرية ، بشأن صحتها أقول لهم : تذكروا زوجة لوط ولا تلتفتوا إلى الوراء قط . فإذا ما شغل القائد نفسه ما أذا كانت القرارات التي أتخذها صحيحة يصبح مشلولا وأن السبيل الوحيد الذي يستطيع به أعارة الأنتباه الكافي للقرارات التي ينبغي عليه اتخاذها غداً هو أن يطوي قرارات الأمس ويدير ظهره لها).[2] وفي هذا المجال ، يقول أحد منتقدي ديغول : (في المسائل السياسية ، يعتقد أن ثمة خطاً هاتفياً مباشراً مع الإله وأن كل ما يترتب عليه أن يفعله، عند صنع القرارات، هو أن يتصل عبر سلك الهاتف ويحصل على الكلمة مباشرة من الإله).[3]

وفي هذا الصدد ، يتحتم علينا ان نلقي الضوء على عنصر القيادة في عملية المواجهة ، ويمكن تلخيص ذلك في المبادئ الآتية :

١- الحساسية : وتعني امكانية فهم طبيعة الموقف وخصائصه ، فالقيادة هي نوع من السلوك الذي يخرج عن السلوك المعتاد ، وهي لذلك اكثر قدرة على الخضوع للاستجابة بالموقف.

٢- عملية الاختيار : ان عملية الاختيار عمل ارادي ولايمكن ان يقوم بها الا قائد وزعيم ، على ان اختيار القرار ليس فقط مجرد اختيار النموذج للحركة ، وانما هو عملية تفضيل وقدرة على الموارد يتلاعب فيها اكثر من متغير واحد.

٣- الناحية الإيديولوجية : وتقوم هذه الناحية بعملية ربط بين الحركة والفكر ، بين المواجهة وما تعنيه ، والتقاليد وما تفرضه .

٤- عنصر الثقة : وهذ العنصر لايمكن ان ينبع الا من شخص الزعيم ، فالقيادة ليست شخصاً فقط ، وانما علاقة بين القائد وجماعته . وهذه العلاقة تفرضها خصائص الظاهرة القيادية.

كذلك فان عملية الإتصال بابعادها المختلفة التي تنبع من الظاهرة القيادية التي تصير سلبية في بعض المواقف ،وبصفة خاصة عندما تتعرض للمعارك المصيرية تتبع وتتحدد بطبيعة القيادة [4].

---

[1] ريتشارد نيكسون ، القادة ، ترجمة خضر إبراهيم ، ص٤٤٢ .

[2] المصدر نفسه ، ص٤٥٤ .

[3] المصدر نفسه ، ص٤٥٣ .

[4] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ،مصدر سبق ذكره ، ص٣٤.

هناك خصائص معينة للقائد السياسي ، بالإمكان إيجازها في الآتي :

١- الشخصية التسلطية :

تتميز هذه الشخصية كونها تؤكد السيطرة على المرؤوسين ،والميل نحو استخدام المفاهيم النمطية ، مع نظرة ثابتة للعالم السياسي على انه مكون من اصدقاء واعداء ، والتعصب لقوميتهم ، كل ذلك يفسر ميل هؤلاء نحو الحرب والعدوان ، فضلاً عن تأكيدهم على اختيارات محددة كشن حرب محدودة ، او وقف الحرب نهائياً .

٢- العقل المتفتح والعقل المنغلق :

يعد ميلتون روكيش من رواد التحليل السياسي لخصائص العقل المتفتح ، امام العقل المنغلق كأحد خصائص الشخصية .

وفيما يخص العقل المنغلق ، نرى انه يتميز بالقلق النفسي والميل الى الاهتمام بمصدر المعلومات اكثر من اهتمامها بمضمون المعلومات ، فضلاً عن عدم استيعاب المعلومات الجديدة التي تتعارض مع النسق العقيدي ، ولهذه الأسباب نلاحظ ان هذه الشخصية ليس بامكانها صياغة سياسة خارجية متكاملة او رشيدة مما يغلق امامها بعض البدائل ،ومن صفات هذه الشخصية ايضاً ، نظرتها الى العالم بعقلية تآمرية ، وميلها الى استخدام القوة مع الأخرين والسرعة في اتخاذ القرارات ،والابتعاد عن قبول الحلول الوسطى .

٣- تحقيق الذات :

تتميز الشخصية المحققة للذات بعدة خصائص منها اشباع الحاجات الطبيعية ، والاحساس بالامن والانتماء ،والاحساس باحترام الذات ، هذه الخصائص هي التي تخلق عند الشخص الاحساس باحترام الذات والثقة نحو العالم الخارجي ،والانعطاف على العالم [١].

تعد ظاهرة القيادة من اكثر الظواهر الاجتماعية التي عنيت بالبحث والدراسة الا انها كانت ولا تزال من اقل الظواهر فهماً وادراكا في علم السياسة ، مع الاشارة الى ان كثيراً من كتب علم السياسة تعالج ظاهرة القيادة من دون تناول تحليل دور القيادة وتأثيرها.

والحق ، ينظر إلى القيادة بشكل عام على انها ، تمثل عملية تفاعل بين الحكام والمحكومين ضمن اطار يجمعهم مجموعة التراث والأيديولوجية والمصلحة المشتركة ، وبوساطة مؤسسات محددة التي من وظائفها تنظيم هذه العلاقة [٢].

كانت دراسة ظاهرة القيادة محل اهتمام الباحثين منذ حقبة ليست بالقصيرة ، تعود الى افلاطون على عهد دولة المدن الاغريقية القديمة ، الا ان الدراسات المعاصرة بدأت في التركيز على تحليل نظريات القيادة ونماذجها منذ نهاية القرن التاسع عشر كرد فعل للنظرية الماركسية بشكل يتجاوز على ماسبقها من دراسات متعددة في هذا المجال [٣].

يرى لوسيان سفاز ان دراسة القرار السياسي انطلاقا من مفهوم القيادة السياسية يرتبط بحقبة النظام الفردي المطلق التي تسبق النظام الليبرالي الحديث والمرتبط بميكانيزمات العملية السياسية فيها لنمط وظيفي مؤسسي معقد وحديث[٤].

---

[١] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٧-٣٨٨.

[٢] الدكتور نظام بركات ، مصدر سبق ذكره ، ص١٨.

[٣] مصباح ، مصدر سبق ذكره ، ص١٧٨ .

[٤] Bavelas . A., Communication Patternsin taslr Oriented Groups in Cortwright and Zander , ١٩٦٣.

تنوعت إسهامات المختصين والأكاديميين في كشف ملامح مفهوم القيادة ، فبالنسبة للمختصين برز في هذا الحقل (بافيلاس Bavelas الذي يعرف القيادة بأنها " عملية سيكولوجية وليست مركزا أو مكانة وقوة فحسب ، وإنما هي محصلة تفاعل اجتماعي فيه يتدفق النشاط الموجه الذي يكون له أثره على نفوس الأفراد والجماعات، إذ يكون للقيادة رد فعلها في عمليات الانتاج ونجاح المشروعات "[1].

وتبعاً لذلك يفهم من كلام (بافيلاس) أن روح القيادة تتركز في التفاعل بين القائد والمحكومين ، وليس يراد بها وجود شخص على رأس السلطة يقوم بمهام القيادة بصورة مجردة فقط ، وإنما يؤكد (بافيلاس) على ديناميكية الدور القيادي ، وليس مجرد وجود الحالة القيادية الجامدة من دون حيوية ونشاط فعال لاثبات القدرة القيادية للشخص الذي يشغل موقع القيادة.

ويظهر من جانب آخر (كوبر ومجو) Cooper McGaugh ليؤكد على مفهوم القيادة محاولاً خلق نوع من التمييز بين " قيادة الدفع وقيادة الجذب "[2]. أن (كوبر) نراه يقترب نوعا ما من مفهوم (بافيلاس) وخاصة عندما نجد مفهومه للقيادة ليظهره بأنه مفهوم قيادة جذب أكثر ما يكون من مفهوم قيادة الدفع الذي يعلي بأقل صورة ممكنة دفع المجموعة أو الجماعة إلى إنجاز مهمة أو تجاوز معضلة ما لتنتهي العملية بمجرد تحقيق ذلك، بل ان القائد بنظر (كوبر) يمكن أن يكون عامل جذب للجماعة وبذلك يظهر حقيقة مهمة خلاصتها ضرورة وجود نوع من التفاعل بين القائد والمجموعة.

أمّا الاكاديميون فلم يكونوا أقل حظا من المختصين عندما تناولوا مفهوم القيادة في دراسات وبحوث أكاديمية متميزة كان لها وقع كبير في إزاحة بعض ملامح هذا المفهوم.

وعلى سبيل المثال ، لا الحصر يعد المشروع البحثي الذي قام به (دوروين كارتريت) الاستاذ بجامعة مشيغان ردود فعل ضمن مركز بحوث ديناميات الجماعة في الولايات المتحدة، و(ستوجديل) الذي قام بإعداد دراسة بعنوان " القيادة العضوية والتنظيم " فضلا عن اسهامات (الفين زاندر) التي تعد من الدراسات المهمة التي ترى ضرورة عرض أبرز الآراء والأفكار التي تداولتها.

وهنا لابد من الإشارة الى الأبحاث التي قام بها آخرون مع الفريق البحثي السابق منهم (لوين) Lewin و(مورينو) Moreno وأثرهما في تقدم ملحوظ في تطوير مناهج دراسة القيادة كظاهرة في الجماعات؛ فالقيادة بنظرهما يمكن أن تعد "عملية تؤثر في نشاط جماعة منظمة من أجل تحقيق هدف معين، أو إرساء قواعد هذا الهدف"[3].

---

[1] منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٤٨.

[2] الدكتور حامد عبد السلام زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ط٤ ، عالم الكتب ، مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٢٦٩.

[3] دوروين كارتويت ، وآخرون ، تعليم وقيادة الجماعات ، ترجمة د. محمد طلعت عيسى ، سلسلة الانسان والمجتمع ، دار مطابع الشعب ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص١٩-٢٢.

ان مراجعة بسيطة وتحليل جهد (لوين) و(مورنو) ستعطي لنا ملاحظة مهمة مفادها اضافة سمة جديدة تنفرد بها على التعاريف السابقة الا وهي التأكيد على دور القيادة في تحقيق هدف معين، وفي اضعف الحالات تهيئة الارضية المناسبة لخلق الهدف الذي يدفع الجماعة المنظمة لانجازه بمساعدة وتوجيه القائد.

لكن ما يؤخذ عليه انه يندرج ضمن التعاريف العمومية وليس المحددة لتعريف مفهوم القيادة بشكل يؤشر على ان يكون أكثر دقة من غيره. أما الدكتور عبدالمنعم شوقي فيعرف مفهوم القيادة بأنها "عملية التأثير في جماعة من الجماعات في مواقف خاصة " والقيادة بنظره هي" قيادة مواقف"[1].

هنا بالإمكان ، أن نستشهد بالرئيس الأمريكي هاري ترومن ، حيث عد الآن ، بطلا بالنسبة إلى الديمقراطيين والجمهوريين على حد سواء ، كونه يرتبط ومن وجهات نظر الأمريكيين ، بالعصر الذهبي للقيادة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، بسبب صراحته وحسمه وتحمله المسؤولية كاملة . في هذا المجال كتب دين أتشيسون عنه قائلا : " إن لمسة هاري الصغير ، التي كانت تحفزنا على الاستمرار تنبع من معين لا ينضب من الحيوية والروح المعنوية . كان بوسعه أن يبزنا جميعا في العمل ، وقد فعل دون حاجة إلى إختصار الأوراق في ورقة واحدة . كان يتحمل المسؤولية عندما تفشل الأمور ... ويعطي الفضل إلى مساعديه عندما تنجح ... هذه هي صفات القائد الذي يبني ولاء المجموعة . كان يتوقع الولاء الذي يقدمه ، ويحصل عليه "[2] .

فضلا عن ذلك ، نرى أن الدكتورعبد المنعم شوقي يعطي أهمية للموقف الذي يبرز فيه دور القيادة بما يعني أن الأمر يتطلب وجود العناصر القيادية في المواقف التي يتطلب وجودهم للانسجام الحاصل بين قدرتهم القيادية ونوعية المواقف التي يستثمرون طاقاتهم القيادية للسيطرة والتحكم بها لصالح منفعة التنظيم الذي ينتسبون اليه.

ونحن نشاطره في هذا المجال ، لأننا نعتقد أن صيرورة الحياة دائما يقع فيها مواقف عديدة ، بما يستنتج على سبيل المثال ان قائد الكتيبة العسكرية لا يمكن ان يكون قائدا لفرقة موسيقية لإعتبارات عديدة أهمها وجود الاختصاص ، ناهيك عن التركيبة النفسية والجسدية التي تلائم بها القائد العسكري مع منتسبيه الذين ينتمون الى الإختصاص نفسه بما يخلق دائرة متناسقة بين القائد العسكري وكتيبته العسكرية، ويحصل الشيء نفسه مع قائد الفرقة الموسيقية الذي سيتفاعل مع أعضاء فرقته الذي يقودها بأفضل صورة.

أما الدكتور جلال معوض فان يعرف القيادة بأنها : " قدرة وفاعلية وبراعة القائد السياسي بمعاونة النخبة السياسية في تحديد أهداف المجتمع السياسي وترتيبها تصاعديا حسب أولوياتها واختيار الوسائل الملائمة لتحقيق هذه الأهداف بما يتفق مع المقدرات الحقيقية

---

[1] الدكتور عبد المنعم شوقي ، مبادئ تنمية وتنظيم المجتمع ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، (ب.ت) ، ص١٣٩ .

[2] مادلين أولبرايت ، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا إستعادة سمعة أميركا ودورها القيادي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠ .

للمجتمع، وتقدير أبعاد المواقف التي تواجه المجتمع واتخاذ القرارات اللازمة لمواجهة المشكلات والأزمات التي تفرزها هذه المواقف، ويتم ذلك في إطار تفاعل تحكمه القيم والمبادئ العليا للمجتمع"(١).

أما فيما يخص الدكتور إسماعيل صبري مقلد والدكتور محمد محمود ربيع فانهما عرفا القيادة في موسوعة العلوم السياسية بما يلي: "هي العملية التي يمارس من خلالها عضو الجماعة تأثيراً إيجابياً على باقي أعضاء الجماعة وعلى ذلك فالقائد Leader هو عضو الجماعة الذي يمارس تأثيراً إيجابياً على أعضاء الجماعة الآخرين"(٢).

وفي هذا المعنى يشير الدكتور ناصيف يوسف حتي، من أن العامل القيادي في دول العالم الثالث له الدور الأساس في رسم السياسة الخارجية بسبب الإطار العام للسلطة والذي يفتقد إلى المؤسسات الدستورية وذلك بالمقارنة مع تجربة العالم المتقدم (٣).

أكد على هذه الحقيقة ، نجوين مانه هونج ،عندما أشار الى دور العامل الشخصي في دول العالم الثالث في تحديد "الأفضليات والأولويات في السياسة الخارجية ، نتيجة عدم خضوعه بالقانون والمؤسسات الدستورية ، يشاطره في القول روبرت روتستين الذي يؤكد على أن شخصنة السياسة الخارجية في دول العالم الثالث تعد عاملاً مهماً لأحداث التغير الرئيس في السياسة الخارجية حيث يعد القائد في هذه الدول هو المهيمن على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية(٤) .

فضلاً عن ذلك، يرى البعض أن مفهوم القيادة انه يجب أن لايتم "الخلط بين مفهوم الرئاسة Headship الذي يعني الرئاسة أو الرئيس المعترف به رسمياً في نظام، ومفهوم Leadership الذي يعني القيادة والقائد المعترف به من جماعته"(٥).

يقدم لنا أنصار المدرسة السلوكية تعريفا لمفهوم القيادة بأنهم: "الأشخاص الذين يحصلون على معظم الاهداف والمتطلبات التي يمكن الحصول عليها" (٦).

ونخلص الى القول أن المختصين والأكاديميين الذين تم التعرف على آرائهم سلفا يشتركون جميعا في الإتفاق على حقيقة واحدة مفادها أن القيادة هي عملية إنسانية وإجتماعية غير إعتيادية تتطلب إثبات عامل التأثير على الجماعة من قبل القائد الذي يقود تلك الجماعة سواء كان فرداً واحداً أو هيئة قيادية .

ويبدو من خلال تدقيق وتحليل الآراء السابقة أنها تحاول أن تؤكد على أن وجوداً شخصيا في موقع القيادة لايكفي لتحقيق العملية القيادية لأنه في حالة ابدال أي شخص آخر

(١) زايد عبد الله مصباح ، مصدر سبق ذكره ، ص١٧٧ .
(٢) د . إسماعيل صبري مقلد و د . محمد محمود ربيع ، موسوعة العلوم السياسية ، جامعة الكويت : ١٩٩٣-١٩٩٤ ، ص٤٩٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٩٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص١٩٤ .
(٥) الدكتور خليل أحمد خليل ، العرب والقيادة ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٧.
(٦) الدكتور نظام بركات ، مصدر سبق ذكره ، ص١٩ .

محل الشخص السابق لا تعد من الامر شيئاً بل ان الحقيقة التي يمكن الوصول اليها من خلال خلاصات الآراء السابقة ان ليس المهم وجود الشخص في موقع القيادة بل ان الأساس ان يثبت ذلك الشخص اهليته لممارسة الدور القيادي.

واخيراً لابد من التنويه اننا نؤكد بان نتائج نقدية مهمة تولدت لدينا لاحساسنا بوجود نوع من النقص واختصار تلك الآراء لبعض الأركان المهمة التي تعد بانها أساسية .

وعلى سبيل المثال ، لاحظنا ان تلك التعاريف لم تؤشر كون القيادة هي مسؤولية انسانية واجتماعية تجاه التنظيم الذي يمكن قيادته . ناهيك انها لم تعط اشارة بكون القيادة هي حالة مؤقتة تتطلب من القائد استثمار كل طاقاته ، والمتغيرات الداخلية والخارجية لاثبات وجود لقيادة التنظيم نحو تحقيق كامل اهدافه وغاياته .

وتبعا لذلك يمكن وضع تعريف لمفهوم القيادة مفاده :-

ان القيادة هي مسؤولية انسانية واجتماعية وسياسية وتاريخية لمرحلة معينة تهدف الى التوجيه والسيطرة لمجموعة تتألف من أكثر من اثنين فما فوق بحصر نوع من التفاعل المتبادل بين القائد والمحكومين القائم على الثقة المشتركة لانجاز المهمات المستقبلية المطلوبة لتطور وتقدم ذلك التنظيم .

اما خصائص القيادة فهي الأخرى تعرضت الى كثير من الإجتهادات والإسهامات الفكرية من علماء الاجتماع والمختصين في العلوم السياسية . ويلاحظ ان اغلب تلك الاسهامات التي سنحاول استعراض ابرزها تحاول ان تطرح عدة سمات مشتركة للقيادة لكننا نريد ان نؤكد حقيقة مهمة مفادها ان القيادة هي ليست لباسا جاهزا او بدلة تستعمل عند الطلب يلبسها أي انسان بشكل ساذج ومجرد بل هي من حيث الفهم والإدراك اكثر بعدا من ذلك بحيث ان عدة إعتبارات يمكن اعطاؤها اهمية لكونها ضرورية لإعتمادها لخلق القائد.

وتبعا لذلك يفصل علماء الإجتماع الكلام عن الوظائف القيادية أكثر من الكلام عن وظيفة القائد . ونظرا لهذا التباين فقد قام هؤلاء بوضع عدة لوائح بوظائف القائد [١] .ومن ضمن تلك اللوائح :-

١- **لائحة كيرشت وكروتشفيلد**

CRUTCHIELD ١٩٤٨ KERCHET

تتضمن أربعة عشر دوراً قيادياً يمكن للقائد تأديتها ومن ابرزها :

أ- المنفذ ، والمخطط والضابط أي المسؤول عن الانضباط .

ب- الخبير ، والوجيه ، أي ممثل الجماعة في الخارج .

ت- الحكيم ، والقدوة ، ورمز الجماعة .

ث- الايديولوجي ، وصورة الاب .

٢- لائحة هامفيل HEMPILL ١٩٥٠

---

[١] المصدر نفسه ، ص٢٨ - ٣٠ .

فيما يخص دراسة الاسلاخ الدراسية الرئيسة حول القائد راجع : بيير ريلوفان وجان بتيست دروزيل ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٨٢-٣٩٤ .

حيث ينطلق من ١٧٩٠ سمة من سمات سلوك القائد وانتخب منها ١٥٠ سمة ، رتبها في تسع فئات وهي كما يلي :-

أ- ترقية الأفكار والممارسات الجديدة والانتماء للجماعة ، وتمثيل الجماعة.

ب- التنظيم، الهيمنة.

ت- ارسال المعلومات او قبولها، والاعتراف بالفضائل والمآثر ،والانتاج.

٣- لائحة كاتل CATELL ١٩٤٨

إذ عد أن هذه الوظائف متطابقة تمام التطابق مع نوعين من الطاقة:-

أ- الطاقة الفاعلة: وهي الطاقة التي تنتجها الجماعة بشكل مشترك لبلوغ اهدافها المنشودة.

ب- الطاقة الحافظة: الطاقة التي تبذلها الجماعة للمحافظة على ائتلافها واتساقها، ولا مناص للقائد من الاضطلاع بهاتين الوظيفتين المتلازمتين بناء الجماعة والحفاظ عليها.

ويبدو ان تلك الخصائص التي جاء بها (كيرشت) و(هامفيل) و(كاتيل) تحاول ان تعطي للمختص وذوي الخبرة مؤشرات مهمة حول ملامح القيادة الفاعل اكثر مما تكون خصائص قيادة تقليدية فمثلاً عندما يورد (كيرشت) ما يجب ان يتميز به القائد بكونه خبيراً ورمزاً للجماعة والمخطط ، فضلاً عن ما جاء به (هامفيل) يكون القائد هو عامل انساني فاعل لترقية الافكار والممارسات لجماعته نحو منزلة رفيعة ومتقدمة واخيرا تأكيد (كاتيل) بان وظائف القيادة هي اصلا طاقة، والطاقة هي في طور الحركة والتغير والإستمرارية ، كل ذلك يؤكد صحة استنتاجنا سالف الذكر بكون دور القيادة ومهمة ووظيفة القائد هي ليست مقتصرة على الجانب الفني والإداري للشخص الذي يشغل موقعا اعلى من جماعته بقدر مايكون ذلك الإنسان نوعية استثنائية في التفكير والاستنتاج والخبرة والتخطيط والسلوك..الخ.

صفوة القول في الكلام ، ان ما تحتاج له البشرية كأحد متطلبات مجابهة تحديات القرن الحادي والعشرين الحالي هو خلق أو ظهور أو حضور قادة من طراز خاص تتناسب امكانياتهم ، ومؤهلاتهم مع التطورات والمتغيرات والمعطيات التي تواكب التطور الحضاري والإنساني إلى جانب التطور التكنولوجي والعلمي والصناعي الذي له خطوات غير اعتيادية تتطلب وجود قادة متميزين يأخذون بشعوبهم الى طريق التقدم والإزدهار وتهيئتهم لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية ، فهم في مفترق طريق للموازنة بين رفاهية شعوبهم والدفاع عن قيمهم وحضارتهم في آن واحد .

دوافع ونظريات القيادة :-

<u>دوافع القيادة</u> : حاول " رايموند كارفيلد كيتيل " في كتابه الموسوم بـ " العلوم السياسية " أن يقدم تحليلاً مهما خلاصته الدعوة الى ربط وتحليل العوامل النفسية لتحليل القواعد السياسية اذ يشرح (كيتيل) ذلك بالقول (تحاول الطريقة النفسية شرح الظواهر السياسية عن طريق القوانين النفسية ، وخاصة بدراستها لبواعث سلوك الانسان ، وعمل العقول في الجماعات والمنظمات ، والطرق التي تؤثر على الرأي العام ، وهذه الطريقة تساعد على تفسير القضايا التي تستند إليها الأحزاب السياسية ، والتي تنشأ منها الخلافات العالمية .)[1].

---

[1] رايموند كارفيلد كيتيل ، العلوم السياسية ، ج١ ، ط٢ ، ترجمة د . فاضل زكي محمد ، مكتبة النهضة ، بغداد، ١٩٦٣ ، ص٨ .

وتبعا لذلك ، إستطاع بعض المختصين الوصول إلى نتائج ذات أهمية ، تفسر الدوافع النفسية الحقيقية نحو ممارسة دور القيادة ، ومن ضمن هؤلاء " برتراند رسل " الذي يربط "وجود علاقة السلطة بما سماه بالرغبة الإنسانية "[1] وإذا كان برتراند رسل لم يحدد بصورة دقيقة مضمون هذه الرغبة ، فإن بعض المختصين كان قام بذلك لتتمثل بالميل المتضخم نحو الهيمنة[2] .

ان نظرة فاحصة لتحليل قول " برتراند رسل " تعطي للباحث قوة للتساؤل عن ماهية الرغبة الإنسانية التي تدخل في علاقة مع السلطة ؟ أي بعبارة اخرى ماهي تلك الرغبة التي تدفع لخلق علاقة مع السلطة ؟

إن الإجابة على ذلك التساؤل تم من خلال بعض المختصين ، ومن ضمن هؤلاء " هربرت سان سيمون " (Simon) الذي كشف عن أصل تلك الرغبة بكونها الميل المتصاعد نحو الهيمنة، لانها بذاتها تمثل ميلا طبيعيا عند الانسان وهو ما اكده (سيمون) بعد ذلك ، عندما قال : (هناك واقعة يمكن متابعتها عن طريق سلسلة من الملاحظات ، وهذه الواقعة تتلخص في ان كل انسان يستشعر بدرجة الى حد ما ، الرغبة القوية في أن يهيمن على كل الناس الأخرين ، وهناك شيء واضح بموجب التسبيب العقلي هو أن كل انسان ليس معزولا يجد نفسه سواء كان فعالا ام سلبيا في حالة نزوع نحو الهيمنة في علاقاته مع الأخرين)[3].

ولكن هذا الميل الطبيعي قد يتضخم لدى البعض بسبب عوامل عديدة كالثقة البالغة بالنفس والغرور ، ويؤكد " كلود لفي ستراوس" بهذا المعنى قائلا : (هناك رؤوساء لانه يوجد في كل مجموعة إنسانية أناس يحبون على خلاف أقرانهم الهيمنة لذاتها ، ويشعرون بالإفتتان بالمسؤولية كما يشعرون بان التكلف بالشؤون العامة يجلب لهم مقابلا ، إن هذه الإختلافات الفردية تتطور وتؤتي فعلها تحت تأثير الإختلافات الثقافية ولكن في قياس تبايني . غير أن وجودها حتى في مجتمع لا يقوم ، إلا بدرجة ضئيلة ، على روح التنافس كبعض المجتمعات البدائية يسمح بالإفتراض بأن أصولها ليست تماما إجتماعية ، وإنما هي تشكل ، بالأحرى جزءا من مواده السيكولوجية الخام التي يتمسك بموجبها كل مجتمع . إن الناس ليسوا جميعا متشابهين ، فحتى لدى القبائل البدائية التي جرت العادة على أن توصف من قبل علماء الإجتماع بكونها خاضعة للتقاليد الشديدة ، نلاحظ هذه الإختلافات ، ويتم تلمسها بكل دقتها ، ويتم إستثمارها في مجالات عديدة تماما كما هو الحال بالنسبة لمجتمعاتنا المتحضرة التي تسمى فردية)[4].

ونخلص الى نتيجة مهمة والتي تكمن في : " إن كل مشروع للهيمنة يقتضي وجود القائد الذي يمسك بالسلطة من اجل ضمان إدارة التنظيم "[5].

---

[1] الدكتور عبد الرضا الطعان ، " القيادة والحزب دراسة نظرية " ، مجلة العلوم السياسية " ، العدد الاول ، مطبعة واوفسيت راقد ، ١٩٨٨ ، ص٥٩ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٦٠.

[4] المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

[5] المصدر نفسه ، ص ٦٤.

اما " نيوكومب New Comp " ، فيرى من خلال بحثه الذي يحلل الدوافع المحفزة للقيادة ان هناك بعض الأشخاص يحاولون تقمص شكل القيادة . ولاحظ أن القادة يتباينون حسب شخصياتهم إزاء الدوافع التي تدفعهم إلى التمسك بزمام دور القيادة [١].

وهنا بالإمكان الإشارة إلى أهم الدوافع في القيادة والتي تتركز في الآتي [٢]:-

١- الرغبة في الجزاء المادي .
٢- الحاجة الى السيطرة من حيث الشعور والسلوك والمكانة ويقابلها الحاجة الى الخضوع والتبعية والاعتماد على الغير من جانب الاتباع .
٣- قوة القائد بالنسبة للأتباع والحاجة الى الشعور بالقوة والرغبة في استخدامها عند تعامله مع الأتباع .
٤- الحاجة الى المكانة العالية والشهرة مما يضفي على القائد قوة وسلطة وتعود عليه بجزاء مادي .

وفي هذا السياق ، يتفق "ليبيت LIPPIT " ما ذكره الأكاديميون من خلال التجارب التي اجراها على تأثير القيادة في الجماعات بقوله " أن من يتمتع بالقوة والسلطة والتأثير هو الذي يكون قدوة للآخرين ومثلا أعلى فيقلده الغالبية الكبرى من المجتمع ، لأنه اكثر ميلا ورغبة لمقاييس الأخير "[٣].

الا ان (روبرت ميشلز) احد المنظرين التقليديين في التنظيم يوجه انتقاداً لاذعا للرأي المطروح سابقا بقوله (ان القائد او الزعيم الذي حصل على السلطة وتعود على ممارستها يجد بعد ذلك صعوبة في التنازل او التخلي عنها . ان ممارسة القوة ذاتها تحدث تحولا سيكولوجيا في شخصية القائد فيزداد ايمانه بنفسه ويبالغ في عظمته ثم يلجأ في النهاية الى نسب التنظيم له وربطه به) [٤].

ونرى ان " ميشلز " يعلل رأيه استنادا الى رأي ميكافيلي الذي يحلل ان سلوك جماعة مسيطرة او حاكمة ينبع من مصلحتها الذاتية وهو ماتوصل اليه ايضا بعض الكتاب كمحصلة نهائية [٥].

يتضح مما تقدم ، أن الآراء سالفة الذكر يبدو انها متفقة على ابراز سمة الهيمنة التي تبرز لدى الاشخاص الذين يميلون الى السيطرة على الآخرين آخذين بنظر الإعتبار ان هناك عدة متغيرات تحفز الشخص الذي تؤثر عليه تلك المتغيرات الى التعلق بالهيمنة منها على

---

[١] الدكتور حامد عبد السلام زهران ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٦.
[٢] المصدر نفسه .
[٣] Lippit R., Wgit RK , An Experimental Study of Leadership Group Life , n New Combhortly . Newwork , Holt , ١٩٧٧. ، والدكتور إسماعيل محمد قباري ، المدخل إلى علم الاجتماع المعاصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤.
[٤] الدكتور السيد الحسيني ، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٦٦.
[٥] المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

سبيل المثال النفوذ ، والقدرة الإقتصادية ، والإعتداد بالنفس ، لكننا مع ذلك نقول ان القادة او نخبة القيادة في كل انحاء العالم قد تتباين ظروف نشأتهم وطبيعة شخصياتهم وخصائصها الذاتية مما يؤثر على اختلاف دوافعهم للقيادة ولكن هذا لا يعني أن الدراسات السابقة قد حاولت إلصاق دوافع مشتركة لكل قادة العالم بل اننا نرى ان تلك الدراسات قد شخصت دوافع عامة لاغلب حالات القيادة كنوع من استقراء الشخصيات او رموز سياسية تاريخية سابقة اصبحت موضع الدراسة بحيث كانت تلك الشخصيات بمثابة أنماذج تطبيقية لرفد تلك الدراسات بالدوافع المشتركة ولو بصورة نسبية ، وهي حقيقة يمكن التسليم بها .

نظريات القيادة :

توجد هناك عدة نظريات لتحليل وتفسير علم النفس القيادي ومن أهم تلك النظريات[1]:-

١- نظرية السمات Trait Theory :تؤكد هذه النظرية على الخصائص الذاتية للقائد وسماته ، بل وتدخل في تفصيلات عميقة تصل الى خصائصه الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، ويورد " هولاندر HOLLANDER ١٩٦٢ " حقيقة مهمة مفادها ان كل اعضاء الجماعة تقريبا تحت بعض الظروف سوف يؤثرون على الاخرين ، ناهيك التعرف على القادة ليست قضية محصورة بتوافر كل السمات مجتمعة في شخص القائد بحيث ان التمييز بين القادة والأعضاء الأخرين النشطين يكون غير كامل[2].

وفي هذا المجال ، يقرر مارفين شو وغيره من علماء الاجتماع من ان نظرية السمات ، وان كانت لاتقدم للباحثين تفسير ظاهرة القيادة ، الا انها قدمت لنا مدى العلاقة بين خصائص القائد والسمات الشخصية بسبب ان القائد له صفات مميزة من ذكاء والمؤهل العلمي والخبرة بما يجعله ان يتميز على غيره من اقرانه [3].

٢- نظرية المواقف Situational Theory : وهي نظرية تقوم على اساس ان ظهور القائد يتوقف على تصرفه في مواقف معينة طبقا للظروف المحيطة به خلال التفاعل المباشر بين الناس في تلك المواقف وليس نتيجة لصفات معينة يتميز بها شخص ما . وهذه النظرية لاتقتصر ظهور القادة على عدد محدد من الناس بل تجعل ذلك فرصة متاحة لكل من يستطيع الظهور كقائد في مواقف معينة[4]ويؤكد ستوجدل ان الفرد الذي يكون قائدا في موقف كالحرب قد لايكون بالضرورة قائدا في موقف اخر كالسلم [5].

٣- النظرية المشتركة Common Theory : وهي النظرية التي تربط وكما يؤكد "الفين كولدنير Alvin W.Gouldner " بين نظرية السمات ونظرية المواقف كون ان بعض

---

[1] الدكتور حامد عبد السلام زهران ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٠.

[2] المصدر نفسه ، ص ٢٧١ ، وموسوعة العلوم السياسية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، جامعة الكويت ، ١٩٩٤ ، ص ٤٩٣.

[3] موسوعة العلوم السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩٣.

[4] سيد ابو بكر حسانين ، طريق الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، (بلا) ، ص٤٤٥.

[5] الدكتور حامد عبد السلام زهران ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٣ ، وموسوعة العلوم السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩٢.

الباحثين مع مرور الوقت ادركوا انه من الخطأ إهمال نظرية السمات كليا وكانت حجتهم في ذلك ان القائد الذي يظهر في مواقف معينة لابد ان يتميز عن غيره من الناس بمجموعة من الصفات تجعله يتصرف بطريقة معينة في ظل الظروف المحيطة به في المواقف المختلفة ومن ثم يبرز كقائد ولولا ذلك لما استطاع ان يثبت كفاءته دون غيره من الناس [1].

٤- النظرية الوظيفية Functional Theory : وتؤكد هذه النظرية ان القيادة هي عبارة عن القيام بالوظائف الجماعية التي تساعد الجماعة على تحقيق اهدافها بحيث ينظر الى القيادة انها وظيفة تنظيمية [2].

٥- النظرية التفاعلية Interactional Teory : تقف هذه النظرية على حقيقة مهمة مفادها انها تؤكد وجود تكامل وتفاعل بين كل متغيرات القيادة وهي[3]:

أ) القائد وشخصيته ونشاطه في الجماعة .

ب) الاتباع (اتجاهاتهم ، حاجاتهم ، مشكلاتهم).

ج) الجماعة نفسها (بناءها ، العلاقات بين الافراد ،خصائصها ، اهدافها ، ديناميكياتها).

د) المواقف كما تحددها العوامل المادية وطبيعة العمل وظروفه . وتلفت هذه النظرية الانظار بضرورة وجود تفاعل بين القائد والاتباع وادراكه لنفسه وادراك الاتباع له وادراكه لهم والادراك المشترك بين كل من القائد والاتباع للجماعة والموقف .

٦- نظرية الرجل العظيم[4] Great Man Theory : يعد فرانسيس جالتون Galton من اوائل دعاة هذه النظرية الذي اكد ان بعض الرجال العظام يبرزون في المجتمع لما يتسمون به من قدرات ومواهب عظيمة وخصائص وعبقرية غير عادية تجعل منهم قادة ايا كانت المواقف الاجتماعية التي يواجهونها .

وبعد هذا الإستعراض الموجز لابرز واهم نظريات القيادة يبدو ان الباحثين المختصين قد توزعت دراساتهم ونظرياتهم على تحليل سيكولوجية الفرد القائد الذي يظهر في ظرف وزمان معينين وانهم توصلوا الى نتائج غير متكاملة بدليل ان كلا منهم يعتقد ان نظريته هي مكملة للنظريات التي توصل اليها غيره .

ونحن نرى ان هذا الرأي مقبول الى حد ما لان دراسته للانسان هي عبارة عن محاولة لدراسة ظواهر نسبية اجتماعية

وهي في حالة تغير مستمر مجال الحياة التي هي في حركة دائمة ولكننا لاحظنا ان كل طائفة من المنظرين لم يخطئوا النظريات السابقة لنظرياتهم لان كل مجموعة منهم ركزت دراستها على متغيرات مهمة لصنع متوالية القيادة غير اننا نميل نوعا ما مع النظرية التفاعلية في اسسها ونتائجها لان التقويم الأولي لها انها حاولت ان تلم باغلب النظريات السابقة التي جمعت القواعد الاساسية لمتغيرات القيادة على شكل دائرة مغلقة تبدأ بالقائد وتنتهي بالمواقف .

---

[1] الدكتور سيد ابو بكرحسانين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤٦.
[2] الدكتور حامد عبد السلام زهران ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٢.
[3] المصدر نفسه ، ص ٢٧٤.
[4] المصدر نفسه .

الكاريزما :

الكاريزما Charisme الأصل اللغوي للمصطلح اليوناني الذي يعني الموهبة او عطية Gift أساسا يشير إلى موهبة الهبة [1]. ويؤشر قاموس وبستر أن المصطلح يراد به القوة الفائقة الموهوبة للسيد المسيح لابراء المرضى وشفائهم وهي من ثم عرفت للدلالة او الإستدلال للنصراني أو المسيحي الموهوب بوساطة الروح المقدسة والقدرة على الإشفاء لصالح الكنيسة[2].

وتبعا لذلك وظف هذا الأصل لصالح تعزيز تعريف مفهوم القيادة الكاريزمية بكونها نوعا من القيادة المتميزة بمواهب شخصية تشبه السحر والتي تثير ولاء وحماسا شعبيا خاصا ويترجم البعض عبارة Charismalic Leadership القيادة او الزعامة الملهمة ، ونرى ان تلك الترجمة قد تفلح في التعبير عن احد صور الكاريزما الا ان عالم الاجتماع الالماني ماكس فيبر الذي تبنى مهمة بناء نظري لمفهوم السلطة الكاريزمية إستخدم مصطلح الكاريزما بمعنى موسع ضم كافة اوجه التعبير عن التفوق والنبوغ الذي يكون مظهرا للهبة الالهية [3].

الكاريزما والظاهرة السياسية :-

يمكن القول ان دول العالم عرفت القيادة الكاريزمية في حقب متفرقة الا انها تباينت بين دول الغرب المتقدم التي تمتاز اوضاعها السياسية بالاستقرار وممارسة التنظيمات البرلمانية والديمقراطية لعقود طويلة وبين دول العالم الثالث التي تميزت بظاهرة عدم الاستقرار السياسي.

ومن هنا يبدو ان دول العالم الثالث تحتاج للقيادة الكاريزمية أكثر من دول الغرب لأن السلطة الملهمة كما يراها ماكس فيبر كونها ضرورية عندما تمر المجتمعات التقليدية بإزمات

---

[1] توفيق عبد الخالق مصطفى : "قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر" دراسة مقارنة" مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد ٤ ، المجلد ١٤ ، شتاء ١٩٨٦ ، ص١٤٧ .

[2] المصدر نفسه ، ص ١٤٧ ، و Noahwebster , Webster's New , Twentieth Century , Dictionary of the English Language , Unabrid GID , Second edition , Collins World , Printed in USA , ١٩٧٨ , P.٣٠٥.

[3] المصدر نفسه : ص ١٤٧ .

يعد ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠) اول من اعطى مدلول الكاريزما معنى سياسيا ليشير الى الامكانية التي يتمتع بها شخص معين ، للتأثير في الاخرين . ونظرية فيبر في السلطة التي اقترنت باسمه ، التي بحث فيها عن اسباب رضوخ الافراد للسلطة العليا ، وتبعا لذلك فقد قسم السلطة الى السلطة التقليدية والسلطة القانونية العقلانية ، والسلطة الكاريزمية من الممكن ان تتحول الى زعامة مؤسسية وهو ما اسماه بالتنميط بحيث يحل المنصب محل الشخصية ، ويرادف الكثير من الكتاب بين الكاريزمات من ناحية ، والزعامة من ناحية اخرى ، إذ يعطون للزعامة تعريفا ليشير الى الإمكانية والقابلية لخلق كسب ثقة الاخرين ، وتأييد هؤلاء لأهداف الزعيم، والأخذ بأيديهم وبصورة جماعية لمثل هذه الأهداف ، راجع :

Reese , W. I : Dictionary of philosophy and Religion , Eastern and Western Thought , (NewJersey,) Humanities press , Sussex , Harvester press , ١٩٨٠ ; Scruton : A Dictionary of Political Thought , NewYork Hill and Wong ١٩٨٢ ; International Encyclopedia of the Social Sciences , Macmillan Company and Free Press , ١٩٦٨.

عنيفة وينهار فيها القيم والقواعد السائدة في المجتمع التقليدية لتظهر زعامات من نوع جديد تقود حركة التطور الى الأمام ، هذه الزعامات تعد ملهمة لانها لا تتقيد بالوضع القائم وانما تستوحي مسيرة التاريخ بوعي مكثف وإرادة قوية [1].

ان المفهوم الحديث للإلهام يقوم قبل كل شيء على مزايا تفوق شخصية لدى الزعيم او على الاقل هكذا ينظر اليه من يلتف حوله من الاتباع او المؤازرين ، فالزعيم الملهم يستقطب حوله خلاص مؤيديه له وثقتهم بشخصيته او بطولته او صفاته النادرة ومن ثم فانه عندما يمارس السلطة لن يتقيد بالمؤسسات القائمة ولا بالسوابق في الحكم .

وفي بعض الأحيان تكاد مشيئته الشخصية تقف على قدم المساواة مع القواعد القانونية وطاعة الأفراد له لا تتأتى عن عرف او قانون وانما عن ايمان به[2].

وقد زخرت الحقب التاريخية وفي بعض مراحلها داخل الدول الأوروبية والغربية بحقب غير إعتيادية قريبة من الأزمات الحادة في الربع الأول من القرن العشرين وما بعده مما شجع على ظهور القيادة الكاريزمية بصورة او بأخرى كما هو الحال مع إيطاليا موسوليني والمانيا هتلر وعلى نحو اقل من ذلك إسبانيا الفرنكوية والبرتغال قبل تطوعهما بالنظام الديكتاتوري [3].

ويورد ماكس فيبر بوصفه من أوائل من كتب ونما وشجع في مفهوم الكاريزما تفاصيل مهمة عن هذا المفهوم وتطوراته التي وقعت على كاهل الدول الأوروبية والغربية محاولا وضع حدود بين هذه الظاهرة عن مثيلتها في دول الجنوب للتباين في المتغيرات التاريخية والسياسية في حركة الظاهرة السياسية في كلا الطرفين .

لقد حاول فيبر أن يعطي لمفهوم الكاريزما دعما قويا بوصفه مسلمة لايمكن تخطئتها، وهو بذلك قد خدم فيما بعد الظروف التي عاشتها أوربا والغرب بصورة عامة بعد مخلفات الحرب العالمية الاولى وصولاً الى صعود نجم ألمانيا وزعيمها هتلر وإنتهاء بإنتشار الأيديولوجية النازية ، اذ بالرغم من رحيل فيبر ووفاته ظلت مبادؤه منسجمة وملائمة لصورة الزعيم المستبد تزيينها وترويقها ، ولاسيما في حقبة تنامي تطلعات الأمبراطورية النازية ، فكأنما كان فيبر قد وضع منظاراً مستقبلياً لصعود نجم الزعيم الملهم والكاريزمي بعد وفاته وأهم ماذكره في ذلك ولاسيما في عام ١٩١٨ واصفا أكثر أشكال الديمقراطية تقدما وتوعية عندما قال : " انها ديمقراطية المبايعة التي يقودها الزعيم " ، وفي الوقت نفسه "حاول فيبر حتى يقرن دستور جمهورية فايمار بمبدأ إنتخاب الزعيم بطريقة المبايعة " . وكان فيبر يريد بذلك إضافة مبدأ الكاريزمية للديمقراطية الدستورية والبرلمانية في الأنموذج الانجلوسكسوني ، فبالنسبة له ولتلميذه ميشلز وآخرين مثل باريتو موسكا كارل شميدت السياسة بلا كاريزما هي بيروقراطية وتدمير للفرد ولحرية القيم الخلاقة [4].

---

[1] الدكتور صادق الأسود ، علم الاجتماع السياسي ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص١٣٩ ، ومصباح ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٨-١٧٩.

[2] المصدر نفسه ، ص ١٣٩-١٤٠.

[3] المصدر نفسه ، ص ١٤٠.

[4] المصدر نفسه .

ويضيف فيبر معلقا على مفهوم الكاريزما مؤكدا انها كانت موجودة دائما لدى النبي والساحر والديماجوجي ، وزعيم الحزب ، والبرلمان ، والاحزاب الدستورية ، ولدى كبار وجوه السياسة من قيصر الى نابليون وبسمارك وفي نظم الملكية المطلقة ، وفي مختلف اشكال الديمقراطية الدستورية والإشتراكية والرأسمالية . أن الكاريزما بنظر فيبر تعطي لرجل السياسة قوة القرار والاختيار بل وعشق القرار ومتابعة اهدافه وتشجيعه على تكريس ذاته وإخلاصه دون قيد ولا شرط [١].

ويورد فيبر نوعين من الكاريزما [٢]:-

١- القيادة الكاريزمية تعتمد على المواهب الشخصية للقائد.

٢- السلطة الكاريزمية فان العلاقة تنقطع عن هذه السمة الشخصية.

وطالما ان شريعة السلطة أمر معترف به من جانب المؤمن بها فان الخاضعين لها يطيعون الأوامر بغض النظر عن الشخص الذي يقوم بإصدارها ، أن الخاصية الكاريزمية المتصفة بالسلطة تجعل شخص القائد مجرد رمز . ويعلل فيبر سبب ظهور القيادة الكاريزمية بكونه مرتبطا بالأوضاع الحادة والشاذة حيث يقول (هناك مجتمعات تعاني من أزمات حادة تجعل منها بيئة خصبة وملائمة لظهور وإنبثاق النمط الكاريزمي في القيادة . فقد ساد الاقتناع بان الظاهرة الكاريزمية ماهي إلا نتاج أزمات حادة حيث يقود الإحساس بحرمان أخلاقي او نفسي شديد ، الأفراد والجماعات الى البحث والسعي وراء القيادة الفذة) [٣].

وهنا نرى بأن الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع ، يبدي معارضته ماجاء به فيبر واصفا إياه بانه يتدرج في أخطائه لصياغته لمفهوم الظاهرة الكاريزمية على انها انعكاس للتدهور او تعبير عن الإختلال ، أنها على العكس من ذلك تقدم أكثر الأنماذج السياسية صفاء أو تسمح بأكثر المواقف السياسية تماسكا) .

وتورد هنا مدخلا مهما في صياغة مفهوم الكاريزما مفاده أن هناك متغيرات مساعدة تعين الباحث والدارسين في اكتشاف القيادة الكاريزماتية تندرج في الإجابة على الأسئلة التالية:-

١- كيف وصل صانع القرار الى قمة الهرم السياسي في دولته ؟ هل كان الأمر له علاقة بالجوانب الدستورية او لاعتبارات كون صانع القرار له صفة قيادية كاريزماتية ، بعبارة أخرى ، هل استخدم القرار صانع القرار أدوات اقناعية أم اكراهية في الوصول الى دفة الحكم والمفاضلة بين الإثنين ضروري لتحديد اهمية الكاريزما التي ترتبط بأهمية المتغير النفسي في التطلعات الخارجية .

٢- مدى تميز صانع القرار بعامل الالهام او عامل الكاريزما ويمكن الرجوع الى الشخصيات القيادية للتاريخ العربي الاسلامي لنتأمل ذلك فشخصية صلاح الدين الأيوبي وشخصية خالد بن الوليد مثالا على ذلك ، أما الشخصيات في العصر المعاصر فتبرز شخصية غاندي مثالا على ذلك كشاهد حي في تاريخ الهند المعاصر .

---

[١] المصدر نفسه .

[٢] نيفين عبد الخالق مصطفى ، " قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر " ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٠ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .

٣- نوعية معرفة صانع القرار بالسياسة الدولية:- هنا يأتي الدور المهم للعادات والتقاليد والتصورات والأفكار في صنع الشخصية الكاريزماتية التي يمكن تلخيصها بمفهوم الطابع القومي للأمة التي تؤدي دوراً بارزاً في ذلك .

أن المجتمعات السياسية عند البداية تتشكل بصورة عامة طبقات وصوراً لجنسيات وأمم أخرى . هذا يعني أن لديها انطباعات عما يشبهه مجتمعهم القومي وما الذي يرمز اليه لتصبح أنواعاً مجسمة بالعبارة الإصطلاحية للعلم الملوكي . وهذه الأنواع المجسمة من المحتمل ان تشترك فيها كثير او قليلاً الطبقة الحاكمة في المجتمع تنعكس بصورة محتملة جداً في إختياراتهم وأحكامهم وقراراتهم [١].

وفي هذا السياق ، لابد من طرح بعض الملاحظات التي نراها مهمة لتقويم ماورد في أعلاه :-

١- ان مفهوم الكاريزما يكاد يقترب كثيراً من الظاهرة الاجتماعية السياسية التي لها ظروفها وزمانها ومتغيراتها الداخلية والخارجية التي تؤثر على صياغته واظهاره الى الوجود كان قد اصابه تطور نسبي ملحوظ عبر الحقب التاريخية في التاريخ الحديث والمعاصر .

٢- ان ظهور قادة كاريزميين ليس دليلاً على إستقرار الشعوب والأمم بل ينذر بوجود او ازمة حادة داخلية تتطلب اصلاح هذا الخلل وتجاوز تلك الازمة عبر هذه القيادة التي تبرز امكانياتها الشخصية وارتباطاتها الاجتماعية وخبراتها الذاتية لتوظيفها جميعاً لقيادة الامم ومجتمعاتها نحو الوصول الى وضع مستقر نسبياً .

٣- ان ما يعرض هذه الظاهرة الى نوع من الإشكالية ، اسلوب القيادة التي لها علاقة مهمة وكما يقول احد كتاب السياسة الخارجية (بالعقائد الفلسفية والأدائية لصانع القرار بسبب غياب علماء السياسة في التحليل النفسي لصانع القرار مما حدا بريتشارد سنايدر ان يستعان ببعض العلوم الاجتماعية بغية اضافة هذه العلوم في تحليل شخصية صانع القرار منها علم النفس التربوي والإجتماع وعلم الإجتماع السياسي الى العقائد الفلسفية والأدائية لشخصية صانع القرار مما اصبحنا على مفترق الطريق في هذا الإتجاه أساساً) [٢].

٤- على الرغم من عدم استقرار دول الجنوب ولاسيما دول العالم الثالث مما شجع على ظهور الانظمة والقيادات التقليدية والشمولية الا ان بعض الكتاب عندما يتحدثون عن مفهوم الرجل المتسلط ،هذا الرجل له علاقة بالعالم المتقدم ولنا شخصيتان في التاريخ الحديث والمعاصر تدعم ذلك . فلو ندقق شخصية الجنرال ديغول بموجب الجمهورية الخامسة ١٩٥٨ نرى ان هناك صلاحيات واسعة لديغول في التغيير السياسي الداخلي

---

[١] احمد نوري النعيمي : " الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية " ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٤.

[٢] يشار ان مارجريت هيرمان قسمت العقائد السياسية للقائد السياسي صنع قرار الازمة الى قسمين الأول فلسفية والثانية ادائية . الفلسفية تخص مفهوم القائد السياسي عن الدولة ودورها في النظام الدولي ، والأدائية تخص الستراتيجية والتكتيك وكيفية إختيار الأهداف .

راجع :- Hermann , H. Effects of Personal Characteristics of Political Leaders on Foreign Policy , Chapter ٣ , Hermann , C.F.Crisis in Foreign Policy New York , ١٩٨٨ , PP.٤٩-٦٨.

والخارجي . هذا الموضوع له علاقة بمفهوم الكاريزما ومفهوم القيادة ودوره الأكيد في الحرب العالمية الثانية فقد أسهم في ايجاد حكومة في المنفى . هذه العوامل أسهمت في ابراز دور العامل الشخصي في هذا الإتجاه .

أما الشخصية القيادية الثانية فإنها تخص شخصية (بوريس يلتسين) رئيس دولة روسيا الإتحادية ووريث الإتحاد السوفيتي الأسبق فرغم مرضه العضال انه يتمسك بقوته الدستورية لأن يتجاوز بطريق او بآخر عليها وما محاولته الأخيرة في عام ١٩٩٨ لإعطاء رئيس الدولة صلاحيات واسعة في دستور روسيا الإتحادية إلا دليلا على ذلك ونتوصل بذلك الى القول ان القيادة المتسلطة لا علاقة لها بالأنظمة الشمولية بل لها علاقة وثيقة بالأنظمة المتقدمة [1].

٥- الملاحظة الأخيرة التي نرى وجوب الأخذ بها كطريق بحث أن ينتهجه الباحثون والمختصون لدعمها بالدراسات والبحوث المستقبلية لإثبات مصداقيتها ومفادها أنه بالرغم من ضرورة وجود الشخصية القيادية الكاريزمانية التي تشتد الحاجة اليها اثناء الأزمات بل ان بعض الاحيان في وقت الاستقرار وبضوء كثرة تعقد متطلبات الانسان وازدياد شدة احتكاك الحدود الخارجية للأهداف الوطنية والقومية للدول اصبح وجود قيادة ملهمة ضرورية في حدودها المعقولة لشد ورص صفوف الأمم والشعوب لمواجهة الأزمات والتهديدات الداخلية والخارجية للحقبة المقبلة ولاسيما ونحن على الألفية الثانية وما تحمله من تحديات حقيقية لمصير الشعوب والمجتمعات . لكن يبدو ان مفهوم أو ظاهرة الكاريزما اذا ظلت على طول الخط بدون وجود قنوات للتغذية الإسترجاعية توجه وتنبه القائد الكاريزمي لخطواته تحت مظلة الإستشارة وابداء الرأي لتقوية خطواته السياسية ولاسيما على مستوى صنع القرار السياسي الخارجي ، نقول ان ذلك قد ينذر بتغييب الوجه الديمقراطي للحياة المعاصرة ومصادرة حق التعبير عن الرأي والرأي الآخر لا بل الى قمع آراء الآخرين وسوف تكون نعمة القيادة الكاريزمانية نقمة على الشعوب بسبب عزلتها وتقوقعها على نفسها لان السلطة والنفوذ قد توقع اغلب الذين يصلون اليها في متاهات الغرور والثقة غير الطبيعية في النفس بالرغم من تمتعهم بصفات كاريزمية مما يحدو بهم تطعيم قدراتهم الكاريزمانية بجرعات تنشيطية من تبادل الآراء مع الآخرين لتبقى شعلة القائد الملهم والكاريزمي في آن واحد متقدة ومقبولة وسائرة نحو هدفها الصحيح (لأن النزعة الكاريزمية ماهي إلا مخرجات الحاجة الى النظام ومن ثم فإن ايجاد وخلق النظام هو الذي يثير الإستجابة او الحاسية الكاريزمية سواء كانت في شكل قانون الهي او قانون طبيعي او قانون علمي فمن ذلك المصدر تتيقظ النزعة الى الرهبة المقدسة والإحترام والتبجيل تلك هي النزعة الكاريزمية فالناس يحتاجون إلى نظام يستطيعون من خلاله أن يستقروا وأن يستمدوا الإلتحام والتماسك والإستمرارية والعدالة [2].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٩.

[2] نيفين عبد الخالق مصطفى ، "قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر : دراسة مقارنة" ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٥.

هناك مداخل نظرية في دراسة تأثير العامل القيادي على السياسة الخارجية ، وتتركز هذه المداخل في : مدخل التحليل الكمي ، وينتمي اصحاب هذا المدخل الى المدرسة الواقعية التي تقلل من اهمية تأثير العامل القيادي في السياسة الخارجية ومدخل التحليل الجزئي . ظهر هذا المدخل في اطار المدرسة السلوكية التي تشكلت في عقد الخمسينات ، وانتهجت اساليب تعتمد على الاقتباس من العلوم الطبيعية . وقد ركزت في اهتمامها على مستويات اعلى من مستوى الدولة واقل من مستوى الاخيرة أي دراسة الظواهر السياسية على اساس من التداخل الى جانب اهتمامها بالاسلوب الكمي . راجع : مصباح ،مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٤-١٨٧.

ويتضح من ذلك ، أن هناك عوامل عديدة تحديد دور القيادة في النظام السياسي ، بالإمكان إجمالها في الآتي [1]:

١- شخصية القيادة ، سواء أكان رئيسا للدولة او رئيسا للوزراء ، وهو في وضع سلطة اتخاذ القرار ، ويدخل في اطار هذا العامل الصفات الشخصية والنفسية والسلوكية للقائد وانتماءاته الاجتماعية والمهنية .

٢- خبرات القيادة السياسية : التي تتحدد في امكانية القائد من تكوين حزبه وادارته له بمهارة وجدارة ،الأمر الذي يساعده في الحفاظ على وحدة الحزب وتماسكه .

٣- طموح القيادة : من الممكن ان تكون في حوزة القائد السياسي مجموعة من الرؤى والتصورات في السياسة الخارجية ،وهو يرمي من تحقيق أهداف معينة تخص المصلحة الوطنية ، وفي الوقت نفسه يتمتع من مساندة القوى السياسية المؤثرة في عملية صنع القرار في السياستين الداخلية والخارجية .

أنواع وحدة صنع القرار :

هناك أنواع متعددة لوحدة إتخاذ القرار ، التي تتركز في :-

أ) وحدة القائد المسيطر :

أن القائد في هذه الوحدة ، يقع على عاتقه بمفرده ، إتخاذ القرار من دون الرجوع الى أخذ موافقة بقية أعضاء الوحدة ، والاعضاء في هذه الوحدة يشاركون القائد في جل ارائه في قضايا السياسية الخارجية ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة من اجل التأكيد العضوي البناء لدور القائد المهيمن ، وعلى الرغم من دور القائد في مثل هذا القرار ، فان عملية صنع القرار تتميز بطابع التوافق الجماعي ، ولهذا السبب فان هذا القرار يتميز ايضا بسرعته وجرأته .

ب) وحدة القائد المستقلين :

في هذه المجموعة ، يبرز دور القائد كما هي الحال في المجموعة الاولى ، إلا أن الأعضاء مستقلين عنه بسبب إنتمائهم الى وحدات ومؤسسات مستقلة . تكلهم غير مفوضين من هذه الوحدات ، وكل عضو من الاعضاء المنتمين الى هذه الوحدات يدافع عن ارائه التي تعكس وجهات نظر عن الموقف المراد اتخاذه ، وهنا يكون دور القائد ، بمثابة دور القاضي الذي يستمع اليهم ،وفي نهاية الامر يتخذ البديل الذي يتناسب مع الموقف .

وتجدر الإشارة في هذا المجال ، انه لايوجد هناك ضغط مؤسساتي يدفع الى الاتفاق منذ البداية ، الا ان الاعضاء بامكانهم تغيير ارائهم في حالة رفض القائد هذه الاراء ، أو لستطاع اقناعهم بارائه هذه ،وفي هذا الشأن يصف ميرمان هذه الحالة بالدفاع عن وجهات النظر .

ج) وحدة المفوضين :

من حيث المبدأ ان هذه الوحدة شبيهة بالمجموعة الثانية ، مع تباين دور الاعضاء الذين ينتمون الى مؤسسات اخرى ، اذ ليس بمقدوره تغيير ارائهم من دون الاستشارة ، الامر الذي يؤدي الى البطء في عملية صنع القرار بسبب انقسام الوحدة على نفسها بسبب اختلاف مصالح المؤسسات التي ينتمون اليها ، والسمة الغالبة على هذه المجموعة هي التأكيد على الوضع الراهن واقرار السياسات المتبعة للنظام .

---

[1] د. جلال عبد الله معوض ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٣-٢٤.

نماذج عملية صنع القرار :

قام ماكس فيبر بتصنيف نماذج القيادة السياسية إلى أنواع ثلاثة :[1]

١ – أنموذج القائد التقليدي القائم على عنصر السن أو المكانة التقليدية أو الدينية.

٢ – أنموذج القائد الكاريزمي الذي يقوم على سمات وخصائص معينة ، تجعله في موقع جدير بالطاعة والإحترام.

٣ – أنموذج القائد الشرعي–العقلاني ، الذي يؤكد على إيجاد وتشكيل مؤسسات قانونية ، ويعد هذا الانموذج بعيداً عن الصفة الفردية.

في هذا المجال ، من الممكن الإشارة الى نماذج ثلاثة للقيادة السياسية التي تتركز في[2] :

أ– الأسلوب التحليلي (الرشيد) .

يقوم هذا الأسلوب ، على فرضية مفادها ، أن عملية اتخاذ القرار تقوم اساساً التركيز على اهمية المنافع ، وان متخذ القرار يأخذ بنظر الإعتبار العملية العقلانية في تصرفه السياسي الخارجي ، من خلال البحث الكلي لجميع المعلومات والبدائل المتاحة ، تعقب هذه المرحلة الحسابات العقلانية– الرشيدة –المحتمل وقوعها لكل بديل من أجل الوصول إلى بديل ملائم[3] قد يحقق منافع كبيرة في هذا المجال .

ب) الانموذج التنظيمي (الاداري)

ان كلا من سايمون ومارش ، ودراسات علوم الضبط والتحكم " السيبر ناطقي " أسهموا في مجال العلوم الادارية في تقديم هذا الانموذج من اجل قيام العقل بعملية صنع القرار بسمة تقوم على طابع السرعة وفي حقبة زمنية محددة . وبموجب هذا الانموذج نرى ان عقل الانسان يتضمن برامج مخزنة لإتخاذ القرار فهو يتقبل من المخ توجيهات عامة عن طبيعة الحركة المطلوبة ثم القيام بهيئة تفاصيل المعلومات اللازم بثها الى الكثير من المعضلات لضمان الأداء المتزن في مجموعة من الإستجابات الآنية .

وبموجب هذا الأنموذج ، فان عملية اتخاذ القرار لايستند الى تضخيم دور المنافع ، بل عملية القيام المستمر للبحث عن البدائل من اجل الوصول الى بديل مناسب ومقبول ، أي بمعنى آخر ، تحقيق الحد الأدنى من الأهداف ، وهي العملية التي اطلق عليها سايمون بانها " البدائل الأدنى المقبول .

---

[1] مصباح ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٨ – ١٧٩ ، وماصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٩ .

[2] للمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع : الدكتور ناصيف يوسف حتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٨ – ١٩٠.

[3] الدكتور محمد السيد سليم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧٤–٤٧٦؛ والدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦٨–٣٧٦ ، وجنان إبراهيم عبد الله فقرة ، صنع القرار في السياسة الخارجية الليبية حول الجوار العربي ١٩٩٠–١٩٩٧ ، رسالة دكتوراه غير منشورة – جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ١٩٩٩ ، ص ١٠–١١.

ج) الأنموذج العقيدي (المعرفي) :

يذهب هذا الأنموذج من أن عملية صنع القرار هي عملية عقيدية – إدراكية يتصرف فيها متخذ القرار بإسقاط عقائده الذاتية على العملية بحد ذاتها ، في حالة إختيار البديل الملائم الذي ينسجم مع مدركاته وعقائده ، وعليه نرى أن صانع القرار يميل الى قبول المعلومات التي تنسجم مع مدركاته العقيدية ، مع التقليل من هذه المدركات التي تتعارض معه [1].

ويمكننا أيضاً ونحن في هذا الصدد أن نستشهد بدراسة الاستاذة دينا زينس التي توصلت إلى نتيجة مفادها الى أن هناك إجماعاً بين علماء السياسة الخارجية يؤكد أن العوامل الفردية الإدراكية لها دورها في سلوكيات وقرارات السياسة الخارجية [2].

من هذا المنطلق يرى كيسنجر ، أن معرفة الشخصية القيادية ، تتطلب من دراسة العوامل الآتية :–

١– الخبرة التي يكتسبها القائد من خلال جهده للوصول الى السلطة .

٢– البيئة التي نشأ بها القائد .

٣– مجموعة القيم السائدة في البيئة التي يعيش فيها القائد وفي هذا المجال، قدم هنري كيسنجر النماذج الثلاثة للقيادة :–

١– انموذج القائد البرجماتي –البيروقراطي.

٢– انموذج القائد الأيديولوجي

٣– انموذج القائد الكاريزمي –الثوري

يمثل الأول، المجتمعات الغربية، ويتجسد الثاني في الاقطار الاشتراكية السابقة، في حين يظهر الثالث في جل الدول النامية[3].

من الصعوبة بمكان ، تقدير تأثير القائد في السياسة الخارجية لدولة ما ، لإن بعض الإجراءات الصادرة عنها ، مردها الأحداث ، فالهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربور كان بإمكانه إستفزاز الولايات المتحدة من دخول الحرب العالمية الثانية ، بغض النظر عن هوية الرئيس الأمريكي وقتئذ . إن قدرة الرئيس على كسب تأييد عام لقرارات السياسة الخارجية هي إنعكاس لشخصية ذات فكر نير أكثر منها للقرارات ذاتها ، فعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي

---

[1] Joseph H. Derivera , The Pychological Dimension of Foreign Policy , Charles E.Merrill Publishing Company Ohio , ١٩٦٨.

[2] الدكتور محمد السيد سليم ، التحليل السياسي الناصري ، دراسة في العقائد و السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ، ص١٦.

[3] مصباح ، مصدر سبق ذكره ، ص١٧٦.

يشير روبرت دال واستناداً الى مفهوم الجماعات المتعددة المصالح ، الى تطبيق الأنموذج التعددي لتحليل النظام السياسي في الولايات المتحدة بسبب تكثر الجماعات المؤثرة على عملية صنع القرار ، بينما يذهب رايت ميلز الى مفهوم نخبة السلطة .

ولكننا نرى ، أن الانموذج التعددي على الرغم من أهميته في فهم وتحليل العلاقات بين مختلف القوى وفي اطار المؤسسات الدستورية ، الا أنه يتحدد في اطار مفهوم القوة الذي يتأثر به فلسفياً .

فضلاً عن ذلك ، أن هذا الأنموذج عند معالجته عملية صنع القرار في الولايات المتحدة ، لا يعطينا الجواب الكافي عن الأسئلة التي تثيرها الطبيعة المؤسسية للعملية السياسية . راجع : منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٤.

يتبناها الرئيس ليندون جونسون حول سياسته في فيتنام ، الا انه لم يكن بمقدوره إقناع ناخبيه بصحة ذلك [1] .

من جانب آخر ، فإن دعم الرئيس روزفلت لبريطانيا ، قبل دخول الولايات المتحدة في الحرب ، كان يمثل بعد نظر لقائد لم يكسب تأييدا واسع النطاق لسياسته . وربما كان السبب في دخول الولايات المتحدة الحرب هي تلك العلاقة التي تربطها ببريطانيا تحت أي ظرف من الظروف [2] .

إن القائد الناجح ، إنما هو ذلك الذي يعرف إلى أي مدى يستطيع الدخول في الإتجاه الذي يرغبه ، مع احتفاظه في الوقت نفسه ، التأييد من الرأي العام المحلي . وهنا لابد من التأكيد عليه ، من أن قوة القائد مرتبطة بطبيعة النظام السياسي الذي يعمل في اطاره ، وإلتزامات سابقة من خلال عملية إنتخابية (القواعد المعروفة) ، فضلا عن المناخ السياسي في البيئة الداخلية [3] .

وهنا بالإمكان ، أن نستشهد مقام به الرئيس كيندي ، عندما أعطى أمرا بالمضي قدما في أزمة كوبا في نيسان ١٩٦١ ، أي بعد ثلاثة أشهر من وصوله إلى الحكم ، وقد مكنته شعبيته الخاصة بعد هذا الإخفاق الكبير من الإستمرار في السلطة ، وبأضرار سياسية محدودة في البيئة الداخلية . ولعل السبب في بناء جدار برلين في آب ١٩٦١ ، يعزى في بعضه إلى تصور سوفيتي بأن كيندي لم يكن جازما أو لم تكن له كفاءة أو مقدرة . وأبعد من ذلك ، فإنه ربما كانت استجابة كيندي هي ذلك الجدار على الفور لو لم يحل أزمة كوبا دون التنفيذ . فتخلي خروتشوف عن الحكم في الإتحاد السوفيتي ، مرده عند كثير من الباحثين إلى تحرره من الوهم بعد جهود مضنية في نصب صواريخ في جزيرة كوبا ثم تراجع وسحبها . وهنا يذكرنا أيضا ماعانته الرئيس ليندون جونسون من تغطية فشله في فيتنام ، فعلى إمتداد مدة رئاسته كانت الخسائر المتعاظمة التي حلت بالقوات الأمريكية ، وعدم جدوى الإسهام الأمريكي في الحرب قد ضغطت على تفكيره ، ومع ذلك فقد قال في خطاب له في ٣١ آذار ١٩٦٨ ، حيث أعلن فيه عن قراره بعدم ترشيح نفسه للإنتخابات مرة أخرى : " ... وعبر هذه المدة الطويلة كنت أعتقد على مبدأ وحيد هو : أن ماتفعله الآن في فيتنام أمر حيوي ، لا بالنسبة لأمن جنوب شرق آسيا فحسب ، بل لأمن كل أمريكي "[4] .

تقوم السياسة الخارجية للدول على اسس اتجاهاتها الأساسية ، فالقادة في الدول المستقرة مقيدون بالعمل في إطار السياسة العريضة التي تم اعدادها . ولكن هذه ليست سوى خطوط توجيهية تحمل في طياتها مجموعة من المتغيرات عند كل مفترق . بدأ التصعيد في فيتنام في عهد الرئيس كيندي ، ولما أصبح جونسون رئيسا كان هناك ما يقارب ١٦ ألفا من القوات والمستشارين العسكريين في فيتنام الجنوبية . ولم يكن بالخطة شيء مباشر يضمن زيادة حجم القوات إلى ٥٠ ألفا . وتولى نيكسون الحكم، حيث عقد العزم على عدم التراجع عن ضعف . وأسفرت النتيجة عن أربع سنوات ونصف من الحرب ، في الوقت الذي كان يفاوض فيه من أجل السلم . وكانت ثمة خيارات أخرى تسمح بإمكانية اختيار رئيس جديد[5] .

---

[1] روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١٤ – ٤١٥ .
[2] المصدر نفسه ، ص ٤١٥ .
[3] المصدر نفسه ، ص ٤١٥ – ٤١٦ .
[4] المصدر نفسه ، ص ٤١٦ – ٤١٧ .
[5] المصدر نفسه ، ص ٤١٩ .

الفصل الخامس

العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية

الفصل الخامس

العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية

أولاً: الأبعاد الداخلية لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية [1]

تستمد هذه الأبعاد قوتها من المبادئ الاجتماعية الموجودة ومن النظام السياسي والاقتصادي والموقع الجغرافي للدولة ، ومن المؤسسات غير الرسمية مثل الأحزاب السياسية والرأي العام وجماعات الضغط والطابع القومي .

ويتضح من هذا ، أن الأبعاد الداخلية تشتمل على نوعين من العوامل ، بعضها دائمة ديمومة نسبية مثل العامل الجغرافي والمساحة والموارد الطبيعية . أما البعض الآخر فيتكون من عناصر اجتماعية ، مثل : الطابع القومي ، والرأي العام والأحزاب السياسية وجماعات الضغط . ان المخطط السياسي لايكون باستطاعته اهمال هذه العوامل في عملية صنع القرار ، والا فإن القرارات المتخذة ستتعارض مع هذه الأبعاد مما يحمل الدولة اعباء تكون غير قادرة على تحملها ذلك ان اتخاذ القرارات وماتؤدي اليه من تعهدات خارجية قد يسيء الى مركز الدولة وقدرتها [1].

ولأهمية ذلك ، نتناول هذا الموضوع في العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية التي تتركز في العوامل المادية الدائمة – ديمومة نسبية – والعوامل الاجتماعية .

---

[1] يعرف سنايدر الأبعاد الداخلية والخارجية لعملية صنع القرار بأنها : " مجموعة من العوامل والظروف التي تقع خارج صلاحية وحركة صانع القرار والمؤسسات الرسمية المؤثرة عليهم ، الا أن هذه العوامل والظروف علامة سلوكهم " . راجع في هذا الصدد :-

Snyder , Richard , and Furnis , Edger , American Foreign Policy , New York : Reinhard on Company , Inc ., ١٩٥٩ , P.٩٤.

قارن مع الدكتور الرمضاني ، مازن ، " السياسة الدولية بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي الخارجي " ، مجلة العلوم السياسية والقانونية ، العدد (١) بغداد ، ص١٥٠ . وقد تولى أساتذة العلوم السياسية دراسة هذه الظاهرة ، ومدى تأثيرها على عملية صنع القرار ، ومن الدراسات الشائعة في هذا المجال دراسة هارولد ومارجريت سبراوت حول تأثير الابعاد الداخلية والخارجية في السياسة الخارجية ، مقدما نظريات خمسة تفسر هذا الاتجاه ، وهذه النظريات هي :

Environmental Determininism , Free-will Environmental Environmental Possiblism , Cogntivr behavirism , Enviromental Possibilism . See , Harald and margaret , Sprout Environmental etors)
In The Study of International Politics , ed ., by Rosenau , The Free Press , New York , ١٩٦٩ , ٤٣.

ليس من الصعوبة بمكان ان نكتشف ماهية السياسة الخارجية (عدا في حالة المعاهدات السرية) ، وكيف تم التوصل اليها بصورة واسعة ، ومع ذلك من اجل ان نحصل على تحليل بالغ الاهمية لعملية صنع القرار فان العملية تشمل ليس فقط البحث المذكور ، ولكن ايضا دراسة مطولة لنتاج عملية صنع القرار في السياسة الخارجية . راجع :

Rosenau , International Politics and Foreign Policy ., Op.Cit.,P.٦١.

[1] ونوده عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠.

إذا ، بالإمكان ، دراسة العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية بعاملين هما :-

أولاً- العوامل المادية الدائمة ديمومة نسبية كالجغرافية والموارد الطبيعية ، وبعضها أكثر عرضة للتغيير كالعوامل الاقتصادية والصناعية والعسكرية.

ثانياً- العناصر الانسانية التي تشمل الجوانب الكمية والنوعية [1].

وفي هذا المعنى ، نتناول ، دراسة العوامل الجغرافية والاقتصادية والسكانية والعسكرية .

١- العامل الجغرافي :-

تعدّ الجغرافية في مقدمة العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية ، وهي من أكثر مقومات سياسة الدولة ثباتاً ، أن أهمية هذا العامل واضحة بالنسبة لبعض الدول مثل بريطانيا ، حيث نرى ان الحاجز المائي الذي يعد فاصلاً بينها وبين القارة الاوربية الاثر الرئيس في سياساتها الخارجية على مر التاريخ وعن طريق هذا الحاجز استطاعت بريطانيا وقف حملات نابليون لها في القرن التاسع عشر وهتلر في منتصف القرن العشرين ويوليوس قيصر وفيليب الثاني [1].

وللموقف البحري الاثر المهم في سياسة الدولة الخارجية ،[2] والحق جاءت حركات الاستعمار الحديث بوساطة دول كانت لها خصائص الدول البحرية وهذه المسألة واضحة في اوربا الغربية ودول بحرية حديثة في شرق اسيا كاليابان مثلاً[4].

اما فيما يخص الحدود ، نرى ان كثيراً من الحدود السياسية للدول التي استقلت منذ ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها كانت حدوداً تاريخية ، أي بعبارة اوضح انها وضعت بوساطة الدول عندما كانت المنطقة خاضعة لها ، ثم ورثتها فيما بعد الدولة الجديدة وعلى سبيل

---

[1] روي مكريدس ، كينث تومبسون ، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها ، في مناهج السياسة الخارجية في دول العالم ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٢-٣٥.

[2] المصدر نفسه ، ص ٣٥، و Henderson , p١٠٢ .

[3] رأى المؤرخ وضابط البحرية الأمريكي ألفرد ماهان " ١٨٤٠ – ١٩١٤ " (درس في الأكاديمية البحرية ، وتخرج منها في سنة ١٨٥٩) في القوة البحرية المصدر لهيمنة الإنسان على البيئة . تأثرت كتابات ماهان بالحقبة التي كتب فيها والمتمثلة في زيادة التوسع الأوربي، وظهور الولايات المتحدة كقوة عالمية ، وتجدر الإشارة في هذا المجال ، من أن ماهان كان مستشاراً لثيودور روزفلت في الأمور العسكرية والبحرية : علماً أن روزفلت أسهم الى حد بعيد في أن تكون الولايات المتحدة في مقدمة القوى البحرية في العالم . راجع : جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٤ – ٤٥ . والدكتور محمد طه بدوي ، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٣ .

[4] الدكتور محمد عبد المجيد عامر : دراسات في الجغرافية السياسية ، الاسكندرية : (بلا) ص.
ان الدول التي لا منافذ لها على البحار كثيراً ما تتعرض للضغوط الاقتصادية في حالات التوتر الدولي ،ومن هنا كانت المكانة المهمة التي احتلتها على طول التاريخ الحديث مسألة المنافذ الى البحار في السياسة الخارجية للكثير من الدول الامر الذي دعى " براتزل الألماني " – اشار الاخير الى العلاقة بين المعطيات الجغرافية والسياسات الخارجية على اساس فكرة الحتمية : مشيراً الى الجغرافية من ناحية وبين التاريخ وعلم السياسة من ناحية اخرى مشيراً الى القول "بان الشعوب الأقوى كانت دائماً وفي كل مكان تعمل على احتلال المناطق الساحلية دافعة الشعوب الاضعف الى الداخل . من هنا يتحدث اساتذة السياسة الخارجية عن المزايا التي تحققت لبريطانيا العظمى بفضل طبيعة موقعها كجزر منعزلة عن القارة الاوربية هيأ لها الموقع وعلى طول تاريخها حرية اختيار واسعة في شأن سياستها الخارجية لقد استطاعت ارتكازاً الى وفرة مواردها التناقية ان تختار بين الاتجاه الى القارة الاوربية لتحقق فيها اهدافها او بين الانصراف عنها نهائياً الى ماوراء البحار لتشد هناك قوتها الاقتصادية لتصبح قوة بحرية بصفة اصلية . راجع : الدكتور محمد طه بدوي ، مدخل الى علم العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١١-١١٣.

ان الموانع الطبيعية كالجبال والانهار كان لها التأثير الكبير على السياسات الخارجية بالنسبة لدول كثيرة بحيث ان كل دولة من هذه الدول اصبحت لها الرغبة لان يكون لها مثل هذه الحدود الطبيعية التي عن طريقها تستطيع ان تدافع عن امنها القومي [1].

ولأهمية ذلك ، حاولت الدول الكبرى ان تحقق مبدأ توازن القوى عن طريق مفهوم Buffer Zone الذي يعني العمل على وضع دولة محايدة كمنطقة فاصلة بينهما ، وعادة تكون هذه الدولة المحايدة دولة ضعيفة ،وليس من شأنها ان تؤثر على الأمن القومي لاي من الدولتين.

اما فيما يخص المناخ ، فقد اشار ارسطو في كتابه " السياسة " الى العلاقة بين المناخ والحرية ، هذه العلاقة التي بدأ الكتاب من اقتباسها الذين جاءوا بعده ، وخير مثال على ذلك ، كتابات جان بودان الفرنسي ، ومونتسكيو في كتابه "روح القوانين" ، وفكرة الحتمية التاريخية التي اشار اليها راتزل في القرن التاسع عشر [2].

يعتقد المؤرخ البريطاني هنري توماس بكل (١٨٢١ – ١٨٦٢) ، أن هناك ثلاثة عوامل تعتمد على بعضها البعض وهي المناخ والغذاء والتربة ... فالمناخ يؤثر في نوع المحصول الذي يتواءم مع هذا المناخ ، ونوعية الغذاء تعتمد على التربة التي ينبت فيها [3].

أما عالم الجغرافيا الأمريكي السوورث هنتينغتون (١٨٧٦ – ١٩٤٧) فلاحظ أن المناخ لا يحدد فقط الحالة الصحية والنشاط والانتاج الغذائي ، ولكنه يحدد الهجرة السكانية واختلاط الأجناس كذلك ، وهو يربط بين الهجرة أو النزوح ، وبين قلة الغذاء ، وتوفر روح المغامرة والذكاء واللياقة البدنية ، ويقدم هنتينغتون مثالا على ذلك بالقول أن الجفاف الذي أصاب آسيا الوسطى في حقب زمنية مختلفة أدى إلى غزو موجات من البربر لأوربا ، حيث غزا الدوريون والايونيون اليونان القديمة ، وغزا المغول جنوب شرق أسيا [4] .

---

(1) الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، الاستراتيجية والسياسة الدولية ، المفاهيم والحقائق ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٤١.

تحدث الفريد ماهان في كتابه الموسوم The Influence of Sea Power Upon History كيف ان في القوة البحرية تفسيرا كافيا للقسم الاكبر في التاريخ وذلك استنادا الى ان في البحر طريقا اضمن للاتصال بالشعوب الاخرى ، ولتجديد القوة الذاتية للدولة ، ومن ثم فعلى الدولة التي تطل على البحر لزم عليها ان تطور قوتها البحرية من دون ان تنهض في توسيع رقعتها الاقليمية ، من هنا يرى ماهان ، كيف ان فرنسا كانت غير صالحة في القرن السابع عشر ،وفي القسم الأكبر من القرن الثامن عشر حين ركزت ستراتيجيتها نحو القارة فضلا عن اضمحلال اسبانيا يعزى الى عدم امكانياتها في المحافظة على وسائل اتصالها بامريكا الجنوبية نتيجة لعدم امتلاكها للقوة البحرية الكافية . راجع : الدكتور محمد طه بدوي ، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٢–١٧٣ ، والدكتور عبد الرزاق حسين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠١–٤٠٤.

(2) الدكتور محمد طه بدوي ، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٨.

(3) جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢ .

(4) المصدر نفسه ، ص ٤٢ – ٤٣ .

ويذهب هنتينغتون قائلاً : " أن تحسن الأوضاع الاقتصادية والذي تلعب العوامل المناخية دوراً فيه حرر قطاعاً كبيراً من السكان من وظيفة جمع وانتاج الغذاء وسمح لهذا القطاع بالتفكير والتطوير في مجالات الفن والأدب والعلم والحياة السياسية[1] .

والحق، ان المناخ له تاثير كبير في انتاج الارض وفي خواص سكانها ،وفي هذا المجال يلزم أن نقول ، ان المناطق المعتدلة التي تتراوح الدرجة فيها بين ٢٠ ، ٦٠ شمالاً ، شهدت فيها بروز مراكز القوى في السياسة الدولية [2].

أذن بإمكاننا أن نقول في هذا المجال أن الجغرافية تدخل دائرة الإهتمام ، لأن كثيراً من مصادر العالم الرئيسة للنفط تقع في مناطق حدودية متنازع عليها أو في مناطق الأزمة والعنف المتكرر . أن كون الصراع على النفط سوف ينفجر في السنوات القادمة هو نتيجة محتومة , لكن مقدار العنف ومستويات الشدة والأماكن لايمكن تحديدها . في النهاية فأن تواتر وسمة الحرب سيعتمدان على الثقل النسبي للعوامل الرئيسة الثلاثة وتفاعلها :

١–البيئة السياسية والستراتيجية التي تصنع فيها القرارات حول قضايا الموارد .

٢– العلاقة المستقبلية بين الطلب والعرض .

٣– جغرافية إنتاج توزيع النفط . [3]

أبلغ هنري كيسنجر وعلانية في عام ١٩٧٥ محرري مجلة Bunsiness Week أن الولايات المتحدة مستعدة للذهاب إلى الحرب لأجل النفط ، وأن واشنطن رغم كونها غير راغبة في إستخدام القوة في نزاع على الأسعار لوحدها ، لن تتردد حيث يوجد خنق فعلي للعالم المصنع[4] .

في ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠ صرح كارتر أن أية محاولة من قوة معادية لتقييد تدفق النفط في الخليج سوف تصد بأية وسيلة ضرورية بما في ذلك القوة العسكرية . انسجاما مع هذا المبدأ المعروف وقتئذ بأسم عقيدة كارتر ، شرعت الولايات المتحدة في تعزيز قوتها العسكرية في منطقة الخليج وأستمر حتى هذا اليوم . أن هذا المبدأ قد أخضع بشكل دوري للإختبار . ففي أثناء الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ – ١٩٨٨ عندما صعد الإيرانيون هجماتهم على شحن النفط في الخليج ، وافقت الولايات المتحدة على رفع الأعلام الأمريكية على ناقلات النفط الكويتية وتزويدها بمواكبة بحرية أمريكية .

وضعت عقيدة كارتر موضع التنفيذ للمرة التالية في آب ١٩٩٠ ، عند الوجود العراقي في الكويت , وفي هذا الشأن أكد بوش الأب إلى أن السيطرة العراقية على حقول النفط الكويتية

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

[2] Frankel . Joseph , International Relations ,Op.Cit., P.٨٤.

ومصباح ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٣.قارن مع : جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢ – ٤٣ .

[3] مايكل كلير : مصدر سبق ذكره ، ص٣٥ – ٣٦ .

[4] المصدر نفسه ، ص٣٥ – ٣٦ .

الخارجية تفسيرا ماكروياً على ضوء تأثير العوامل الجغرافية ، والحق لايمكن التسليم بهذه النظرية تسليماً مطلقاً ، وان كان للعامل الجغرافي اهمية كبيرة في تشكيل قوة الدولة ، فضلاً عن ذلك ، نرى ان هناك علاقة بين قوة الدولة ومساحة اقليمها وفي هذا الشأن يمكننا ان نذهب الى القول بان مساحة الاتحاد السوفيتي السابق تزيد على ٨,٥ مليون ميل مربع ، تتميز غاية من القوة في العلاقات الدولية ، ولكننا لا نستطيع ان نقول انها اقوى من الولايات المتحدة التي لاتزيد مساحتها على (٣) ملايين ميل مربع . اما فيما يخص بريطانيا التي تزيد مساحتها على ١٠٠,٠٠٠ ميل مربع وتدخل ايرلندا في هذه النسبة . وتعد هذه المساحة صغيرة ، استطاعت ان تكون لها دوراً بارزاً في السياسة الدولية[١].

والحق، يعد الشكل والموقع والطبوغرافية اموراً مهمة ، يستحسن ان تكون الدولة .. لاسباب ستراتيجية وادارية مجمعة وان تكون العاصمة في مركزها حال فرنسا ، أن الدولة الممتدة طولياً مثل تشيكوسلوفاكيا وشيلي يصعب الدفاع عنها.."[٢].

ويمكننا تفسير التاريخ "الالماني والبولندي ، الذي تميز بالاضطرابات وظاهرة عدم الاستقرار ، هو وقوع كل من المانيا وبولندا في منتصف المنخفض الاوربي ؛ ولكن استطاعت بريطانيا في خضم العامل الجغرافي ، ان تعزز وتدعم امبراطوريتها [٣].

وهذا يعني ان سبايكمن قلل من اهمية القلب الروسي ، والدور الذي يمكن ان يقوم به السياسات الجغرافية كمركز للمواصلات والحركة والفعاليات الاقتصادية الزراعية والصناعية ومن ثم كمحور للقوة . ورأى بان تصنيع الصين والهند يهدد سلامة القلب . وتوقع بان السيطرة على اوراسيا وبالنهاية على العالم قد تأتي من خلال الهيمنة على الدول التي تكتنف بالقلب الارضي الروسي ، وبعبارة اوضح الدول والمناطق التي تدخل ضمن اقليم " الهلال الداخلي " في فرضية ماكندر ، وقد اطلق عليها تسمية دول " الاطار الارضي" .
قسم سبايكمن الكرة الارضية الى قسمين هما : القسم الشرقي والقسم الغربي ، يضم النصف الاول كلاً من قارة اوراسيا وافريقيا واستراليا . اما الثاني فانه يتكون من الامريكتين الشمالية والجنوبية ، ثم بدأ يقارن بين هاتين الجبهتين ، فظهر له ان القسم الشرقي يطوق الامريكتين من حيث الموقع والاتساع والشكل ، وان مساحته مرتان ونصف بقدر مساحة القسم الغربي ، كما انه من حيث السكان اكثر بمقدار عشرة اضعاف وقتئذ ، اما فيما يخص بانتاج مادتي الفحم والحديد فان العالم القديم الذي يضم اوراسيا وافريقيا قد بلغ انتاجه اكثر من ٣/٢ الانتاج العالمي لهاتين المادتين في سنة ١٩٣٧ ، لذلك ادرك سبايكمن صعوبة صمود القسم الغربي من العالم امام الجبهة الشرقية ، وذلك في حالة حدوث حرب عالمية بين الجانبين . وفي هذا الشأن قدم نصائحه للولايات المتحدة من بذل جهودها لمنع أي تقارب بين اوربا واسيا ، لأن ذلك يؤدي الى تعزيز قوة الجبهة الشرقية ، بسبب تعارضها مع مصلحة الولايات المتحدة .. راجع : الدكتور عبد الرزاق عباس حسين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١٨، ٤٢٠-٤٢١، وتجدر الاشارة في هذا المجال ، من أن نابليون بونابارت حاول في عام ١٨١٢ من غزو روسيا القيصرية إلا أنه أخفق بسبب حجم الدولة الكبير . Appadorai and M. S. Rajan, Op.C it., p.٩.

[١] Frankel , Joseph . International Relations , Op. Cit., PP.٨٣-٨٤., Appadorai and M. S. Rajan, Op.C it., p.٧.

[٢] Ibid ., P.٨٤.

[٣] Ibid..

المثال حدود الدول المستعمرة وما ينطبق على القارة الافريقية ، ينطبق على القارة الاسيوية ، لان تخطيط حدودها تم ، من دون الأخذ بنظر الاعتبار الظروف التاريخية والجغرافية لتلك المناطق[1]. والحق ، فان العامل الجغرافي له دوره الكبير في ايجاد الدول الاقليمية ، وفي هذا المجال ، حاول بعض الرواد من المدرسة الجيوبوليتيكية[2] تفسير السياسة

---

[1] الدكتور فتحي محمد أبو عيانة ، الجغرافية السياسية ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص٥٧ . تصنف الحدود الى : الحدود الطبيعية والحدود العرقية والحدود التاريخية والحدود الهندسية والحدود المعقدة . راجع : المصدر نفسه، ص ١٥٢-١٥٦. لا ننسى في هذا المجال أهمية الهند في آسيا حيث أن هناك أوجه ثلاث التي تلفت نظرنا التي تتركز في حجمها وموقعها وحدودها، هذه الأوجه هي التي حددت أن تكون الهند اللاعب المحلي الجيو ستراتيجي في القارة الآسيوية . راجع : Appadorai and M. S. Rajan, Op.Cit., p.٨. وهنا يجب أن لا ننسى بعدم أستطاعة كل من نابليون بونابرت وهتلر غزو روسيا القيصرية على الرغم من أن اليابان أستطاعت هزيمتها عام ١٩٠٥ وذلك بسبب سعة الأراضي الروسية . فضلا عن ذلك ان سعة الأراضي تؤدي الى أطالة الحدود التي يتعين الذود عنها . فالأتحاد السوفيتي عليه أن يراقب حدود مشتركة مع الصين يبلغ طولها ثمانية الاف كيلومتر فضلا عن خط دفاعه المتقدم صوب الشرق الأوسط وأوربا ، كما قد تؤدي في الوقت نفسه الى أطالة حركة القوات داخل البلاد . راجع مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٥-١٥٦ .

[2] اسس المدرسة الجيوبوليتيكية ، الجغرافي الألماني راتزل ، الذي اشار الى العلاقة بين المعطيات الجغرافية وسياسات الدول وعلى اساس فكرة الحتمية . راجع : الدكتور محمد طه بدوي ، النظرية السياسية العامة للمعرفة السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٩ ، والدكتور عبد الرزاق عباس حسين ، الجغرافية السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيوبولتيكية ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص٢٨٨ . وقد انتمى الى هذه المدرسة الجغرافي الانكليزي ماكندر والجنرال الألماني اشوفر . راجع :
Frankel , Joseph , International Relations , Op.Cit ., PP. ٨٣-٨٤.
كما برز في هذا المجال ماكندر ، الذي بلور اتجاه الجغرافية السياسية نحو دراسة الكتل الاقليمية كوحدة سياسية، وهذه المفاهيم هي اساس نظرية قلب الارض لماكندر . راجع: الدكتور محمد متولي ، والدكتور محمود أبو العلا ، الجغرافية السياسية ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٣٩.
وقد اعلن ماكندر ذلك ولأول مرة في المحاضرة التي القاها في الجمعية الملكية الجغرافية عام ١٩٠٤ . راجع : بدوي ، النظرية السياسية العامة للمعرفة السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٩.
والنظرية ماكندر تقوم على الفرضية الاتية : من يحكم اوربا يتحكم في قلب العالم ، من يحكم في قلب العالم يتحكم في جزيرة العالم ، من يتحكم في جزيرة العالم يحكم العالم . من هذا المنطلق بين ماكندر امكانية قيام توازن القوى على ان يكون هذا في جانب ولصالح الدول المركزية ، الدول التي على المحور الذي تدور حوله باقي دول العالم ، وقد فسر هذا بتصوير خريطة العالم مستندا في تفسيره الى كتلة اورآسية ، يمكن العالم والى التهديد الذي لها على القوة البحرية .
راجع : الدكتور دولت أحمد صادق ، والدكتور محمد السيد غلاب الناصوري ، والدكتور جمال الدين الدناصوري ، الجغرافية السياسية ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص٢٦. والدكتور عبد الرزاق عباس حسين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١١-٤١٤ ، وتوارد ميدايل وآخرين ، الكتاب الرابع ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣، و:
Brzenishi , Zhigniew , The Grand Chessboard American primacy and Its Geosivategic , Imperatives U.S.A , ١٩٩٧, P.٣٨.
اما سبايكمن (١٨٩٣-١٩٤٣) من رواد المدرسة الجيوبوليتكية الذي رأى في الحافة التي تحيط بالقلب وهو ما اسماه ماكندر بالمنطقة الانتقالية الوسطى او الهلال الداخلي " اعظم اهمية من القلب نفسه ، فهذه الحافة تعد منطقة التقاء او تصادم وهو مايطلق عليه بمفهوم Buffer Zone بين القوى البرية الكامنة في الاتحاد السوفيتي وكتلها البرية (الاتحاد السوفيتي) ، وبين القوى البحرية ، وقد عدل سبايكمن نظرية ماكندر ، وجعلها بالشكل الاتي : من يتحكم في اقليم الحافة يتحكم في اوراسيا ، ومن يتحكم في اوراسيا يسيطر على العالم " . راجع : صادق وآخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣-٣٤.

والسعودية سوف تفرض تهديداً لا يحتمل على الأمن الاقتصادي الغربي فاتخذ قراراً سريعاً بالقيام برد عسكري ، مشيراً أن الاستقلال السيادي للسعودية ذو أهمية حيوية للولايات المتحدة.

وفي المعنى نفسه ، صرح ج.د. بينفورد القائد العام للقيادة المركزية الأمريكية CENTCOM في عام ١٩٩٧ (أن التدفق اللامحدود لموارد النفط من دول الخليج الصديقة إلى المصافي ومرافق المعالجة حول العالم هو الذي يحرك الآلة الاقتصادية العالمية) .

نقلت الولايات المتحدة ٢٠٠ ألف جندي إلى منطقة الخليج العربي عام ١٩٩٠ وأنفق ٦٠ بليون دولار كان الغرض كما أشار إليه بيل ويبستر مدير وكالة المخابرات الذي أبدى مخاوفه عن قرب العراق عن الحدود السعودية بواقع ١٠٠٨ ميل لأن العراق كان بإمكانه أن يستحوذ على ٢٠% من مجموع إحتياطات النفط في العالم ، وفي حالة تقدمه لأميال إضافية كان بإمكانه ، يهيمن على ٢٠% أخرى .

أهمية العامل الجغرافي في تقرير سياسة الدولة :

إن جغرافية الدولة قد توفر خطوط دفاع طبيعية ، كما هو الأمر بالنسبة للمحيط الأطلسي والهادي أو جبال الألب في سويسرا ، أو أنها قد تقدم القليل من حيث المواقع الدفاعية كما في أوربا الغربية [1] .

في أية مناقشة علمية للسياسة الخارجية ، لايمكن اهمال العامل الجغرافي ،[2] وفي هذا الصدد كتب السير ستون جمبرلن قائلاً: " تعد الحقائق الجغرافية عاملاً مهما وحاسما لمجرى التاريخ البريطاني وشرحه ، وهي المبادئ الرئيسة التي يشغل ذهن رجل الدولة البريطاني "[3]. ونتيجة لأهمية هذا العامل عدت بريطانيا قوة عظمى لمائة عام على وجه التقريب من نهاية حروب نابليون عام ١٨١٤ وحتى نشوب الحرب العالمية الأولى . وقد كانت قوة بريطانيا

---

[1] روبرت د . كابلن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٤ .

[2] يمكننا أن نذهب إلى القول ، أنه من أكثر الدراسات وضوحاً في مفاهيمها وتطور فرضياتها ، وتقديم اطارات لفحص علاقات البيئة والإنسان ، هي دراسات هارولد سبروت وزوجته مارغريت " عائلة سبروت " . ورغم القناعة التي كانت لدى عائلة سبروت بأهمية الجغرافيا في تفسير السلوك السياسي ، الا أنهما يعتقدان بأن معظم النشاطات الإنسانية تتأثر بعدم عدالة التوزيع في الموارد البشرية وغير البشرية . ومع أن القرارات السياسيةتعتمد على إدراك القادة السياسيين لنياتهم ، غير أن نتائج هذه القرارات محدودة بحقيقة الواقع كما هو كائن ، لا كما هو في ذهن صانع القرار .

غير أن من الضروري ، أن نتذكر أن سبروت لا يرى أن العامل الجغرافي يملي الخيارات على صانع القرار ، وإنما هذا الأخير هو الذي يضع في حسابه الامكانيات المتاحة وحدود الحركة في البيئة التي يدركها ، كما أن الفرد أو السكان في مجموعهم هم الذين يتحركون في إطار البيئة وليست الدولة ككائن مجرد ، وبالتالي فإن اهتمام دارس السياسة الخارجية يجب أن ينصب على الفرد أو السكان لا على المجرد . راجع : جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥١ ، ٥٢ .

[3] Hupe , Robert , Stranzs and Possony , Stefant , International Relations Second Edition , NewYork , ١٩٥٤, PP.٥١-٥٢, Appadorai and M. S. Rajan, Op.C it., p.٧.

تعتمد على قوتها البحرية التي مكنتها من حكم وبسط نفوذها على شبكة عالمية من المستعمرات لدعم اقتصادها المحلي [1] .

إن المحيطات التي وفرت لبريطانيا وسائل تحقيق الأمبراطورية خدمت غرضاً مختلفاً للولايات المتحدة حيث عملت كمنطقة عازلة ضد أي تورط في السياسات الأوربية . هذا الإنعزال الطبيعي منح الدولة الجديدة وقتاً لتطور مواردها ، وفي الوقت نفسه ، فتحت أبوابها لملايين المهاجرين لزيادة قوتها المتنامية [2] .

وقد كان للحاجز المائي لبريطانيا اثره الحاسم في سياستها الخارجية في جميع اطوار تاريخها الطويل ، وتعطينا هذه الفكرة مفتاحاً لفهم واحدة من اكثر السياسات الخارجية نجاحاً في التاريخ . فبريطانيا لم تغز ولم تهزم منذ القرن الخامس عشر ، وهزيمتها الوحيدة في الثورة الامريكية لا تخص وضعها الجغرافي . وفي هذا المجال يقول أدولف هتلر : إن تنفيذ عملية " أسد البحر " الخطة الأكثر جدوى في التعجيل بنهاية الحرب . وبعد حديث طويل مع الأميرال ، بدأ هتلر بكشف خطورة ما تخفيه عمليات عبور المانش بما فيه من تيارات ومد وجزر ، وبما في البحر من غموض [3] . ثم وصف عملية " أسد البحر " بأنها عملية في منتهى الجرأة والمغامرة ، واستطرد يقول : " وبالرغم من قصر المسافة فإن العملية ليست مسألة إجتياز نهر ، لكنها إقتحام بحر كبير يسيطر العدو عليه . وليست لعملية إجراء فرنسا في العبور ، كما حدث في النرويج ، إذ لم تكن هناك عناصر المفاجأة ، ولكننا هنا سنواجه عدواً مستعداً للدفاع وقد صمم على القتال وفرض سيطرته على المنطقة البحرية التي يجب علينا استخدامها ، وستقتضينا عملية الجيش نحواً من أربعين فرقة ، وربما يكون نقل الإمدادات أصعب شيء في هذه العملية ، إذ ليس في مقدورنا أن نعتمد على أي نوع من المؤن يتيسر لنا الحصول عليه داخل إنكلترا ، وكان الأساس الأول في نجاح الغزو هو السيطرة الكاملة في الجو واستخدام مدفعية قوية في مضيق دوفر والحماية عن طريق الألغام ... " [4] . ثم تابع هتلر حديثه بقوله : " والطقس عامل حيوي أيضاً ، فهو في بحر الشمال وفي المانش يشتد في النصف الثاني من شهر أيلول ، كما يتكاثف الضباب في منتصف شهر تشرين الأول ، لذلك يتحتم علينا انهاء عملية الغزو قبل الخامس من أيلول ، فبعد هذا التاريخ يصعب علينا أن نضمن قيام تعاون بين الطيران والأسلحة الثقيلة . فهذا التعاون من الطيران يعد عملاً هاماً وحاسماً في تحديد الموعد " [5] . ويقول نابليون بونابرت في هذا الصدد : " ان الوضع الجغرافي هو الذي يملي السياسة " [6] . كما واكد موسوليني على العامل الجغرافي ، عندما القى

---

[1] روبرت د . كابلن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٤ .
[2] المصدر نفسه ، ص ٣١٤ .
[3] ونستون تشرشل ، مذكرات تشرشل ، الجزء الأول ، منشورات مكتبة المنار ، بغداد ، (بلا) ، ص ١٣٧ .
[4] المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
[5] المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
[6] الدكتور بطرس بطرس غالي ، والدكتور محمود خيري عيسى ، المدخل في علم السياسة ط٣ ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص٤٤٨ ، و Appadorai and M. S. Rajan,p.٧.

خطبته عام ١٩٢٤ جاء فيها : " ما كانت السياسة الخارجية امرا مبتكرا ، ولكنها خاضعة لمجموعة من العوامل الجغرافية والتاريخية والاقتصادية "[1].

وهناك امثلة على هذه المناطق ، بولندا في الماضي كانت حاجزة بين روسيا والمانيا وبلجيكا ،وهولندا كحاجز بين فرنسا والمانيا ،وسويسرا قبل الحرب العالمية الاولى كانت حاجزة بين المانيا وايطاليا وفرنسا والنمسا [2].

والحق، كانت الحواجز الجغرافية كالبحار والجبال تقوم بدور فعال في عزل وحماية هذه الدول ، من هذا المنطلق نرى ان عديداً من المدن اليونانية القديمة استفادت من وجود البحر الابيض المتوسط كحاجز بينها وبين بعض من هذه المدن ،وقد ساعدها على الانعزال ،وابعادها عن ويلات الحروب ، وكان هذا هو وضع النيبال حتى القرن التاسع عشر ، اذ اسهمت الجبال وصعوبة الطرق في تبني الدولة لسياسة انكفاء سياسي ،وبالرغم من النشاط التجاري البريطاني هناك ، ولا ننسى في هذا المجال الدور الذي قامت به مياه البحار والمحيطات بالنسبة لليابان والتي اسهمت في انكفائها على نفسها ولأجيال طويلة [3].

وفيما يخص جغرافية الولايات المتحدة ، فإنها انتهزت مناسبة ظاهرة عدم الإستقرار والفوضى التي رافقت أوربا في القرن التاسع عشر ، ثم أعلنت أن خط المياه وسط المحيط هو حدود سلامتها وحمايتها من منازعات وصراعات العالم القديم ، وأصبح ذلك الخط وتبعاً ل " مبدأ مونرو " هو خط الأمن الأمريكي ، بموجب ذلك ، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بممارسة مبكرة لمفهوم " حدود السيادة " على مستوى القارة الأمريكية ، ثم القيام برسم حدود أمنها إلى منتصف المحيط [4].

عندما استطاعت الولايات المتحدة من استكمال التوسع إلى الغرب ، وتملكها ل " كاليفورنيا " و " تكساس " ، وجدت نفسها في موقع متميز مفاده أن المحيطات نفسها : الأطلسي شرقا ، والهادي غربا ، هي بحد ذاتها حواجز الأمن الضامنة له [5] .

" فهذه المساحات الكبيرة من المياه ، فضلاً عن وجود الجبال العالية من الموج ، كانت حائلا على أي دولة غازية ، حتى بعد التطورات الحديثة من ظهور وتقدم الطيران . وفي الإحتمالات السيئة فإن أي دولة مهاجمة ، ليس بأستطاعتها الإنقضاض على الولايات المتحدة بصورة مفاجأة ، كتعامل الجيش الألماني مع فرنسا ، أو مع روسيا القيصرية على سبيل المثال "[6] .

---

[1] احمد نوري النعيمي ، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص١٣.

[2] المصدر نفسه ، ص ١٠٦.

[3] الدكتور ناصيف يوسف حتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٢.

[4] استفاد الكيان الصهيوني من المفهوم الأمريكي ل " حدود السيادة " ، وتطبيقها ، معناه أنه إذا كان خط حدوده هو فلسطين كافة ، فإن خط أمنه متواصل تبعا ل " أرييل شارون " إلى إيران وباكستان وجنوب السودان . راجع : محمد حسنين هيكل ، الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول ط٣ ، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٦ .

[5] المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

[6] المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

"هكذا ظهر في التاريخ لأول مرة وطن تضمن الطبيعة ذاتها أمنه وتعفيه من أي تهديد خارجي ، وكان ذلك حدثا في الفكر الستراتيجي مستجدا بالكامل ، لم يخطر على بال " فرعون مثل " رمسيس الثاني " ، ولا غاز مثل " الإسكندر " ، ولا إمبراطور مثل " نابليون " ، ولا مفكر عسكري مثل " كلاوزفيتز " ، وطن ضخم غني بموارده ، فادح في ثرواته ، ومع ذلك فهو غير معرض لتهديد من أي نوع (حتى ظهر عصر الصواريخ في أواخر القرن العشرين)"[1] .

" فمشروع الصواريخ المضادة للصواريخ يكفل ألاينفذ في سماء المحيطين تهديد صاروخي يصل إلى الولايات المتحدة ، وكان ذلك من وجهة نظر السياسة الأمريكية ، افضل ، لأنه يقفل الباب على سباق في الأسلحة النووية تبارت فيه دول كثيرة وفرت لنفسها إمكانياته . ومن المنطقي أنه إذا استطاع طرف الغاء سلاح طرف آخر فإنه يضمن النصر . وبما أن الولايات المتحدة سابقة بتجربة النجوم أيام " ريغان " ، فإن الصواريخ المضادة للصواريخ تكفل لها موقع القلعة المنيعة لا يصل إليها تهديد . هذا مع الأخذ في الحساب (وتلك نقطة جديرة بالاعتبار) أن الصواريخ المضادة للصواريخ كفيلة بإلغاء فاعلية كل الترسانات النووية التي تملكها ، ولا تملك غيرها الآن – روسيا الإتحادية – وتلك الترسانات التي تملكها بلاد كانت تنتمي إلى الإتحاد السوفيتي سابقا مثل أوكرانيا . وفوق ذلك تلك الترسانات التي تملكها دول صديقة في الغرب الآن (بريطانيا وفرنسا) ، وذلك من باب الإحتياط ليوم تتغير فيه الأجواء وتختلف " وهكذا فإن الولايات المتحدة في دفاعها عن نفسها لا تتسابق مع طرف ، وإنما هي تمنع كل الأطراف مرة واحدة "[2] .

وقد قللت التكنولوجيا الحديثة من اهمية العوامل الطبوغرافية ، من الرغبة في الحصول على الطبيعة كسلاسل الجبال والانهار ، بينما لايزال الموقع محتفظاً على اهميته[3]. وتبعا لذلك نلاحظ اضمحلال اهمية ذلك كحاجز يسهم في انعزال دولة[4]، في القرن العشرين كانت الولايات المتحدة تعد من اهم الدول التي تبنت سياسة الانطواء مابين حقبة الحربين ,وساعدها على ذلك بعدها الجغرافي عن اوربا التي تميزت بوزنها السياسي الكبير في النظام الدولي وكذلك وضعها الاقتصادي ، واتبعت بورما والبانيا السياسة نفسها في الستينات . ومن الصعوبة بمكان ولاسباب تخص المتغيرات الدولية في النواحي السياسية والاقتصادية ,ومجالات الاتصال والمواصلات ان تقوم دولة بتبني سياسة انطواء ,الا في الحد الادنى لتلك السياسة[5].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٣٧ – ٣٨ .

[3] جوزيف فرانكل : مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٣.

[4] ينبغي الاشارة الى هنا ، ان العزلة يجب ان لايفهم بمعناها المطلق ، الذي يشير الى التقوقع التام بقطع اوجه الاتصال والتفاعل كافة مع بقية وحدات النسق الدولي ، بل يشار اليها بالعزلة النسبية ، أي بمعنى ان الدولة قد تقلل من انغماسها في التفاعلات السياسية الدولية الى ادنى حد لازم ، بهذا المعنى تعرف العزلة بانها : " اختيار يهدف اليها تقليل مدى المشاركة في المحيط الخارجي او كيفية التفاعل معها على المستويات كافة ، ولاسيما في المجالات السياسية والعسكرية " . راجع : مصباح : مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥-٥٦.

[5] حتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٦.

والحق، لذا ارتأينا دراسة الاوضاع السياسية في كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا من حيث التأثير على اعداد السياسة الخارجية ، لزم علينا ان نضع نصب اعيننا العامل الجغرافي لكل منها .

وعلى الرغم من ان التكنولوجيا والأسلحة الحديثة ، قد قللت من اهمية الموقع الجغرافي ،الا انها لم تستطع ان تأخذ المكان الأول في تقرير سياسة الدولة[1]. ذلك لان الموقع الجغرافي لاي دولة ليس هو العامل الوحيد في ستراتيجية هذه الدولة ، بل لها علاقة بظروف الدولة الاقليمية والسياسة الدولية .

ان الدولة التي لا يتغير موقعها الجغرافي عبر العصور والأجيال يكون بالامكان ان تتغير علاقات هذه الدولة مع القوى الدولية وبصورة مستمرة ، وان هذه النقطة في التغيير هي الأساس في اعطاء الدولة اهمية ستراتيجية .

ولاهمية العامل الجغرافي ، قامت الولايات المتحدة في السنوات الاخيرة ، الاهتمام بمناطق جغرافية معينة ، ومن هنا بدأت تولي اهتماماتها بمنطقة اوراسيا ، محاولة وضع ستراتيجية جغرافية متكاملة وشاملة وطويلة المدى للمنطقة المذكورة ، فطالما اصبحت الأخيرة المسرح المركزي للعالم ، من منطلق ان ما يحدث لتوزيع القوة على القارة الاوروآسيوية سوف تكون له اهمية حاسمة على سيادة الولايات المتحدة وميراثها [2].

ان كيفية معالجة الولايات المتحدة للاعبين الجيوستراتجيين الرئيسين على رقعة الشطرنج الاوروآسيوية واحتوائهم وكيفية ادارتها للمحاور الجيوبوليتيكية الاساسية في اوراسيا سوف يكون لهما تاثير حاسم على طول مدة سيادة الولايات المتحدة الكونية واستقرارها .وفي اوربا سوف يبقى اللاعبان الرئيسان هما فرنسا والمانيا . من هذا المنطلق تحاول الولايات المتحدة نشر معالمها في الفكر السياسي والقائم على الديمقراطية على الحدود الغربية لاوراسيا، وفي الشرق الاقصى من اوراسيا وتبعاً لهذه الستراتيجية من المرجح ان يكون للصين دور مركزي متزايد وأن يكون للولايات المتحدة موطئ قدم سياسي على البر الرئيس لآسيا مالم يتحقق وبنجاح توافق جيوستراتيجي أمريكي-صيني . وفي وسط أوراسيا ، فان الفضاء بين أوربا موسعة وصين ناهضة اقليميا سوف يبقى حفرة جيوبوليتيكية سوداء في الأقل ،حتى تحل روسيا الاتحادية صراعها الداخلي بشأن تحديد الذات بعد الحقبة الامبراطورية ، في حين ان المنطقة الواقعة جنوب روسيا ،وهي منطقة البلقان الاوراسيوية تهدد بان تصبح مرجلاً للصراع العرقي وتنافس القوى الكبرى [3].

٢- العامل الاقتصادي :

ان الموارد الموجودة في الدولة ، تمثل واحدة من اهم قوتها السياسية ، وواحدة من اهم اسباب القوة في سياستها الداخلية وسياستها الخارجية على حد سواء .

وتأتي قوة الدولة بما يتوفر لديها من موارد في داخل ارضها وخارجها ايضا ،والأخيرة تمثل مدى نفوذ الدولة في المجالات الاقتصادية والسياسية خارج حدودها الاقليمية .

---

[1] غالي وعيسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤٩.

[2] Brzeniski , Zbigniew , Op.Cit ., P.١٩٩.

[3] Ibid , PP.١٩٥-١٧٦.

الإعتمادية الاقتصادية الدولية

راجت فكرة بين مثقفي الغرب بصورة عامة ، ومثقفي الامريكان بصورة خاصة ، على أثر ظهور دولة الاتحاد السوفيتي ، مفادها : ان تحديد مستقبل العالم الغربي والولايات المتحدة يكمن بالدرجة الاولى في الحرب الاقتصادية وليس استخدام القوات القتالية في السياسة الدولية ، وانطلاقا من ذلك أشار ريتشارد روزكرانس ، في عام ١٩٨٦ ، الباحث في مركز العلاقات الدولية في جامعة كاليفورنيا بلوس انجلس ، الى ان ذهاب الدول الى العامل الاقتصادي سوف يقلل من لجوئها الى الصراع فيما بينها ، وان القوة العسكرية لاتعد هي مصدر المكانة الدولية ، اذ ان هذه القوة تتحدد بعامل التجارة . وقد ذهب بول كيندي في عام ١٩٨٧ الى المقارنة بين القوة الاقتصادية والقوة العسكرية مشيرا الى مخاوف استخدام الادوات القتالية في العلاقات الدولية [1].

وفي هذا المعنى يقول جوزيف س . ناي ، ج . ر : " وفي هذا العصر ، عصر الإقتصاديات القائمة على المعلومات ، والإعتماد المتبادل الذي يتخطى الحدود القومية ، أصبحت القوة أقل قابلية للنقل والتحويل ، وأصبحت مادية ملموسة وإكراهية بدرجة أقل "[2] .

وحتى هنري كيسنجر المعروف بإيمانه العميق بسياسة توازن القوى التقليدي ، جادل في عام ١٩٧٥ ، قائلا : " بأننا ندخل الآن عصرا جديدا . أن الأنماط العالمية القديمة تتهاوى ... لقد غدونا نعيش الآن في عالم من الإعتماد المتبادل في الإقتصاد والإتصالات والتطلعات الإنسانية " . [3]

ومما يؤيد مقولة العلاقة بين زيادة عملية الإعتماد الإقتصادي المتبادل ، وبين زيادة حجم الصراع ، أن عملية الإعتماد الإقتصادي المتبادل تزيد من قابلية الدولة للتأثر بالأزمات الناشئة من الدول الأخرى المشتركة معها في تلك العملية . فإذا كانت إحدى الدول تعتمد على تدفق الإستثمارات وعلى التجارة والمواد الأولية لتحقيق رفاهيتها الإقتصادية ، فإنها تنزع إلى التدخل في الصراعات الدولية التي قد تؤثر على هذه المصالح . وقد يؤدي الإعتماد الإقتصادي المتبادل من جانب آخر إلى زيادة حدة الصراع عن طريق تشجيع الوحدات الخارجية على استغلال الصراع لصالحها ، وقد يؤدي كذلك إلى الإقلال من مفعول الصراع عن طريق زيادة مصداقية الردع . فقد انتهى رسيت من واقع تحليله سبعة عشر صراعا دوليا في المدة (١٩٣٥ - ١٩٦٥) إلى أن الإعتماد الإقتصادي المتبادل قد يكون من الشروط المكونة لنجاح الردع . فالإعتماد الإقتصادي المتبادل بين دولتين من شأنه أن يردع الوحدات الخارجية حيث أن كلا الدولتين ستقومان للذود عن الأخرى في حالة الإعتداء عليها من أي من تلك الوحدات الخارجية[4] .

---

(1) ألفن وهايدي توفلر ، الحرب والحرب المضادة الحفاظ على الحياة في القرن المقبل ، تعريب د. صلاح عبد الله ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، بنغازي ، ١٩٩٥ ، ص٢٧-٢٨ . وللمزيد من التفاصيل راجع : بول كيندي - نشوء وسقوط القوى العظمى ، ترجمة مالك البديري ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ١٩٩٤ ، ص٥٢٩-٥٦٩ ،ولويد جنسن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٢

(2) جوزيف س . ناي ، ج . ر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤ .

(3) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .

(4) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

يرى كثير من الباحثين ، أن الإعتماد الإقتصادي المتبادل بين الدول يؤدي إلى التخفيف من حدة الصراع بينها من خلال زيادة التفاعل . إلا أنه من ناحية أخرى يؤدي إلى توسيع قضايا الخلاف بينها [1] .

ويمكننا أن نستخلص بعض النتائج حول دراستنا عن التبادل الإقتصادي الدولي ، منها : أنه يؤدي في نظر بعض الباحثين الغربيين إلى الإقلال من حدة الصراع بين الدول ، بسبب أن الدول قد تتردد في اقحام نفسها في الصراع ، خوفا من تجميد أرصدتها الخارجية أو توقف معاملاتها الإقتصادية الخارجية . وهذا يعني أنه في حالة زيادة حجم استثمار الدول في دولة أخرى ، وزيادة حجم تجارتها معها ، أصبحت أكثر اعتمادا على ظاهرة الإستقرار في المجالات السياسية والإقتصادية في الدولة المذكورة [2] .

ومما لاشك فيه ، أن من أحد الكوابح الرئيسة التي تقف أمام دول منظمة الأوبك في زيادة أسعار النفط هو وجود أرصدة دولارية لتلك الدول في البنوك الغربية ، وفي مقدمتها ، الولايات المتحدة . فدول منظمة الأوبك تخشى أن تضعف زيادة أسعار النفط من اقتصاديات وقيمة عملة الدول التي تستثمر فيها أرصدتها ، مما قد يؤدي إلى فقدان دول المنطقة ذاتها - وغيرها من المستثمرين المحليين والأجنبيين - جزءا كبيرا من قيمة تلك الأرصدة . كذلك ، فإن الشركات التي لها استثمارات أجنبية كبيرة تعمل على ضبط السلوك الصراعي للدولة الأم تجاه الدول المستقبلة للإستثمارات خوفا أن يؤدي إنفلات سلوك الدولة "الأم الصراعي إلى تأميم استثمارات تلك الشركات ، أو سحب الإمتيازات الخاصة الممنوحة لها في الدول المستقبلة للإستثمارات . فضلا عن إحتمال فقدان أحد مصادر المواد الخام اللازمة لتلك الشركات ، وعليه فإن الدول التي لها الرغبة في الدفاع عن مصالحها الإقتصادية في البيئة الخارجية ، تحاول الإبتعاد عن استعمال القوة العسكرية المباشرة للدفاع عن استثماراتها ، مع أفضلية اللجوء إلى القدرات الخفية [3]

والحق ، أن العلاقة بين الإعتماد الإقتصادي المتبادل والصراع تأخذ شكل المنحنى ، فالصراع يبلغ أدناه بين الدول غير المعتمد بعضها على بعض ، وبين الدول الشديد اعتماد بعضها على بعض . ففي الحالة الأخيرة يصبح الصراع أحد العوامل التي تهدد رفاهية تلك الدول . ولا تؤدي عملية الأعتماد الإقتصادي المتبادل إلى التوتر في العلاقات بين الدول إلا حينما تشعر بعض الدول بأنها لا تستفيد من تلك العملية بالقدر الذي تستفيده وحدات دولية أخرى ، كالخلاف بين الشمال والجنوب [4] .

وقد اشار الى الحقيقة نفسها ادوارد لوتواك ، قائلا : ان القوة العسكرية فقدت اهميتها امام بروز عصر الجيو الاقتصادي الجديد . وفي المعنى نفسه اكد سي.فريد برغستن مدير مركز المعهد الاقتصادي الدولي في واشنطن ، على اولوية العامل الاقتصادي في ظل النظام

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .
[2] المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .
[3] المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .
[4] المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

العالمي الجديد . ولا يخفى علينا كتابات ليستر ثورو ، الذي اولى عناية فائقة على التنافس الاقتصادي والذي حل محل الادوات القتالية ، مشيرا الى اهمية ذلك في خطوات الى الامام [1].

والحق ، ان اولوية الاقتصاد على الجانب الحربي ، كانت هي السبب الرئيس في فوز الرئيس كلينتون ، الذي اشار في برنامجه الانتخابي على تركيز الولايات المتحدة على مشاكلها الداخلية ، حيث عاب على سلفه كيفية اعتمادهم على القضايا الخارجية .

ومن هنا ، كانت هناك اقتراحات في داخل الادارة الامريكية ، تؤكد على ايجاد " مجلس أمن اقتصادي " من اجل تقوية الحرب الاقتصادية [2].

ولكن يجب ان نشير الى حقيقة ، من ان الحرب الجيو اقتصادية لاتعد البديل من استخدام الادوات القتالية ، لانها تعد بمثابة المقدمة في مفهوم الحرب الحقيقية ، اذ ان الصراع بين الولايات المتحدة واليابان ، في الحرب العالمية الثانية كان صراعاً اقتصادياً ، والذي دفع اليابان من الهجوم على بيرل هاربور عام ١٩٤١[3].

وهناك شواهد معاصرة حول ذلك ؛ اذ ان الولايات المتحدة ، التي قامت على نقل ٢٠٠ الف جندي الى منطقة الخليج ابان الوجود العراقي في الكويت ، وانفاق ٦٠ بليون دولار من اجل ذلك ، كان الغرض من ذلك ليس الدفاع عن الكويت ، لان الولايات المتحدة ، كما اشار الى هذه الحقيقة بيل وبستر مدير وكالة الاستخبارات المركزية ، الذي ابدى مخاوفه عن قرب العراق عن الحدود السعودية بواقع ٨/١٠ ميل ، لان العراق كان بامكانه ان يستحوذ على ٢٠% من مجموع احتياجات النفط في العالم ، وفي حالة تقدمه لاميال اضافية ، بامكانه ان يهيمن على ٢٠% اخرى[4].

نشر فرانسيس فوكوياما في صيف ١٩٨٩ مقاله المشهور تحت عنوان : ((المصلحة الوطنية)) بين فيه انتهاء الشيوعية ، وفي الوقت نفسه اشار فيه إلى انتصار الراسمالية ونهاية التاريخ ثم شرع في تأليف كتابه المعروف ب" نهاية التاريخ " الذي اكد فيه : ان الراسمالية والليبرالية قد حققتا انتصارا كبيرا" على الايديولوجيات كافة . بهذا المعنى يتحدث فوكوياما عن نهاية التاريخ . وقد ترجم هذه المفاهيم بشكل واضح في كتابه الاخير ((الثقة)) ، الذي تنبأ فيه ، انه باقتراب القرن الحادي والعشرين تشهد المؤسسات السياسية والاقتصادية في العالم تقاربا" ملحوظا نتيجة اقبالها على تبني الديمقراطية الليبرالية واقتصاديات السوق.

وعليه نرى ، ان اراء فوكوياما كانت تمثل العولمة ، التي ذاع انتشارها في الوقت الحاضر ولا سيما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. العناصر الأساسية التي جاء بها فوكوياما والتي تتركز في ازدياد العلاقات المتبادلة بين الدول ، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات او في انتقال رؤوس الاموال او في انتشار المعلومات والافكار ، او في تأثر دولة بقيم وعادات غيرها من الأمم ، تعد عناصر للعولمة. والحق ، هذه العناصر عرفتها الدول منذ قرون عديدة وبصورة خاصة منذ عهود الاستكشافات الجغرافية في اواخر القرن الخامس عشر.

---

[1] الفن وهايدي توفلر ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٨.

[2] المصدر نفسه ، ص٢٨.

[3] المصدر نفسه ،ص٢٩.

[4] جوزيف بريسكو ، يوميات كولين باول ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، (بلا) ص٥٨٤ ؛ ٦١٨.

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، اصبحت الولايات المتحدة بفضل هذا المفهوم ، ومع تنامي التداخل ووسائل الاتصال والعولمة في المجالات كافة، القوة العظمى الوحيدة في عالم يزداد تقلصا" ، الامر الذي ادى إلى بروز اشكال الامركة العالمية.

في الخمسينات والستينات ، وهي المرحلة التي تبغي العولمة إنهاءها ، كانت للثقافة سمتان هما : ثقافة استعمارية امبريالية ، وثقافة وطنية تحررية ، اما في الوقت الحاضر فأن انصار العولمة يجعلونها ذات ثقافتين هما : ثقافة الانفتاح والتجديد ، وثقافة الانكماش والجمود.

وفي الوقت الحاضر ، هناك تفسيرات وتحولات كثيرة في ضوء الاتجاهات المتعارضة فهناك انهيار المجتمعات الاشتراكية السائدة ، فضلا" عن ازمة الرأسمالية . وفي الوقت الذي يتم فيه الاحتفال بنمو المجتمع المدني في الاتحاد السوفيتي السابق ، فأن هناك مأساة تدمير المجتمع المدني في زائير(١) . فالمجتمع الروسي يشهد مخاض ولادة مجتمع متعدد الطوائف. مما يحدث في افريقيا هو الاتي: اذا كانت هناك دولة مركزية قوية يدعمها جيش متعجرف وقوة شرطة كبيرة تحت سيطرة ديكتاتورية بيروقراطية وشخصية ، عندها تحصل المأساة في زائير ، اما اذا كانت هناك دولة مركزية حقيقية وللاسباب ذاتها ، فانها تصبح ذات مركزية متعددة الاحزاب اذ يصفها الاوربيون عادة بالنزعة الافريقية ، إلا ان ادخال انظمة متعددة الاحزاب لا يبشر بحل مشكلات ندرة الغذاء، وقطاع الطرق ... الخ التي تنتشر بشكل مخيف في اثيوبيا وزمبابوي(٢)

يشير المؤرخ الفرنسي جين ماري دوميناخ : (الغربيون وترحيبهم لفساد الماركسية لم يفهموا تماما حقيقة انهم بذلك انما كانوا يخيبون اخر محاولة غربية لعقلنة وعولمة التاريخ فان ثمة ما يبرر شكوك الفرد اذا ما ظن ان اختفاء الشيوعية قد يسفر عن عواقب مختلفة في مناطق مثل شمال افريقيا وجنوب اسيا او امريكا اللاتينية. وهناك تطفح مخاطرة اخرى مع نهاية العولمة الغربية : فقد يتأتى عن تظافر الليبرالية السياسية والمتعة الاجتماعية المتنامية في الغرب حد تام في مناطق اخرى بدلا من التزام ديمقراطي(٣)

في ظل هذه التطورات ، اصبحت معالم الفكر الأمريكي في موضوع العولمة واضحة في هذا المجال ، فضلا عن الخبرة الغربية في الفكر السياسي ، ومدى امتداد كلا الخبرتين وشيوعها في العالم ، ازاء ذلك تثار اسئلة متعددة حول العولمة ، منها : هل تكون العولمة بهذا المفهوم اعلى مراحل الامبريالية وهي بذلك تعد مظاهرة لرأسمالية القرن الحادي والعشرين ؟

---

(1) Gupta, Rakesh, Interdependence and Security among States in the ١٩٩٠s, Strategic Analysis, April ١٩٩٥, p . ٩٣.

(2) Ibid., p .٩٣.

(3) زبغنيو بريجنسكي ، الفوضى الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين ، ترجمة مالك فاضل ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان، ١٩٩٨ ، ص ٥٠

ان هزيمة الشيوعية تمثل جزئيا انتصار للنظم الديمقراطية ونظام السوق الحرة والدين والقومية ، اذا كانت لهذه العناصر دور مهم ، بيد ان ايا منها لم يكن بمفرده العنصر الحاسم والمنظم . راجع : المصدر نفسه، ص ٦٠.

وفي ظل ذلك كيف يمكن فهمها؟ هل هي ظاهرة اقتصادية ام إعلامية ام ثقافية ؟ ام خطاب ايديولوجي؟ وفي اطار ذلك هل ان العالم متجه حقيقة إلى هذا المفهوم ؟ ما هو مستقبل الثقافات و الهويات القومية والوطنية في ظل شيوع العولمة في العالم ؟

وإذا كانت اوربا قد انجزت ولو نسبيا وحدتها القومية ومن خلال جهاز (الاتحاد الاوربي) وما بعد مرحلتي الحداثة والمجتمع الصناعي ازاء ذلك ، ما هو مكان الشعوب التي لم تنجز وحدتها القومية .

إثارة هذه الاسئلة لها علاقة بين شيوع تيارين لمفهوم العولمة، الاول له علاقة بطبيعة هيمنة القوى العسكرية والاقتصادية وفي ظل نظام القطب الواحد ، وبتعبير ادق : سيطرة الفكر الامريكي على العالم ، اما الثاني فانه يذهب ان العولمة عملية تبادل منافع وخبرات ومعارف بين شعوب العالم كافة . هذه اسئلة من الممكن الاحاطة بها من خلال هذه الدراسة [1] .

أ – مفهوم العولمة : [2]

ظهر مصطلح العولمة في بداية الأمر في الموضوعات المتعلقة بالمال والتجارة والاقتصاد الا انه لم يعد مصطلحا اقتصاديا بحتا" ، لانه تجاوز مجال الاقتصاد، لكونه نظاماً عالمياً ، او يراد لها ان تكون كذلك، تشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والإتصال، فضلاً عن السياسة والفكر والأيديولوجيا [3]

---

[1] الدكتور رسلان خضور ، الدكتور سمير ابراهيم حسن، " مستقبل العولمة ، قضايا راهنة، العدد ٢٧ تموز / يوليو ، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، دمشق ، ١٩٩٨، ص٨-٩.

[2] هنا لابد من التمييز بين العولمة ، ومفهوم تبادل الإعتماد ، لان الاولى تشير الى مفهوم التوحيد القياسي الذي يعني من الناحية لعملية السيطرة والهيمنة في السياسات الخارجية ، في حين يشير المفهوم الثاني الى حالة من حالات التفاعل والحوار التي لاتعني الا ازدهار الحضارة الانسانية ، وهذا ما يؤكد عليه دول العالم الثالث ، وهذا المفهوم يقوم على المبادئ الاتية :-

١- اقتصاد قائم على الصناعة والتقنية .

٢- النظرة الجماعية بالسياسات الخارجية .

٣- اشاعة الامن والسلم الدوليين .

راجع: د. محمد نعمان جلال ، " العولمة بين الخصائص القومية والمقتضيات الدولية " ، السياسة الدولية ، العدد ١٤٥ ، يوليو ٢٠٠١ ، ص٤٤ .

(يستخدم جوزيف س . ناي الابن مفهوم تبادل الإعتماد على المستويين الايديولوجي والتحليلي ، فالفعل من الاعتماد المتبادل يمكن تعريفه من الناحية الايديولوجية : " انا اعتمد ، انت تعتمد ، نحن نعتمد وهم يحكمون ". اما الكلمة على المستوى التحليلي فتشير الى موقف يؤثر فيه الاشخاص او الاحداث المتعددة في اجزاء مختلفة من نظام معين على بعضهم البعض ، وببساطة تعني الكلمة الاعتماد المشترك . راجع : جوزيف س. ناي الابن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٤).

[3] الدكتور محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ١٣٦ .

Anthony G.Mc Grew and Paul G. Lewis, Global; Politics: Globalization and the Nation State, Cambridge, ١٩٩٢, p.p.١-٥.

يقول RJ Johnston and C.J. Pattie : (استجابت الاحزاب البريطانية لاتجاهات متعددة دولية ومحلية ، ومن بين هذه الاتجاهات : العولمة ، في مجالات الاقتصاد والثقافة تركزت الاولى في حركة المعلومات ، والمال والى مدى اقل الناس والبضائع ، في حين انصبت الثانية حول تحديات مقدرة الحكومات الإقليمية والمحلية للسيطرة وتنظيم الاقتصاديات والثقافات الوطنية). ويردف Johnston قائلا (ان لهذا الموضوع له علاقة بانهيار المواقع الأساسية للأحزاب السياسية الناجمة عن الصراعات الطبقية ، ونمو سياسات المسألة الواحدة حول المسائل المتعددة مثل البيئة) راجع :

R.J. Johnston and C.J.Pattie , British Conservation : Bight Word Shifting or Fissuring ?. World Affairs, Vol.III, Issue I , Winter , spring ١٩٩٦ , p. ١٧٢

وفي حالة خروج مصطلح معين عن دائرة الاختصاص الضيق في بداية ظهوره ، فانه يكون مشاعا للجميع . وقد تم تداول هذا الموضوع على وجه الخصوص في العالم الغربي[1]

من هذا المنطلق ، نحاول في هذه الدراسة ، تحديد معنى هذا المصطلح . اذ ان العولمة هي ترجمة للكلمة الفرنسية Mondialisaion " التي تشير جعل أي شئ ينظر اليه في مجال كوني " أي نقله من المحدود المراقب الى اللامحدود الذي يبتعد عن كل مراقبة . وهنا نقصد بالمحدود بصورة رئيسة معنى الدولة ، التي ترتبط باقليم معين و بمراقبة صارمة على مستوى الجمارك ونقل البضائع والسلع ، فضلا" عن بروز مصطلح الامن القومي الذي يقوم على حماية الدولة في الداخل والخارج ، في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية ، اما اللامحدود ،فيشار اليه بكلمة (العالم) او الكون، بهذا المعنى تكون العولمة الاشارة إلى معنى الغاء سيادة الدولة القومية ، وتخطي هذه الحدود إلى العالم كله[2].

والحق ، ان كلمة Mondialisaion هي ترجمة للكلمة الانجليزية Globalization التي ظهرت في بداية الامر في الولايات المتحدة ، ويرادف المعنى السالف الذكر [3]

بهذا المعنى ، فان العولمة كمفهوم عولجت في دراسات العلوم الاجتماعية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير في المجالات كافة وهذا يعني ان هناك خطاً جديداً وعلاقات اجتماعية مادية ونفعية تستبعد كل المفاهيم القومية والعرقية والعائلية والدينية الخاصة [4] ومن هذا المنطلق يرى المهتمون بالشؤون الدولية على ان الامور السياسية والأحداث والانشطة في الوقت الحاضر لها بعد عالمي متزايد . وفي هذا المجال يذهب بعض الباحثين ،إلى ان العولمة ترتبط باربع عمليات اساسيه والتي تكمن في المنافسة بين القوى العظمى ، والوصول إلى التقنية الجديدة ، وشيوع عولمة الانتاج والتبادل والتحديث [5]

والحق ، انه من الصعوبة بمكان ، اعطاء تعريف دقيق للعولمة ، بسبب كثرة التعريفات بشأنها الا انه مع ذلك بالامكان الاشارة إلى بعضها وعلى سبيل المثال يقدم لنا جيمس روزيناو ، احد اساتذة السياسة الخارجية في الولايات المتحدة ، تعريفا" لها ، اذ يعرفها: (يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل : الاقتصاد والسياسة والثقافة والايديولوجيا ، وتشمل اعادة تنظيم الانتاج ، وتداخل الصناعات عبر الحدود وانتشار اسواق التمويل ، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، ونتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة)[6].

---

[1] الجابري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٦.

[2] المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

[3] المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

[4] الدكتور رسلان خضور ، الدكتور سمير ابراهيم حسن ، مستقبل العولمة ، مصدر سبق ذكره ، ص٨.

[5] السيد يسين ، (في مفهوم العولمة) ، في العرب و العولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ ،ص ٢٥.

[6] المصدر نفسه ، ص ٢٦.

وقد قسم روزيناو المواد والنشاطات التي تنتشر عبر الحدود إلى مجاميع ست : بضائع وخدمات وافراد وافكار ومعلومات ونقود ومؤسسات واشكال في السلوك والتطبيقات[١]

وفي رأي روزيناو ،تتم عملية الانتشار من خلال طرق متعددة ، بالامكان ايجازها في الاتي [٢]

١-بوساطة التفاعل في الحوارات الثنائية ، ومن خلال ثقافة الاتصال.

٢- الاتصال المونولوجي احادي الاتجاه بوساطة الطبقة المتوسطة.

٣- من خلال المنافسات والمحاكاة.

٤- من خلال تماثل المؤسسات.

يقدم لنا صادق جلال العظم ، احد الاساتذة العرب تعريفا للعولمة اذ يعرفها (هي حقيقة التحول الرأسمالي العميق للانسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ)[٣]

اما محمود الاطرش فيعرفها بأنها (اندماج اسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الاموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن اطار من رأسمالية حرية الأسواق وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية ، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة إذ ان العنصر الاساس في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات)[٤].

ويمكننا ان نذهب إلى القول ان هناك عناصر اساسية للعولمة التي يمكن ايجازها في الاتي : انخفاض الحواجز الجمركية او تدهور تكاليف النقل لاساليب الانتاج الضخمة [٥]

ان الولايات المتحدة ، تحاول الان توسيع مفهوم العولمة ، إذ ان الاخيرة ظهرت فيها وهذا يعني ، ان الموضوع لم يكن ليشمل بالية من اليات التطور الرأسمالي الحديث ، بل تجاوز ذلك ليشمل إلى الاخذ بانموذج معين الا وهو انموذج الطابع القومي الامريكي[٦].

---

[١] المصدر نفسه ، ص ٢٧.

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢٧.

[٣] المصدر نفسه ، ص ٢٨.

[٤] محمد الأطرش ، العرب و العولمة ما العمل ، في العرب العولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٤١٢.

[٥] ادوارد ليتوال ، انهيار الحلم الامريكي الازمة الاقتصادية في مجتمع متدهور ، ترجمة ليلى غانم ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع والاعلان ، طرابلس ، ١٤٢٥ ميلادية – الصيف، ص ٦١.

[٦] الجابري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٧.

والعناصر الأساسية في مفهوم العولمةالتي تتركز في ازدياد العلاقات المتبادلة بين الامم في مجال تبادل السلع و الخدمات أو في انتقال رؤوس الاموال أو في انتشار المعلومات و الافكار أو تأثر امة بقيم وعادات غيرها من الامم ، هي عناصر عرفها العالم منذ قرون خلت و لاسيما منذ حقبة الاستكشافات الجغرافية في اواخر القرن الخامس عشر ، راجع : الدكتور جلال أمين ، العولمة ، ط٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ١٣ .

والحق تعد العولمة من نتائج دراسات السلام والحرب التي قامت في خلال الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة ، ولقد تم ايجاد الامم المتحدة ومؤسسات بريتون وودز ومنها صندوق النقد الدولي كأدوات لتنفيذ هذا النظام ، إذ مكنت العلوم الادارية و الاتصالات الحديثة في ذلك فاصبح نظام العولمة اشد قسوة في الاستعمار القديم ولكن بطرق جديدة تتميز بالدهاء والذكاء . راجع: عبد الحي يحيى زلوم ، نذر العولمة هل يوسع العالم ان يقول لا للرأسمالية المعلوماتية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، عمان ، ١٩٩٩ ، ص ٥-١٠.

طلب من المكسيك في عام ١٩٩٥ عندما كانت دولة عضواً في اتفاقية النافتا للتجارة الحرة لسوق أمريكا الشمالية ، أن تودع عائداتها النفطية كافة لدى البنك الاحتياطي الفدرالي الأمريكي في نيويورك ضماناً لحقيقة الاتفاق في صندوق النقد الدولي ، علماً أن النفط المكسيكي قد تم تأميمه في عام ١٩٣٩ . راجع: المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

وفي هذا المعنى ، قال كلينتون للرئيس الاندونيسي سوهارتو في مكالمة هاتفية في منتصف شهر كانون الثاني ١٩٩٨ : (إن الاستقرار في اندونيسيا ، هي الدولة التي يعيش على اراضيها ١٩٨ مليون نسمة له أولوية حاسمة بالنسبة للولايات المتحدة ، وإن ذلك الاستقرار يعتمد على قبول سوهارتو شروط صندوق النقد الدولي ، وإن يقبل الدواء المر الذي وصفه الصندوق للشعب الاندونيسي ، والاخذ به كأمر مسلم له كما لو كان قد جاء من السماء). من ناحية اخرى ، شكت اندونيسيا في ١٥ شباط ٢٠٠١ من أن صندوق النقد الدولي يضغط عليها أكثر من اللازم (جرى تشجيع صندوق النقد الدولي كي يقوم بتقديم مساعدة مشروطة بإدخال اصلاحات في مرافق الدولة التي هي بحاجة الى ذلك سواء مالها علاقة بصورة مباشرة بالأزمة أم غير ذلك ، وعليه فقد قام الصندوق بغلق خمسة عشر مصرفاً وانهاء الاحتكار على الأغذية ووقود التدفئة والغاء المعونات الحكومية .

في تلك المرحلة أشارت عليه وزيرة خارجية الولايات المتحدة مادلين أولبرايت بأن الوقت قد حان لإجراء " انتقال ديمقراطي " ، وإن ظل البعض من أمثال بول ولفويتز ، المدافع القديم عن سوهارتو ، يجدون فيه حسنات جديرة بالتقدير . في هذا السياق ، يقول جيفري وينترز ، الخبير الأكاديمي في الشؤون الأندونيسية : " إن انجاز ولفويتز الأبرز في المجال الإقتصادي عندما كان سفيراً لدى أندونيسيا هو المعاونة في " إعداد المسرح لإنهيار الإقتصاد الأندونيسي عام ١٩٩٧ في ظل حكم سوهارتو ، المأساة التي دفعت بعشرات الملايين إلى براثن الفقر المدقع " . ولعل أخطر مبادرة قام بها ولفويتز هي رعايته " لواحدة من أشد الخطوات تهوراً وطيشاً التي عرفها العالم على صعيد إعادة تنظيم القطاع المصرفي " ، وكان عاقبتها الوخيمة انهيار "الاقتصاد وتفشي البؤس . في تلك الأثناء حاز سوهارتو الأثير لدى ولفويتز " على اللقب الملتبس ، لقب الزعيم الأكثر فساداً بين زعماء العالم في العصر الحديث " ، وبحسب منظمة الشفافية الدولية (ترانسبيرانسي إنترناشيونال) التي مقرها في بريطانيا ، إنه " الفائز بكل معنى الكلمة " كونه جمع ثروة عائلية " تقدر بما يتراوح بين خمسة عشر وخمسة وثلاثين مليار دولار أمريكي " ، متقدماً بأشواط على صاحب المرتبة الثانية فرديناند ماركوس من الفلبيين ، وصاحب المرتبة الثالثة موبوتو سيسي سيكو من الكونغو ، وكلاهما عضو عريق في نادي الأوغاد التابع للإدارات التي خدم فيها ولفويتز .

وصلت العملة الاندونيسية الى خمس قيمتها قبل الأزمة ، واصبحت الحكومة ضعيفة بسبب المحسوبية والفساد ، الأمر الذي أثر كثيراً الى تدمير الاطار العام للنظام السياسي مما كان له ابلغ الاثر في سقوط حكومة سوهارتو . راجع : هنري كيسنجر ، هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ . ويعلق ميلتون فريدمان على ذلك قائلاً : (في نظري فإن صندوق النقد الدولي يعد مسؤولاً الى درجة كبيرة من الأزمة التي حلت بالدولة الآسيوية .) راجع : عبد الحي يحيى زلوم ، أزمة العولمة هل بوسع العالم أن يقول لا للرأسمالية المعلوماتية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩١ وعبد الحي يحيى زلوم ، نذر العولمة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤ . كارثة اسيا التي تجسدت في منتصف عام ١٩٩٧ ، تتركز في انهيار العملة التايلندية فقد بدأ في وقت من الأوقات كما لو أن لا حياة للمستثمرين في دول اسيا لكن سرعان ما تنكر لها فتقلصت تدفقات المستثمرين الى اسيا بمقدار مائة مليار دولار تقريباً خلال عام واحد . راجع : احسان علي بو حليقة ، " التماسيح تستحوذ على أسماك البحيرة ؟ " ، المعرفة ، العدد ٤٦ ، محرم ١٤٢٠هـ ، ابريل - مايو ١٩٩٩ ، وزارة المعارف ، السعودية ، ١٩٩٠ ، ص ١٠. ونعوم تشومسكي ، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية ، دار الكتاب العربي : بيروت – لبنان ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٤٧ ، ٢٦٧ .

دعمت الولايات المتحدة جهود صندوق النقد الدولي في تايلاند واندونيسيا وكوريا الجنوبية حيث قدمت مساهمات في الدولتين الأخيرتين . وقد أرادت وزارة الدفاع ومجلس الأمن القومي تقديم بعض العون انطلاقاً من أن تايلاند حليفة قديمة للولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا ، وعليه نرى أن الأدارة الأمريكية تركت وزارة الخزانة أن تتخذ هذا القرار . والحق لم تعالج الأدارة الأمريكية المشكلة التايلندية وفق مقاسات بها في روسيا

والحق ، ان الولايات المتحدة والنخبة السياسية والاعلامية والمؤثر فيها والشركات العملاقة الامريكية المتعددة الجنسية تدعم العولمة من اجل نشر القيم والتقاليد الامريكية فقد تحولت الولايات المتحدة في هذا المجال الى مكسيك اوربية [1]

اما من حيث نشوء العولمة ، يمكننا في هذا المجال الرجوع إلى دراسة رولاند روبرتسون في دراسته الموسومة بـ (تخطيط الوضع الكوني : العولمة بوصفها المفهوم الرئيس) وقد حاول فيها ابراز مراحل تطور العولمة وامتدادها عبر المكان والزمان [2]

في هذه الدراسة ، يشير رولاند وروبرتسون إلى ان بداية ظهور العولمة انما يرجع إلى بزوغ (الدولة القومية الموحدة) لان الاخيرة التي ظهرت في القرن الثامن عشر تمثل حقيقة تاريخية من نوع فريد ، لانها تقوم اساسا على التجانس الثقافي . وبهذا يمكن ان نذهب إلى القول ان انتشار مفهوم الدولة القومية في القرن العشرين هو فعل من افعال العولمة . وبمعنى اخر ان شيوع هذا المفهوم ونشر الافكار المتعلقة بالدولة القومية ادى إلى سرعة ظهور العولمة خلال قرن من الزمن [3]

وفي ظل هذه الظروف ، صاغ روبرتسون أنموذجه الذي استند إلى المراحل التالية : المرحلة الجنينية ومرحلة النشوء ومرحلة الانطلاق والصراع من اجل الهيمنة ومرحلة عدم اليقين [4]

من هذا المنطلق ، يقول فوكوياما : " مع اقتراب القرن الحادي والعشرين تشهد المؤسسات السياسية والاقتصادية في العالم تقاربا ملحوظا نتيجة اقبالها على تبني الديمقراطية الليبرالية واقتصاديات السوق تحول القسم الاكبر من الدول المتقدمة إلى اقتصاديات السوق

الأحادية . فقد كانت الولايات المتحدة تدعم الاقتصاد الروسي ، حيث أسهمت بنحو ثلث حزمة الـ٢٣ مليار دولار من صندوق النقد الدولي . راجع : كلينتون ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٣١ .

والحق ، قامت الحكومة التايلندية بتنفيذ جل المقترحات التي اعدتها وزارة الخزانة الامريكية ومؤسسات التمويل الدولية كحل لازمة التسعينات . وفي خلال اسابيع قليلة ، استنزف احتياطي تايلند البالغ ٣٠ بليون دولار ، وفي الوقت نفسه ، انخفضت قيمة الين بنسبة كبيرة ، الأمر الذي ادى الى زيادة حجم الديون بمستويات كبيرة ، وانعكس ذلك على الجوانب المالية والسياسية في آن واحد .

من ناحية اخرى ، شكت اندونيسيا في ١٥ شباط ٢٠٠١ من ان صندوق النقد الدولي يضغط عليها اكثر من اللازم (جرى تشجيع صندوق النقد الدولي كي يقوم بتقديم مساعدة مشروطة بادخال اصلاحات في مرافق الدولة التي هي بحاجة الى ذلك سواء كان لها علاقة بصورة مباشرة بالازمة او غير ذلك . وعليه فقد قام الصندوق بغلق خمسة عشر مصرفا وانهاء الاحتكار على الأغذية ووقود التدفئة والغاء المعونات الحكومية .

وصلت العملة الاندونيسية الى خمس قيمتها قبل الازمة ، واصبحت الحكومة ضعيفة بسبب المحسوبية والفساد ، الأمر الذي اثر كثيرا الى تدمير الاطار العام للنظام السياسي مما كان له ابلغ الاثر في سقوط حكومة سوهارتو . راجع : هنري كيسنجر ، هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٢٥، ٢٢٨ .)

[1] ليتوك ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١.

[2] السيد يسين ، (في مفهوم العولمة) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٣٠.

[4] المصدر نفسه ، ص ٣٠ – ٣٦ .

الحر ومحاولة الاندماج في بوتقة النظام الرأسمالي العالمي لتقسيم العمل وتحديد تخصصاته الرئيسة فضلا عن تبني المؤسسات السياسية الديمقراطية – الليبرالية [1]

وفي هذا المعنى ، يقول جاك اتالي : (في كل مكان ايضا في الشرق كما في الغرب، في الشمال كما في الجنوب سوف تحقق الديمقراطية انتصارات جديدة يواكبها تحرر القوى

---

[1] فرنسيس فوكوياما ، الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي ، ترجمة معين الامام وحجاب الامام ، ١٩٩٨ ، ص ٩ .

يذهب هنتنغتون على خلاف ما ذهب اليه فوكوياما ، إذ يشير الاول ان الفروق بين الحضارات ليست فروقا حقيقة فحسب ، بل هي فروق اساسية ، فالحضارات تتمايز الواحدة عن الاخرى بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد ، انها فروق اساسية بدرجة اكبر من الاختلافات بين الايديولوجيات السياسية والنظم السياسية ، والاختلافات لاتعني النزاع بالضرورة والنزاع لايعني العنف بيد انه على مر القرون ولدت الاختلافات بين الحضارات اطول النزاعات واكثرها عنفا " راجع: صاموئيل هانتنغتون واخرون ، صدام الحضارات ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص٢٠ .

Foreign Policy , Summer , ١٩٩٨, pp ١٩-٢٠ .

وهذا يعني من وجهة نظر هانتنغتون ان الخلافات الثقافية سوف تحتل مركز الصدارة في عالم المستقبل . راجع : فوكوياما ، الثقة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١ . و"نحن والعولمة .. من يربي الاخر" ، المعرفة ، العدد ٤٦ ، محرم ١٤٢٠ هـ ، ابريل – مايو ، ١٩٩٩، ص ٢٦ –٢٧ .

وفي هذا المجال يقول جيمس شلنجر: (ان النظام العالمي المستقبلي سترسمه سياسة القوى والصراعات القومية والتوترات العرقية) راجع : بريجنسكي ، الفوضى ، مصدر سبق ذكره، ص١٤٥، يعلق لستر ثورو على اراء هنتنغتون قائلا (ان الانقسامات الاثنية هي ليست الحروب الدينية للقرن الحادي والعشرين .. مما يجري ليس حروبا دينية وانما ظاهرة تشظي اثني او تشظي ديني حيثما وجدت خطوط للتصدع وان بدت ضئيلة حتى لا يكاد يراها الناظر الخارجي وان قيل له انها موجودة . ان الدم والنسب هما في الدماغ وليسا على الارض ...) راجع لستر ثورو ، مستقبل الرأسمالية ، كيف تصوغ القوى الاقتصادية الراهنة عالم الغد، ترجمة عزيز سباهي، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٧٠ .

الاهداف المعلنة في العولمة هي ضمان التطور السلمي على اساس الليبرالية السياسية والاقتصادية في دول وسط وشرق اوربا تتحرر من شبح الحروب السياسية و الاقتصادية في دول وسط وشرق اوربا والحرب الاهلية والكابوس الروسي معا في وقت واحد ، ولو كان ذلك هو الهدف فقط لما امتنع الرئيس كلنتون عن التعهد للرئيس الروسي يلتسن في قمة هلسنكي بعدم ضم دول كانت ضمن دولة الاتحاد السوفيتي السابق إلى حلف شمال الاطلسي في المراحل التالية ولا سيما الدول الاسيوية . ولو كان هذا هو الهدف ايضا لاكتفت تكفي سلسلة من الترتيبات التعاقدية في اطار منظمة الامن والتعاون الاوربي تنص على عدم الاعتداء وعلى احترام الانسان والالتزام بالانتخابات طريقة لتولي السلطة . هناك مصالح واهداف للاستراتيجية الامريكية في توسيع حلف شمال الاطلسي منها دمج اقتصاديات اوربا الشرقية في الاقتصاديات الاوربية الغربية والاقتصاد الامريكي ، والدليل الدافع على ذلك هو ان خطط توسيع الاطلسي تتطابق مع خطوط الدوائر الحضارية المتصارعة التي رسمها هنتنغتون فتستبعد روسيا الاتحادية زعيمة الحضارة السلافية الارثوذكسية ، كما تستبعد ايضا الصين الكونفوشيوسية وايضا تستبعد الدائرة العربية الاسلامية ، اما ضم دول صغيرة تتبع الدائرة الحضارية المستبعدة او تلك فهو استثناء لا يلغي القاعدة والمقصود به حرمان الدول القائدة للدائرة الحضارية المستبعدة في تبعية بقية مكونات الدائرة لقيادتها ودمج هذه المكونات تدريجيا في الانموذج السياسي والاقتصادي والثقافي الغربي المهيمن .راجع : عبد العظيم حماد ، الاتجاهات المضادة للعولمة ، المعرفة ، العدد ٤٦ ، محرم ١٤٢٠ هـ ابريل – مايو ١٩٩٩ .

السوق التي تفتح امام اولئك الذين يتبنون النظام الاقتصادي الحر امكانية انضمامهم هم ايضا إلى حركة النمو الاقتصادي الشاملة[1]

وبتعبير اخر ، ان النظام الرأسمالي الليبرالي لربما شكل المرحلة النهائية في التطور العقائدي للجنس البشري وبالتالي ليصبح هو نظام الحكم الامثل ، وبمعنى اخر فان الوصول إلى هذا النظام هو نهاية التاريخ [2] الامر الذي يؤدي الى زوال صراع المصالح والايديولوجيات على حد سواء ، وهذا يعني الى توقف عجلة الاحداث وانهاء التاريخ . وفي هذا المجال بامكاننا اثارة هذا التساؤل حول طرح فوكوياما ، الذي يكمن في : هل للتاريخ نهاية؟ [3]

يقوّم ليستر ثورو هذا النظام قائلا : " من سوء الحظ ان ايا من الرأسمالية والديمقراطية ليست ايديولوجية قادرة على الدمج والتوحد ، إلا ان كليهما ايديولوجية عملية تقول ان الانسان سيكون في وضع افضل إذا اتبع الاجراءات التي توحي بها ولا تقدم أي منها اية اهداف عامة يمكن للجميع ان يتبناها ويتم تطبيقها بشكل جماعي ، وتتضمن كل منها التأكيد على الفرد لا على المجموعة [4].

---

[1] جاك أتالي ، افاق المستقبل دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢ ، ص٣٨.

[2] فرنسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ ، ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص٤٠.

يقدم لنا Wallerstein ثلاثة انواع من الليبرالية وهي الليبرالية المحافظة، والليبرالية الاشتراكية والليبرالية الجديدة - ان العودة إلى المحافظة في الغرب كما يضاهي هي انهيار انظمة الحزب الواحد في اوربا الشرقية وانحلال مناطق اقتصادية ولاسيما الصين فضلا عن انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي بانتهاء عهد غورباتشوف . وعلى حد تعبير وولرستين فان المعنى الحقيقي في انهيار الشيوعية هو الانهيار النهائي لليبرالية بوصفها ايديولوجية مهيمنة، كما يشير وولرستين إلى انهيار اقتصاد الرأسمالية المفرطة في الولايات المتحدة، وسيظهر احتمال في عهد ما بعد الولايات المتحدة وما بعد الليبرالية تسود فيه فوضى عالمية اكبر من تلك التي شهدتها الاعوام ١٩١٤ - ١٩٤٥ ويتوقع بروز سياسة الهوية للعالم الثالث. راجع :-

Gupta , Rakesh , Interdependence and Security Among States in the ١٩٩٠s , Op. Cit. , p. ١٠٠.

من ناحية اخرى ، يحذر صامويل هنتنغتون من مراعاة ظهور قيم غير غربية وغير ليبرالية تتعارض مع القيم الليبرالية ، المحور الرئيس عنده يكمن على حد تعبيره (بيننا وبين البقية) ويثير هذا التحليل عددا من القضايا التي تتراوح ما بين مستوى التحديث في دول العالم الثالث إلى السيناريو المتعارض لحقبة ما بعد الحرب الباردة راجع:-

Samuel p. Huntington, The Clash of Civilization , Foreign Affairs, Summer١٩٩٣ , Gupta , Pakesh , Interdependence and Security Among State in ١٩٩٠ s,Op. Cit., p. ١٠١ .

يقول ستروب تالبوت وكيل وزارة الخارجية الامريكية ومستشار الرئيس كلنتون في الشؤون الروسية وهو يلخص مبدأ كلنتون (انه كلما اتسع نطاق جماعة الدول التي تختار الديمقراطية نظاما لحكمها .. وازداد توثق العلاقات بين الدول المكونة لهذه الجماعة .. كلما كان الامريكيون اكثر امنا ورخاء ، لان الدول الديمقراطية تحافظ على التزاماتها الدولية ، وتكون اقل ميلا لاثارة الحروب)، راجع : عبد العظيم حماد " الاتجاهات المضادة للعولمة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨ -٣٩.

[3] الدكتور ابراهيم يحيى الشهابي ، النظام الدولي الجديد والاستلاب الحضاري : في ندوة التاريخ الاسلامي وازمة الهوية ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، طرابلس ، ليبيا ، ٢٠٠٠ ، ص١٠٩.

[4] عبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥.

ويردف ثورو قائلا : { رئيس في النبلاء ، هو فرانكلين روزفلت صمم دولة الرفاه الاجتماعي وانقذ الرأسمالية بعد انهيارها في الولايات المتحدة ولو لم تكن الرأسمالية مهددة لما حدث أي شئ من هذا القبيل}

وقد قدم فوكوياما في هذا الكتاب ، موضوعات رئيسة ، هي :

١- اضمحلال وزوال الفكر الشيوعي بصورة نهائية من العالم كايديولوجية مناقضة ومعادية للرأسمالية.

٢- صارت الليبرالية الاطار العام الذي تحتذي بها من قبل شعوب العالم كافة على عكس التخطيط المركزي الذي جلب معه الشقاء والانهيار .

٣- ان العقائد الاخرى غير الغربية لا اهمية لها في تاريخ الفكر السياسي ، لعدم مقدرتها الوقوف امام الفكر الليبرالي [1]

ويتضح كل ما تقدم ، ان هناك دعامتين رئيستين للعولمة هما المال والاعلام وعليه نرى ان بعض الكتاب قد دمجوا بين مصطلحي المالية والمعلوماتية ، للاشارة إلى مصطلح جديد يسمى بالرأسمالية المعلوماتية [2]

اذا يمكننا ، ان نذهب إلى القول ان العولمة من وجهات نظر مؤيديها انها تشكل اشكال تبسيط العلاقات وتجاوز العقد التاريخية والنفسية والنظر للعالم بوصفه وحدة متجانسة واحدة ، وانها نظام رشيد يضم العالم باسره ، فلم يعد هناك انفصال او انقطاع بين المصلحة الوطنية والمصالح الدولية وبين الداخل والخارج . وهي تحاول ان تضمن الاستقرار والعدل للجميع بما في ذلك المجتمعات الصغيرة ، ويضمن حقوق الانسان للافراد وهو سينجز ذلك من خلال مؤسسات دولية رشيدة مثل هيئة الأمم المتحدة ووكالتها المتخصصة والبنك الدولي وقوات الطوارئ الدولية.

ب – العولمة والدولة :-

بخصوص مفهوم العولمة، تثار أسئلة متعددة من بينها هل ان ظهور العولمة هي بداية اضمحلال الدولة ، وهل ينطبق تعريف الدولة الرخوة على دول العالم الثالث ، وهل ان وصف الدولة الوطنية والقومية ينطبق على دول الجنوب ، والى القول بان الذي سيختفي ليس الدولة ولكن كيانات هشة " رخوة"[3]

من وجهات نظر انصار العولمة ، ان الحدود السياسية التقليدية للوحدات الدولية بدأت في الاهمال وذلك بسبب العلاقة بين التجارة والتقنية والتخوم السياسية التي كانت تردح من

---

[1] حسن بكر ، " مطارحة نقدية لنظرية فوكوياما " المستقبل العربي ، العدد ٩ شتاء ١٩٩٣ ، ص ٢٦.

[2] نحن والعولمة .. من يربي الاخر ؟ ، المعرفة ، العدد ٤٦ ، محرم ١٤٢٠ هـ ابريل – مايو ١٩٩٩ ، وزارة المعارف – السعودية ، ١٩٩٩ ، ص ١٨.

[3] اسامة امين الخولي ، في مقدمة العرب العولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨ ، ص ١١ . والدكتور أمين جلال ، العولمة والدولة، أمن العرب والعولمة ، في العرب والعولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٦١ .

الزمن عاملاً من عوامل الحروب ،صارت مخترقة ، والتجارة لم تنظر العملية السياسية لتتكيف مع التقنية بل اتجهت لتسيرها وهذه النقطة واضحة في العالم الاوربي إذ يؤكد مد راء الاعمال التزامهم ، وصول السوق الاوربية إلى التكامل ، الذي تحدد موعده في عام ١٩٩٢.[١]

وفي هذا المجال ، يقول صموئيل هنتنغتون في كتابه " صراع الحضارات " : " المرحلة المقبلة هي مرحلة الهيمنة الغربية على العالم ، مرحلة بداية ما بعد الدولة القومية او الدولة الأمة ، أي نهاية مرحلة السيادات المتساوية للامم والدول ، ولهذا لن يعود احد يهتم بالتقسيمات الجغرافية التي تحدد داخلها دولاً ذات سيادة ". اما المفكر البريطاني بول جونسون يذهب قائلاً : " ان بعض الدول لاتستطيع ان تحكم نفسها واستمرار وجودها ، والعنف والانحدار الانساني الذي تعيشه يشكل تهديداً لاستقرار جيرانها ، وهنا تبرز قضية اخلاقية ان على العالم المتحضر رسالة ان يخرج الى هذه المناطق التي يحكمها اليأس ليحكمها هو !!"[٢].ويمكننا توضيح هذه النقطة في الاتي : ان من اهم الواجبات الرئيسة لسلطات الدولة القومية هي اصدار العملة وتحديد قيمتها . وعلى الرغم من سلطة السوق القومية ، ظلت حكومات إلى وقت قريب جدا ، تحتفظ بسلطتها الرئيسة في التلاعب بقيم عجلاتها .

الا انه نتيجة لثورة المعلومات ، نرى ان الدولة فقدت سلطتها في هذا الشأن وقد برز مفهوم عدم تدخل الدولة في المرافق العامة من خلال ظهور الليبرالية الجديدة NeoliberaLismus التي تشير : (ما يقرره السوق صالح ، اما تدخل الدولة فهو طالح)[٣] وقد بلور هذه النظرية الاقتصادي الامريكي ملتون فريدمان تبنت الغالبية العظمى من الدول الاوربية هذه النظرية في الثمانينات من القرن العشرين ، ونتيجة لذلك فقد صارت الدولة تشجع تحرير التجارة ، وحرية تنقل رؤوس الاموال وخصخصة المشروعات والشركات الحكومية ، والمتمثلة في البنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي IMF ومنظمة التجارة العالمية WTO وقد ساعدت جملة امور إلى بروز هذه النظرية من بينها انهيار نظام الحزب الواحد في الاتحاد السوفيتي ، الذي منحها الامكانية كي تصبح ذات ابعاد دولية ، وعليه نرى انه منذ انهيار هذا النظام ، اصبح التأكيد على بناء دكتاتورية السوق العالمية .[٤]

---

[١] والترب رستون ، افول السيادة ، ترجمة سمير عزت نصار وجورج خوري ، دار النشر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٤ ، ص ٢٣.

[٢] الدكتور احمد شوقي الحنفي ، " النظام العادي الجديد والاستلاب الحضاري " ، في ندوة التاريخ الاسلامي وازمة الهوية ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، طرابلس ، ليبيا ، ٢٠٠٠ ، ص٩٣.

[٣] فيما يخص السوق الحرة ، وعدم تدخل الدولة في المرافق الاقتصادية في الولايات المتحدة راجع :
Richard N.Hass and Robert E . Litan , Globalization its Discontents Navigating the Dangers of a Tangled world ,(Foreign Affairs , May / June , ١٩٩٨ , pp.٣-٤.
يعود اضمحلال دور الدولة ، في تلك الدول التي كانت تؤمن بأهمية المنافسة في النظام السياسي الداخلي ، وفي تلك الدولة التي حملت شعار دعه يعمل يمر وهذا الشعار كان يعني قيام الدولة بترك المنتخب وشأنهم . راجع : امين جلال ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١.

[٤] بيتر تين مارتنشومان هانس ، فخ العولمة الاعتداءات على الديمقراطية والرفاهية ، ترجمة الدكتور عدنان عباس علي ، عالم المعرفة، الكويت ، ١٩٩٨ ، ص ٣٤.

ومن تطبيقات الليبرالية الجديدة ، ما تشهده الولايات المتحدة من جرائم ترتكب بحيث أصبحت وباءً واسع الانتشار .. وعلى سبيل المثال فإن الانفاق على السجون في ولاية كاليفورنيا يبلغ المجموع الكلي لميزانية التعليم ، وهناك ٢٨ مليون مواطن امريكي ، أي ما يزيد على عشر السكان قد حصنوا أنفسهم في ابنية وأحياء سكنية محروسة ، وليس من الغريب أن ينفق الأمريكيون على حراسهم المسلحين ضعف ما تنفق الدولة على الشرطة[1] إن فكرة اضمحلال الدولة ، تحدث عنها كارل ماركس ، مشيرا إلى أن تدخل الدولة في العلاقات الاجتماعية يصبح عديم الفائدة ، لانه في نهاية الامر أي بعد الثورة البروليتارية تحل حكومة الاشخاص محل ادارة الاشياء التي تقوم بتوجيه سير الانتاج وفي مثل هذه الحالة ، لم تلغ الدولة بل انها تذبل[2].

وعليه فقد ذهب ماركس قائلا : (إن الدولة هي دائما وابدا اداة الطبقات المسيطرة لقهر الطبقات الاخرى ، او هي دائما وسيلة الطبقات المسيطرة في تحقيق تلك الاهداف التي يحتاج تحقيقها إلى استخدام صورة او اخرى في صور القهر[3]

اشار إلى ذلك بوضوح انجلس عندما قال : (الدولة لا تلغى انها تضمحل وعلى هذا الاساس ينبغي ان ينظر لعبارة (الدولة الشعبية الحرة) وينبغي ان ينظر ايضا لمطلب من يسمون بالفوضويين القائل بالغاء الدولة بين عشية وضحاها) .

وهذا يعني ان ماركس يؤكد على اضمحلال الدولة ، في حين يتحدث الفوضويون عن الغاء الدولة ، إذ ان البروليتاريا كما يقول انجلس تأخذ سلطة الدولة ، وتحول وسائل الانتاج إلى ملك للدولة ، وفي رأي انجلس انه بعد الثورة البروليتارية ، تضمحل الدولة البروليتارية او شعبية الدولة ، ان البروليتارية برأي ماركس ليست بحاجة الا لدولة في طريق الاضمحلال أي مبنية بشكل لا متوجه لها معه في ان تأخذ بالاضمحلال على الفور ومن ان تضمحل[4]

ان جون هيرز اشار في نهاية الخمسينات ، إلى امكانية احتمال انقراض دور الدولة على ضوء التطورات التقنية ولاسيما في مجال الاسلحة . وعلى الرغم في ان هيرز قد عدل افكاره في مستهل السبعينات، إلا انه اشار الى ان السياسة التقنية ونتيجة للتحديات التقنية والاقتصادية والنفسية قد تواجه تقلصا في دورها . وقد اشار إلى هذا كل من ريموند فرنون وهاري جونسون في بداية السبعينات[5]

وفي هذا السياق ، قال مساعد وزير الخارجية الأمريكية جورج بول في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق جون كينيدي أمام اللجنة الوطنية البريطانية المنبثقة من غرفة التجارة الدولية عام ١٩٦٧ : " إن الحدود السياسية للدول ذات القومية الواحدة ضيقة للغاية ومضغوطة

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٣٥.

[2] الدكتور منذر الشاوي ، في الدولة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ٣٧. و بيتر مارتين هانس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦.

[3] جلال أمين ، العولمة والدولة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧.

[4] لينين ، مختارات ، ج ٢ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٦٨ ، ص ١٩٢ – ٢٠٢.

[5] تعقيب متروك الفالح على بحث جلال امين (العولمة والدولة) ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٢ – ١٧٣.

وأعجز من أن تقدر على تحديد آفاق ومدى النشاطات والأعمال الحديثة والعصرية . أن سياسة التصنيع للأسواق المحلية وتصدير الفائض إلى الخارج لم تعد فعالة ، بل أصبحت عاجزة عن إحداث الأثر المطلوب . إنه ينبغي تعبئة وسائل الإنتاج : رأس المال ، العمالة ، المواد الخام ، المصانع والتسويق ، بطريقة أكثر فاعلية . وهذا بالمقابل ، لن يصبح ممكناً ومتاحاً إلا بعد أن يتوقف دور الحدود القومية في رسم وتحديد "الآفاق الإقتصادية"[1] .

وقد علقت مجلة الإيكونومست البريطانية على ذلك قائلة : (إن مقولة الانحسار الكبير في سيادة الدولة القومية هي بمثابة خرافة ، على الرغم من أنها ترحب بأن تسيطر قوى الأسواق المالية وتلزم الحكومات باتباع سياسات تعدها رشيدة)[2].

والحق ، أصبحت الحدود لها أهمية أكثر من أي وقت سبق ، وتتضمن مناطق اقتصادية من الفين ميل بعد المياه الاقليمية . أما الحدود الضريبية فإنها تتخطى ذلك ، إذ يسعى كل بلد لفرض ضرائب على الشركات المتعددة الجنسية ، وأخذ حصة من أرباحها على حساب الدول الأخرى[3].

وهنا لابد من التأكيد ، من أن ضعف الحكم والإدارة[4] يقوض مبدأ السيادة الوطنية الذي قام عليه النظام العالمي الحديث في الحقبة التي أعقبت معاهدة وستفاليا . ويعزى السبب في ذلك إلى أن المعضلات الكثيرة التي تولدها الدول الضعيفة لنفسها وللوحدات الأخرى ، تزيد بشكل كبير إحتمال أن تسعى وحدة دولية أخرى في النظام الدولي إلى التدخل في شؤونها الداخلية ضد إرادتها لحل تلك المعضلات بالوسائل غير السلمية[5] .

وفي واقع الأمر ، بدأ إضمحلال السيادة قبل ذلك في التسعينات ، خلال ما يسمى بالتدخلات الإنسانية التي مهدت الطريق أمامه ، إذ أدت تجارب المجتمع الدولي في الصومال وهاييتي وكمبوديا ودول البلقان وغيرها إلى تعزيز مسألة موضوع التدخل الإنساني[6] .

يرى مؤيدو مبدأ التدخل الإنساني ، على أن النظام العالمي الذي أعقبه معاهدة وستفاليا لم يعد يشكل الإطار المناسب للعلاقات الدولية المعاصرة ، لأن ذلك النظام إنبنى أساساً على غموض متعمد حول مسألة السيادة[7] .

---

[1] عبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤٨ .

[2] محمد الأطرش ، (العرب والعولمة ، ما العمل ؟) مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٣ ، وهانس بيتر مارتين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤٧ – ٣٥٦ .

[3] ليتوك ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥ .

عندما ظهرت العولمة ، وبزغت الشركات متعددة الجنسية ، ترخت الدول القومية في العالم الثالث من هيمنتها على الاقتصاد والمجتمع من أجل تحقيق مصالح هذه الشركات . راجع : أمين ، جلال ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧.

[4] تشير كلمة الضعف في هذا المجال ، إلى قوة الدولة لا مداها ، وبتعبير أدق ضعف القدرة المؤسساتية لتنفيذ وفرض المؤسسات ، بسبب إفتقار النظام السياسي برمته في أحيان كثيرة إلى أساس الشرعية . راجع : فرانسيس فوكوياما ، بناء الدولة النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة مجاب الإمام : العبيكان للنشر ، الرياض ، ٢٠٠٧ ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

[5] المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .

[6] المصدر نفسه ، ص ١٧١ .

[7] المصدر نفسه ، ص ١٧١ .

يذهب هذا الرأي بأن نهاية الحرب العالمية الثانية أحدثت إجماعاً أكبر من ذي قبل داخل المجتمع الدولي حول مبدأي الشرعية السياسية وحقوق الإنسان ، بحيث لم يعد بالإمكان التسليم بالسيادة الوطنية ، وبالتالي إضفاء الشرعية بشكل أوتوماتيكي على من يمتلك مقاليد السلطة في دولة ما بحكم الواقع [1] .

أدت التدخلات الإنسانية في التسعينات إلى توسيع سلطة ما أصبح بحكم الواقع إمبريالية دولية على جزء ما يطلق عليه " بالدول الفاشلة " من العالم . في الغالب شكلت القوة العسكرية الأمريكية رأس الحربة في هذه التدخلات ، وتبعتها عملية بناء الأمة بالإشتراك مع تحالف عريض مكون بصورة رئيسة من الدول الأوربية وأستراليا ونيوزيلاندا واليابان . في كل من الصومال وكمبوديا والبوسنة وكوسوفو وتيمور الشرقية ، وأفغانستان ، لم يعد المجتمع الدولي كياناً مجرداً بل إكتسب حيوية كبيرة ، إذ أصبح الحكومة الفعلية للدولة المعنية ، في حين تم تعليق السيادة الوطنية لهذه الدول ، وأنيطت وظائف الحكم فيها إلى منظمة الأمم المتحدة أو وكالات الغوث والمنظمات غير الحكومية . في حالة تيمور الشرقية أصبح موقع السلطة والسيادة سفينة في المرفأ خارج العاصمة ديلي ، قد تكون هذه السلطة الإمبراطورية الدولية العليا طيبة النوايا ، وقد تكون قائمة على الديمقراطية وحقوق الإنسان ، لكنها في كل الأحوال سلطة إمبريالية عليا ، شكلت سابقة في نزع السيادة وتسليمها إلى حكم الهيئات والوكالات الدولية [2] .

ومن تطبيقات اضمحلال نفوذ الدولة ، الشركات العملاقة [3]

---

[1] المصدر نفسه ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

[2] المصدر نفسه ، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

[3] ألفن توفلر ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ، ط٢ ، تعريب ومراجعة الدكتور فتحي حميد بن شتوان ونبيل عثمان : طرابلس ، ليبيا : ١٩٩٦ ، ص ٢٤١ .

إن تعبير الشركات (المتعددة الجنسيات أصبح الآن بالياً ، ذلك لأن مثل هذه الشركات الضخمة لا جنسية لها أساساً . لقد كانت الشركات ذات الطابع الدولي تنتمي حتى عهد قريب لهذه الدولة أو تلك ، حتى ولو كانت تعمل في كل أرجاء العالم فشركة IBM كانت بدون شك شركة أمريكية ، إلا أن تحديد جنسية الشركات الآن بات أصعب في ظل نظام خلق الثروة الجديدة . ففرع شركة IBM في اليابان يعد من وجوه كثيرة شركة يابانية ، وشركة فورد تملك ٢٥% من شركة مازدا ، وشركة هوندا تصنع سيارات في الولايات المتحدة وتبيعها في اليابان وشركة جنرال موتورز هي أكبر مالكة لأسهم شركة إيسوزو، يقول كينيشي أوهامي (من الصعوبة تحديد جنسية الشركات الدولية ٠٠ إنها تحمل علم عملائها وليس علم بلادها) . ما هي جنسية شركة فيزا انترناشونال قد يكون مقرها الرئيس في الولايات المتحدة لكنها مملوكة لنحو ٢١ ألف مؤسسة مالية في ١٨٧ قطراً أو إقليماً" ، وتم تشكيل مجلس إدارتها ومجالس إدارتها الإقليمية بطريقة تمنع أي دولة بمفردها من امتلاك ١٥% من الأصوات فيها راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ .

يوجد في العالم ما يقارب ٤٠ ألف شركة متعددة الجنسيات ، تبلغ إيراداتها أكثر من نصف الناتج الإجمالي العالمي وقيمة أصولها تقارب ٩٤ تريليون دولار ، أما الشركات الخمسمائة الأولى من هذه الشركات فهي موجودة في دول الشمال والتي عددها ٤٧٢ شركة مقابل ٢٨ شركة في الجنوب ، وبلغت إيراداتها في عام ١٩٩٦ ما يقارب ١١٤٣٥ تريليون دولار ، أي أن إيرادات هذه الشركات الخمسمائة فقط يعادل ٤١% من الناتج المحلي العالمي و٦٤% من الناتج الإجمالي الأمريكي . راجع : الدكتور رسلان خضور ، والدكتور سمير إبراهيم حسن ، (مستقبل العولمة) ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢ .

باقتصاديات التوسع اللاحجمي .والحق ان الشركات الضخمة ستصبح اكثر اعتمادا في اقتصاد الغد على قاعدة عريضة في المنشآت الموردة الصغيرة حجما لكن الاكثر حيوية ومرونة والتي ستكون اغلبها منشآت يديرها الاسر[1]

ان خمس دول هي الولايات المتحدة واليابان وفرنسا والمانيا وبريطانيا تتوزع فيما بينها ١٧٢ شركة من اصل ٢٠٠ من اكبر الشركات العالمية . وهذه الشركات العملاقة هي التي تسيطر عمليا على الاقتصاد العالمي[2] وفي رأي انصار العولمة فان الشركات والمؤسسات المتعددة الجنسية التي تتولى التسيير والقيادة عبر العالم ، وهي بذلك تحل محل الدولة في كل مكان[3]

علق وزير الخارجية الامريكي السابق جورج شولتز على هذه الشركات قائلا : (قبل بضعة اشهر ، رأيت صورة رقعة شحن لدارات متكاملة انتجتها احدى الشركات الامريكية تقول : (صنعت في واحد او اكثر من الاقطار التالية : كوريا ، هونغ كونغ ، ماليزيا ، سنغافورة ، تايوان ، موريشوس ، تايلندا ، اندونسيا ، المكسيك ، الفلبين . وبلاد المنشأ الصحيح غير معروف . وتقول تلك الرقعة الكثير عن المكان الذي تقودنا اليه الاتجاهات العصرية[4]

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .
لم تكن الشركات متعددة الجنسية جديدا ، بسبب انها ظهرت في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وقد ساعدت ثقافة الاتصالات على ذلك ، متجسدة في اختراع جهاز البرق ، وغياب الحروب في اطار القوى الكبرى ، فمثلا في عام ١٩٠٠ ، كانت في حوزة عائلة روتشيلد فروع في فرانكفورت وفينا وباريس ولندن ، وتميزت هذه الفروع بوجود اتصال يومي فيما بينها . كما كانت شركة (لويدز لندن) وقبل عام ١٩١٤ قد اعتمدت لدى القطاع الاعظم في صناعة السفن الالمانية كشركة للتأمين على السفن الالمانية . كما كانت لدى شركة (ليفر برذرز) والمعروفة باسم (يونيليفر) مصانع انتاجية تمتد من غرب افريقيا إلى الهند . كما كانت هناك شركات من هذا النوع في مجال النفط قطعت الارض طولا وعرضا لغرض التنقيب عن مصادر جديدة للنفط فيما كانت تنقل النفط المكرر من سوق إلى اخر ، كما سلكت شركة فورد طريقا عالميا عندما اتخذت قرار صنع السيارات والشاحنات على جانبي الاطلسي. راجع: بول كيندي ، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة محمد عبد القادر وغازي مسعود ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٣ ، ص ٧٢ .

[2] الجابري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٠.
عندما انهارت دولة الاتحاد السوفيتي والمنظومة التابعة لها ، بلغت نسبة ارباح الشركات الامريكية مقارنة مع ارباح جميع الشركات بالعالم هي النسبة نفسها بين حجم الاقتصاد الامريكي بالمقارنة مع حجم الاقتصاد العالمي وذلك في سنة ١٩٩٢.
وخلال سنوات قليلة فقط ، اصبحت نسبة حصة الشركات الامريكية عام ١٩٩٨ ضعف ما كانت عليه ، وفي الوقت نفسه تقلصت نسبة ارباح الشركات اليابانية بالمقارنة مع ارباح الشركات العالمية من ٥٫١٧% سنة ١٩٩٦ إلى ٧% فقط سنة ١٩٩٨. راجع: عبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠
واذا تناولنا بالدراسة اضخم مئة اقتصاد في العالم فسنجد ان اكثر من ٥٠% فيها ممثلة في شركات ، والباقي دول . ان شركة متعولمة واحدة لديها دخل ومبيعات سنوية تفوق مجموع اجمالي الناتج القومي لتسع دول يبلغ تعداد سكانها ٥٥٠ مليون نسمة ، او ما يعادل ١٠% من تعداد السكان في العالم ، وتخضع ٢٥% من الموجودات في العالم الهيمنة ٣٠٠ شركة معولمة فقط. كما تبلغ الموجودات المجمعة لاكبر ٥٠ مصرفا تجاريا ومؤسسة مالية في العالم ما يعادل زهاء ٦٠% من الاسهم العالمية العاملة في راس المال المنتج . راجع : المصدر نفسه، ص ١٤٧ .

[3] الجابري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٧ .

[4] رستون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢.

يعلق الفن توفلر على هذه الشركات قائلا : (ان البيروقراطية في الواقع ، ضرب من الامبريالية بحكم المستعمرات الخفية المتنوعة في الشركة ٠٠ وهذه المستعمرات هي تلك المجموعات غير الرسمية والمكبوتة او السرية التي لاحصر لها والتي تعمل على انجاز الاعمال بطريقتها في أي شركة كبيرة عندما يقف التنظيم الرسمي في طريقها ٠ وكل منها يقوم بجمع كتلة فريدة ومتميزة في المعرفة ٠ يتم تنميتها وتنظيمها خارج هيكل الوحدات المتعلقة الرسمي للجهاز البيروقراطي . لكل واحدة من هذه المستعمرات قياداتها الخاصة وهيكل السلطة اللارسمي الخاص بها ، وجميعها نادر ما تعكس الهرم البيروقراطي الرسمي)[1] وعليه نرى ، ان رؤساء دول او حكومات عندما يقومون بزيارة دول اخرى ، يقومون بتشكيل وفد يتكون من رجال الاعمال وفي معيتهم مشروعات عقود كبيرة ، واصبح تقويم الزيارة ، على مدى ما قام به هؤلاء من ابرام العقود مع تلك الدول[2].

وعلى المستوى الداخلي ، ان غالبية الاحزاب السياسية الكبيرة تتلقى دعما ماليا كبيرا من شركات معينة ، والحق ان بعضا من هذه الاحزاب تمول من قبل الشركات حتى لا تكون نتيجة الانتخابات باي شيء سلبي يمكن ان يضايقها . وهكذا تحول رجال الدولة States Men الى بياعين Sales Man ، وظهرت في الولايات المتحدة دعوة قيادات الشركات الكبرى لان يتحلوا ببعض صفات رجال الدولة ، أي ان يراعوا الجوانب السياسية والاجتماعية وضرورات الاستقرار إلى جانب اهتمامهم الاصيل بتنظيم الربح[3].

والحق ، ان حجم الفساد السياسي في الدول الديمقراطية الغنية مرتبط بتراجع دور الدول وهيبة كبار المسؤولين فيها أمام متملكه الشركات الكوكبية من نفوذ وسلطان واموال تتزايد باستمرار[4].

---

[1] توفلر ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤.

[2] اسماعيل صبري عبد الله ، العرب والعولمة : العولمة والاقتصاد والتنمية العربية (العرب والكوكبة) ، في ندوة العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٣٧٤ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

تجدر الاشارة في هذا المجال ، ان الشركات متعددة الجنسية ، في تحركها في المجال الدولي ، تستعين بجهود هيئات ومؤسسات اخرى ، منها على سبيل المثال المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، وبعض الوكالات المتخصصة التابعة للامم المتحدة في مجالات التنمية والثقافة . راجع : الدكتور جلال أمين : مصدر سبق ذكره ، ص ١٩ .

وهي تساعد الشركات متعددة الجنسيات على ممارسة العولمة بصورة فعلية من خلال برامج صندوق النقد الدولي والوصايا العشر والاصلاح الهيكلي والخصخصة وشروط البنك الدولي واحكام اتفاقيات الجات ، راجع: الدكتور رسلان خضور ، الدكتور سمير ابراهيم حسن ، (مستقبل العولمة) مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ .

[4] في السبعينات عملت وكالة المخابرات المركزية الامريكية على زعزعة حكومة الليندي في تشيلي لصالح شركة ITT وغيرها من الشركات الامريكية ، وقد تم اغتياله في عام ١٩٧٦ من خلال انقلاب عسكري خططت له ومولته وكالة المخابرات ذاتها . (حصل سلفادور الليندي غوسنس ، في ٤ أيلول من العام ١٩٧٠على اغلبية الأصوات في الإنتخابات الرئاسية ، التي كانت تدور بين ثلاثة مرشحين ، ونال ٣٦٫٢ % متفوقا هكذا على المرشح الذي وصل إلى الدرجة الثانية بتسعة وثلاثين ألف صوت . ولدى مقارنة ذلك بالأصوات التي نالها في انتخابات عام ١٩٦٤ ، فهي تقل بثمانية وثلاثين وتسعة بالعشرة من مائة عما حاز عليه حينذاك ، وأدى إلى

وأما على المستوى الدولي ، فنرى أن عصر استعمار الشركات حل محل الاستعمار الذي كان يتمثل في الاحتلال الفعلي للدول الأخرى وهو أكثر جشعا ومكراً واستشراء من الاحتلال الفعلي المباشر لأنه في الغالب استعمار غير منظور[1]

أن تحركات وأنشطة الاحتكارات التجارية والصناعية والمعلوماتية والإعلامية في العالم العربي . كانت تتم إلى وقت قريب في إمكانية خرق الحدود ، وخارج الحدود السيادية للدول والمجتمعات فيما يطلق عليه Trans Border Trends أو فيما يسمى بـ فوق الإطار

هزيمته من قبل أدواردو فراي مونتالفا . ولكن في العام ١٩٧٠ فإن القانون ، حرم على فراي ، ذي الشعبية ، تجديد ولايته ، وعدد الأصوات المرتفعة ضد الليندي ، والذي قدر بمائتين وستين وسبعة بالعشرة من مائة ، كان هذا العدد موزعا بين مرشحين إثنين . وعلى البرلمان التشيلي تنظيم انتخابات أخرى للتمكن من الترجيح بين المرشحين إذا لم يحصل أحد منهم معدل الأصوات المطلوب . وبصورة تقليدية ، أنه البرلمان الذي يساند المرشح الحائز على معدل نسبي . كان الكل يتوقع هذا وأن يصبح سلفادور الليندي رئيس جمهورية تشيلي ، تجدر الإشارة في هذا المجال ، أن الليندي قد أسس حزب تشيلي الإشتراكي الذي لم يكن ليتميز عن الحزب الشيوعي سوى بالكشف عن ثوريته والقيام بأعمال يتم نعتها برنامجه ، كما أنه لم يكن أكثر ديمقراطية في فلسفته . وأراد الإستيلاء على السلطة قبل المباشرة بالثورة ، لكن البرنامج الإشتراكي والسياسي الذي كان يحدد سلفه ، لم يكن مختلفا عن برنامج الحزب الشيوعي ، والمبدأ الأساسي في برنامج الحزب ، هو إلغاء الممارسات الديمقراطية البورجوازية ، وعلى التحديد فإن انتخابه سيكون آخر انتخاب ديمقراطي . للمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع : مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، ط ٥ ، الجزء الثاني ، ترجمة خليل فريجات ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٩ ، ص ٥١٨ – ٥٢٥ ، ومذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، الجزء الرابع ، ص ١٦٨ – ٢٠٩ . وعبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٤ .

صور الروائي الفريد كوبل هذا الوضع تماما تقوم شركة دولية ضخمة بإنشاء جيش خاص بها لحماية حقول النفط في هجوم ارهابي متوقع ، وتتصرف الشركة على هذا النحو بمفردها نظرا لعدم تمكنها من حمل الحكومة التي تنتمي اليها على حماية مصالحها .

عندما احتجزت ايران ، بعض المستخدمين لدى الملياردير روس بيرو كرهائن ، لجأ إلى استئجار بعض افراد الصاعقة السابقين ليدخلوا ايران وينقذوا أولئك الرهائن : راجع: توفلر ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٩١ – ٥٩٢ .

وفي هذا المجال ، يقول توفلر (كيف تكون للمستشفى وظيفة اقتصادية فضلا عن وظيفتها العلاجية والصحية ؟ وكيف يكون للمدرسة وظيفة سياسية فضلا عن وظيفتها التعليمية ؟ أو أن الشركات وظائف اقتصادية أو غير اقتصادية) .

وفي هذا المعنى ، يقول هنري فورد الثاني : (أن الشركة أداة متخصصة مصممة لتسد الحاجات الاقتصادية للمجتمع وهي ليست مستعدة تماما لتسد الحاجات الاجتماعية غير المرتبطة بالعمليات التجارية)

ولكن من ناحية أخرى ، نرى أن هناك آراء تذهب على العكس من ذلك اذ أشارت شركة AMOCO النفطية الرائدة (أن في سياسة شركتنا ، فيما يخص مواقعها وفي تكامل التطور الاقتصادي الاعتيادي باستكشاف التبعات الاجتماعية . النظر إلى عوامل كثيرة ومن بينها التأثير على المحيط الطبيعي والتأثير على الخدمات العامة .. والتأثير على ظروف الاستخدام المحلية وخصوصا فيما يخص الأقليات) . راجع: الفن توفلر ، حضارة الموجة الثالثة ، ترجمة عصام الشيخ قاسم ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، بنغازي ، ١٩٩٠ ص ٢٥٩ ، وعبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٤ .

[1] عبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٢

الوطني أو الترابي Supralerritoriality وقد انطلقت هذه التحركات من انشاء فروع للشركات العملاقة المتعددة الجنسيات تربط الميدان الانتاجي والسلعي والخدمي ثقافيا كان او ماديا بنمط الإنتاج وشروط تقسيم العمل الدولي وتوزيع الموارد وتخصيصها واعادة توزيع الموارد التي تمتلكها هذه الشركات[1]

فضلا عن ذلك ،هناك مخاوف من التأكيد على حق الدول في تقرير المصير والدول التي تكافح من اجل الحفاظ على سيادتها الاقليمية ، وخير دليل على ذلك هو ما يحدث في يوغسلافيا السابقة واجزاء اخرى من العالم. ويصاحب ذلك التنقل المستمر للاشخاص عبر الحدود كلاجئين فضلا عن انتقال الاشخاص من الجنوب إلى الشمال. ان ثورة الاتصالات و الاصرار الكبير للاشخاص للحصول على هويات سياسية جديدة داخل وضمن الدول يؤديان إلى الانهيار وخلق دول جديدة ، وليس بروز دول قوية . لذا فإن المرحلة الحالية في هذا القرن تختلف عن المرحلة ذاتها في نهاية القرن التاسع عشر ففي القرن الماضي ، ادى انتشار الرأسمالية إلى انبثاق دول مستقلة وصاحبة سيادة . وفي المرحلة الحالية ، فإن ظهور العولمة يعني خلق دول ضعيفة ومحو الدول ، وهذا يعني بحد ذاته تباين في حقيقة العولمة في الأنظمة الرأسمالية[2]

وعلى الرغم ، من كل هذه النقاشات حول الدولة القومية ، وحول نقل السلطة وولاء الجماعات ، لا زالت الهياكل القديمة قائمة ، بل يزداد التمسك بها حقا في النظام السياسي الدولي ، ولربما حدث شيء من التآكل في قوى الدولة القومية في السنوات الاخيرة ، ولكن تبقى الدولة المصدر الرئيس للهوية الشخصية لغالبية شرائح الرأي العام المحلي ، وبصرف النظر عن ارباب العمل الذي يدفعون الضرائب للدولة ويخضعون لتشريعاتها ، وينضمون في سلك الجيش خدمة للعلم ولا يستطيعون الانتقال إلى خارج تخوم الدولة بدون جوازات سفر،

---

[1] احمد ثابت ، (العولمة والخيارات المستقلة)، المستقبل العربي، العدد ٢٤٠، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٩.

اقيمت مؤخراً ندوة في الولايات المتحدة عن العولمة ، اكد المشاركون فيها انه في عام ٢٠١٠ ستلغى الحدود بين الدول.

[2] Gupta , Rakesh , " Interdependence and Security Among States in the ١٩٩٠s, Op.Cit., ٩٤

عندما اعلن غورباتشوف عن البيروسترويكا ، تحدث البعض الاخر في الغرب عن " بيروسترويكا لامريكا لان بيروسترويكا غورباتشوف ادى الى خلق تحديات امنية جديدة بالنسبة إلى المجتمعات الغربية ، وقد واجهت المهمة الجديدة الرامية إلى خلق تنظيم للحياة السياسية اكثر شمولا واستقرار و فعالية ، فما يعد الامن مرتبطا بالقوة العسكرية وهو مشمول يعد على نطاق واسع يتضمن انحل مشكلات مثل الضرب الحاصل في طبقة الاوزون والتفوق الاجتماعي لحتمية التكنولوجيا الجديدة وخلق توازن جديد بين الاستهلاك والموارد ، بين الانسان والطبيعة ، وايجاد مجتمع حر يمكنه توسيع حجم امكانات المشتركة راجع :

Ferderich kratchwi "The Challenge of Security in a Changing World, Journal of International Affairs , vol.١٣, No. 1 Summer / fall ١٩٨٩,p.١٤١.

ولستر ثورو، المتناطحون المعركة الاقتصادية القائمة بين اليابان واوربا وامريكا ، ط٢ ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابوظبي ، ١٩٩٦ ، ص ٢٧٤.

فضلاً عن ذلك في حالة حدوث تحديات كالهجرة غير القانونية او الزراعة باساليب التكنولوجيا، يعود المواطنون نحو حكوماتهم من اجل ايجاد حلول لذلك . ولا تزال الحكومات والبرلمانات القومية تسهم في عملية القرار فيما يخص الغاء الرقابة على النقد ، والسماح باستخدام التكنولوجيا الرئيسة ، والحد من انبعاث ادخنة المصانع او دعم سياسة سكانية معينة [1].

واكثر من هذا ، حتى في حالة المساس في السيادة الاقليمية ووظائفها للتآكل نتيجة بروز القضايا المتعلقة بتجاوز الحدود القومية ، ولا سيما لم يظهر حتى الان البديل المناسب الذي يحل محل الدولة ، على اساس انها الوحدة الاساسية التي لها المكنة على الاستجابة للمتغيرات الخارجية كما انها تبقى الطريقة التي من خلالها ؛ تستعد الزعامة السياسية تهيئة مواطنيها للاستعداد من أجل الانتقال إلى القرن الحادي والعشرين [2].

فاتفاقية الجات والبنك الدولي واتفاقية التجارة الكندية – الامريكية وظهور الاتحاد الاوربي ما هي الا امثلة على العولمة ، لذا فان نظام القطب الواحد لا يعني تدمير الدول إلى حد كبير بل اجراء تغيير في طبيعة الدولة من دولة مرفهية إلى دولة ليبرالية تخدمه لاحتكار القلة[3].

احدى الوسائل الرامية إلى فهم مسألة جعل الدول تقوم بدور الشرطي تكمن في الاتكال على النظرية الاعتمادية ..والحق ان روزيناو اقترح في عام ١٩٨٠ هذه النظرية التي سبقه اليه كل من كوهين وناي .. وفي هذا المجال قال روزيناو : (يمكن القول دون اية مبالغة ان الحجم الهائل والزيادة السريعة للتجارة الدولية الرامية إلى ضمان السلام في العالم ، هو ضمان دائمي لتقدم الافكار والاعراف وسمة سباق (الانسان) وتحدث هيدلي بول عن هذا المنهج قائلا : (الايمان ان نظام العلاقات الدولية الذي ادى إلى نشوب الحرب العالمية الاولى كان بالامكان تحويله إلى نظام عالمي اكثر سلما وعدالة إلى حد كبير وباقي ذلك في ظل تأثير اضعاف الديمقراطية ونمو الفكر الدولي ، وتطوير عصبة الامم والمساعي التي يسنها رجال السلام او التنوير الذي انتشر عبر تعاليمهم فضلا عن ان مسئوليتهم كفنيين في العلاقات الدولية تختلف في دعم مسيرة التقدم هذه من اجل التغلب على اللامبالاة والتحيز والارادة الضعيفة

---

[1] بول كيندي ، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين ، مصدر سبق ذكره ، ص١٨٠.

[2] المصدر نفسه ، ص ١٨١.

لا زالت دولة الكيان الصهيوني تتدخل في قضايا الاقتصاد والمجتمع ، وبينما تسرح دول اخرى الجيوش او تخفض انفاقها على السلاح ، تتمسك هي بجيشها وتزيده قوة ، وهي لا تتلقى التوجيهات من صندوق النقد الدولي او البنك الدولي ، ولكن من ناحية اخرى تدافع عن النظام الشرق وسطي الذي هو عولمة مصغرة ؛ في الوقت الذي تفعل الدولة الصهيونية فيه عكس ذلك بالضبط ، تتمسك بايديولوجيتها ، ترفض الانفتاح على الاخر تضحي بالاعتبارات الاقتصادية اذا تعارضت مع الاهداف السياسية وتتمسك بالولاء التقليدي للامة والوطن ، وتمارس الحرب باستمرار . راجع : الدكتور جلال أمين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩–٣٠

[3] Ibid.,p.٩٥.

والمصالح الشريرة التي تقف في طريقها .

وفيما يخص الإمكانات الخلاقة لاتحاد عالمي التي اعتمدت على الرأسمالية التي تضمن السلام قد برزت إلى الافق من جديد في هذه المرحلة ، لا سلطت مرحلة ما بعد الحرب الباردة الضوء مرة ثانية على احتمالات تحقيق السلام عن طريق الاعتمادية ، واصبح من وجهات نظر هؤلاء حلف شمال الاطلسي انموذجا لتحقيق مجتمع مسالم ضمن محور حددتها العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية[1].

وهنا لا بد ان نؤكد على حقيقة معينة ، انه لايمكن التنبؤ باختفاء دور الدولة في ظل العولمة ، فقط يكون هناك تغير جوهري وواضح في الوظائف الرئيسة والتقليدية للدولة باعتبار ان بعضها في وظائفها وواجباتها بدأت تسلم للشركة متعددة الجنسيات والمؤسسات والمنظمات الدولية

ان ضعف الدول رافقه انهيار نظام ثنائي القطب بعد الحرب الباردة، وحل محله نظام احادي القطب . لقد شهدنا حدثين سابقين : أولهما عالم احادي القطب الذي يعني "انفراد قوة واحدة على الصعيد الجيوبولتيكي بالنظر الى قدراتها تعد هائلة بما فيها الكفاية لتشكيل تحالف متوازن الى حد كبير لمواجهة هذه القوة"[2].

ان إنهيار الإتحاد السوفيتي و القيادة الأمريكية في بداية التسعينات وتعددية سعي دول حلف شمال الاطلسي في الحصول على التكنولوجيا الخاصة بمبادرة الدفاع الستراتيجي SDI و الافتقار الى مجال للقيام بمناورات بين الدول المتوسطة و العالم الثالث نتيجة لإنهيار الاتحاد السوفيتي و التوجه الغربي الجديد في السياسة الخارجية لنظام يلتسين ونقاط الضعف الموجودة في حركات التحرر الوطنية كلها جعلت الولايات المتحدة القوة المهيمنة في عالم أحادي القطب هذا[3].

---

[1] Ibid., p. ٩٦ .

ان موقف الإدارة الأمريكية في التحالف السياسي العسكري لحلف شمال الاطلسي لا يتناسب مع موقف الأعضاء الاخرين في الحلف اذ ان هناك التباين بين الهيمنة الأمريكية و التعاضد الذي كان ينشده الاعضاء الاخرين ،ومن ناحية اخرى ،ان ما اشار اليه المنظرين في مجال الاعتمادية هو ان المفهوم القديم لتوازن القوى لم يعد ساري المفعول ، وان توازن القوى الجديد يعني ان توزيع القوة الاقتصادية لم يعد مقتصرا على الولايات المتحدة وان الدول ستعمل في حالة عدم وجود تكاليف اخرى على تحسين موقفها النسبي من توازن القوى . راجع : Ibid.,p.٩٨ . وفي هذا المعنى يقول جاك اتالي المستشار الاقتصادي للرئيس الفرنسي ورئيس البنك الاوربي للتعمير والتنمية EBRD في كتابه (العصر الذهبي) يرفض الأمريكيون التصديق بانهم يتخلفون عن معظم الاجزاء المتقدمة في العالم الصناعي . وبسبب هذا الاعتقاد لن يبادروا الى اجراء التغييرات اللازمة للبقاء في حلبة المنافسة وليس في مقدور احد ان يحل مشكلة يرفض الامريكيون رؤيتها) راجع: لستر ثرو ، المتناطحون المعركة الاقتصادية بين اليابان واوربا وامريكا، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤١.

[2]) Gupta , Rakesh, " Interdefendence and Security Among States in the ١٩٩٠s " Op . Cit., p.٩٩.

[3] Ibid.

ومن وجهات أنصار العولمة : ان البرجوازيين الغربيين هم اكثر نشاطاً وفاعلية من القيادات الشيوعية لحقبة السبعينات ، في كونهم قاموا بمعالجة الأزمة الاقتصادية للحقبة المذكورة و أضافوا اليها ثورة الرقائق الميكروية Micro Chip، وتضمن ايضا" على حد تعبير بانيش وميلسيباند، ان البرجوازيين الغربيين جددوا ايمانهم في التنافس و الفردية و التجارة الحرة و الاسواق الحرة و تأكيدهم الفعلي لرأيهم في الحرية بالنسبة الى حرية القيام باعمال تجارية ، وهذا يعني إصرارا متجددا لجعل العالم مثلما يروهم بالكامل[1].

والحق ، ان دول منظمة التعاون و التنمية الاقتصادية OECD حكمت على نفسها بالإخفاق ، ولكنها في الوقت نفسه قامت بدور الشرطي ازاء دول العالم الثالث مستندين في ذلك الى قوانين الرأسمالية . نتيجة لذلك ، فان العولمة أصبحت تعني ان تكون للدولة الواحدة علاقة مع اقرانها بأسلوب موقت كما هو الحال مع الانخفاض الحاصل في مهام الدولة .

وظهرت خطوة اخرى باتجاه عالم الاعتمادية في الوقت الذي توحدت فيه اوربا اقتصاديا في الخمسينات وحث ارنست هاس على ان الدولة لا تستطيع ضمان تحقيق نمو اقتصادي ما لم تتوحد مع اقتصاديات مماثلة [2].

الاعتمادية لا بد ان ينظر اليها كهيكل وعملية ، فقام كل من جوزيف ناي وروبرت كوهين بمناقشة هذين الجانبين بالاشارة إلى تجارة السبعينات و التغيرات التي طرأت في السبعينات ويقول جوزيف ناي انه كانت هناك ثلاثة اقسام في نظرية التحليل الخاصة بالقوة ، وهي قوة تتوجه بتحليل سياسة الاعتمادية معتمدة على نظرية المقايضة ، تحليل يطلق عليه (الاعتمادية المعقدة) وتأثير العمليات التي تشمل عليها ، وتحديد اربعة أنماذج عرضية للتغيير في الانظمة الدولية التي تم تعريفها على انها : (مجموعة في الترتيبات السائدة التي تؤثر على علاقات الاعتمادية)[3].

وقد اوضح جوزيف ناي التفاؤلية الليبرالية ازاء المستقبل بالنسبة إلى الاعتمادية ، واستعرض خمس إمكانات للمستقبل وحدد "الاعتمادية متعددة المستويات بثلاثة مستويات هي العسكرية والتدفق الاقتصادي وانتشار السلطة. وبناء على ذلك وضع وجهة نظره الخاصة بالليبرالية الجديدة [4].

---

[1] Ibid.

[2] Ibid.,p.٩٦.

من السمات البارزة للنظام السياسي الدولي في نهاية القرن العشرين هي الاعتمادية Interdependence التي لم تعد حديثة العهد ، إذ ترجع تاريخيا الى القرن الثامن عشر ، وقد ساهمت عوامل كثيرة إلى انبثاقها ، مما ادى إلى تحطيم الحواجز الفاصلة بين السياستين الداخلية والخارجية بسبب النمو المضطرد وفي العلاقات التجارية بين الدول إلى درجة حدت بمؤيديها ان يذهبوا إلى القول من انها شجعت المجتمعات إلى عصر ما بعد الدولة. راجع:

Holsti, K.s. Change in the International System :Boulder : Westview, ١٩٧٠ ,p.٢٢.k

Daneil S.Papp., Contemporary Interational Relations,٢nd od , New york, ١٩٨٨ ,p..٤٢,

[3] World Politics, Lexington Mass ,Toronto ١٩٨٨ .

[4] Gupta , Rakesh," Interdependence and Security Among States in the ١٩٩٠ S " ,Op.Cit,p٤٤,

وقد أشار مورتن كابلان، إلى الموضوع نفسه قائلا: نظامنا العالمي يعد نظاما يسوده الاعتمادية وتوازن القوى، وأنماذج احادية القطب يعتمد بشكل كبير علـى عوامـل النـزاع و الاعتمادية، ومما لاشك فيه ان الاعتمادية الاقتصادية لا تؤدي إلـى ايجـاد مجتمـع سياسـي متين[1]، ولا بد ان نؤكد على حقائق جوهرية فيما يخص نظام القطب الواحد ، مـن بينهـا ان السياسة الكونية تتمحور دائما حول القوة والصراع من اجلها ، وان العلاقات الدولية الراهنـة تتغير وفق البعد الثقافي . وكان الهيكل الكوني للقوة ابان الحرب الباردة يقـوم علـى القطبيـة الثنائية اما الهيكل الناشئ حاليا مختلف تماما.

بالنسبة للإدارة الامريكية ، بدأت تتباهى بالقوة الامريكية والفضيلة الامريكية ، ففـي مؤتمر قمة السبعة الكبار الذي عقد في دنفر ١٩٩٧ ، تباهى الرئيس كلينتون بنجاح الاقتصاد الأمريكي كانموذج للاخرين كما سمت وزيرة الخارجية السابقة مادلين اولبرايـت ، الولايـات المتحدة بانها (الدولة التي لا غنى عنها) وقالت اننا نقف على طولنا ، ونرى ابعد ممـا تـرى الدول الاخرى ،، وهذا القول بالمعنى الضيق الذي يفيد ان الولايات المتحدة هي مشارك لاغنى عنه في أي جهد لمعالجة المشكلات الكونية الكبيرة ، لكنه قول لا يصمد امام المناقشة العلمية ، لانه يوحي بان الدول الاخرى يمكن الاستغناء عنها ، في حين ان الولايات المتحدة تحتاج إلـى تعاون بعض البلدان الرئيسة في معالجة أية قضية ، وكذلك في القول بان الضرورة الامريكيـة هي مصدر الحكمة [2].

وقد طـرح نائب وزيـر الخارجية الامريكية ستروب تالبوت هذا البـسط المنطقـي عندما قال (في احدى صور تلك الهيمنة التي تبدو فريدة في تاريخ القـوى العظمـى ، فـان الولايات المتحدة توضح قوتها، في الحقيقة عظمتها ليس في باب قدرتها على تحقيق هيمنتهـا على الاخرين ما دامت تلك الهيمنة ، ولكن من باب قدرتها على العمل مع الاخرين في مصلحة المجتمع الدولي بشكل عام .. اذ ان السياسة الخارجية للولايات المتحدة تهدف بشكل واضـح إلى الارتقاء بالقيم الكونية وان التعريف الاكثر اختصاراً لظاهرة الهيمنة غير الخطيرة قـد ورد على لسان نائب وزير الخزانة لورانس اج سويرز عندما سمى الولايات المتحدة بالقوة العظمى الاولى غير الاستعمارية وهذه دعوى استطاعت من خلال ثلاث كلمات ان تمجد تفـرد وعفـة وقوة الولايات المتحدة) [3]

ان القادة الأمريكان ، ينصحون بزيادة نفقات الدفاع بنسبة ٥٠% لكن هذه طروحـات لا يكتب لها النجاح ، اذ ان الرأي العام الأمريكي لا يرى حاجة لتوسـيع الجهـود والمـوارد لتحقيق الهيمنة الامريكية ، ففي احد استطلاعات الرأي في عام ١٩٩٧ فضل ١٣% فقط مـن مجموع الذين استطلعت آراؤهم وجود دور بارز للولايات المتحدة في شؤون العالم ، بينما قال

---

[1] Moroton kaplan ,"Apoor boy'sJourney " in Joseph kurzel and James N. Rosenau , Foreign Affairs , September/October , ١٩٩٣ , p.٤٤.

[2] Ibid .,p.٣٧.

[3] Ibid.,p٣٨., Stribe Talbalt , Globalization and Diplomacy : Apractitioners perspective , Foreign policy , No, ١٠٨, full ١٩٩٧ , pp.٧٥- ٧٨.

٧٤% انهم يريدون ان تشارك الولايات المتحدة في القوة مع بقية العالم [1] وقد اظهرت العمليات الاخرى لاستطلاع الآراء نتائج متشابهة : فعدم الاهتمام الشعبي بالشؤون الدولية هو مسألة واضحة ، إذ ان ٥٥% – ٦٦% من الراي العام يقولون ان ما يحدث في اوربا الغربية وآسيا والمكسيك ليس له تأثير قليل او ليس له اثر بالمرة على حياتنا . وعلى الرغم من الكثير من اعضاء نخبة السياسة الخارجية ربما يتجاهلون ذلك او يشجبون فان الولايات المتحدة تفتقر إلى القاعدة السياسية المحلية اللازمة لإقامة عالم احادي القطب [2]

ومن ناحية اخرى : انه في حالة حديثنا عن العولمة الأمريكية ، لابد من التأكيد على الطابع القومي الأمريكي ، اذ ان لهذا الطابع جانبين هما: الثقافة والعقيدة ، وفيما يخص بالاولى نرى ان قيم المستوطنين الاوائل من الاوربيين الشماليين البريطانيين المسيحيين البروتستانت الذين يتحدثون الانكليزية ، وعبر ثلاثة قرون استطاع المهاجرون من غربي اوربا ووسطها وشرقيها ان يتمثلوا ضمن هذه الثقافة ، ولكن تمثل السود كان اضيق وابطا[3] واما العقيدة فهي

---

[1] Ibid., p.٣٩.

[2] دعا احد الدبلوماسيين اليابانيين المعروفين وهو السفير هيساشي اوادا Hisashi Owada بعد الحرب العالمية الثانية ، الولايات المتحدة إلى انتهاج سياسة (الكونية الاحادية الجانب) وذلك بتقديم مدفع عامة على شكل من معارضة الشيوعية واقتصاد كوني مفتوح ومساعدات للتنمية الاقتصادية ومؤسسات دولية القوى، راجع:
Ibid., p.٤٢

[3] كرست الهجرة والتعددية الثقافية في الولايات المتحدة دور الاقليات العرقية في صنع السياسة الخارجية ، فافراد الأقليات وتطور وسائل النقل والاتصال تحولت الجماعات الثقافية إلى شتات Diaspora داخل المجتمع الأمريكي ولا تتعرض لأية ضغوط من اجل الاندماج الثقافي ولا تجد اية فائدة فيه .
جماعات الشتات هذه تدعم حكوماتها الام ، بعكسها في السابق . فالاقلية الصينية تدفع باتجاه مرونة أمريكية اكبر اتجاه الصين الشعبية اذ حلت الثقافة القومية محل الايديولوجيا في تاليف مواقف الشتات.
وتوفر الشتات فوائد جمة لوطنها الام اقتصاديا وعسكريا وسياسيا واستخباريا ، يقدم اليهود الامريكان (٤) مليارات دولار سنويا للكيان الصهيوني . (تلعب الديانة دورا غامضا في حياة اليهود الأمريكيين . ففي دراسة شاملة اجريت عام ١٩٩٠ واشرف عليها مجلس الاتحادات اليهودية CPF لغاء ٤/٣ عينة البحث (الذين كانوا التصنيف اليهودية في مقابل الجنسية او الثقافة واجاب ٤٠% بانهم ينتمون للمعابد اليهودية (ولكن ربما تصل النسبة الحقيقية للانتساب للمعبد إلى ما يقارب ٥٠% وقد اوضحت دراسة اجرتها لجنة يهود الولايات المتحدة عام ١٩٨٩ ان ٨٢% من اليهود يعتقدون على سبيل القطع او الاحتمال بوجود الله . ولكن ٤٧% فقط قالوا ان الله يستجيب لصلواتهم ، وقال ان ٤١% ان الله يتدخل في خط سير الحياة الانسانية . اما غير اليهود الامريكيين فتزداد نسبة اجاباتهم المماثلة إلى الضعف فيما يخص القضايا نفسها راجع :
J.J. Goldbery, Jewish Power Inside the American Jewish Establishmet, U.S.A., ١٩٩٨,p.٣٨.
اهم من ذلك ، نرى أن الشتات توجه السياسة الأمريكية في خدمة مصالح بلدانهم بما تملكه من وعي بالذات وشرعية ونفوذ سياسي : في السياسة الأمريكية تجاه اليونان وتركيا والقوقاز ومقدونيا وكرواتيا و جنوب افريقيا وهايتي وتوسيع حلف الاطلسي وكوريا وايرلندا الشمالية والكيان الصهيوني ، راجع :
Hutington, Samuelp., The Erosion of American National Interests" Foreign Affairs, Vol: ٧٦, No:٥; pp. ٢٩–٤٠.

وفيما يخص العولمة ، والصراعات الاثنية والعرقية،راجع:

Foreign Policy , Summer ١٩٩٨, pp.١٣–٢٠.

الأفكار والمبادئ المثبتة في الوثائق المؤسسة للدولة الأمريكية وتتلخص في الحرية والمساواة والديمقراطية و الدستورية والحكومة المحدودة والعمل الخاص. ولكن انتهاء الحرب الباردة والتغييرات الاجتماعية والفكرية والسكانية وضعت على "الأفق ارجحية هنين الجانبين . وبذلك لم يعد الأمريكان قادرين على تحديد مصالحهم القومية . وغدت المصالح التجارية والمصالح المتغيرة للاقليات العرقية تهيمن على السياسة الخارجية[١]

وفي هذا المجال يقول هنتغتون : (ان القوى الداخلية تدفع باتجاه الاختلاف والتنوع والتعددية الثقافية والانقسامات العرقية والعنصرية. لهذه الاسباب تحتاج الولايات المتحدة اكثر من غيرها إلى عدو يصون وحدتها [٢]

ومن وجهة نظرنا ، انه بالامكان مناقشة هذا الطرح ، لانه يخلط بين الظواهر ويحاول تصوير "الامور على غير حقيقتها" فالولايات المتحدة لا تحتاج إلى عدو لكي يصون وحدتها . ومن جانب اخر ان الولايات المتحدة تحتاج إلى عدو ، لان اجهزتها العسكرية والإستخبارية والسياسية والاعلامية الضخمة مصممة ومعدة اساسا لمواجهة عدو.

وهنا لابد من اثارة تساؤلات عديدة ، كم من الوقت ستصمد العقيدة الأمريكية في غياب ايديولوجيا منافسة؟ ان الانتصار الديمقراطي هو اكثر الاحداث اذى واقلاقا للولايات المتحدة [٣]

عاملان داخليان ساعدا في هذا التأثير التفكيكي لانتهاء الحرب الباردة : الهجرة و التعددية الثقافية . لقد اخذت الهجرة تغير التكوين العنصري والديني والعرقي للولايات المتحدة ، فالمهاجرون البيض في الأصول غير الهسبانية ان يزيدوا عن النصف الا قليلا، ويبلغ السود ١٤% والاسيويون ٨% بينما يزيد المسلمون على اعضاء الكنيسة البروتستانية[٤]

وفي خضم ذلك ، اتجهت الولايات المتحدة إلى المصالح التجارية والعرقية ، وتحولت المؤسسات والامكانات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاستخبارية لخدمة اغراض ثانوية وعابرة وغير قومية ، يظن العديدون في الإدارة والكونغرس والخارجية ان التجارة اداة بيد السياسة الخارجية والحقيقة ان السياسة الخارجية موضوعة لخدمة الاهداف التجارية فعقد الصفقات هو اسم لعبة السياسة الخارجية الان[٥]

وفي هذا المعنى يقول سالنجر : " لقد غدت سياستنا الخارجية غير متناسقة بالكاد تليق بقوة عظمى[٦].

ان فكرة منطقة السلام تنطوي على اسطورة راسخة في الاذهان وهي اسطورة التبعية السلمية المتبادلة . يمكن جيدا للخبير الاقتصاديين وغيرهم ان يعرفوا ان الصراع العسكري

---

[١] Huntingston .Samuel p., " The Erosion of American National Interests" Op. Cit., P.٢٩.
[٢] Ibid .,pp.٣١-٣٢.
[٣] Ibid.,p.٣٢.
[٤] Ibid., p.٣٣.
[٥] Ibid., p.٣٧.
[٦] Ibid., p.٤٦.

يتراجع عندما تزداد التبعية المتبادلة او المالية بين الامم ، ويعطون مثلا على ذلك المانيا وبريطانيا اللتين كانتا خصمين بالامس وتعيشان في سلام في الوقت الحاضر ، لانه من المشاهد انه حين نشبت الحرب بينهما في ١٩١٤ كانتا اهم شريكين تجاريين الواحدة للاخرى[١].

وهناك امثلة اخرى في هذا المجال ، فبعض القرارات التي يتخذها مجلس النواب الياباني يمكن ان يكون لها تأثير على عمال صناعة السيارات الأمريكية أو استثمارات البناء في الولايات المتحدة ، اكثر من قرارات الكونغرس نفسه ، والعكس بالعكس . وازدهار الانسجة المصرية في الولايات المتحدة يهدد مبدئيا بخفض اسعار النحاس . ويمكن لقوانين حماية البيئة التي في زامبيا التي تعتمد مداخيل ميزانياتها على النحاس . ويمكن لقوانين حماية البيئة التي تم الاقتراح عليها في البرازيل ان تؤثر على اسعار الخشب والورق وعلى حياة حطابي ماليزيا وهو ما يهدد بدوره بتغيير العلاقات السياسية بين الحكومة المركزية والجماعات المؤثرة في مختلف المناطق [٢].

كلما ازداد الارتهان المتبادل ازداد تورط المعيشة ، وتصبح العواقب اكثر تعقيدا وتشعبا . لقد اصبحت العلاقات المتبادلة مشوشة تماما ومعقدة ، بحيث اصبح شبه مستحيل بالنسبة إلى رجال السياسة والخبراء اللامعين جدا ان يقيسوا نتائج الدرجة الاولى والثانية لقراراتهم[٣].

باختصار ، التبعية المتبادلة لا تجعل بالضرورة العالم اكثر امنا ، وانما تفعل احيانا عكس ذلك . ان كلا من المسلمات التي تقوم عليها فرضية منطقة السلام ، كالنمو الاقتصادي ، وعدم امكانية انتهاك الحدود ، والاستقرار السياسي ، والوقت الكافي للمفاوضات والمشاورات وفاعلية المنظمات والمؤسسات الدولية ، كلها تبعث على الريبة للغاية [٤].

ان القرن المقبل من الممكن ان يكون مقترنا بمشكلات من شأنها حدوث اضطرابات شديدة في خضم حضارة السرعة وانتشار الاسلحة ، كل هذه الامور توضح ان القرن القادم مقبل ليس على منطقة سلام جيواقتصادية وعلى نظام عالمي جديد ومستقر او منطقة سلام اوربية وانما على صعود مخاطر الحرب . وهي مخاطر تكتنف بالقوى العظمى نفسها اكثر ما تكتنف بالوحدات الصغيرة في العلاقات الدولية[٥].

وفي هذا المجال يقول بريجنسكي ، ان الأمبراطوريات بشكل مستمر ، يعوزها الإستقرار لان وحداتها التابعة تميل دائما إلى تفضيل الاستقلالية ، وتعمل النخبة المضادة دائما

---

[١] الفن وهايدي توفلر ، الحرب والحرب المضادة الحفاظ على الحياة في القرن المقبل ، ترجمة د. صلاح عبدالله ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، بنغازي ، ١٩٩٥ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٣٠٩.

[٣] المصدر نفسه ، ص ٣٠٩.

[٤] المصدر نفسه ، ص ٣١٠ .

[٥] المصدر نفسه ، ص ٣١٠

في هذه الوحدات لتحقيق ذلك الهدف عند سنوح الفرصة ، ولذلك فهو يرى أن الإمبراطوريات لا تسقط بل تتفكك ببطء ، ولكن في بعض الحالات بسرعة كبيرة [١].

وفي تعزيز هذا الرأي طرح بريجنسكي مناقشة الأنموذج الروماني (الامبراطورية الرومانية) باحثا عن أوجه التشابه للولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي مستعرضا التحديات التي تعرضت لها الامبراطورية الرومانية في قرطاج ومن الامبراطورية الفارسية ، ويلخص إلى ثلاثة أسباب ينتج عنها انهيار الامبراطورية الرومانية أولها سعتها الكبيرة التي لم تجعل من الممكن حكمها في مركز واحد ، وهكذا كان شطرها إلى قسمين جعلت النخبة تميل نحو المتعة بدلا من العظمة وثانيها المدة الطويلة للسيطرة الامبراطورية جعلت من الصعوبة بمكان السيطرة على الرقعة الجغرافية الواسعة التي كانت في حوزتها وثالثها التضخم المستمر الذي سبب تلاف قدرة المجتمع لا دامة نفسه دون التضحية الاجتماعية التي لم يكن المواطنون الآن مستعدين لتقديمها ، وهكذا فإن الانحلال الثقافي والانقسام السياسي والتضخم المالي تعاونت على جعل روما ضعيفة حتى تجاه البرابرة على حدودها ، ويسحب بريجنسكي كل تلك القناعات إلى العصر الراهن ، مرورا بالامبراطورية الصينية والاستعمار الأوربي والسيادة البريطانية وصولا إلى السيادة الكونية الأمريكية [٢].

جـ – العولمة والثورة المعلوماتية:

تعرف المعرفة بأنها (الاطلاع على الوقائع والحقائق والمبادئ عن طريق الدراسة أو البحث ويمكننا أن نعد المعرفة على أنها ما نطبقه على العمل في انتاج الثروة ، والمعرفة هي المصدر النهائي للقيمة في عمل[٣].

في موضوع الجانب الثقافي للعولمة ، هناك اتفاق في الآراء على أن العولمة تعد من الأسلحة الرئيسة في التأكيد على الازدواجية وانقسام الهوية الثقافية الوطنية ،لأن الأخيرة لا تصمد أمام ضغوط البيئة الخارجية في حالة ضعف مؤسسات البيئة الداخلية ، ولاسيما إذا عرفنا أن الثقافة التي تعود إلى التقاليد الاجتماعية غدت سلعة مادية في سوق يطغى عليها الأقوى من الناحية التقنية [٤] أن الجانب الثقافي للعولمة ، يعود إلى التطور الهائل في وسائل الاتصال والتقنية الاعلامية وشبكة المعلومات والانترنيت واضمحلال امكانية الدولة على الرقابة والمنع أو استمرار سيطرتها على الثقافة والإعلام ، والانتقال في ثقافة الطباعة والكتاب والصحافة المكتوبة إلى ثقافة التلفزيون والانترنيت ، وخضوع الثقافة إلى المعايير نفسها في المجال الاقتصادي ، ذلك أن الاعلانات التجارية أصبحت هي المهيمنة على وسائل الإعلام[٥] وقد شرع في الولايات المتحدة تشريع حرية المعلومات الذي دخل حيز التنفيذ في عام ١٩٦٦،

---

[١] Brzenzinski, Op. Cit., p. ١٠

[٢] Ibid.,pp. ١٠-٣٤

[٣] رستون ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦.

[٤] اسامه امين الخولي ، (في مقدمة العرب والعولمة) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩ . وبحث د.المترتو (تأثير ثورة المعلومات على الاقتصاد وأسواق المال) في بحوث المؤتمر السنوي الثالث، (ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في المجتمع والدولة في العالم العربي) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٣ .

[٥] الدكتور رسلان خضور ، الدكتور سمير ابراهيم حسن، (مستقبل العولمة) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨.

وسرعان ما شاع هذا المفهوم في بقية الأقطار المتقدمة[1] عزز هذا الرأي ، ما ذهب اليه غورباتشوف في الكلمة التي ألقاها امام اللجنة المركزية في ٥ شباط ١٩٩٠ ، عندما قال (ان الرأسمالية القائمة على الحساب الآلي وليس رأسمالية الصناعات ذات المداخن هي التي حققت بـ(القفزة النوعية) إلى امام وبانتشار الثورة الحقيقية في اقطار التقنية المتقدمة اضحت البلدان الشيوعية في الواقع كتلة موغلة في الرجعية يقودها رجال مسنون متشربون بلاهوتية القرن التاسع عشر [2] ان حكومة الإتحاد السوفيتي كانت تحتكر المعلومات ، وحيث كان حتى الناتج القومي الاجمالي رقماً سرياً فقد كبل نفسه فلو اراد الكرملين مواكبة العالم الغربي لكان عليه ان يسمح للمواطنين المشاركة في ثورة المعلومات[3] يقول غورباتشوف في هذا الصدد : (ان الاتحاد السوفيتي في انحدار روحي ، وكان علينا ان ندفع ثمن هذا بالتخلف ، وسندفع هذا الثمن لوقت طويل فقد كنا من يدرك ان اهم الموجودات في عصر علم المعلومات هو المعرفة اتساع النظرية الفعلية والخيال الخلاق [4] لذ يمكننا القول ان العولمة هي الثورة التكنولوجية الاكثر تأثيراً على مسارات الامة والشعوب من أي ثورة اخرى سجلها التاريخ على الاطلاق وهي حسب Alain Minc الفرنسي في كتابه عن العولمة السعيدة . قد عدها بالنسبة لفرنسا هي المستقبل بعينه والمصير نفسه بالنسبة للشعوب كافة [5].

كانت احدى النتائج العديدة للثورة المعلوماتية الحلول السريعة للبرمجة والانسان الآلي محل الأيدي العاملة ، وتحل ثقافة المعلوماتية محل الانسان بالطريقة ذاتها التي حلت الآلة محل الجهود البشرية كقوة محركة خلال القرن التاسع عشر ، وعليه نرى ان الحاسوب حل محل عدد كبير من مديري البنوك وموظفيها بالآلة الحاسبة [6] ومن النتائج الاخرى للثورة المعلوماتية ، الأقمار الصناعية، التي جعلت الحدود قابلة للاختراق كليا امام المعلومات، فالأقمار

---

[1] ألفن توفلر ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨٥ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٥٣٤ .

تبين حملات انتخاب العديد من المرشحين لمجلس نواب الشعب في عهد غورباتشوف انه كانت هناك قرى في الاتحاد السوفيتي السابق كانت تفتقر إلى وسائل الاتصال الرئيسة مثل خطوط الهاتف التقليدي : راجع Gupta , Rakesh, Interdenpendence and Security Among Stats in the ١٩٩٠ s , Op.Cit., :

[3] رسكون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ .

[4] المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

[5] الدكتور عبد الجليل التميمي ، " اية استراتيجية للهوية القومية تجاه العولمة " ، في ندوة التاريخ الاسلامي وازمة الهوية " ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤.

[6] انطوان زحلان ، (العولمة والتطور الثقافي) في العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٨٤، و ألفن توفلر ، خرائط المستقبل، ترجمة اسعد صقر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٧، ص ٩٠-٩٧

الحاسوب Ordinateur آلة جديدة يجمع عدد من المعالجات الصغرية ويجعلها تعمل وفقا لخطة معقدة بمردود متزايد جدا، راجع : الثالي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨.، وبحث المؤتمر السنوي الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ٨١ - ٨٢.

هناك انواع ثلاثة لأجهزة الانسان الآلي : الصناعي والميداني والذكي . فالنوع الاول عبارة عن الات ثابتة مزودة بمعالجات وموجهة لاداء مهمات مختلفة بصورة تلقائية مثل لحام اماكن محددة او الدهان عن طريق الرش . اما الانسان الآلي الميداني مصمم للعمل في بيئة غير هيكلية، وهي مزودة بمحسات تسمح لها بالحركة والتعامل مع مشكلة ما، وهي غالبا تستخدم في عمليات صعبة للغاية، او خطيرة على حياة الانسان كاعمال المناجم ومكافحة الحرائق ومعالجة التلوث في المصانع والاعمال التي تجري في اعماق البحار ، اما البعض الاخر فيتم توجيهه باسلوب التحكم اللاسلكي عن بعد. اما الانسان الآلي الذكي: هو عبارة عن الة تجريبية تعمل بالكومبيوتر ومصممة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في معالجة المشكلات تماما كما يفعل الانسان. راجع: بول كيندي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٧ - ١١٨.

الصناعية تبث الأخبار فوق ستائر حديد أو خيزران متجاوزة المراقبين الحكوميين إلى كل من لديه راديو ترانسستور يدوي. وهذا يعني ومن وجهة نظر دعاة العولمة أن وسائل الإعلام الغربية العالمية ومن خلال هذه الأدوات حولت العالم إلى قرية صغيرة لأن المعلومات أصبحت متاحة للجميع[1] لقد كان أحد الامتيازات الأساسية التي تتولاها الحكومات ملاحقة مصالحها عن طريق شن حرب، أما اليوم فإن هذا الامتياز مقيد كثيراً" بتقنية المعلومات فالذي عاصر التجربة الأمريكية في فيتنام، يدرك التأثير الكبير لجهاز التلفزيون في إخفاق هذه الحكومة في جنوب شرق آسيا، إن المعرفة بأن حرب فيتنام أدت إلى موت عنيف هو شيء، لكن مشاهدة مجزرة معركة أو أكياس جثث الموتى تم انزالها في قاعدة دوفر الجوية ومن خلال جهاز التلفزيون في بيت الأسرة الصغيرة هو شيء آخر تماماً[2] إن القمر الصناعي رغم كل معجزته، لم يكن إلا

---

[1] نحن والعولمة ... من يربي الآخر، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

[2] رستون، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤-٢٥ قارن مع لورو، مستقبل الرأسمالية، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨.

انتشر في هذا العالم أكثر من ٦٠٠ مليون جهاز تلفزيوني، وأصبح الفرد على تماس مباشر على مجريات الأمور في هذا العالم المتنامي الأطراف. وأصبح من الصعوبة بمكان على الدول ذات الأنظمة الشمولية أن تخفي شعوبها بعيداً عن ذلك. فما أن حدث انفجار تشرنوبيل حتى كان قمر صناعي (تجاري) فرنسي له بالمرصاد، فالتقط صور الانفجار بالسرعة الممكنة وتم بث الفلم المصور في العالم كافة بما في ذلك الاتحاد السوفيتي. إن حملة القمع التي قامت بها حكومة بكين ضد الطلاب في ميدان تيانانمن والصدمة التي اجتاحت العالم جراء ذلك، فسرعان ما تم تسريبه للصينيين بوساطة الإذاعة والتلفزيون وأجهزة الفاكس.

أطلقت الولايات المتحدة على حوادث ميدان تيانانمن بمذبحة الأبرياء والتي حدثت في ٣ حزيران، الميدان الذي مارس فيه الجيش القتل. وقد مثل هذا الميدان قدرة ثورة الاتصالات الكونية على توجيه السياسة. فلم يشهد الأمريكيون منذ حرب فيتنام مثل هذه الصور المأساوية في حجرات المعيشة. وعلى نقيض فيتنام حيث كانت الأنباء تتأخر في الغالب لساعات أو لأيام في بعض الأحيان. كانت مذبحة بكين تلتقط حية وتبث على الفور عبر القمر الصناعي. ومنذ ذلك الحين بات تغطية الأخبار شاهد عيان أمراً شائعاً. ففي العراق والبوسنة والصومال ورواندا والشيشان وأماكن أخرى أسهمت التغطية الحية لنواحي الصراع من جانب ووسائل الإعلام الالكترونية في خلق ضرورة قوية تدفع للقيام بعمل فوري وهي تغطية لم تكن متوفرة في أوقات أقل حدة. وفي الخامس من حزيران أعلن الرئيس بوش الأب فرض عقوبات ضد الحكومة الصينية واشتملت تلك العقوبات تعليق المبيعات العسكرية الأمريكية ووقف الزيارات بين القادة العسكريين والصينيين كافة، فضلاً عن ذلك فقد وجه الدعوة تقريباً للطلبة والدارسين الصينيين في الولايات المتحدة أن يطلبوا تأجيل عودتهم معلناً أن مثل هذه الطلبات ستحظى بمراجعة متعاطفة. وصرح للصحفيين: ((إن الولايات المتحدة لن تصفح عن هذا القمع أو يمكنها تجاهل عواقب هذا القمع على علاقاتنا مع الصين الشعبية)). كما تم تعليق الزيارة المقرر أن يقوم بها وزير الخارجية الصيني لواشنطن في الثاني عشر من حزيران، وترحيل أفراد عائلات الدبلوماسيين الأمريكيين العاملين في الصين الشعبية والطلب من ٨٨٠٠ مواطن أمريكي يقيمون فيها مغادرتها على الفور. وبالرغم من نتائج استطلاعات الرأي العام التي أظهرت تأييداً لنهج الوسط للرئيس بفارق كبير، أصر الكونغرس على المطالبة باتخاذ إجراءات أشد. وفي الثلاثين من حزيران وافق مجلس النواب على تعديل لمشروع قانون سلطة التفويض في الشؤون الخارجية وفرض عقوبات إضافية على الصين الشعبية بأغلبية ٤١٨ صوتاً دون اعتراض وفي تموز حذا مجلس الشيوخ حذو مجلس النواب بإصدار تشريع مماثل بأغلبية ٨١ ضد ١٠ أصوات، وكان فارق الأصوات كاسحاً لدرجة بات معها من المستحيل أن يستخدم الرئيس الفيتو على القانون على مضض. راجع: جيمس بيكر، سياسة الدبلوماسية، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩، ص١٤٩-١٦٠.

ويؤدي حدوث كارثة شديدة كالمجاعة التي اجتاحت أثيوبيا في عام ١٩٨٥ إلى ردود فعل شعبية واسعة النطاق عن دول الشمال من قبل المشاهدين الذين يحيطون بها الخوف الشديد جراء صور المجاعة التي تبثها أجهزة التلفزة.

وفيما كانت الأنظمة الشمولية في الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية تعاني الضعف والتحور والانهيار في نهاية عام ١٩٨٩، كانت التقارير والصور الناقلة لانهيار كل حكومة من هذه الحكومات تثير أحداثاً متشابهة في الدول المجاورة. راجع: بول كيندي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥-٨٨.

مجموعة فرعية من ملامح المعرفة التي ترتبط بتقانة المعلومات[1] ان احدى النتائج الرئيسة للثورة الصناعية الثالثة هي ان عدد الوظائف المتوفرة للعمال غير المهرة اخذت في الاختفاء بسرعة ، وحتى الاعمال المنزلية بحاجة في الوقت الحاضر إلى مستوى عال في التعليم[2] وفي هذا المجال من المتوقع ان تكون للعولمة من دور في نقل البطالة من بلد إلى اخر ، وتصدير البطالة إلى الدول ذات المستويات المنخفضة في الاستثمار في الموارد البشرية . يقدم لنا ريفكن احصائية عن عدد العمال العاطلين في العالم التي تتحدد في ٨٠٠ مليون عاطل[3].

ان استثمارات الولايات المتحدة الخارجية لم تعد تجتذبها العمالة الرخيصة ٧٦% من اجمالي الاستثمارات الأمريكية الخارجية في عام ١٩٩٦ كانت في دول مرتفعة الاجور[4].

وقد ذهب دبليورشرام إلى ان هناك اتجاهات جديدة بخصوص مستقبل عصر المعلومات[5] هي :

١- زيادة المعلومات السريعة التي بامكانها ان تؤدي إلى زيادة فرص الاعمال المعلوماتية .
٢- سرعة العمل في الحصول على المعلومات .
٣- عمليات الاتصال المستمرة عبر المسافات الطويلة من اجل اللقاء بين الثقافات المختلفة.
٤- زيادة مجال الاتصالات من نقطة إلى نقطة اكثر من الاتصال في نقطة إلى اتصال جماهيري ، مما يؤدي في انتاج رسائل ارخص واسهل واكثر ملاءمة لمتطلبات المستهلكين.

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٦.

[2] انطوان زحلان ، العولمة والتطور الثقافي ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٤ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٨٤ .

[4] المصدر نفسه ، ص ٨٥ .
لم تكن هناك مواكبة من الأقطار العربية مع الثورة المعلوماتية ، وعلى سبيل المثال فأن حصة الزراعة في مصر ٩,٣٩ % وفي المغرب ٤,٣٤% وفي عمان ٥,٤٤% وفي تونس ٣,٢٦% وفي الصين ٢,٧٠% فضلا عن ذلك ، ان هناك في الاقطار العربية بيروقراطيات حكومية غير كفوءة علما ان الحصة العالمية للخدمات في الأقطار العربية لاتعكس اقتصادا علميا حديثا الذي يقوم على تقانة المعلومات . وهذا يعني من جانب اخر ، ان الأقطار العربية تعاني عددا فائضا من الموظفين في وظائف متدنية الكفاءة ومنخفضة القيمة في قطاع الخدمات ، فضلا عن ذلك ان التحصيل العلمي للعمالة العربية لا يعدها لمنافسة دولية . راجع : المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

[5] احمد ثابت ، (العولمة والخيارات المستقلة) ، مصدر سبق ذكره ، ص وكالة المشاريع المتقدمة ARPA التابعة للبنتاغون الامريكي شبكة (اربانيت) للربط بين الجامعات ومراكز البحوث الأمريكية من اجل الاستمرار في التواصل بين العلماء ومتخذي القرار العسكري السياسي في حالة قيام السوفيت بضربة نووية مفاجئة وقد اصبحت نواة الشبكة في بداية عام ١٩٦٩ للربط بين المركز الوطني للبحوث التابع لجامعة ستانفورد وجامعة كاليفورنيا في لوس انجلس وجامعة كاليفورنيا في مدينة سانتاباربارا وجامعة ولاية يوتا ومن المتوقع ان يصل حجم الانترنيت إلى مليار مشترك في مطلع عام ٢٠٠٠ . راجع : نبيل علي ، ثورة المعلومات الجوانب الثقافية (التكنولوجية) في العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ١١٦ ، واليوم ترسل شركة التلفون والتلغراف الأمريكية ATQT المعلومات بين شيكاغو والساحل الشرقي بمعدل ٦,٣ مليارابيت gigabit) ما يعادل الف كتاب) في الثانية وبهذه السرعة يمكن ارسال جميع مكتبة الكونغرس خلال اربع وعشرين ساعة اما باستعمال اسلاك النحاس التقليدي و ٢٤٠٠ بالوبوند ، وبموجب ذلك يحتاج الانسان إلى الفي عام . راجع : رمضون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤ ، والدكتور رسلان خضور ، والدكتور سمير ابراهيم حسن ، (مستقبل العولمة) ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧.

٥- قيام أجهزة الكومبيوتر بمهمات كانت قاصرة على الناس.

٦- ازدياد نفوذ العاملين وقوتهم في مجالات جمع وتخزين واسترجاع ومعالجة المعلومات بكفاءة وقد بلغت السيطرة الامريكية في المجالات الاعلامية في دول صناعية متقدمة مثل كندا حداً أن أشار بعض الخبراء إلى أن الاطفال الكنديين الذين يشاهدون باستمرار البرامج الامريكية إلى حد لم يدركوا أنهم كنديون[1].

وفي المعنى نفسه ، يقول بريجنسكي : "بأن الولايات المتحدة هي المركز الفكري للعالم ، مركز الفنون والعلوم والاقتصاد ومخبره الاجتماعي ، بل أن سيطرة الولايات المتحدة على السينما والتلفزة والوسائل السمعية والبصرية هو أكثر تأثيراً ومردوداً مما تنتجه صناعة الطيران مثلاً لديها ، وأن ٨٨% فيلم الأكثر مشاهدة عبر عام ١٩٩٣ كانت افلاماً امريكية بحتة[2].

أشار في هذا المجال الباحث الفرنسي مارك اوجيه في كتابه حرب الاحلام المخاطر الناجمة من التقدم السريع في مجال البث الفضائي المباشر للصور والأفلام في واقع الاحداث مباشرة ، وقد أطلق عليه تسمية (غزو الصور) وفي هذا المعنى يشير المفكر الفرنسي جي سورمان إلى أنه من الضروري أخذ الحذر ازاء المعنى الجديد للعولمة لسبب رئيس هو انه من الصعوبة بمكان اخضاع ما هو انساني لنظرة احادية مهما كانت قوة حضورها الواقعي [3].

وقد حدثت بعض التغييرات الأساسية في طبيعة تكنولوجيا الاتصالات خلال نهاية الحرب العالمية الثانية من حيث تزايد نسبة المصادر المرسلة والمستقبلة ؛ بمعنى أن بعض الرسائل تبث من قناة واحدة مثل جهاز الهاتف ، واستلامها من مستقبل واحد ، أو من مرسل واحد كالتلفزيون واستلامها من مجموعة من المستقبلين . أما في الوقت الحاضر فان الإرسال له مصادر متعددة لمستقبلين عدة ، الأمر الذي يؤدي إلى جانب من التعقيد في التفاعل بين الجماعات الإجتماعية المختلفة ، ونشوء ظواهر جديدة في المجتمع المدني تتجاوز التخوم الجغرافية والهوية القومية[4].

---

[1] احمد ثابت ، (العولمة والخيارات المستقبلة) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠.

[2] الدكتور عبد الجليل التميمي " أية استراتيجية للهوية القومية تجاه العولمة ؟ مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥.

[3] المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

هناك ٥٣٠ مليون جهاز مذياع محمول في العالم ، وارتفع العدد عام ١٩٩٠ ليصل إلى ما يقارب ٢,٠ مليار جهاز ، وخلال المدة نفسها ، ارتفعت اعداد اجهزة التلفاز من ١٨٠ مليون إلى اكثر من مليار جهاز. اما الاهمية السياسية الاكثر فتنطوي في حقيقة أن ٨٠% من الإعداد المشار اليها اعلاه كانت موجودة في أمريكا الشمالية واوربا ، ثم انخفضت إلى ٥٥% عام ١٩٩٠ . راجع: زبغنيو بريجنسكي ، الفوضى الإضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥١ .

أما فيما يخص جهاز التلفزيون ، فان البرامج التي يراها المشاهدون اكثر في التلفاز الأمريكي تلك التي تظهر أمر لا يعزز قدرة الوالدين في نقل القيم إلى ابنائهم .. ، راجع المصدر نفسه، ص ٩٧.

قارن مع الدكتور جلال أمين ، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨-٩٠ .

[4] ابحاث المؤتمر السنوي الثالث (ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في المجتمع والدولة في العالم العربي)، ٤-٧ يناير ١٩٩٧ ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ١٩٩٧ ، ص ٦٨ .

وفي هذا المجال ، تنبأ فوكوياما ، في ان تقانة المعلومات ستلحق تأثيرات اربعة على النظام الدولي والتي تتركز في :[1]

١- اضعاف النظم الحاكمة الشمولية ، وشيوع الديمقراطية على المستوى الكوني ، الامر الذي يعزز مصالح السياسة الخارجية الامريكية ومن خلال بث المبادئ الديمقراطية في العالم .

٢- تآكل السيادة القومية وتشتت السلطة المركزية ، والمثال على ذلك انحسار السلطة المركزية في السياسات النقدية . كما تتأثر السياسات الخارجية وعملية صنع القرار ، عندما تأخذ تحت الاعتبار دور الشبكات الاخبارية العالمية ، لاسيما CNN.

٣- تغير طبيعة القوة ومفهومها . ومن وجهة نظر فوكوياما ، بتفوق العناصر المعززة على الموارد التقليدية للثروة ، وفي هذا المجال فان تقانة المعلومات تقف على صف واحد مع المعنى التقليدي للقوة في المجتمعات المتقدمة . ويتحدث فوكوياما عن اشاعة الديمقراطية في العالم التي من شأنها ابعاد الدول عن مشكلات كثيرة في التعامل مع الانظمة الشمولية ،

٤- تحول المنظمات الهرمية الكبرى إلى شبكات اصغر واكثر مرونة ، اما في حالة المؤسسات التي يتصل عملها بالأمن القومي فان هناك صعوبة في كيفية تفويض السلطة .

وهنا يؤكد فوكوياما ، على أمرين مهمين هما : خلق مجتمع مدني جديد والذي يتكون من جنسيات عديدة ، ويخص الثاني ، ان الاثر العالمي لثورة المعلومات ستتخذ صورة غير منتظمة ، ولكي يكون مستمرا في طريق واحد ، وهذا يعني ان التقانة المعاصرة قد تدفع القيام بثورة مضادة في المستقبل[2].

وهناك لا بد ان نؤكد على حقيقتين جوهريتين هما :[3]

١- قيام الولايات المتحدة بانشاء الشبكة القومية للمعلومات ، ومن مهامها نشر المعلومات وتوفيرها ، والتي تهدف إلى هيمنة الادارة الامريكية على المعلومات في القرن الحادي والعشرين.

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٦٨-٦٩ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٦٩ .
يتحدث فوكوياما عن كيفية تأثير تقانة المعلومات على الاتجاهات الدينية . مؤكداً من ان حركة التحديث في اوربا خلال العصور الوسطى ؛ متصلة ببزوغ العلمانية ، وتعزيز دور الدولة القومية في حين يكون اثرها متباينا في الوقت الحاضر ، وهناك احتمالية وتوقعات ان يعطي نتائج ايجابية بالنسبة للاتجاهات الدينية المعاصرة . راجع : المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

[3] الدكتور المسعودي ، [ثورة المعلومات وتحدياتها في العالم العربي] ، ابحاث المؤتمر السنوي الثالث ، [ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في المجتمع والدولة في العالم العربي ، ٤ -٧ يناير ، ١٩٩٧ ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ١٩٩٧ ، ص ١٨ .

٢- دعوة مؤتمر الدول الصناعية السبع الذي عقد في المدة الواقعة بين ٢٥-٢٦ شباط ١٩٩٥ إلى الالتزام بدور ريادي في تطوير مجتمع المعلومات العالمي ، وقد حدد المؤتمر مجموعة من المشروعات من اجل ادخالها إلى حيز الواقع العملي ، مثل دراسة تأثير مجتمع المعلومات على العالم ، وكيفية تنمية سبل التعليم والتدريب مع الاخذ بنظر الاعتبار التعددية الثقافية ، وانشاء المكتبات والمتاحف والمعارض الالكترونية ، وادخال المعلومات الحكومية على شبكات الكومبيوتر .

يتضح مما تقدم ، ان العولمة امام مفارقات لا تدعو إلى الاهتمام ، وهناك امثلة تعزز هذا في المنطقة العربية ، ونحن نرى كيف يطوى سجل حقوق الانسان والسلاح النووي مع الكيان الصهيوني ، وتبرز هذه الناحية مع الأقطار العربية والإسلامية .

ومن المفارقات ايضا ولتسهيل او الدعاية للعولمة ، الاشارة إلى انشاء مجموعات من التحالفات العالمية والاقليمية ، كالترتيبات الاقليمية ، ومشروع النظام الشرق الاوسطي في الوطن العربي لمواجهة ما يسمى بالعدوان الاقليمي.

ما تعززه العولمة من تقدم ليس من منظور مئات الملايين تقدما ولامراء في ان الأمر قد بدا لهم مدعاة للسخرية عندما لاحظوا ان رؤساء حكومات مجموعة الدول الاقتصادية الكبرى السبع قد جعلوا من شعار (لتكن العولمة انتصاراً لمنفعة الجميع المثار الذي يستهدون به في اجتماعهم في نهاية حزيران ١٩٩٦).

اما في المجال السياسي ، فالخاسرون يتمتعون بحق التصويت ، وهم سيستغلون هذا الحق بلا شك ومن هنا فليس هناك ما يدعو للطمأنينة ، فالهزة الاجتماعية ستلحق بها نتائج سياسية والاشتراكيون الديمقراطيون والمسيحيون الاجتماعيون لن يحققوا بانتصارات جديدة في المستقبل المنظور ، فالأمر الواضح بجلاء الآن هو ان الناخبين لم يعودوا يأخذون الدعاوي التقليدية التي يتذرع بها دعاة العولمة مأخذ الجد.

لذا يمكننا ان نذهب إلى القول ، ان العولمة لا تعترف بالوطن ولن يتحدد وضعه بحق الأسهام في تدمير المدنية : فالعولمة لا تعترف بحق مواطنيها وهم المستهلكون لا في الانتخاب ولا في المراقبة ، ان لهم حقاً واحداً هو الاتصال ، اتصال بعضهم مع بعض في مجال اللامرئي، يجاور بعضهم بعضاً عن بعد من خلال شبكة الانترنيت .

وهذا يعني بمعنى اخر ، ان العولمة هي عالم بدون دولة ، بدون امة ، بدون وطن ، هو عالم المؤسسات والشبكات، العولمة هي نظام يقفز على الدولة والافراد والوطن وفي مقابل ذلك يعمل على التفتيت والتشتيت. ان اضعاف سلطة الدولة والتخفيف في حضورها لفائدة العولمة يؤديان حتما إلى استيقاظ اطر للانتماء سابقة على الدولة، اعني القبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي، والنتيجة تفتيت المجتمع وتشتيت شمله .

اما فيما يخص السياسة الخارجية ، في نظام العولمة فتتولاها بصورة مباشرة او غير مباشرة ما يسمى بالمجتمع الدولي وعلى رأسها مجلس الامن ، هذا فضلا عن التأثير الذي تمارسه المؤسسات الاقتصادية العالمية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي .

يبين التاريخ بان عالم احادي القطب يعد مؤقتا . وفي هذا المجال يوضح (لاين) ان الانظمة احادية القطب يتسم موروثة بداخله ، لان القوة غير المتزنة تخلق اجواء مناسبة لظهور قوى عظمى جديدة فضلا عن تحول قوى عظمى جديدة النظام الدولي يؤدي إلى محو القوة النسبية وبروزها في نهاية المطاف . ويواصل محاولة البرهنة على انه سيكون هناك تحول لهيكل متعدد الاقطاب .

وعلى النقيض من الحالات السابقة ، فان عالم احادي القطب لن يدوم لخمسين عاما لو اخذ بعين الاعتبار التحولات الحالية وعدم قدرة الاقتصاد الامريكي ليصبح شرطي العالم وفي هذا المجال يقول احد الباحثين اليابانيين : (ان الولايات المتحدة لا تملك القدرة الشاملة للعمل شرطية للعالم وعليها الاعتراف بذلك بتواضع)[1] وكما قال مانديلا (ومعظم دول العالم لا تريد الولايات المتحدة ان تنصب نفسها شرطيا للعالم)[2].

وبناء عليه ، فان الرجوع إلى التاريخ يعد ضروريا من اجل الاطلاع على العمليات الحالية للعولمة والامر الذي يساعد في هذه المحاولة هي نظرية المدارات الطويلة التي تعتمد على الادلة التاريخية .

ان اندماج الدول وامنها في العقد المقبل لا يعني انتهاء نظام الويستفاليا بالنسبة للدول حتى في معاييرها قبل الاتفاق الجديد . وستواصل الدول تأكيد وجودها في قضايا الامن القومي ، ان استمرار الدولة الدولية لممارسة دور الشرطي على الدول المتطورة والعالم الثالث وفق المبادئ القديمة للسوق الحرة لا يؤدي إلى ظهور اختلافات تميل إلى خلق اثار جسيمة في السياسة الدولية .

والحق ، ان هناك تحديات للعولمة ، تحدث عنها مناصروها ومنهم على سبيل المثال بيتر سوذرلاند ، الذي عبر عن قلقه العميق ازاء العولمة، ودعا الى عقد مؤتمرات قمة لشرح التحديات التي تكتنفها ، إذ يقول سوذرلاند في هذا المجال: (اننا نعتقد ان العولمة تثير ما يمكن عدها اهم المشكلات التي تواجه الجنس البشري في الوقت الحاضر ، ونعتقد ان هذه التحديات يجب تناولها على اعلى المستويات وبصورة مستمرة ، والتحدي الرئيس للعولمة في المقام الاول هو التأكيد على ان ثمارها تعم جميع الدول)[3].

---

[1] بريجنسكي ، الفوضى الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٥ .
يقترح صاموئيل هنتنغتون من ان انسب بديل (لمدير الشرطة الكوني ،، هو سياسة جماعية تتولى فيها القوى الاقليمية الكبيرة مسؤولية اساسية في حفظ النظام في مناطقها . وينتقد هاس هذا الاقتراح بحجة ان الدول الاخرى الموجودة في المنطقة والتي اسماها هنتنغتون بالقوى الاقليمية الثانوية ستعارض توجيهها من قبل القوى الاقليمية الكبيرة راجع :
Huntington, Samuel .. " The lonely Superpower" Foreign Affairs, Vol:٧٨, No:٢, ١٩٩٩ ,p.٤٣.
[2] Ibid.,

[3] عبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ – ٢١ .
اشار البابا يوحنا بولص الثاني في كانون الثاني ١٩٩٨ اثناء زيارته الى كوبا الى انعدام المساواة في توزيع الثروة على نحو مغرط بين الدول ، وكذلك بين الافراد ضمن الدولة الواحدة مؤشرا الاختلال الاداء وافراطا في الرأسمالية العالمية . راجع : المصدر نفسه ، ص٢١-٢٢.

والتحديات عند سوذرلاند تكمن في الآتي :

١- ان النمو الاقتصادي في الدول المتقدمة اخذت في بطء العملية الاقتصادية ، وعليه فأن هذه الدول بحاجة إلى اسواق جديدة في دول العالم الثالث للمحافظة على استمرار الارتفاع في مستويات المعيشة.

٢- تبديد المخاوف في ان النمو الذي تخلقه العولمة يكون على نحو متلازم عاملا على زعزعة الاستقرار ، وقد عملت الازمة الاسيوية على تضخيم هذه المخاوف .

٣- تناول القلق لدى الدول الثرية في العالم من المنافسة العالمية ستؤدي إلى الاضرار بمستويات معيشة الافراد .

٤- حل المشكلات المعقدة من التوسع في التجارة والاستثمار.

وفي هذا المجال ، يصف لستر ثورو العولمة بقوله : (انه في اكثر التعريفات تشددا وصرامة للإختلافات الرأسمالية ، فان الجريمة ببساطة تعد نشاطا اقتصاديا اخر ما دام فاعله راضيا يدفع ثمن عمله وهو السجن في حالة الوقوع في يد العدالة . وليس ثمة عمل يجب الا يقوم به المرء وليس هناك وجود للواجبات والالتزامات ،ولكن الوجود فقط لعمليات السوق) [1] ويردف ثورو قائلا : وفي ادق التعبيرات عن المبادئ والاخلاقيات الرأسمالية ، تعد الجريمة نشاطا اقتصاديا آخر يمكن مقارنته لقاء ثمن باهظ ، إذا ما وقع صاحبه في قبضة رجال الأمن، وليس هناك من شيء يمتنع القيام به ، ولا وجود للواجبات والالتزامات ما هو موجود فقط هو عمليات السوق [2].

وفي هذا المعنى ، يقول الكاتب الامريكي روجر موريس في كتابه عن سيرة الرئيس بيل كلينتون (ان والدة كلنتون وصفت مدينة هوت سبرنغز التي نشأ بها كلنتون ذاتها : مكان ينظر اليها إلى الخارجين على القانون باحترام ، لا وضع القوانين لتكسر ، وحيث المال والقوة كيفما تم الحصول عليهما هو المعيار لقيمة الانسان) [3]

" ان الفكر الأمريكي يقود الحضارة اليوم ، وهو يقوم بتفريغ الانسان في الشعور .. ان الغرب يحاول ارساء نفسه كالحضارة الوحيدة، هو يختزل التنوع الثقافي ، وينظر الى تجاربه بوصفها تجارب كونية".

اشار روفوس مايلز في عام ١٩٧٦ الذي كان رئيسا لموظفي وزارة الصحة والتربية والخدمة الاجتماعية في الولايات المتحدة في كتابه الموسوم بـ " الاستيقاظ في الحلم الأمريكي" ، حلل فيه ٢٢ عاملا حاسما تجعل المجتمع الامريكي مكشوفا للغاية لكثير من الأزمات الاجتماعية والتخريب والانهيار وبانقضاء عشر سنوات في ذلك ، اكد بول كينيدي في كتابه (صعود وسقوط القوى العظمى) استمرار التآكل التدريجي لقوة الولايات المتحدة الإقتصادية العالمية وبالتالي تدهور قدرتها في استمرار سيطرتها على العالم[4]

---

(1) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(2) المصدر نفسه ، ص ٤٥.

(3) المصدر نفسه ، ص ٢٤.

(4) الدكتور رسلان خضور ، سمير ابراهيم حسن ، "مستقبل العولمة" مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠.

ان غالبية دول العالم تشعر باخطار العولمة ، وهي تحاول الحفاظ على هويتها الثقافية لمواجهة الهيمنة الامريكية ، في هذا الاطار اصدرت فرنسا قانونا يلزم محطات البث التلفزيون بان لا تزيد نسبة البرامج الاجنبية من اجمالي البث عن ٣٠% من اجل الحفاظ على الهوية الثقافية الفرنسية .

وهنا لا بد ان نؤكد ، من ان اليابان اخذت من الغرب التكنولوجيا والاسس الاقتصادية والحداثة ، وقامت ببناء اقتصاد قوي على الصعيد العالمي ،الا انها حافظت في الوقت نفسه على هويتها الثقافية ، بل كان لثقافتها الخاصة المتمثلة في قيم واخلاقيات العمل والتفاني والاخلاص والعمل الجماعي والتعاون دور مهم في انجاح التجربة الاقتصادية ، وتحقيق ما يسمى بالمعجزة اليابانية دون ان تكون هناك اية هيمنة او خرق ثقافي[1].

٣- العامل السكاني :

يعد عامل السكان من المكونات الرئيسة لتطوير القوة الوطنية من الناحيتين النوعية والكمية[2] ، حيث أن هناك علاقة وثيقة بين حجم السكان ، وقوة الدول ، اذ ان الدولة القوية في المجالات السياسية ، لها حجم مناسب من السكان ، شريطة ان يتميز السكان بالتقدم العلمي والتكنولوجي، أن هذا الترابط بين حجم السكان وقوة الدولة واضح في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والمانيا واليابان[3].

ويمكن أن يكون لحجم السكان تأثير في قدرة الدولة على شن حروب تقليدية ، وجل الذعر والخوف الذي تبعثه الصين الشعبية في داخل الإتحاد السوفيتي السابق مبعثه بالدرجة الأولى إلى الأعداد الكبيرة من القوات التي بإستطاعتها دفعها إلى ساحة القتال .ولم تبتعد الصين الشعبية إلا في الأونة الأخيرة عن اعتمادها "الجيش الشعبي " ، والذي يركز على إشراك اكبر عدد ممكن من الشعب في الذود عن الدولة . أما في الوقت الحاضر فإن التركيز يكون على تحديث القوات العسكرية . وفي حالة انجاز هذا الهدف فإن القوات العسكرية الصينية التي لها سمة التفوق السكاني الكبير مقرونة بالأسلحة المتطورة ستشكل قوة مرهوبة الجانب . إن التخوم الصينية السوفيتية الطويلة وقتئذ أكدت أن أيا منهما لن تشعر بالأمن بدون وجود قوات عسكرية كبيرة لها في المنطقة[4] .

إن حجم السكان يعد عاملا فقط إلى المدى الذي تختار فيه الدولة استخدامه لإغراض عسكرية . فاليابان على سبيل المثال ، تستخدم نسبة مئوية ضئيلة من مصادرها البشرية للاغراض العسكرية وذلك بسبب سياستها القومية ، وجيش الهند ليس سوى جزء بسيط مما تستطيع دولة كبيرة أن تبقي عليه . إن العوز النسبي لعدد كبير من الشعب الهندي يتطلب تحويل الموارد القومية لحل المعضلة ، وإرساء القواعد من أجل تقدم صناعي أكبر ، وهذا يبين بأن حجم السكان يمكن أن يكون عائقا في وجه القوة العسكرية[5] .

---

(1) المصدر نفسه، ص٢٤.

(2) روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٣ .

(3) محمد عبد المجيد عامر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(4) روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٢ .

(5) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .

ان العامل السكاني قد يؤدي الى نتيجتين [1]:-

اولاً : التوسع الاقليمي : ينتج هذا التوسع بسبب الضغط السكاني في دولة معينة ، وبالتالي تقوم تلك الدولة باتباع سياسة التوسع ، اما عن طريق سياسة ضم الدول المجاورة لها ، او امتلاك المستعمرات .

ثانياً : الهجرة : يقوم هذا المفهوم على هجرة العناصر البشرية من المناطق المزدحمة الى مناطق اقل ازدحاماً .

وقد ساعد اعتقاد الناس في القرون الماضية ، أن الفارق بين المستوى التكنولوجي البريطاني والصيني يعوض عما بين بريطانيا والصين من فارق في عدد السكان . الا ان هذا الاعتقاد قد زال في الوقت الحاضر . بعد ان اصبحت الصين دولة تكنولوجية ، ثم ان امكانات العامل السكاني الصيني التكنولوجي وان لم تكن في مستوى التقدم البريطاني ، الا انها مجتمعة قد تفوق امكانات العامل السكاني البريطاني [2].

استطاعت المانيا في عام ١٩٤٢ الوقوف امام الإتحاد السوفيتي "لأن شعب الاتحاد السوفيتي على الرغم من انه يزيد ثلاثة اضعاف في العدد على الشعب الالماني – كان في مستوى اقل في اكثر هذه النواحي . أما في الوقت الحاضر ، وبعد زوال هذا التخلف فان مجرد ضخامة عدد السكان في الإتحاد السوفيتي كاف بذاته لاستبعاد مثل هذا التحدي [3].

٤ – العامل العسكري :

يعد العامل العسكري من العوامل المهمة في السياسة الخارجية ، فالدبلوماسية والقوة العسكرية "تسيران جنباً الى جنب " ، " وليس للقوة العسكرية ثبات الجغرافية أو الموارد الطبيعية فهي عرضة للتغيرات والثورات التكنولوجية [4].

العوامل الاجتماعية

في هذا المبحث ، نتناول الطابع القومي والرأي العام المحلي والاحزاب السياسية وجماعات الضغط .

اولا – الطابع القومي :

- العوامل المكونة لنظرية الطابع القومي :[5]

---

[1] الدكتور محمد متولي ، الدكتور محمد أبو العلا ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٨-١٤٩.

[2] روي مكريدس ، كينث تومبسون ، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣.

[3] جوزيف فرانكل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٢ . قارن مع : روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٣ .

[4] مكريدس وتومبسون ، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠.

[5] اكد الجنرال بوفر على أهمية دراسة الطابع القومي للشعوب بالإستناد على الحوافز الانسانية لإنه "تتعلق مقومات الرجال بصورة اساسية بالحوافز الداخلة لها وتستجيب هذه الحوافز قبل كل شيء للغرائز البسيطة كغريزة المحافظة على البقاء والجوع والنوم والحاجات الجنسية ثم تتحول بعد ذلك الى رغبات في التفوق والقدرة والإرتباطات متمثلة في الحاجة للحماية والامن . وان مجموعة هذه الحوافز البسيطة هي التي تعطي للمجتمعات اتجاهاتها المشتركة وتنتج عن ذلك توفر صفات وخصائص نفسية واجتماعية تتميز غالبا في كل مجتمع خلال مسيرته التاريخية . راجع : أندريه بوفر ، بناء المستقبل ، تعريب اكرم ديري وبسام العسلي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ٧٦.

لما كانت نظرية الطابع القومي تدخل في اطار العوامل المعنوية المؤثرة في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية فمما لاشك فيه انها تتكون من عدد من المكونات او العوامل التي تشكل بمجموعها نظرية الطابع القومي بمعناها الشمولي وفي معرض تقويم لدائة السياسة الخارجية للعوامل الداخلية والخارجية قدم العديد من علماء السياسة ومنهم هونستي وسنايدر وغيرهم العوامل المعنوية المجتمعية التي تمثل اساس وجوهر نظرية الطابع القومي التي سنأتي على ذكرها تباعا وتفصيلا ومنها:-

١ - الأيديولوجية :-

لقد تعددت الاراء والتعريفات التي تناولت مفهوم الايديولوجية بالشكل الذي انعكس على الخلط بينها وبين غيرها من المفاهيم ذات العلاقة بها مثل الفلسفة والاتجاه والنظرية والثقافة وغيرها .

إلا أن ما يهمنا اساسا هو المعنى الخاص لمفهوم الايديولوجية لنتمكن بالتالي من توضيح دورها واثرها في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية فهناك عدة تعريفات لمفهوم الايديولوجية [1] فالأيديولوجية هي كلمة لاتينية مشتقة من كلمة (ideal) أي المثل او المثال ، وهي أي الايديولوجية نتاج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد ويطبق بصفة دائمة [2]. وفي تعريف اخر ان الايديولوجية هي (منظومة من الافكار تهدف الى غاية عملية فهي مجموعة من الافكار عن العالم وعن الحياة وعن المجتمع تصلح قاعدة لعمل جماعي لذلك فهي بعيدة عن خصائص التفكير الشخصي وعن مطاطيته ومرونته لانها اقرب لان تكون برنامج عمل) [3]. فالأيديولوجية تهتم الان بتقديم اسس وقواعد عملية من اجل الوصول الى اهدافها المثالية لذلك تعد ذات صفة حركية فيقول ماركس ان الايديولوجية تنشأ من قبل مجموعة اجتماعية (طبقة) وذلك في محاولة منها لتقبل علاقاتها بالاخرين وغالبا ماتكون هذه الايديولوجية طوباوية ومعبرة عن وعي محرف ، وتؤكد على ذلك الباحثة (جوان روبنسون) بقولها : " ان الايديولوجية لاتتعدى حجر افتراضات مثالية لايمكن اختبارها بالتحليل العلمي" ، اما عن علاقتها بالسياسة فيمكن القول بصورة عامة بانه لايمكن الحديث عن تمتع النظام السياسي بأيديولوجية معينة الا اذا قام وجوده الفكري على مجموعة من الافكار والقيم والمعتقدات المتناسقة والمتفاعلة وبالقدر الذي تعبر فيه عن نسق عام ونظام واحد يغطي بأبعاده رقعة النظام السياسي بكاملها ، كما يشير بعض الباحثين الى اهمية وجود أيديولوجية او عقيدة فذلك افضل من ان لايوجد للنظام منظومة من القيم توجه سلوكياته [4].

---

[1] ودودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠-٣١.

[2] عبد المعطي محمد عساف ، مقدمة علم السياسة ، ط٢ ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن ، ١٩٨٧، ص٢٣٢.

[3] الدكتور عبد الوهاب الكيالي ، وكامل زهيري ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٩.

[4] عساف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٣-٢٤١.

كما ان القضايا او المسائل الرئيسة التي تقسم الامم والشعوب هي اساسا ايديولوجية في طبيعتها وان الأيديولوجيات المتصارعة هي السبب الرئيس للحرب ، فهي مجموعة من الافكار عن الحياة والمجتمع التي تنشأ في معظم الحالات كمؤيد او مدافع واعي ، أو تؤكد عقائديا او على نحو جازم الشعارات الاجتماعية والسياسية او الدينية او ازمة المعركة والتي من خلال الاستخدام المستمر والتبشير تدريجيا تصبح الاعتقادات او العقائد المميزة لجماعة خاصة او قومية [1].

لذا ان النسق الأيديولوجي في المجتمع يتميز بالإستاتيكية والنمطية والثبات لانه يتعلق بالفكر والتصورات ومن الصعب تمييزه لتحكمه وسيطرته على معتقدات الناس واتجاهات الرأي العام ، ولذلك كان النسق الايديولوجي هو اخر مايتغير في انساق البناء الاجتماعي كله على الرغم من تغير انساق اخرى لاتتحكم في طبائع البشر ، فالايديولوجية هي مايحرك الجماعات وهي مايرسخ اذهان الناس من فلسفات ومذاهب وعقائد تلك التي تخلق بين الناس تياراً شعوريا واحداً بمعنى ان الايديولوجيات على العموم هي موجهات السلوك التي تدفع الناس دفعاً فهي كل ما يواجه الراي العام ويؤثر على افهام الناس ومداركهم واذواقهم ، وتدور الأيديولوجيات حول افكار او موضوعات لها جاذبيتها الخاصة وتتسم بالقبول الاجتماعي كما وترتبط بالوقت نفسه بمذاهب الناس ومشاربهم مثل التصورات والاحكام العامة والقيم الاجتماعية الشائعة تلك التي تسيطر على انماط السلوك الثقافي والتقليدي طبقا لأنساق القيم والثقافة والدين ووفقا لما يسود في بنية المجتمع من العقائد والمعتقدات والفنون والاداب[2].

اما هولستي ، فيقول ان المذهب هو مجموعة من المعتقدات الواضحة والمحددة التي تحاول ان تفسر الواقع وان توفر احساساً بالهدف لاي تصرف سياسي وقد يتسع نطاق المذهب وتتعدد ابعاده وتتنوع عناصره ليشكل مايعرف بالايديولوجية التي يتجاوز تأثيرها مجرد تقرير الاهداف او تبرير السلوك الى التأثير بعمق في رؤية واضعي القرارات الخارجية وصبغها بلون محدد [3]. وتعد الايديولوجيات احدى القوى او العوامل الرئيسة التي تؤثر في اوضاع المجتمع السياسي الدولي ، فمن خلال الأيديولوجية يمكن ان يتحدد الواقع بمعالمه الراهنة كما يمكن تخيل الواقع بالكيفية التي يجب ان يكون عليها في المستقبل والتفسير الايديولوجي للاحداث يسمح بتأكيد اهمية بعض العوامل والتقليل من اهمية البعض الآخر وتجريد عوامل اخرى من أي تأثير فعلي لها ، إذاً بالأيديولوجية بحقل واضع القرارات الخارجية يميل في

---

[1] Palmer , Norman D., Perkins , Howard C., Op.Cit ., P.٨٢.

[2] قباري محمد إسماعيل ، علم الاجتماع السياسي وقضايا التخلف والتنمية والتحديث ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص٢٤٤.

[3] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية –دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٥.

اتجاه فكري معين تماماً ، كما أن التصورات هي التي تحدد الكيفية التي يتخيل بها العالم الذي تمسه قراراته [1]. وفيما يخص أثر الأيديولوجية كأحد عوامل نظرية الطابع القومي وأثرها في السياسات الخارجية وفي عملية صنع القرار فإن هناك رأيين متباينين الرأي الأول ينكر دورها أو يقلل لأهميتها إلى حد بعيد أما الرأي الثاني فيرى أنها العامل الأكثر أهمية في تقرير السياسة الخارجية ، أما كيفية تأثير الأيديولوجية في صناعة القرار فيتم ذلك من خلال التأكيد على ضرورة وجود أيديولوجية واضحة لكل نظام سياسي وذلك بوصفها ليست فقط أداة تقويم الواقع والمستقبل بل هي الأداة أو العامل المحدد لنوعية الدور الذي تلعبه الدولة في النظام السياسي الدولي ونوعية تصورها لما يجب أن يكون عليه النظام ، فهي إذن العامل المؤثر والمحدد لما هو كائن وما كان وما قد يكون ولما يجب أن يكون عليه [2].

ومعنى ذلك : أن الرأي الثاني هو الأرجح وذلك لوجود العديد من الطرق التي تعبر عن الأثر الأيديولوجي في مواقف صنع القرار في السياسة الخارجية منها:-

- تساعد الأيديولوجية في بلورة الإطار الفكري أو العقلي يرى واضعو السياسات الواقع الخارجي الذي يتعاملون معه بأسلوب الاستجابة للقرار .
- تضع الأيديولوجية متخذ القرار الخارجي في حالة تصور المستقبل وتعين له أهدافه البعيدة المدى ووسائل تحقيقها .
- تساعد الأيديولوجية على عملية المفاضلة بين الخيارات الكثيرة الناتجة عن ظروف الموقف الخارجي وتفضيل الخيار المنسجم مع مضمون تلك الأيديولوجية واتجاهاتها ومبادئها .
- توفر الأيديولوجية مجموعة من المعايير الأدبية والأخلاقية التي يتم الاستناد إليها عند تقويم الاتجاهات والتصرفات [3].

أي أن النسق العقيدي أو الأيديولوجي يضع قيوداً أو محددات على خيارات السياسة الخارجية بحيث يجد صناع القرار صعوبة التصرف بشكل مغاير للمعتقدات السائدة لدى دولهم ، كما تسهم أيضاً في المساعدة على استمرار السياسة الخارجية للدولة وكلما كانت شاملة كلما كانت السياسة الخارجية للدولة أكثر استقراراً ، فضلاً عن دعم الأيديولوجية للوحدة الوطنية للدولة واستخدامها استخداماً دعائياً تبرر بها الدولة سياساتها المتبعة وإقناع الآخرين بصحة هذه السياسات للدولة [4].

---

[1] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية -دراسة في الأصول والنظريات ،مصدر سبق ذكره ، ص ٦٣-٦٩.

[2] ظافر ناظم سلمان ، السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الخليج العربي منذ ١٩٧٩ دراسة في أثر البيئة الداخلية، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية ، الجامعة المستنصرية ١٩٨٨ ، ص٨٨.

[3] الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية -دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٥-٢٠٦.

[4] الدكتور لويد جنسن ، تفسير السياسة الخارجية : ترجمة الدكتور محمد بن أحمد مفتي والدكتور محمد السيد سليم ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٨٩ ، ص٨٤-٨٥.

صفوة القول في هذا المجال ، ان بعض الدول احيانا تحاول ان تبرر سلوكية خارجية عامة او معينة او صنع قرار سياسي خارجي من خلال الاستناد الى مجموعة القيم او المبادئ السياسية التي تشكل عقيدة او ايديولوجية النظام السياسي في الدولة لاعطائها شرعية عقلانية على السياسة الخارجية تجاه المجتمع في الدولة ذاتها او تجاه الحلفاء في الخارج [1].

٢- التركيب الاجتماعي والتكوين القومي :

ان التركيب الاجتماعي والتكوين القومي يشكل عاملا مهما اخر من عوامل ومكونات نظرية الطابع القومي ذلك بان تجانس او تنافر التركيب الاجتماعي للسكان يؤثر بشكل ملحوظ في تكوين ظواهر المجتمع السياسية ، اذ ان التجانس العنصري والعرقي ، ووحدة المعتقدات الدينية والتقارب حتى في المستويات الحضارية قد لاتضفي على المجتمع السياسي قيما تعينه في صنع وحدته السياسية وتنمية روابطه العضوية فحسب وانما تؤهله ايضا لتوطيد اسس استقراره السياسي وذلك لان تباين المعتقدات الدينية والمذهبية وتعاون المستويات الحضارية والطبقية ايا كان نوعها قد يثير المشكلات الاجتماعية التي قد تفضي الى الصراع السياسي او النموي فتحول بين الدولة وبين تحقيق الاستقرار السياسي لها [2]، إذ ان تحقيق الإستقرار السياسي والاجتماعي الذي يتمثل بمدى التجانس والتآزر الذي يميز مجتمع الدولة والذي يتباين ذلك التجانس والتآزر الداخلي في دولة اخرى بما يترتب تأثيراً في نوعية حركتها السياسية الخارجية فالدولة التي يحظى نظامها السياسي بدعم اجتماعي داخلي تصبح قادرة على المبادرة السياسية الخارجية وقادرة على صنع وتنفيذ قرارها السياسي الخارجي الفاعل على العكس من ذلك في حالة انعدام او قلة الدعم الاجتماعي الداخلي يؤثر بشكل سلبي في عملية صنع القرار السياسي الخارجي ، بمعنى ان المجتمعات الممزقة داخلياً عنصريا او اثنيا لاتتمكن من تجميع القوى الداخلية وراء حركة الدولة السياسية الخارجية وبالتالي اضعاف عملية صنع القرار واضعاف حركة الدولة سياسيا وعسكريا واقتصاديا [3]،وينطبق هذا الحال كذلك فيما يخص مسألة القومية او التركيب القومي ، اذ يعد البعض القومية بمثابة القوة المحركة الأولى في المجتمع الدولي كما يعدونها من اهم الدوافع التي تتحكم في تشكيل السياسة الخارجية للدول وتحديد مصالحها القومية فبذلك يعد فهم القومية شرطاً رئيساً لتفهم ظاهرة السلوك الدولي فالقومية بمفهومها العام تعني ميلا او شعورا بالانتماء الى جماعة حضارية معينة ورغبة في التجمع والترابط لتحقيق غايات واهداف مشتركة في ظل احساس عام بوحدة المصير [4].

---

[1] الدكتور ناصيف يوسف حتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٩.

[2] فكرت نامق عبد الفتاح ، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية للفترة ١٩٥٣-١٩٥٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد ، اذار ١٩٧٩ ، ص٩٨-٩٩.

[3] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٠-٢١٢.

[4] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الاصول والنظريات ،مصدر سبق ذكره ، ص ٩٧.

فالقومية بعبارة أخرى هي الإحساس النفسي بالإنتماء الى الدولة القومية ، كما ان للقومية اثرا ايجابيا على السياسات الداخلية والخارجية اذ انها يمكن ان تسهم في توحيد الشعوب وتشجيعها على المشاركة السياسية لانها تسعى الى تعبئة المجتمع وتقضي على العلاقات التقليدية وتعمل على بناء مجتمع جديد [1].

وبناء على ذلك ، سوف يكون للقومية اثر في عملية صنع القرار السياسي الخارجي للدولة لأ ان "الاندماج القومي ووجود هوية قومية مشتركة سيكون دافعا في ايجاد تناقس معقول في الرأي العام الوطني تجاه القضايا القومية الكبرى كما يؤدي الى نشوء رأي ومزاج عام يمكن او يساعد عملية صنع القرار السياسي الخارجي في تحديد الإتجاهات والدوافع وسبل التأثير ومعرفة درجة القبول او رفض الرأي العام المحلي الذي سيحظى به هذا البديل او ذاك ، كما ان الشعور الذي يغمر الافراد بوجود هوية قومية مشتركة بما يمثله من الأنماط الفكرية والتقاليد الموروثة عن الاسلاف والمآثر التاريخية والبطولات تعطي الدافع المعنوي للتضحية من اجل صيانة تلك القيم التي ينتاب الافراد ازاءها احساس بأنهم يكونون كلا واحدا عما حولهم من اقوام وجماعات وبذلك يصبح الدفاع عنها امرا متعلقا بالذات القومية وهيبة الدولة [2]، وبذلك سيؤثر التركيب الإجتماعي والقومي في تحقيق الإستقرار السياسي والاجتماعي للدولة الذي سيظهر التأثير الايجابي لذلك واضحا في عملية صنع القرار السياسي الخارجي الفعال والمؤثر والمستقل والناتج عن تركيبة اجتماعية قومية قوية وموحدة ومتماسكة تعكس الطابع المتماسك في الدولة .

٣- الثقافة والشخصية :

من اجل الوقوف على اثر الثقافة والشخصية بوصفها أحدى عوامل نظرية الطابع القومي لابد اولا من معرفة معنى الثقافة بشكل عام وقد تم طرح العديد من التعريفات للثقافة منها ان بعض العلماء عرفها بانها " الكل المتكامل لانماط السلوك المكتسب المشترك بين افراد المجتمع الموحد " ، ويعرفها تايلور بانها " ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والعقيدة والفن والاخلاق والقانون والمعرفة وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضواً في مجتمع " ، وهي دليل السلوك لما يلي ذلك من تفاعل ، ومن هنا تصبح الثقافة على صلة وثيقة بالمجتمع من ناحية وبالشخصية من ناحية اخرى .

ويرى جيمس داون ، ان الثقافة هي نسق من الرموز المشتركة بين جماعات من الناس وينقلونها الى الاجيال القادمة ، ووضع علماء الانثروبولوجيا المحدثين تعريفا جديدا للثقافة يقوم على الفرضية القائلة ان سلوكنا المكتسب في التحليل الاخير ، هو نتاج لطريقة تفكيرنا في الاشياء وادراكنا لها ، اما الشخصية فهي نمط السلوك الخاص الذي يمتلكه كل منها[3].

---

[1] لويد جنسن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١-٩٢.

[2] ظافر ناظم سلمان ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦.

[3] الدكتور عبد الهادي الجوهري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧١-١٨٧.

وفي تعريف آخر للثقافة ، انها طريقة او اسلوب للحياة ولغة المعتقدات واتجاهات القيم وكذلك السمات الملموسة للسلوك الإجتماعي ، ويقدم كروبر تعريفاً شاملاً فيقول " الثقافة تتألف من انماط مستترة او ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول عن طريق الرموز فضلا عن الانجازات المتميزة للجماعات الانسانية ، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة ويتكون جوهر الثقافة من افكار تقليدية المتصلة بها كافة ، اما الأنساق الثقافية فتعتبر نتاج السلوك من ناحية وتمثل الشروط الضرورية من ناحية اخرى ، أما موريس ديفرجيه فيعرفها بأنها " مجموعة مترابطة من انماط العمل والتفكير والشعور تؤلف الادوار التي تحدد السلوكيات المنتظرة بين مجموعة من الاشخاص " . ومن خلال ذلك يمكن القول ان الثقافة السياسية هي نمط كتوزيع شامل لتوجهات واتجاهات المواطنين نحو الموضوعات والمسائل السياسية ، واوضح فيربا والموند الابعاد الادراكية والتأثيرية والتقييمية للموضوعات السياسية كتطوير انموذج للثقافة السياسية المثالية ، الثقافة السياسية المشاركة النامية والمحدودة [1]. وقد اعطى بعض العلماء اهمية خاصة لخبرات الشعب التعليمية بوصفهاعاملاً مساعداً في تحليل الشخصية وتفسير الثقافة التي تتطور في بيئة وطنية محدودة ، واذا افترضنا انه من الممكن تحديد الشخصية الوطنية لشعب وان النخبة التي تصنع السياسة الخارجية تشترك في خصائص هذه الشخصية ، فكيف تؤثر خصائص الشخصية الوطنية على السياسة الخارجية ، من ناحية يبدو ان تلك الخصائص تؤثر بشكل معين على كيفية صنع قرارات السياسة الخارجية [2]، وهي تختلف من شعب الى شعب او من دولة الى دولة بمعنى ان الشخصية القومية للدولة هي المعايير المهمة التي تحدد اهداف الدولة في سياستها الخارجية وفي صنع قراراتها[3].

يظهر تأثير الشخصية القومية والثقافية في سياسة الدولة وفي صنع قراراتها وذلك من خلال مجتمع تلك الدولة فعندما يكون مجتمع الدولة موحدا ثقافيا سيصبح اكثر اصرارا لتحقيق اهدافه المشتركة وبالاتجاه الذي يرفد السياسة الخارجية بعنصر فاعل دائم مضاف ويتسع المتغير ويمتد ليشمل اهداف الدولة ووسائلها بحيث يصبح في اوقات كثيرة واحدا من الاسس التي تتحدد بموجبها هذه الأهداف والوسائل ويتضح التأثير الثقافي في عملية صنع القرار السياسي الخارجي في تعبيره عن ذلك بصيغ متنوعة كتأثير الرأي العام والنخب المؤثرة ودور القيم الإجتماعية السائدة [4]. كل ذلك يمتزج معا عبر ثقافة مشتركة لها اثرها في عملية صنع القرار السياسي الخارجي .

---

[1] ناجي صادق شراب ، المواطنة دراسة سوسيولوجية ، مكتبة الإمارات ، العين ، دار الحقيق للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٤ ، ص١٤٩-١٥٢.

[2] لويد جنسن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٤-٥٦.

[3] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية -دراسة في الاصول والنظريات ،مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٣.

[4] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٩-٢١٠.

٤- العامل التأريخي :-

يقصد بالعامل التاريخي كل ما تتركه التجارب التاريخية والقيم والتقاليد الاجتماعية لمجتمع من المجتمعات من تأثيرات مختلفة في نوعية سلوك اعضائه وكذلك في علاقاتهم المتبادلة من جهة وفي نوعية تفسيرهم للماضي وتقويمهم للحاضر ونظرتهم للمستقبل من جهة ثانية ، كما ان اكتساب التاريخ اهمية خاصة او ثقلا خاصا على الحركة السياسية الخارجية يتوقف على نوعية ادراك صانع القرار لدلالات هذا التاريخ من جهة وعلى تحكم الصفات الثقافية الأيديولوجية في تشكيل التنظيم الإجتماعي السائد من جهة اخرى [١]. وعلى الرغم من خصوصية التجارب التاريخية لكل مجتمع وكل دولة الا ان هناك مجموعات من الدول من الممكن ان تكون قد عاشت تجارب مشتركة ومحددة بما يجعل انماط سلوكها متشابهة او متقاربة، والى جانب صعوبة تحديد اثار العامل التاريخي على السلوك السياسي الخارجي للدولة على اعتبار ان التاريخ لاينكر رد الطبيعة آثاره غير المادية الا انه مع ذلك يبقى يحمل تأثيراً مهما وفعالا في السياسة الخارجية وفي عملية صنع القرار السياسي الخارجي[٢].

٥- التصور :-

يقول هولستي ، ان العامل او المحدد لعملية تحديد الأهداف القومية في مواقف السياسة الخارجية وكذلك لاختيار احد البدائل السلوكية العديدة والمتنافسة التي توفرها هذه المواقف هو تصور واضعي السياسة الخارجية للبيئة التي تحيط بهم وللواقع الذي يتعاملون معه، فهذا التصور قد يكون دقيقا وقريبا من الواقع وقد يكون مختلفا عنه بشكل اساسي ، فهو أي التصور - يرتكز على تقويم الواقع وتفسيره وعلى المغزى الخاص الذي ينسب اليه ومعرفة ما اذا كان يهدد القيم الأساسية للدولة ام لا [٣]. بمعنى ان صانع القرار يرتبط ببيئته وبنظامه السياسي عن طريق مجموعة معقدة من الرموز او الاشارات التي يكون مجموعها تصوراته العقلية عن نفسه وعن بعض جوانب محيطة وعلاقته به- لانه وكما ذكرنا ان الطابع القومي يعبر عن انماط جماعية أي محيط وبيئة المجتمع والدولة - ولما كانت هذه التصورات تتسم باللاموضوعية نرى ان هولستي يعرف التصور على انه الإدراك الشخصي لشيء او لحقيقة او لحالة وان تقويم ذلك الشيء او الحقيقة او الحالة يكون وفقا لمعايير الجودة او الرداءة او الصداقة او العدوان وما تعنيه ، وبما ان الأفراد يتأثرون برؤيتهم الذاتية للموقف فمن الطبيعي ان يختلفوا في ادراكهم وتقويمهم له وللمعاني المشتقة منه ومما ينتج عن ذلك اختلاف في سلوك كل منهم عن غيره وتمايز في القرارات المتخذة في مواجهة موقف ما [٤]، كما ان المصلحة الوطنية او القومية وتعريف الموقف كلها مفاهيم تقليدية في دراسة السياسات الدولية ويمكن عدها تصورات او مدركات عامة جدا ، لان نظرية التصور هي في المعنى العام لها

---

[١] عارف محمد خلف البياتي ، السياسة الخارجية السورية حيال الوطن العربي للفترة من عام ١٩٧٠ -١٩٨٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، تشرين الاول ١٩٨٨ ، ص٢٠.

[٢] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٨.

[٣] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية -دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠٠.

[٤] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، " السياسة الدولية : " بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي الخارجي " ، مجلة العلوم السياسية والقانونية ، العدد الاول ، حزيران ١٩٧٦ دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ص١٥٢.

لاتحمل الفعالية او القوة التي تفعلها او تؤديها الانواع الاكثر خصوصية للتصورات[1]. وقد اثبت كينث بولدنك في عام ١٩٥٦ بان صانعي القرار لم يستجيبوا الى الحقائق الموضوعية للموقف ولكنهم يستجيبون الى تصوراتهم للموقف فقط ، فاهمية التصور تزداد في حالة كون المعلومات التي تصل الى صانع القرار ناقصة او يشوبها الغموض او بسبب الحاجة الى اتخاذ قرار سريع الامر الذي يضطر صانع القرار الى اللجوء الى التخمينات والتقويمات وفقا لادراكه الذاتي وتصوره ونظرته الشخصية لذلك [2]. واحيانا يحصل ان ينتج تفاوت بين الموقف أي الواقع وبين النظرة اليه- أي التصور- بما يؤدي الى ان يكون رد فعل صانع القرار عن الموقف لا يتلاءم مع طبيعته وهنا يؤكد هولستي على ضرورة التمييز بين الظروف المادية والظروف النفسية التي اتخذ القرار في اطارها[3].

٦- القيم :

تشمل القيم كل الرموز التي يحملها الشخص بناء على تصوراته وما يعد مثاليا كالحرية او المساواة وما الى ذلك وقد حددها لاسويل وكابلان على انها نتيجة رغبة ونتيجة هدف فهي تشكل ركنا اساسيا اخر من اركان البيئة النفسية التي تشكل الجزء الرئيس من الملامح ادراك صانع القرار [4].

---

[1] Sullivan , Michael P.. International Relations : Theories and Evidence , Printice Hell , Inc , Englewood Cliffs , NewJersey , ١٩٧٦ , P.٤٩.

[2] عارف محمد خلف البياتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٥.

[3] الدكتور مازن اسماعيل الرمضاني ، " السياسة الخارجية بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي الخارجي " ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٣.

[4] عارف محمد خلف البياتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦.

قضى الجنرال كولن باول بأول التسعة أشهر المتبقية له في الخدمة كرئيس الأركان مع قادة أعلى للقوات المسلحة . والحق ، أرتقى باول أعلى المناصب في الولايات المتحدة نتيجة دعمه الرئيسين السابقين ريغان والرئيس بوش الأب . كان باول (خلف باول الأدميرال وليام كروي الذي أنتهت رئاسته لهيئة الأركان العامة المشتركة في ٣٠ أيلول ١٩٨٩ ثم أصبح باول مستشار الأمن القومي للرئيس ريغان وذلك في ١٨ كانون الأول ١٩٨٧ ثم أصبح وزيرا للخارجية على عهد الرئيس بوش الأبن) في ما يخص القيم الأمريكية معارضا لأقتراح الرئيس كلينتون بالسماح الشاذين جنسيا بالخدمة في الجيش ، على الرغم من أن البنتاغون قد سمح بتعيين ما يزيد عن مائة شاذ أثناء حرب الخليج ، ثم سرحهم بعد أنتهاء الحرب عندما لم تكن هناك لهم . كان هناك جدل على عهد الرئيس كلينتون حول حقوق الشاذين ، وفي هذا المجال تلقى النائب بيل ستانسل النقد الكثير من القساوسة المحافظين في بلدته فورت سميث لأنه صوت لصالح القانون الجنائي المعدل ، بموجب ذلك أصبح الشاذ جنسيا ليس مجرما مع أنه كان كذلك قد تبنى القانون الجديد إلا أنه صمم أن يصحح خطاه قبل أن يعاقبه رجال الدين تبعا للقيم المسيحية ، والسبب ما أيضا أدان الفعل الجنسي مع الحيوانات ، وتم يكون هناك من طريقة لأسقاط المذكرة بالتصويت المباشر . وأكثر من ذلك ، كانت المحكمة العليا ما تزال بعيدة عن قرارها عام ٢٠٠٣ الذي يصرح بأن العلاقات الجنسية الشاذة برضى الطرفين بحق الخصوصية ، وعليه لم يعط كلينتون قرارا أو رأيا يقول أن المذكرة غير دستورية . فضلا عن ذلك ، أن لكلينتون آراء أخرى حول الأجهاض وحقوق الشاذين ، ونتيجة لموقف باول من حقوق الشاذين جنسيا في القوات المسلحة ، أرسلت عضو الكونغرس بات شرويدر من كولورادو ، عبرت عن استيائها من تصريحات باول حول ذلك ، أستشهدت شرويدر بتقرير حكومي من العام ١٩٤٢ ، مشيرة الى الحجج نفسها التي أستخدمت ضد الدمج العنصري في القوات المسلحة ، تستخدم اليوم ضد الشاذين جنسيا . والحق حصل الربط بين حقوق الشاذين جنسيا وحركة الحقوق المدنية على ردة فعل مختلطة في المجتمع الأفريقي – الأمريكي أيد المؤتمر الحزبي للعرق الأسود في الكونغرس الغاء تحريم الشاذين جنسيا من الدخول الى القطاعات المسلحة . وقد أبدى الأكليروس السود معارضتهم الشديدة لأزالة التحريم . راجع : كلينتون ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٤٥٨ ، وجيمس بيكر ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٣ ، جوزيف بريستو ، يوميات كولن باول ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان، (بلا) ، ص٤٤٧ ، ٦٦٨ — ٦٩٠ .

فهي اذن وكما يقول هولستي نتاج لعملية التنشئة السياسية وهي العملية التي تتأثر بظروف البيئة الاجتماعية وبطبيعة التوعية المذهبية وبالخبرات والتجارب التي يمر بها الافراد ويحصلون عليها اذ هي القاعدة التي ترتفع فوقها الاتجاهات فتشكل بذلك اهم المعايير التي يرجع اليها من تقويم عناصر السلوك الذاتي وسلوك الاخرين[1]. فكلما كان تصرف الاخرين افرادا او منظمات اجتماعية بما فيها الدول مطابقة للقيم الذاتية كانت الاستجابة ملائمة وكلما كان سلوك الاخرين متباينا مع اهداف وافضليات فرد ما كان رد فعل الاخير على هذا يشكل سلوكا او تصرفا سيئا وينسحب هذا السلوك الاجتماعي للفرد على صانع القرار كذلك في تصرفه السياسي الخارجي اذ ان القيم الاجتماعية والسياسية التي يؤمن بها او السائدة في مجتمعه تؤثر على تصوره لتصرفات الدول الاخرى ومن ثم يؤدي به الى اتباعه سلوكا سياسيا خارجيا مماثلا لقيمه[2]. بمعنى ان القيم لاتؤدي الى فعل سياسي مباشر الا في حالة تبنيها من قبل صانع القرار كأهداف محددة وبذلك تصبح ذات اهمية كبيرة عندما يترجمها رجل الدولة وفق تصوراته عن البيئة بشكل فعال الى نمط سلوكي محدد[3].

وباجتماع القيم التي يحملها صانع القرار بمجموعها تتكون لدينا حصيلة مناسبة من القيم الجماعية التي تشكل نمطا سلوكيا جماعيا فاعلا ومؤثرا معبرا عن جزء من الطابع القومي لذلك المجتمع او الدولة وينعكس بشكل جلي في عملية اتخاذ القرار السياسي الخارجي للدولة .

٧- الإتجاهات :

يعرف هولستي الاتجاهات على انها المنطلقات التقويمية العامة لتلك الحقائق او الظروف او المواقف التي يتعامل معها واضع القرارات او التي يراها من منظوره الخاص ، فإزاء مواقف التعامل الدولي يكون واضعو السياسات متأثرين سواء بشكل مباشر او غير مباشر ببعض "الاتجاهات المسبقة التي يحتفظون بها عن الاطراف الاخرى سواء عبرت عن مشاعر ثقة او عداء او شك او ود او خوف التي لها تأثيرها الواضح في تحديد اهداف واستجابة واضعي السياسات لتصرفات هذه الدول الاخرى ونواياها ودوافعها"[4]. أي تؤثر بالمحصلة في عملية إتخاذ القرار السياسي الخارجي سواء بشكل إيجابي أو سلبي ، أي اتخاذ موقف عدائي أو تعاوني من الطرف الاخر طبقا للاتجاهات السائدة لكل طرف ازاء الطرف الاخر .

---

[1] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية -دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠٣.

[2] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني " السياسة الخارجية بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي الخارجي " ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٤ .

[3] عارف محمد خلف البياتي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦.

[4] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، نظريات السياسة الدولية -دراسة تحليلية مقارنة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٢.

يتضح لنا ، من المعلومات التي شرحناها من ان الطابع القومي هو اصطلاح يستعمل بصورة عامة للدلالة على أنماط التفكير والتعبير والشعور للسلوك الاجتماعي ، هذا يعني ان الطابع القومي يتضمن درجة من المطابقة والانسياق الاجتماعي غير مؤكدة ابدا بالتمحيص لأي مجتمع قومي [١].

ويعرف كارل فريدريك ، الطابع القومي بأنه : " سمات ثقافة معينة، وقد ارتبطت بأمة أو بقومية محددة " [٢].

وبموجب هذا التعريف ، بالامكان ان نميز بين الطابع القومي والثقافة السياسية ، في نقطتين مركزيتين [٣]:-

١- يرتبط الطابع القومي بقومية معينة ، في حين ان الثقافة السياسية لها علاقة بجماعة مهنية او طبقية .

٢- الطابع القومي ، اشمل من الثقافة السياسية لمجتمع سياسي معين ، اذ ان الثقافة السياسية لها علاقة وبشكل مباشر بالسلطة السياسية ، فهي ثقافة فرعية من ثقافة الرأي العام المحلي الواسع ، في حين يشمل الطابع القومي الثقافة بمعناها العام .

الطابع القومي بهذا المعنى ، هو مفهوم عام مجرد لاوجود له من حيث الواقع التجريبي ، وان كان يستمد عناصره من دلالة الخبرة وتكرارها ، وانه نوع من الافتراض المسبق كأطار لفهم الحقيقة او لمعالقة تلك الحقيقة على اساس الخبرة المتوارثة ، ان الطابع القومي بهذا المعنى ايضا لم يعد يقتصر على مجرد تاكيد الولاء في ناحية معينة بل ارتبط دائما بتطور عكسي تغلفه الكراهية من ناحية اخرى ، ان عاطفة الولاء نحو قومية معينة لاتعني بالضرورة كراهية القومية الاخرى . [٤]

هكذا يتبين لنا ، ان هناك مجموعة من المتغيرات الاساسية ،هذه المتغيرات ، التي لابد ان تؤثر على عملية التفاعل والاندماج بين القوى ، تدور حول التيارات من جانب ، والموقف وخصائصه من جانب اخر . والقيادات تتكون اساسا من مجموعة ارادات اتخذت صورة الفرد الواحد او المجموعة المختارة ، اذن فان مفهوم الطابع القومي يعني : " تلك المجموعة من الخصائص والانماط السلوكية التي تميز مجتمعا معينا بحيث تصير علامة من علامات الانتماء الى ذلك المجتمع " [٥].

---

[١] Harold and Margaret Sprout , Foundation of International Politics, NewJersey , ١٩٦٣ , P.٤٨٨.

[٢] الدكتور عبد الغفار رشاد ، الرأي العام دراسة في النتائج السياسية ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ٦٩.

[٣] المصدر نفسه ، ص ٦٩-٧٠.

[٤] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤ .

[٥] Arvid , Brodersen , National Character and ald Proplem Reexamined , New York ; ١٩٦١ , PP. ٢٠٣-٢٠٥;

قارن مع الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٠.

والحق، هناك تفسيرات متعددة بين اساتذة السياسات الخارجية فيما يخص اهمية الطابع القومي في عملية صنع القرار ، ومن الممكن تقسيم هذه التفسيرات الى قسمين:-

١- يرى قسم من اساتذة السياسات الخارجية ان نظرية الطابع القومي لايمكن ان تنطبق الا في المجتمعات القطرية او البدائية ، على اساس ان هذه النظرية نشأت اساسا على ايدي علماء الاجناس ، الذين جعلوا اساس دراستهم ينصب وينطبق على المجتمعات القطرية لما في انماطها السلوكية من تجانس وتلاحم [١].

٢- يرى القسم الآخر من اساتذة السياسات الخارجية ان التفسير السابق الذكر ينطبق ايضا على المجتمعات المتقدمة ، التي تحوي في حضارتها لعناصر الاجتماعية ، بل واكثر من ذلك ان النظام السياسي في هذه المجتمعات يتكون من هذه العناصر ، بحيث ان كلا منها يشكل طابعا قوميا خاصا [٢].

على الرغم من التفسيرات المقدمة حول ظاهرة الطابع القومي ، فان هذا الاصطلاح لايزال مستخدما في اطار مفهومه العام ، الا انه لابد من التأكيد على ضرورة ان يبقى القارئ في ذهنه ان الاشارة لاتوجه دائما الى سمات شخصية مفردة ، ولكن الى نماذج التفكير والشعور والعمل التي تبدو سائدة بصورة واسعة جدا ضمن البلد مجال البحث [٣].

ان مقدار كبيراً من البحث والمناقشة عن الطابع القومي ، قد جرى بحثه خارج نطاق علم السياسة ، ينطبق هذا القول على وجه الخصوص بالنسبة لابحاث علماء النفس والاجتماع والانثروبولوجي والجغرافية ، حينما يطبق هؤلاء اكتشافاتهم وبحوثهم على المشكلات السياسية، فانهم غالبا يبدون مفترضين ان المواقف والانماط السلوكية الاخرى المرئية في تجمعات قومية معينة ، لها اهمية سياسية انية او جوهرية [٤].

ويجب التأكيد هنا ، ان المجتمعات السياسية عدا البدائية منها تشكل بصورة عامة طبعات وصورا لجنسيات وامم اخرى ، هذا يعني ان لديها انطباعات عما يشبهه مجتمعهم القومي وما الذي يرمز اليه ، وما الاعمال التي هي صحيحة مناسبة ، وماهي الاخطار التي تجابهه الخ .. هذه الانطباعات تظهر نزعة عالمية لتمجيد ومقاومة التغيير تصبح انواعا مجسمة بالعبارة الاصطلاحية للعلم السلوكي ، هذه الانواع المجسمة من المحتمل ان تشترك فيها كثيرا او قليلا الطبقة الحاكمة في المجتمع ، ان هذا يحدث الى مدى ان الانواع المجسمة السائدة تنعكس بصورة محتملة جدا في اختياراتهم واحكامهم وقراراتهم ، حينما يحدث ذلك او حينما يذعن الحكام للمطالب والمواقف العامة الملحوظة التي لا يشتركون فيها شخصيا ، عندها ، وعندها فقط تصبح النماذج السلوكية المتخذة ما يدعى في النتيجة الطابع القومي – مهمة كمصدر للسياسة القومية[٥].

---

[١] Ibid ., PP. ٣٠١ , ٣٠٦-٣٠٧ ; Hubertus , C.S. Duiike National , Character and Sereotypes , Amesterdam North Holl and Pub ., Co ., ١٩٦٩ , P.١١٥.

[٢] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٢.

[٣] Harold and Margaret Sproat , Op .Cit ., P.٤٨٩.

[٤] Ibid ., P. ٤٨٩.

[٥] Ibid ..

وهنا يتعين علينا أن نتساءل : كيف يمكن أن نسلم بتكوين المجتمع من عناصر اجتماعية متعددة في طابعها القومي ، ثم نؤكد ونقول بأن الطابع القومي يصبح أحد منطلقات فهم السياسة الخارجية لذلك المجتمع الكلي ؟ والحق أنه في حالة عدم التجانس تبرز أهمية الطابع القومي مرة أخرى . إن واضع السياسة الخارجية يقوم بالبحث والتحري عن تلك العناصر التي تكتنفها نماذج عديدة للطابع القومي حتى ولو بوساطة التفاعل والانسجام ، ولو لم تتجاوز جزئيات محددة ، لأنه فقط من خلال تلك العناصر يستطيع الحصول على التأييد والرفض الجماعي الكلي [1].

وفي هذا الصدد قامت دراسات عديدة من قبل علماء الاجتماع لدراسة ظاهرة الطابع القومي الأمريكي [2]، فقد أكد هؤلاء على أن هناك تفاعل متغيرات ثلاث في تكوين الطابع القومي الأمريكي هي [3]:-

١- العزلة عن القارة الأوربية .
٢- اتساع رقعة الأراضي والموارد الطبيعية المتوفرة [4].
٣- خصائص المهاجر الأمريكي .[5]

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٣.

[2] إن الشكل الأساس للنظام السياسي في الولايات المتحدة يقوم على الدستور المكتوب الذي تم الإعداد له في ١٧٨٧ وتم تصديقه في ١٧٨٨ ، والعمل به في ١٧٨٩ ، ويقوم هذا النظام على الفصل بين السلطات الذي يطلق عليه اسم الديمقراطية الرئيسية وهو الفارق الوحيد والأهم بين نظام الحكم في الولايات المتحدة وغيرها من الأنظمة الديمقراطية . راجع : أوستن رني ، السياسة في الولايات المتحدة ، في جابرييل اي . ألموند ، جي . بنجهام باول الابن ، السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر ، ترجمة هشام عبد الله ، الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٨ ، ص ٩٥٤ ، ٩٥٦.

[3] تبلغ مساحة الولايات المتحدة ٣,٦١٨,٧٦٨ ميلاً مربعاً ، وتعد رابع أكبر الدول مساحة في العالم ، وهي أصغر فقط من دولة الاتحاد السوفيتي السابق ٨,٦٤٩,٤٩٦ ميلاً مربعاً ، وكندا ٣,٨٤٩,٦٥٦ ميلاً مربعاً ، وجمهورية الصين الشعبية ٣,٧٠٥,٣٩٠ ميلاً مربعاً . ومساحتها تبلغ تقريباً ستة أمثال مساحة فرنسا (تبلغ مساحة فرنسا ٣٥٢٨١ فرسخاً مربعاً) ، تشغل الولايات المتحدة وحدها مساحة تعادل نصف مساحة أوربا ، إذ تبلغ مساحة أوربا ٥٠٠ ألف فرسخ مربع ، أما عدد سكانها فيبلغ ٢٠٥٠٠٠٠٠٠ نسمة . راجع : المصدر نفسه ، ص ٩٥١. وألكسي دو توكفيل ، الجزء الأول ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧ ، والجزء الثاني من المصدر نفسه ، ص ٤٤٣ . ويبلغ تعداد سكان الولايات المتحدة ٢٥٢,٥ مليون نسمة ، أما معدلات الناتج القومي الإجمالي تقرد في العالم فتعد عالية ، إذ تبلغ ٢٠٩١٠ دولار . راجع : منصف السليمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧١.

[4] كان اقتصاد الولايات المتحدة في بداية عقد التسعينات أكبر اقتصاد في العالم ، بلغ إجمالي الناتج القومي أو القيمة الإجمالية للبضائع والخدمات التي انتجتها ٤٥٢٧ مليار دولار ، مقارنة مع اليابان ٢٣٦٩ مليار ، والاتحاد السوفيتي ٢,٤٦٠ مليار ، وألمانيا الغربية ١٢٢٦ مليارا . راجع : المصدر نفسه ، ص ٩٥٢.

[5] هنا لابد من الإشارة ، إن هناك تمييزاً بين المستوطنين والمهاجرين ، فيما يخص الأول ، فإنهم في العادة يغادرون مجتمعاً موجوداً في مجموعات لإنشاء جماعة جديدة ومجتمع جديدة ، على الأغلب في مكان بعيد ، تجمعهم أهداف جماعية ، يقومون بعد ذلك بدعم اتفاق أو عهد بشكل ضمني أو صريح من شأنه أن يحدد أسس الجماعة التي يؤسسونها وعلاقتهم الجماعية بمجتمعهم الأصلي . في حين أن المهاجرين لايقومون بإنشاء مجتمع جديد ، حيث ينتقلون من مجتمع إلى آخر متباين ومختلف . ومن سمات الهجرة ، أنها تكون عملية شخصية ، تشمل الأفراد والعائلات ، التي تحدد علاقاتها فردياً مع بلدها الأصل ، وبلدها الجديد .
وانطلاقاً من ذلك ، يمكننا أن نتحدث عن موضوع الهجرة في الولايات المتحدة ، حيث بلغ عدد سكان الولايات المتحدة في عام ١٧٩٠ ، ما يقارب ٣٩٢٩٠٠٠ : شكل العبيد منهم ٦٩٨٠٠٠ نسمة ، ولم يعدهم الآخرون أنهم جزء من المجتمع الأمريكي . وكان ٦٠% من السكان البيض أكثر من الناحية العرقية و٨٠% بريطانيين ، أما البقية الباقية فكانت من أصل ألماني وهولندي بالدرجة الأولى ، ٩٨% بروتستانت .
تزايدت نسبة الهجرة في الولايات المتحدة في ثلاثينات القرن التاسع عشر ، ثم بدأت تميل إلى الانخفاض في خمسينات القرن التاسع عشر ، وتميل إلى الزيادة في الثمانينات ، والانخفاض في التسعينات في القرن ذاته . إلا أنها أصبحت في زيادة عالية خلال العقد ونصف قبل الحرب العالمية الأولى . ثم بدأت في الانخفاض بشدة بعد إقرار الهجرة عام ١٩٢٤ واستمرت في الانخفاض إلى أن صدر قانون الهجرة في عام ١٩٦٥ . راجع : صموئيل ب . هنتنغتون ، من نحن ؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية ، ترجمة حسام الدين خضور ، دار الحصاد ، دمشق ، ٢٠٠٥ ، ص ٥٣ ، ٥٨-٥٩ .

أن هذه المتغيرات أدت الى تكوين عنصرين واضحين في الطابع القومي الامريكي ، وانه على المدى البعيد كان لابد لهذين العنصرين أن يكون لهما أثر على السياسة الخارجية ، المادية أولا ثم السطحية ثانيا التفكير المتزايد من المواطن العادي الامريكي في زيادة الدخل يشكل المحور الاساس في مفهوم النجاح الامريكي : فهو متفائل ، مؤمن بالقدرة الأمريكية ، سريع التغير ، يعتقد بأن أي مشكلة يمكن ان تجد حلولها بسرعة ودون صعوبة ، كذلك تعكس السياسة الخارجية هذه الصفات ، اذ يرى بعض العلماء في الرئيس الامريكي السابق جونسون وسياسته ، أنموذجاً واضحاً لهذه الحقيقة . فضلاً عن ذلك الأبحاث التي اجريت عن تصور دالاس للوجود السوفيتي وأثر ذلك التصور على صنع القرار السياسي الامريكي خلال حقبة كاملة تؤكد موضوع هذه الحقيقة [1].

هناك اتفاق بين كتاب السياسة الخارجية في تحديد خصائص الطابع القومي الأمريكي، وفي هذا المجال يؤكد توكفيل : " ان هذه الحركة ادت الى قلق في المجتمع الأمريكي ، ومصدر ذلك الاهتمام الزائد بالقيم الخاصة على حساب القيم العامة والروح التنافسية [2].

يأتي جرند بعد توكفيل ليؤكد على النجاح المادي الذي حققه الأمريكي ، ديكنز يلقي الضوء عن سيطرة عدم الثقة الناتجة عن الروح التنافسية ، هربرت سبنسر يتحدث عن العدوانية المسيطرة على السلوك الأمريكي ، جيمس برايس يتحدث عن ظاهرة عدم الاستقرار وعدم اتباع السلوك العقلاني الرشيد ، ثم يأتي Ostrogorski ليؤكد على خصائص المادية والعملية كي يضيف اليها خاصية اخرى ، هي التفاؤل ، اذ يقول Ostrogorski في هذا المجال : " ان غنى أمريكا مضافاً اليه تكافؤ الفرصة قد ادى الى تفاؤل غير محدود ، فالاعتقاد في النجاح عند الأمريكي ليس مجرد اتجاه عام وانما هو عقيدة قومية " [3].

من هذا المنطلق ، يقدم الاستاذ تروبوفيتز ، استاذ العلوم السياسية بجامعة تكساس مجموعة من العوامل التي تؤثر على السياسة الخارجية الامريكية ، والدوافع المحركة للمصالح القومية الأمريكية من افتراض مبدئي فحواه ان السياسة الخارجية الأمريكية تتصف بظاهرة عدم الاستقرار التي ترجع الى عاملين رئيسين ، يتركز الاول في الطبيعة غير المستقرة للاندماج الأمريكي في الاقتصاد العالمي ، والثاني يكمن في التعددية الاقليمية – وهو محور دراستنا في هذا الفصل – في البيئة الداخلية برمتها ، الامر الذي اوجد صعوبة لدى صانع القرار في تحديد ماهية المصلحة القومية لدولة بهذا التعدد الإقليمي [4]، وهذه التوجهات العالمية

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٤.

[2] محمد سيف ، مصطفى علوي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٤.

[3] المصدر نفسه ، ص ١٦.

[4] يشير بعض من أساتذة السياسة الخارجية ، الى ان مفهوم المصلحة القومية ، بدأ استخدامه في الفقه الأمريكي على يد رجال الدولة في الولايات المتحدة عندما استقلت الاخيرة ،وانبثاق الدستور الامريكي وظهوره على نحو واضح في بداية القرن العشرين ، وقد اتضح ذلك وربما انتهت قيام حربين عالميتين ، من أن الرأي العام الشعبي بدأ يولي اهتماماً كبيرا بهما ، ومن هنا بدأ الاهتمام على هذا المفهوم ، راجع : مصباح ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠.

المختلفة ، والحق يعد دراسة ترويوفيتز بمثابة مدخل جديد في ادراك ومعرفة السياسة الخارجية الامريكية [1].

هناك من الباحثين الذين يؤكدون على وجود العلاقة التأثيرية بين الطابع القومي و السياسة الخارجية ، كأن يقال على سبيل المثال ان الطابع المادي للرأي العام الأمريكي ، يجعل الهدف المبتغاة تحقيقه في السياسة الخارجية الامريكية هو كيفية تحقيق الرفاهية المادية للمواطن الامريكي ، او يقال ارتباط الطبيعة العسكرية للشخصية الالمانية مع العالم الخارجي ، واصحاب هذا الرأي ينطلقون من الافتراضات الثلاث الاتية :

١- ان المواطنين في اية دولة ، الذين يرتبطون بخصائص نفسية مشتركة ، تجعل لهم تكوينا نفسيا ، يميزهم عن غيرهم في وحدات السياسة الخارجية .
٢- لاتتغير ظاهرة الطابع القومي بسرعة ، وان خصائصها قد تؤثر في سلوك الوحدات الدولية ولحقب زمنية طويلة المدى .
٣- وجود رابطة مشتركة بين ظاهرة الطابع القومي واهدافها القومية .

اما الرأي الثاني ، فيذهب الى القول بعدوم وجود هذه العلاقة التأثيرية بين الطابع القومي و السياسة الخارجية لعدم وجود البراهين العلمية المقنعة لذلك ، فضلاً عن عدم استمرارية خصائص الطابع القومي للأمم ، بسبب ارتباط ذلك بالجانب النفسي الذي يخضع لتأثير العوامل البيئية المختلفة ،وتغير هذا الطابع من حقبة الى حقبة زمنية اخرى ، وعلى سبيل المثال فان الطابع القومي للشعب الايطالي في العصر الوسيط ، يتباين عن طابعه في عصر موسوليني [2].

ان العلاقة بين الطابع القومي و السياسة الخارجية ، تأتي عن طريق تأثير الطابع القومي على الرأي العام المحلي من ناحية ، وعلى صانعي القرارات السياسية الخارجية من ناحية اخرى ؛ لأن معرفة اتجاهات وآراء الرأي العام المحلي ازاء السياسة الخارجية لا تأتي فقط من استجابة لمشكلات ومواقف موضوعية بل تتاثر ايضا بالسمات الاساسية في الطابع القومي [3].

---

[1] Trubowits , Peter , Defining the National Interest , Chicage ; University of Chicago Press , ١٩٩٨.

اجرى علماء السيكلوجيا الاجتماعية وطبائع الاسلاف الثقافية الامريكيون منهم على سبيل المثال كارل دريبج وهارولد سبراوت ومار غريت مي وبصورة خاصة منذ قيام الحرب العالمية الثانية وذلك لاعداد مناهج جديدة في دراسة الطابع القومي ، وقد طبق الالماني Helpach المنهج الاجتماعي السيكولوجي في مؤلفه المعروف Volkerpsychologie Einfuhrung in die . ولكن الذي يهمنا في هذا المجال وفي ميدان السياسة الخارجية هو دراسة : نماذج ثابتة Stereotypes لسواد افراد قومية ما بالنسبة الى امثلاح مماثلة لافراد قومية اخرى ، تشير هذه الدراسة الى تشويهات الحقيقة الواضحة في هذه الأملاح ومصدرها . في هذا المجال ، يمكننا الرجوع الى كتاب Cantril والموسوم بـHow Nations See eath Other الذي ابرز بمعلومات تطبق على تسعة وحدات دولية . راجع : بيير رينوفان وجان باتيست دوروزيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٢٠-٦٢١.

[2] مصباح ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٢-١٠٣.

[3] محمد سيف ، مصطفى علوي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥.

وهذا يعني ان تلك الأنماذج غير العقلانية للسلوك ، ورد الفعل تؤثر بشكل كبير على ادراك واختيار وتقويم الحقيقة السياسية ، فعلى مستوى الرأي العام تحدد تلك الخصائص السايكلوجية الحضارية انماط الفكر والإستجابة لمشكلات السياسة الخارجية وتكييفها ، اما على مستوى النخبة السياسية فان ظاهرة الطابع القومي في انماط عملية صنع القرار [1] فاذا كان لدينا دولة أ او دولة ب ، فعند صانعي القرارات في الدولة أ.

بصنع قرار (س) تجاه الدولة (ب) ، ففي مثل هذه الحالة ، فان هؤلاء يأخذون بنظر الاعتبار في عملية صنع القرار الطابع القومي للدولة (ب) والصورة القومية للدولة (ب) لدى الرأي العام (أ) ، كما ان الطابع القومي للمجتمع (أ) ينعكس على صانعي قراراته الخارجية وعلى استجابة الرأي العام المحلي للقرار (س) ، هذه الاعتبارات لاتدخل فقط في عملية صنع القرار بل انها احد العوامل المحددة لنجاح القرار (س) في تحقيق اهدافه [2].

بهذا المعنى: يمكننا ان نقدم الملاحظات الاتية حول العلاقة بين مفهوم الطابع القومي والسياسة الخارجية في النقاط الاتية :-[3]

١- يؤدي الطابع القومي الى فهم ابعاد الحركة السياسية الداخلية ، ولاسيما اذا عرفنا مدى العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية .

٢- ان الطابع القومي قد يؤدي في نهاية الامر الى تأصيل سياسة التعاون والتقارب . في دراسة حديثة قام بها العالمان بوخانان وكانتريل بعنوان : كيف ترى الشعوب الأخرى، وذلك لحساب منظمة اليونسكو استطاع ان يقدم لنا علم النفس الاجتماعي مايؤكد هذه الملاحظة. ان هذه "الابحاث في حقيقة الأمر من الممكن ان تقود الى نتيجة اخرى عملية تدور حول اكتشاف ابعاد وتحقق التنظيمات الاقليمية للهيئات الدولية . فحيث ان التنظيمات الاقليمية تدور حول مبدأ التعاون ، فمن الواضح ان حدود تلك التنظيمات يجب ان يحددها ابعاد القدرة على التعاون ، وبالتالي تتلاعب بخصوصها خصائص الطابع القومي .

٣- على ان هذه الأهمية تزداد وضوحا في نطاق دبلوماسية التجمعات حيث السياسة الخارجية تختلط بالسياسة الداخلية وتصير كلا يكاد لايتجزأ ، وتبرز هذه الاهمية بشكل خاص في المراحل الاولى من ظاهرة الإندماج السياسي . فالحساسية المبالغ فيها التي تميز بعض الطبقات والفئات ذات المصالح المعارضة للاندماج والمؤكدة للانفصال تجعل من عملية فهم الطابع القومي ولو على مستواه المحلي امرا ضروريا ولازما لنجاح السياسة الاندماجية .

٤- تبرز اهمية تحليل وفهم الطابع القومي عندما تأخذ السياسة الخارجية اسلوب التغلغل في المجتمعات الاجنبية من خلال التفاعل مع الرأي العام المحلي ، والسعي لتفتيته او الحصول على مساندته باسلوب مستتر .

٥- اتبعت السياسة الخارجية الأمريكية هذا الاسلوب بشكل واضح كاداة من ادوات الاستعمار الجديد ، وبصفة خاصة في عملية تقليم اظافر المجتمعات الخطرة .

---

[1] المصدر نفسه .

[2] المصدر نفسه

[3] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٥-٦٧.

لابد من الاشارة في هذا المجال ، ان ظاهرة الطابع القومي لها تأثير على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، لأن صانعي القرار هم جزء من مجتمع سياسي معين ، الا ان سلوكهم يعكس العلاقة بين نسق المعتقدات والادراك وعملية صنع القرار ، فصانع القرار يتصرف استناداً الى صورة اكثر منه استنادا الى حقيقة موضوعية . ويوضح هذا الدور الملقاة على نسق المعتقدات في عمليات الادراك خصوصا بالنظر الى الصور القومية النمطية . وفي هذا المجال يذهب كينيث بولدنج أن " الدول تنقسم الى جيدة ورديئة ، العدو يحمل الصفات الرديئة ، اما الامة نفسها بمعنى صورتها عن نفسها فهي تتسم بالفضيلة في اتقى صورها "[1].

ان هذه العلاقة بين ظاهرة الطابع القومي والصراع الدولي يتأتى من تصرف صانعي القرار بموجب تعريفهم للموقف والصورة الواردة في ذهنهم عن الدول ، وهذه الصور بدورها تستند الى نسق القيم والمعتقدات لدى صانعي القرار وهي قد تكون مطابقة فعلا للحقيقة وقد لاتكون كذلك ، وهكذا فان الصراع الدولي لايكون عادة بين دول وانما الأرجح انه بين صور مشوهة للدول [2].

٢- الرأي العام

تستهدف اية حكومة تعبئة اكبر قطاع ممكن من الرأي العام لتأييد سياسة معينة وبرنامج معين ، وتنشد قاسما مشتركاً اعظم يعبر عنه بمبادئ وافكار عامة اكثر مما يعبر عنه بخطة ستراتيجية محددة كتلك التي تعبئها السياسات العسكرية في احتمالات عملية لمواجهة الظروف ، وبطبيعة الحال ان المؤسسات السياسية الرسمية لها تأثير فعال على صنع القرارات في السياسة الخارجية ، بما لها من اجهزة متعددة ووسائل اخرى تمكنها من اتخاذ موقف معين، الا ان هذا لايعني ان الجماعات غير المنظمة لم تكن لها دور في هذا المجال ، ويتم ذلك من خلال الانتخابات ، اذ ان صانعي القرارات يأخذون في اعتبارهم الرأي العام ، ولاسيما في القرارات التي تتخذ قرب الحملات الانتخابية ، وارسال الرسائل الى المؤسسة التشريعية او اية مؤسسة اخرى ، وهو توضيح لدى صانعي القرارات لتجاهات الرأي العام التي قد تؤدي او تعارض قراراً معيناً ، وتمثل في الوقت نفسه الاطار العام للحركة السياسية الذي يوضح اتجاه الرأي العام بخصوص السياسة الخارجية بصفة عامة .

وفي هذا المجال ، لابد ان نقدم تعريفا للرأي العام ، اذ يعرفه جيمس برايس بانه مدلول يستخدم للتعبير عن مجموعة من الآراء التي يدين بها الناس ازاء القضايا التي تمس مصالحهم العامة والخاصة [3].

---

[1] الدكتور عبد الغفار رشاد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧١.

[2] المصدر نفسه ، ص ٧٦.

[3] Bryce , Games , Modren Demecraties , ١١ , NewYork ; The Mocmillan Co.,١٩٦١ , P.٣٧٠.

والحق اختلف الباحثون حول مدلول الرأي العام ، فالبعض يعرفه بانه رأي حول امور عامة ، فيما يبرز البعض الاخر مدلول لفظ العام من حيث القواعد المشتركة والعضوية في مجتمع واحد وبالتالي يعرفون الرأي العام كرأي حول قضية ما يعتقده مجتمع واحد يؤمن بعدة قواعد مشتركة ، اما البعض الاخر فيوضح هذا المفهوم من خلال التركيز على الادوات التي تشكله مثل التفاعل الاجتماعي ونظم الاتصال وردود الفعل Food Back ، فضلا الى طرق تعبئته . راجع : أسيا الميهي ، " الرأي العام في السياسة الخارجية الامريكية " . السياسة الدولية ، العدد ١٢٧ ، يناير ١٩٩٧ ص٨٦.

اما فلويد اولبرت فانه يعرف الرأي العام بانه : " تعبير جمع كبير من الافـــراد عـــن ارائهم في موقف معين اما من تلقاء انفسهم او بناء على دعوة توجه اليهم ، تعبيـــرا مؤيـــدا او معارضا لمسألة معينة او شخص معين او اقتراح ذي اهمية واســعة ، بحيـــث تكـــون نـــسبة المؤيدين او المعارضين في العدد ودرجة اقتناعهم وثباتهم واستمرارهم كافية لاحتمال ممارسة التأثير على اتخاذ اجراء معين بطريق مباشر او غير مباشـــر تجـــاه الموضـــوع الـــذي هـــم بصدده"[1].

ويعرف ليونارد دوب الرأي العام : " يشير الرأي العام الى اتجاهات افـــراد الـــشعب ازاء مشكلة ما في حالة انتمائهم الى مجموعة اجتماعية واحدة "[2]. اما ديفيد تروســـان فانـــه عرف الرأي العام : " يتضمن الرأي العام آراء تجمع من الافراد الذين يشكلون العامـــة محـــل المناقشة "[3].

ويعرف لاري الويتز ، الرأي العام بانه " مجموعة الآراء والإتجاهات التـــي تتبناهـــا مختلف الجماعات والافراد تجاه النظام السياسي بصفة عامة ، والقضايا الجماهيريـــة المهمـــة بصفة خاصـــة . ويتعين على القادة ان يأخذوا في اعتبارهم وجهـــات نظـــر هـــذه الجماعـــات المتباينة عندما يقومون بصياغة سياساتهم الجديدة "[4].

ولابد من التأكيد في هذا المجال ، انه ليس من الضروري ان نفترض وجـــود دولـــة ديمقراطية ، او نظرية عن مفهوم " الإرادة العامة " لا تـــأخذ بنظر الإعتبار أهمية الرأي العام ، وفي هذا المجال قال دافيد هيوم:" على الرأي وحده تبنى الحكومة ، وهذه القاعدة تنطبق على اكثر الحكومات استبداداً في المجالات العسكرية ، وتنطبق على اكثرها حرية وشعبية [5]. فضلا عن ذلك فان الرأي العام يكون له تأثير في حالتـــين[6]:

١- في حالة عندما يكون هذا الرأي غير منظم في شكل مزاج عام يبين الحدود التي يمكن ان تدور السياسة داخلها .

٢- او عندما يعبر الرأي العام عن مصالح شرائح متعددة بطرق منظمة .

والحق ، أن القادة السياسيين في أوربا في القرن التاسع عشر ، كانوا لايهتمون باهمية الرأي العام في اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية ، وفي هذا الصدد يقـــول متـــرنيخ : " أن وجوب علم الجمهور بشيء عن السياسة الخارجية ، أو ان يكون له رأي فيها ، أمـــر خطيـــر وشيء من الخيال "[7].

---

[1] الدكتور علي محمد شمبش ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٠.

[2] المصدر نفسه ، ص ٧٣.

[3] المصدر نفسه ، ص ٧٣.

[4] لاري الويتز ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥.

يتعرف الأمريكيون على قياداتهم ويطورون آراءهم عن الحكومة من خلال عملية التوعية السياسية والاجتماعية ، وتتأثر هذه العملية في الاساس بالاسرة والمدرسة وجماعات الاقران ووسائل الاعلام والاحداث التي تقع في كل جيل ، راجع: المصدر نفسه ، ص ٤٨.

[5] Frankel , Joseph , International Relation , Op. Cit , P.٣٤.

[6] Ibid ., PP. ٣٤-٣٥.

[7] نيكولسون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٥.

الا أن الإعتراف باهمية الرأي العام ، بدأ عند رجال السياسة في بريطانيا ،الذين كانوا يعتقدون بان الرأي العام العالمي لاسيما في اوربا شبيه بالرأي العام الانكليزي، وأنه لو اعطى فرصة التعبير عن نفسه كأنه السلم لامحالة سائداً في تلك القارة " [1].

وقد اعطى كلانتغ وبالمرستون أهمية كبرى لدور الرأي العام في السياسة الخارجية ، ويقول كانتنغ في هذا الشأن : " قوة أشد هولاً من اية قوة اخرى ظهرت حتى ذلك الحين في تاريخ البشرية وستنتصر في النهاية على حراب المشاة ونيران المدفعية وحملات الفرسان "[2].

وفي هذا المعنى يقول لويد جورج : " انني واثق من ان الرأي العام لن يدعمنا اذا تدخلنا في ظروف مماثلة لا في امريكا ولا في إنكلترا " . ويردف لويد جورج قائلاً : " أن الرأي العام عندنا يرغب قبل كل شيء في السلام ، وهو لا يعلق اهمية على شروط هذا السلام ، ولن يدعم حكومة تثير الحرب دون اسباب قاهرة غاية في العنف"[3].

اما فيما يخص كلمنصو فيقول في هذا المجال : " انني مثله -لويد جورج – التقي تيار الرأي العام في بلدي وعليّ أن احسب له حساباً ، اعتقد ان العالم كله متعجل للخلاص انهم يرون في انكلترا ان عليهم الوصول الى النهاية عن طريق التنازلات ، اما في فرنسا فنعتقد ان علينا أن نقسوا ، نحن نعرف الالمانيين اكثر من أي مكان ..."[4].

ويردف كلمنصو قائلاً : " أن الرأي العام البريطاني لايشكو اذ يرى المانيا ملزمة باعطاء كل مستعمراتها وكل اسطولها ،وهذا طبيعي ، لأن كل شعب يرى المسائل من وجهة نظره الخاصة ، أن شعوراً ليس اقل طبيعياً في فرنسا يرى ان الانتصارات البريطانية تتركز على المسائل القارية فحسب ". ويضيف كلمنصو قائلاً: " ان مجالسنا النيابية تظن انه لايمكن ان نعطي عطاء كافياً ، ان صحفاً يدعمها احياناً نفوذ على اعلى المستويات تخاطبني كل يوم قائلة أنني لا أعمل عملاً كافياً أنني اقوم بواجبي وهذا حسبي "[5].

والحق ، تقتضي الفلسفة الديمقراطية ان يقرر الشعب الاهداف العامة للسياسة الخارجية، وبان تتخذ القيادة السياسية أي السلطة التنفيذية القرارات الموصلة لهذه الاهداف وان تقوم بتنفيذها ، ويثق المفكرون الديمقراطيون بأهلية الشعب لتقرير هذه الاهداف ، ويعبر جيمس برايس عن هذه الثقة مؤكداً ان الديمقراطية اظهرت من الحكمة في اعتماد اهدافها الخارجية العامة اكثر مما اظهرت الدول الاستبدادية ، ولكن اكثر المفكرين الديمقراطيين يسلمون ان

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٨٦. ومارسيل ميرل ، السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩.

[3] بيير رينوفان وجان باتيست دوروزيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩٤.

[4] المصدر نفسه ، ص ٤٩٤.

[5] المصدر نفسه ، ص ٤٩٤-٤٩٥.

الشعب اقل وعيا واقل عصمة عن الخطأ في الشؤون الخارجية منه في الشؤون الداخليـــة [١]. يمكن النظر الى الرأي العام على انه نظام للقرارات القومية ، ويمكن لبعض اغراض تخصص التحليل ان نتصور تدفق الإتصالات والقرارات في صورة مبسطة للغاية ، كأنه مسقط ماء من خمسة مستويات ، ويمكن ان نتصور ان كل مستوى يكونه خزاناً معيناً من الرأي العام او رأي الصفوة ، وكل من هذه الخزانات متصل بمركب معين من المؤسسات الاجتماعية والجماعـات التي تمثل المركز الاجتماعي ، وتنساب الاتصالات بسهولة اكثر من داخل كل مستوى منها لو كانت تنساب من مستوى الى الاخر ، وهي تنساب من مستويات المركز الاجتماعيـة العليـا ، والقوة الى المستويات الدنيا ، بسهولة اكبر مما لو انعكس الوضع ، ونظام الاتصال والعمل في كل مستوى يمكن ان يمثله "صندوق اسود" بسيط فيه بطاقات قليلة ملصقة باجزاء منه ، بحيث تشير الى الرسائل والخبرات الواردة الذاكرة والتذكر ، القرار من خلال الربط البيانات الواردة بالمعلومات المستقاة من الذاكرة لتحديد انتاج السلوك ، وانتاج الرسائل والإتصال التي تستنتج والتي يمكن ان تعيد المعلومات الى جانب الوارد في النظام ، وبهذا تعدل المراحل التالية مـن سلوكه [٢].

أول هذه المستويات من خزانات الرأي العام في المجتمعات الغربيـة هـو مـستوى الصفوة الاجتماعية والاقتصادية وتمثل على وجه التقريب ، او ٣ في المائة او نحو ذلـك مـن السكان على اساس الملكية والدخل والمركز الاجتماعي-الاقتصادي – كبار المـلاك ، وحملـة الاسهم ،واصحاب الاعمال ، والمستثمرين والموظفون في الادارة العليا ، ومؤسساتهم الرئيسة مثل الشركات في مجالات التجارة والمصرفية والاستثمار [٣]. والمستوى الثاني في عالم غربي

---

[١] مكريدس ، وتومبسون ، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥.
يقول توكفيل في كتابه " الديمقراطية في أمريكا " : " تقيم الأغلبية في الولايات المتحدة حواجز منيعـة حـول حرية الرأي ،وفي نطاق هذه الحواجز يستطيع المؤلف أن يكتب ما يشاء ، وويل له ان تجاوزها .. يتعـرض للفضيحة وللاضطهاد المستمرين ، ويقضي على حياته السياسية بيده الى الأبد . والويل لا يعني إحراق كتبـه وحظر تداولها ، بل يعني الإزدراء وضروبا من الاضطهاد اليومي ، وتغلق دونه أبواب العمل السياسي ، لقـد أغضب بصنيعه السلطة الوحيدة التي تمسك بمفتاحها . يحرم من كل شيء ، حتى الشهرة . قبل أن ينشر آراءه كان يحسب أن مناصريه كثر ، أما وقد جاهر بها فيبدو له أن أحدا من الناس ما عاد يناصره . وذلك لأن من يناصبونه العداء يجاهرون برأيهم ، فيما الذين يشاطرونه الرأي يصمتون ويبتعدون لأنهم لا يمتلكون جرأته ، فيستسلم ، ويزداد رضوخا لمعاناته اليومية ، ويلزم الصمت كأنه نادم على إشهاره الحقيقة .
ويضيف توكفيل قائلاً: " لم تنجب أميركا الى اليوم سوى نفر قليل من الكتاب البارزين ، كما أنهـا لـم تنجب مـؤرخين مرموقين ، ولا تعثر فيها على شاعر واحد . إذ ينظر أهلها الى الأدب ، بمعناه الفعلي ، نظرة إستخفاف وعـدم إكتـراث ، فقد تعثر في أوربا على مدن من الدرجة الثالثة من حيث الأهمية تنشر سنويا عددا من الأعمال الأدبيـة يفـوق مـا تنـشره ولايات الإتحاد الأربع والعشرون مجتمعة " .
Tokfel , Democracy in The United States , Op.Cit ., PP.٢٣٢-٢٣٣.
[٢] Dutsch , Op.Cit ., PP. ١١٩-١٢٠.
[٣] Ibid ., P.١٢٠.

، يتكون من الصفوة السياسية والحكومية ، وهذه الصفوة تدور اساساً حول الحكومة القومية ، ويتكون المستوى الثالث من وسائل الاتصال بالجماهير –ولاسيما الصحف والمجلات والتلفزيون والاذاعة – مع وكالات الاعلان والسينما والاسطوانات ، وصناعات النشر باعتبارها ملحقات وثيقة الاتصال بها ونظام الإتصال في المستوى الرابع كبير بكثير واقل تماسكا بكثير ولكنه لايقل اهمية ، ويمكن تمثيله كصندوق اسود شبيه بما في كل من المستويات الاخرى ، ولكنه يختلف عنها من حيث المحتوى ، فهو يتكون من شبكة من قادة الرأي المحليين، أي نسبة قدرها ٥ او ١٠ من الاماكن ممن يوجهون اهتماما متصلا الى وسائل الاتصال الجماهيرية ، والى حد ما الى السياسات الخارجية [١].

وتتكون المجموعة الخامسة والأكبر المكونة من الرأي العام ، من طبقات السكان عموما ممن لهم اهمية من الناحية السياسية نظرا لامكانية الوصول اليهم واهتماماتهم وقدراتهم ولانهم كبار في السن بدرجة تجعل لهم تاثيراً محتملاً على السياسة بحيث يتعين اخذهم بنظر الاعتبار في تقدير مجرى الاحداث السياسية المحتمل والنتيجة المحتملة للأزمة ،وهؤلاء من ذوي الفعالية من الناحية السياسية ، يشكلون في الاقطار الغربية مجموع الناخبين الذين يدلون بأصواتهم بالفعل –أي يبلغ عددهم مابين ٦٠ و٩٠ في المائة من السكان البالغين [٢].

وقد ظهرت محاولات عديدة لابراز العلاقة بين الرأي العام والسياسة الخارجية ،ومن بين هذه الدراسات نظرية جابرييل الموند ، والمسماة بنظرية المزاج والتي تقول : " ان الاهتمام بالسياسة الخارجية والرغبة في تتبع تطوراتها منخفض بصفة عامة ، وقابل للتغلب الملحوظ في وقت الازمات "[٣]. وفي هذا المجال ، يمكننا ان نطرح دراسة النموذج الرأي العام الامريكي ، وعلاقته بالسياسة الخارجية ، اذ يؤكد الواقع ان تاثير الرأي العام على السياسة الخارجية الامريكية من خلال العملية الانتخابية محدود للغاية ، بسبب ان المرشحين نادرا مايطرحون اهتماماتهم بقضايا السياسة الخارجية خلال الحملات الانتخابية ، ففي التنافس على منصب الرئاسة ينصب الإهتمام على امور معينة ، من بينها نظرية الأمن القومي ، في حين يحاول المرشحون في انتخاباتهم الكونجرس اثبات صلاحيتهم لعضوية الكونغرس من خلال كسب ثقة وتعاطف الناخبين ، ومما لاشك فيه ان الإهتمام بالسياسة الداخلية يتيح للمرشح عدم تقديم وعود في نطاق السياسة الخارجية ، أما جمهور الناخبين فان منحهم لاصواتهم للمرشحين لاعلاقة له بموقف المرشحين في قضايا السياسة الخارجية ، بل ان عناصر مثل الانتماء الحزبي ،وصورة المرشح عند الرأي العام هي الاكثر تاثيرا عند التصويت [٤].هناك اتفاق بين الباحثين ، أن الرأي العام في الولايات المتحدة من النادر ان يكون مصدراً لتغيير السياسة الخارجية ، بل انه فقط يضع حدوداً ممكنة والمقبول سياسيا ، بينما يرى البعض ان الرأي العام يشكل قيدا فعليا على متخذي القرار نظرا لانه يتأثر بالتصريحات الرئاسية ، ويتغير مع

---

[١] Ibid ., PP.١٢٠–١٢١.

[٢] Ibid ., P.١٢٢.

[٣] شميش ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥٩.

[٤] لبنا السيهي ، " الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية " ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٨.

توجهات المجتمع الدولي ،وفي هذا المجال يقول مستشار الرئيس الأمريكي الراحل ترومان : " ان مهمة الرئيس هو قيادة الرأي العام وليس الإنصياع الاعمى له ، وفي هذا المعنى قال ثيودور سورنسن مستشار الرئيس كينيدي "" ليس هناك رئيس ملزم باوامر الرأي العام ، بل هو عليه مسؤولية قيادة الرأي العام وتكوينه واطلاعه وكسبه ، ولاسيما لاحصائيات حقبة الستينات وبالتحديد أحصائية عام ١٩٦٤ ، اتضح أن ٥٨% من الرأي العام الأمريكي ، كانوا يعرفون أن الولايات المتحدة دولة عضوة في حلف شمال الأطلسي ، وأن ٣٨% منهم كانوا يهتمون بالاتحاد السوفيتي ،وفي مثال أخر ، نرى أنه في عام ١٩٨٦ ، وعلى الرغم من التوتر الشديد في الصراع الدائر في نيكاراغوا من قبل إدارة ريغان ، فقط ٣٨% من الرأي العام الأمريكي كانوا يعرفون بشكل صحيح ، من مساندة الإدارة الأمريكية للكونترا أو الساندنيت ، وأكثر من هذا ، وبعد ثلاثة شهور من الحفل الذي أقيم في البيت الأبيض بين الرئيس كلينتون ورئيس وزراء الكيان الصهيوني أسحاق رابين ، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات في ١٣أيلول ١٩٩٣[١](٢) اتضح أن ٥٦% من الرأي العام الأمريكي كانوا لا يعرفون قيادة الرئيس ياسر عرفات . وفيما يخص الوطن العربي فان ٧٥% من الشعب الامريكي الناضج يجهلون موقع منطقة الخليج العربي ، بينما ١٤% منهم غير قادرين على تعريف موقع الولايات المتحدة، فضلاً عن ذلك ٤٦% من جمهور الناخبين يعتقدون ان المعونة الخارجية تشكل اقل ١% منها ، فضلاً عن ان احدى الدراسات كشفت ان الغالبية العظمى من المجتمع الأمريكي يعطون الاولوية للشؤون الخارجية ، ولاسيما الاقتصادية بالمقارنة مع السياسة الخارجية

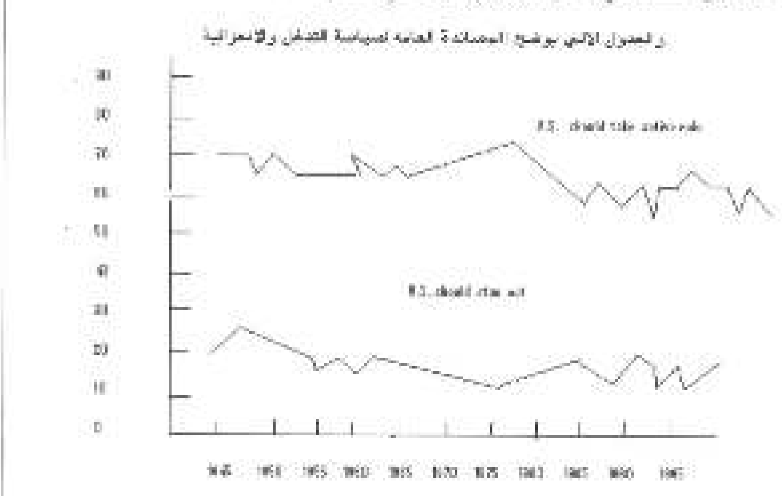
وفي استطلاع لأهمية الرأي العام في موضوعات السياسة الخارجية لسنوات ١٩٧٤، ١٩٧٨ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٦ ، ١٩٩٠ تبين على مدى اهتمام الرأي العام المحلي بقضايا السياسية الداخلية والتي بلغت بين ٦١,٥٥% على مدى سنوات ، في حين وصل هذا الإهتمام في السياسة الخارجية الى مستويات ادنى من ذلك بكثير لا يبلغ ٤١% . وقد اتضح أيضاً أن ما يقارب ٢١ الى ٢٣% من الرأي العام الأمريكي على بينة كاملة بقضايا السياسة الخارجية ، وقد اطلق على[٢] هؤلاء بالجمهور " الفطن " .

---

[١] Jentleson, Op. Cit.,p.٥٨.

[٢] اتصل أسحاق رابين بالرئيس كلينتون في التاسع من أيلول ١٩٩٣ ، لاخبره بوصول الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير الفلسطينية الى أتفاق التسوية في أطار ، عقده الطرفان في أوسلو ، وكان هذا تمهيداً لأقامة الحفل في ١٣ أيلول ١٩٩٣ في الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض ، حيث واجهت الأدارة الأمريكية بعض المشاكل حتى اللحظة الأخيرة ، بسبب أعتراض الفلسطينيون على غياب أية أشارة الى منظمة التحرير الفلسطينية وأعلان المبادئ ،وأعلان رابين بعدم الحضور في حالة أرتداء الرئيس ياسر عرفات الزي العسكري . إلى حد التمست الأدارة الأمريكية بالأمير بندر بن السلطان السفير السعودي في واشنطن لأقناع عرفات بأنه لا لزوم للمساومات ولا التبدلات . ووافق شمعون بيريز في النهاية على أدراج منظمة التحرير الفلسطينية في أول سطر من الوثيقة وعند مكان التوقيع اسفلها . راجع : دنيس روس ، السلام المفقود خفايا الصراع حول سلام الشرق الأوسط ، ترجمة عمر الأيوبي وسامي كعكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥ ، ص ١٧٠ ، ١٧٢ . و بيل كلينتون ، حياتي ، ترجمة حسام الدين خضور ، دار الرأي للنشر ، دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٥١ –٥٥٥ .

هناك ١% فقط من طلبة الجامعات الأمريكية الذين يدرسون في الخارج ، وليس لدى معظمهم أدنى فكرة عن مكان وجود الدول الأخرى . وقد وجدت دراسة أجرتها الجمعية الجغرافية الوطنية الأمريكية في سنة ٢٠٠٢ أن ٨٥ % من الشبان الأمريكيين لا يمكنهم تحديد العراق أو أفغانستان على الخريطة ، ولم يستطع ٦٠ % منهم العثور على بريطانيا ، ولم يستطع ٢٩ % الإشارة إلى المحيط الأطلسي . كما أن القليل من الأمريكيين يدرسون حاليا اللغات التي من المرجح أن تصبح مهمة دوليا في المستقبل ، مثل الصينية والعربية . والجهل الشعبي الذي يسهل تعزيزه بالخوف ، يخلق الشروط غير المواتية لأي بحث جدي لما تحتاج الولايات المتحدة إلى عمله لكي تكون لها دورا بناء في العالم [١] .



والحق أن هناك بعض الاسباب التي تفسر التأثير المتواضع للرأي العام في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية.

١- عرضية اهتمام الرأي العام بأمور السياسة الخارجية ، وعلاقة ذلك بأزمات دولية خاصة.
٢- التأثير السريع للرأي العام الامريكي برؤسائهم في السياسة الخارجية ، وعلى سبيل المثال، قبل حادثة استيلاء الطلاب الإيرانيين على السفارة الامريكية في طهران في تشرين الثاني ١٩٧٩ ، كانت نسبة تأييد الرئيس كارتر حصل على ٨٢% من تأييد الرأي العام اثناء معالجته لهذه القضية .
٣- وفي هذا المجال ، مارس الرئيس ايزنهاور ضغطاً على الكيان الصهيوني في عام ١٩٥٦ للانسحاب من سيناء دون مبالاة على عدم قيام هذا الرأي بانتخابه بعد شهر من ذلك ، وقد فاز في الانتخابات بجدارة [٢].

---

[١] زبغنيو بريجنسكي ، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٧ .

[٢] د. فواز جرجس ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٩-١٣١،١٣٠.

وفي هذا المجال ، قامت صحيفة واشنطن بوست باستطلاع للرأي ، اعلن في ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٦ ان ٨٥% من الأمريكيين يوقنون ان الميزانية الفيدرالية تخصص أكثر للمساعدة الخارجيةمن تلك التي للعناية الطبية ، الا ان ٢٧% فقط يعتقدون ان العناية الطبية أكثر .والحق ، ان الانفاق على العناية الطبية في السنة المالية ١٩٩٤ كان عشرة اضعاف أكثر : ١٤٥ بليون دولار في مقابل المساعدة الخارجية لكافة الانواع البالغة ١٤ بليون دولار[1].

مع ذلك ، فان نظرة فاحصة لمدى العلاقة بين الرأي العام الأمريكي و السياسة الخارجية ، نرى ان صانعي القرار لهم الاستجابة للمظاهر السطحية للرأي العام ، على الرغم من ان الأميركان يستمرون في دعم الاستعداد العسكري ذي المستوى العالي ، فان استطلاع الرأي المعمق (المعمول) من قبل (برنامج اتجاهات السياسة الدولية) PIPA في مركز الدراسات الدولية والامن في ماريلاند CISSM ، وجد ان عامة الناس يعارضون بشكل كبير ، بـ ٧٧ الى ١٦ بالمائة زيادة ٧ بليون (مليارات) دولار في تخصيصات البنتاغون التي فرضها الكونجرس "مجلس النواب " على الرئيس كلينتون في كانون الاول ١٩٩٥ ، وبصورة اكثر عمومية ، فان اغلب الشعب يؤمن ان الولايات المتحدة تنفق كثيرا جدا على الدفاع ، وان الاغلبية تحبذ تخفيض ميزانية البنتاغون ما يقارب ١٠%[2].

---

[1] Destler , I. M., " Foreign Policy and The Public : Will Leaders Catch the Full Message ? World Affairs , Vol. ١١١ , Issuel , Winter / Spring ١٩٩٦, P.٢٦٧.,Sabato , Op , Cit ., PP , ٢٢٦-٢٢٧.

قام الرئيس جون كيندي عام ١٩٦٣ بتشكيل لجنة لدراسة المساعدات الأمريكية الخارجية ، برئاسة الجنرال لوكيوس كلي ، ولم يكن هناك توقع منه بقيام هذه اللجنة بتقديم مقترحات حول تخصيص الانفاق في المساعدات الخارجية ، على الرغم من دفاعها عن البرنامج بصورة رئيسة ، علماً ان رغبة كنيدي كانت تكمن في زيادة الانفاق في المساعدات الخارجية ، وكانت النتيجة ، ان قام الكونجرس الاخذ بمقترح اللجنة حول تخفيض المساعدات الخارجية الامريكية ، راجع : جيمس اندرسون ، صنع السياسات العامة ، ترجمة د. عامر الكبيسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٩ ، ص٩١-٩٢.

[2] Ibid ., P.٢٦٦.

وعند وصول بيل كلينتون الى الحكم ، اثيرت تساؤلات مفادها : مع عدم وجود قوة عظمى كعدو للولايات المتحدة ، فلماذا الابقاء على منظمة حلف شمال الاطلسي ؟ أجاب الرئيس كلينتون قائلا : يعد الحلف بمثابة الحجر الاساس في الامن الاوربي ، فقد حلت محل التهديد السوفيتي تهديدات اخرى ، كالارهاب ، وانتشار اسلحة الدمار الشامل ، والتطهير الاثني . وفي بروكسل عام ١٩٩٤ ، اعلن كلينتون مساندة الولايات المتحدة لتوسيع تدريجي لحلف شمال الاطلسي . ونتيجة لذلك صدرت الدعوات في تموز من عام ١٩٩٧ وذلك لعقد قمة للتحالف . شجب الدبلوماسي الأمريكي المشهور جورج كينان توسيع الحلف وعد ذلك خطرا كبيرا في الدبلوماسية الغربية في حقبة مابعد الحرب الباردة بأكملها . أما توماس فريدمان ، فقد عد ذلك التوسيع عملا متهورا .كما انتقد سام نن سياسة كلينتون في هذا الصدد قائلا : انها غلطة ذات ابعاد تاريخية. امام هؤلاء كان هناك اشخاص عارضوا هذا التوسيع ، وفي مقدمة هؤلاء الرئيس الروسي بوريس يلتسين الذي رأى فيه بانه ستراتيجية لاستغلال نقطة ضعفهم ونقل خط تقسيم اوربا الى الشرق ، مما قد يؤدي الى وضع روسيا معزولين عن العالم الخارجي . فضلا عن ذلك ، طلب الرئيس يلتسين ضمانا خاصا ان لا يضم الحلف الجمهوريات السوفيتية السابقة (استونيا ، وليتوانيا ، ولاتفيا) . إلا أن الرئيس كلينتون رفض ذلك مؤكدا بان مثل هذا الاتفاق سيجعل روسيا تبدو ضعيفة ، ويعيد تقسيم اوربا ، ويقوض معنويات الشراكة من اجل السلام ويثير ذعر دول البلطيق . وفي هذا المجال لابد من الاشارة من أن حلف شمال الأطلسي قد أصدر في تشرين الثاني ٢٠٠٤ مجموعة من الدعوات لكل من رومانيا ، وجيكوسلوفاكيا ، وسلوفينيا ، وبلغاريا ، ودول البلطيق الثلاث (أستونيا وليتوانيا ولاتفيا) . راجع : السيدة الوزيرة مادلين اولبرايت سيرة ذاتية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦٦- ٣٦٨ ، ٣٧٢ .

ورغم أن أستطلاعا شعبيا وعلى عهد الرئيس كلينتون أفاد بأن ٧٥% من الرأي العام الأمريكي كانوا يعارضون أعطاء روسيا الأتحادية مبلغ ١٠٦ مليار دولار معونة مباشرة لمساعدتها على تثبيت أقتصادها بما في في ذلك أموالا مخصصة لأسكان لضباط المسرحين الذين كان يعيدهم الى روسيا الأتحادية من دول البلطيق ، حيث أن معظمهم كان يعيش في خيام ، وبرامج العمل الأيجابية لعلماء الذرة الذين هم خارج العمل ، ولايتقاضون أجورهم في الغالب الأن ، ومساعدات أخرى لتفكيك الأسلحة النووية وفق برنامج نف – لوغار الذي سن مؤخرا ، والأغذية والدواء لهؤلاء الذين يعانون من النقص ، ومعونة لدعم الأعمال الصغيرة ومنافذ الأعلام المستقلة والمنظمات غير الحكومية والأحزاب السياسية وأتحادات العمال وبرامج متبادل لجلب عشرات الالاف من الطلاب والحرفيين الشباب الى الولايات المتحدة . وقد بالغت حزمة المعونات هذه أربعة أضعاف ماكان مقررا في عهد الرئيس بوش الأب ، وثلاثة أضعاف ما كان أقترحه كلينتون . وقد قام كلينتون بزيادة حزمة المساعدات ثانية الى ٢،٥ مليار دولار لكل الولايات السوفيتية السابقة مع تخصيص ثلثي هذا المبلغ لروسيا الأتحادية .[1]

مع أنتشار ١٢٠،٠٠٠ جندي أمريكي في أوربا ، ٩٢،٠٠٠ في شرق أسيا والمحيط الهادي ، ٣٠،٠٠٠ في نصف الكرة الغربي خارج الولايات المتحدة . بهذا الرقم تكون حصة الولايات المتحدة من الأنفاق الدفاعي الإجمالي في العالم تصل إلى ٤٠% وهي نسبة متزايدة ، أنها تنفق مايوازي أنفاق البلدان التسعة التالية مجتمعة . ومن منطلق الهيمنة العسكرية وحدها لم يسبق للعالم أن كان شاهدا على شيء يشبه هذا أبدا .[2]

في هذا المعنى يقول عضو مجلس الشيوخ الأمريكي أرثر فاندنبرغ : " لقد مزقنا مائة وخمسون سنة من السياسة الخارجية التقليدية ، حيث وضعنا خطاب جورج واشنطن الوداعي جانب الإهمال ، مندمجين مع سياسة القوى العظمى ، وحروب الأخيرة في أوربا وأسيا وأفريقيا ، وخطونا أول خطوة في طريق لا يمكن الحيد عنه "[3] . في هذا السياق كتب مزشال في المجلد الخامس من كتابه (حياة واشنطن) مايلي : " في ظل توليفة الحكم السائدة في بلد كالولايات المتحدة ، لا يستطيع رأس الدولة ، مهما بلغ من التصميم والصلابة ، أن يتصدى زمنا طويلا ، لما يطالب به الرأي العام"[4] .

والحق ، فان قوى سياسة الأنعزال في الولايات المتحدة في تزايد مستمر ، وهؤلاء بدأوا يحتلون قاعات الكونجرس ،وفي هذا المجال يقول Franklin Lavin : " ان الانعزاليين

---

[1] كلينتون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٢٣-٥١٥ .

[2] بريستوفر كلايد . الدولة المارقة ، النفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية ، ترجمة فاضل جتكر ، الحوار الثقافي ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص٣٧-٣٨ .

[3] كارل ن . ديغلر ، الأنطلاق من الماضي القوى التي كونت أمريكا الحديثة ، ترجمة صادق إبراهيم عودة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٧ ، ص٦٣٠ .

[4] ألكسي دو توكفيل ، الجزء الثاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٢ .

في الكونجرس يريدون ان يتركوا عالمنا عرضة للظالمين (الحكام المستبدين) غير مكبوحين في مطامعهم ويوقفون فقط حينما تثير اعمالهم بالنتيجة النقمة من واحد او اكثر من الامم[١].

كلينتون قد استحدث ايضا مفهوم الانعزالية [٢] بتقديم ما يسمى عاطفة الحماية المواجهة لليابان والشركاء التجاريين الاخرين ، ولأن كلينتون حدد البعد الاولي لعلاقات

---

[١] Lavin , Franklin L., " U.S.A Foreign Policy " , World Affairs , Vol. ١١١ , Issue1 , Winter / Spring ١٩٩٩, P.٢٢١ .

ساد اعتقاد في الولايات المتحدة ، عند نشأتها ، الى اتباع سياسة العزلة ، لأن الانهماك في حرب يمكن ان يدمر التنمية الداخلية لها ، وبموجب ذلك ، تبنت الولايات المتحدة نهج خطبة الوداع التي القاها الرئيس جورج واشنطن(جورج واشنطن (١٧٣٢ – ١٧٩٩) رجل دولة وجنرال أمريكي ، أول رؤساء الولايات المتحدة (١٧٨٩ – ١٧٩٧) كان قد عين قائدا للقوات الأمريكية ابان الثورة الأمريكية والحرب ضد بريطانيا ، يعد مؤسسا للأمة الأمريكية . راجع : نعوم تشومسكي ، سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥ ، والهادفة الى تجنب ويلات الحرب وقد جاء مبدأ الرئيس جيمس مونرو(١٧٥٨ – ١٨٣١) الرئيس الخامس للولايات المتحدة (١٨١٧ – ١٨٢٥) . في عام ١٨٢٣ تجسيداً لذلك اقر هذا المبدأ عام ١٨٢٣ ، يقوم على منع أوربا من التدخل في شؤون الولايات المتحدة مقابل امتناعها عن التدخل في الشؤون الأوربية ، يعد هذا المبدأ من افكار جون كوينسي آدامز (١٧٦٧ – ١٨٤٨) الرئيس السادس للولايات المتحدة (١٨٢٥ – ١٨٢٩) كان وزيرا للخارجية (١٨١٧ – ١٨٢٥) . عرف بعدائه الشديد للعبودية ولاسيما بعد خروجه من الرئاسة .راجع : نعوم تشومسكي ، سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، مصدر سبق ذكره : ص ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ونتيجة لهذه السياسة – وعلى الرغم من اندلاع الحرب الاسبانية – الامريكية في عام ١٨٩٨ والحرب العالمية الاولى– انهمكت الولايات المتحدة وخلال حقبة العشرينات والثلاثينات بسياستها الداخلية . راجع : السويدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٨.

والحق ، ناقش بعض كتاب السياسة الخارجية في الولايات المتحدة خطاب الوداع للرئيس جورج واشنطن مؤكدين من ان تحذير الاخير بسياسة الاحلاف الخارجية لم يكن ليمنع مشاركة الولايات المتحدة من الانهماك بالسياسة الخارجية ، في حالة التوافق مع متطلبات المصلحة القومية الامريكية وفي حالة عدم تغير مثل هذه المصالح ، وعليه فان هؤلاء الكتاب لم يعدوا خطاب الوداع بانه يمثل سياسة العزلة بقدر تعبيره عن الوضع الخاص التي تمتعت بها الولايات المتحدة وقتذ ، الذي جعل من غير النهاء ومن غير الوجوب انخراطها في أي " مواقف صراعية عرضية او هامشية . راجع : بروسترك ، ديلي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧.

[٢] ولد بيل كلينتون في ١٩ آب ١٩٤٦ في بلدة يبلغ عدد سكانها ستة آلاف نسمة جنوب غرب أركنساس ، وعلى مبعدة ٣٣ ميلا شرقي حدود تكساس في تكساركانا ، درس الحقوق في جامعة أوكسفورد ، وتخرج منها ، وفي تموز ١٩٩٢ عقد الحزب الديمقراطي مؤتمره في مدينة نيويورك لترشيحه وزميله السناتور آل غور من تينيسي بصورة رسمية ، كان شعار حملة ١٩٩٢ : " إنه الاقتصاد يا غبي " ، فاز كلينتون في هذه الانتخابات ، فضلا عن ذلك ، فاز كلينتون في الحقبة الرئاسية الثانية عام ١٩٩٦ . كان كلينتون من المعارضين لحرب فيتنام ، طلب غاري هارت مدير حملة السناتور جورج مكغفرن – عند ترشيحه للرئاسة – عندما اراد بيل كلينتون ان يهيء الجنوب لمكغفرن ومعارضة سياسة نيكسون في فيتنام .

كان كلينتون لقرائه الى الذي قانون التجنيد العسكري في فيتنام ، وانتحر عام ١٩٧١ . في هذا المجال ، يقول كلينتون (لقد تأثرت برسالة مكنمارا ، وبرسائل مشابهة تلقيتها من محاربين قدامى في فيتنام . فقبل الانتخابات مباشرة ، أرسل لي بوب هيغنز ، بحري سابق من هليسبرو في اوهايو ، ميدالية خدمته في فيتنام بسبب موقفه ضد الحرب " والطريق التي قدت بها نضالي في حملة مريرة " ، راجع بيل كلينتون ، مصدر سبق ذكره ، ص١٣ ، ١٣٠ ، ٩٧٦ . وهيلاري رودهام كلينتون : تاريخ عشته ، الحوار الثقافي ، دار الورق للنشر والتوزيع ، لبنان – بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص٧٢-٧٣ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ٤٥١ ، ٤٥٥ ، ٤٧٧ .

الولايات المتحدة مع اليابان كسياسة تجارية ، ولأنه شخّص بصورة متكررة تلك العلاقات على انها لاشيء سوى مجموعة مشكلات ، فانه من الطبيعي أن الشعب الامريكي قد بدأ يرى قيمة اقل في تلك العلاقة [1].

ولاسيما اذا عرفنا من ان الولايات المتحدة قد انفقت مبالغ طائلة على الدفاع بلغت ٢,٤ ترليون دولار خلال السنوات الثماني الماضية ، بعيدة عن مشاكلها الداخلية[2].

وهنا لابد من الاشارة من ان التخلي عن السيطرة والتفوق والإنطواء على الذات لابد ان يؤدي الى تخفيض كبير في النفقات الدفاعية على المدى القريب ، وان لم تتم حتى الآن دراسة فعلية عن قيمة النفقات التي تستطيع الولايات المتحدة ادخارها –سواء على المدى القصير او البعيد– اذا ما تبنت مثل هذه الستراتيجية [3].

---

[1] Ibid ., P.٢٧٤.

قدم كلينتون وعوده للرأي العام خلال حملته الإنتخابية في عام ١٩٩٢ ، التي تركزت حول اهتمامه على قضايا تخص السياسة الداخلية ، وقد جاءت هذه الوعود ازاء انتشار مبدأ اللامساواة وهبوط الاجور الحقيقية ، وقد انقضت حقبة من الزمن على هذه الوعود ، الا ان الاقتصاد الامريكي بدأ يعاني من الموضوعين السالفي الذكر – اللامساواة والإنخفاض في الاجور الفعلية ، في عام ١٩٩٤ وعدت بالمثل الاغلبية الجمهورية الجديدة في الكونغرس بالتخلي عن قيادة الولايات المتحدة للعالم مع الاهتمام بقضايا السياسة الداخلية ، في الوقت الذي نرى انها لم تكن في حوزتها متقدمة للطبقات العاملة ازاء انخفاض اجور عملهم . راجع : ثورو ، لستر ، مستقبل الرأسمالية كيف تصوغ القوى الاقتصادية الراهنة عالم الغد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٥. وقد خرج كلينتون على هذا المبدأ عند تسلمه للسلطة حيث سار على سياسة سلفه الرئيس بوش الأب عندما قام الأخير في عام ١٩٩٢ أرسال قوات أمريكية الى الصومال لمساعدة الأمم المتحدة بعد مقتل ٣٥٠٠٠٠ صومالي في حرب أهلية دموية . وعند تسلم الرئيس كلينتون الأدارة الأمريكية ، أمر بإلقاء القبض على محمد عيديد ، وبناءا على توصية من كولن باول ، وفي هجوم ليلي ، حيث تم إرسال قوة مؤلفة من ٤٠٠ و ٢٥ الخدمة ما سميت مشروع إنساني بعد أعوام من الإهمال ، ثم ما لبثت ، وبالسرعة نفسها أن سحبتها حين واجهت صعوبات . وبناءا على مقترح جاء من الجنرال غاريسون ، أقدم الرئيس كلينتون على أتخاذ قرار للقبض على عيديد وبدون الرجوع إلى الموافقة المسبقة للبنتاغون والبيت الأبيض ، وقد تحمل الجنرال غريسون المسؤولية الكاملة عن قراره بالمضي قدما في الغارة ، مشيرا الى أستبعاد الرئيس كلينتون ووزير الدفاع أسبن من سلسلة تحمل المسؤولية . يقول الرئيس كلينتون في هذا المجال : ((لقد أوحى تحدي التعامل مع المشكلات المعقدة مثل الصومال وهايتي والبوسنة بواحدة من أفضل مقولات طوني ليك : في بعض الأحيان ، أشعر بالحنين الى الحرب الباردة حقا)) ، والحق ، وصلت الأمور في الصومال إلى عتبة اضطرار المنظمات "الإنسانية إلى معالجة الإصابات المتكبدة في حرب الولايات المتحدة الإنسانية" . راجع : كلينتون : مصدر سبق ذكره ، ص٥٥٩ ، ٥٦٢ – ٥٦٣ – ٥٦٤ . و كارل إي . سميث و مارغوت لايت ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

[2] في حقبة الثماني سنوات ١٩٨١–١٩٨٨ كان اجمالي النفقات الدفاعية في الولايات المتحدة تقريبا مايقارب ٢,٤ ترليون دولار ، ولقد اتفق وزيران سابقان للدفاع على انه كان من الممكن الحصول على اجراءات امن مساوية بتكلفة تقل ما يقارب من ٢٠٠–٢٥٠ بليون دولار .

راجع : روبرت مكنمارا ، مابعد الحرب الباردة ، ترجمة محمد حسين يونس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩١ ، ص٨٦.

[3] زلمي خليل زاد ، التقييم الاستراتيجي مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ١٩٩٧، ص٢٧.

قد يسهم تخفيض الانفاق الدفاعي في مواجهة عجز الميزانية ومن وجهات نظر الرأي العام الامريكي ، وتحسين القدرة التنافسية الاقتصادية للولايات المتحدة ، لاسيما ان المنافسين الاقتصاديين للولايات المتحدة قد يزيدون في الوقت نفسه من نفقاتهم الدفاعية . ولاريب فيه ان اهمال المعضلات الخارجية سوف يساعد الإدارة الأمريكية من التركيز بصورة اكثر جدية بمشكلات السياسة الداخلية ، اما حلفاء الولايات المتحدة الذين تم التزامهم من قبلها فانهم يضطرون من الاعتماد على انفسهم، ولاسيما بعد زوال دولة الاتحاد السوفيتي[1].

والحق، إزاء مواجهة عجز الميزانية ، وازدياد المعضلة الداخلية ، بدأ الشعب الامريكي ومن خلال استطلاعات الرأي العام من التركيز على الأمور والهموم الداخلية ، وان كانت بعض "الاستطلاعات ، تشير الى تأييد كبير من الشعب الامريكي لانهماكه الفعال في الشؤون الخارجية ، بينما يرى ٨٤% أن من الضروري تقليل الاهتمام بالمعضلات العالمية [2]

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٨.

[2] انظر ودرو ولسن (١٨٥٦ – ١٩٢٤) وهو الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة ترأس جامعة برنستون عام ١٩٠٢ ثم غدا حاكما لنيوجرسي عن الحزب الديمقراطي عام ١٩١٠ ، ثم انتخابه رئيسا للولايات المتحدة عام ١٩١٢ واعيد انتخابه عام ١٩١٦ ، قام باصدار اجراءات ضد التروستات واصدار تشريعات اجتماعية ، تبنى في الحرب العالمية الاولى سياسة الحياد ، الا أنه اشترك مع الحلفاء بعد ذلك في عام ١٩١٧ معلنا الحرب على دول المحور ، قام باعلان مبادئه الاربعة عشر عام ١٩١٨ والخاصة بالتسوية السلمية (دعت مبادىء الأربعة عشر الى الإعتراف بالطموحات القومية والى التجارة الحرة وإقامة عصبة الأمم . ادت هذه النقاط الى عقد مؤتمر فرساي الذي اقر معاهدة فرساي ، أدخل اصلاحات تحت اسم " الحرية الجديدة " على علاقات بلاده بالمكسيك ودول أمريكا اللاتينية ، كان يرى في الحرب ضرورة ملحة لجعل العالم " مكانا آمنا للديمقراطية " . راجع : نعوم تشومسكي ، سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٢ . ونعوم تشومسكي ، أميركا ... ما نقوله نحن يمشي محاورات حول القوة الأمريكية في عالم متغير ، مصدر سبق ذكره ، ص) ، لم يستطع حصول موافقة مجلس الشيوخ (اكثرية الثلثين) فيما يخص معاهدة فرساي ، توفي في عام ١٩٢٤ . راجع : الدكتور عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٨٣ وجود ، مصدر سبق ذكره ، ص٧٠) في خطابه الذي القاه في مدينة سان لويس بالميسوري في ٥ ايلول ١٩١٩ ، اشار الى عدم قدرته في التمييز بين القومية والأممية ، مؤكدا الى ان اكثر الناس قومية هو الذي يتمنى ان تكون امته اعظم الامم ، واعظم امة هي تلك التي تقوم بواجبها ، وتؤدي رسالتها بين سائر امم العالم ، ومن وجهة نظره ، ان الأمة التي تمتلك مثل هذه الرؤية ترتفع الى مرتبة من التأثير والقوة لايمكن ان تبلغها بقوة السلاح ، أو عن طريق المنافسات التجارية أو بأية وسيلة أخرى ، وانما بالقيادة الروحية النابعة من تفهم عميق للمشكلات الانسانية .

ولكن ولسن على الرغم من تأكيده على المثالية الأمريكية فانه ارسى وقوى من السياسة الامريكية في العالم ، ولعل تدخله في منطقة البحر الكاريبي من خلال استخدامه لسياسة القوة واضح في هذا المجال ، ومن ناحية أخرى ، اعتقد خلفاء ويلسون انهم باتباعهم سياسة العزلة انما يخدمون مصالح الولايات المتحدة في العالم الخارجي ، ولكن هذه العزلة كانت مؤقتة ، لم تستمر طويلا ، اذ حل محلها الأممية وأسلوب التدخل في العالم كمبدأ رئيس للسياسة القومية ، وهذا ما اشار اليه ويلسون في خطابه المشار اليه آنفا ، وهكذا يصبح باستطاعة الولايات المتحدة المثالية المقتنعة " بزعامتها الروحية " التي نادى بها ويلسون ، ثم روبرت كيندي قبل مصرعه بخمسة اشهر باسم الليبرالية ، ايجاد نظام دولي جديد تتولى قيادته ، وهكذا تتحول الأممية ذات الطابع الصوفي الى حافز لسياسة قومية صرفة ، وقد عبر عن هذه الحقيقة ويلسون نفسه ، اذ رأى ان القيم القومية الامريكية تتطابق مع القيم الشاملة للتقدم الليبرالي ، وانه ينبغي على الولايات المتحدة بحكم رسالتها الانسانية قيادة الانسانية نحو نظام الغد العالمي . راجع : كلود جوليان ، الامبراطورية الامريكية ، ترجمة ناجي ابو خليل والدكتور فؤاد شاهين ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص٦-٧ . وللمزيد من التفاصيل راجع : بيير رينوفان وجان بابتيست دوروزيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢١-٤٦٨ . وهالبر ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠٢ .

والاهتمام بالمشكلات الداخلية ، وتأييد غالبية الرأي العام الامريكي من تحقيق السلام وبوساطة سياسة القوة [1].

---

[1] زلمي خليل زاد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧ . وللمزيد من التفاصيل حول سياسة العزلة راجع:
Havard , Op.Cit ., PP.٢٠٨-٢٥٧.
فقد استطلاع للرأي ان نحو سبعة أمريكيين من اصل عشرة (٦٩%) يؤيدون الطريقة التي عالج بها الرئيس جورج بوش الأزمة الدبلوماسية التي نتجت عن حادث اصطدام طائرة التجسس الامريكية بمقاتلة صينية في (١) نيسان ٢٠٠١ والذي ادى لسقوط الطائرة الصينية ومقتل طيارها واضطرار طائرة التجسس الامريكية للهبوط في مطار هينان الصيني ، ولكن الاستطلاع الذي اجرته نيوزويك ، اشارت الى ان ٤٤% من الاشخاص الذين شملهم الاستطلاع عدوا انه كان بامكان افراد طاقم طائرة الاستطلاع الـ ٢٤ الذين افرج عنهم في ١١ نيسان ان يعودوا الى ديارهم قبل هذا الوقت لو اعربت ادارة بوش عن أسفها لحادث الاول من نيسان بسرعة اكبر . (ارسلت الولايات المتحدة خطابا للحكومة الصينية قالت فيه انها تأسف جدا لفقدان الطيار الصيني ولهبوط الطائرة الامريكية في الصين من دون الحصول على اذن مسبق) ، و ٤٥% لم يعتقد ذلك ، وعدّ ٦٩% من الامريكيين ان على الولايات المتحدة مواصلة رحلاتها الاستطلاعية في المنطقة ، ومن جهة اخرى ، عدّ اكثر من شخص من أصل اثنين ٥٤% انه يجب على واشنطن ان تدعم ترشيح الصين للانضمام الى منظمة التجارة العالمية . واعرب ٥٠% عن اقتناعهم بان على الولايات المتحدة ان تدعم ترشيح بكين لتنظيم الالعاب الاولمبية لعام ٢٠٠٨ ، كما عدّ ٥٠% انه ينبغي على الولايات المتحدة ان تتوقف عن بيع تجهيزات عسكرية لتايوان . وفيما يخص ملف البيئة الساخن نرى ان ٤٥% من الذين شاركوا في الاستطلاع عدوا ان بوش الرافض لبروتوكول كيوتو بشأن الانحباس الحراري لايسعى للمحافظة على البيئة مقابل ٤١% ، ورأى ان ٤٨% انه يجب عدم السماح بالتنقيب عن النفط في محمية طبيعية في الاسكا ، كما يرغب في ذلك الرئيس مقابل ٤٤% يؤيدون موقف الرئيس . راجع : العرب ، العدد ٦١١٩ ، ١٦/٤/٢٠٠١.
وتجدر الاشارة في هذا المجال ، ان طائرة التجسس الأمريكية حطت على الاراضي الصينية في هذه الحقبة التاريخية ، اذ قامت الصين باحتجاز افراد طاقمها لاحد عشر يوماً ، وقد برهنت هذه الحادثة على مدى ارتباط السياسة الخارجية الصينية بالسياسة الداخلية ، وقد عكست هذه الحادثة الافكار القومية التي سادت في القرن التاسع عشر أكثر من الافكار العقائدية الشيوعية ، لأن التحدي بالولايات المتحدة في الصين الشعبية جاء من الطلاب والعسكريين ، ولم يكن يأتي من المعاندين في داخل الرأي العام الصيني . راجع : هنري كيسنجر ، هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٣.
وقد حاول الرئيس جورج بوش الأبن الأعتماد على خبرة والده في حل هذه الأزمة من خلال الرجوع اليه حيث كان جورج بوش الأب على معرفة تامة بالصين الشعبية ، وأشرف على توجيه معظم جوانب السياسة الأمريكية تجاهها ، مما حدا ببعض كبار الخبراء في الولايات المتحدة في الشؤون الصينية ليه بمسؤول الحكومة بشأن الصين . علما أن الرئيس جورج بوش الأب أمضى عامين رئيسا لمكتب الأتصال الأمريكي في بكين في منتصف السبعينات ، وأقام علاقات متينة مع المسؤولين في القيادة الصينية كافة . وعند توليه الأدارة الأمريكية ، أبدى أهتماما غير مسبوق نحو تطور العلاقات مع الصين الشعبية ، ولعل أختياره جيمس ليلي ليصبح سفيرا للولايات المتحدة في بكين خير شاهدا على ذلك . كان ليلي يتحدث اللغة الصينية بطلاقة ، عمل مديرا لمحطة المخابرات المركزية الأمريكية في بكين مدة عمل بوش الأب لمنصب سفير الولايات المتحدة في بكين ، وكان على علم بأدق تفاصيل السياسة والثقافة الصينية . راجع : جيمس بيكر ، مصدر سبق ذكره ، ص١٤٨-١٤٩ . والحق أن بوش خلافاً للرئيسين الجمهوريين نيكسون وريغان لم يدخل البيت الأبيض وسمعه سياسية دولية واضحة المعالم ، ولا سيما اذا عرفنا أن بوش لم يعلن عن سياسته الخارجية خلال الأنتخابات ، كانت خبرته الدولية في هذا المجال محدودة ولم يظهر أهتماما في القضايا الدولية ، بأستثناء عدد من الرحلات الخارجية القصيرة وبعض الأنغماس الأكثر أهمية في العلاقات مع المكسيك . وقد أتاحت الصعوبات التي واجهها في الأختبار الفجائي للتعبير عن زعماء العالم في تشرين الثاني ١٩٩٩ الشعور بلحظة أنتصار . اذ ان حملته الأنتخابية شدد بوش على حاجة الولايات المتحدة إلى ممارسة سياسة خارجية متواضعة . ووفق لكوندوليزا رايس ، كانت المسودة الأصلية لخطابه تحتوي على مقطع طويل عن الحاجة إلى أظهار التواضع مع القوة . راجع : ستيفن هالبر ، جوناثان كلارك ، مصدر سبق ذكره ، ص١٧٣ ، ١٧٥ .

وقد دلت أخطاء الرئيس جورج دبليو بوش العديدة ، كلما تناول موضوعات السياسة الخارجية على خلاف مستحكم في نفسه مع الجغرافية وتاريخ العالم فالرئيس المذكور قلما سافر خارج الولايات المتحدة قبل الوصول الى الادارة . والحق كانت الادارة الامريكية قد انجزت خيارها المتمثل في اعادة التركيز على رهانات السياسة الداخلية حتى جعلت الصحافة الامريكية تعلق بعناوينها الكبيرة على ذلك الخيار بانه ((الانعزالية الجديدة)) لشاغل البيت الابيض ، والواقع ان فريق مستشاريه للشؤون الخارجية الذي ترأسه كوندليزا رايس التي كانت رئيسة لمجلس الامن القومي الذي يعد هيئة تابعة للبيت الابيض كان منقسماً الى تيارين كبيرين يتنازعان الآراء في السبيل الذي ينبغي اتباعه ، ولم يتمن للرئيس بوش ان يحكم في أي التيارين اصلح للولايات المتحدة ، إلا غداة الحادي عشر من ايلول ، وكان يمثل التيار الاول كولن باول بصورة رئيسة وادارة الدولة بتقاليدها الدبلوماسية المؤسساتية الى جانب جهاز المخابرات المركزية الامريكية ، الذي مضى يمتدح النزعة الواقعية الحذرة التي تعمل على تجنب أي انقلاب في النظام العالمي على الرغم من انهيار دولة الاتحاد السوفيتي ، وكان هذا الفريق يامل في استخدام الادوات التقليدية المتعددة مثل منظمة الامم المتحدة على ان تلقي الولايات المتحدة بثقلها الحاسم في ميزانها ، لاسيما انها باتت القوة العظمى بلا منازع . اما الفريق الاخر الذي يتمثل في تشعباته الكبرى المسؤولين المدنيين في البنتاغون ، وفي مقدمة هؤلاء الامين العام المساعد في شؤون الدفاع بول ولفوفيتز فيمتدح تحويلا جذريا في النظام الدولي ترجمة لاحادية الهيمنة الامريكية في العالم ، وتتويجا ((لنهاية التاريخ)) التي يجدر بها وحدها التعبير عنها ، وعلى هذا النحو راى الفريق المذكور ان يحض على الترويج لانموذج الولايات المتحدة الديمقراطي في العالم اجمع ، فيستخدم الوسائل الملائمة لهذه الغاية ، ومن دون ان تحرج البلاد والمؤسسات الدولية عنت بالية . وقد اخذ جورج بوش الابن غداة حوادث الحادي عشر من ايلول ينحاز الى رؤية هؤلاء الى العالم .[١]

---

[١] جيل كيبل ، الفتنة حروب في ديار المسلمين ، ترجمة نزار اورفلي ، دار الساقي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص٦٣-٦٤. أوضح تحليل المجيبين أن تكرار أسئلة الفهم يتفاوت كثيراً وفقاً لمصدر الأخبار الأساسي للمجيب، وأن احتمال وجود هذه المعتقدات الخاطئة بين الذين يشاهدون فوكس نيوز أكبر بكثير من احتمال وجودها بين من لا يشاهدونها . وعند تدقيق وفحص تكرار ثلاثة معتقدات خاطئة محددة والتي تتركز في : وجود أدلة على علاقات قائمة بين العراق وتنظيم القاعدة ، والعثور على أسلحة دمار شامل في العراق ، وأن الرأي العالمي موافق على ذهاب الولايات المتحدة إلى الحرب . كشفت النتائج عن احتمال كبير جداً لاعتقاد مشاهدي فوكس نيوز بهذه الآراء ، وأن احتمال اعتقادهم بهذه الآراء الثلاثة معاً يزيد ثلاثة أضعاف عن احتمال اعتقاد المشاهدين الآخرين بها . غير أن مشاهدي (أن بي أر / بي بي اس) أظهروا بشكل متسق أنهم لايعتقدون بأي من هذه الآراء الثلاثة . واتضح أن نحو ٨٠% من مشاهدي فوكس و ٧١% من مشاهدي سي بي أس يعتقدون بواحد أو أكثر من هذه الآراء الثلاثة ، في الوقت الذي بلغت النسبة المئوية المكافئة لمشاهدي أن بي سي وسي أن أن ٥٥% في الحالتين . ورغم أن النسبة المئوية للمشاهدين الذي يعتقدون بالآراء الثلاثة معا في حالة أن بي سي و سي أن أن بلغت ١٣% على التوالي ، فقد بلغت تلك النسبة ٤٥% لدى مشاهدي فوكس . وبلغت نسبة مشاهدي أن بي سي وسي أن أن الذين لايؤمنون بأي من هذه المعتقدات الخاطئة الثلاثة ٤٥ في الحالتين ، في حين بلغت ٢٠% بالنسبة لمشاهدي فوكس ، أن هذه البيانات مهمة جدا في بحث كيفية قدرة المحافظين الجدد من التأثير في عملية صنع القرار لصالح الحرب مع العراق لسببين اثنين : أولا ، أسهموا كثيرا في حشد الدعم الأمريكي لقرار الذهاب الى الحرب ، وثانيا أن فوكس في المراتب الأولى دائما من حيث نسبة المشاهدين في الولايات المتحدة . راجع : هالبر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

والحق ، أن غالبية كبيرة من الرأي العام الأمريكي ترى أن الولايات المتحدة ملزمة بقبول السلطة القضائية للمحكمة الجنائية الدولية [1] ، والمحكمة الدولية ، وعليها أن توقع إتفاقية كيوتو ، وتسمح للأمم المتحدة بتصدر الصفوف في الأزمات الدولية ، وأن تعول على التدابير الدبلوماسية والإقتصادية أكثر من تعويلها على الإجراءات العسكرية في " الحرب على الإرهاب" . وبالمثل تعتقد غالبية المواطنين الأمريكيين بأن الولايات المتحدة يجب ألا تلجأ إلى إستخدام القوة إلا إذا كانت هناك قرينة دامغة على أن البلاد في خطر وقوع هجوم وشيك عليها. وهكذا يرفض المواطنون بغالبيتهم إجماع الحزبين كليهما على الحرب الوقائية ويتبلون بتعبير آخر التفسير التقليدي لميثاق الأمم المتحدة الذي عادت وكررته الهيئة العليا للأمم المتحدة في كانون الأول ٢٠٠٤ والقمة العالمية للأمم المتحدة في السنة التالية ، لا بل أن غالبية صغيرة من المواطنين تحبذ حتى التخلي عن إستخدام حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن بحيث تترسم الولايات المتحدة خطى الأمم المتحدة حتى وإن لم يكن ما يحبذه المدراء في الخارجية الأمريكية[2] .

يقول ابرافانك وهيوز : " أن الإرتباط ضعيف بين تغيير الرأي العام وتغير السياسة الخارجية وفي الحالات التي تبين أن هناك ارتباطا في المدى القصير ، كان الرأي العام هو الذي يتغير نتيجة تغير السلوك الحكومي ، وليس العكس " [3].

ويضيف ليفي الى ذلك أنه " من الخطأ أن نفترض كما يفعل البعض أن الدول تدخل في صراعات عنيفة لأن مواطنيها عدوانيون ، ذوو ميول عسكرية أو قوميون ، بل أن العكس هو الوضع الأكثر حدوثا ، فالمواطنون يكتسبون هذه الصفات ، لأن هناك صراعات حقيقية بين الدول يجب أن تحل من خلال العنف " [4].

ومن واقع تحليله لقرارات مختلف الدول بدخول الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ خلص رونوفان الى أن " الحكومات هي التي كانت تخلق بدعاياتها تيارات الرأي العام التي كان في وسع سياستها بعد ذلك أن ترتكز اليها "[5].

يضيف جنس : " أن صانع السياسة الخارجية في النظم الديمقراطية يستطيع أن يؤثر في الرأي العام بدرجة تفوق تأثير صانع السياسة الخارجية في النظم التسلطية ، على أساس أن الرأي العام في النظم التسلطية تحصن ذاتها ضد الدعاية التي يقوم بها صانع السياسة الخارجية، بينما يميل الرأي العام في النظم الديمقراطية الى قبول الدعاية التي يقوم بها صانع السياسة الخارجية ، وربما كانت وجهة النظر تلك محل شك الى حد كبير "[6].

---

[1] ومثال على عزلة واشنطن العالمية ، هو رفضها لأوامر المحكمة الدولية . فقد وصلت معارضة واشنطن للمحكمة الجنائية الدولية الى مستويات أثارت السخرية في الخارج ، وخصوصا بعد إقرار ما يدعوه الكثيرون ب " قانون غزو هولندا " الذي يخول الرئيس حق إستخدام القوة لإنقاذ الأمريكيين ممن يساقون إلى لاهاي . راجع : نعوم تشومسكي ، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتصدي على الديمقراطية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٢٨١ .

[3] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٤ .

[4] المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .

[5] المصدر نفسه ، ص ٢٤٣-٢٤٤ .

[6] المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .

تتميز النظم الديمقراطية بوجود اجهزة للتعبير عن المصالح والاتصال السياسي يمكن من خلالها ان يؤثر الرأي العام على السياسة الخارجية ، ومن ذلك استطلاعات رأي عام دورية يمكن من خلالها التعرف على الرأي العام ، بينما لاتوجد مثل تلك الاستطلاعات في النظم التسلطية ، ويختلف تأثير الرأي العام على السياسة الخارجية باختلاف اهمية القضايا المثارة ، فتأثير الرأي العام على السياسة الخارجية يزداد اذا كانت القضية المثارة ذات اهمية مركزية بالنسبة له كقضية الحرب النووية ، اما القضايا الثانوية للسياسة الخارجية (كعقد اتفاقية او تقديم معونة اقتصادية) فانها قد لاتثير الرأي العام بدرجة تجعله يؤثر في السياسة الخارجية[1].

يحدد بعض الدارسين ثلاثة اشكال لتأثير الرأي العام على السياسة الخارجية[2].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٤٥-٢٤٦.

[2] المصدر نفسه ، ص ٢٤٦-٢٤٨.كان جونسون يميل الى الإعتقاد بانه ينبغي أمركة الحرب الفيتنامية بمعنى خوضها بدعم ضخم من العسكرية الامريكية ، وانه ينبغي مواجهة الشيوعية اينما تظهر . راجع : جود ، مصدر سبق ذكره ، ص١٣٤.

استمرت الحرب الفيتنامية عقداً كاملاً (انتهت في عام ١٩٧٥) ولولا أن راح ضحيتها مئات الالوف من الامريكيين ، وملايين الفيتناميين ، ومئات المليارات من الدولارات ، ما اعترض عليها احد ، بل وما عرف حقيقتها أحد ، فلو تم انتصار القوات الامريكية فيها سريعا ، لعدهم الرأي العام ابطالا ، ولأنتخب جونسون ثانية.

أصدر روبرت ماكنمارا وزير الدفاع على عهد جونسون في منتصف التسعينات ، الذي يعد أحد مخططي حرب فيتنام ، ذكر في ان تلك الحرب كانت خاطئة .. قائلا ، قتلنا بطريق الخطأ ملايين قليلة من الفيتناميين ، ومئات قليلة من الالف الامريكيين ، واصيبنا بجراح اضعاف ذلك العدد ، ودمرنا اماما الاف القرى ، وانفقنا بضعة مليارات . راجع : نعوم تشومسكي ، ماذا يريد العم سام ؟!! ، تعريب عادل المعلم دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص٥٦-٩١.

في كل هذه التطورات ، جرت انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة ،اذ فاز نيكسون بـ ٤٣,٤% من الاصوات مقابل ٤٢,٧% لهمفري ،اما المستقل جورج والاس فانه حصل على ١٣,٥%.

وبهذا النصر الذي احرزه نيكسون بصعوبة ، اكتسب الحق في تقرير السياسة الامريكية في حرب فيتنام ، وكانت امامه خيارات عديدة ، من المؤكد أنه استعاد في ذاكرته المغفرة التي احرزها ايزنهاور في شعبيته ، عندما انهى الحرب الكورية بعد ستة اشهر من تولية منصبه ، كان بامكانه ان يفعل الشيء نفسه في فيتنام ببساطة باعادة الجنود الأمريكيين الى الولايات المتحدة ، او بالاستمرار في سياسة جونسون في شن حرب شاملة في الجنوب مع عدم قصف الشمال او تسليم الحرب الى الفيتناميين ليتولوا القتال بانفسهم باستخدام الأسلحة الأمريكية او مد نطاق القصف الى الشمال وتدمير هانوي وتلغيم ميناء هيفونج وشن غزو بقوات برية، وأخر خيار امامه كان استخدام الاسلحة النووية . وفي ظل طبيعة الحملة الانتخابية كان يمكن نيكسون ان يتبنى ايا من الخيارات المذكورة او تغيير أي فيها ، راجع : ستيفن أي . أمبروز ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٠١-٣٠٢ .

تجدر الأشارة في هذا المجال أن هناك علاقة بين حرية الصحافة و الرأي العام في الولايات المتحدة وبخصوص حرب فيتنام والمثال الواضح حول ذلك هو نشر وثائق الكونغرس حول ذلك ، ولاسيما عندما كانت تسير الحرب في غير صالح الأمريكان وبالتحديد في أواسط عام ١٩٦٧ حيث بدأ روبرت مكنمارا وزير الدفاع بدراسة تأثير الاعتبارات الداخلية على السياسة الخارجية الأمريكية . أذا عرفنا أنه في نهاية أدارة جونسون تم كتابة عملية صنع القرار المتعلقة بقضية فيتنام في سبعة وأربعين مجلدا محتفظة بها وبصورة سرية من الكتمان والسر من قبلها ، إلا أن Daniel Ellsberg احد العلماء في السياسة الخارجية ودارسي وثائق الكونغرس في أذار ١٩٧١ استطاع من إستنساخ هذه الوثائق لمراسل صحيفة نيويورك تايمز وفي ١٣ حزيران ١٩٧١ بدأت صحيفة Times في نشرها . ومن جانب أخر قامت أدارة نيكسون بأتخاذ قرار فوري لمنع تداولها ، مدعية أن

٦- **التأثير في اجندة السياسة الخارجية** :- ان التأثير في اجندة السياسة الخارجية – أي ترتيب اولويات القضايا لدى صانع السياسة الخارجية ؛ مثال استشهد به سنيرز حول ذلك بأثر الرأي العام الكندي في الضغط على رئيس الوزراء ترودو ليهتم بقضية الحركة الانفصالية في مقاطعة بيافرا بنيجيريا عام ١٩٦٨ بعد ان كان قد اعلن ان القضية ليست عامة بالنسبة له . وهناك مثال اخر يتركز في اثر الرأي العام الامريكي في دفع الرئيس ريغان الى الاهتمام بقضية اسقاط الاتحاد السوفيتي للطائرة الكورية عام ١٩٨٣ ، ففي البداية لم يهتم الرئيس الامريكي بالقضية وواصل قضاء اجازته في مزرعته في كاليفورنيا ، ولكن بعد ان اتضح اهتمام الرأي العام بالقضية ، اتخذ الرئيس قرار العودة الى واشنطن ، وتبنى قرارات ازاء القضية المذكورة [1].

هذا قد يلحق الضرر على الأمن القومي ، وعدم مساندة الرأي العام للحرب . وفي ٣٠ حزيران من العام نفسه قضت المحكمة العليا ٣ – ٦ لتخلص من ادارة نيكسون المحكمة بخصوص ذلك ومع ذلك استمرت The Times من تزويد بقية الصحف بالمعلومات الواردة في وثائق الكونغرس . وإذا ما عدنا إلى مخطط البنتاغون ، التي باتت معروفة اليوم وبالتفصيل من خلال " أوراق البنتاغون " (هو المصطلح الشعبي لتقرير سري من سبعة آلاف صفحة وضعته الإدارة الأمريكية ويحكي تاريخ التخطيط الداخلي وعملية صنع القرار داخل الإدارة نفسها بصدد حرب فيتنام ، وقد اكتسبت الوثيقة الشهرة عندما سربت ونشرت في صحيفة نيويورك تايمس في مطلع عام ١٩٧١) والوثائق التي رفع عنها طابع السرية لاحقا ، نجد أن عمليات قصف الشمال قد خطط لها حتى أدق التفاصيل : أين يجب أن نقصف ، وألا نقصف ، ومتى ؟ بينما لا يوجد عمليا أي شيء بصدد قصف الجنوب ، الذي بلغ ربما ثلاثة أضعاف نطاق قصف الشمال بحلول عام ١٩٦٥ . هذا بالإمكان أن نلقي نظرة على مذكرات روبرت مكنمارا ؛ انه يناقش فيها وعلى نحو مفصل الخطط الموضوعة لقصف الشمال ، لكنه قلما يتطرق إلى بعض القرارات الرئيسة التي عرفتها حوليات الحرب ، كالقرار الذي اتخذ في أواخر كانون الثاني من العام ١٩٦٥ ، باستخدام قاذفات القنابل العملاقة لتصعيد وتيرة قصف فيتنام الجنوبية .لماذا ؟ لأن ساقوله الولايات المتحدة في الجنوب يبقى السير بموجبه ، لم تكن هناك أية كلفة تتحملها ولا أية معارضة دولية ، وإذا كان في مقدور الولايات المتحدة أن تفعل ماتريده . في الشمال على العكس ، كان الأمر محفوفا بالمخاطر ، كانت هناك سفارات أجنبية في هانوي وسفن سوفيتية في ميناء هايفونغ ، كانوا يقصفون السكة الحديدية الصينية التي صادف أنها تمر عبر فيتنام الشمالية ، وقد كان ذلك مرئيا بوضوح على المسرح الدولي ، زد على ذلك ، أن الشمال كانت لديه دفاعاته ، ومنها البطاريات المضادة للطائرات السوفيتية الصنع ، التي قيل عنها أنها تشكل "شغلا" في شؤون فيتنام . أن حرية الصحافة وقضايا الأمن القومي تم تكرارها من جديد خلال المدة الواقعة بين ١٩٩٠ – ١٩٩١ خلال حرب الخليج الثانية . راجع : Jentleson , Op.Cit., pp.٥٦-٥٧.

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٣٦-٢٤٧.

يشير هاملي كانتريل الى دراستين لاستطلاع المعلومات قام بهما لويندري في كوبا قبل غزو خليج الخنازير ، وفي سان دومنجو قبل التدخل الامريكي ، وقد كشفت كل من الدراستين الاوضاع التي كان من الممكن ان تمثل عقبة امام صناع القرار ، على ان القضية هنا ليست رفض البيانات المفيدة للاستطلاع من جانب البيروقراطية، بل تتمثل في الشك متعدي استطلاع الاراء في صنع مبادرات السياسة الخارجية للولايات المتحدة .

ومن الأمثلة الأخرى في هذا الصدد شركة سيمولماتكس المتحدة وهي شركة للابحاث مقرها نيويورك ، وقد قامت بإجراء العديد من الابحاث عن فيتنام لحساب وزارة الدفاع ووكالة التنمية الدولية . راجع : هربرت . أ. شيللر ، المتلاعبون بالعقول ، ترجمة عبد السلام رضوان ، الكويت ، ١٩٩٩ ، ص١٥٥.

كانت هناك محاولات من إدارة نيكسون (وهو ريتشارد نيكسون الرئيس الـ ٣٧ للولايات المتحدة ، دخل مدرسة ديوك للقانون عام ١٩٣٦ ، عمل في المحاماة في الاربعينات من القرن العشرين خاض الانتخابات التمهيدية عام ١٩٤٦ ضد النائب جيري فورهيس ، وبعد انتخابه في الكونجرس في لجنة النشاط المعادي للولايات المتحدة التابعة لمجلس النواب حمل شعار محاكمة تشريعية ، ثم اختياره نائبا لرئيس الجمهورية ، هزمه جون كنيدي في عام ١٩٦٠ في أول محاولة له للرئاسة ، فضلا عن ذلك ، هزم نيكسون في انتخابات حاكم

كاليفورنيا اسم ايد مونتجي (بات) في عام ١٩٦٢ انضم الى مؤسسة ميشيل القانونية ، وكان من بين زبائنه آنذاك شركة بيبسي كولا التي كان رئيسها دونالد كيندول الذي كان صديقاً قديماً له ، وفي خلال تلك قام بجولات متعددة نحو انحاء العالم لحساب الشركة الأخيرة ، واقام مشروعاً لمعملها في فيتنام ، وهو الذي اصبح الآن اكبر مصنع للهروين في كل جنوب شرق آسيا ، وعلى الرغم من تلقي هذا المشروع اموالاً من وكالة التنمية الدولية (الأمريكية)، لم ينتج هذا المصنع زجاجة بيبسي كولا واحدة . ان حملة نيكسون الإنتخابية عام ١٩٦٨ قد تعرضت لعملية تجسس غير مشروعة بواسطة التسجيلات الصوتية . راجع: مايكل ميرسون ، ووترغيت أزمة الديمقراطية الأمريكية ، ترجمة سمير كرم ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص١٥٢-١٥٥ .) لحل القضية الفيتنامية ، لأنه في حالة انقضاء خمسة وعشرين عاماً على هذه القضية ، سوف يكون لها تأثيرها على اجماع اميركا القومي في فيتنام ، كان المجتمع الامريكي تواقاً بعد احتلاله بمقدم رئيس شاب وهو نقدمي من وجهات نظره ، ولاسيما اذا عرفنا انقطاع الرئيس جونسون عن الظهور الى السواد الأعظم من الناس ، عندما قضى نحب رئاسته عام ١٩٦٨ ، اذ كانت هناك احتجاجات عنيفة لسياسته في فيتنام ، الى درجة تم ايقاف حتى الظهور في اجتماع عام ١٩٦٨ الوطني الخاصة لسياسته في فيتنام . راجع : هنري كيسنجر ، الدبلوماسية في الحرب الباردة حتى يومنا ، ترجمة مالك فاضل البديري ،الاهلية للنشر والتوزيع ،عمان ، ١٩٩٥ ، ص٣٢٧-٣٢٨ وسيمور هيرش ، ثمن القوة سنوات كيسنجر في البيت الابيض ، ترجمة خالد اسماعيل الصفار ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٠، ص٢٠. . استقال نيكسون في عام ١٩٧٣ ، اذ يعد اول رئيس في الولايات المتحدة يقوم بهذا العمل منذ نشأة الولايات المتحدة في عام ١٧٧٦ . راجع : المصدر نفسه ، ص ١٠.

والحق ، أن معارضة الرأي العام الامريكي للحرب الفيتنامية ، كانت السبب الرئيس في عدم تجديد ترشيح الرئيس جونسون في عام ١٩٦٨ . راجع : جيمس ، اندرسون ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٤ .

في عام ١٩٧١ ، وعندما رفض الرئيس الأمريكي تحديد موعد معين للانسحاب من فيتنام اثار موظفو البيت الأبيض الى استطلاع حديث للآراء اوضح انه في حين رغب ٦٨% ممن سئلوا في اتمام الانسحاب مع نهاية ١٩٧١ ، فان ٧٥% عارضوا سحبا للقوات (يهدد ارواح او سلامة أسرى الحرب الامريكيين) ، وهناك اعتقاد شبه مؤكد ان الاستطلاع تم بناء على تكليف من البيت الأبيض . راجع : شيتز ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦١ .

وهنا لابد ان نشير ، من أن قرار الرئيس جونسون حول تخفيف العمل من الانهماك الامريكي في فيتنام ، والقرار الخاص للرئيس نيكسون الانسحاب منها ، كان لهما العلاقة بالسياسة الداخلية ، أكثر من تعلقهما بالسياسة الخارجية . راجع : بروستراك غيني ،مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧.

راجع : هنري كيسنجر ، الدبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٧-٣٢٨.

تظهر دراسات " البرنامج حول المواقف من السياسة الدولية " (PIPA) انه بحلول نيسان ٢٠٠٣ ، أي بعد بضعة اسابيع فقط غداة الغزو ، كانت غالبية كبيرة من الرأي العام الأمريكي يشعرون بأنه يتوجب على الأمم المتحدة بالذات أن تتولى زمام القيادة في استتباب الأمن وإعادة بناء الاقتصاد في العراق . وبحلول كانون الثاني ٢٠٠٣ ، كان ٧٠ % من الأمريكيين يرون أن على الأمم المتحدة كذلك أن " تتصدر الصفوف في العمل مع العراقيين لوضع دستور وبناء حكم ديمقراطي جديد " .

إن هذه الأرقام جديرة بالذكر خصوصاً في ضوء الحقيقة المعروفة ، وهي أن رأي الجمهور في مثل هذه الأمور نادراً ما يذاع ، وأن وجهات النظر هذه لا تلقى إلا القليل من الدعم الصريح والواضح ، وأن المسائل لا تظهر على الأجندة الإنتخابية ، وأخيراً أن الأمريكيين يمتلكون سوء إدراك غير عادي للحرب ، ربما يكون فريداً من نوعه في العالم .

في دراسة أعدها " البرنامج حول المواقف من السياسة الدولية (PIPA) تبين أنه عشية انتخابات ٢٠٠٤ ، كان ٧٤ % من شرائح الرأي العام الأمريكي يشعرون بأنه يجب على الولايات المتحدة ألا تذهب إلى الحرب إذا كان العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل أو لا يقدم الدعم لتنظيم القاعدة (٥٨ % من أنصار بوش ، و ٩٢ % من أنصار كيري ، و ٧٧ % من غير الملتزمين بأي منهما) . وفي حال كانت لدى العراق النية فقط لتطوير أسلحة دمار شامل ، لدى ٦٠ % معارضتهم لخيار الحرب ، غير أن النصف تقريباً كانوا يحبذون اللجوء إلى الحرب . راجع : نعوم تشومسكي ، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ .

٢- **التأثير في الأطر العامة للسياسة الخارجية** :- هنا يكون للرأي العام دور في وضع حدود معينة على امكانية صانع القرار حول اختيار بدائل معينة في السياسة الخارجية ،وبتعبير آخر قدرته في وضع الإطار الأساس للخيارات الممكنة ، وما يطلق عليه Parameter-Setting ، وفي حالة تجاوز صانع القرار هذه الأمور ، فانه بالامكان الانقضاض عليه من شرائح الرأي العام .

٣- **التأثير في الخيارات السياسية الخارجية** :- في هذا الشكل يطرح تأثير الرأي العام على نوعية الخيارات Policy Setting التي يتم اختيارها من صانع القرار ، الا ان هذا الشكل في التأثير من النادر وقوعه في هذا المجال .

والحق ، لم يكن هناك تأثير للرأي العام بصورة رئيسة على السياسة الخارجية حتى عام ١٩١٤ ،ان نهايات الحرب العالمية الاولى بدأت تطالب بالاشراف الشعبي على قرارات السياسة خدمة لأهداف السلام في هذه المدة . ونتيجة لذلك حاول كل من ودرو ولسن والقادة السوفيت استمالة ظاهرة الرأي العام بجانبهما [١].

ان تأثير الرأي العام على السياسة الخارجية بوصفها عنصراً من عناصرها ادى الى خلق مجموعة من المعضلات ، ولا ننسى في هذا المجال ،موضوع انضمام بريطانيا الى السوق الاوربية المشتركة في آب ١٩٦١ ، لم يكن من الممكن معرفة اتجاهات الرأي العام ، اذ لم تكن هناك صورة واضحة لاعطاء موقف حاسم حول هذه المسألة ، ناهيك عن جهل الرأي العام البريطاني بابعاد هذا الموضوع [٢].

وتصير هذه المسألة اكثر تعقيدا في الأقطار الإشتراكية -أوربا الشرقية والإتحاد السوفيتي سابقا- اذ ان الرأي العام لايعد منظما من القاعدة ، بل من اعلى عن طريق تدرج هرمي في القيادة . وفي هذا الشأن نجد ان وسائل الاعلام لاكتشاف هذا الرأي والتأثير منه اوجدت لجانها جزئيا[٣].

---

[١] Frankel , Joseph , International Relations , Op.Cit ., P.٣٥.

إن الإشراف الجماهيري على السياسة الخارجية حتى عام ١٩١٤ لم يكن ممثلها في الواقع بالنواب المنتخبين ، وعلى سبيل المثال : ان شروط التحالف الفرنسي الروسي لم تكن معروفة للرأي العام الفرنسي والروسي ،على الرغم من نتائجها دفعت هذه الشعوب الى حرب او نقض العهد ، وهذه مسألة واضحة ايضا عن التحالف الالماني النمساوي الايطالي ،لأنها أخفيت عن الرأي العام في هذه الدول الثلاث ، علماً ان الشروط نفسها هي التي دفعت المانيا الى الحرب ، ان اللورد جراي اوف فولودن عبر عن هذا قائلاً : تم ابرام خطاً في اتفاقية وعوداً لم يكن لدى البلاد ، او مجلس البرلمان ، واغلبية مجلس البرلمان بواغلبية مجلس الوزراء علم بها. راجع في هذا الصدد : هارولد نيكولسون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٤.

يقول هارولد نيكولسون في هذا الصدد : "لم يعد شيء يحول بين السياسة الخارجية والإستطلاع الشعبي ، بل اصبحت السياسة الخارجية تخضع لنقد الجماهير ، شأنها في ذلك شأن السياسة الداخلية ، وهذا الأمر يعد علة من العلل الاولى في تردد السياسة الخارجية وعدم اتساقها وعدم حزمها ،والأمر نفسه يميز السياسة الخارجية في الديمقراطيات عن السياسة الخارجية في ظل الحكم المطلق ،اذ نرى السياسة الخارجية الاخيرة تتسم بوحدانية الهدف والغرض" . راجع المصدر نفسه ، ص ٢٥٧.

[٢] Frankel , Joseph , International Relations , Op.Cit., P.٣٥.

[٣] Ibid ., P.٣٦.

وعند تقويم اهمية الرأي العام ، وتأثيرها على السياسة الخارجية ، يكون من الضروري التمييز بأنموذجين من عملية صنع القرار [1]:-

١- القرار اليومي بشأن سياسات محددة .

٢- القرارات المستمرة نسبيا محدودة الاتجاهات للسياسة العريضة .

فيما يخص الأنموذج الاول من عملية صنع القرار ، هناك دور للرأي العام غير المنظم ، ولكن يتحدد هذا الدور بفعل مباشر صغير ، فصانعو القرارات يمارسون ضغوطا كبيرة من اجل قبول او لرفض بدائل سياسة معينة ، الا أن ممارسة هذه الضغوط تأتي من شرائح معينة من الرأي العام ولاسيما انها تتحرك عن طريق منظمات ،وليس من الهيئة الناخبة ككل ، وفي هذا المجال يحاول صانعو القرارات توقع رد فعل ممكنة من جانب الرأي العام لسياساتهم [2].

اما الأنموذج الثاني فان له تاثير اكبر على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ،لأن الحدود العامة للسياسة العامة تتحدد بوساطة الاتجاهات العامة الخفية ، زد على ذلك ان الرأي العام الجماهيري له دور كبير ايجابي من خلال النظام الانتخابي[3].

ولابد من التأكيد في هذا المجال ان الرأي العام الجماهيري ومساندته للسياسة الحكومية جعل من الصعب ان يكون لصانعي الرأي غير الرسميين دور فعال في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، ويأتي هذا بأن الرأي العام يفرض " سلبياته الجماهيرية الشاملة " على مناهج الحركة الجديدة المقترحة ، لأنه مع " الرفض الجماهيري " ، تكون الجهود التي يبذلها صانعو القرار في السياسة الخارجية جهودا وتكلفة عالية [4].

وفي هذا المجال ، نرى أن الدبلوماسيين في الخارج يهتمون كثيراً بالرأي العام في دولهم ، ليس بسبب انهم يحاولون ارضاء زملائهم لاسباب سياسية أو ضرورية ، وانما يهدفون من وراء ذلك الحصول على تأييد الرأي العام المحلي كأداة لهم في مواجهة الدبلوماسيين الاجانب [5].

فضلاً عن ذلك ان الحكومات في دول كثيرة تعبر عن سياستها الخارجية عن طريق بعثاتها الدبلوماسية في الخارج مثل مندوبيها في منظمة الامم المتحدة ،وفي هذا المجال فان المندوبين في المنظمات الدولية يقومون باستخدام الحقوق التي خولتها لهم دولهم في التحدث في جلسات هذه المنظمات بغية الحصول لآراء دولهم التي تعبر بصورة رئيسة عن آراء الرأي العام لدولهم [6].

---

[1]) محمد سيف ، مصطفى علي ،مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢.

[2]) المصدر نفسه ، ص ٢٣.

[3]) المصدر نفسه ، ص ٢٣.

[4]) المصدر نفسه ، ص ٢٣.

[5]) الدكتورة شهيناز طلعت ، الرأي العام ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٣٠٨.

[6]) المصدر نفسه ، ص ٣١٠.

ولكن العلاقة بين الرأي العام ، وعملية صنع القرارات في السياسة الخارجية هي عملية معقدة ، ويمكن تلخيص ذلك في العوامل الآتية [١]:-

١- أن صانعي القرارات قد يضعوا نصب أعينهم اتجاهات الرأي العام في بعض الأحيان ، ويستغنون عن تلك الإتجاهات في أحيان أخرى ، إيماناً أن مثل هذا الاستغناء يحقق فائدة كبيرة في نطاق السياسة الخارجية .

٢- يتصف الرأي العام بعدم اهتمامه بأمور السياسة الخارجية ،ولاينطبق هذا الأمر على المجتمعات المتخلفة فقط ، فالمواطن لايهتم الا بمشاكله ، وهناك اتجاه عام في كثير من الدول المتقدمة بأن السياسة الخارجية لها نطاق مستقل لا يتناوله الا صفوة قليلة من الناس هي المسؤولة عن مناقشة وتحليل أبعاده .

ويقول جيمس برايس ، في هذا الصدد " ان جماهير الشعب قد لاتفقه الشيء الكثير ، ولكنها تعرف جيداً موضع الألم الذي تتوجع منه ،ولذلك تظل أجدر وأفضل من غيرها بتقرير الاصلاحات التي تحتاج اليها ، ولكن هذا لاينطبق على السياسة الخارجية [٢].

وفي هذا المعنى ، يقول ألكسي دو توكفيل : " أما الأمريكي فيشعر ، على الضد من ذلك ، أن اقتصار همه على تدبير شؤونه الخاصة أشبه بسلبه نصف عمره، ولا يجد ما يملأبه الفراغ الهائل في أيامه ويستبد به القنوط والتعاسة "[٣] .

٣- افتقار المعلومات : اذ أن طبقات المجتمع الجماهيرية تعودت الا تحصل على المعلومات اللازمة في مسائل السياسة الخارجية ،وعليه يمكن القول بان الرأي العام المحلي يتصف بالسلبية ازاء السياسة .

٤- حتى لو افترضنا ان المعلومات متوفرة لدى الرأي العام ،الا أن حكمه كثيرا مايكون خاضعاً لانسياقه وراء العاطفة .

وفي هذا المجال ، يقول والتر ليبمان : يعد الرأي العام جاهلا ومراجيا " ، وحذر من أن اتباع الرأي العام من شأنه أن يخلق " فوضى رهيبة في الوظائف الحقيقية للسلطة وينتج سياسات مهلكة لبقاء الدولة بالذات كمجتمع حر " . لطالما أظهرت استطلاعات الرأي العام لعشرات السنين ، مع تسجيل زيادة حادة إبان سنوات ريغان ، أن الشعب لا يشعر بأن الحكومة تستجيب لإرادة الجمهور . وفي أحدث دراسة سئل المستطلعون أن يحددوا ما لوجهات نظر غالبية الأمريكيين المنتخبين في واشنطن على مقياس من صفر إلى ١٠ (صفر يعني لا تأثير بالمرة و ١٠ تعني تأثيرا نافذا للغاية) ، فكان متوسط الإجابة٥ و٤، أي مايقارب النصف تقريبا مما يعد مقبولا[٤] .

---

[١] احمد نوري النعيمي " الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية " ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩.

[٢] Bryce , James , Op.Cit., P.٣٧٠ ; Dreyer Edward C., Rosenbaum Walter A., Political Opinion and Bahavior : Essays and Studies , Edition , U.S.A ,١٩٧٠ ,PP.٣-٧.

[٣] ألكسي دو توكفيل ، الجزء الثاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

[٤] نعوم تشومسكي ، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتصدي على الديمقراطية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٩ – ٢٩٠ .

يقتصر استطلاع الرأي العام إلى حد بعيد على الأسئلة السطحية ، من قبيل " هل تعتقدون أن الولايات المتحدة بوجه عام تفعل الشيء الصواب بالقدر الكافي الذي يحق لها أن تفتخر به ؟ راجع : المصدر نفسه ، ص٣٥٥ .

٥- من الصعوبة بمكان تتبع مدى فاعلية الرأي العام على السياسة الخارجية[1].

غير أن التطورات المعاصرة أدت الى تقليل اهمية الملاحظات التي ذكرت وذلك تحت تأثير العوامل الآتية :

١- ان التطورات التكنولوجية بعد الحرب العالمية الثانية قد الغت الحواجز بين السياسة الداخلية و السياسة الخارجية . وفي هذا الصدد يقول روزينو : "ان التطورات التكنولوجية لما بعد الحرب قد انهت التمييزات الطويلة المدى بين الاهتمامات المحلية والخارجية ، لذا فان المناقشات المنبثقة حول ذلك ربما تمتد لتتضمن كل انواع نماذج السياسات ، الا أنه لم تتم لحد الآن أي محاولة تتذكر لمثل هذا التوسع ، لأن ذلك سوف يثير عديداً من التساؤلات والمشكلات التي ليس لها ضغطاً مباشر على السياسة الخارجية "[2].

٢- ان ظاهرة الدبلوماسية المفتوحة [3] وما تفرضه من مناقشات مستمرة واعلام منظم يؤدي الى خلق الاهتمام بالسياسة الخارجية .

٣- الصراع الأيديولوجي الذي غالبا ما يتحول الى حرب نفسية بقصد اغراء واستحواذ طبقات الرأي العام المحلي ، لابد وان يؤدي الى مزج النواحي المتعلقة بالسياسة الخارجية او على الاقل اعطائها طابع المشكلات اليومية.

وفي هذا المجال ، يخطر الى بالنا هذا السؤال : ماهو التأثير المتبادل بين الرأي العام والسياسة الخارجية ؟ الحق لا نستطيع ملاحظة التأثير المتبادل بين الرأي العام والسياسة الخارجية ، ولكن باستطاعتنا ملاحظة السلوك والاستنتاجات من ذلك . والتي يكون لها التأثير

---

[1] Davison , Phillips W., Public Opinion . International Encyclopedia of Social Sience , Vol .X١١١ , ١٩٦٤ ,P.١٩.

[2] Rosenau , James N., Public Opinion and Foreign Policy , New York , ١٩٦٩ , P.٣.

[3] نادى الرئيس ولسن ، بالدبلوماسية المفتوحة بعد الحرب العالمية الأولى ، نتيجة للاخفاق الذي لحق بالسياسة الخارجية في هذه المدة فقد اعلن ولسن في البند الاول من مبادئه الاربعة عشر في ١٢ اذار (ان المستقبل يجب ان لايشهد سوى تعهدات و مواثيق مفتوحة تم الاتفاق عليها في جو من الصراحة والعلانية).

وقد اعلن ولسن اهمية خاصة لدور الرأي العام في السياسة الخارجية ، والرأي في نظره ما احترم الوقائع وتم اختياره بواسطتها ، وبمعنى آخر يجب ان يكون هناك توافق بين الوقائع و الرأي العام ، وإذا ناقض الرأي الوقائع كان من الضروري التخلي عنه . راجع في هذا الصدد : هشام الشاوي ، فن المفاوضة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٨٦-٩٦ . وراجع محاضراتنا في الدبلوماسية الحديثة التي القيت على طلبة الصف الرابع / قسم السياسة ، كلية القانون والسياسة ، السنة الدراسية ٧٦/٧٧ ، ص ٤-١٤ ايضاً :

K.M. Panikar , The Principles and Practice of Diplomacy , Asia Pubishing House , Bombay , ١٩٥٧ , P.١٨.

وفيما يخص التمييز بين الدبلوماسية الجديدة (العلنية) والقديمة راجع :

Lester B. Pearson , Diplomacy in the Nucler Age , Harvard University Press , ١٩٥٩ , PP.١-٢٤

Stoessinger , John G., The Might of Nations World Politics in our Time Random House , New York , ١٩٦٥ , PP.٢١٧-٢٢٧.

الفعال فعلى سبيل المثال اذا اردنا ان نختبر تأثير الصفوة المختارة لممارسة الضغط على الرأي العام و السياسة الخارجية ، في مثل هذه الحالة يكون من الضروري أن نقرر من هـم هـؤلاء الصفوة المختارة ، ومن يشكل نشاطاً اكثر منهم في التأثير علـى الـرأي العـام أو صـانعي القرارات . وبعد ذلك يتعين علينا تشخيص من السابق اكثر رأيا من اللاحق اكثر استجابة مـن هذه المجموعات التي ترتبط سوية في سياق التأثير المتبادل الذي يشكل عملية التأثير [1].

في كثير من الأحيان ، أن القادة الوطنيين ، ينتهجـون سياسـات خارجيـة ، تكـون عرضة لمعارضة الرأي العام ، وهناك أمثلة تعزز ذلك ، منها تحرك الرئيس روزفلت قبل عام ١٩٤١ بحذر تجاه الحلفاء ، ولكنه بعد ذلك وبسرعة أصطف الـى جانـب القـوى الأوربيـة الغربية، على الرغم من أن الإستفتاء الذي تم أجرائه من قبل الرأي العام بخصوص ذلك ، كان يشير الى بقاء الولايات المتحدة خارج الحرب . ومعارضة الرئيس ديغول للأندماج مع العـالم الغربي في وقت كان ثلاثة أرباع الفرنسيين يفضلون هذا الأندماج . [2] وقرار رئيس الـوزراء البريطاني هيث الإنضمام الى السوق الأوربية المشتركة وبدون مساندة الرأي العام البريطاني ، امام أعتقاد القادة الثلاث في بريطانيا ؛ بأن سياستهم الخارجية ، كانت بحاجة الى تأييد الـرأي العام لهم . فضلا عن ذلك ، هناك تأثير للرأي العام على السياسة الخارجية ، ولعل معارضـة الرأي العام الأمريكي للحرب في كوريا وفيتنام واضح في هذا المجال ، ولمعرفة أهمية ذلـك ، يمكننا أن نرجع Bernard Cohen الذي أشار قائلا ((أن نظام صنع السياسة بصورة أساسية يقترن بمعارضة الأتجاه المعتدل لجميع الآراء الواردة من الرأي العام الخارجي)) .

---

[1] Rosenau , Op.Cit ., P.١١.

[2] تجدر الاشارة في هذا المجال ، أن فرنسا أنضمت الى السوق الأوربية المشتركة في ٢٥ آذار ١٩٥٧ بموجـب معاهدة روما . وفي هذا المجال أشتركت الأحزاب ومعظم الصحف في فرنسا ، في القلق الذي ساور الـدول الأجنبية ، التي أبدت أستيائها من موقف الجنرال ديغول المتشدد أزاء ذلك الذي قال ((انه سيخطر على الـذين تولوا المفاوضة بأسمنا عام ١٩٥٧ ، حلم أنشاء أوربا ذات كيان يعلوا على الدول الأعضاء ..)) . ومع ذلـك فقد رأى ديغول أنه من المناسب أطلاع الرأي العام حول الموضوع عملا بالخطة التي أنتهجها . ففي ٥ أيلول ١٩٥٧ عقد مؤتمرا صحفيا أوضح فيه ماتقدم به بعد أنضمام فرنسا الى السـوق الأوربية المشتركة قـائلا ((أن أشادة أوربا ، أي العمل على وحدتها هو هدف رئيس بالنسبة الينا . يجب أن نسلك طريق الحقـائق لا طريـق الأوهام . فما حقائق أوربا وما الدعائم التي يمكننا أن نشيدها فوقها أنها في الحقيقة الدول التي تملك كل منهـا بلا ريب روحها وتاريخها ولغتها ومآسيها وأمجادها وطموحها)) . والحق كان ديغول يتخذ قراراته من خلال رجوعه الى التاريخ مع الأخذ بنظر الأعتبار الصحف في الحسبان ، الا أنه لم يعطيها أكثر مما تستحق بتركيزه على المستقبل البعيد . راجع : الدكتور حسن العطار ، المنظمات الدولية ، مطبعة شفيق ، بغـداد ، ١٩٧٠ ، ص٣٤٤ . والجنرال ديغول ، مذكرات الأمل التجديد ١٩٥٨-١٩٦٢ ، ترجمة الدكتور سموحي فوق العـادة ، ط٢، منشورات عويدات ، بيروت حزيران ، ١٩٨٦ ، ص٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٦ . ود.عبد المنعم سـعيد ، الجماعة الأوربية تجربة التكامل والوحدة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ ، ص٥٥ . و جاك شيراك ، فرنسا جديدة فرنسا للجميع ترجمة أنطوان الهاشم وأحمد عويدات ، منشورات عويـدات ، بيـروت ، لبنـان ، ١٩٩٥ ، ص٩٥-٩٦ ؛ W . Phillips Davison , Mass Communication & Diplomacy , In World Politics An Introduction , Op.Cit.,P٣٩٨ .

أشار جيمس بيست إلى عوامل مهمة يمكن الأخذ بها عند دراسة علاقة الرأي العام بعملية صنع القرار ، يمكننا ايجازها في الآتي[1] :-

١- نوعية سياسة اتخاذ القرارات ، إذ ان للرأي العام دوره في تحديد البدائل ، وتوضيح المعايير للقرارات غير الروتينية .

٢- مرحلة عملية اتخاذ القرار ، قد يكون الرأي الجماهيري اكثر اهمية في مرحلة التنفيذ .

٣- ان مقدار الموقف المستهلك لصنع القرار يؤثر على نوع الرأي المأخوذ في الاعتبار .

٤- أن القدرة على الوصول الى صانع القرار يؤثر في انواع الآراء التي يستعملها .

٥- تؤثر شخصية صانع القرار في اهمية الرأي العام .

٦- ان طريقة توصيل الرأي تؤثر في أي الآراء سيخضع لها صانع القرار .

والمقارنة مع الصعوبات اللازمة في مفهوم التأثير ، فان لدينا بدائل ثلاث [2] :-

١- محاولة التغلب على الصعوبات عن طريق البحث وقياس التأثير [3].

٢- تجاهل هذه الصعوبات .

٣- تفادي هذه الصعوبات عن طريق استخدام مفاهيم اكثر دقة .

يعطي البديل الأول توقعات ضئيلة بنجاحه ، لان المعرفة للحوافز والمواقف والتي تدور حول السلوك تكون قليلة ، بحيث ان تطبيق التحليل التجريبي يكون ضعيفا جدا في هذه المرحلة . وبعبارة اخرى ان هذا البديل يلقي ضوءا على العلاقة بين الرأي العام و السياسة الخارجية .

اما بالنسبة للبديل الثاني الذي يدور اساسا حول تجاهل الصعوبات فانه ليس باستطاعته تشخيص السلوك الاساس من التأثير الذي يستنتج .وهذه الطريقة والتي استخدمت من الغالبية العظمى للباحثين تعد مسؤولة عن اضطراب كثير من المفاهيم و المصطلحات العلمية التي تشتمل على تحاليل غير دقيقة لعلاقة الرأي العام مع السياسة الخارجية ; فضلاً عن ذلك ان هذا البديل يقتصر على اختيار جزء من المجتمع أي الجزء الواقع عليه التأثير . في الوقت الذي تؤكد فيه الدراسات العلمية على اختيار المجتمع بأكمله .

اما البديل الثالث ، فانه يبين لنا مدى التأثير على العلاقات السلوكية قبل الاشعار بوقوع الحادث ، وبدلا من التغلب على صعوبات قياس التأثير في العلاقات السلوكية ، وبدلا من التسليم للغموض الذي ينشأ حينما يكون التأثير تماما للتعويض عنه بآخر ليجعل التحليل التجريبي واضح المدى لعلاقة الرأي العام مع السياسة الخارجية .

وعلى الرغم من وجود هذه الصعوبات امام قياس التأثير المتبادل بين الرأي العام و السياسة الخارجية ، يقدم لنا روزيناو بعض الإفتراضات حول اهمية الرأي العام في السياسة الخارجية وهذه الإفتراضات هي :-

---

[1] الدكتور علي محمد شمبش ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٧-٧٨.

[2] Rosenau , Op.Cit., PP.١١-١٦.

[3] لمزيد من المعلومات حول كيفية قياس الرأي العام ، راجع : شمبش ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٨-٨١.

١- المسألة الاقتصادية تعزز كثيرا فعالية صنع الرأي العام فيما يخص ما سيفعله الدبلوماسي المقابل .
٢- ان الفاعلية التي يقوم بها صانع الرأي العام المحلي سوف تكون في الحد الاقصى فيما له علاقة بمسألة المساعدة الخارجية ، وفي الحد الادنى فيما يخص مسألة المعاهدة .
٣- ان مناقشة المعاهدة سوف تكون مختصة بصورة اساسية بوسائل التوعية بينما كل من وسائل التوعية ووسائل الرأي الجماهيري ستعمم حول المساعدة الخارجية .
٤- سيجري بحث الجزء اليسير حول المعاهدة فقط بوساطة قنوات منظمة ، بينما غزارة الافكار حول المساعدة الخارجية سوف تقدم فيها .
٥- سوف تكون الجماعات الاعلامية المبدئية اكثر الفة مع المساعدة الخارجية من مسألة المعاهدة .
٦- ان عملية تسليم الرأي العام في مسألة المساعدة الخارجية سوف تكون موجهة بشكل اكثر ناحية صانعي الرأي التشريعي من التنفيذي ، بينما الأنموذج المقابل سوف يسود مع ما له علاقة بمسألة المعاهدة .
٧- ان الاشكال المقترحة والمصادق عليها للمعاهدة ، سوف تتبعه بعضها البعض بصورة اكثر وثاقة من معايير المساعدة الخارجية المقترحة والمنفذة.

يتضح من الملاحظات التي ذكرناها حول ظاهرة الرأي العام ان هناك علاقة بين الرأي العام وعملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، وتتضمن هذه العلاقة النقاط الآتية[1]:-

١- هناك بعض الحالات قد يصبح الرأي العام فيها مرجعاً اساسيا لعملية صنع القرار وذلك في بعض الدول التي تأخذ بمبدأ المشاركة السياسية ، الا ان التقاليد السياسية ترفض هذه الحقيقة لان هذه النواحي لها علاقة بالوعي السياسي من ناحية ، ومدى الاهتمام بالسياسات الخارجية من ناحية أخرى[2].

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٨.

[2] عدّ الشعب الروسي في ظل الحكم القيصري "رعايا" تابعين لشخص القيصر الا أنه تحول وعلى اثر الثورة البلشفية الى مواطنين ، ولكنه من الناحية الفعلية ، ظل الرأي العام سواء أكانوا "رعايا" القيصر او مواطنين سوفيت خاضعين لسلطة مركزية قوية ، وقد عبر عن هذا يلتسين قائلا: " ان افراد الشعب الروسي حطموا اخيرا قيود واغلال ٧٠ سنة من العبودية ".

وقد جاء دستور عام ١٩٩٣ في روسيا الاتحادية ليفسح المجال امام الرأي العام كي يكون له دوره في عملية صنع القرار ، اذ بدأ الاهتمام باستطلاعات الرأي العام وظهور العديد من مؤسسات استطلاع الرأي العام التي عادة ما تنشر استطلاعاتها على نطاق واسع في "الازفستيا" و"البرافدا" و"الاجونيوك" وغيرها من الصحف والدوريات الروسية . راجع : نورهان الشيخ ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية -الروسية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص٦٨-٦٩.

وفيما يخص اعلان حقوق الشعب الروسي والتي دخلت الى حيز الواقع في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٧ ، راجع :
Ed., Ponomaryov . A, Gromyko . V. Khvostov . History of Soviet Foreign Policy ١٩١٧, ١٩٤٥ , ProgressPublishers , Moscow , ١٩٦٩ , PP.٢٦-٤٤.

٢- هناك تفاعل وتلاحم غير مباشر بين ظاهرة الرأي العام و السياسة الخارجية ، ويتضمن هذا التفاعل :-

أ- تصور العالم الخارجي .

ب- وظيفة الدبلوماسي بوصفه مواطن يعكس آمال المجتمع السياسي ، ويمثل الرجل العادي عندما يواجه حضارة اخرى- أي المعتقد لديها -الا أنه مع ذلك ان كلا التطبيقين ينقلان دائرة التحليل الى نطاق اخر ليس هو النطاق الحقيقي لوظيفة المواطن في صنع القرار في السياسة الخارجية .

على الرغم من هذه الملاحظات فان اهمية الرأي العام في الحياة السياسية تؤدي بصانعي القرار الى محاولة السيطرة عليه ، وتتوقف طبيعة هذه السيطرة على مدى توافر وسائل الاعلام المنظمة والكفوءة والمركزية في الرقابة ، الا أن هناك حقيقة اخرى يجب ان لا تخفى عن الاذهان ، وهي ان التأثير على الرأي العام من قبل صانعي القرار يتوقف بالدرجة الاولى على طبيعة وقوة واتجاهات الرأي العام .

ومن كل هذا يتضح ، ان الرأي العام الأمريكي لا يولي اهتماماً بالسياسة الخارجية ، بل ان هناك تدنياً في هذا الموضوع ، وعليه نرى ان القادة السياسيين يتجنبون الخوض في مناقشة موضوع السياسة الخارجية متأثرين بعواطف الرأي العام الداخلي لا بمثابة تحدثه ، وهذه مسألة واضحة في الانتخابات الرئاسية الامريكية الأخيرة الثلاثة على التوالي اذ ان المرشحين لم يتناولوا موضوعات السياسة الخارجية بشكل جدي ، يقول في هذا المجال هنري كيسنجر : "وفي التسعينات كان تطور التفوق الأمريكي من التصميم الستراتيجي أقل من تطوره من سلسلة من القرارات التي تهدف الى ارضاء الناخبين المحليين فيما دفع هذا التطور في الحقل الاقتصادي بوساطة التكنولوجيا والمكاسب الناتجة غير المسبوقة في الانتاجية الامريكية ، وقد ادى كل ذلك الى بروز اغراء بالعمل كما لو ان الولايات المتحدة لا تحتاج الى سياسة خارجية طويلة الأمد البتة ، وان بوسعها الإقتصار على الإستجابة الى التحديات حالة بحالة عندما تنشأ"[١].

ج) الأحزاب السياسية Political Parties[٢]:

---

[١] هنري كيسنجر : هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية ؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨-٩.

[٢] يذهب بعض الكتاب الى ان الاختلاف في مدى اهمية كل عنصر من العناصر التي يتكون منها الحزب قد ادى الى تعذر تقديم تعريف واحد للحزب ، وقد دفع هذا الاتجاه ببعض الكتاب الى التفاضي في تقديم تعريف له ، والاكتفاء بتعداد العناصر التي يتألف منها الحزب ، ولكن هذا التعداد نفسه قد يختلف من دارس الى اخر وبذلك لايكون بديلا من التعريف . راجع : الدكتور صالح جواد الكاظم ، الدكتور علي غالب العاني ، الانظمة السياسية ، مطبعة جامعة بغداد ، ص١١.

يعرف ليجمان كونستان الحزب عندما ينظر اليه كجماعة عقائدية : "هو اجتماع اشخاص يعتنقون العقيدة السياسية نفسها". راجع : موريس ديفرجيه ، الاحزاب السياسية ، ط٣ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٢.

ويعرف ادمون بيرك الحزب : " اتحاد بين مجموعة من الافراد بغرض العمل معا لتحقيق الصالح القومي وفقا لمبادئ خاصة متفق عليها جميعا " ، اما هارولد لاسويل فيعرفه : " المنظمة المختصة بتقديم

ان طبيعة النظام السياسي تؤثر بشكل او آخر على صنع القرار في السياسة الخارجية واذا كان النظام ديمقراطيا فان هذا يعني المشاركة الواسعة في المداولات والمشاورات عند مناقشة وتقويم القرار السياسي ، الامر الذي يؤدي الى تعدد مراكز اتخاذ القرار . أما اذا كان النظام السياسي يقوم على نظام الحزب الواحد ، فان ذلك يعني أن هذا الحزب يكون له اليد الطولى في صنع القرارات .

ومن ناحية اخرى فان الاحزاب تحاول من جانبها انجاح انتخاب اعضائها من خلال تعظيم درجة التأييد والمساندة لدى جماهير الناخبين (١).

ان الأحزاب السياسية في الماضي لم تول الاهتمام الكاف بالشؤون الخارجية(٢)، لأن جلّ اهتمامها قد انصب على السياسة الداخلية ، أما في الوقت الحاضر ، فان الأحزاب السياسية اخذت تتنافس فيما بينها في الموضوع المتعلق بعملية صنع القرار في السياسة الخارجية (٣).

المرشحين والقضايا السياسية تحت اسمها في الإنتخابات ، راجع : الدكتور علي محمد شمبش ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٦.

أما اوستن رني فيعرفه : جماعة منظمة ذات استقلال ذاتي تقوم بتعيين مرشحيها ، وتخوض المعارك الانتخابية املا للحصول على المناصب الحكومية والهيمنة على خطط الحكومة . راجع : اوستن رني، سياسة الحكم ،ج٢ ، ترجمة الدكتور علي حسن التنون ، المكتبة الاهلية ، بغداد ،١٩٦٦ ،ص٣.

يعني الحزب لغة ... قسم او جزء وهو يضم مجموعة من الناس ، اما كلمة سياسي فان هذه الكلمة تعني معاني كثيرة اقربها هو انها تمس السلطة .

وهناك تعاريف كثيرة للحزب السياسي منها انه " جماعة منظمة ذات استقلال ذاتي ، تقوم بتعيين مرشيحها وتخوض المعارك الانتخابية على امل الحصول على المناصب الحكومية والهيمنة على خطط الحكومة ".

بينما يعرفه فريدريكز على انه " تنظيم يعين مرشحين للانتخابات لدخول الهيئة التشريعية " . اما جوزيف شليزنجر فيرى أن الحزب السياسي هو " تنظيم من الافراد يسعى للحصول على تفويض مستمر انتخابي او غير انتخابي من الشعب او من قطاع منه لممثلين محددين من ذلك التنظيم لممارسة القوة السياسية لمناصب حكومية معينة ، مع اعلان ان تلك القوة سوف تمارس بالنيابة عن الشعب ". راجع :الدكتور طارق الهاشمي ، الاحزاب السياسية ، شركة الطبع والنشر الاهلية ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص٧٧ واوستن رني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣، و

Riggs Fred ,Comparative Political An apolitical Parties , in : Cortty William J., Approaches to the study of Party Organization , Bosten , ١٩٦٨ , P.٥١ ; Sellesinger , Joseph , Party Units in International Encyclopedia of the Social Science , Macmillan , New York , ١٩٦٨ , P.٢٤٩ ; Lawson , Key , The Comparative Study of Political , Morting Press , New York , ١٩٧٨ , PP. ٣-٤ ; Scott Andrew , Op.Cit ., P.٨.

(٢) الوتري ،مصدر سبق ذكره ، ص ٧٥.

(٣) لاتحتل السياسة الخارجية الاحيزا متواضعا (١٠%) في البيانات الانتخابية وغالبا ماتكون وراء بعض الاستثناءات في المكان الاخير ، ويحدهم المرشحون الواقعون على طرفي الخيار السياسي الذين لايمتلكون بصورة عامة أي حظ لانتخابهم هم الذين يولون اهمية كبرى للسياسة الخارجية ، راجع : مارسيل ميرل ، السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٨.

(٤) Frankel , Joseph , The Making of Foreign Policy , Op.Cit ., P.٨١.

وهنا يجب التمييز بين الحالات التي يكون فيها الحزب السياسي قابضا على السلطة ، وكون الحزب في المعارضة السياسية ، بطبيعة الحال ان الحزب القابض على السلطة لابد ان يقوم بدور اكثر مما يقوم به الحزب الذي يكون معارضة برلمانية ، ويعزى السبب في ذلك الى وجود توافق وانسجام بين اعضائه فيما يخص شتى الأمور سواء في الشؤون الداخلية والخارجية ،وهنا نجد ان الحزب في هذه الحالة يختار بين السياسات الخارجية البديلة التي تتلاءم مع افكاره ومبادئه . على العكس من ذلك في حالة وجود احزاب متعددة التي تكون حكومة ائتلافية فان سلطة صنع القرار تتحدد في مراكز كثيرة فان اتباع سياسة خارجية معينة غالباً مايكون وفقا لاتفاق مسبق فيما بينها[1].

اما فيما يخص الأحزاب المعارضة ، فان دورها يتحدد اساسا وفقا لطبيعة النظام السياسي ، اذ اننا نجد في الدول التي تأخذ بنظام الحزب الواحد ، ان من المتعذر في هذه الحالة ان نتحدث عن وجود المعارضة السياسية .

أما فيما يخص الدول التي تأخذ بنظام الحزبين أو نظام تعدد الاحزاب فان الأحزاب المعارضة تحاول استخدام المجالس التشريعية لأغراض دعائية فقط [2].

ويتبادر الى الذهن هذا السؤال المنطقي هو : ما مدى تاثير الأحزاب على عملية صنع القرار السياسي الخارجي ؟

الحق ، ان للأحزاب السياسية دورا مهما في اختيار صانعي القرارات عن طريق الترشيح والانتخاب ، وبطبيعة الحال ان الحزب السياسي يتبنى هذا الموضوع قبل اجراء الانتخابات ،وعليه نرى ان صانعي القرارات يتأثرون اساساً ببرنامج الحزب السياسي الذي تم اختيارهم عن طريقه [3].

وكما ان التأثير الرسمي للأحزاب المعارضة في النظم احادية الأحزاب يكاد يكون ضئيلاً ،كذلك هو الحال بالنسبة لنظم ثنائية الاحزاب ، ففي المملكة المتحدة مثلا يترتب الترابط الوثيق بين الحكومة واغلبيتها البرلمانية في مجلس العموم نتيجة مهمة هي صعوبة سحب الثقة البرلمانية عنها وتم اسقاطها من حزب المعارضة ،وهو الأمر الذي يجعل دوره مقتصراً على استخدام مجلس العموم منبراً دعائياً لافكاره وبرامجه السياسية ومن بينها تلك الخاصة بالسياسة الخارجية ، فمن خلال نقد فحوى السياسة الخارجية لحزب الأغلبية البرلمانية وسبل تنفيذها يسعى حزب المعارضة الى تعبئة الرأي العام لصالحه وذلك من اجل تهيئة بعض تلك الظروف السياسية الداخلية المواتية للفوز في الإنتخابات اللاحقة ، وعلى سبيل المثال ان مسائل السياسة الخارجية وخصوصا ذات المساس المباشر في المصالح الذاتية صارت اليوم اكثر تأثيرا من السابق في نتائج الانتخابات في النظم البرلمانية ومع ان المعارضة في النظم الثنائية الاحزاب

---

[1] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، السياسة الخارجية محاضرات في الاطار النظري لدراسة السلوك السياسي الخارجي ، كلية القانون والسياسة ، ٧٧/٧٦ ، ص٢٤٧.

[2] المصدر نفسه ، ص ٢٤٧.

[3] Duverger , maurice , Political , Parties , Metheren and Co ., Ltd , London , ١٩٦٤ , PP.٤٦٣-٤١٤.

لاتستطيع كقاعدة التأثير في عملية صنع السياسة الخارجية غير ان هناك إستثناءات وترتبط هذه بفكرة الاجماع القومي على ضرورة انجاز المصالح والاهداف الثابتة للدولة وتتضمن هذه الفكرة اتفاق الحزب الحاكم والمعارضة على كيفية صنع السياسة الخارجية وتنفيذها ، ويتيح هذا الاتفاق للحزب المعارض او الأحزاب المعارضة اتاح قدر من التأثير في السياسة الخارجية للحزب الحاكم ومثالها العلاقة بين الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الامريكية عندما يتولى احدهما عملية ادارة السلطة فيها او على العكس من نوعية دورها في السياسة الخارجية ولاسيما في النظم الاحادية والثنائية الاحزاب لا تتمتع المعارضة بتأثير اكبر لاسيما في ظل النظام المتعدد الأحزاب ومرد ذلك هو تفكك الطبيعة السياسية لهذه النظم ثم تحرك حكوماتها ذات الطابع الإئتلافي المتعدد في ظل قيود دستورية وسياسية ، وكقاعدة تحول هذه الخاصية دون ان تكون هناك سلطة تنفيذية قادرة على المبادأة في السياسة الخارجية وتكفي الاشارة الى حال حكومات الجمهورية الرابعة الفرنسية مع مثيلاتها في الجمهورية الخامسة [1].

وعلى الرغم من ان دور المعارضة الحزبية في صنع السياسة الخارجية يختلف باختلاف النظم الحزبية السائدة في الدول المعاصرة يبقى هذا الدور كقاعدة ضئيلاً وغير فاعل بالمقارنة مع دور الحزب الذي يتولى ادارة السلطة .

ومن هنا فان الاحزاب السياسية سواء تحملت مسؤولية صنع السياسة الخارجية ام اسهمت في اعدادها ام ذهبت للمعارضة فانها ترتبط وفي اغلب الاحوال قضايا السياسة الخارجية وذلك لاهميتها وموقعها في سلم اولويات هذه الاحزاب ويتضح ذلك من خلال تقاسم الاحزاب الداخلي والخارجي المستند على السياسة الخارجية كركيزة اساسية في هذا التعامل فضلاً عن كون السياسة الخارجية هي احد الاسباب الدافعة الى التكاتف والتنافر الداخلي للحزب حسب اتفاق الأراء او اختلافه ،واخيراً فان السياسة الخارجية هي احدى الادوات المهمة المستخدمة من قبل الحزب في الدول البرلمانية لكسب التأييد السياسي اثناء الانتخابات العامة او المؤتمرات والدعايات للحزب [2].

وفيما يخص فاعلية النظام الحزبي في الشؤون الخارجية للدول ، والمقصود بالفاعلية هو تأثير النظم الحزبية في السياسة الخارجية من ناحية ، ومدى تأثير السياسة الخارجية في الإتجاهات الحزبية من ناحية اخرى ، ويبدو ذلك واضحا من قيام سياسات خارجية معتمدة على وجود نظم حزبية مستقرة ، ان الأحزاب السياسية في الماضي لم تول الاهتمام الكافي بالشؤون الخارجية لان جل اهتمامها قد انصب على السياسة الداخلية ، اما في الوقت الحاضر ، فان الاحزاب السياسية اخذت تتنافس فيما بينها فيما يخص صنع القرار في السياسة الخارجية ،اذ اهتم المختصون من الأساتذة والأكاديميين في طرح الأفكار حول تأثير النظم الحزبية في السياسة الخارجية ومنهم روزنياو الذي يرى فيها " أنها متغيرات غير حكومية مؤثرة في السلوك السياسي الخارجي للمجتمع " [3].

---

[1] Frankel , Josph , The Making of Foreign Policy , Op.Cit ., P.٥٥.

قارن مع : موريس ديفرجيه ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٧-٢٥٢.

[2] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٦.

[3] Rosenau , James , N., The Scientific Study of Forign Policy , Op.Cit ., PP.٤٢-٤٣.

ويؤكد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر على " أن الأحزاب السياسية تسهم بصورة فعالة في رسم السياسة الخارجية للبلد ، حيث لايقتصر اتخاذ القرار السياسي الخارجي على الهياكل الحكومية فقط"[1].

ان تأثير النظم الحزبية في رسم السياسة الخارجية للدول كبير ذلك لانها تقوم بمجموعة وظائف لها علاقة بالسياسة الخارجية وهي :-

١- وظيفة الإعلام : وهي وسيلة تصل بين الحكام والمحكومين لوصول المطالب اليهم ؛ وهي تهيء المواطنين ضد كل قرار لا يتلاءم مع مصالحهم وتنذر الحكام بضرورة تحقيق هذه المطالب .

٢- وظيفة التكوين : وهي وظيفة في التكوين السياسي للرؤساء والمواطنين بتأطير الناخبين بايدلوجية معينة أي تقوم بدور صمام الامان ومهمتها القنواتية (Canalisalion) ، وتوجيه الأزمات الطبقية بجعلها اقل حدة ومنعها من التفاقم، كما تقوم بمهمة تأطير النواب ايضا ،وهذا واضح في الإنتخابات اذ يختار كل حزب عن طريق الجمعيات الحزبية مرشحيه الخاصين .

٣- ممارسة الأحزاب السياسية لدور المعارضة السياسية بالنسبة لحزب الأقلية كما هو شائع كاسلوب رقابي على الحكومة وكشريك في الحكومة .

٤- تساعد على عملية التنسيق والروابط مابين السلطتين التنفيذية والتشريعية وتقلل من الية الفصل بين السلطات [2].

ان السياسة الخارجية عندما تخطط من اجل انجاز اهداف سياسة خارجية نابعة من المصالح الوطنية والقومية يجب ان لا يتجاهل رغبات اغلب الجماهير وابعادهم عن المساهمين في تحديد اختيار الأهداف السياسية الخارجية لدولهم ولكي تتم هذه المساهمة بشكل فعال ينبغي تهيئة الظروف الموضوعية من قبل الأحزاب السياسية والهيئات الثقافية والمؤسسات الاخرى ولاسيما في مجتمعات العالم الثالث اذ تسود الأمية أغلب السكان . فالتوعية السياسية تصبح مطلوبة للجماهير وتتم التوعية بالمشكلات التي تكون اراء مختلف الطبقات او المجموعات متجاوبة مع تغيرات المجتمع .

ولذلك يقسم المختصون الغربيون مواطني دولة ما الى فئتين ، فئة متنورة وهي الاقلية، والاغلبية هي باقي المجتمع غير المثقفة .

١- الفئة الاولى : المتنورة وهي عادة ماتكون اراؤها انعكاسا لأراء وسائل الإتصال كالأحزاب السياسية او جماعات الضغط وغيرها . ويكون تاثيرها بطريقة مباشرة على مخططي وصانعي السياسة كما تؤثر ايضا على الاصدقاء والشركاء المقربين ، والسبب في ذلك راجع لاطلاعها الواسع لمشكلات السياسة الخارجية ولإمكانيات حصولهم على المعلومات الكافية للعديد من دول العالم المختلفة ولمعرفة افضل الحلول للمشكلات المعاصرة.

---

[1] Ibid ., P.٤٥.

[2] وحيد عبد المجيد ، " الإنتخابات الامريكية وأزمة الشرق الاوسط " ، السياسة الدولية ، العدد ٧٩ ، ١٩٨٥ ، ص٢٩.

٢- الفئة الثانية : وهي باقي افراد المجتمع وهي الأغلبية ونسبتها ٩٠% من افـراد الدولة . وهي على العكس من ذلك تتميز بثقافتها المنخفضة وعـدم اهتمامهـا بالشؤون الخارجية والسياسة الدولية واحداثها المتلاحقة . ولهذه الأسباب فانهـا تبقى بعيدة عن التأثير في الأهداف السياسية الخارجية .

ومما هو جدير بالاشارة ، أن دعم السياسة العامة للحكومة يتوقف اساسا على وجـود كتلة برلمانية متماسكة هذا من جانب والتوافق والتأييد مع سياسة الحكومة من جانب آخر . لأن عدم وجود ذلك يؤدي الى التضارب في الاراء فيما بينهم .وفي هذه الحالة يكون نفوذ القيـادات على الاعضاء ضعيفا جدا . كل ذلك يؤدي في نهاية المطـاف الـى ضـعف دور المؤسـسة التنفيذية على الاغلبية البرلمانية [١].

وعلى الرغم من إختلاف الأحزاب السياسية في وجهات النظر فيمـا يخـص صـنع القرارات في السياسة الخارجية ،الا أن هناك علاقات متبادلة بين الاحزاب الـسياسية القابـضة على السلطة ،والاحزاب المعارضة ، وتتضمن هذه العلاقات الامور الآتية[٢]:-

١- إن إهتمام الأحزاب السياسية بالسياسة الخارجية لايعد نقطة اساسية في برنامجها السياسي فحسب ، بل كوسيلة مهمة لكسب الاعضاء والمؤيدين لها.

٢- تعد موضوعات السياسة الخارجية من الاساليب المهمة المؤدية الـى التكـاتف والتجانس الداخلي للاحزاب ، ولاسيما في حالة الاتفاق عليها من ناحية ، والـى العكس ايضا في حالة تضارب الآراء حولها .

٣- يميل رؤساء الاحزاب السياسية بصورة عامة الى الاهتمام بموضوعات السياسة الخارجية ، ويظهر ذلك بصورة واضحة عن طريق تصريحاتهم ، الهدف مـن ذلك تحقيق غرضين اساسيين اولهما ناحية دعائية ، وثانيهما تحديد مواقف معينة في السياسة الخارجية .

ومن هنا تأتي أهمية الأحزاب السياسية في صنع السياسة الخارجية للدولة في كونهـا احدى قنوات الاتصال بين السلطة والجماهير وذلك لنوعية الوظائف التي تؤديهـا مـن تعبئة الجماهير وايصال مطاليبهم الى من يصنع القرار وكأداة للاشراف الشعبي وبجانـب الوظـائف السياسية الداخلية فان الأحزاب السياسية تنجز وظائف سياسية خارجية وهي صـنع الـسياسة الخارجية او الأسهام بشكل او باخر في صنعها او التأثير فيهـا ، ودور الاحـزاب الـسياسية يختلف باختلاف النظم السياسية اذ ان طبيعة النظام السياسي يؤثر بشكل او باخر على عمليـة صنع القرار في السياسة الخارجية واذا كان النظام ديمقراطيا فان هذا يعني المشاركة الواسـعة في المداولات والمشاورات عند مناقشة وتقويم القرار السياسي والامر الذي يؤدي الـى تعـدد مراكز اتخاذ القرار . اما اذا كان النظام السياسي يقوم على نظام الحزب الواحد ، فـان ذلـك يعني ان الحزب يكون له اليد الطولى في صنع القرارات [٣].

---

[١] المصدر نفسه ، ص ٨٣.

[٢] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، السياسة الخارجية ، محاضرات في الاطار النظـري لدراسـة الـسلوك السياسي الخارجي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٨-٢٤٩.

[٣] احمد نوري النعيمي ، " الابعاد المؤثرة في السياسة الخارجية " ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨١. و Sabato , Op .Cit., P١٩٠ .

د- جماعات الضغط Pressure Groups :

يشتمل كل مجتمع ، ولاسيما في الدول الديمقراطية ، على منظمة تتأثر بعلاقات الدولة الخارجية ، ثم فانه من الطبيعي ان يكون لمثل هذه الجماعات التي تعرف بجماعات المصالح او جماعات الضغط اهداف ذات صبغة دولية [1].

---

[1] لابد من الاشارة الى تحديد المفاهيم الاتية :-

أ) تعرف جماعات الضغط بانها : " اية منظمة تسعى الى التأثير على سياسة الحكومة ، بينما ترفض تحمل مسؤولية الحكم " .

ويعرف الدكتور محمد فتح الله الخطيب جماعات الضغط بانها : " تجمع افراد ذوي مصلحة خاصة او اقتصادية ام غير اقتصادية تابعة عن اتفاق بسبب الدين او الجنس او غير ذلك من العوامل يهدفون التأثير في اتجاهات ونشاط السلطة الحاكمة " . راجع : الدكتور محمد فتح الله الخطيب ، دراسات في الحكومات المقارنة، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص١٦٣ ، وكذلك :

Frankel , Op.Cit., P.٨١ ; Eit ., Luttbey , Norman R., Public Opinion and Foreign Policy Models of Political Linkage , U.S.A ., ١٩٧٢ , PP.١٢٠-١٢١.

وجماعة الضغط في مفهومها العام تعود الى الاذهان الصراعات الناشئة لجعل قرارات السلطات العامة مطابقة لمصالح او لافكار فئة اجتماعية معينة ، راجع : جينو دجان ، الجماعات الضاغطة ، ترجمة بهيج شعبان ، منشورات عويدات ، بيروت /باريس ، ١٩٨٠ ، ص٥.

ب) جماعات المصلحة : يعرف فاينر جماعات المصلحة : " كل الجماعات او الاتحادات التي تسعى الى التأثير على السياسة العامة بطريقتها الخاصة في الوقت الذي تحجم فيه عن تحمل مسؤولية مباشرة في حكم الدولة " . راجع :

Norman , Op.Cit ., PP.١٢٢-١٢٦., Sabato , Op. Cit . , p.١٩١, ٣٦٤-٤٦٨.

ان دور وعدد ووضوح جماعات الضغط والمصالح في بريطانيا والولايات المتحدة واضح في هذا المجال ، وذلك بالمقارنة بدولة الاتحاد السوفيتي وقتذ . راجع : جيمس اندرسون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٣.

ج) اللوبي : يقول ادجار لاني : " ان اللوبي معناه افراد يعملون في سبيل التأثير على قرارات الحكومة " . اما جيمس برايس فيقول : " ان اللوبي هو اغراء البرلمان للتصويت مع او ضد مشروع قانون ما " . راجع : المنوفي ، كمال (دكتور) ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٨-١٦٩ ، ولمزيد من التفاصيل راجع : اسماء لطيف نصيف ، جماعات الضغط اليهودية في اربع ادارات امريكية تأثير اللوبي الصهيوني في السياسة الخارجية الامريكية ، شركة المنصور للطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص١٦-٢٤.

ويعرف الوتيز اللوبي : " بانه ممثل لاحدى جماعات المصالح يتقاضى اجراً . واصطلاح اللوبي جاء من الممارسة التاريخية للمواطنين الذين يتصلون بالممثلين التشريعيين وينتظرونهم في الردهات خارج قاعة التشريع ، وكثير منهم كانوا هم انفسهم اعضاء سابقين في المجالس التشريعية.اما جون جي . ميرشايمر فإنه يعرف اللوبي بانه : " استخدم عبارة اللوبي اختزالاً مناسباً للتحالف الفضفاض الذي يضم افراداً ومنظمات يعملون بفعالية ونشاط من اجل صياغة سياسة خارجية . ان استخدام عبارة اللوبي لايعني بأن اللوبي حركة موحدة ذات قيادة مركزية ، او بان الافراد المنضوين تحت لوائها ليسوا مختلفين حول قضايا معينة " . راجع : جون جي . ميرشايمر ، ستيفن م . والت ، امريكا المختطفة اللوبي الاسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية ، ترجمة فاضل جتكر ، العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٦ ، ص ٥٦ .

وتشير اللوبي في الولايات المتحدة الى المنظمات الرسمية التي تحترف التأثير على اعضاء الكونغرس الامريكي لا تضم في الغالب رجال كونغرس سابقين ونساء حاذقات في هذا الشأن . انها لا تمثل جماعات قضايا تخص التشريع الذي يخصها . راجع : الدكتور محمد طه بدوي ، النظرية السياسية : النظرية العامة للمعرفة السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٩-٢٤٠ . وللمزيد من التفاصيل حول هذه المفاهيم راجع :

Dutsch , Op.Cit ., PP.٥٥-٦٨.

والوتيز ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١-٩٢ .

وتلجأ جماعات الضغط الى وسائل عديدة بغية الوصول الى أهدافها الحقيقية في نطاق السياسة الخارجية ، وبامكاننا إيجاز ذلك في النقاط الآتية[1]:-

[1] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية -دراسة في الاصول والنظريات -، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٠ .

Rosenau , James N., Domestic Sources of Foreign Policy , The Free Press New York , P.٣٤٩ .

Rosenau , James A., Public Opinion in Lasswells Future of Political Science , Public opinion Quarterly , Vol . XXV١١١ , Fall , ١٩٦٤ , P.٣٩٩.

غالي وعيسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧.

وهنا لابد من الاشارة ، الى أن جونسون الذي كان له علاقات وثيقة مع الدوائر اليهودية الراديكالية ، ومن خلالها استطاع الوصول الى زعامة الاغلبية في مجلس الشيوخ ، واتخذ موقفاً مضاداً ضد ايزنهاور في العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ ، وفي مدة حرجة لايزنهاور وخلال ترشيحه لمدة رئاسية ثانية ، الا ان ايزنهاور استطاع من ايقاع الهزيمة لجونسون بسبب شعبيته في داخل الولايات المتحدة لكونه كان القائد العام لجيوش الدول الغربية ، وانتصاره على المانيا وايطاليا وحلفائها في الحرب العالمية الثانية ، وفي خضم هذه التطورات ، قام ايزنهاور باجبار كل من الكيان الصهيوني وبريطانيا وفرنسا من الانسحاب من قناة السويس وسيناء في أزمة السويس عام ١٩٥٦ ، مقابل قيام مصر بفتح مضيق تيران امام الملاحة الصهيونية .

والحق ، وقف ايزنهاور وفي مناسبات ثلاث ضد الكيان الصهيوني ، هذه المناسبات تتركز في الآتي:-

١- قيام ايزنهاور في ايلول ١٩٥٣ الغاء جميع المساعدات التي بلغت ٢٦ مليون دولار بمناسبة قيام الكيان الصهيوني بتحويل مياه نهر الاردن .

٢- موقف ايزنهاور من الكيان الصهيوني في تشرين الاول ١٩٥٦ الذي اتخذ موقفاً مناهضاً له بمناسبة اعتدائه على مصر في العدوان الثلاثي .

٣- قيام ايزنهاور في ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦ وقف جميع المساعدات عن الكيان الصهيوني باستثناء مساعدات الاغذية .

وعلى الرغم من ذلك فقد صوت يهود أمريكا الى جانب ايزنهاور عام ١٩٥٦ بواقع ٤٠% وكانت هذه النسبة أكثر من التي أيدوه عام ١٩٥٢ ، والذي صوت اليهود بواقع ٣٦% . راجع : بول فندلي ، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ .

ان انجاح ايزنهاور على الكيان الصهيوني في المناسبات الثلاثة ، بالامكان تفسيره في الآتي:-

١- قدرته في اعادة المفهوم الاخلاقي للسياسة الخارجية الامريكية .

٢- امكانياته في اقناع الرأي العام الأمريكي ، بان الانحياز التام للسياسة الصهيونية في الشرق الاوسط ، من الممكن ان يضر بالمصالح الامريكية في هذه المنطقة من العالم .

كان للوبي اليهودي دور كبير في المدة الواقعة بين ١٩٧٦-١٩٧٧ في إخفاق كارتر لوزير خارجيته سايروس فانس وكان من المقرر وقتذ تعين جورج و. بول ، الذي تميز بمؤهلات كبيرة ، فضلاً عن خبراته وقوته الشخصية وهيبته الدولية . راجع :المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

ويمكن القول ، ان هذا النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة بدأ في النمو السريع منذ عهد نيكسون قبل نشوب حرب تشرين ١٩٧٣ الذي قام بتعيين هنري كيسنجر اليهودي الألماني في منصب مستشار الرئيس للأمن القومي الأمريكي بالبيت الأبيض " وقد حصل على الجنسية الأمريكية قبل عام او يزيد قليلاً في منصب مستشار الرئيس للأمن القومي " ، والذي كان له الدور البارز في ابعاد مصر وقتذ عن السياسات العربية ، والدور جلي وواضح في نهاية حقبة السبعينات من القرن الماضي لابرام السادات اتفاقية مع الكيان الصهيوني ، ثم ابرام اتفاقية كامب ديفيد الاولى .

وهنا يمكن المقارنة بين كارتر وكلينتون في المفاوضات بين مصر والكيان الصهيوني ، في عهد الرئيس كارتر لم يكن ضمن الوفد الأمريكي في المفاوضات اي يهودي سوى سفير الولايات المتحدة في الكيان الصهيوني صموئيل واما في مفاوضات كامب ديفيد الثانية برعاية الرئيس كلنتون ، كان الوفد الامريكي كله من اليهود الصهاينة . وجدير بالإشارة في هذا المجال ان ادارة الرئيس كلينتون في المدة الواقعة بين ١٩٩٢-٢٠٠٠ شهدت حضوراً كبيراً لليهود في مرافق الدولة كافة . وسارت اذذاك سفير الولايات المتحدة في الكيان

الصهيوني واضح في هذا المجال ، وكان عضواً في منظمة ايباك الصهيونية ، منحه كلنتون الجنسية الامريكية بعد انتخابه ، ثم تعينه مستشارا في مجلس الامن القومي .

يذهب حاييم بارام الكاتب الصهيوني ، أنه بعد انتهاء دولة الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية ، أنه لابد من قيام الكيان الصهيوني من دفع الولايات المتحدة واوربا في المعركة القائمة ضد ما اسماه بالأصولية الاسلامية ، التي عدت من وجهات نظره بأنها " عدو اكبر من الحياة " . راجع : د. فواز جرجس ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٢ .

كانت هناك علاقات وثيقة بين اللوبي اليهودي والرئيس الامريكي السابق ترومان ، وقد فسر هذه العلاقة كبير حاخامي اليهود عندما قام بزيارة البيت الابيض عام ١٩٤٨ ، عندما قال لترومان : " ان الله وضعك في رحم امك لتولد على يدك اسرائيل من جديد بعد الفي عام " .

وكان هذا الموقف من ترومان ازاء اليهود ، ان فاز في الانتخابات ٧٥ % من اصوات اليهود وكان من نتيجة تلك فوزه بفارق بسيط جدا .

وهنا لابد من الإشارة الى " الايباك " وهو لوبي في داخل الولايات المتحدة ، يهتم فقط بموضوع الكيان الصهيوني فقط ، وهو اداة لحزب الليكود الصهيوني ، الذي يتميز موقفه من التسوية بتصلب كبير ، وعدم تقديمه اية تنازلات للفلسطينيين ، وفي هذا المجال اشتكى حزب العمل ورابين وبيرس من اعضاء قيادته العليا وقبل فوز نتنياهو في عام ١٩٩٦ ، من ان مبادرات التسوية يتم تخريبها من قبل ايباك ، وعلى سبيل المثال فقد اتصل السفير الصهيوني في واشنطن بمدير الايباك هوارد كور ، دون ان يحتك مع اعضاء الكونجرس الامريكي ، لاجل تعبئة بعض اعضاء الكونجرس لمعارضة ادارة كلينتون في عملية التسوية .

تجدر الإشارة في هذا المجال ، ان ميزانية ايباك السنوية تزيد على خمسة عشر مليون دولار اما عدد اعضائه فيبلغ ٥٥ الف عضو ، وكان له الدور الكبير في الكونجرس لتشريع قانون ينص على نقل السفارة الامريكية بالقدس .

وقد علق احد موظفي البيت الابيض على ايباك قائلاً : " يريدون تعاوناً بنسبة ١٠٠ بالمائة والا فكما يدعون ستكون هناك مجزرة اخرى ولكن لايمكن ان يحصلوا على ١٠٠ بالمائة فان الادارة سترفض حتما بعض الاشياء . فالنظام لايعمل اذا ارادت مجموعة من المجموعات الحصول على ١٠٠ بالمائة ، فلايمكن لطرف ان يكون الفائز دائما .

ينتقد بعض الكتاب هذا الدور المبالغ لايباك ، ومنهم : " من الشائع الاعتقاد (خطأ) ان اللوبي المؤيد لاسرائيل لديه قوة دفع هائلة ، ان لم يكن تاثيرا حاسما على السياسة الامريكية في الشرق الاوسط " . راجع : راجع : د. فواز جرجس ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٩-١١١ .

فضلاً عن ذلك ، نرى أن هناك في البيت الأبيض حضوراً لليهود ، وفي مقدمتهم جون بودستا كبير موظفي البيت الأبيض ، ثم قيام كلينتون باختيار مستشاره اليهودي " ولاني برو " الذي بدأ مع " مارك بين " بعد أن حسن مسؤولي استطلاعات الرأي العام الأمريكي .

خصصت مجلة النيفمان دي جودي الفرنسية ملفاً خاصاً صدر في نهاية شباط ٢٠٠٠ ، ذكرت فيه أن عدد اليهود في فرنسا بعد تخلصها من الحكم النازي عام ١٩٤٤ ، كان ١٨٠ ألفاً ، اما الآن فقد وصل هذا العدد الى ٧٠٠ ألف يهودي ، ليس بسبب زيادة المواليد ، بل بسبب تدفق الهجرة اليهودية من الأقطار العربية ولاسيما من الجزائر وشمال افريقيا ويهود شرق اوربا الى فرنسا ، وقد كون هؤلاء كما اشارت اليه هذه المجلة دولة داخل دولة لهم مدارسهم ومستشفياتهم ومعسكرات الكشافة ولافتاتهم وصحفهم ، وهي دولة لا يخترقها فقط اصحاب الديانات الأخرى ، بل كل يهودي رافض لتطرفهم .

وعليه بالامكان ان نقول ، كما اشار الى ذلك هذا الملف : " أن نيويورك ولندن وباريس اصبحت تضم احياء " جيتو " كاملة لليهود والمتطرفين منفصلين عن العصر والعالم " . راجع : سيد عبد المعاطي ، " كيف سيطر اللوبي الصهيوني على امريكا سياسيا واقتصاديا واعلاميا " ، العرب ، ٢٦/٦/٢٠٠١ .

يقول الكسندر زرساوف لجنة رئيس " السياسة الخارجية ، في . ار " : " جهاز الاستخبارات الخارجية الجديد او المعروف بالأحرف الاولى من اسمه باللغة الإنكليزية " أف . أي . اس " الروسي وهو يوجه كلامه الى الرئيس الروسي فلاديمير ستيانوفيتش بوبوف " هناك قوة ضخمة للوبي اليهودي في الولايات المتحدة ، ويقدم هذا اللوبي نشاطاً غير عادي لدعم الاهداف الاسرائيلية فيها ، يقدم هذا اللوبي لاسرائيل معلومات استخبارية مهمة ، لا من شأنها تحديد القرارات والخطط الامريكية على المستوى السياسي ، فضلا عن اعطائه لاسرائيل

مستوى جيد من النفوذ و التأثير على مستوى عملية صنع القرار في الولايات المتحدة وفي إطار المؤسسة التنفيذية أو المؤسسة التشريعية ".

وعليه نرى بأن البعثة الدبلوماسية الروسية في واشنطن اكتشفت انه بدلاً من عدّ الاسرائيليين بمثابة معضلة استخبارية لها ، النظر اليهم واستخدامهم للتسلل في الدوائر الاسرائيلية والصهيونية في الولايات المتحدة ، من اجل تقديم هؤلاء لقادة روسيا الاتحادية المعلومات الاستخبارية نفسها عن الولايات المتحدة لاختراق النظام السياسي الامريكي ، راجع : اريك جوردان ، العملية هيبرون آخر رواية تكشف سيطرة الموساد على البيت الأبيض ، ترجمة شاكر عبد الفتاح ، مؤسسة دار الهلال ، ٢٠٠١ ، ص٦٣.

وهنا لابد ان نشير الى حقيقتين : الأولى : على الرغم من الوجود اليهودي الكبير في الولايات المتحدة الذي يقدر عددهم مايقارب سبعة ملايين ، وبموجب احصاءات أواخر التسعينات من القرن الماضي مع فرضية ان التأثير الصهيوني على السياسة الخارجية والداخلية الامريكية يتلاءم مع التوزيع السكاني ، الحقيقة الثانية تكمن انه ليس بامكاننا ان نقر بمساندة اليهود الامريكيين لليهود في الشرق الاوسط وبصورة تلقائية ، علما ان اليهود يشكلون ٢.٥% من أجمالي سكان الولايات المتحدة ، وهنا تشير الاحصائيات انه في حقبة الانتخابات الامريكية الثلاث الأخيرة ، قام اليهود بالتصويت لصالح الحزب الديمقراطي ، ومع ذلك فان الأخير تلقى هزيمة كبرى في تاريخه السياسي ، حيث فقد الاغلبية في المؤسسة التشريعية عام ١٩٩٤ ، وتعد هذه الخسارة الأولى من نوعها منذ الأربعين عاماً . (في استطلاع اجرته صحيفة نيويورك تايمز في ربيع ، من العام ١٩٩٨ ، اتضح ان ٥٨% من الرأي العام الأمريكي يؤيدون الكيان الصهيوني ، وان نسبة كبيرة منهم تصف هذا الكيان بانه " مكان وبلد خاص " ، ومن الممكن تفسير هذا الاتجاه في الولايات المتحدة بانه متأثر بعوامل الدين والتاريخ والسياسة ، واكثر من هذا فقد اظهر هذا الاستطلاع تأييد الرأي العام اليهودي في الولايات المتحدة اقامة دولة فلسطينية اكثر بكثير من تأييد الرأي العام الأمريكي من غير اليهود، ويمكن تفسير ذلك في سمو ثقافة الرأي العام اليهودي على الثقافة الأمريكية فيما يخص طبيعة الصراع العربي – الصهيوني ، راجع : فواز جرجس ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٢ ، (بعد إنشاء الكيان الصهيوني في إيار ١٩٤٨ وبسنوات ثلاث هاجر ٣٥,٠٠٠ يهودي امريكي الى فلسطين ، وقد بقي من هؤلاء فيها ٥,٤٠٠ ، واتضح فيما بعد ان غالبية اليهود في الولايات المتحدة فضلوا البقاء في الأخيرة ، راجع : المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

ولو حاولنا ان نرجع الى دراسة جامعة برانديس في عام ١٩٨٤ والتي اكدت بان اصوات الجماعات العرقية لاتشكل عاملاً في النتائج الاجمالية للانتخابات ، واشارت الدراسة المذكورة بعدم اهمية اصوات اليهود الامريكيين والأفارقة ، ربما انها كانت مهمة وبصورة قليلة في انتخابات الكونجرس عام ١٩٩٨ ، وقد حاول اليهود رد نتائج هذه الدراسة ، ولكن نتائج الانتخابات قضت على اسطورة الصوت اليهودي ، وهو ما يفسر لماذا تجرأ الرئيس نوجلاس ليرفض مطلب اليهود بالحصول على ضمانات قروض ومزيد من الاموال لتطوير التكنولوجيا . وهنا لابد ان نشير الى قانون الانتخابات الصادر في عام ١٩٧١ وتعديلاته الذي وقف حائلاً من التأثير اليهودي على نتائج الانتخابات . راجع : المصدر نفسه ، ص ١٢١-١٢٢.

ولكن من جانب آخر ، نرى ان اليهود في داخل الولايات المتحدة قاموا بجمع ١٢٠ مليون دولار كتبرعات لمساعدة قتلى التفجيرات في داخل الارض المحتلة ، وهناك امل ان اليهود في الولايات المتحدة سوف يقومون في جمع ٣٠٠ مليون دولار لمساعدة الكيان الصهيوني . وفي هذا المجال يقول جيمس تيشتش رئيس الجمعيات اليهودية المتحدة وهي ائتلاف ينضوي تحت لوائه ١٨٩ جمعية يهودية في انحاء متفرقة من امريكا الشمالية " اليهود لا يتفقون دائماً في كل شيء، لكن حينما يكون اليهود في خطر فان الشعب اليهودي يتكاتف " راجع : العرب ، العدد ٦٤٠ ، ٢٠٠٢/٥/٢٦ . والدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٠.

لجماعات الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة دور مهم في الحياة السياسية ، الا ان اهمية هذه الجماعات لاترجع اساساً الى وجود عدد كبير من اليهود فقط ، وانما ترجع الى العلاقات العضوية لارتباط مصالح الولايات المتحدة بالصهيونية .

تمارس جماعات الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة شتى الطرق والوسائل للتأثير على صانعي القرارات عن طريق سيطرتها على وسائل الإعلام والمؤسسات الاقتصادية المهمة ، وعلى سبيل المثال نجد ان جماعات الضغط الصهيونية لها النفوذ القوي على صحيفة نيويورك تايمز ، عن طريقها استطاعت تعبئة الرأي العام ، وبالتالي التأثير على صانعي القرارات لمصالح هذه القوى ، فضلاً عن ذلك انها بسيطرتها على المؤسسات الاقتصادية ، بامكانها ان تتحكم في الحملات الانتخابية في الكونجرس والرئاسة ، وفي الانتخابات على مستوى

١- تولي جماعات الضغط الاهتمام الكافي في البداية على قضايا السياسة الداخلية اكثر من السياسة الخارجية ، وعليه تقوم بمكافأة ومعاقبة القطاعات المختلفة في المجتمع ، للوصول الى المركز الحقيقي لصانع القرار في السياسة الخارجية .

٢- تلجأ جماعات الضغط الى القرارات المصنوعة بوساطة العمليات الاجتماعية ، لانها اكثر مرونة في تقبل الجماعات من القرارات المصنوعة بوساطة العمليات العقلانية ، أن قرارات العمليات الاجتماعية لها جوانب كثيرة ، وهي أكثر عرضة للتأثيرات الشخصية.

٣- افتراضنا ان محور القرار يمكن ان يتدخل فيه تأثير جماعات الضغط فان تلك المسائل التي تجلب انتباه قطاعات خاصة من الشعب هي اكثر انفتاحا لتأثير جماعات الضغط من المسائل التي تجلب تمحيصا واسعا او عاماً ، ان قرار شحن المعونات الخارجية بشاحنات امريكية هو مثال على الحالة الاولى ، اما قرار ارسال قوات امريكية الى فيتنام مثال على الحالة الأخيرة .

٤- يقترح James A. Robinson علاقة منحنية بين انغمار جماعات الضغط في صنع القرار ، وبين مستوى الأزمة في القرار فقط في مستوى ازمة منخفض جدا فان جماعات خاصة قليلة من المحتمل ان تكون مهتمة في القرار .

وبتزايد اهمية ، او مستوى القرار فان مصالح جماعات اكبر من المحتمل ان تكون تحت الرهان، (فضلاً عن تحفز مصلحة اكثر عمقاً) وهكذا فان جماعات اكثر سوف تكون ميالة لتحاول ان تمارس تأثيراً ، وبتزايد مستوى الازمة الى درجة ابعد ، ولاسيما حين يقصر زمن القرار ، سيكون هناك فرصة قليلة نسبيا لمصالح الجماعة تأخذ بالحسبان مثال : الازمة الكوبية في تشرين اول ١٩٦٢) [1]، في المثال الاخير ، كان للرئيس قوة هائلة ليشكل الرأي العام ويواجه تحدياً اقل تأثيراً من جماعات الضغط ، ان هذا لايعني ان جماعات الضغط لا شأن لها

الولايات ، يلتزم المنتخبون بالخضوع لتأثير هذه القوى ، او يواجهون احتمال فقدان المناصب السياسية التي يتولونها في انتخابات لاحقة .

ولهذا السبب نرى ان تصريحات رؤساء الولايات المتحدة اكدت على حماية وجود الكيان الصهيوني ونتيجة لذلك فان السياسة الخارجية الامريكية اتسمت بالثبات منذ عام ١٩٤٨ ، ولم تطرأ عليها تغيرات ، عن طريق جماعات الضغط الصهيوني .

ويكفي ان ندلل على رأينا هذا ان نرجع الى تصريحات رؤساء الجمهوريات في الولايات المتحدة ، اذ اكد هؤلاء في حملاتهم الانتخابية على اهمية الكيان الصهيوني في المنطقة العربية ، بغية الحصول على اصوات اليهود ، وهنا يجب ان نؤكد بان نيكسون وكنيدي في حملاتهما الانتخابية في الستينات من القرن العشرين قد اكدا استمرار تأييد الكيان الصهيوني مع اظهار ان مثل هذا الارتباط لايعبر عن سياسة حزبية فقط وانما عن سياسة قومية ، وقد صرح بهذا الشأن نيكسون قائلا : " ان الولايات المتحدة تتعهد بالمحافظة على استقلال اسرائيل " ، وكذلك اكد كنيدي ان الصداقة مع الكيان الصهيوني ليست مسألة حزبية ، انما هي التزام قومي .

راجع في هذا الصدد : ودودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٣-٨٤ وكذلك :

Halford L., Hokins , The United States Posture in the Middle East , Current History , Vol. ٤٢ , April , ١٩٦٢ , PP.١٩٦-١٩٧.

والوتيز ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٢-٩٣. تجدر الإشارة في هذا المجال ، من أن الادارات الأمريكية المتعاقبة خضعت لضغوط اللوبي الصهيوني ، وجماعات ضغط القطن والنفط في ادارتها لسياستها الشرق اوسطية . وجماعات الضغط الثلاث هذه كانت لها التأثير في قرار والتنطق الامتناع عن تمويل مشروع عبد الناصر لبناء سد اسوان عام ١٩٥٦ . راجع : جيفري ستيرن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٠ .

[1] Rosenau , James W., Demestic Sources of Foreign Policy , Op.Cit ., P.٣٤٩.

في قرارات الأزمة ، مادام رد فعلها المتوقع ربما يؤدي بعض الدور ومراكزها اللاحقة ربما تساعد في تهيئة المسرح لأجل القرارات القادمة ، لكن ذلك لايعني أن جماعات الضغط من غير المحتمل أن تستشار في الوقت القصير للقرار .

٥- تحاول جماعات الضغط تعزيز علاقتها مع أعضاء السلطة التنفيذية والتشريعية ، [١] إذ يمكن التأثير على صانعي القرارات عن طريق السلطة التنفيذية بوساطة تأييدها لقانون معين أو معارضتها لذلك في المراحل كافة التي يمر بها القانون ، إذ أن جماعات الضغط تحاول تغذية السلطة التشريعية بفيض من المعلومات ، بحيث يمكن أن تؤثر على توجيه مثل هذا التشريع لمصلحتها . زد على ذلك أن من الممكن المؤسسة التشريعية أن تسمح لبعض جماعات الضغط بالتعبير عن آرائها أمام لجان البرلمان مما يؤثر على صانعي القرار في هذا الصدد[٢].

---

[١] للمزيد من التفاصيل حول تأثير جماعات الضغط على السلطتين التشريعية والتنفيذية في الولايات المتحدة راجع : جون جي . ميرشيمر ، ستفن م . والت ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٣ -٧٢ .

[٢] Rosenau , James A., Public Opinion in lassweils Fature of Political Science Op. Cit ., P.٣٩٩.

وأسيا الشيبي ، " الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٢ وأسار لطيف نصيف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٨ ؛ ولويد جنسن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٦ ، عبالي وعيسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧.

تحاول جماعات الضغط ، أن تمثل نفسها في لجان الكونجرس ، وتكون جزءاً منها ، وهناك علاقة مباشرة وطردية بين جماعات الضغط وهذه اللجان ، مع الأخذ بنظر الاعتبار مصادرها المالية ، ومن الطبيعي أن هذا الدور يزداد ويتعاظم ، كلما ازدادت هذه المصادر . فضلاً عن دور وكفاءة الامكانات التنظيمية لديها في تعيين موظفين في لجان الكونجرس من أجل ضمان اصدار قرار لصالحها ، كما أن هذه الجماعات تسعى تعيين رجالاتها في مختلف وظائف الحكومة .

والحق ، أن عملية صنع القرار في البيت الأبيض ، تتركز من قبل فئة من المسؤولين من غير المنتخبين، أن قرار غزو كمبوديا في شهر نيسان ١٩٧٠ مثال على دور جماعات الضغط ، وقد تم اتخاذ مثل هذا القرار من دون موافقة الكونجرس ووزيري الخارجية والبنتاغون ودون موافقة موظفي مجلس الأمن القومي الذين استقالوا احتجاجاً على هذا القرار وهم والش وليك وموريس ولين وهالبرين ودافيدسون ، وبناء على طلب البيت الأبيض ، وضعت هواتف هؤلاء تحت المراقبة من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي راجع : عبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٧-٣٣١.

يقول كلينتون في كتابه " رؤية لتغيير أمريكا " : " لم تكن السنوات الاثنتا عشرة الماضية سوى موسم حصيد لجماعات الضغط ولتجار النفوذ الجائلين في واشنطن .. ينتقل تيار لا ينقطع من النفوذ من يد الى أخرى مقيداً أيدي اولئك الذين انتخبوا لتولي القيادة .. أصبحت السياسات الامريكية رهينة لدى المصالح المالية الكثيرة ، يجمع أعضاء الكونجرس الآن أكثر من ٢,٥ مليون دولار كل اسبوع لتمويل الحملات الانتخابية ، في حين أن لجان العمل السياسي وصناعة الاستمالة وزمرات الواهبين لمبلغ ١٠٠٠٠٠ دولار يشترون سبل الوصول الى الكونغرس والبيت الابيض .. إن شعبنا ينشد التغيير ، الا أن الحكومة حجر عثرة في الطريق . لقد ارتهنها أصحاب الامتيازات والمصالح الخاصة ، إنها تحصل على الكثير من اموالكم ، وتحطكم في المقابل القليل ". راجع : تشومسكي ، ماذا يريد العم سام ؟ !! ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٠ .

٦- تحاول جماعات الضغط تعبئة الرأي العام بغية تحقيق اهدافها ، ولاشك ان بإمكان هذه الجماعات الوصول الى اهدافها ، لديها من موارد كبيرة تمكنها من التوجيه ناحية تحقيق مصالحها ، وحمل الحكومة والمجلس على تبني قضاياها ، وتلجأ جماعات الضغط الى استخدام مختلف الوسائل التي تؤثر في الرأي العام ، مثل اصدار النشرات وتوزيعها وعقد الندوات ، والقاء المحاضرات ،واستخدام الاذاعة والتلفزيون الى غير ذلك من وسائل الاتصال بالرأي العام [1].

والحق ، ان هذه العملية ليس من السهل تحقيقها ولاسيما في مواضيع السياسة الخارجية ، لأن الرأي العام غير المنظم لايولي اهتماما كافيا بالشؤون الخارجية من ناحية ، ولعدم امكانية اقناع القلة المهتمة بالسياسة الخارجية من ناحية ثانية ، ولعدم تماس مصالح الافراد الذاتية بصورة مباشرة بالسياسة الخارجية من ناحية ثالثة [2].

ولكن ماهي العلاقة بين جماعات الضغط وصانعي القرار ؟ وهنا نجد مالبرث يحدد لنا مراحل متعددة عن طريقها تستطيع جماعات الضغط التاثير على صانعي القرارات ،وهذه المراحل هي [3]:-

١- محاولة معرفة واضعي القرار ومساعديهم ،والخطوات المرحلية لاتخاذ القرار والوقت والمكان الملائمين لممارسة عملية التاثير .
٢- خلق علاقات تكنوقراطية (شخصية) مع صانعي القرار ، لانها خير وسيلة لدفع القرار إلى الإتجاه الذي يرتئيه هؤلاء .
٣- محاولة اقناع صانع القرار بأهمية المشكلة واحقيتها عن طريق دعمها بأسانيد منطقية [4].

---

[1] غالي وعيسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧.

[2] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، السياسة الخارجية ، محاضرات في الاطار النظري لدراسة السلوك السياسي الخارجي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٠.

[3] المصدر نفسه ، ص ٣٥٥.

[4] يبلغ عدد اليهود في الولايات المتحدة ٦ ملايين ، وفي هذا المجال فان الصوت الانتخابي اليهودي يمكن ان يكون حاسما ، لأن غالبية الناخبين (بسبب الرقم المرتفع للممتنعين عن التصويت وانعدام المشروعات الشاملة المتباينة بين الحزبين) تتوقف على اقل القليل من الأصوات ، ويمكن تحقيق الفوز بفارق بسيط ، راجع : روجيه جارودي ، الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية ، ترجمة قسم الترجمة بدار الغد العربي ، دار الغد العربي ،القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص١٧١.

ان اهمية هذه الجماعات لاترجع اساساً الى وجود هذا العدد الكبير من اليهود فقط ، وانما ترجع الى العلاقة العضوية لارتباط مصالح الولايات المتحدة بالصهيونية .

ومن جماعات الضغط القوية في الولايات المتحدة ، اللوبي الصهيوني المعروف باسم " ايباك لجنة الشؤون العامة الامريكية – الاسرائيلية " ، وهي المؤسسة الممثلة لقيادة الحركة الصهيونية واليهودية بصفة عامة في الولايات المتحدة ، راجع : روجيه جارودي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧١ و محمد حسنين هيكل ، عواصف الحرب وعواصف السلام ، المفاوضات السرية بين العرب واسرائيل ، ط ٦، دار الشروق القاهرة ١٩٩٦ ، ص٤١٢.

قوّم ترومان ، قوة اللوبي الصهيوني امام عدد من الدبلوماسيين عام ١٩٤٦ قائلاً : " اسف ايها السادة ، ولكن عليّ ان استجيب لمئات الالاف من الناس الذين ينتظرون فوز الصهيونية ، وليس لدي الاف العرب من بين ناخبي .

وفي هذا المعنى ، يقول كلمنت اتلي – رئيس الوزراء السابق – ان سياسة الولايات المتحدة تجاه فلسطين يشكلها الصوت الانتخابي اليهودي ، والاعانات المقدمة من العديد من الشركات اليهودية الكبرى .

والحق ، فقد حصل كيندي على ٥٠٠٠٠٠ دولار لحملته الانتخابية من اليهود وعلى ٨٠% من أصوات الناخبين اليهود ، الأمر الذي دفعه الى أن يعين كلوتزنيك رئيس مؤتمر الرابطات اليهودية في الولايات المتحدة ، مستشاراً له .

وعندما التقى كيندي ولأول مرة مع بن غوريون في ربيع ١٩٦١ ، قال كيندي له : " أعرف تماما انني انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين ، وانا ادين لهم بانتخابي ،وقل لي ماذا عليَّ أن أفعله من اجل الشعب اليهودي .

وقد كتب أحد الدبلوماسيين اليهود قائلاً : " لقد فقدنا صديقاً كبيراً – يقصد كيندي ولكننا وجدنا افضل منه .. أن جونسون هو أفضل صديق عرفته الدولة اليهودية في البيت الابيض ".

وتجدر الاشارة في هذا المجال ، ان جونسون قد ساند الكيان الصهيوني بقوة في حرب حزيران ، الأمر الذي أدى إلى أن يقوم ٩٩% من اليهود الامريكان للدفاع عن الكيان الصهيوني .

وعند صدور قرار ٢٤٥ في تشرين الثاني ١٩٦٧ ، قاد ديغول بفرض حظر التسلح على الكيان الصهيوني واتخذ الكونجرس الأمريكي الموقف نفسه ، الا ان جونسون رفعه في كانون الثاني تحت تأثير ضغط الايباك ، وسلم الكيان الصهيوني طائرات الفانتوم التي طلبتها ، ونتيجة لذلك لم ينتقد الكيان الصهيوني السياسة الخارجية الأمريكية في فيتنام .

وكان كارتر في عام ١٩٨٠ حصل على ٦٨% من أصوات اليهود ، الا ان هذه النسبة قد انخفضت في عام ١٩٨٦ على ٤٥% فقط بسبب قيامه ببيع طائرات أف ١٥ لمصر ، وطائرات اواكس للسعودية ، الأمر الذي ادى الى هزيمته امام ريجان عام ١٩٨٠ الذي خصص ٦٠٠ مليون دولار من الانتمانات العسكرية للكيان الصهيوني .

تأكيد اهمية اللوبي الصهيوني في الحياة السياسية الأمريكية : انه عندما قرر السناتور فولبرايت مثول القادة الصهاينة الرئيس امام لجنة للكشف عن انشطتهم السرية ، الذي اكد في لقاء اجراها مع تلفزيون c.b.s في تشرين الأول ١٩٧٣ : " أن الاسرائليين يتحكمون في سياسة ضغط اللوبي وليس برؤيتهم الخاصة القائمة على مبادئ الحرية والقانون " . وكان هذا الموقف من فولبرايت سببا ان يفقد مقعده في مجلس الشيوخ في الانتخابات التالية . راجع : روجيه جارودي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧١-١٨٤ و

Hulford L. Hoking The United States Posture in the Middle East , Op.Cit ., PP. ١٩٦-١٩٧ .

يعد التجار برونفمن من اكبر أصحاب الملايين اليهود المتحمسين للصهيونية في الولايات المتحدة وهو يملك واسرته شركة "سيجرام" التي تتكون من مجموعة شركات تتعدد مجالات عملها من المشروبات الكحولية الى شبكات التلفزيون . والغريب ان العميل الرئيس لشركة برونفمن كان عصابة آل كابوني اشهر قادة عصابات الاجرام في الولايات المتحدة . راجع : محمد حسنين هيكل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩٨.

يقول فندلي اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة قائلا : " ان أي انسان ينتقد سياسة اسرائيل عليه ان يتوقع عمليات انتقام موجعة لا تنتهي وحتى فقدان سبل معيشته بوساطة ضغوط اللوبي الاسرائيلي ، والرئيس نفسه يخاف منه ، والكونجرس يخضع لكل مطالبه ، وتحرص اعرق الجامعات على ابعاد كل ما يتعارض معه في برامجها ، وتستسلم وسائل الاعلام كما يخضع القادة العسكريون لضغوطه ".

اما فيما يخص اللوبي اليهودي في فرنسا ، فان أي مرشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية مهما كان انتماؤه الحزبي من ميشيل روكار الى جاك شيراك مروراً بميتران لم يتخلف ، عن الذهاب الى اسرائيل لايشكل سوى ٢% من الرأي العام الفرنسي ، ويعزى السبب في ذلك الى قوة تأثيرهم في عملية صنع القرار . راجع : روجيه جارودي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٦-١٨٧.

ويكون هذا الاهتمام اكثر عندما يصبح هذا المنصب شاغراً في كانون الثاني ١٩٧٧ كان هناك قلق من اللوبي الصهيوني في وصول كليمنت . ج. زبلوكي من وسكنسون كديمقراطي في لجنة الشؤون الخارجية وذلك في عام ١٩٧٧ ، وقام اللوبي في تحدي زبلوكي من خلال اتهامات ان زابلوكي صوت ضد بادرات ديمقراطية عديدة تمس السياسة الخارجية ، وبأن له اتصالات كورية مشبوهة . على الرغم من معارضة اللوبي انتخب زبلوكي رئيسا للجنة بـ ١٨٣ صوتاً مقابل ٧٩. راجع : فندلي ، بول ، من يجرؤ على الكلام اللوبي

حدد ترايس إطارا نظريا لتحليل دور جماعات الضغط الذي يدور حول ستة أبعاد تحدد طبيعة هذا الدور [1]:-

١- الخصائص السلوكية لجماعات المصالح ، وتشمل تلك الخصائص :

أ) حجم أنشطتها السياسية لإقناع صانعي القرار في السياسة الخارجية بتبني وجهات نظرها .

ب) طبيعة الأهداف السياسية لجماعات المصالح .

الصهيوني وسياسات أمريكا الداخلية والخارجية ، ط٢ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص١٧٧-١٨٨ . وقارن مع أنمار لطيف نصيف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧.

وأكثر من هذا ، فإن اللوبي الصهيوني له وجود في وزارتي الخارجية والبنتاغون الأمريكي إلى درجة وصف هذه الحالة أحد الدبلوماسيين الأمريكان : " إن التسريبات إلى الدعاة الموالين لإسرائيل ليست متفشية في هاتين الوزارتين فحسب بل أنها " مخيفة وضارة جدا بمصالحنا القومية " . ويردف الدبلوماسي الأمريكي قائلا : " وبسبب وجود آلة زيروكس بصورة دائمة فإن الدبلوماسيين يفترضون دائما بأن الرسائل حتى الآن التي يرسلونها بأضمن الوسائل تستنسخ وتسلم إلى المتلهفين عليها لذلك فإننا لانجرؤ على وضع الأشياء الحساسة كتابة " . راجع : فندلي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣١.

يقول بول فندلي : " يحصل الإسرائيليون على كل ما يريدون سرية سواء أكانت سياسية أم تقنية ، من مصادرها في الحال ومن غير ثمن ، أما إذا حدث واكتشف الموظفون المكلفون بالسهر على مصالحنا القومية تسريبات ووجهوا التهمة إلى المذنبين فسوف يصيبهم ما يحطم روحهم المعنوية " . راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٢٣.

وللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة شبكة استخبارات تضم عدة متطوعين " ودنيين " يزودونها بالمعلومات ، تستطيع هذه الشبكة الوصول إلى كل أقسام السلطة التنفيذية التي تتعامل بالأمور المتعلقة بالكيان الصهيوني ، وبسبب معرفة الرسميين مهما كانت درجتهم بهذا التسرب فإنهم يحجمون عن وضع أو اقتراح سياسات تكون في مصلحة الولايات المتحدة ، راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٢٣.

تنعكس فعالية مثل مجموعات الضغط هذه في تنامي انتشار تشريعات الكونغرس التي تحد عددا من خيارات السلطة التنفيذية في السياسة الخارجية . ومن الأمثلة المبكرة على ذلك ، حظر بيع الأسلحة إلى تركيا في سنة ١٩٧٥ وبتأييد من اللوبي اليوناني ، وقانون جاكسون فانيك الذي يفرض قيودا على الإتحاد السوفيتي مالم تطلق الهجرة اليهودية . وأصبحت مثل هذه التشريعات أكثر تكررا مؤخرا . وتضم الأمثلة من العقد ونصف العقد السابق إقرار قانون الديمقراطية الكوبي في العام ١٩٩٢ ، بترويج من لوبيات السياسة الخارجية الكوبي والصهيوني والتايواني والأرمني ، وقانون عدم إنتشار الأسلحة لإيران والعراق في العام ١٩٩٢ ، والقسم ٩٠٧ من قانون دعم الحرية في العالم في العام ١٩٩٢ ، الموجه إلى أذربيجان إلى حد كبير ، وقانون هلمز بورتون في العام ١٩٩٦ ، وقانون العقوبات الإيرانية الليبية في العام ١٩٩٦ ، وكان اللوبي المسيحي فاعلا في الترويج لقانون الحرية الدينية الدولية في العام ١٩٩٨ ، وقانون مناهضة ما تسمى الإرهاب الفلسطيني في العام ٢٠٠٢ ، وقانون محاسبة سوريا في العام ٢٠٠٣ . راجع : زبغنيو بريجنسكي ، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٤ .

يرى مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق للرئيس كارتر ، زبغنيو بريجنسكي : " أن تجزئة السياسة الخارجية لا تخدم المصلحة القومية الأمريكية ، وكما لاحظ هنري كيسنجر في كتابه الحديث ، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية ؟ فإنه بسبب مجموعات الضغط الداخلية ، لا يقوم الكونغرس بالتشريع لتكتيكات السياسة الخارجية فحسب ، وإنما يسعى أيضا إلى فرض قانون سلوك على البلدان الأخرى بفرض العديد من العقوبات . وتجد أعداد كبيرة من البلدان نفسها اليوم خاضعة لمثل هذه العقوبات " . فضلا عن عملية التخطيط والتشاور الأكثر منهجية بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ، يجب إعتماد قوانين أشد على ممارسة الضغوط بفرض قيودا على قدرة المصالح الخارجية على رعاية مجموعات لوبي السياسة الخارجية المقيمة في الداخل وتمويلها . كما يجب إخضاع مجموعات اللوبي نفسها لفحص دقيق وإخضاعها المالي لمزيد من المساءلة المفصلة . راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

[1] الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٧-٢٠٩.

ج) توقيت النشاط السياسي لجماعات المصالح .
٢- الخصائص التنظيمية لجماعات المصالح :
٣- هيكل صنع القرار .
٤- علاقة جماعات المصالح بالجماعات الداخلية الأخرى .
٥- علاقة جماعات المصالح بالجماعات الخارجية الأخرى .
٦- القضية التي تهم جماعة المصلحة .

ويمكن القول ان جماعات الضغط تؤثر في السياسة الخارجية من خلال قنوات ثلاث:

١- المشاركة في عملية صنع السياسة الخارجية ، كتمثيل العسكريين في المؤتمر السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي وقتئذ .
٢- توجه مصادر القوة للتأثير غير المباشر في السياسة الخارجية ، تمتلك بعض جماعات المصالح جزء من مصادر القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية في المجتمع ، وتسعى تلك الجماعات عن طريق استعمال هذا الجزء من القوة ان تؤثر في مسار السياسة .
٣- جماعات المصالح كجماعات وسيطة : تقوم هذه الجماعات بدور الوساطة بين السلطة السياسية والرأي العام ، ويتحقق ذلك بتعبير جماعات المصالح عن مصالح محددة لمجموعات او شرائح من الرأي العام من خلال الاتصال مع صناع السياسة الخارجية من ذلك اتصالات منتجي القمح في ولايات الغرب الاوسط لرفع الحظر عن تصدير القمح الى الاتحاد السوفيتي لان ذلك يضر بمصالحهم [1].

ثانياً: الأبعاد الخارجية لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية

ان نجاح واخفاق السياسة الخارجية لدولة ما لايتوقف اساساً على قوة سياستها الداخلية، لأن هناك مجموعة من الأطر الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية التي تكتنفها . بعبارة اخرى ، أن هناك مجموعة من الظروف والأطر الخارجية تدخل في عملية

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ و

Havard , William V., Op.Cit., PP.١٥٥-١٥٣.

تنقسم طرق تأثير جماعات الضغط على السياسة الخارجية الأمريكية الى قسمين رئيسيين : احدهما مباشر والآخر غير مباشر ، فيما يخص القسم الاول فان عمله يتم من خلال اقامة اتصالات خاصة مع المسؤولين بالحكومة مع اعطائهم فيض من المعلومات حول القضايا التي تتبناها جماعات الضغط والادلاء بشهاداتهم سواء بالموافقة او بالرفض امام لجان الكونغرس او الوكالات التنفيذية مثل لجنة المستهلكين لصلاحية الانتاج .

اما الاسلوب غير المباشر فانه يتمثل في اثارة الرأي العام في اوقات الحملات الاعلامية والمظاهرات، وتقوم تلك الجماعات ايضا باستفتاءات لكي لاقناع متخذي القرار بان الرأي العام يساند مواقفهم وتقوم ايضا الجماعات بتعبئة عدد كبير من المنتسبين او الاعضاء البارزين بالجماعة بغرض التأثير على النواب ولاسيما ان ممثلي الضغط عادة مايفتقدون بمرور الوقت قدرتهم على التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية ، ولاسيما اذا عرفنا ان هذا النوع من التحالف يعطي الايحاء بتمثيل مصالح الشعب الامريكي ككل ، راجع : آسيا الميهي ، " الرأي العام في السياسة الخارجية الامريكية " مصدر سبق ذكره ، ص ٩١-٩٢ ، قارن مع : بودونة عبد الرحمن بدران : مصدر سبق ذكره ، ص ٨٣-٨٤.

ومن المفيد هنا ان نشير الى ان جماعات الضغط تلجأ الى الوسائل المشروعة او قنوات الدخول السياسي Channels of Political access مثل وسائل الاعلام ، والاحزاب والهيئات التشريعية ، والوسائل غير المشروعة قنوات الدخول القسرية Corecive access Channels، التي تكمن في العرض النسبي والشغب والاضطرابات والاعتصام والارهاب ، في ظل نظام الحزب الواحد هناك مدخل سياسي واحد الذي يتركز في قنوات الوسائل المشروعة ، هناك صعوبة للمجموعات كافة للوصول التي تقدم عن طريق هذه القنوات قد تحرف في اثناء وصولها الى صانعي القرار الحقيقيين الأمر الذي يؤدي الى عدم حصول القادة الى معلومات كافية عن حاجات ومطالب مجموعات هامة ، وعلى المدى البعيد من الممكن ان يؤدي هذا الى اعطاء معلومات خاطئة لهؤلاء ، وربما تؤدي الى حسابات خاطئة من لدن صانعي القرار في هذه الدول ، راجع :

Almond and Powell , Op.Cit., PP.٨١-٨٦.

صنع القرار السياسي ، وهذا يعني ان تلك الظروف والعوامل التي تقع خارج الحدود الاقليمية للدولة (كرد فعل الدول الاخرى الصديقة المحايدة والعدوة والمنظمات الدولية) ، لها تأثير فعال على صنع القرارات في السياسة الخارجية [1].

وفي هذا الصدد ، نجد أن هارولد وسبراوت قد ميزا بين نوعين من المصادر الخارجية هما :-

١- البيئة السايكلوجية (النفسية) : وتشير هذه البيئة الى كيفية تعريف الفرد لاختياراته واتخاذه للقرارات [2]. وبعبارة اخرى ، أنها تعني تحليل الاتجاه الايديولوجي للنظام ولتصورات صناع القرار لبيئتهم الواقعية المحيطة بهم[3].

٢- البيئة الفعالة :وهي البيئة التي تشير الى الحدود التي يتم تنفيذ القرار داخل اطارها .

والبيئة الفعالة من الممكن أن نطلق عليها بالبيئة الواقعية ،التي تشمل البيئة الخارجية ومستوياتها المختلفة (عالمي واقليمي) وتشمل ايضا البيئة الداخلية ، وتتضمن القدرة العسكرية والقدرة الاقتصادية والبناء السياسي ومجموعات المصالح والنخب المتنافسة [4].

ان البيئة الواقعية (خارجية وداخلية) تحدد الوضع الذي تتخذ فيه قرارات السياسة الخارجية ، بينما تحليل البيئة النفسية يعني التعرف على تصورات او مدركات صناع القرار تجاه بيئتهم الواقعية ويستهدف على كيفية ارتباط البيئة النفسية بالواقع العملي من عدمه بما لهذا من علاقة بالتأثير على نجاح القرارات السياسية الخارجية وفشلها [5].

ومن الممكن ان يكون هناك إتفاق بين البيئتين ، او قد ينتفي الإتفاق بينهما ،إلاّ أن ذلك يتوقف بالدرجة الاولى على مدى دقة التصورات ومدى اتصالها بالواقع [6].

وعليه سوف نعالج في هذا الفصل ، الرأي العام الدولي والتكتلات الدولية والمنظمات الدولية التي من خلالها يستطيع صانع القرار ان يتخذ موقفاً من قضية معينة.

أ- الرأي العام الدولي : International Public Opinion

من الممكن تعريف الرأي العام الدولي بانه " الاتفاق الذي يتعدى الحدود القومية للدول ويوحد بينها تجاه بعض المسائل الأساسية في السياسة الدولية ،وهذا الإتفاق الدولي في الرأي يظهر نفسه على شكل رد فعل تلقائي عالمي ازاء أي تصرف دولي يكون فيه خروج على هذا الاتفاق وقد يمتد رد الفعل هذا ليقترن بتوقيع جزاءات على الدول المخالفة "[7].

---

[1] قارن مع الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، "بحث في مناهج إتخاذ القرار السياسي الخارجي" ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٩.

[2] Harold and Margaret Sprout , Invironment factors in the Study of International Politics , Op.Cit., P.١٠٩.

[3] جمال علي زهران ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥.

[4] المصدر نفسه ، ص ٣٥.

[5] المصدر نفسه ، ص ٣٦.

[6] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية -دراسة في الاصول والنظريات مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٥.

[7] المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ ، والدكتور إسماعيل صبري مقلد ، الإستراتيجية والسياسة الدولية المفاهيم والحقائق الاساسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩.

وهناك من يعرف الرأي العام الدولي بانه " الرأي العام الذي يتعدى الحواجز الدولية ويتكون بين مجموعات تنتمي الى وحدات سياسية مختلفة "[1].

والرأي العام الدولي قد يكون رأياً عاماً رسمياً ، فالمثال على ذلك المواقف الرسمية لمجموعة من الدول تجاه قضية معينة ، فالمواقف الرسمية لعدة دول التي ادانت العدوان الثلاثي على مصر ، تشكل رأياً عاماً رسمياً ، الى جانب ذلك هناك الرأي العام الدولي غير الرسمي ، والمثال على ذلك الرأي العام الدولي للاتحادات النقابية الدولية او الاتحاد البرلمانيين الدولي او الاتحادات الدولية المختلفة للصحفيين او المحامين ، ويعد هذا الرأي العام الدولي ، بانه يتجاوز الحدود السياسية [2].

يقول وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوستر دالاس : ((ينبغي أن يوضع في الحسبان ، كوزير للخارجية ، مايفكر ويعتقد ويشعر به الآخرون)) . وعلى الرغم من هذا الأعتقاد من قبل دالاس بأهمية الرأي العام الدولي ، الا أنه أعطى صفعة للرأي العام الفرنسي عند أشارته اليه بمفهوم ajonizing reappraisal. [3]

وهناك اعتقاد من أساتذة السياسة الخارجية ، على تأثير عاملين في توحيد اتجاهات الرأي العام الدولي ، هذان العاملان هما [4]:-

العامل السيكولوجي [5].

١- العامل التكنولوجي .

فيما يخص أهمية العامل الأول نرى ان الطبيعة الانسانية ذاتها تولد الاعتقاد العام والمشترك في عدد من القيم والمبادئ الاخلاقية والادبية ، من حيث عدم تأثرها بالاختلافات القومية او العنصرية ، ان مارجريت وهارولد قد ادخلا هذه المفاهيم في التحليل السياسي بصورة عامة ، وتحليل السياسة الخارجية بصورة خاصة . ففي دراسة لهما في منتصف عام ١٩٥٠ بينا ان الفرد يدرك الواقع من خلال مجموعة العقائد والقيم والصور التي كونها عبر مدة من الزمن والإدراك الذاتي، عن هذه العملية وهو ما اطلقا عليها بالبيئة النفسية ، قد يتباين عن البيئة الواقعية ، بيد أن " مايهم في عملية اتخاذ القرار هو كيف يتصور صانع القرار البيئة كما هي قائمة " فالقرار دائماً يتأسس على تصور صانع القرار للموقف ،الا أن نجاح والاخفاق

---

[1] الدكتور محمد علي العويني ، العلاقات الدولية في النظرية والتطبيق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٦.

[2] المصدر نفسه ، ص ٥٦.

[3] W. Phillips Davison , Mass Counication & Diplomacy , In World Politics An Introduction , Op.Cit.,p٤٠٢.

[4] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية -دراسة في الأصول والنظريات ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٩.

[5] هناك من يعتقد بعدم سلامة العامل السايكولوجي ، ويعزون هذا الرأي الى القانون القائم بين الدول ، بحيث لا يفسح المجال امام بروز هذا العامل ، لأن الاختلاف في المحيط السياسي الداخلي له ردود فعل في اتجاهات الرأي العام فيها ، وأن كان هناك تجانس في الرأي العام لدولة معينة ، في حين ان الوحدة النفسية التي تربط بين اتجاهات الرأي العام في دول العالم المختلفة ، لم يكن اتفاق ازاءها . راجع في هذا الصدد ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٩-٢١٠.

قرار ما ، لا يعتمد على التصورات السالفة الذكر ، بل ينصب اساساً علـى دراسـة البيئـة الواقعية، لان الاخيرة تعد بمثابة مختبر لصلاحية هذا القرار من عدم صلاحيته [١].

ان مصطلح الرأي العام الدولي هو مصطلح مبهم وغامض على الرغم من ان الدلائل تشير من الناحية التاريخية الى تطبيقات متعددة لرد فعل عام لم يقتصر علـى وحـدة سياسـية معينة أي ان ظاهرة الرأي العام تخطت الحدود الاقليمية الدولة لتعبر عـن نـوع معـين مـن التطابق من بعض المجموعات التي تنتمي الى مجتمعات متعددة ، سواء كانت تلك المجتمعـات منظمات دولية او اقليمية [٢].

ان العالم لم يألف هذا المصطلح إلا في خلال الحرب العالمية الثانية ، والحق ان هناك عوامل معينة ادت الى ظهوره في هذه المدة وهذه العوامل هي [٣]:-

١- التطور التكنولوجي الذي أسهم الى حد بعيد في تقارب الطبقات بقـدر مـا حطم التكامل القومي والعقيدي ، كما عرفه العالم خلال القرن التاسع عشر .

٢- ان بروز ظاهرة التضامن الجماعي بين الدول الاوربية وشمال افريقيـا خـلال الحرب العالمية الثانية لمقاومة النظم الفاشستية وفي مواجهة الاحتلال الالماني ، قد أسهم في بلورة ظاهرة الرأي العام الدولي .

٣- ان التطور التكنولوجي الذي شهده العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، وما اعقب ذلك من تطورات في وسائل الاعلام ، قد مهد لانبثاق ظـاهرة الـرأي العـام الدولي.

ان التطورات السياسية التي اعقبت الحرب العالمية الثانية قد اكدت لنا حقيقة ثنائية :-

١- ان الرأي العام الدولي لم يستطع بعد أن يرقى الى درجـة الظاهرة المتكاملة.

٢- انه على الرغم من الملاحظات التي ذكرت حول ذلك ، فان الرأي العام الـدولي قد مهد لايجاد بعض الأنماط التي تسمح بدرجة معينة من درجات الفعالية ولو في نطاق محدد ، وهو امر يلزم الباحث ان يربط الظاهرة الـسياسية القوميـة بالتطورات السياسية الدولية .

ونتيجة لهذه الآراء المتضاربة حول ظاهرة الرأي العام الدولي ، فقد نشأت اتجاهـات مختلفة حول قيمة الرأي العام الدولي ومن الممكن تقسيم هذه الاتجاهات الى قسمين :-

١- يرى فريق من خبراء الرأي العام ، بأن للرأي العام الدولي تـأثيراً ادبيـاً فـي السياسة الدولية ، اذ يؤكد هذا الفريق ان ضغط الرأي العام الـدولي قـد مهـد لايجاد مشروعات هامة في السياسة الدولية ، ومنها على سبيل المثال ، عـصبة الامم في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، وميثاق بريان كيلـوج عـام ١٩٢٨ ، ومنظمة الامم المتحدة [٤].

---

[١] الدكتور محمد السيد سليم ، التحليل السياسي الناصري دراسة في العقائد و السياسة الخارجية ،مصدر سبق ذكره ، بيروت ١٩٨٣ ، ص٢٢-٢٤.

[٢] Dexter , White , People , Society and Mass Communication, ١٩٦٤.

[٣] الدكتور حامد ربيع ، نظرية الدعاية الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٧.

[٤] Morgenthau , J., Hans , Politics Among Nation , the Struggle for Power and Peace , New York , ١٩٦١ , P.٢٦٠.

وهنا يثار سؤال حول دور وتوقعات الرأي العام الدولي كأبعاد خارجية على سلوك الدولة في السياسة الخارجية ،والحق ، هناك امثلة كثيرة تشير الى تأثير واهمية الرأي العام الدولي على سلوك الدول ، الا أنه من الصعب جدا تعميم ذلك على سلوك مختلف الدول ، ومع ذلك بالامكان ان نقدم بعض الافتراضات حول هذه الظاهرة ، وتكمن هذه الافتراضات في نقطتين رئيستين هما [1]:-

أ) أن اغلب الحكومات تكون حساسة ازاء الآراء التي تظهر في الخارج حول سياستها وكيفية تنفيذها ،والا فانها سوف لاتبذل جهدا كبيراً عن طريق الاداة الدبلوماسية او قنوات الدعاية فى محاولة خلق انطباعات حسنة عنها فى الخارج ، لكن هذه الحكومات ليست حساسة بدرجة متساوية ازاء كل مصادر الرأي العام ،وهنا يمكن القول بأن ملاحظة الحقيقة تتغير بصورة كبيرة ، فان الحكومات التى تدان ربما –بصورة محتملة – لا تحتسب الآراء المعادية كآراء مهمة ،وعلى سبيل المثال : اذا وصف الاتحاد السوفيتي التدخل الامريكي في فيتنام الجنوبية كامبريالية وعدوان ، فان هذا مختلف جدا عن فهم الحكومة الامريكية للحالة ، بحيث أن العداوة السوفيتية – وبصورة احتمالية – سوف لايحسب لها حساب .

زد على ذلك فان الحكومات هي ، دونما شك ، اكثر حساسية إزاء الآراء المعبر عنها من قبل اصدقائها وحلفائها الحميمين من تلك الاراء الصادرة من الاقطار غير المتورطة في النزاع الشيء نفسه فان الحكومات تكون اكثر اهتماماً بمطابقة اعمالها مع توقعات حلفائها اكثر من تلك التي تعود الى الاقطار غير المتورطة معها بصورة مباشرة .

ب) ان الغالبية العظمى من الحكومات مهتمة بسمعتها في الخارج –كمظهر مهم- رغم انه غير ملموس –لفعاليتها الدبلوماسية ،الحق انه ليس بامكان أي حكومة ان تتلقى بترحاب قرارا من الجمعية العامة يستنكر اعمالها في الخارج ، ولكن في بعض الازمات يضع صانعو القرار السياسي مثل هذه القيمة للدفاع عن الاهداف التي يبتغون عدم الوفاء بالالتزامات نحوها ،وخرق القواعد التي يلتزمون بها عادة ، وباختصار فانهم يتبعون بالتحديد –بصورة ضيقة- مصالحهم الوطنية ،وفي امثلة كثيرة يتوقع صانعو القرار السياسي ردود فعل الحكومات الاخرى ويختارون بدائل السياسة التي من المحتمل قبلا ان تجابه ردود فعل معادية .

ويمكننا بهذا الخصوص ان نقتبس حالات فشلت فيها ونجحت قرارات في المنظمات الدولية في اقناع بعض الحكومات لملاحظة الالتزامات القانونية والاخلاقية ، أنه من الصعب جدا معرفة كل تلك الحالات التي لم تختر بها الحكومة مجرى خصوصيا لسلوك سياسي معين بسبب صانعي القرار السياسي توقعوا إستجابات غير محبذة من الخارج .

---

[1] Holesti , K.J.International Politics ; A Framework for Analysis , Englewood Cliffs ١٩٦٧,PP.٤١٨-٤١٩.

لذا ادركنا الرأي العام الدولي كتعبيرات تلقائية لشعوب يقظة حول حالات معينة التي غالبا ماتوصل بوساطة قنوات الدعاية فانه -أي الرأي العام الدولي - يكون تقيدا فعالاً على السياسة لذا ماكان هناك بعض الاتفاق بين الشعوب ، اما المواقف فانها هي الاخرى معبر عنها من قبل الحكومات الصديقة وهي ليست مجرد العداوة المتوقعة لدول غير صديقة ،والاستخفاف بتلك سيقلل من سمعة الدولة وتأثيرها الدبلوماسي .

٢- اما الفريق الاخر ، فانه يؤكد على انتفاء اهمية دور الرأي العام الدولي في السياسة الخارجية ، وحجته في ذلك بعض الشواهد التاريخية ، فيذكر في هذا الصدد اخفاق الرأي العام الدولي في الوقوف ضد الاعتداءات الموجهة ضد الصين في الثلاثينات من القرن العشرين ، او الحد من مطامع السياسة الخارجية الالمانية منذ عام ١٩٣٥، او كبح الهجوم الإيطالي على الحبشة عام ١٩٣٦ ،الى غير ذلك من المعضلات الدولية [١].

يمكن ان نقول ان الرأي العام الدولي لايمكن ان ينبثق الا من خلال تقارب أو تلاقي عدد من الآراء العامة المحلية المختلفة .

ويمكن لمثل هذه الظاهرة ان تحدث من خلال ثلاث طرق مختلفة[٢]:-

١- يمكن ان يتشكل الرأي العام العالمي خلال اتفاق وجهات النظر التي يعبر عنها ممثلوا الجماعات القومية المختلفة او بمعنى اخر الحكومات .

٢- ويمكن ان نضع على قائمة محاسن الرأي العام العالمي مجموعة من الظواهر التي تؤدي الى التوافق التلقائي بين مختلف الاراء الوطنية تجاه هذه المشكلة او تلك ، والتوافق لايعني التطابق او التشابه إذ ان الأمر يخص عملية الكشف عن الميول وعمليات التقارب والاختلاف والتطورات التي تعبر عن نفسها من بلد لاخر تجاه مشكلة بعينها او تجاه هيئة ما او حدث بذاته .

٣- ويتعين ان نميز بين ظواهر التلاقي العفوي او التلقائي هذا ،وهي ظواهر لها في النهاية سمة عرضية وطاقة محددة لتيارات الرأي التي تغذيها النضالية السياسية او الأيديولوجية .

ونتساءل هنا هل أن للرأي العام الدولي قوة سياسية ام قوة معنوية ، وماهي الوسائل التي يملكها الرأي العام الدولي لغرض مشيئته ؟

يرى الدكتور اسماعيل صبري مقلد ، " لايمكن الإدعاء بأن الرأي العام فاقد لكل تأثير تماما .. الا أن فاعلية هذا التأثير ومداه يختلفان بحسب الظروف والوقائع الدولية ، فبينما يظهر في بعضها بصورة ايجابية حاسمة فانه يظهر في بعضها الاخر بشكل اقل ايجابية . وليس هناك من دولة في العالم تحاول دائما ان تقوم بتفسيرات وتبريرات لسياستها بغية اقناع الرأي العام بها ، وتفاديا لما قد يجلبه عليها عدم اقتناعه من معارضة "[٣].

---

[١] Morgenthau , Op.Cit., P.٢٦٩.

[٢] مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣٤-٤٣٩.

[٣] الدكتور إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية -دراسة في الاصول والنظريات ،مصدر سبق ذكره ، ص ٨١-٨٢.

وعليه بالامكان ان نذهب الى القول ، بأن الرأي العام الدولي قوة معنوية لايمكن تجاهلها و الرأي العام الوطني وهو جزء من الرأي العام العالمي يؤثر على أدراك صانع القرار السياسي اذ يضغط على صانع القرار في حكومته لاتخاذ موقف او قرار معين ازاء حالة او دولة ما ، وبتراكم وتلاقي هذه الآراء العامة والوطنية لعدد كبير من الدول يولد الرأي العام الدولي وقوته المعنوية .

ان احترام صناع القرار في مختلف الدول للرأي العام الدولي يمنح للدولة امكانات واسعة في اقامة علاقات حسنة مع الدول الاخرى .

وعلى الرغم من الملاحظات التي ذكرناها حول ظاهرة الرأي العام الدولي ، الا اننا لايمكن ان نقلل من شانها ، ذلك ان الدول تحاول استخدام الرأي العام الدولي لخلق السمعة الدولية لها في نطاق العلاقات الدولية ، وبالتالي النظر اليها كوحدة من الوحدات المهمة في السياسة الدولية [1].

وان أحد اهم العناصر الخطيرة والحاسمة لقرار أي حكومة هو ماذا عليهم ان يفعلوا ليعكس " عقائدهم او افكارهم حول اللياقة ، والذوق ،والعدل ،والاخلاقية ،والنظام ،والقانون الدولي والتاريخ "[2]. وذلك لاعطاء الانطباع الدولي بان قراراتهم السياسية الخارجية هي قرارات شرعية .

ورغم واقع السياسة الدولية وتشابك العلاقات الدولية بفعل التطورات العلمية والتكنلوجية والاقتصادية والثقافية وبفعل ثورة الاتصالات الذي دفع الى ظهور التنافس الدولي في عدد من المجالات ، الا أنه لايزال البعض ينظر الى المجتمع الدولي بانه يتضمن على العديد من القيم الاخلاقية ولاتزال بعض الدول تبني سياستها الخارجية على اسس اخلاقية نبيلة.

أن إحدى اهم المعضلات التي يواجهها صانع القرار " المعضلة الاخلاقية ، معضلة الحق والباطل التي تثار في العلاقات الدولية مثلما تثار في العلاقات الاجتماعية والأمم كالأفراد تنشد السير في طريق الحق او تدعي انها تسير بالفعل في هذا الطريق"[3].

احدى السمات لما يسمى بالنظام الدولي الجديد هو التناقض بين الاقوال والافعال ففي الوقت الذي يتم فيه المناداة بمبادئ كالديمقراطية وحقوق الانسان وضرورة قيام نظام دولي اساسه المساواة والعدالة ، نرى هناك تناقضا على صعيد التطبيق من الدول الداعية الى هذه المبادئ فدول المركز ولاسيما الولايات المتحدة تعمل على ارساء مفاهيم في المجالات السياسية

---

(1) احمد نوري النعيمي ، " الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية " ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٠ ، وللمزيد من المعلومات راجع : الدكتور فاضل زكي محمد ، السياسة الخارجية وابعادها في السياسة الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧١-٧٣ .

اعترف احد وزراء الخارجية الفرنسية وامام الجمعية الوطنية الفرنسية حول اهمية الرأي العام الدولي عندما قال : (كل يوم يمر يأتي بحصاد مر جديد من الاهانات نكراية النشر ، ولكن الرأي العام الدولي اصبح اكثر حساسية ويقظة الى الدرجة التي لاتستطيع معها اية دولة ان تنأى بنفسها تماما عن نطاق هذا الضغط الدولي ، بل تضطر بشكل او بآخر ان تقدم كشف حساب الى هذا الضمير العالمي الذي بدأ يطفو على السطح) . راجع : مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص١٣٣ .

(2) Fisher , Roger , International Conflict , Harper and Row Publishers New York , P.١٢٨.

(3) مكرينس ، ولومبسون ، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٠.

والاقتصادية والثقافية في معظم انحاء العالم باساليب مختلفة ، فضلا عن انها تعمل على اجهاض اية توجه او اجراءات من شأنها أن تتقاطع مع مصالح وستراتيجية المركز .

من ناحية اخرى نجد ان الدعوة الى السلام في العالم (سلام ينبع من المركز ويتواءم مع مصالحه) يقابلها عدد غير قليل من الصراعات الاقليمية بين الدول وصراعات داخلية في الدولة الواحدة أي ان هنالك مناطق تتسم بعدم الإستقرار وان الكثير من هذه الصراعات يتم تغذيتها عن طريق دول المركز او تسهم في تسويتها وفق ترتيبات تتلائم وتوجهاته العامة .

لقد ذهبت التحولات في النظام الدولي الى الغاء مفاهيم كانت تعد من ضمن مفاهيم الاخلاقية والدولية ، وتتميز بقدسيتها وثباتها : " بل تحولت الى قضية اخلاقية تخضع لوجهات النظر المختلفة ، ولعل مجرد القاء نظرة على احداث السياسة الدولية تكشف عن مظاهر تآكل مفاهيم السيادة ، وان عمليات التدخل والاختراق اصبحت احد تقاليد النظام العالمي الجديد "[1].

كما تحولت المساعدات الاقتصادية من مساعدات على اسس الصداقة والتعاون الى مساعدات مشروطة تستهدف الدولة المقدمة لها ان تحصل على تنازلات من الدولة المستفيدة منها . وقد تأخذ هذه المساعدات صفة عقابية ، عندما تقرنها باتخاذ قرار او موقف محدد من قبل الدولة المستفيدة لصالح الدولة المانحة للمساعدات .

وقد تبدو هذه الافعال بعيدة عن الاخلاقية الدولية ، وهي مبنية على اسس قوة النفوذ والمال وليس القانون والشرعية الدوليين .

ان اختراق السيادة الوطنية والإستقلالية والتدخل في الشؤون الداخلية -ومنها الاقتصاد والتعليم مثلا - انسحب على الدول الكبرى والمتقدمة " فالولايات المتحدة الامريكية تطالب اليابان بان تعيد بنية شبكتها ذات التوزيع الصغير مهددة هكذابالغاء حلقة اجتماعية من اصحاب المتاجر الصغيرة ، وكذلك الثقافة والبنى التي تمثلها .. وفي المقابل تطلب اليابان من الولايات المتحدة ان تدخر اكثر وأن تفكر على المدى البعيد وأن تعيد تنظيم نظامها التربوي وكانت هذه المطالب تعد في الماضي بمثابة تعديات غير مقبولة ضد السياسة القومية "[2].

ويدور السؤال الان حول العمل الذي بالامكان ان ينطبق مع مبادئ الاخلاقية الدولية، هل هو الذي تنطبق عليه صفة الخير ؟ وهذا العمل هو العمل الذي ينطبق مع ولائنا الوطني او القومي ام المنسجم مع غاية اوسع واكبر ؟

لهذا السؤال جواب خاص " فالأخلاق السياسية هي غير القانون المجرد او العدالة ... فهي تنشد نقطة توافق بين القيمة الخاصة والعامة بدل ان تنشد تضحية الجزء من اجل الكل وتقوم السياسات على روابط انانية ومصالح ذاتية تتمثل فيها امكانات الافراد والجماعات الخلاقة . وعلى المجتمع الدولي ان يحذر من الولاءات الخاصة المتطرفة التي ترى ان لها حق القضاء على الجار الاضعف ،فاذا ما تخلص من هذه النزعات اصبح بوسعه ان يتعهد الغايات الوطنية وان يتدبر امرها "[3].

وقد تعاظم دور الرأي العام الدولي في السنوات الأخيرة بسبب التطور التقني في وسائل الاعلام كافة سواء على مستوى الاعلام المكتوب مع الصحافة والطباعة ، والاعلام

---

[1] الدكتور صلاح سالم زرنوقة : " أثر التحولات العالمية على مؤسسة الدولة في العالم الثالث "، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٢٢ ، ص٧١.

[2] الفن وهايدي توفلر ، الحرب والحرب المضادة الحفاظ على الحياة في القرن المقبل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠-٤١.

[3] مكرينس وتومبسون ، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٠.

أمريكي مع التطور الكبير للإذاعة ،وهنا يذكر الاعلاميون دور إذاعة B.B.C التي احتلت مكانة بارزة وقتئذ باستخدامها لأكثر من ثلاثين لغة ،جاءت شبكة الـ CNN ، لتأخذ هذا الدور في اعداد الرأي العام الدولي لصالح القوى الغربية في قضايا دولية معينة مثل الصومال ويوغسلافيا السابقة وافغانستان ،في حين لم تستطع دول العالم الثالث ان تصمد أمام خمس وكالات عالمية للأخبار التي احتكرت الاعلام الدولي ، والتي تتكون من ثلاث وكالات امريكية وواحدة فرنسية والأخرى روسية [1].

التكتلات الدولية

ان التغيرات التي طرأت على العالم بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها حدت ببعض الدول الى تشجيع سياسة التحالف والتكتلات ،فكان لابد لهذه التغييرات ان تفرض أنماطاً سلوكية جديدة ،اذ قامت بعض الدول بخلق أحلاف مع الاقطار المجاورة والصديقة لها بغية تحقيق اهدافها ،الامر الذي ارتبط في كثير من الاحيان بظهور التكتلات .

وكان لابد لهذه التطورات في السياسة الدولية ان تترك تاثيرها الواضح على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ،فعلى حين تضع الكتل معايير للسلوك تحكم علاقة اعضائها فانها ايضا تضع معايير للسلوك تجاه الدول المعادية والمحايدة [2].

ويتضح من ذلك أن المنازعات بين الدول الاعضاء في داخل هذه التكتلات تفرض إتجاهات سلوكية معينة لها اثرها على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ،فهي مضطرة في ان تسلك نهجا معيناً بفضل الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية النابعة من عضويتها في مثل هذه التكتلات [3].

---

[1] وهذه الوكالات هي : Associated Press ، United Press ، Rwiner ، والـ A.F.P ، Interfax وصفت مادلين اولبرايت وزيرة خارجية الولايات المتحدة السابقة هذه الوكالات بانها العضو السادس في مجلس الأمن (ذات العضوية الدائمة + القدرات النووية) . راجع د. ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠٠ .

[2] Frankel , Op.Cit., PP.34-35.

[3] ان المنازعات بين الدول الاعضاء في داخل حلف شمال الاطلسي قد ادت الى تعدد مراكز القوى فيه ،وكانت لهذه الظاهرة اثرها الحاسم على اتخاذ القرار السياسي الخارجي من ناحية ، واضمحلال النفوذ الأمريكي في داخل الحلف من ناحية اخرى ، لان الولايات المتحدة كانت لها الاولوية في اتخاذ القرار السياسي والعسكري وتنفيذه .

ان نشوء المنازعات بين الدول الاعضاء في الحلف يعزى اساسا الى نشوء ازمة ثقة بين الولايات المتحدة والدول الاعضاء نتيجة بروز نزعات استقلالية فيه من جهة وتغيير ستراتيجية الحلف من ناحية اخرى ،فيما يخص الأولى ، نرى ان فرنسا تزعمت هذه الحركات الاستقلالية في داخل الحلف ،لأنها منذ تولي الجنرال ديغول رئاسة الجمهورية فيها تحاول تعديل ميثاق حلف شمال الاطلسي وجهازه العسكري ، لترجحة ان تكون القيادة فيه لمجلس ثلاثي يضم كلاً من الولايات المتحدة وبريطانيا ،كما ان فرنسا تقترح تبني نوع من اللامركزية السياسية في اوربا ،وبالتالي لابد ان يؤدي هذا الدور على المدى البعيد الى استبعاد النفوذ الأمريكي من أوربا ،وبعد ان فشلت فرنسا في اقناع حليفاتها داخل الحلف على الاخذ باقتراحها ،انسحبت بصورة رسمية من الجهاز العسكري للحلف عام ١٩٦٦.

اما بالنسبة للنقطة الثانية ،فان الأزمة ارتبطت الى تغير السياسة الخارجية للمنظومة الأوربية من الخطر الشيوعي ،وقتئذ لان الغرض لخلق حلف شمال الاطلسي هو الوقوف ضد تسرب الشيوعية الى أوربا الغربية ، اما فيما بعد فقد نشأت علاقات بين دول الحلف والمعسكر الإشتراكي . للمزيد من التفاصيل راجع : Ole R . Holsti , Alliance & Coalition Diplomacy , In World Politics An Introduction , pp٣٣٨-٣٤٠ .

المنظمات الدولية

ان ظهور المنظمات الدولية والاقليمية بعد الحرب العالمية الثانية ادى الى نشاط دبلوماسي بين الدول والى التنسيق في الاراء والمواقف تجاه المشكلات الدولية المختلفة ،وادى بالتالي الى اتباع أنماذج سلوكية واختيار بدائل معينة تتفق مع سياستها الخارجية ، الا ان الدول غالبا ماتلتزم بمواثيق هذه المنظمات ، اما اذا ماوجدت انها تخدم مصالحها ،ولاسيما ان مثل هذه المنظمات تفتقد الى عنصر قوة الإلزام.

ومع ذلك فان المنظمات الدولية من الممكن ان تمارس وسائل الضغط على صانعي القرار من ناحية ، ومن ناحية اخرى تمهد تعبئة الرأي العام الدولي ، ان بامكاننا ان نذهب الى القول ان خلق عصبة الامم بعد الحرب العالمية الأولى ،وما اعقبها من تطورات معينة بعد انشاء الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة التابعة لها ،وانبثاق منظمات اقليمية بعد الحرب العالمية الثانية قد اسهمت الى حد بعيد في نقل قواعد السياسة الداخلية الى المجال الدولي ،وبصورة عامة فان ديناميكية المنظمات الدولية في التأثير على عملية صنع القرار السياسي الخارجي تعتمد على مدى قوة هذه المنظمات ،ومدى اهتمام صانعي القرار بالانضمام اليها ومراعاة وجهة نظرها .

نستطيع ان نفهم هذه التطورات علينا ان نؤكد على الحقائق الاتية:–

١– ان العمل السياسي في نطاق المنظمات الدولية قد مهد السبيل لخلق الدبلوماسية البرلمانية مقارنة مع مايجري في البرلمانات من مناقشات ومناظرات ،وما يوضح لها من قواعد واجراءات تحكم نظام الاجتماعات والمؤتمرات الدولية على غرار الانظمة المتبعة في الاجتماعات البرلمانية ،وهذا يعد تطورا جديدا لقواعد فن المفاوضة يختلف اختلافا جذريا عن الدبلوماسية القديمة التي اتسمت بطابع من الكتمان والسرية الى اعقاب الحرب العالمية الأولى[1].

وبامكاننا ان نقول في هذا الصدد ان مواهب جديدة تنبثق من نطاق العمل السياسي الخارجي ، لم تكن الدبلوماسية التقليدية على بينة منها لا عن طريق قريب ولا عن بعيد ، وبعبارة اخرى ان الدبلوماسية في نطاق المنظمات الدولية اذا لم تساير القواعد الجديدة التي غزت عملية الاتصال الدولي نتيجة للتطور التكنولوجي بعد الحرب العالمية الثانية ، لم يحكم عليها الا بالاخفاق .

٢– ان نقل قواعد السلوك الداخلي في إطار المنظمات الدولية ، قد أدى الى تفاعل وتلاحم بين صانع القرار ومساعديه عن طريق مؤتمرات القمة ، وجدير بالاشارة ان مؤتمرات القمة لم تكن ظاهرة جديدة في السياسة الخارجية ،ولكن الجديد فيها هو اسلوب العمل ،وهذه النقطة بحاجة الى توضيح : لابد ان نقول في البداية ان مؤتمرات القمة تفترض لقاء مسبقا بين فئتين من الخبراء ، او بمعنى آخر ان هذه المؤتمرات تفترض تقابل بين خبيرين للمنطقة وكل منهما مع مساعديه بحيث يتم اللقاء النهائي الى لقاء القمة ، وقد تحددت مقدما ابعاد الاتفاق ونقطة التلاقي ،وقد ساعدت المؤتمرات في ظهور نوع جديد من الدبلوماسية بالامكان تسميتها بالدبلوماسية التكنوقراطية .

والحق ، ان هذا النوع من الدبلوماسية كثيراً مايستخدم كأداة للدعاية بغية الفوز في الإنتخابات على مستوى السياسة الداخلية . وهنا يفسر لنا الاستاذ الدكتور حامد ربيع بأن رحلة

---

[1]) الدكتور عزالدين فودة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٦.

نيكسون الى الصين الشعبية في بداية عام ١٩٧٢ انما كانت اعداداً لمعركته الانتخابية .نجد في هذا المثال التلاحم في العمل السياسي الداخلي والعمل السياسي الخارجي على الرغم من هذا الفارق الوظيفي بينهما [١].

---

[١] الدكتور حامد ربيع ، الحرب النفسية في المنطقة العربية ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، بيروت ، ص١٣٢-١٣٦.

إن اهتمام الولايات المتحدة بالصين ، يعود أساسا إلى الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت ، عندما تحدث مع إليس الممثل الصيني تونغ شاوبي في كانون الأول من العام ١٩٠٨ ، قائلا : " إن من المفيد ، وليس من المضر للدول الأخرى أن تكون أي دولة مستقرة ، ومزدهرة وقادرة للحفاظ على السلام ضمن حدودها ، وقوية بما فيه الكفاية بحيث لا تتعرض للعدوان من الخارج . ونحن نأمل بقوة بتقدم الصين ، وسوف نبذل كل ما في وسعنا بالوسائل السلمية والقانونية الممكنة نحو مواصلة ذلك التقدم ".

كان هناك اعتقاد من غالبية الرأي العام الأمريكي ، بأن الولايات المتحدة تبنت قضية الصين ضد اليابانيين والأوربيين ، ابتداء بمذكرات الأبواب المفتوحة " التي أرسلت من واشنطن إلى الدول الكبرى ، حين كان بقاء الصين كدولة يتعرض للتهديد في سنوات ١٨٩٩ و ١٩٠٠ . يكفي أن نذكر في هذا المجال ، وقوف الولايات المتحدة مع الصين ضد اليابان خلال الحرب العالمية الثانية .

والحق ، عند نشوء الصين الشعبية في الأول من تشرين الأول من العام ١٩٤٩ ، دخلت العلاقات الأمريكية الصينية في حالة من التوتر بينهما .

وفي هذا السياق يقول ماو تسي تونغ : " اذا انسحبت القوات الأمريكية من فرموزا (تايوان) فقد يكون في الامكان عودة العلاقات الصينية الأمريكية الى حالة طبيعية على أسس مبادئ التعايش السلمي " . فضلا عن طلب الصين الشعبية المحادثات الدورية بين سفراء البلدين في وارشو في ٢٠ شباط ١٩٦٩ .

أما من جانب الولايات المتحدة ، فقد قام الرئيس نيكسون (كان ريتشارد نيكسون ، نائب الرئيس ايزنهاور ، ومرشح انتخابات الرئاسة الخاسر في العام ١٩٦٠) في كانون الثاني ١٩٦٩ بإعادة النظر في السياسة الخارجية الامريكية تجاه الصين الشعبية ، ومن خلال وزير خارجيته وليم روجرز الذي سلم رسالة الى الرئيس الباكستاني يحيى خان في ٢٤ مايس ١٩٦٩ ،أكدت رغبته في تحسين العلاقات مع الصين الشعبية.

ولابد أن تكون هناك أسباب دفعت الولايات المتحدة الى اتخاذ مثل هذا القرار ، من بينها : اعتداد المعركة الانتخابية القادمة لنيكسون ، وممارسة الأوساط الاكاديمية والمؤسسات الرسمية ودور جماعات الضغط والمصالح في داخل الولايات المتحدة من اجل التعامل مع الاسواق الصينية . كما أن نيكسون ، اتفق مع توقعات كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية ، على أن الصين الشعبية قد تساعد الولايات المتحدة على إنهاء الحرب في فيتنام ، ومساندتها المساعي الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي . راجع :

Hinton Harold C., The peopl's Republic of China : Ahandbook , U.S.A and London , Westview and Dowson , ١٩٧٩ , P.٣٩٣.

كل هذه الاسباب ، دفعت الرئيس نيكسون أن يعلن في ١٥ تموز ١٩٧١ الى ابداء رغبته في زيارة الصين الشعبية في بداية عام ١٩٧٢ . تحدث نيكسون في خطابه عن حالة الاتحاد إلى الكونغرس في شباط من العام ١٩٧١ عن الحاجة إلى إجراء حوار مع الصين الشعبية ، ودعا إلى مكان لحكومة بكين في الأمم المتحدة، دون أن يضحي بموقف جمهورية الصين الوطنية في تايوان . وفي هذا الشأن ، يقول نيكسون في مذكراته : " وقد مضى الآن اقل من عقد من الزمن على الانفتاح على الصين الذي بدأ في عام ١٩٧٢ وقد تغيرت علاقاتنا وكذلك تحول موقف الصين من العالم : لقد كان ماو يقتنع بالسلطة لإيجاد التحول والاتجاه نحو الولايات المتحدة ، وكان لدى خلفائه الحكمة للاستفادة من ذلك التحول ، ولتغيير سياسة ماو بحيث يمكن تحقيق الاستفادة من الفرص التي خلقتها " . راجع : مذكرات الرئيس نيكسون الحرب الحقيقية- ترجمة الدكتور سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر دمشق ، ١٩٨٣ ، ص١٩١، ١٩٦ . ووارين آي . كوهين ، "نيكسون في الصين نقطة تحول في تاريخ العالم" ، أجندة السياسة الخارجية ، وزارة الخارجية الأمريكية ، مكتب برامج الإعلام الخارجي ، (بلا) نيسان _ ابريل ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٨-٢٩ .

وقد تحققت هذه الزيارة في المدة الواقعة بين ٢١-٢٧ شباط ١٩٧٢ ، وقد وصف نيكسون هذه الزيارة بأنها : رحلة الى السلام ليس فقط لجيله بل لأجيال المستقبل " . ونتيجة لذلك ، قالت الولايات المتحدة والصين الشعبية في العام ١٩٧٢ " بتكثيف الاتصال " ، أي سيقارن دون تسميتهما ذلك في مصلحتي الدولتين . راجع وارين آي . كوهين ، "نيكسون في الصين نقطة تحول في تاريخ العالم" مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠ و :

Choudhery , Glam W. China in World Affairs : The Foreign Policy of PRC Since ١٩٧٠ , U.S.A ,. Westview Press , ١٩٨٢ , P.٣٩.

وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع :

Kusnitz, Leonard A. Public Opinion and Foreign Policy , U.S.A , ١٩٨٤ , PP.١٣١-١٤٦.

والحق ، تحاول الإدارات الأمريكية المتعاقبة ، ومن خلال التكنوقراط ، ان تحدد اهدافها بطريقة تتسم بالعلانية ، وعلى سبيل المثال قام الرئيس الامريكي السابق ايزنهاور من تشكيل لجنة في عام ١٩٦٠ ، تكونت من جنرال وقاض ، واثنين من رجال الصناعة ،وبعض من عمادات الكليات في الجامعات الأمريكية ، ورئيس للنقابات العمالية ، لوضع " الخطوط العريضة لسياسات وبرامج قومية متناسقة " ، ولتحديد مجموعة من الاهداف القومية في المجالات كافة ، وقد انجز هؤلاء تقريرهم الذي تم تسميته بـ " اهداف من اجل الامريكيين "[١].

والحق، لم يكن لهذه اللجنة أي تأثير على شرائح الرأي العام ولا على السياسة العامة للدولة وعند مجيء الرئيس جونسون الى السلطة ، قام بتنسيق الاولويات الحكومية من اجل تطبيق "نظام التخطيط والبرمجة ووضع الميزانيات على مستوى المؤسسات الفدرالية كافة . وقد كان هذا النظام عبارة عن اسلوب لربط اوثق وبطريقة تتسم بالعقلانية للبرامج بالأهداف التنظيمية [٢].

اما الرئيس نيكسون ، فقد تناول موضوع الأهداف بطريقة أخرى ، اذ وجد في داخل البيت الابيض " هيئة بحث الاهداف القومية " ، التي تكونت من هيئة صغيرة وفنية وعلى مستويات كبيرة ، كي تقوم بمعالجة تخطيط الإتجاهات الاجتماعية [٣].

وهذه المحاولات ،كانت لها علاقة وثيقة بالفرضية التكنوقراطية التي تناولت الأهداف القومية والمحلية في آن واحد ، ومن خلالها يتم التأكيد على اتخاذ القرارات من القمة ،وفصل ذلك من القاعدة [٤].

ان هذا التفكير الذي له علاقة بالجانب الهرمي في الدولة الذي يبدأ بالقمة وينتهي في الأسفل ، له مأخذه ، الذي يتركز في [٥].

أ- ان التخطيط التكنوقراطي والذي يرجع الى عهد الثورة الصناعية ، اذ يؤكد النظام على تحقيق الرخاء والرفاهية المادية ، من دون الحديث لعائدية ذلك الى الافراد ،او الصالح العام ، لان هذا التخطيط بطبيعته تخطيط " اقتصادي لمركز" .

ب- ان التخطيط التكنوقراطي يركز على التخطيط ذات المدى القصير ، والابتعاد عن الستراتيجيات بعيدة المدى .

ج- التخطيط التكنوقراطي ، يعكس عصر التصنيع ، الذي بدأ في الانهيار في عصر الثورة المعلوماتية .

٣- الأسلوب الثالث هو الذي يوصف بدبلوماسية الصوت العالي التي تكونت عن طريق المنظمات الدولية ، ويعني هذا الاسلوب ان الدبلوماسي يستخدم عبارات العنف والشدة

---

[١] الفن توفلر ، ، صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد، ترجمة محمد علي ناصف ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط٦ ، ١٩٩٠ ، ص٤٩٨-٤٩٩.

[٢] المصدر نفسه ، ص ٤٩٩.

[٣] المصدر نفسه ، ص ٤٩٩.

[٤] المصدر نفسه ، ص ٥٠٠.

[٥] المصدر نفسه ، ص ٤٧٣-٤٧٤.

في المفاوضات ليختلق المواقف بغية ان يحدث تأثيرا معينا لا على من يواجهه على مائدة التفاوض ، وانما على خلفية جماهيرية معينة ، او بمعنى اخر على رأي عام معين بعيد عن مكان اللقاء ، خرتشوف عندما خلع حذاءه ووضعه امامه في الجمعية العامة للأمم المتحدة معلقاً انه لو تكلم مندوب الفلبين فلابد ان يستخدم تلك الأداة لاسكاته ، لم يكن يقصد في واقع الامر مندوب الفلبين وانما كان يتجه بحديثه الى تلك القوى السياسية التي كانت قد بدأت تتحرك ضد الاتحاد السوفيتي ،هي حركة عصبية كما يبدو ، ولكنها في الواقع خطوة محسوبة ومدروسة [1].

أستخدم خروتشوف النهج نفسه من خلال تهديده أياه في لقاءه الشهير مع الرئيس كينيدي في فينا عام ١٩٦١ ، حذا يلتسن النهج نفسه عندما حاول أبتزاز بل كلينتون من خلال دبلوماسية الصوت العالي محاولا أن يظهر نفسه جيدا أمام خصومه السياسين في الداخل ، ففي الأسبوع الأول الذي سبق القمة حاولوا أن يحاكموه في مجلس الدوما ، الا انهم أخفقوا في ذلك ، لكن تحركهم حصد عددا كبيرا من الأصوات . [2]

٤-فرضت المنظمات الدولية صورة من صور الاتصال الدولي ، فالدبلوماسية الذي ينتمي الى دولة معينة ،هو ماتعارف على تسميته بالدبلوماسي العادي ، تتحدد حركته في نطاق الاتصال الرسمي او شبه الرسمي مع ممثلي الدولة المعتمد لديها ، على العكس من ذلك يكون الدبلوماسي في نطاق المنظمات الدولية في اتصال مستمر يومي ودائم مع ممثلي جميع اعضاء المنظمة الدولية ، كل هذا يفرض اتباع أنماذج معينة من بين بدائل متعددة من السياسات الخارجية [3].

وهنا لابد ان نؤكد انه في أغلب الحالات لاتستطيع المنظمات الدولية سوى اصدار قرارات ليست في الواقع الا توصيات لاتتمتع بأي تأثير ملزم ،أي ليست مصحوبة بأية عقوبة في حالات عدم التزام الدول الاعضاء بتنفيذها وهذا مايحدث عادة . وهكذا فعندما تتخذ الجمعية العامة للامم المتحدة قرارا بدعوة الدول الاعضاء الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني كنوع من الاحتجاج على قراره بضم الجولان السورية ، فاننا نجد ان الدول التي لا تمتثل الى هذه الدعوة لاتتعرض الى أي نوع من الملاحقة القضائية او العقوبات المادية [4].

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، الحرب النفسية في المنطقة العربية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٩ ، قارن مع : Beloff , Dimensions in Foreign Policy , ١٩٦١ , P.١١٧.
كان خروتشيف معروفاً بمراعاته المتونة " ، والاسلوب اللاذع في اقواله وكلماته حيث كانت روح المرح لديه هجومية وعدائية ، كانت الغاية منها اتخاذ سياسة التخويف لدى خصمه ، وبمعنى أخر كان يستخدم أسلوب التحدي غير المنطرق والتلويح بمنطق التهديد لاكثر مما هو عليه من اثارة الضحك . وفي هذا المجال يقارن نيكسون بين ذكاء تشرشل الذي اتصف بالحدية في حين وصف دهاء خرتشوف كالمد ،الذي لا يقتنع ويتسم بالصلف ، راجع: ريتشارد نيكسون ، القادة ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٥٨.
[2] كلينتون ، مصدر سبق ذكره ، ص٥١٤ .
[3] الدكتور حامد ربيع ، نظرية الدعاية الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧.
[4] مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦٤.

لقد تضمن الميثاق التأسيسي لمجلس حلف شمال الاطلسي او مجلس الجماعة الأوربية النص صراحة على اهلية هذه الأجهزة في اتخاذ قرارات ملزمة في مواجهة الدول الاعضاء ، ولكن اشتراط الاجماع لامكان اتخاذ مثل هذه القرارات يخول كل دولة عضو التمتع في الواقع بحق الفيتو الذي تتمكن من خلاله من ان تمنع هذه الاجهزة من اقرار أي نص تعتقد انه يتعارض مع مصالحها [١].

والحق ، ان الدول لاتزال شديدة الحرص على استمرار تمتعها بصلاحياتها ومزاياها كاملة داخل المنظمات الدولية باجهزتها التداولية كافة.. رفض اعضاء الجماعة الاقتصادية الاوربية تطبيق احد النصوص الاساسية في معاهدة روما التي كانت تهدف الى التخلي عن مبدأ الاجماع عند التصويت والانتقال الى مبدأ اخذ الاصوات بالأغلبية[٢].

بين الاستثناء الوحيد في هذا الصدد وهو مجلس الامن الذي يملك كما ينص عليه الميثاق في الفصل السابع ، سلطة اتخاذ القرارات وفرض تنفيذها بالقوة الجبرية اذا لزم الامر [٣].

ولا يعني عجز المنظمات الدولية الحكومية في مجال إتخاذ القرار ان هذه المنظمات لاتمارس قدرة حقيقية على التأثير [٤] لأن هذا التأثير يأخذ قنوات متعددة يمكننا أيجازها في الآتي :-[٥]

أ) فالوظيفة الرئيسة التي تضطلع بها المنظمات الدولية تتمثل في انها تتيح للدول اطاراً قائماً لاجراء الحوار .

ب) نظراً لعجز المنظمات الدولية عن اتخاذ المبادرة وعدم قدرتها على فرض الإلتزام الصارم بالقانون نجدها تتدخل طبقاً للظروف لكي تضفي نوعاً من الحجية على بعض الاوضاع القائمة بالفعل وتدخلها في اطار من الشرعية يجعلها بمنأى عن اطماع او هجمات اللاعبين الاخرين .

ج) وظيفة المنظمات تتمثل في القيام بعمليات ميدانية تملك حيالها هذه المرة سلطة فعلية في اتخاذ القرار . فعندما يخص الأمر التصويت على اعتمادات مخصصة لبرنامج للمعونة والتنمية او لمحو الامية ، فان قرارات المنظمات الدولية في هذه الحالة هي قرارات قابلة فورا للتنفيذ ،ونقلها الى حيز التنفيذ يعني وقوع الاختيار على دول او مشروعات بعينها ، بل وقد يحدث احيانا ان تقترن المساعدة المقدمة بشروط محددة وقاطعة تشكل في جوهرها ضغطاً خطيرا على التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول المستفيدة .

---

[١] المصدر نفسه ، ص ٣٦٤.
[٢] المصدر نفسه ، ص ٣٦٥.
[٣] المصدر نفسه ، ص ٣٦٥.
[٤] المصدر نفسه ، ص ٣٦٦-٣٦٩.
[٥] المصدر نفسه ، ص٣٦٦ – ٣٦٩ .

د) اما الوظيفة الرابعة التي تقوم بها المنظمات الدولية الحكومية فتكمن في القدرة الاعلامية المتاحة لهذه المنظمات . ان حجم الوثائق الاحصائية التي تنشرها هذه المنظمات كل عام في مختلف الميادين (السكانية والاقتصادية والمالية والاجتماعية والثقافية) يفوق كل خيال .

هـ) للمنظمات الدولية دور اشبه مايكون بدور المحول الكهربائي في تخفيض التوتر الدولي على مستوى العالم .

هناك زيادة كبيرة للتنظيمات الدولية ، حيث ازداد عددها من ٣٨ تنظيما دوليا حكوميا عام ١٩٤٩ إلى ٢٩١ تنظيما دوليا عام ١٩٧٧ . وقد بحثت مجموعة من الدراسات أثر عصبة الأمم ، والأمم المتحدة في السلوك الصراعي للدول . وفي هذا المجال وجد هولستي ، أنه من بين سبعة وسبعين صراعا دوليا حدث في المدة من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٦٥ ، تم حل ٢٣ % منها من خلال المساعدة الكلية والجزئية للتنظيمات الدولية .ومن بين الثمانية والأربعين صراعا التي وضعت على جدول أعمال عصبة الأمم والأمم المتحدة ، تم تسوية ٣٧ % منها[1]. وكذلك وجد رايت أنه من بين ستة وستين نزاعا سياسيا،تناولتها عصبة الأمم ، تمت تسوية خمسة وثلاثين منها بنجاح ، كما تم تحويل عشرين نزاعا منها إلى وكالات أخرى للنظر فيها ،وقد تبين أيضا أن معظم الأحد عشر نزاعا التي فشلت العصبة في حلها قد حدثت في عام ١٩٣٥ ، مما يبرهن على سجل العصبة الممتاز في التسوية السلمية في المنازعات الدولية بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٥[2] . وقد تبين من دراسة لاحقة قام بها رايت لخمسة وأربعين صراعا دوليا عرضت امام الأمم المتحدة خلال السنوات العشرين التالية لإنشائها ، أن تسعة منها لم تتضمن استعمالا للقوة العسكرية ، وأنه من بين الستة والثلاثين صراعا التي تضمنت استعمال القوة العسكرية تم إنهاء "الأعمال الحربية في عشرين صراعا عن طريق وقف رسمي أو ضمني لإطلاق النار في خلال السنة الأولى لإندلاع تلك الأعمال ، وتصاعد أربعة عشر صراعا لمدة تزيد على العام ، بينما تحول صراعان فقط إلى مرحلة الحرب الشاملة . وعلى الرغم من أن هذه الدراسة قد كشفت عن السجل الجيد للأمم المتحدة في ضبط تصعيد الصراعات الدولية ، فإنه لا يمكن أن نستخلص من هذه الدراسة أن الأمم المتحدة قد نجحت في تسوية هذه الصراعات [3] .

وفي دراسة أخرى ، تبين أن أقل من ٢٠ % لما يزيد على مائة نزاع دولي ، حدثت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، قد أدت إلى صدور قرار من الامم المتحدة يطالب بالإمتناع عن التهديد باستعمال القوة . ومن بين المنازعات التي صدرت بصددها تلك القرارات تبين أن الأطراف المتنازعة لم تستجب لتلك القرارات إلا في مايقارب نصف المنازعات فقط . ومن الواضح أن فعالية الأمم المتحدة في الحد من استعمال الأدوات القتالية في المنازعات الدولية قد تضاءلت على مر الزمن ، شأنها في ذلك شأن عصبة الأمم [4] .

---

[1] لويد جنسن ، مصدر سبق ذكره ، ٢٩٤ – ٢٩٥ .
[2] المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ .
[3] المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ – ٢٩٦ .
[4] المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ .

من جانب آخر ، وجد أن ١٨ % فقط من ١١٦ نزاعاً دولياً حدثت في المدة من عام ١٩٤٩ حتى ١٩٧٧ ، بين الدول الأعضاء ، هي التي نجحت الأمم المتحدة والتنظيمات الإقليمية في تسويتها ، وقد نجحت الأمم المتحدة في تسوية ١٩ % من ٩٣ نزاعاً عرض أمامها، ونجحت جامعة الدول العربية في ١٢ % من ١٧ نزاعاً عرض أمامها ، ونجحت منظمة الدول الأمريكية في ٣٧ % من ١٩ نزاعاً عرض أمامها . ويرجع ارتفاع معدل نجاح منظمة الدول الأمريكية إلى هيمنة الولايات المتحدة عليها وقدرتها على توفير القوة العسكرية التي تضمن تطبيق قرارات المنظمة التي توافق عليها . ومن أمثلة ذلك ، قرار الولايات المتحدة بفرض الحصار البحري على كوبا عام ١٩٦٢ ، وهو القرار الذي تبنته منظمة الدول الأمريكية بعد صدوره [1] .

الشركات متعددة الجنسية

إلى جانب دراسة المنظمات الدولية بنوعيها الإقليمي والعالمي ، هناك اهتمام من أساتذة السياسة الخارجية حول دراسة المنظمات العالمية غير الرسمية في النظام السياسي الدولي ، ولعل من بينها الشركات متعددة الجنسية [2].

مفهوم الشركات متعددة الجنسية هو من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد والتعريف بدقة ، فالمصطلح نفسه مشكوك فيه ، لأن صفة متعددة الجنسية المقترنة به تنطبق في معظم الأحوال على شركات هي في حقيقة الأمر شركات وطنية أولاً وقبل كل شيء [3].

ولا يمكن للقانون أن يساعد في هذا المجال على أية صورة من الصور ، لأنه يتجاهل أصلاً وجود هذه الظاهرة تجاهلاً تاماً . فمن الناحية القانونية أن يكون لكل شركة من الشركات جنسية معينة ، وهي تخضع من ثم لقانون الدولة التي تتمتع بجنسيتها [4].

إن مصطلح الشركات متعددة الجنسيات تم استخدامه من أساتذة القانون الدولي العام ، وهناك اتفاق بين هؤلاء على هذه التسمية ، طالما أن قيام شركات معينة بأنشاء فروع لها أو شركات تابعة ومنتسبة لها في الخارج يأتي وفقاً للقانون المحلي للدول المضيفة ، مما يضفي على الأمر ايجاد شركات تحمل معنى التعدد[5].

وقد اعترض على هذا المصطلح أساتذة الاقتصاد السياسي منطلقين عن موضوع الأمر الواقع الفعلي بعيداً عن المعيار القانوني ، مؤكدين أن الشركات العاملة في الخارج تظل أساساً تابعة لجنسية الدولة الأم سواء من حيث الولاء أو الهيمنة التي تحتفظ بها المقر الرئيس للشركات ، وتبعاً لذلك استخدام هؤلاء مصطلح الشركات عابرة القومية ، وقد استخدم هذا المصطلح المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة [6].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٩٧ .

[2] الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٧٣ .

[3] مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص٤١١ .

[4] المصدر نفسه ، ص٤١٢ .

[5] الدكتور عبد الله هدية وآخرون ، حوار الشمال والجنوب وأزمة تقسيم العمل الدولي والشركات المتعددة الجنسية ، دار الشباب للنشر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص١١٥ .

[6] المصدر نفسه ، ص١١٦ .

الى جانب ذلك ، هناك مدرسة أخرى ، عارضت تسمية الشركات عابرة القومية ، مشيرة على ان قيام الشركات الاحتكارية في الدول الرأسمالية المتقدمة بإدارة عمليات وتسهيلات إنتاجية في الخارج لا يمثل اطلاقاً عبوراً للقومية . اذ تصبح الشركة الأصل والناشئة عن العمليات الدولية لهذه الشركات إمتدادات لذلك ، وتصبح بالتالي مجرد ادوات تأثير للقومية والدولة الأم أساساً [1].

وفي هذا المجال ، ينبغي ان نؤكد من ان مفهوم الشركات المتعددة الجنسيات ، هو من وضع هذه الشركات ، وأول من استخدم ذلك هي شركة : الـــ I . B . M الأمريكية International Business Machine والتي احتكرت وقتذ صناعة الإلكترونيات الكمبيوتر على المستوى العالمي . وكانت الغاية من استخدام هذا المفهوم هي تغطية الاستغلال الذي تمارسه من خلال فروعها في العالم [2].

عرف باي M . Bye هذه الشركات بأنها : " عبارة عن مجموعة منتظمة من الوسائل الخاضعة لمركز موحد لأتخاذ القرارات وقادرة على تحقيق قدر من الاستقلال الذاتي في مواجهة السوق وتنتشر مؤسساتها المنتجة في أكثر من بلد واحد [3].

عرف الرئيس التشيلي Salvador Allende الشركات متعددة الجنسية أمام الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٤ تشرين الأول ١٩٧٢ أي قبل سنة من اغتياله : " أنها دولة داخل دولة [4].

---

[1] المصدر نفسه ، ص١١٦ .

[2] الدكتور ريمون حداد ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٤٨ .

[3] المصدر نفسه ، ص٤٠٨ ، وخشيم ، مصدر سبق ذكره ، ص١١٧ .

[4] تربو استثمارات شركة I T T شركة الهاتف والبرق العالمية المتعددة الجنسيات في تشيلي على مائة مليون دولار . وقد أشارت الشركة في تقرير لها الى الرئيس نيكسون ، مبدية الخوف من نتائج فوز الليندي على المصالح الأمريكية فيها ، فضلاً عن ذلك ، اقترحت الشركة للإدارة الأمريكية من تخصيص مليون دولار في الانتخابات التشيلية لصالح الحركة الشيوعية ، الا ان نيكسون رفض هذا الاقتراح بسبب قناعته عن فوز الياندري ; وتشير بعض المصادر قيام شركة I T T بانفاق (٧٠٠٠٠٠) دولار أثناء الحملة الانتخابية . وبعد ظهور نتائج الانتخابات ، كان هناك لقاء لوليام ثالث رئيس الشركة مع كيسنجر أكثر من خمسة وعشرين لقاء في المدة الواقعة بين ١٩٧٠ – ١٩٧٢ ، وعليه فقد قامت الشركة من جانب اخر مع عدد كبير من الشركات الأمريكية في تخريب الاقتصاد التشيلي . راجع : دنيزا لكسورت ، وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C . I . A ، (بلا) ، ص١٠٧ ، وسيمور هيرش ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٥٨ . وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: هيرش ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٧٨ – ٣٨١ .

وقد قامت شركة I T T الأمريكية بالإطاحة بحكومة الليندي في تشيلي في عام ١٩٧٣ أثر قرارها الخاص تأميم معادن النحاس في اطار تطبيق برنامج الوحدة الشعبية وبالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (أنشأ الرئيس ترومان في عام ١٩٤٧ سلطة مخابرات وطنية وبناء على المقترح الذي قدمه اللواء دونوفان بعد موافقة مجلس النواب بالاجماع عليه ، وفي نيسان ١٩٤٧ صدر قانون الأمن الوطني الذي تم بموجبه إنشاء C I A التي باشرت العمل في مهامها في ١٨ أيلول من السنة نفسها . راجع : دنيز رالكسورت ، مصدر سبق ذكره ، ص١٣ وألن دالس ، حرفة الاستخبار ، (بلا) ، ص٥٨ .)

الأمر الذي دفع باربر ريتشارد ان يقول : " أنها دولة سياسية قوية ، انها مستعمرة القرن X X ، وعلى رأسها الشركات الأمريكية ، لأنها الأغنى والأكثر تقدماً من حيث التكنولوجيا ، ويتكون جيشها من مهندسين ومسيرين مجهزين برؤوس أموال وتقنيات تتصرف سفاراتها في معاملها ، مناجمها ، خدمات بيعها فلا ينقصها الا علمــا " . راجع : العنابي ، مصدر سبق ذكره ، ص٢١٧ – ٢٢١ .

أما C . A . Michalet فيعرفها : " أنها منشأة أو مجموعة غالباً ما تكون ذات حجم كبير ، انطلاقاً من قاعدة وطنية ركزت في الخارج عدة فروع بعديد البلدان ، ولها ستراتيجية وتنظيم مبنيان على المستوى العالمي"[1].

يشير الصادق شعبان بأنها تقوم بين افراد أو شركات يوزعون انشطتهم الانتاجية أو التسويقية على أكثر من دولة بحثاً عن ربح أوفر . والغرض من توزيع النشاطات على دول متعددة هو انتفاع الشركة بالامتيازات والاعفاءات والتسهيلات التي تخصصها تشريعات بعض الدول لها فيما يخص الاداءات الجمركية والجبايات ، والتسهيلات الادارية ، وكذلك قانون الشغل والضمان الاجتماعي وغيرها "[2].

ومن هذه التعاريف ، يمكننا ان نتوصل الى صفات تتميز بها هذه الشركات، والتي تكمن في[3]:-

١- في المجال الاقتصادي ، هناك منبات واسعة لهذه الشركات ، وعلى سبيل المثال شركة International Telephone and (I . T . T) Telegraph الامريكية ، ومن وظائفها الرئيسة الاهتمام بالمواصلات اللاسلكية ، الا أنها بدأت ومنذ عام ١٩٦٠م ، تأخذ في الحسبان نشاطات وفعاليات في الصيدلة والتغذية والخدمات .

٢- في المجال الانتاجي ، قامت هذه الشركات بتوزيع ذلك على دول عدة ، مع بقائها خاضعة لسلطة مركزية تقوم باعداد ستراتيجيتها وادارة تنظيمها.

٣- في المجال القانوني ، تحمل جنسية دولة واحدة وبموجب أسس ومعايير محددة ، مع التمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي تبعاً لقوانين الدولة التي تحمل جنسيتها ، وهي الدولة التي يوجد بها مقرها الرئيس ، ويطلق عليها " الشركة الأم " ، مع وجود فروع لها في دول اخرى .

ان الشركات متعددة الجنسية ليست بمفهوم حديث ، فقد ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وقد ساعدها في الظهور الثورة التكنولوجية التي تجسدت في اختراع جهاز البرق ، وغياب الحروب فيما بين تحالفات من القوى العظمى ، ففي عام ١٩٠٠ على سبيل المثال كانت لدى " بيت روتشيلد " فروع في كل من فرانكفورت وفيما بينها وقبيل عام ١٩١٤ كانت شركة " لويدز لندن " قد اعتمدت لدى القطاع الاعظم من صناعة السفن الالمانية كشركة للتأمين على السفن الالمانية ، وكانت تلك الشركة على استعداد لدفع تعويضات لألمانيا لأية خسائر تلحق بسفنها حتى ولو كان ذلك نتيجة حرب انكليزية – المانية[4].

وهناك العديد من الأمثلة على وجود الشركات متعددة الجنسية في مراحل سابقة ، فقد كان لدى شركة ليفرس برذرز والتي كانت تعرف بأسم " يونيليفر " قبل ذلك مصانع انتاجية تمتد من غرب افريقيا الى الهند . كما كانت هناك شركات متعددة الجنسيات في قطاع النفط

---

[1] المصدر نفسه ، ص٢١٧ .

[2] المصدر نفسه ، ص٢١٨ .

[3] المصدر نفسه ، ص٢١٨ – ٢١٩ .

[4] بول كيندي ، الإستعداد للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة محمد عبد القادر ، غازي مسعود، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٣ ، ص٧٢ .

قطعت الارض طولاً وعرضاً بحثاً عن مصادر جديدة للنفط فيما كانت تنقل النفط المكرر من سوق الى آخر . كما سلكت شركة فورد طريقاً " عالمية " حينما قررت ان تقوم بتصنيع السيارات والشاحنات على جانبي الاطلسي [١].

تعززت هذه الشركات في السبعينات أثر قرار الولايات المتحدة بالتخلي عن قاعدة الذهب ، ثم تلاه تحرير عام لمراقبة النقد في عدد قليل من الدول لتلحق بها دول اخرى عديدة. ولم تؤد هذه الاجراءات الى توفير المزيد من السيولة النقدية للتجارة العالمية فحسب ، بل انها عززت من تدفق الاستثمارات الرأسمالية العابرة للقوميات ، اذ غدا بامكان الشركات ان تستثمر خارج حدود اقطارها دون قيود من البنوك المركزية[٢].

ان كبرى الشركات متعددة الجنسيات قد بلغت من الضخامة والقدرة المالية حداً يفوق ما يتمتع به في هذا الميدان عدد كبير من الدول ذاتها ، وهذه هي الحقيقة لأننا إذا ما قارنا الميزانية السنوية لكبريات هذه الشركات مع ميزانية الدول فسنجد ان هرم تسلسل القوة يصبح حينئذ عن ترتيب لا يمكن توقعه [٣].

إن مبيعات جنرال موتورز السنوية تتجاوز الناتج القومي الإجمالي لدول العالم بإستثناء إثنين وعشرين دولة على وجه التقريب وذلك تكون مبيعاتها أكبر من قيمة السوق للناتج القومي الإجمالي لدول مثل سويسرا ، والدنمارك ، وتركيا [٤] .

لقد وصل الإستثمار الخاص لمصالح أمريكية في الخارج إلى ١٩٢ بليون دولاراً في عام ١٩٧٩ وهو في إرتفاع مستمر . إن قوة الشركات المتعددة الجنسيات السياسية والإقتصادية ، نتيجة من حجمها الهائل ، يدفعها في البيئة الداخلية لكل الدول التي لها فيها استثمارات كبيرة ؛ فقد اصبحت ، في حقيقة الأمر تشكل مراكز قوى سياسية بسبب حقها الشخصي [٥] .

يقول الاستاذ فيرنون : " إن الشركات الكبيرة التي كان يمكن عدها شركات متعددة الجنسيات في الولايات المتحدة في عام ١٩٥٠ تبلغ ما يقارب ١٧ % فقط من مجمل مبيعات الشركات الامريكية وبحلول عام ١٩٦٧ اصبحت هذه الشركات ما يقارب ٤٢ % من المبيعات الامريكية ، ومنذ بداية عام ١٩٧٢ أصبحت ٦٢%. وفي العالم غير الشيوعي اعلنت هذه الشركات عن مبيعات بلغت ما يقارب ٨% من الانتاج الاجمالي ، وفي عام ١٩٦٧ ارتفع هذا الرقم الى ١٧% ، وفي عام ١٩٧٤ اصبح ٢٢% [٦].

ان الشركات متعددة الجنسية في طريقها للاحلال محل الدول .. وكان البابا بولس السادس قد استنكر في خطابه الرسولي الى الكاردينال روي ١٩٧١ الخطر الذي تمثله هذا الشركات . وقد عبر احد أعضاء المجمع الكنسي الروماني الذي انعقد في تشرين أول ١٩٧١

---

[١] المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

[٣] مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٤ .

[٤] روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٣ .

[٥] المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .

[٦] Deutsch, Op. Cit., P. ٢٠٣ .

قارن مع : العبطي، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

حين أعلن ان اعتى القوة في العالم (أي الشركات متعددة الجنسية) ليست أعضاء في الأمم المتحدة [1].

اعتقد البعض الاخر ان قدرة السلطة السياسية على التدخل لا تزال حاسمة في هذا المجال ، وان معظم الشركات متعددة الجنسية ليست سوى ادوات في خدمة السياسات الحكومية وتلك هي اطروحة فرانسوبيرو [2].

ان اتساع دور هذه الشركات قد يؤدي الى خطورة أكبر على الدول النامية. ان الكثير من الكتابات التي تتناول بحماس شديد فوائد التدويل تركز أساساً على ما يحدث في أوربا وأمريكا الشمالية واليابان ، فضلاً عن بعض الاقطار التي تشكل امتداداً لتلك الثلث (كوريا الجنوبية والبرازيل واستراليا) ، أما اقطار العالم الاخرى فلا تحظى الا بإهتمام ضئيل . كما يصعب قبول منطق السوق العالمية وذلك بسبب العقبات الهيكلية التي تعترض طريق الكثير من الدول النامية المعاصرة [3].

ان الاحتياجات التي تلح على دولة افريقية ذات اقتصاد زراعي محاصرة بالارض من كل الجهات ويتضاعف عدد سكانها كل خمسة وعشرين عاماً ، تتمثل كما يبدو في التخطيط العائلي والحماية البيئية والرعاية الصحية والتعليم والبنية التحتية الاساسية وهي احتياجات قد ترفض الشركات متعددة الجنسية المستندة الى السوق الحرة تمويلها [4].

فضلاً عن ذلك فاذا تمكنت دولة نامية من اعادة بناء ذاتها على النمط الشرق آسيوي وحققت ارتفاعاً في الإستثمارات الأجنبية والانتاج والصادرات ومستويات المعيشة فقد تصبح بدورها عرضة لنزوح تدريجي للمصانع الفردية فيها ، وما يستتبع ذلك من ضياع ادنى تكلفة في التصنيع والتجميع [5].

وبالنظر لما تتمتع به الشركات متعددة الجنسية من طاقة هائلة في توظيف القوة التأثيرية للدول الأم لمتابعة مصالحها الدولية بحكم القوة السياسية الفاعلة التي يتمتع بها اصحاب هذه الشركات من دولهم ، فان باستطاعتها استثمار هذه السلطة وبالطريقة التي

---

[1] مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص٤١٣ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٤١٣ .

[3] بول كيندي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٦ ، و لويد جنسن : مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٧-٢٠٠

[4] بول كيندي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٦ .

[5] المصدر نفسه ، ص٨٦ .

تعد بعض الكتاب الشركات متعددة الجنسية مسؤولة بالتواطؤ مع حكومات دولها عن كثير من المعضلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . والواقع ان احد مصادر الاهتمام بالشركات متعددة الجنسية هو حجمها الخيالي . فحجم مبيعات بعض الشركات الضخمة وارصدتها يتعدى الى حد كبير الناتج الوطني الاجمالي لكثير من الدول . ونتيجة لضخامة الموارد التي تسيطر عليها الشركات المتعددة الجنسيات ، فانها اصبحت تؤدي دوراً مركزياً في النسق الدولي ، ربما على حساب الدور الذي تلعبه حكومات دول تلك الشركات . ذلك انه بحكم سيطرتها على موارد هائلة في العديد من الدول ، فان القرارات التي تتخذها فيما يخص تخصيص المبيعات والمشتريات والاستثمارات تؤثر تأثيراً ضخماً على موازين المدفوعات وقيمة العملات. راجع : لويد جنسن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٤ .

تستطيع فيه هذه الشركات ممارسة انواع الضغوط كافة ، ولا سيما ضد دول العالم الثالث ، كالتدخل السياسي والاقتصادي والعسكري وبصورة متعددة [1].

والحق، ان الشركات متعددة الجنسية تلجأ الى وسائل عديدة في علاقاتها مع الدول الأخرى ، يمكننا ايجازها في الآتي:

١- تقوم الشركات متعددة الجنسية بتشجيع بقاء الانظمة السياسية التقليدية، ومن شأن هذه السياسات عرقلة الإصلاحات الديمقراطية التي تعد ضرورة لعملية التحديث السياسي .
٢- استغلال الموارد الطبيعية في دول العالم الثالث دون دفع هذه الدول الى مجالات التنمية
٣- تقوم الشركات متعددة الجنسية التأثير على نمط اشكال الحكومات في بعض الدول.
٤- تستخدم هذه الشركات الاداة الاقتصادية ، بغية الهيمنة الاقتصادية على وحدة سياسية معينة .

هناك مؤيدون ومعارضون لدور ونشاطات الشركات متعددة الجنسية في السياسة الدولية، وفيما يخص مؤيديها ، أنهم يؤكدون بأنها جهاز قوي يبغي تحقيق مبدأ العالمية للمجتمع الانساني ، بسبب التداخل والترابط الى درجة لم يعهد لها مثيل في الماضي ،فالشركات متعددة الجنسية ومن وجهات نظرهم انها اسهمت وتسهم في التقدم الاقتصادي والتكنولوجي في العالم، اما معارضوها، فانهم يطرحون الأمور السلبية المتمثلة في الإستغلال ، وخلق ظاهرة عدم الإستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الأقطار النامية [2].

---

[1] Joan Edelman Spero , The Politics of International Economic Relations, London : Unwin , ١٩٧٧ , pp . ١٩٩-٢٠٣ .

طلب المجلس الاقتصادي والاجتماعي في ٢٨ اذار ١٩٧٢ في القرار ١٧٢١ (LIII) من الامين العام للأمم المتحدة تعيين مجموعة من الشخصيات البارزة لدراسة دور وآثار الشركات المتعددة الجنسيات في عملية التنمية وتقديم توصيات من اجل عمل دولي مناسب .

ومن جانب اخر ، اقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الاستثنائية السادسة برنامج عمل حول النظام الاقتصادي العالمي الجديد في القرار رقم ٣٢٠٢ (٦-) تشير فقرته الخامسة ما يلي : " تنظيمات ومراقبة نشاطات الشركات متعددة الجنسيات " .

ومن ناحية اخرى ، كلفت لجنة الأمم المتحدة واستنادا للقرار ٨ / ١٩٨٢٦ الصادر في تشرين اول ١٩٨٢ حول الشركات متعددة الجنسيات المجلس الاقتصادي والاجتماعي بمواصلة اعماله حول اعداد دليل تصرف الشركات المتعددة الجنسيات . وقد تم اعداد هذه الوثيقة عام ١٩٨٤ ومن اهم ما جاء فيها : عدم تدخل الشركات المتعددة الجنسيات في الشؤون الداخلية للدول .

[2] خشيم، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨، لمزيد من التفاصيل حول الشركات متعددة الجنسية راجع: مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠١-٤٣٦.

الفصل السادس

وزارة الخارجية

بين

وظيفة التنفيذ وعملية صنع القرار

الفصل السادس

وزارة الخارجية

بين وظيفة التنفيذ وعملية صنع القرار

تعد الدبلوماسية هي احدى ادوات السياسة الخارجية، والتي تشير الى كيفية نقل قواعد السلوك السياسي الداخلي على مستوى العلاقات الدولية. بهذا المعنى، تكون امام وظيفة التنفيذ. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، ان تحقيق مصالح الدولة يكون من خلال استخدام القــوات السلمية في العلاقات الدولية، والتي تتركز حصراً في وظيفة وزارة الخارجية. كل هذا يــشير الى ان الوظيفة الرئيسة لوزارة الخارجية هي وظيفة تنفيذ الــسياسة الخارجيــة، ولا تتجــاوز وظيفة نظرية اتخاذ القرار.

إن المسئولية الرئيسة لتقديم المقترحات السياسية هي من واجبات وزارة الخارجيــة ، حيث أن لديها خبراء في المناطق الجغرافية ، والذين يقومون بتزويدها بمعلومات منها [١] .

يميل الرؤساء الذين يتوجهون إلى السياسة الخارجية إلى الإعتماد بدرجة كبيرة علــى مستشاريهم للأمن القومي ، وإعطائهم أهمية متميزة ، لقربهم من الرئيس ، بــسبب اللقــاءات اليومية المتكررة ، ومساعدتهم في تشكيل وجهات النظر الرئاسية . من هذا المنطلــق ، تــرى أن لمجلس الأمن القومي في الولايات المتحدة مكانة خاصة عند الإدارة الأمريكية بكونه الساعد التنفيذي للرئيس في كيفية الإتصال مع العالم الخارجي [٢] .

يميل الرؤساء في الولايات المتحدة الذين لهم تطلعات داخليــة ، إلــى منــح وزراء الخارجية صلاحية التفويض بالسياسة الخارجية ، ويعهد إليهم بحرية كيفية التصرف في عملية إعداد السياسة الخارجية ، ولهذا السبب يصبح مستشار الأمن القومي مديراً للموظفين ومنــسقاً للسياسات ، وبالنتيجة يكون الرئيس أكثر ميلا إلى الإستماع إلى نصائح وآراء وزير الخارجيــة وطاقم وزارته [٣] .

يقع الرئيس نيكسون ومستشار الأمن القومي هنري كيسنجر في الفئة الأولى ، حيــث برز مستشار الأمن القومي تحت القيادة الرئاسية المباشرة . لكن يقع الرئيس فــورد ، ووزيــر الخارجية كيسنجر في الفئة الثانية ، حيث كانت وزارة الخارجية في المقدمة . وكــان الــرئيس كارتر في الفئة الأولى (على الرغم من خبرته "الأولية المحدودة في الــسياسة الخارجيــة) ، وبالتالي رفع شأن مستشار الأمن القومي ، في حين أن الرئيس ريغان أظهر ميلا إلى تفــويض القسم الكبير من صنع السياسة الخارجية إلى وزير الخارجية ، بتعيين الجنرال الكسندر هيغ ثم جورج شولتز في ذلك المنصب [٤] .

---

[١] روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢١ .

[٢] زبغنيو بريجنسكي ، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية ، مصدر سبق ذكــره ، ص ٢٤ – ٢٥ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

[٤] المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

ويتباين تأثير وزارة الخارجية وفقا لعلاقة وزير الخارجية مع صاحب القرار السياسي، كالحالة مع وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق " الكسندر هيغ " الذي أول من عينه الرئيس ريغان في الوظيفة المذكورة ، ولكن محاولته للحصول على النفوذ قوبلت بالرفض من موظفي البيت الأبيض ، والنزاع البيروقراطي الداخلي التي اتسمت بها علاقات " هيغ " مع مجلس الأمن القومي وموظفي البيت الأبيض كانت في الغالب هي القاعدة وليس الإستثناء .وأعاد تعيين جورج شولتز في منصب وزارة الخارجية النفوذ إلى وزارته ، لان شولتز وريغان تشاركا الإحترام المتبادل ، ووجهات نظر سياسية متقاربة [1] .

من الواضح ، أن هاتين الفئتين ليستا دقيقتين ، لكنهما تساعدانا بصورة عامة في التمييز بين أساليب عملية صنع القرار في السياسة الخارجية المختلفة . لقد جاء جورج إتش دبليو بوش إلى الإدارة الأمريكية ، وله خبرة كبيرة في العلاقات الدولية : رئيس البعثة الدبلوماسية الأمريكية غير الرسمية في الصين الشعبية ، وسفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة ، ومدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ولمعرفته ما يريد أن يفعله ، أمام ذلك ، اختار في وظيفة الأمن القومي شخصا يشاطره نظرته في الشؤون الخارجية [2] .

فيما يخص الرئيس السابق بيل كلينتون ، لم تكن له خبرة في السياسة الخارجية ، حيث لم تكن له رؤية واضحة المعالم عن دور الولايات المتحدة في العالم الخارجي ، بسبب التأكيد على برنامجه الداخلي ، وكانت السياسة الخارجية بالنسبة إليه تحتل أهمية ثانوية في البداية . وكانت النتيجة ، عدم اشغال مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية أي مكانة في السياسة الخارجية [3] .

وبسبب تغير الظروف في ولاية كلينتون الثانية ، بدأ الأخير يولي اهتمامه بالسياسة الخارجية ، أكثر من ذي قبل . وبالتالي ملىء موقعا السياسة الخارجية الرئيسان بشخصيتين أكثر فعالية ونشاطا على المستوى السياسي ، فضلا عن انغماسه الكبير في المجال المذكور ، ولم يسمح لأي منهما الهيمنة [4] .

شهدت الولاية الثانية لكلينتون بعض التعديل ، ففي ذلك الوقت أصبح الرئيس أكثر انهماكا في السياسة الخارجية ، وأظهر فريقه لسياسة الخارجية مستوى أعلى من الفاعلية ، فقد كان ساندي بيرغر ، مستشار الأمن القومي في الولاية الثانية ، سياسيا وصديقا لكلينتون منذ أيام الجامعة وبالتالي أكثر حزما . وكانت وزيرة الخارجية الجديدة ، مادلين اولبرايت ، أكثر

---

[1] روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره : ص ٤٢٤ .

[2] المصدر نفسه ، ص ١٥ – ١٦ .

اختار الرئيس بوش الأب ، برنت سكوكروفت في ادارته للمدة الواقعة بين ١٩٨٩ – ١٩٩٣ كمستشار له للأمن القومي راجع : المصدر نفسه ، ص ٢١ .

[3] المصدر نفسه ، ص ١٦ .

[4] المصدر نفسه ، ص ١٦ .

التزاما بتوسيع حلف شمال الأطلسي ،[1] وأدخلت أفكارا جيوسياسية أكثر وضوحا إلى مداولات مجلس الأمن القومي ، مع التركيز على أوربا [2] .

أما الرئيس جورج دبليو بوش ، كان ميالا في البداية إلى تفويض عملية صنع القرار إلى شخصية مرموقة ، كاختياره كولن باول ، وكأنه يتلائم مع النموذج الأول ، لكن ذلك لم يدم طويلا ، بسبب حوادث ١١ أيلول ، في السنة الأولى من الولاية الأولى ، حيث انتقلت السياسة الخارجية إلى البيت الأبيض ، لا تهيمن عليها مستشارة الأمن القومي[3] ، وإنما نائب الرئيس ومجموعة من المسؤولين ذوي النوازع العالية في البيت الأبيض ووزارة الدفاع ، وقد وجدوا آذانا صاغية لدى الرئيس ، وساعدوه في إعادة تعريفه بأنه القائد الأعلى " لأمة في حالة حرب [4] .

---

[1] قادت وزيرة الخارجية الأمريكية ، مادلين أولبرايت ، حملة ضد صربيا في أواخر عام ١٩٩٥ ، حيث قامت القوات الصربية بسياسة التطهير العرقي الموجهة ضد الغالبية الألبانية في كوسوفو . استغلت أولبرايت بعناية الزخم السياسي الذي حققه توسيع حلف شمال الأطلسي لتشكيل إئتلاف سياسي تصلح مواجهة صربيا بخيار الإنسحاب من كوسوفو أو الطرد بالقوة ، ومن خلال التنسيق القوي بين الولايات المتحدة وأوربا ، ألحقت حملة جوية متواصلة أضرارا كبيرة بالبنية التحتية الصربية بما في ذلك العاصمة ، فيما احتشدت قوات حلف شمال الأطلسي العسكرية في ألبانيا واليونان استعدادا لحملة برية واسعة النطاق . راجع : المصدر نفسه ، ص ١٢٥ . ومادلين أولبرايت : مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا إستعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

كانت مداولات السياسة الخارجية في البيت الأبيض في عهد كلينتون أشبه " باجتماع لتناول القهوة وتبادل الحديث " من المفهوم المعقد لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية على مستوى عال . وكانت تنطوي على اجتماعات طويلة دون جدول أعمال محدد ، ونادرا ما كانت تبدأ أو تنتهي تبعا للموعد ، وتتسم بالمشاركة العفوية لمختلف المسؤولين في البيت الأبيض . كان بعض المشاركين معنيين بالشؤون الداخلية بالدرجة الأولى ، ويحضرون مداولات مجلس الأمن القومي بناء لرغباتهم ، ويتدخلون في مداولات السياسة الخارجية متى شاؤوا . وقد صعب ذلك الأمور على مستشار الأمن القومي إذ لم يكن واضحا دائما ما الإجراءات التي تحتاج لاحقا إلى تنفيذ وتنسيق بين الهيئات المختلفة . راجع : المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

بالمقابل ، عمل مجلس الإقتصاد القومي الذي أنشىء حديثا بطريقة أكثر انضباطا ومهنية ، ربما لأن السياسة الخارجية ميدان يشعر أي كان تقريبا بأنه مخول التعبير عن رأيه فيه ، في حين أن الاقتصاد والمالية مختصين أكثر بالعلماء . وكان من الواضح وجود مسؤول مسيطر برتبة وزير ، وتجلت أهمية ذلك عندما واجهت إدارة كلينتون الأزمتين الماليتين في المكسيك ، وجنوب شرق آسيا . راجع : المصدر نفسه ، ص ٩٤ – ٩٥ .

[3] اختار الرئيس بوش الإبن في إدارته الثانية ، ستيفن هادلي مستشارا له للأمن القومي وذلك في عام ٢٠٠٤ . راجع : المصدر نفسه ، ص ٢١ .

[4] المصدر نفسه ، ص ١٦ – ١٧ .

يقول في هذا المجال ، جون نيكولز في كتابه عن ديك تشيني رئيس أمريكا الفعلي : " جورج دبليو بوش لا يقرأ الصحف ولا يشاهد كثيرا من الأخبار التلفزيونية . يقول أنه يعتمد على مساعديه في تزويده بالمعلومات التي يحتاج إليها " . راجع : جون نيكولز ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١١ .

تواصل هذا النموذج في ولاية بوش الثانية ، وعزز استبدال مستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس في الولاية الأولى بوزير الخارجية الدور التكتيكي لوزارة الخارجية في هيكلية عملية صنع القرار الذي لا تزال تهيمن عليه مجموعة المسؤولين نفسها الذين استجابوا لأحداث ١١ أيلول ببث الشعور بالمهمة التاريخية (شبه الدينية) في دور الرئيس[١] .

وهذا يعني ، أن الرئيس بوش الإبن اتبع أسلوبا من أعلى إلى أسفل في إدارة السياسة الخارجية وحصرها في دائرة ضيقة من صناع القرار الكبار المعروفين شخصيا ، حيث تولى بوش القيادة في اتخاذ القرارات ، وشكل مستشار الأمن القومي الثانية الأذن الثانية[٢] .

من هنا يمكن القول ، أن جورج بوش الأب كان الأكثر خبرة ومهارة في الدبلوماسية، لكن لم يكن يسترشد بأي رؤية واضحة في لحظة تاريخية غير تقليدية ، وكان بيل كلينتون "الأكثر براعة وتطلعا إلى المستقبل لكنه كان يفتقر إلى الإتساق التاريخي في استخدام القوة الأمريكية ، أما بوش الإبن ، فإنه يتميز بعدم معرفته بالتعقيدات العالمية ، ومزاجيته إلى الصيغ العقدية [٣] .

نستنتج من ذلك أن الرؤساء يضعون مبدئيا مسئولية السياسة الخارجية على عاتق وزير الخارجية ، غير أنه في بعض الدول كالحالة مع الولايات المتحدة ، نرى أن مستشاري الأمن القومي الأقوياء مثل كيسنجر وبريجنسكي صادفا صعوبة ضئيلة في تحقيق الهيمنة من خلال كسب ثقة الرؤساء الذين كانا في خدمتهم . ومن الأسباب الرئيسة للنزاع في أية إدارة أمريكية هو اهتمام موظفي البيت الأبيض بالإيحاءات السياسية للقرارات السياسية القصيرة المدى ، بينما تركز وزارة الخارجية على محافظة العلاقات وتطويرها مع الدول الأخرى على أساس المدى البعيد [٤] .

الا انه في بعض النماذج الدولية ، كالحالة في انموذج وزارة الخارجية الأمريكية، نرى تنامي دور هذه الوزارة وعلى حساب الأجهزة الأخرى في عملية صنع القرار والتي تمثلت في ادارتي جون كيندي وريتشارد نيكسون، من هذا المنطلق، يوضح هذا الفصل مدى العلاقة الفاعلة بين وظيفة التنفيذ، وعملية صنع القرار في إنموذج وزارة الخارجية الأمريكية .

---

[١] المصدر نفسه ، ص ١٧ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٧ – ١٨ .

تعكس تراجع أهمية الشؤون الدولية في اولويات كلينتون بشكل ظاهر بالفارق الكبير بين مذكرات بوش الأب ، ومذكرات كلينتون ، فقد كرس كتاب مذكرات بوش الأب الذي يبلغ عدد صفحاته ٥٦٦ صفحة (كتبه مع مستشاره للأمن القومي) للشؤون الخارجية حصرا ، مع بعض التفاخر في منجزات المؤلفين ، بل أنه لم يأت على ذكر خدمة بوش في الحرب ، واختار كلينتون بدلا من ذلك كتابة رواية مطولة عن حياته ، أوجز فيها إدارته الشؤون الخارجية طوال ثماني سنوات بشكل سطحي لم يتجاوز ١٥ % من إجماليها ، بل أن وزير خارجيته في ولايته الثانية ، وكانت أكثر نشاطا من سلفها ، خصصت قسما كبيرا من مذكراتها لأحداث شخصية ليس لها صلة مباشرة بستراتيجية السياسة الخارجية وتنفيذها . راجع : المصدر نفسه ، ص ٩٢ – ٩٣.

[٤] روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٤ .

<u>أولاً</u> : الدبلوماسية كأداة من أدوات السياسة الخارجية.

يقسم هيرمان أدوات السياسة الخارجية الى ثمان، هي: الأدوات الدبلوماسية والأدوات الإقتصادية والأدوات العسكرية والأدوات السياسية الداخلية والأدوات الاستخباراتية والأدوات الرمزية والأدوات العلمية والتكنولوجية والموارد الطبيعية[1].

تندرج تحت الأدوات الرمزية مجموعة من أدوات السياسة الخارجية التي تتضمن محاولة التأثير في أفكار الآخرين ، وتشمل تلك الأدوات مجموعة من الأدوات الدعائية والأيديولوجية والثقافية. وفيما يخص الأدوات الدعائية فإنها تكون موجهة في التأثير على مفاهيم الأفراد العاديين والنخب غير الرسمية في الوحدات الدولية الأخرى . وهي تهدف أساسا إلى من توجه إليهم الدعاية على تأييد أو رفض اتجاه أو سلوك معين ، كالحالة في كيفية إقناع الرأي العام الأمريكي في التعاطف مع القضية الفلسطينية في الشرق الأوسط . أما الأدوات الأيديولوجية فإنها تنصرف إلى إشاعة رأي مثالي على نطاق واسع لما ينبغي أن يكون عليه في المستقبل ، كمحاولة نشر المعتقدات الشيوعية ، أو المفاهيم الرأسمالية ، وغيرها من المفاهيم الأخرى . وهناك تباين بين الأدوات الثقافية والأدوات الدعائية والأيديولوجية ، في كون الأولى ، أنها تؤكد في إستغلال الموروث الثقافي في التأثير على الوحدات الدولية الأخرى ، كإقامة العروض الثقافية في الخارج ، وإشاعة المفاهيم القومية على مستوى العالم الخارجي ، وغيرها من الأنشطة[2].

وجد هيرمان أن الدول النامية بصورة عامة، هي اقل الدول توظيفا للأدوات سالفة الذكر في حين أن الدول المتقدمة هي أكثر توظيفا لها. وجد هيرمان من دراسته لتكرار إستعمال أدوات السياسة الخارجية ، أن الكيان الصهيوني والولايات المتحدة هما أكثر الوحدات الدولية توظيفا للأدوات العسكرية ، في حين وجد أن الصين الشعبية وكوبا ، أكثر الدول توظيفا للأدوات الدعائية . وتبعا لذلك فقد "قام هيرمان من تطوير مقياس التركز Concentration Index وهو مقياس يحدد درجة إستغلال الوحدة الدولية لأداة واحدة أو لأدوات متعددة في سياستها الخارجية ، والمقياس هو حاصل مربعات نسب توظيف كل من أدوات السياسة الخارجية الثمان . ويتراوح المقياس بين واحد صحيح مما يعني أن الدولة توظف أداة واحدة في سياستها الخارجية ١٢٥و ، بما يعني أن الدولة تستعمل كل الأدوات بالتساوي. فإذا كانت الدولة توظف الأدوات بالنسب التالية : الأدوات الدبلوماسية (٤٥ %) ، والأدوات العسكرية (١٤ %) ، والأدوات الإقتصادية (١١%) ، والأدوات السياسية الداخلية (٣ %)، والأدوات الرمزية (٩ %)، والأدوات الإستخبارية(٦ %)، والأدوات

---

[1] نقلا عن الدكتور محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١ – ٩٤ . يقصد بالموارد الطبيعية جميع الموارد المتاحة للمجتمع والتي تكون هبة خالصة من هبات الله وليس للإنسان دخل في وجودها ومن أمثلة تلك الموارد الأراضي الزراعية ، والغابات ، وما تحتويه الأرض في باطنها من معادن وما تظهره من أشجار . وقد تستعمل الموارد الطبيعية كأداة من أدوات السياسة الخارجية . والمثال على ذلك : حظر تصدير النفط العربي إلى بعض الأقطار الغربية في عام ١٩٧٣ ، وعرض الرئيس أنور السادات بتحويل بعض مياه النيل إلى الكيان الصهيوني في عام ١٩٨٠ . راجع : المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

[2] نقلا عن المصدر نفسه ، ص ٩٣ – ٩٤ ، و Henderson , p . ٢٠١ – ٤

الطبيعية (٨ %)، فإن مقياس التركز بالنسبة لها هو (٤٥ و ٠)٢ +١٤ ٢ و ٠)٢ +(١١ و ٠) +(٣ ٠ و ٠)+ (٢ +٩ ٠ و ٠) + (٦ و ٠) ٢ +(٤ ٠ و ٠) +(٨ ٠ و ٠) = ٢٦ و ٠ [1].

إن طبيعة الأدوات المستخدمة تتفاوت طبقاً لمراحل عملية السياسة الخارجية . فمن المتصور أن تستعمل الدولة أدوات معينة في مرحلة جمع المعلومات (كالأدوات الإستخبارية)، ولكنها تلجأ إلى أدوات أخرى حين تطبق السياسة الناشئة عن جمع تلك المعلومات (كالمهارات الدبلوماسية والقدرات العسكرية) [2] .

ينطوي تطبيق السياسة الخارجية عادة على توظيف مجموعات مختلفة من تلك الموارد والمهارات ، كأن تلجأ الدولة إلى إستعمال العمل الدبلوماسي ، والقدرات العسكرية ، والقدرات الإقتصادية في آن واحد لتحقيق هدف معين ، كما حدث بالنسبة للأقطار العربية في حرب تشرين الأول من عام ١٩٧٣ . ولكن القدرات الدبلوماسية هي بصورة عامة من أكثر أدوات السياسة الخارجية إستعمالا ، ثم تلي في الأهمية الأدوات الإقتصادية وأخيرا الأدوات العسكرية . كذلك فإن الدول قد تتجه إلى توظيف أداة معينة من أدوات السياسة الخارجية [3] .

إذا كانت السياسة الخارجية هي فن قيادة علاقات دولية ما بغيرها من الدول، فإن الدبلوماسية هي القيام بالتنفيذ والتطبيق للبرنامج المحدد من خلال عمل منهجي ويومي عن طريق المفاوضات أو في الأقل المحادثات التي تجري بين الدبلوماسيين بعضهم بعضاً أو بين الدبلوماسيين ووزراء الخارجية[4].

إلا أن هذه الرؤية للدبلوماسية، وفي أقل تقدير في الولايات المتحدة، تكون قد تأثرت بنظرة الرئيس للسياسة الخارجية، وعلى سبيل المثال، فإن هذه السياسة على عهد روزفلت اتسمت بعدم الوضوح، إلى درجة أدت إلى إرباك أقرب مستشاريه، فقط كانت هناك مسألة واحدة، كانت واضحة، هي رفض الرئيس في اتخاذ موقف عدائي ضد السوفيت بصورة صارخة، مما أثار سخط بعض الدبلوماسيين في وزارة الخارجية، ولاسيما أفريل هاريمان السفير الأمريكي لدى الإتحاد السوفيتي، لأن كلا من هاريمان وتشرشل وترومان فيما بعد كان لهم اعتقاد أن الاتحاد السوفيتي سوف يؤكد طموحاته ونفوذه في السياسة الدولية، الأمر الذي ولد قناعة عندهم استحالة التعاون معه؛ في الوقت الذي نرى أن الرئيس روزفلت كان ضد هذه الإفتراضات. بل أكثر من ذلك انه رأى من المنطقي أن يشعر السوفيت بالقلق تجاه نوع الحكومات الموجودة على الحدود القريبة للاتحاد السوفيتي، مما حدى به مناقشة مطالب السوفيت في أوربا الشرقية، فضلاً عن ذلك، كان هناك افتراض آخر وافق عليه تشرشل نفسه، يخص مفهوم ستالين في بداية عام ١٩٤٥ والمتضمن: كل من يحتل منطقة يحق له أن يفرض عليها نظامه السياسي الخاص، إلا أن تشرشل الذي كان من منظري هذه السياسة ومن مؤيديها في إيطاليا واليونان، سرعان ما شجب مبدأ ستالين هذا في شرقي أوربا[5].

---

[1] نقلا عن المصدر نفسه ، ص ٩٤ – ٩٥ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

[4] مارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة الدكتور حسن نافعة، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٦ ، ص٣٢٨.

[5] ستيفن إي. أمبروز ، الارتقاء إلى العالمية السياسة الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٣٨ ، ترجمة نادية محمد الحسيني ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة، ١٩٩٤، ص٥٦.

استمر هذا الاحساس في عداء السوفيت ولاسيما في وزارة الخارجية، ولكن جورج كينان برغم ان وظيفته في وزارة الخارجية كانت على الهامش، وذلك في مطلع عام ١٩٤١، عبر عن رفضه للسياسة السائدة للرئيس، من المحتمل هذا ان الراي الذي عبر عنه كينان، كان هو السائد في اوساط الخارجية الأمريكية، الا ان الأخير لم يكن الموجه الرئيس للسياسة الخارجية الأمريكية، لذا استمر روزفلت في امداد الروس على سبيل الاقراض والايجار وتأييد ستالين معنويا ولكن تحت الحاح وزارة الخارجية رفض طلب ستالين في عام ١٩٤١ عقد إتفاقية تعترف بالاقاليم التي فاز بها الروس في ظل المعاهدة الدولية بين السوفيت والمانيا النازية بحجة انه بالامكان تسوية المشكلات الاقليمية بعد انتهاء الحرب، ولكن في ما عدا تلك المسالة عمل روزفلت على التعاون مع ستالين ضد عدوها المشترك[2].

في نهاية الامر، نرى ان سياسة الضغوط الاقتصادية التي مارستها الولايات المتحدة ضد ستالين تكون قد اخفقت، ففي كانون الثاني ١٩٤٥ طلب ستالين قرضاً قيمته ٦ بلايين دولار، ولكن وزارة الخارجية رفضت مناقشة الطلب، الا اذا اصبح ستالين اكثر تفهماً ازاء مطالب الولايات المتحدة في أوربا، وعلى حد تعبير هاريمان الذي قال "يجب مساعدة السوفيت فقط اذا وافقوا على التعاون معنا في حل المشاكلات الدولية طبقاً لمعاييرنا". وفي نهاية عام ١٩٤٥ طلب السوفيت قرضاً قيمته بليون دولار، ولكن الادارة الأمريكية فقدت طلب القرض، وعندما تم العثور عليه بعد عدة اشهر، عرضت وزارة الخارجية مناقشة القرض إذا تعهد السوفيت بعدم التعصب او التمييز في مجال التجارة الدولية وذلك بالسماح للاستثمارات والسلع الأمريكية بدخول مناطق نفوذ الإتحاد السوفيتي، الا ان ستالين رفض هذا العرض[3].

أخذ نجم كينان يتصاعد ونفوذه يتزايد في وزارة الخارجية بعد انتهاء الحرب، كما اسند اليه مارشال منصب رئيس هيئة تخطيط السياسة، والحق، ان هناك عوامل عديدة ساعدت على بروز اهمية كينان والخارجية الأمريكية، برقية من سبعة آلاف كلمة ارسلها من موسكو للتحذير من نيات الإتحاد السوفيتي بعد انتهاء الحرب واستقبل تحذيره استقبالاً كبيراً لا قراء ترومان، كما أمر فورستال باعادة طبعه كونه احدى القراءات الضرورية لآلاف الضباط المسؤولين، ومن هنا تبنى ترومان سياسة "الإحتواء"[4] التي تبناها كينان، الأمر الذي ادى الى صعود أهمية وزارة الخارجية في السياسة الخارجية[5].

---

[2] المصدر نفسه، ص٤٧.

[3] المصدر نفسه، ص٩٥.

[4] تبنت السياسة الخارجية الأمريكية سياسة الإحتواء Policy of Containment بعد الحرب العالمية الثانية، وكان رائدها جورج كينان الخبير الدبلوماسي في الشؤون السوفيتية، وقد تبناها الرئيس ترومان مضيفا اليها بعداً أيديولوجيا يتمثل بضرورة الدفاع عن العالم الحر.
وقد قامت سياسة الإحتواء على تحليل اهداف السياسة الخارجية السوفيتية، والتعرف على تصور السوفيت ان الغرب الرأسمالي هو العقبة الرئيسة امام انتشار الفكر الشيوعي، تضمنت مفردات سياسة الاحتواء في : مبدأ ترومان ومشروع مارشال وحلف شمال الاطلسي واعادة صياغة السياسة الخارجية الأمريكية ابتداءا من عام ١٩٥٠. راجع: د.حسين شريف، مصدر سبق ذكره، ص٥٢،٤٣.

[5] ستيفن أي . امبروز، مصدر سبق ذكره، ص١١٦، عندما وصل نفوذ جورج كينان داخل الإدارة الأمريكية الى القمة، قام بنشر مقالة في مجلة العلاقات الخارجية" بعنوان "مصادر السلوك السوفيتي" بتوقيع "مستر اكس" فقط، ولكن سرعان ما عرف اسم المؤلف، وسرعان ما اصبحت الوثيقة شبه الرسمية للسياسة الخارجية الأمريكية . راجع: المصدر نفسه، ص١٣١.

وازاء تعدد ابعاد السياسة الخارجية من دبلوماسية الى عسكرية وثقافية وعلمية فقد تم ادخال بعض التغيرات التنظيمية والوظيفية على وزارة الخارجية بجميع هذه الأبعاد، واصبحت هذه الإتجاهات واضحة في تصريحات ماكجورج باندي مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي الذي اكد: ".. ان ادواتها الأخرى التي تتركز في الجوانب الاقتصادية والثقافية والعسكرية.. ان المسؤول الأول في ذلك هو وزير الخارجية"[1].

ثانيا : كيندي ووزارة الخارجية

وقد طرأ تغيير على هذا الإتجاه على عهد الرئيس كيندي[2] الذي أولى عناية كبيرة بالسياسة الخارجية فضلاً على اعتماده على وزراء الخارجية في إدارة العلاقات الخارجية[3] ولاسيما اذا عرفنا، ان الخارجية الامريكية تأثرت في الخمسينات من القرن الماضي بمفهوم " من ليس معنا فهو ضدنا"، ومن هنا جاء دور وزراء الخارجية في سياسة إحتواء الاتحاد السوفيتي، وقد جاء في اثر المنطلقات الجديدة للسياسة الخارجية الأمريكية في آسيا وافريقيا، وظاهرة الإنقلابات العسكرية في أمريكا اللاتينية[4].

وعلى هذا الأساس، فقد أكد كيندي في علاقته مع دول العالم الثالث على الأدوات الاقتصادية والفنية، اتضح هذا فعلاً من خلال الرسالة التي وجهها كيندي الى الكونغرس الأمريكي ٢٢آذار ١٩٦١ التي جاء فيها: "ان امتنا يجب ان تبدأ في مناقشة المساعدات الخارجية".

---

[1] ودودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره، ص٨٨-٨٩.

أن منصب وزير الخارجية لم ينشأ الا في عام ١٦٢٦ في فرنسا وعلى عهد لويس الرابع عشر، سمح بتوزيع الصلاحيات بين الإدارات الوزارية بإعطاء احد امناء سر الدولة الأربعة مسؤولية مجموعة العلاقات الخارجية، وكان شاغل هذا المنصب الأخير يحتفظ بصورة غريبة بيد عليا على ادارة بعض مقاطعات المملكة. راجع: مارسيل ميرل ، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره ، ص١٥.

يقول ريتشارد نيكسون : (أن حقبة الحرب الباردة لم تشهد سوى ثلاثة وزراء خارجية عظام هم أتشيسون وفوستر دالاس و كسينجر ، وعانى ثلاثتهم من انعدام ثقة البيروقراطية) . وفي حديث صحفي لوزير الخارجية السابق جيمس بيكر لمجلة تايم حول دور وزير الخارجية ، الذي أشار : (انني أعتقد أن أكون الرئيس في وزارة الخارجية ولست رجل الخارجية في البيت الأبيض) . راجع : مذكرات جيمس بيكر ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٧ .

[2] تأثر مفهوم كيندي للسلك الدبلوماسي ودور الدبلوماسية في إعداد السياسة الخارجية وصنع قراراتها بخبرة والده حين كان سفيراً في الولايات المتحدة في بريطانيا، اذ كان يؤكد دائماً عدم علم وزارة الخارجية بما يجري في سفاراتها، فضلاً على جولة كيندي في جنوب شرقي اسيا عندما كان عضواً في الكونغرس الأمريكي عام ١٩٥١ تركت لديه اعتقاداً بان المسؤولين في السلك الدبلوماسي يفتقرون الى معلومات قليلة في الدول المعتمدة لديها هؤلاء، مع هيمنة الاتجاه البيروقراطي والتقليدي على تفكير هؤلاء الدبلوماسيين . راجع: ودودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره، ص١٠٤-١٠٥.

[3] المصدر نفسه، ص٨٩.

[4] المصدر نفسه، ص١١١.

وقد أشار كينيدي في رسالته هذه إلى مدى التمييز بين المساعدات الاقتصادية والاجتماعية وبين المساعدات العسكرية[1].

[1] المصدر نفسه، ص١١٢.

يعد وزير الخارجية حلقة الوصل بين دولته والدول الأخرى، فمن خلاله يتباحث مبعوثو الدول الأجنبية في كل ما يهم دولهم، ومبعوثي دولته يتولى شؤونها في الخارج ورعاية مصالحها في الدول الأخرى، ولوزير الخارجية صفة تمثيلية رسمية في المحيط الدولي تسمح له بالتفاوض عن دولته في كل ما يتصل بها وبتوقيع المعاهدات والاتفاقيات الدولية باسم رئيس الدولة. راجع: الدكتور علي صادق أبو هيف ، القانون الدولي العام، ط٧، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٤، ص٥٣٤، والوتيز، مصدر سبق ذكره، ص٢٩٢، ود. حسين شريف، مصدر سبق ذكره، ص٢٠.

وفي هذا المجال، يقول جوزيف باركي: "أن وزير الشؤون الخارجية الوحيد الذي يقوم بعمل شخصي، من بين أعضاء الحكومة، حتى وإن كان يتقاسم اليوم جزءاً من صلاحياته مع وزراء "فنيين" آخرين، فإنه مع ذلك الوحيد الذي لا يمارس سوى الدبلوماسية الذي يجد نفسه متورطاً شخصياً في كل لحظة في العلاقات مع الخارج . راجع: مارسيل ميرل : السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص١٣٢.

عن دور وزير الخارجية في السياسة الخارجية: راجع: الدكتور فاضل زكي محمد ، الدبلوماسية في عالم متغير ، بغداد، ١٩٩٢، ص١٩٧-١٩٨.

فضلاً عن ذلك ، فإن لمساعدي وزير الخارجية في الولايات المتحدة دوراً كبيراً في السياسة الخارجية، ويكفي هنا أن نستشهد بجورج بول مساعد وزراء الخارجية الأمريكية على عهد كينيدي وجونسون، إذ كان له التأثير فيها في أزمات عديدة منها أزمة كوبا وفيتنام وقبرص. (أن جورج بول George Ball ، هو أحد أعضاء النخبة المتمرسين منذ عام ١٩٦٧ ، وخدم مساعداً لوزير الخارجية الأمريكية في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق كينيدي ، ثم أصبح مصرفيا متخصصا في مجالات الاستثمار حيث عمل رئيساً لشركة ليمان برودرز كون لويب Lehman Brothers Kuhn Loeb) . راجع : عبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤٨) ، وهذا يعني أن السياسة الخارجية الأمريكية في هذه الحقبة هي خليط من الاعتبارات الموضوعية والشخصية.

يميز هذا العمل، التركيز على النمط الثاني في وزارة الخارجية الأمريكية بعيداً عن إلقاء الضوء على وزراء الخارجية، ومع ذلك قريباً جداً من عملية صنع القرار في السياسة الخارجية وكان لهذا الشخص -جورج بول- أثره بعد خروجه من الوزارة ولمدة خمسة وعشرين عاماً على كثير من رؤساء الجمهورية ووزراء الخارجية الأمريكيين . قرر الرئيس كارتر الاستعانة بخبرة جورج بول وتعيينه بصفة مستشار في الشؤون الإيرانية بوزارة الخارجية . كان بول يتمتع فعلاً بخبرة طويلة وجيدة بشؤون إيران كموظف حكومي ومن ثم كمحام أيضاً ، وكان قبل مدة قصيرة في زيارة لطهران بصفته عضواً في مؤسسة " إخوان ليمان " للاستثمارات . كان بول يشعر بنوع من العطف على شاه إيران محمد رضا إلا أنه كان واقعياً بما فيه الكفاية ليدرك أن انهيار النظام بات وشيكاً ، وأن المصلحة تقضي بالسعي من أجل قيام حكومة إئتلافية في إيران تسمح للعناصر والفئات السياسية المعتدلة بالاستيلاء على السلطة قبل أن ينجح الثوار بالوصول إلى هدفهم .. في هذا الشأن يقول السفير الأمريكي الأسبق في طهران وليم سالفان : " في النهاية لم تؤدي تلك المساعي والمحاولات إلى نتيجة مجدية بسبب رفض البيت الأبيض للتوصيات والاقتراحات التي قدمها جورج بول في تقرير مفصل لم تزودني واشنطن بنسخة منه ، وإنما اطلعت على محتوياته من جورج بول مباشرة أثناء حديث شخصي معه بعد إحالتي على التقاعد " . راجع : عبد الحي يحيى زلوم ، نذر العولمة ، مطبعة الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٩ ، ص ٣٤٨ . ووليم سالفان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٠ - ٢١١ و

Bill, James, George: Behind the Scenes in U.S. Foreign Policy, New Havan,Ct. Yale University Press, ١٩٩٧.

كان هناك اتجاه في الولايات المتحدة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية أن وزراء الخارجية الأمريكية يقومون بواجبات التفاوض وليس كمخطط للسياسة الخارجية ، والأكثر من هذا نظر إليها في كونها تقوم بحل القضايا المحدودة عندما تظهر أكثر منه كحامل لستراتيجية معينة بوضوح شكل الأهداف.

وقد أكد كيندي، أن التهديد الشيوعي في معظم أنحاء العالم لايأتي من الخارج، وإنما من القوى الداخلية، وعليه فقد انتقل من مفهوم المساعدات العسكرية الى مفهوم المساعدات الإقتصادية التي عدت من وجهة نظره الأداة الفاعلة في السياسة الخارجية، ولكن عندما عرض هذا الموضوع على مجلس الأمن القومي الأمريكي في مستهل عام ١٩٩٢ عارضه وزراء الخارجية والدفاع وهيئة أركان الحرب. وقد لاحظ كيندي ، أن المعضلات التي تواجهه لا تعطيه الرخصة في صراع جديد لعرض تعزيز هذا المبدأ . وهنا لابد من الإشارة الى حقيقة أن تركيز كيندي على أهمية المساعدات الخارجية جاء في ظل ضعف الانموذج الأمريكي أمام تفوق الانموذج السوفيتي في هذا المجال[1].

وتتمثل البرامج الإقتصادية ومفهوم المساعدات عند كيندي في هيئة التنمية الدولية وفرق السلام[2] إذ أن الأخيرتين أصبحتا من احدى الهيئات التابعة لوزراء الخارجية الأمريكية والمسؤولة عنها[3][4] . إن هيئة التنمية الدولية قد أخفقت في السياسة الخارجية، بسبب موقف الكونغرس من موضوع المساعدات الخارجية، أن صراع هاملتون مع الكونغرس في قضية المساعدات الخارجية الذي أدى الى إستقالته واضح في هذا المجال.

والحق ، كان للخصائص التي تميزت بها وزارة الخارجية الأمريكية أثرها الكبير في اداء هذه الهيئة لوظائفها ومشاركتها في إعداد السياسة الخارجية وصنع قراراتها، فقد كان هناك تأثير للبيروقراطية وللنمط التقليدي السائد على قبول أهداف هذه الهيئة، فضلاً على خلافات

---

[1] ودودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره ، ص١١٤ – ١١٥ .

[2] في الأشهر التي تلت تنصيب جون كيندي ، صقل الأخير صورة الولايات المتحدة بإنشاء تحالف التقدم ، وفيالق السلام ، والوكالة الدولية للتنمية ، وأعلن عن تجميد التجارب النووية في الجو ، ونقل رغبته في " السلام " ، السلام الذي يجعل الحياة على الأرض تستحق الحياة .. لا السلام للأمريكيين فقط ، وإنما يجعل الحياة كما سماها كيندي ، وإنما السلام لكل الرجال والنساء ، لا السلام في زمننا بل السلام في كل الأزمان ، أدرك جون كيندي أن على الأمريكيين ممارسة الدبلوماسية الفعالة في كل قارة ، وكان من المؤيدين المبكرين لإستقلال المستعمرات في أفريقيا وآسيا ، فعد بطلاً في أماكن مثل الجزائر وكينيا وأندونيسيا . راجع : مادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا إستعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

[3] مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوورد ، الجبروت والجبار تأملات في السلطة ، والدين ، والشؤون الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٢ .

[4] في خطاب التنصيب ، تعهد كيندي بالتزام الولايات المتحدة ، أمام الشعوب المقيمة في الأكواخ والقرى في كل أنحاء العالم وهي تكافح لكسر الفقر الجماعي .. وبذل أفضل جهودنا لمساعدتها لكي تساعد نفسها ، أيا تكون المدة التي يتطلبها ذلك – لا لأن الشيوعيين ربما يفعلون ذلك ، ولا لأننا نريد أصواتها ، وإنما لأن ذلك صحيح . راجع : المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

[1] ودودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره ص١١٧.

نشأت بين العاملين في مجال المساعدات الإقتصادية والعاملين في المكاتب الجغرافية في وزارة الخارجية، وقد انصبت هذه الخلافات على الأهداف السياسية قصيرة المدى والأهداف الاقتصادية طويلة المدى وعلى التنمية السياسية والأمن العسكري والنمو الإقتصادي الذي ظهر بصورة خاصة في أمريكا اللاتينية[1].

إن هيئة التنمية الدولية لم تحقق أهدافها في السياسة الخارجية وذلك للأسباب التالية[2]:

١. ضعف العلاقة بين العاملين في هيئة التنمية الدولية في الخارج وأعضاء السلك الدبلوماسي.

٢. عدم التقويم السليم للظروف الدولية.

٣. التحالف من اجل التقدم، فقد اعتقد كيندي ان برنامج التحالف من اجل التقدم يمثل احدى المحاولات لجذب دول أمريكا اللاتينية بعيداً عن مثل هذا التغلغل مع الحصول على تأييد هذه الدول للولايات المتحدة.

ومن جانب آخر، فقد اكد كيندي انشاء فرق السلام كهيئة تابعة لوزارة الخارجية بمقتضى اللائحة التنفيذية التي اصدرها في عام١٩٦١، وكان السبب في انشائها تنمية السلام الدولي طبقاً للمفهوم الأمريكي والتعاون عن طريق فرق السلام مع الشعوب المتخلفة من خلال ارسال متطوعين من الرجال والنساء من الشعب الأمريكي من ذوي الخبرة الفنية في المجالات المختلفة التعليمية والعلمية والزراعية الذين يكونون على استعداد للعمل في الظروف الصعبة اذا اقتضى الأمر لمساعدة هذه الشعوب وتحقيق مستوى افضل من الفهم المتبادل بين الشعب الأمريكي وهذه الشعوب.. لن تكون لها صفة سياسية في العالم او اتجاه للتدخل في الشؤون الداخلية للدول وسيتم القضاء على اية محاولة لاستخدامها بوساطة وكالة المخابرات المركزية، سرعان ما اصبح المتطوعون فيها يعملون في ٤٦ دولة نامية، وقد نجحت هذه الفرق في مهمتها وذلك للعوامل الآتية[3]:

١. الابتعاد في المشاركة في النواحي السياسية.

٢. استقلال هذه الفرق عن هيئة التنمية الدولية.

٣. طبيعة الأفراد العاملين فيها.

وفي هذا المجال صرح دين راسك في٢٠شباط١٩٦١ قائلا: .. ان اللائحة التنفيذية التي الغت هيئة تنسيق العمليات لدليل على انه يتوقع ان تقوم وزارة الخارجية بدور الزعامة

---

[1] المصدر نفسه، ص١٢٣ .

[2] المصدر نفسه، ص١٢٣.

[3] المصدر نفسه، ص١٢٧-١٢٩.

أعار سارجنت شرايفر ، المدير الأول لفيالق السلام أحد الأقلام التي يستخدمها الرئيس كيندي قبل اثنين وثلاثين عاما لتوقيع تشريع فيالق السلام ، وقد استخدمه مرة ثانية الرئيس كلينتون لجعل الفيالق الأمريكية تبصر النور ، وخلال الخمس سنوات التالية من وجهات نظر كلينتون سينضم قرابة ٢٠٠ الف شاب أمريكي الى صفوف الفيالق الأمريكية وهو عدد أكبر من العدد الذي خدم طوال التاريخ فيالق السلام على مدى اربعين عاما . راجع : كلينتون ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٥٧ .

في السياسة الخارجية[1] على هذا فإن هناك مسؤولية كبرى تقع على عاتقنا هنا وهي لا تخص فقط تنمية سياسات جديدة، وإنما التأكيد من أنه يتم تنفيذها[2]...

---

[1] المصدر نفسه، ص٨٩.

حين كان وزير الخارجية دين أتشيسون موضع انتقاد شديد بسبب سياسته الخارجية (قام دين أتشيسون بإبلاغ الشعب الأمريكي في العام ١٩٤٦ ، بعد أن كان النظام الوطني قد تعرض للانهيار ، وكانت حرب أخرى قد خيمت تسعافية أولئك الذين حملوا مسؤولية إخفاقه – النظام الوطني – بأن الحاجة إلى بذل الجهد ستبقى معنا على الدوام ، بدأ كما لو أن مشاغل الولايات المتحدة ومتاعبها كانت بلا نهاية ، بدا قدر الولايات المتحدة محصوراً بالكفاح المطرد . راجع : كارل إي . سميث و ماغوث لايت ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٦ .) على عهد هاري ترومان(١٨٨٤ – ١٩٧٢) الرئيس الثالث والثلاثين للولايات المتحدة (١٩٤٥ – ١٩٥٣) كان نائباً للرئيس روزفلت وتولى الرئاسة عند موته ، في عهده قصفت اليابان بالقنابل الذرية ، وتم حلف شمال الأطلسي وأطلق مشروع مارشال . راجع : نعوم تشومسكي ، سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩١ .) ، لم يكن أكثر من ٢٣% من الأمريكيين يعرفون اسم وزير الخارجية (كان دين أتشيسون رجلاً لامعاً لكنه غير عاطفي ، كتب في عام ١٩٦٥ قائلاً : " أن الكثير من المشاكل ينشأ من الدافع التجسيمي إلى أن نعد الأمم أفراداً ونطبق على سلوكنا الوطني القاعدة الذهبية مثلاً – مع أن الأفراد نادراً ما يعتمدونها ، والحق ، أن الأمم ليست أفراداً، فإن السبب والمسبب لأفعالها ونتائجها مختلفان تماماً " . راجع : مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ونوورد :الجبروت والجبار تأملات في السلطة ، والدين ، والشؤون الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٤ .) . راجع: تومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها، في مكريدس، مصدر سبق ذكره، ص٥٦. والحق ، ترأس أتشيسون وترومان حقبة من القيادة الأمريكية النشيطة في إدارة القضايا الدولية ، حيث ضمت إنجازاتهما من وجهة نظر بعض الأمريكيين محل تقدير واحترام في الوقت الحاضر . ومع ذلك واجه أتشيسون جملة من الإنتقادات من خصومه السياسيين ، وفي كثير من الأحيان دخل في خلافات مع الكونغرس ، وكانت هناك دعوات من الأخير لإستقالته ، وقد دخل في جدال مستمر مع وزيري الخزانة والدفاع وكان ينعي على وزارة الخارجية فقدانها لذكرها بإضطراد ، وكان موضع إنتقاد لمبالغته في وصف التهديدات التي كانت تتعرض لها الولايات المتحدة من أجل تعبئة الرأي العام الداخلي لعمل دولي مؤثر ونشيط . ومع كل هذه الملاحظات لدبلوماسية أتشيسون ، إلا أنه أعتمد على أدوات من القوة والدبلوماسية عززت بعضها البعض وبشكل متبادل . راجع : السيدة الوزيرة مادلين أولبرايت سيرة ذاتية ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٠٧ .

[2] تعود فكرة إنشاء وزارة الخارجية إلى عام ١٧٨٩ ، وترجع حداثتها بعد التصديق على قانون روجرز لعام ١٩٢٤، ونتيجة لذلك فقد أصبح للولايات المتحدة الأمريكية وللمرة الأولى سلك دبلوماسي محترف، ووصف أحد موظفي السلك الدبلوماسي الأمريكي ، الخارجية الأمريكية في نهاية الأربعينات في الآتي: "أن جهاز الشيفرة كان يعود إلى عصر آخر، والمراسلات كانت تنقل ببطء شديد، ولم يهتم أحد بحفظ الأوراق حتى في الخزانة وقت الغداء والوعي الأمني كان منعدماً، كانت استعدادات الوزارة في إبان الحرب العالمية الأولى بمستوى الحرب الأسبانية الأمريكية، أما في الحرب العالمية الثانية فكانت بمستوى الحرب العالمية الأولى. تبلغ ميزانية الوزارة ما يقارب ٨٠ مليار دولار سنوياً، إن عدد موظفي وزارة الصحة والخدمات الإنسانية خمسة أضعاف عدد موظفي وزارة الخارجية، وميزانية وزارة الدفاع أكبر بسبعين ضعفاً. راجع: فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص٥٧-٥٨.استخدمت وزارة الخارجية الأمريكية، في بداية السبعينات ما يقارب ٢٣,٠٠٠ شخص منهم ما يقارب ١٣,٠٠٠ من الأمريكيين الذين يخدم نصفهم تقريباً في الخارج، كما كان ثمان ١٠,٠٠٠ من رعايا أجانب كانت تستخدمهم الوزارة. كان جوهر المجموعة الأمريكية ما يقارب ٣٦٠٠ من موظفي الوزارة المحترفين، يضاف إليهم ٢٣٠٠ آخرون من الموظفين الإحتياطيين في الأعمال الخارجية، وكان ما يقارب نصف هؤلاء المحترفين يخدمون فيما وراء البحار وفي مايس ١٩٧٥ كانت وزارة الخارجية تضم خمسة مكاتب جغرافية تقاسمت المسؤولية في معظم مناطق العالم، وعدداً من المكاتب التي تضطلع بمهمات عبر الأقاليم الجغرافية . للمزيد من التفاصيل راجع: Deutssch, Op. Cit., PP.١٠٦-١١٤.
وفي المقابل، إن ضباط الـ كي جي بي شغلوا ٨٠% من موظفي السفارات السوفيتية في الخارج، وعلى سبيل المثال، فإن عدد هؤلاء في واشنطن وفقد بلغ ما يقارب ٥٠%، وكان هذا ينافي القواعد الدبلوماسية المعتادة، في سنة ١٩٧١ كان هناك خمسة مكسيكيين في مدينة مكسيكو، وكان هناك ١٠٨ أمريكي في موسكو مقابل ١٨٩

وعليه نرى قيام كينيدي تعيين عناصر مؤيدة له سفراء للولايات المتحدة في الخارج ولعل من بين هؤلاء اختيار البروفسور جون جلبرت استاذ الاقتصاد في جامعة هارفرد سفيراً للولايات المتحدة في الهند والبروفسور ريزنهور مدير دراسات الشرق الاقصى في جامعة هارفرد سفيراً في اليابان، وبصفة عامة فانه من بين ٢٦سفيراً تم تعيينهم في المدة من كانون الثاني الى نيسان ١٩٦١ كان هناك عشرة من خارج وزارة الخارجية والسلك الدبلوماسي، اما الستة عشر الباقون فقد راعى ان تكون اتجاهاتهم مؤيدة الى اقصى حد بناء على دراسة لاتجاهاتهم من خلال المناصب التي سبق ان تولوها في الوزارة ومدى ممارستهم دورهم في هذا المجال[1].

وكان الهدف من اجراء كينيدي هو تدعيم مشاركة السلك الدبلوماسي في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، وقد اتضح هذا في الخطاب الذي وجهه كينيدي في ٢٩مايس ١٩٦١ إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية الذي اكد فيه: دور السلك الدبلوماسي في عملية صنع القرار من خلال الدعم والمساندة الكاملة في تنفيذ هذه المهمات[2].

دبلوماسياً سوفيتياً في واشنطن، وعكست مقارنات شبيهة لسنة ١٩٧١، وجود اثنين من الألبانيين في موسكو و٣١سوفيتياً في كوبنهاكن، خمسة نرويجيين في موسكو مقابل ٤٥في اوسلو وعشرون المانيا غربيا في موسكو مقابل ٥٠ سوفيتيا في بون او في موسكو كان عدد الدبلوماسيين المعتمدين من ٨٧ دولة غير شرعية شيوعية ٨٠٩ بينما كان عدد الدبلوماسيين السوفيت المعتمدين للدول نفسها ١٧٦٩٠ دبلوماسيا.

وقد وصل عدد الـ كي جي بي في سكرتارية الأمم المتحدة الى ٢٠٧، وكان هذا يمثل مدى هيمنة هؤلاء على الوفد السوفيتي في الأمم المتحدة وقد تم وقتئذ طرد او اعتقال ١٨ دبلوماسيا، سوفيتيا من الامم المتحدة لقيامهم بأعمال التجسس. راجع: جون بارون، لجنة الامن القومي السوفيتي K.G.B، (بلا) ص٣١-٣٢.

ومما هو جدير بالإشارة في هذا المجال، أن ضابط المخابرات السوفيتي يتميز بالانضباط التام في عمله، وفي هذا المعنى يقول احد ضباط المخابرات السوفيتي: " انه خريج مدرسة جديدة، ينتمي الى الصفوة المختارة في بلده، اذ يتمتع بامتيازات ونفوذ، وفي حالة اهمال لوظيفته يتعرض لأشد العقوبات وقد وصلت هذه العقوبة على عهد ستالين الى الاعدام رميا بالرصاص، هناك رواية في عهد ستالين بشأن اللواء ياكوموف احد رؤساء المخابرات، اذ تم القاء القبض على شقيقه بتهمة تعاملها في السوق السوداء، بعثت الشرطة السوفيتية برسالة اليه، لاخذ رأيه في معالجة هذا الموضوع، اجاب ياكوموف على المذكرة قائلا: لماذا تسألون، الا تعرفون واجبكم، ان المضاربة في اثناء الحرب تعني الخيانة.. اعدموها رميا بالرصاص" . لقي ياكوموف مصيره بعد وفاة ستالين وازالة بيريا. راجع : الن دالس، حرفة الاستخبار ، (بلا) ص١٢٤-١٢٥.

[1] ودودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠٥-١٠٦.

يقول جيمس بيكر في هذا المجال : (تقتضي الضرورة الوظيفية أن يصبح موظف السلك الدبلوماسي والقنصلي سفيرا ، ويمثل هذا التعيين بلوغ القمة المهنية . لذا فأن الكثيرين منهم يرون أن أي تعيين من الخارج في مناصب السفراء ينازعهم حقهم الأصيل الثابت . فضلا عن ذلك ، ومن منظور شخصي بحت فأن السفير الامريكي المعين من الخارج يمكن أن يكون شخصاً بالغ القوة) . راجع : مذكرات جيمس بيكر ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٦-٤٧ .

[2] المصدر نفسه، ص١٠٦.

اثناء أزمة كوبا، كان الهجوم على الصواريخ قبل توجيه الإنذار امراً غير مقبول لان الهجوم المفاجئ او سياسة الضرب لو لا كانت غير مرغوبة ومقبولة في سياسة أمريكا الخارجية. راجع: جيمس اندرسون، مصدر سبق ذكره، ص١٠٧.

والحق ، عندما أخذ كينيدي يحلل سبب الاخفاق في كوبا فيما بعد تذمر قائلاً: طوال حياتي كنت اعرف انه من الأفضل عدم الاعتماد على الخبراء، كيف كان من الممكن ان اكون من الغباء بحيث اسمح بالبدء في العملية. وقد تم اتهام وكالة المخابرات المركزية وهيئة الأركان، اذ اعتمد عليهما كينيدي كخبراء عن الخطأ الذي حصل في غزو كوبا. راجع: ستيفن أي-أمبروز ، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٥.

وعندما تسلم الرئيس نيكسون مسؤولياته في البيت الأبيض، حاول ان ينظم حكومته بشكل يكون هو المصدر في السياسة الخارجية وعدم الثقة بوزارة الخارجية التي كان يعدها موزعة الفكر، ومصدراً لبقايا الديمقراطيين[1].

يعلق نيكسون على هذه الحالة قائلاً: إن سياستنا الخارجية تحتاج الى قائد مركزي قوي ورئيس قادر على ان يستخلص من مستشاريه افضل ما عندهم، ويستطيع ان يستقصي المعلومات الأساسية من الوزارات، ويستطيع ان يصل الى حكم وتقدير للشؤون الخارجية بنفسه، وربما كان من الجائز في القرن التاسع عشر ان يفوض الرئيس أمر السياسة الخارجية برمتها الى وزير خارجيته، ولكن في ذلك العهد كان مستوى الرسوم الكمركية، وليس البقاء على قيد الحياة هو القضية الأساسية في السياسة الخارجية، اما وقد اصبح الأمر على ما هو عليه من مخاطر، فقد اصبح من اللازم ان يكون الرئيس قائداً متحكماً في السياسة الخارجية بنفسه[2].

---

[1] كيسنجر، سنوات العصف، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨٠.

لم يحصل ان تمتع أي رئيس أمريكي بمعرفة وافية للسياسة الخارجية باستثناء نيكسون ، اذ كان نيكسون كثير الجولات الى خارج الولايات المتحدة، الرغبة في معرفة آراء القادة الآخرين. لم يكن نيكسون تلميذ تاريخ مثل تشرشل وديغول، فضلاً عن ذلك، فقد كان له اطلاع جيد في الحقائق الجيوسياسية، وبرغم فشله بتصرفه في السياسة الداخلية، وقد بذل الجهد الكبير في السياسة الخارجية، مكرساً مهاراته التحليلية وحدسه الاستثنائي لخدمة مصالح الولايات المتحدة. استطاع نيكسون بالرئاسة وهو يحمل تصوراً واضحاً عن النظام الدولي ، حيث تطور ذلك ابان السنوات التي قضاها نائبا للرئيس ، كان من شان ذلك ، هيمنته على تكوين السياسة الخارجية والاستعانة بمستشار الأمن القومي هنري كيسنجر لوضع قراراته موضع التنفيذ . راجع ، هنري كيسنجر ، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، مصدر سبق ذكره، ص٣٦٩-٣٧٠،وروبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٧ .

وعن تصور نيكسون للمنهج الجديد الذي يجب ان تسير عليه الولايات المتحدة في المستقبل وتحليلاته ازاء ذلك، راجع : ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة ، ترجمة احمد صدقي مراد، دار الهلال، ١٩٩٢، ص١٩٣-٢١٥ . وبشأن ايجاد حكومة قوية تتركز في يدها عملية صنع القرار، راجع : ريتشارد نيكسون ، ما وراء السلام، مصدر سبق ذكره، ص١٨٧-١٩٧.

الى جانب هذا، هناك رؤساء في الولايات المتحدة، يتميزون بعدم معرفتهم بالشؤون الخارجية، في هذا المجال، نشرت صحيفة هندية في ٢٠٠١/١/٢٦ دليلاً للرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش –الابن– في محاولة للسخرية من قلة خبرته بالشؤون الدولية وجهله باسم رئيس وزراء الهند. ونشرت صحيفة اشيان ايدج خارطة للهند كتبت تحتها هذه هي الهند، موقعها مريح للغاية باكستان الى يسارها والصين فوقها، كما نشرت الصحيفة صورة لرئيس وزراء الهند اتل بيهاري فاجبايي" الذي كان من بين ثلاثة زعماء لم يعرف الرئيس بوش اسميهم خلال اسئلة تلفازية. راجع العرب، العدد ٦٠٦٢،٢٣/١/٢٠٠١. تجدر الإشارة في هذا المجال انه عندما تولى الرئيس هاري ترومان منصبه في نيسان ١٩٤٥ بعد ان خدم سيناتوراً في ولاية ميسوري ، ونائبا للرئيس في وقت لاحق ، كان عديم الخبرة تماما في السياسة الخارجية ، لم يكن ترومان ، على سبيل المثال ، ملماً بمشروع منهاتن المصمم لانتاج قنبلة نووية وغير مستعدا تماما للمنصب ، حيث لم يجتمع كنائب للرئيس سوى نصف ساعة فقط على انفراد مع الرئيس فرانكلين روزفلت قبل وفاته . كان ترومان يدعى ((العقل الصغير)): ويعتقد انه اقليمي بشكل لايمكن إصلاحه ويبتعد الى حد كبير عن سير الحرب. راجع : هلير ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٧٤ . .

[2] ريتشارد نيكسون ، نصر بلا حرب، ط٣، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩١، ص١٨٥.

ويذهب نيكسون قائلاً: أنه يتعين على الرئيس أن يعين في مناصب وزير الخارجية ووزير الدفاع ومدير وكالة المخابرات المركزية افراداً قادرين على قيادة اداراتهم لا السير وراءها، ولاغفر ان يقع أي معين جديد الخبرة، مهما كانت درجة كفاءته[1].

ويضيف نيكسون قائلاً: والنقطة الرئيسة هي انه يجب ان يقوم الرئيس باختيار شخص يعرف غورباتشوف انه الممثل الشخصي للرئيس، واذا وقع الإختيار على وزير الخارجية يجب أن يكون من الواضح انه يتفاوض لا بصفته عضواً في الوزارة، بل بصفته مبعوثاً للرئيس، ويجب ان يفهم غورباتشوف ان كل من يحمل هذه الصفة يتحدث باسم الرئيس ولا يقدم تقاريره الا إليه[2].

رأى نيكسون أن العالم مقسم الى أصدقاء واعداء، وأخرى تتعاون واخرى تتضارب فيها المصالح من ناحية التصور والتنفيذ، ولهذا السبب انصبت جهوده على ان يكون مصدراً لعملية صنع القرار، وكان باستمرار يبعد وزارة الخارجية ، ووزير الخارجية وليم روجرز من هذه العملية، معطياً المجال لمجلس الأمن القومي الأمريكي[3] أن يأخذ بعض الدور اذ قام

---

[1] المصدر نفسه، ص١٨٥.

[2] المصدر نفسه، ص١٨٧.

[3] أنشيء مجلس الأمن القومي بموجب القانون العام المرقم٨٠/٢٥٣ في عهد إدارة ترومان ، لمساعدة البيروقراطية المهنية في كبح الرؤساء الأقوياء ، ومن المفارقة أن الرؤساء الأقوياء وجدوا طرقاً منذ ذلك الوقت لإستخدام موظفي مجلس الأمن القومي لتجاوز البيروقراطية المهنية . وذلك عندما تعلم اتخاذ قرارات في السياسات التي ينبغي اتخاذها في الولايات المتحدة ما بعد الحرب ، وهي المدة التي استدعت وجود اتصالات أفضل ما بين فريقي الرئيس العسكري والدبلوماسي .واجهت ترومان في بداية عهده مجموعة من القضايا السياسية الشائكة . عرف ترومان بأمر القنبلة النووية التي طورتها الولايات المتحدة حديثاً ، وواجهته مسألة ما اذا كان يتعين عليه استخدامها ضد اليابانيين . تمكن الإتحاد السوفيتي من تأسيس أنظمة عسكرية في العديد من دول أوروبا الشرقية ، اما دول أوربا الغربية فكانت تعاني من الإنهيار المالي، ومن المجاعة في الحقبة التي أعقبت الحرب مباشرة . دفعت هذه الأوضاع ترومان إلى كتابة قانون مجلس الأمن القومي في العام ١٩٤٧ . وقد تم تصديق هذا القانون في ٢٦تموز ١٩٤٧ جزءاً من اعادة التنظيم العام لجهاز الأمن القومي، ويتكون من الرئيس ونائبه ومستشار الأمن القومي ووزيري الدفاع(المسؤول الثالث في قمة هرم الأمن القومي هو وزير الدفاع ، أحد أصعب المناصب في واشنطن . فعلى وزير الدفاع أن يجد الوقت لتقديم المشورة إلى الرئيس فيما يدير بيروقراطية البنتاغون ، وهي هائلة الحجم بحيث يمكن إبتلاع وزارة الخارجية دون عناء . أن كثيراً من وزراء الدفاع لديهم خبرات في إدارة الشركات . والحق أن وزارة الخارجية كانت في الغالب أسرع من وزارة الدفاع في اقتراح إستخدام القوة . كانت الحال كذلك في سنوات ريغان ، وفي عهد كلينتون أيضاً .) والخارجية ومدير وكالة المخابرات المركزية (تم إنشاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية Central Intelligence Agency (CIA) بموجب قانون الأمن القومي لعام ١٩٤٧ الذي مكن مؤسسات أخرى من الإبقاء على توافر الخدمات الإستخباراتية لديها . وكان من المقرر أن تعمل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تحت إشراف مجلس الأمن القومي . وكذلك تم إنشاء وزارة الدفاع تمشياً مع هذا القانون .) ورئيس هيئة الأركان المشتركة، ومستشارون وخمسة مراقبين كما يضم مسؤولين اداريين وسكرتيراً او سكرتيرين ، فضلاً عن بعض المسؤولين الذين يوجه اليهم الرئيس الدعوة للانضمام الى هذا المجلس . تتركز وظيفة مجلس الأمن القومي في تقديم النصح للرئيس في السياستين الداخلية والخارجية والعسكرية الخاصة بالأمن القومي، ويضع البدائل و الخيارات السياسية ويضعها امامه بالنظر . ويرأس المجلس مستشار الأمن القومي الذي يتباين دوره في صنع القرار من مدة رئاسية الى اخرى، تمت اعادة تنظيم مجلس الأمن القومي في عام١٩٤٩، وقد دفعت حرب كوريا الى تغيير وظيفة مجلس الأمن القومي. أوضح ترومان دور المجلس بوصفه استشارياً فقط، وصرح أنه يمتلك " كامل الحرية لقبول ورفض وتعديل النصائح التي يقدمها المجلس ، فضلاً عن التشاور مع

بقي عائلته الرسمية " . وشدد الرئيس على احتفاظه بالكلمة الأخيرة ، وكذلك بالسلطة التي تخوله " تقرير هذه السياسة وتطبيقها " . تضمنت أولى وثائق السياسات التي قدمها المجلس إلى الرئيس ، وقائع وآراء جرى ترتيبها في وثيقة واحدة ، وأدخلت في عملية صناعة السياسات عند ترومان . ساعدت إحدى هذه الوثائق التي قدمها مجلس الأمن القومي على تحديد مضمون خطة مارشال ، وهي الخطة التي تتضمن رزمة مساعدات مالية كبيرة قدمتها الولايات المتحدة إلى أوربا الغربية . أنيطت مهمات الإشراف على مهمات رسم السياسات والمهمات الأخرى للمجلس بالمدير ، الذي كان يطلق عليه في تلك الوقت اسم السكرتير التنفيذي . يذكر أنه عندما أقدم سويرس على إبلاغ ترومان أنه عازم على ترك منصبه في البيت الأبيض ليعود إلى قطاع الأعمال ، طلب منه ترومان أن يحدد السمات المتوافرة في خلفه . ضمن براونس كتابه مقتطفات من المذكرة التي سلمها سويرس إلى ترومان جوابا على طلبه ، وهو يشرح أن هذه السمات تكمن في الآتي : ١ – يتعين على المرشح ألا يكون سياسيا ، وأن يكون موثوقا من الرئيس . ٢ – يتعين على المرشح أن يكون موضوعيا ومستعدا لوضع آرائه السياسية الشخصية في مرتبة أدنى من ملاحظات غيره ، وأن ينسق آراء كل المسؤولين الرسميين. ٣ – يتعين على المرشح أن يكون على استعداد لتجاهل الشهرة ومظاهر التبجيل الشخصي . يقول براونس إنه في العقود القليلة التي تلت تأسيس مجلس الأمن القومي ، تمكن أعضاؤه من اكتساب سلطة تضاهي سلطة موظفي الحكومة ، والدبلوماسيين والجنرالات. تمكن مستشار الأمن القومي من أن يصبح شخصية محورية في البيت الأبيض ، وذلك بفضل كونه مديرا لموظفين ناقدين ، وأحد أقرب المستشارين إلى الرئيس . راجع: Wanamaker , Op.Cit. , pp. ٢٦-٢٥ والدكتور السيدهاشم مير لوحي ، أمريكا بلا قناع ، ترجمة علاء الرضائي ، الغدير ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٣ ، ص ٨٣ وروبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٢ – ٤٢٣ . وأنطونيا فيليكس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٢ . وعبد الحي يحيى زلوم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤١ . ومادلين أولبرايت ، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا إستعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣ ، ٤٦ – ٤٧ .

عندما كان هاري ترومان رئيسا ، كان وزير الخارجية أوغالب الرئيس يرأس معظم إجتماعات مجلس الأمن القومي . سعى أيزنهاور الذي وصل إلى البيت الأبيض في سنة ١٩٥٣ إلى محاكاة الجيش بإنشاء مكافىء لرئيس هيئة أركان دولية أسمي مستشار الأمن القومي . وقع إختيار أيزنهاور على روبرت كاتلر ، وهو عميد متقاعد من مساتشوستس . استخدمه أيزنهاور كما يفعل الجنرال ، لتحليل المشاكل وإعداد القرارات . وكان كينيدي أقل رسمية ويفضل الإجتماعات الصغيرة ، وكان يشرك الآخرين في العملية بإنتظام ، لا سيما أبان أزمة الصواريخ الكوبية ، عندما كان الحاضرون حول الطاولة يضمون شقيقه روبرت ، المدعي العام ، ومسؤولي الحكومة السابقين من كلا الحزبين . أما ليندون جونسون الذي كان أقل من كينيدي ميلا إلى الرسمية ، فقد نقل مجلس الأمن القومي في الجوهر . راجع : المصدر نفسه ، ص ٤٣ – ٤٤ .

وفي هذا المجال ، لابد من الإشارة ، من سعي الرئيس نيكسون على بحث النشاط والفاعلية في مجلس الأمن القومي في محاولة منه لتوسيع قدراته ، ولضمان هيمنة البيت الأبيض على السياسة الخارجية بصورة واضحة مما يمكن عليه الأمر في حالة قيام وزارة الخارجية بتوفير الدافع للسياسة . كما أراد نيكسون أن يتضمن " تحديد الإختلافات في وجهات النظر والدفاع عنها بدلا من اسكاتها أو دفنها " . ويذهب نيكسون إلى القول بأنه يرفض أن يجابه بإجماع بيروقراطي يحرمه من الخيارات فيما عدا الموافقة أو الرفض ، مما يحول دون معرفة البدائل المتوفرة " . وقد عهد نيكسون بالمسؤولية إلى مجلس الأمن القومي نتيجة لهذه الإعتبارات . وفي هذا الصدد يقول نيكسون : " بأنه يلجأ إلى طبع قراراته وتعميمها بعد التوصل اليها لكي يتسنى تجميع السجل الكامل لمختلف سياسته ، وبذلك يصبح التحكم في تنفيذها أمرا ممكنا " . وقد بلغ مجلس الأمن القومي أعلى مستوى له من السلطة في عهد نيكسون ، ويعزى السبب في ذلك ، إلى أسلوبه في القيادة لا إلى المجلس . راجع : روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٣ – ٤٢٤ .

وقد يدخل مستشار الأمن القومي في صدام مع وزير الخارجية بشأن خيارات السياسة وهو ما حدث بالفعل في أثناء حكم الرئيس كارتر عندما اختلف بريجنسكي مستشار الرئيس للأمن القومي مع سيروس فانس وزير الخارجية بشأن أفضل السبل لإطلاق سراح الرهائن الأمريكيين المحتجزين في إيران.

اختار الرئيس أيزنهاور عام ١٩٥٣ (١٨٩٠ – ١٩٦٩) ، الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٥٣ – ١٩٦١) راجع : نعوم تشومسكي ، سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، ص ٦١ – ٦٢ .) روبرت كوتلر مستشاره للأمن القومي، أما الرئيس كينيدي فقد اختار لهذا المنصب Mc. George Bundy الذي احتفظ به على عهد الرئيس جونسون (١٩٠٨ – ١٩٧٣) الرئيس السادس والثلاثين للولايات المتحدة (١٩٦٣ – ١٩٦٩) تولى

بتكليف كيسنجر أن يقوم بعدد من المفاوضات الحساسة (١) . وعليه نرى أن هنري كيسنجر في

الرئاسة بعد اغتيال الرئيس كيندي (كان نائبا له) ثم أعيد انتخابه لدورة واحدة . راجع : نعوم تشومسكي ، سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١١ .) إلى تشرين الثاني ١٩٦٦، ثم خلفه Wall Rostow إلى نهاية عهد جونسون ١٩٦٩؛ أما نيكسون فقد اختار كيسنجر لهذه الوظيفة فقد وضعه على عهد فورد١٩٧٧، في حين عين كارتر (١٩٧٧–١٩٨١) بهذه الوظيفة بريجنسكي، أما ريغان فانه اختار الكسندر هيج مستشاره في الأمن القومي، أما في ما يخص الرئيس بوش (الأب) فقد اختار كلا من: روبرت كيستس وScowcroft، في حين اختار الرئيس كلينتون (١٩٩٣–١٩٩٧) للتولي لاك منذ عام ١٩٩٣ ثم Samuel R.Sandy Berger في آذار ١٩٩٧ . في هذا المجال لابد من ذكر دور برنت سكوكروفت مستشار الرئيس بوش للأمن القومي الذي كان له الدور المؤثر في عملية صنع القرار . راجع: الوكيل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٢، ود. حسين شريف، مصدر سبق ذكره، ص ١٨–١٩. يصف جيمس بيكر ، سكوكروفت بأنه الأنموذج المثالي لمستشار الأمن القومي ، وسبق لسكوكروفت أن شغل هذا المنصب في عهد فورد ولم يكن جورج بوش يثق فيه ثقة مطلقة فحسب بل كان يكن له مشاعر خاصة . راجع : جيمس بيكر ، مصدر سبق ذكره ، ص٤١ . وفيما يخص الإتحاد السوفيتي ، من الممكن الإشارة إلى العالم المشهور أبلشوف الذي تولى حتى عام ١٩٦٤ عملية التخطيط السياسي للدعاية الخارجية . وأكثر من هذا ، تعتبر أسباب سقوط خروتشوف هو أنه في قراره المشهور بخصوص كوبا أن لم يأخذ بنظر الإعتبار إرشادات ونصائح خبراء السلطة . راجع : الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٠ .

¹ ينتمي كيسنجر لأسرة يهودية لعائلة من الطبقة المتوسطة ، واسمه الحقيقي هو هاينز ألفرد كيسنجر ، ولد في عام ١٩٢٣ في مدينة فورث الألمانية ، وكان والده مدرساً في المدارس الثانوية ، وعندما جاء هتلر إلى الحكم في ألمانيا ، غادرت أسرته كلها إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٣٨ بعد مقتل ثلاثة عشر شخصاً من عائلته ، واستقرت العائلة في نيويورك . يقول سيمور هيرش : لا يوجد أي دليل يدل على أن كيسنجر كان يشعر بالخجل من يهوديته إلا أن كونه يهوديا ، كان بمثابة الصدع في درعه ، أي نقطة ضعف يمكن أن تهدد موقعه في البيت الأبيض . كما أن نيكسون نفسه كان ينظر إلى هذا الموضوع كونه عائقا ، ولاسيما خلال الأيام الأولى . في هذا المعنى يقول كيسنجر في مذكراته : " كان نيكسون يشك في أن أصولي اليهودية قد تجعلني أميل أكثر من الماضي تجاه إسرائيل " . راجع : سيمور هيرش ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٠ وهنري كيسنجر ، مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية ، اعداد الدكتور حسين شريف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص٥ ، والدكتور السيد هاشم مير لوحي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٦ . عمل كيسنجر في معمل صناعة فرشاة الحلاقة ، وكان كيسنجر قد أنهى المرحلة المتوسطة ، والتحق بمدرسة ثانوية ، ودخل الجيش الأمريكي في عام ١٩٤٣ ، أنقضى مدة التجنيد وعمل في تدريس التاريخ الألماني في إحدى مدارس المخابرات العسكرية الأمريكية في عام ١٩٤٦ ، حول إلى موظف مدني ، وحصل في عام ١٩٤٧ على منحة حكومية من هارفارد ، إذ حصل على البكالوريوس في علم الحكم ثم الدكتوراه في عام ١٩٥٤ . راجع : كيسنجر ، سنوات العصف ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٨٨–٧٠٣ ، وكيسنجر ، مفهوم السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص٥–٦ . كان كيسنجر في أوائل الستينات من مناكفات الحزب الديموقراطي ، وفي حينه كان أستاذا للجامعة ، إلا أنه سجل في الحزب الجمهوري منذ عام ١٩٦٤ ، إذ أصبح مستشاراً للسياسة الخارجية في لجنة اللوائح في الحزب المذكور . دخل كيسنجر إلى البيت الأبيض كمستشار للأمن القومي الرئيس نيكسون في ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٦٩ ، وقد فضله نيكسون على مرشح الحزب الديموقراطي هيوبرت همفري ، غادر البيت الأبيض عام ١٩٧٧ ، وهي مدة رئاسة الرئيس كارتر . راجع : هيرش سيمور ، ثمن القوة سنوات كيسنجر في البيت الأبيض ، ترجمة خالد إسماعيل الصفار ، بيت الحكمة ، المطبعة العربية ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص٩–٢٥. كانت هناك أحداث ثلاث ، دفعت كيسنجر في البروز في السياسة الداخلية الأمريكية ، يمكننا إيجازها في الآتي: الكشف عن سفره السري إلى الصين الشعبية ، في شهر تموز من عام ١٩٧١ ، ومفاوضاته السرية حول فيتنام في شهر كانون الثاني من عام ١٩٧٣ ، وهذه كانت تتجاوب مع آمال الأمريكان الدفينة ، وربما بنيت عليها بعض آمال المستقبل ، على الرغم من كل انقسامات الرأي العام الداخلية ، وضمنه تطبيق لعبة ترست كان يهدف إليها ، وتخلى عنها على الأثر . راجع : مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، ترجمة خليل فريحات ، الجزء الرابع ، ط ٥ : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٩ ، ص ٢١١ .

ادارة نيكسون ، عندما كان مستشارا للأمن القومي اقصى وزير الخارجية وليام روجرز عن عملية صنع القرار . لكن في حالة كيسنجر ، كان التماسك السياسي ينبع من التبادل الفكري الغني للآراء بينه وبين الرئيس . وكانت السياسة لذاك تفرض على الوزارات والهيئات في الاجتماعات الاسبوعية بمجلس الأمن القومي ، حيث كان مساعدو وزراء الخارجية والدفاع والخزانة ومسؤولو وكالة الإستخبارات المركزية الكبار يبلغون باولويات الرئيس وتوجه اليهم التعليمات بشأن كيفية تنفيذها. والفارق انه اثناء ادارة نيكسون كان مجلس الأمن القومي يضمن ان يستفيد الرئيس من إختلاف وجهات النظر بين الوزارات ، فالاختلافات بين الوزارات لم تكن قائمة على الأيديولوجيا وكانت تحل من مستشار الأمن القومي ونوابه ، والأهم من ذلك أن الجدل والنقاش كان يتوقف هناك بدون التقدم الى الامام ، كما هو الحال اليوم ، من خلال مجموعة من الناشطين المدفوعين باجندة محددة .[1]

هناك من يرى ، في مجلس الأمن القومي ، أنه من أضعف المؤسسات في الولايات المتحدة من حيث الالتزام بالمهمات الملقاة على عاتقها . فإذا كان لمدير مجلس الأمن القومي ثلاث مهمات يقوم بها – الأولى تمثيل آراء الرئيس في مداولات السياسات، ثانيا تنسيق اتجاه الإدارة ورسالتها في شؤون الأمن القومي ، ثالثا ضمان أن تعكس قرارات الرئيس التوصيات المتماسكة والمنسقة الواردة من الوزارات والهيئات المعنية كافة – فقد فشلت الرئيسة الحالية في المهمتين الأخيرتين على الأقل [2].

والحق ، أن مستشار الأمن القومي في الولايات المتحدة ليس سوى صنيعة للرئيس ، وعمله مقيد بالمحافظة على ولاية هذا الرئيس ، وهو مسؤول أن يطلع الرئيس ، عما إذا كانت الوزارات ، وبقية المنظمات المكلفة ببعض المسؤوليات ، تنفذها وتطلعه على ما يطرأ عليها من خيارات . وبصورة عامة ، فإن المستشار القابع في زاوية من زوايا البيت الأبيض القريبة من الرئيس ، يقتضي أن يكون مستعدا لحل القضايا المكلف بها من قبل الرئيس ، وبعبارة أكثر دقة ، فإن المستشار ليس سوى رجل يسعى لنيل التقدير ، وتنحصر مهماته في تنفيذ ما يكلفه به الرئيس ، وقد يسمح لنفسه أحيانا أن يرى الأمور من الأعلى [3] .

والحق ، يتمكن مستشار الأمن القومي، رغم هوة محفورة في ثقة الرئيس نحوه ، ولكن لوقت محدود ، وربما أن هذا يؤدي إلى تغيير الحقائق وخداع الدول الأجنبية [4] .

من الصعوبة بمكان ، تجنب الإستنتاج بأن مجلس الأمن القومي توقف عن أداء دوره التقليدي في مرحلة معينة في العام ٢٠٠٢ بالتدقيق المتأني في المعلومات الإستخبارية المتدفقة على الرئيس وتقويمها . وكان يستخف بالتقويمات البديلة أو المشككة من مصادر استخبارية أخرى أو لا ينقلها . وأصبحت مستشارة الأمن القومي كوندليزا رايس رئيسة لمشجعي مقولة إمتلاك العراق أسلحة دمار شامل ، وبالتالي أصبح مجلس الأمن القومي صدى للآراء التي

---

[1] هالبر ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٠٢ . المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .
[2] ستيفن هالبر ، جوناثان كلارك ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠٢ .
[3] مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، الجزء الرابع ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .
[4] المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .

يعرضها مدير المخابرات المركزية المكيف سياسيا إلى الرئيس . وضغط نائب الرئيس تشيني وكبير موظفيه أيضا على محللي وكالة المخابرات المركزية ، بالتشكيك الموجه والتأكيد المسبق (وبخاصة في حالة تشيني) أمام الرأي العام الأمريكي بأن الإستنتاجات الإفتراضية أو القائمة على استكمال المعلومات لا يمكن دحضها . وأخيرا وليس آخرا ، أنشأت وزارة الدفاع الأمريكية مكتبا إستخباريا خاصا بها في العراق ، وقد عزز هذا المكتب الذي يديره واحد من أكثر المحافظين تشددا الإستنتاجات التي تبناها الرئيس الأمريكي بوش ، ونائبه تشيني علنا [1].

أما مسؤوليات وزير الخارجية فإنها تختلف تماما ، فهو مطالب يوميا بدراسة جدول واسع من العلاقات الدولية ، التي لا تتطلب إهتمام الرئيس ، ولا مجلس الأمن القومي ، وعليه أن ينتظر في كل ساعة من النهار أخبار مائة وخمسين بلدا ، وتسوية مجموعة من المعضلات الجماعية ، دون المجيء على ذكر علاقاته مع المنظمات الدولية ، وعليه أن يهتم أيضا بالقضايا الإقتصادية ، ومراقبة التسلح ، والمعونات الخارجية ، والسياسة ، وسمات السفر والهجرة [2] .

ويتحتم على وزير الخارجية أيضا حل معضلات عديدة ، العالمية منها والتقنية . وهو في خشية دائمة من إقلاق الرئيس وإتعابه بمعضلات رئيسة تتطلب حلا سريعا من قبل رئيس الدولة ، أو على الأقل ضرورة الإطلاع عليها ، والرئيس الذي يشل هذه الحركة الدائمة الناشطة ، ينتهي بالإساءة إلى دولته [3] .

للتمكن من إنجاح السياسة الخارجية نجاحا حقيقيا ، يجب أن تكون موضع إهتمام جميع المكلفين بتسيير الدبلوماسية ، وعلى الأصح يجب أن تكون مغروسة في قلوب وأذهان الأمة [4] .

---

[1] أوضح نائب الرئيس الأمريكي تشيني (يمثل تشيني في اجتماعات مجلس الأمن القومي ، ويحضر كل إجتماع لكل مجموعة مع الرئيس . ووفقا للتقليد يمسك نائب الرئيس عن تقديم النصح إلى رئيسه أمام الآخرين ، إلا عندما يدعوه الرئيس للإدلاء بدلوه . فذلك يحرره من الحاجة إلى تبرير آرائه أمام المجموعة . ولم يسبق من قبل أن مارس نائب للرئيس سلطة كبيرة كما فعل تشيني . فقد أنشأ فريقا خاصا به من موظفي الأمن القومي يبلغ عددهم خمسة عشر محترفا – وذلك أكثر من مجلس الأمن القومي للرئيس جون كيندي – ثم سعى إلى عدم الكشف عن نشاطه أمام الكونغرس على أساس بأن نائب الرئيس ليس جزءا من السلطة التنفيذية .) في حزيران من العام ٢٠٠٢ ، للشعب الأمريكي ، في خطاب أمام المحاربين القدامى في الحروب الخارجية مزايا إزاحة الرئيس العراقي السابق صدام حسين بالقوة : " سيتشجع المعتدلون في المنطقة بكاملها ، وستعزز قدرتنا على الدفع قدما بعملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية " . بل إنه في أثناء السعي للحصول على موافقة الكونغرس والأمم المتحدة على الحرب في أواخر سنة ٢٠٠٢ وأوائل سنة ٢٠٠٣ ، طرح الرئيس بوش في نقاش سري مع رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير ، سجله مستشار بلير للسياسة الخارجية ، فكرة تدبير إستفزاز عسكري متعمد للتعجيل في إعلان حالة الحرب . راجع : زبغنيو بريجنسكي ، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٩ . ومادلين أولبرايت ، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا إستعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥١ .

[2] مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، الجزء الرابع ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٠ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .

[4] المصدر نفسه ، ص ٢٤٠

ليست السياسة الخارجية سوى اشتراك وثيق بين الرئيس ووزير خارجيته ، كما كانت بين هاري ترومان ودين اتشيسون ، ودوايت ايزنهاور وجون فوستر دالس ، وريتشارد نيكسون وهنري كسينجر [1] .

لقد قال وزير سابق في الإدارة الأمريكية ، حيث كان له خبرة واسعة في السياسة الخارجية " تعاني العملية القائمة بين الهيئات من ضعف وظيفي كامل ، ولم أر خلال تجربتي قط أنها تتم على هذا النحو " [2] .

ولم يسيل من ذلك تردد الرئيس في التدخل وفرض إجراءات على الشخصيات القاطنة في المناصب العليا في وزارتي الخارجية والدفاع ، ولم تكن العلاقات الشخصية القديمة بين دونالد رامسفيلد وديك تشيني –كانا شريكين أثناء إدارات نيكسون وفورد – تحبذ التوصل إلى تسوية مع كولن باول . ولأن كلا منهما شخصية سياسية قوية قائمة بنفسها ومزية سياسية للإدارة ، فقد قزما مدير مجلس الأمن القومي الذي تراجعت مكانته ، ولم يستطع اقتراح المبادرات في سياق يعكس المخاوف العسكرية والدبلوماسية الدقيقة من أجل اتخاذ قرار رئاسي [3] .

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .

[2] ستيفن هالبر، جوناثان كلارك ، ص ٤٠٣ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٤٠٣ . تكونت في عهد الرئيس كلينتون لجنة المديرين ، وهم فريق الرئيس المكون من كبار خبراء السياسة الخارجية . كانت لجنة المديرين تنظر في المسائل الكبرى لسياسة الخارجية، وتصوغ التوصيات التي تمرر بعد ذلك للرئيس . وكان يرأس اللجنة مستشار الرئيس للأمن القومي ، وتضم في عضويتها وزيري الخارجية والدفاع ، ومدير وكالة المخابرات المركزية ، ورئيس هيئة الأركان المشتركة ، ومستشار نائب الرئيس لشؤون الأمن القومي .

تجدر الإشارة في هذا المجال ،أن فريق الأمن القومي في عهد الرئيس كلينتون ، ضم في صفوفه المسؤولين المستقلين وارن كريستوفر (الذي صار وزير الخارجية) ، وكليفتون وارتون(مساعد وزير الخارجية) ولس أسبن (وزير الدفاع) وأنتوني ليك (مستشار الأمن القومي) وساندي بيرغر (مساعد مستشار الأمن القومي) وجيمس ولسي (مدير المخابرات المركزية) ومادلين أولبرايت مندوبة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة .

وفي المدة الرئاسية الثانية للرئيس كلينتون تكون مجلس الأمن القومي من الرئيس نفسه ونائبه آل غور ، ووزيرة الخارجية مادلين أولبرايت ، ووزير الدفاع وليام كوهين ، ومدير وكالة المخابرات المركزية جون دويتش ، وقد خلفه جورج تنيت ، ومستشار الرئيس للأمن القومي ساندي بيرغر ، ونائبه الثاني ستاينبرغ . راجع : الدكتور هاشم مبارك ، أمريكا بلا قناع ، ترجمة علاء الرضائي ، الغدير – بيروت ، ٢٠٠٣ : ص ٨٣ – ٨٤ . وزبغنيو بريجنسكي ، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦١ .

تقول مادلين أولبرايت : " ولكي تكون السياسة الخارجية فعالة ، ليس هناك شيء أكثر حيوية من رئيس قوي ومنشغل بتلك السياسة . ولكن مما يساعد أيضا أن يشتغل وزير الخارجية ومستشار الأمن القومي على نحو فعال كفريق . ذلك أن هذه العلاقة كانت تاريخيا متوترة . ولم تكن علاقتي مع ساندي بيرغر ونائبه جيمس شتاينبرغ خالية من المتاعب . ولكن بالمقارنة مع الازدواجيات الأخرى لتعمل بين الخارجية والأمن القومي ، فإننا كنا نعمل معا عملا جيدا " . راجع : السيدة الوزيرة مادلين أولبرايت سيرة ذاتية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٥٠٠ .

وعليه ، نرى أن الرئيس السابق كلينتون ، اتخذ أسلوبا خاصا يتمايز كثيرا عن إدارة الرئيسين بوش " الأب " وبوش " الابن " ؛ حيث كان في تفاعل مستمر مع أعضاء مجلس الأمن القومي ، فضلا عن استشارته لأساتذة الجامعات وغيرهم من مصادر المعلومات . على نقيض الرئيس بوش " الابن " الذي يستمع على مجموعة صغيرة جدا من المستشارين .

والحق ، إن تهميش مجلس الأمن القومي الأمريكي في عملية صنع القرار ، يكمن في تكليف الرئيس بوش الابن ، وزير الخارجية الأمريكي السابق جيمس بيكر ، ورئيس لجنة الشؤون الخارجية السابق هاملتون ، في إعداد تقرير حول الوضع في العراق وذلك في ٦ كانون الأول من العام ٢٠٠٧ ؛ وفي الوقت نفسه ، قامت لجنتان أخريان ، إحداهما في البيت الأبيض ، والثانية من وزارة الدفاع بإعداد تقريرين آخرين عن الوضع في العراق ، لإعطاء الرئيس بوش الابن مجالا أكبر من الخيارات [١] .

وصف الرئيس بوش الإبن التقرير بأنه تقويم قاس ، ووعد بدراسته بجدية ، قائلا : " إن التقرير يشكل فرصة لإيجاد أرضية مشتركة بين البيت الأبيض الجمهوري ، والكونغرس الديمقراطي [٢] .

كان هناك اتجاه في الولايات المتحدة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ان وزارة الخارجية الأمريكية تقوم بواجبات التفاوض وليس كمخطط للسياسة الخارجية، واكثر من هذا نظر اليها في كونها تقوم بحل القضايا المحدودة عندما تظهر اكثر منه كحامل لستراتيجية معينة يصوغ شكل الأهداف.

وقد اقترن هذا الموضوع أساساً، بمفهوم ما يسمى بـ"دكتاتورية الرئاسة" الذي دخل حيز الواقع العملي نهاية عام ١٩٣٤ بموجب ذلك تم تهميش دور وزير الخارجية الأمريكية وقتئذ، اذ اصبح الأخير بعيدا عن السياسات الخارجية وعملية صنع القرار، بسبب اعتماد الرئيس روزفلت على نخبة سياسية صغيرة والمسماة بـ"مجلس الحرب"، التي مثلت رئاسة أركان حرب للقوات الثلاث البحرية والطيران والجيش، وكانت غايتها الرئيسة تحقيق النصر في جبهات القتال ضد دول المحور الذي عد بمثابة الهدف الرئيس للسياسة الأمريكية، وعليه يمكننا القول في هذا المجال، ان وزارة الخارجية الأمريكية، كان دورها ضئيلا الى نهاية الحرب العالمية الثانية في وضع ستراتيجية عليا للسياسة الخارجية الأمريكية[٣].

---

[١] تقرير لجنة بيكر – هاملتون : أعدته اللجنة المكونة من عشرة شخصيات أمريكية بارزة على رأسها وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جيمس بيكر . وكانت لجنة بيكر – هاملتون قد التقت نحو ١٧٠ شخصية بدءا من الرئيس بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير ، مرورا بعدد من القادة العراقيين ، وعدد من السفراء ، ومسئولين بارزين آخرين من الدول المجاورة للعراق ، ومن داخل الولايات المتحدة .

[٢] تضمن تقرير بيكر – هاملتون مجموعة من الملاحظات ، يمكننا إيجازها في الآتي : –

١ – اعتماد دبلوماسية جديدة تقوم على إجراء وانشطة حوارا مع خصومها الرئيسين في الشرق الأوسط ، ولاسيما سوريا وإيران ، والتي سبق الإدارة الأمريكية أن رفضت الحوار معهما .

٢ _ التوصية بوجوب تغيير تركيز القوات الأمريكية في العراق من دور قتالي إلى دور داعم ومساند للقوات العراقية . ويعني ذلك خفض القوات الأمريكية البالغ عددها ١٤٠ ألف جندي في العراق بنسبة النصف .

٣ – ينبه التقرير إلى أنه لا يجب على الولايات المتحدة أن تقدم التزاما مفتوحا ، ويوصي بسحب الوحدات القتالية الأمريكية في العراق تدريجيا بحلول عام ٢٠٠٨ .

[٣] كان العسكريون في الولايات المتحدة في هذه الحقبة التاريخية قد امتنعوا من اقحام انفسهم في قضايا الشؤون الخارجية، وهذه النقطة كانت لها علاقة بالعقيدة العسكرية الأمريكية والتي كانت تؤكد على انفصال العوامل السياسية والعسكرية والمنبثقة عن الدستور الأمريكي الذي ذهب الى القول: "على الجيش حينما يطلب منه الإجابة، ان يقدم المشورة عن طريق تحقيق الجيش "الأهداف العسكرية، وليس من شأنه ان يؤثر في القرارات السياسية التي تحدد ما يمكن القيام به. راجع: صلاح نصر، حرب العقل والمعرفة، ط٢، الوطن العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢، ص٤٣٢-٤٣٣، قارن مع : Henderson,pp. ٢١٠-٢٠٩ ,

ولقد طرأ تغيير على هذا الإتجاه على عهد الرئيس كنيدي[1] الذي أولى عناية كبيرة بالسياسة الخارجية فضلاً على اعتماده الكبير على وزارة الخارجية في ادارة العلاقات الخارجية[2].

وفي هذا المجال صرح دين راسك في ٢٠ شباط ١٩٦١ قائلاً: "... ان اللائحة التنفيذية التي الغت هيئة تنسيق العمليات لتدلل على انه يتوقع ان تقوم وزارة الخارجية بدور الزعامة فيما كان كيسنجر من المتحمسين للاتصال عبر القنوات الخلفية، شغوفاً لإبعاد المعلومات عن النظام البيروقراطي الرسمي[3] وجعلها في يده، وقد عمد مرة زاعماً بأنه يتصرف بموافقة الرئيس الى دعوة وليام بورتر الذي كان يشغل منصب سفير الولايات المتحدة في كوريا الجنوبية للاتصال به مباشرة متخطياً الرئيس بورتر حينذاك، وليام روجرز وزير الخارجية[4].

سجل بورتر هذا الموضوع في مذكراته قائلاً: "رحب كيسنجر كثيراً ومدحني وأطرى علي الإحترام العالي الذي يحمله الرئيس تجاهي نظراً للأداء العالي.. وقد طلب الرئيس منه بحث مسألة مهمة معي قال برغم أن الرئيس لا يحمل التقدير العالي لوزارة الخارجية، إذ انه يعلم ان هناك العديد من الموظفين الجيدين (مثلك يا بيل)، لكن بصورة عامة فإن الوزارة قد اثبتت فشلها. ولغرض تجاوز عدم كفاءة الوزارة ولغرض استغلال خدمات الموظفين الجيدين الكفء، وقد خوله الرئيس مفاتحة واقامة إتصالات خاصة مباشرة مع عدد محدود من السفراء الرئيسين حول العالم (مثلك يا بيل) ، وقد رد بورتر قائلاً: " الرئيس هو الرئيس واذا أراد الأمر بهذه الطريقة فعلي أن اتعاون معه ، وسأل كيسنجر ماذا يحصل لو ان روجرز علم عن الترتيب، أجاب كيسنجر قائلاً:" هذه ستكون مشكلتنا"[5]،وعند عودة بورتر الى سيئول، قام باستخدام القناة الخلفية مرة واحدة فقط بإرسال خبر ذات شأن قليل عن الصين الشعبية قبل تركه كوريا الجنوبية عام ١٩٧١م[6].

---

[1] ذكر مفهوم كيندي للسلك الدبلوماسي، ودور الدبلوماسي في إعداد السياسة الخارجية وصنع قراراتها بخبرته حين كان سفيراً الولايات المتحدة في بريطانيا، إذ كان يؤكد دائما عدم علم وزارة الخارجية بما يجري في سفاراتها، فضلاً عن جولة كيندي في جنوب شرقي اسيا عندما كان عضواً في الكونغرس الأمريكي عام ١٩٥١، تركت لديه اعتقاداً بأن المسؤولين في السلك الدبلوماسي يفتقدون الى معلومات تحليلية في الدول المعتمدة لديها هؤلاء مع هيمنة الإتجاهات البيروقراطية والتقليدية على تفكير هؤلاء الدبلوماسيين. راجع: ونودة عبد الرحمن بدران ، مصدر سبق ذكره، ص١٠٤-١٠٥.

[2] المصدر نفسه، ص٩٦.

[3] يتحدث جراهام ليسون عن دور البيروقراطية في عملية صنع القرار، مؤكداً أن الأخيرة لا تعتمد على حسابات منطقية فقط، لأن مركز اتخاذ القرار يتكون من مجموعة من الاجهزة، وان لكل منها تقديراً محدداً يتباين ويختلف عن الاخرى، فضلاً على ذلك وجود مجموعة من الأشخاص في داخلها، اذ تكون للتوقيع الشخصية تأثير واضح في هذه العملية، كما أن هذا المركز يضم نظاماً قيمياً System of Belief ومجموعات مصالح، وعليه نرى ، أن وحدة اتخاذ القرار تأخذ بالحسبان مفهوم المجتمع العالمي الذي يتحكم فيه معنى توازنات القوى المختلفة وأعرافه الإقتصادية والاجتماعية . راجع: د. عباس رشدي العماري، إدارة الأزمات في عالم متغير، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢٢-٢٣.

[4] الفن توفلر ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٥٣.

[5] سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره ، ص٧٩-٨٠.

[6] المصدر نفسه، ص ٨١-٨٢.

وقد سجل بورتر رد فعله في يومياته فكتب:" هذه هي دائــرة نيكســون- كيسنجر الدبلوماسية السرية قد بدأت تكتشف الآن، لا ينقصها شيء مما يتطلبه اي عمل سري من تحت شفرات ورموز سرية وغيرها. اذا كان الرئيس قد وافق على خلق شبكة سرية مــن الـسفراء تحت اشراف مستشار الأمن القومي من دون علم وزير الخارجية وذلك يدل على أن ثمة شـيئاً جديداً يحدث في تاريخ الولايات المتحدة، لقد انتهيت الى ان ما يحدث ليس من شأني ومن ثـم احتفظ براسي مطاطئ"[1] .

عندما كانت إتفاقية سولت يجري التفاوض بشأنها مع السوفيت كان جيرالــد سـميث برأس الوفد الأمريكي في جنيف، لكن كيسنجر وهيئة رؤساء الأركان المشتركة في البنتــاغون اقاموا قناة خاصة كي يتمكن أفراد معينون في هيئة الوفد الاتصال معهم مباشرة من دون علـم سميث[2].

ان هالدمان ممثل نيكسون كان يشعر بالقلق ازاء تنامي دور كيــسنجر، وفــي هــذا المعنى يقول فش: كان هالدمان يعتقد ان هنري يستهلك من وقت نيكسون اكثر بكثيــر ممــا يجب، وكان واضحاً أن اهتمام نيكسون بامور السياسة الخارجية كان يحد من قدرة هالدمان في السيطرة على جدول اعمال نيكسون"، ويردف فش قائلاً: ان حلم هالدمان هو ان يرفــع دور جون ايرغمان الذي انيطت به مسؤولية الشؤون الداخلية منذ شهر تشرين الثــاني ١٩٦٩ الــى منزلة تعادل منزلة ومقام كيسنجر في الشؤون الخارجية[3].

رابعاً: وزارة الخارجية الأمريكية والقنوات الخلفية

أسهمت القنوات الخلفية في الولايات المتحدة لأشهر ، وربما أحسمت في عــدم نــشوب الحرب العالمية الثالثة . حيث نجد تطبيقات ذلك خلال أزمة الصواريخ السوفيتية في كوبــا . إذ ظلت الرسائل تتردد بين الرئيس الأمريكي جون كيندي والزعيم السوفيتي خروتشوف، فيمــا كان العالم يكتم أنفاسه ترقبا . كانت الصواريخ السوفيتية على مقربة من الولايــات المتحــدة ، حيث إتخذ كيندي قرارا بفرض حصار بحري على كوبا[4] .

في ظل هذه الأجواء ، قام الزعيم السوفيتي ، خروتشوف من إرسال رئــيس المخــابرات السوفيتية (كي . جي . بي) الى واشنطن ، ألكسندر فومين ، لزيارة صحفي أمريكي يدعى ، جون سكالي ، كان فومين قد التقى به من قبل[5] .

بعد إنقضاء أربعة أيام للأزمة ، وفي غضون خطر يتصاعد من لحظة إلى أخرى ، سـأل فومين ، سكالي فيما إذا كان يعتقد بأن الولايات المتحدة ستوافق على عدم غزو كوبا إذا سحب السوفيت صواريخهم وطائراتهم القاذفة . وقد برهنت تلك الرسالة ، التي نقلها الصحفي إلــى البيت الأبيض ، على أنها كانت نقطة تحول جوهرية في الأزمة [6] .

---

[1] توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥٣.
[2] المصدر نفسه، ص ٣٥٣.
[3] سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٤.
[4] الفن توفلر ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥٤ .
[5] المصدر نفسه، ص ٣٥٤.
[6] المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .

لكن حتى هذه الإستخدامات لتكتيك القنوات الخلفية تعد بسيطة مقارنة مع أسلوب أكثر تطورا يمكن تسميته ب (تكتيك القنوات المزدوجة) وهو توجيه رسائل بديلة أو متناقضة عبر قناتين مختلفتين لإختبار ردود الفعل أو لزرع الإرباك والخلاف بين المتلقين [1] .

خلال المفاوضات حول نظام الصواريخ المضادة للصواريخ البالستية لجــأ كــل مــن كيسنجر، ووزير الخارجية السوفيتي أنكسي جروميكو مرتين إلى إستخدام قناة خلفية لتخطــي السلطة الهرمية لكل منهما . أثناء هذه المحادثات في مايس ١٩٧١ ونيسان ١٩٧٢ كان كيسنجر ما يدفعه إلى الشك في أن السوفيت كانوا يستخدمون تكتيك القنوات المزدوجة ضده [2] .

بعد ذلك بسنوات لجأ (أركادي شيفشينكو) ، وهو مساعد سابق لجروميكو ، إلى الولايات المتحدة ، وكتب في سيرته الذاتية بأن ارتياب كيسنجر لم يكن في محله ، إذ لم يكن الأمر حيلة متعمدة بل خلطا نشأ لأن أحد السوفيت كان " يعمل بناء على تعليمات غير حديثة من موسكو ، ولم يكن على علم بغيرها " . هذا الكلام ، سواء كان صحيحا أم لا ، ليست له صلة بما نحــن فيه هنا ، والأمر الواضح هو أن تكتيكي القناة الخلفية والقناة المزدوجة مستخدمان بكثــرة فــي تحويل السلطة [3]

والحق، يؤكد نيكسون على القنوات الخلفية في السياسة الخارجية، إذ يقول فــي هــذا المجال: "ولذا فمن النصيحة للرئيس ان يقيم قناة خلفية بعيدة عن الجهاز البيروقراطي للتفاوض مع السوفيت، فمن الضروري ان تكون وسيلة خاصة للاتصال بزعماء الكرملين خارج القنوات الرسمية وبعيداً عن عدسات كاميرات التلفاز المتفحصة،. وخلال مدة ادارتي شملت القناة الخلفية اجتماعات منتظمة غير معلنة بين هنري كيسنجر والــسفير الــسوفيتي ذي الكفــاءة والخبــرة العاليتين اناتولي دوبرنين، وكانت تلك الاتصالات حاسمة في المراحل الاولى لمحادثاتنا، عندما كان كل من الجانبين يستكشف مواقف الأخر، وقد حققنا في جلسات العمل تقــدماً اكبــر ممــا حققناه في المفاوضات الرسمية التي كثرت الدعاية حولها[5].

ويردف نيكسون قائلاً: "في سنة ١٩٦٩ اتاحت لنا القناة الخلفية ان نتجنب أزمة كبرى بشأن محاولة السوفيت في اقامة قاعدة للغواصات النووية في التصاعد والتحول الى نزاع كبير بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي، وينبغي للرئيس المقبل ان ينشأ قناة خلفيــة للاتــصال بالسوفيت، ولما كانت هذه القناة تقلل إلى أدنى حد من احتمال تسرب الأنباء او وضع قيود على التبادل الحر للأراء بين كبار القادة فانها تزيد الى أقصى حد من فرص الوصول الى حل موفق للقضايا المتنازع عليها[6].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .
[2] المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .
[3] المصدر نفسه ، ص ٣٥٥ .
[5] نيكسون، نصر بلا حرب، مصدر سبق ذكره، ص١٨٨-١٨٩.
[6] المصدر نفسه، ص١٨٩.

لقد أنشأ كيسنجر وهيج الأركان لعملية القناة الخلفية وذلك لمساعدة نيكسون بالاتصال مع البيت الأبيض من دون علم ليرد وسميث، وفي هذا المجال أكد الرئيس لكيسنجر، انه في حالة حاجة نيكسون لأحد من الشخصيات البارزة في الولايات المتحدة، شبيه بعض الكتب بدين أتشيسون وزير خارجية ترومان لكيسنجر فبإمكانه الإتصال معه عن طريق هذه القناة (القنوات الخلفية كانت تشمل جميع الطرق والتسهيلات المقدمة من وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي والواقعة تحت سيطرة البنتاغون) الذي يقوم بدوره إحالة طلبه الى الرئيس مباشرة، علماً ان كيسنجر عندما كان مستشاراً للأمن القومي ووزيراً للخارجية، دفع موظفيه لكبار الإتصال معه بوساطة القنوات الخلفية. راجع: سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره، ص٧٧-٧٩.

تجدر الإشارة في هذا المجال، بأن الرئيس نيكسون كان له الدور الكبير في سياسة الانفتاح مع الإتحاد السوفيتي[1].

وقد تخطى كيسنجر وزارة الخارجية مرة أخرى عندما احتفظ بقناة خلفية توصله بموسكو فقد كان يبعث برسائل الى البوليت بيرو من خلال اناتولي دوبرنين بدلاً من امرارها عبر مسؤولي وزارة الخارجية المختصين في وزارة الخارجية السوفيتية، ولم يكن احد يعلم في موسكو، عدا قلة من الاشخاص في البوليت بيرو والسكرتارية والسلك الدبلوماسي السوفيتي، بأن الرسائل كانت تنقل جيئة وذهابها على هذا النحو[2].

عندما كان جون كيلي سفيراً للولايات المتحدة في لبنان كان يبعث برسائل مباشرة الى مجلس الأمن القومي مستخدماً تسهيلات CIA بدلاً من إستخدام القنوات الرسمية المعتادة في وزارة الخارجية، وكان هذا يعني انه يتخطى رئيسه وزير الخارجية جورج شولتز، كذلك كان كيلي قد اجرى في مرات عديدة عندما كان يأتي الى واشنطن لقاءات مع اوليفر نورث وغيره من مسؤولي الأمن القومي بشأن خطتهم لمد إيران بالأسلحة مقابل الرهائن، وهي خطة شولتز قد عارضها[3].

دخل الرئيس الأمريكي الأسبق ، رونالد ريغان ، في صراع كبير مع الكونغرس بخصوص تقديم المساعدات للكونترا ، كانت الولايات المتحدة تؤيد الثوار في نيكاراجوا ، ولكن الكونغرس رفض طلب الرئيس ريغان[4] .

حاول الكولونيل أوليفر نورث من مجلس الأمن القومي في وضع خطة معقدة لتفادي هذه المشكلة ، وتكمن الخطة في : واشنطن تبيع السلاح لإيران ، شريطة أن تطلق إيران سراح الرهائن الأمريكيين في لبنان ، أما عائد هذه الصفقة السرية فمن الممكن استثمارها لصالح ثوار الكونترا في نيكاراجوا وبعملية سرية أيضاً [5] .

---

[1] جيمس اندرسون، مصدر سبق ذكره، ص٥٩.

يقول جيمس بيكر في مذكراته: "وخلال مراحل الأزمة أزمة الكويت كان اوزال متفانياً في تأييده للولايات المتحدة ، لقد كان اوزال زعيماً ذا قلب كبير يتحلى بشجاعة فائقة، ومثل شفرنادزة مستعداً المرة تلو الأخرى لتجاوز وزارة خارجيته، ولن يفعل الصواب". راجع: مذكرات جيمس بيكر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص٤١٦.

[2] المصدر نفسه، ص ٣٥٣-٣٥٤، و ، Henderson ,pp. ٢٢٤-٢٢٥.

[3] المصدر نفسه، ص٣٥٢.

عقد كيسنجر العزم في حرب تشرين عام ١٩٧٣ على عدم السماح بالمرة بانتصار المدافع السوفيتية على المدافع الأمريكية، وفي ١٣تشرين الاول من العام نفسه، نجح نيكسون في اقناع كيسنجر بإصدار أوامره للطائرات الحربية الأمريكية بإقامة جسر جوي مباشر الى الأرض المحتلة في فلسطين. راجع: ستيفن اي ، أمبروز ، مصدر سبق ذكره ص٣٤٥.

[4] كيتي كيلي ، نانسي ريغان ، فضيحة في البيت الأبيض ، مؤسسة دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ٤٦٣.

[5] المصدر نفسه ، ص ٤٦٣ .

في نهاية الأمر ، تم تحويل عائدات الأسلحة وقدرها ٣٠ مليون دولار إلى حساب سري خاص بثوار الكونترا [1] .

إكتشف ، أدوين ميز ، المدعي العام في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٦ ، وجود مذكرة توضح خطة أوليفر نورث ، وفي اليوم التالي ، قدم ميز إستشارته للرئيس ريغان بأهمية الإعلان عن تلك الخطة فوراً حتى لا يتهم بالتستر على نورث ، في الوقت الذي نصح أفير الرئيس إقالة نورث من منصبه . وفي خضم هذه التطورات إتصل الرئيس بمستشار الأمن القومي ، وأبلغه أن الخطة ستكون قصة لا فيلم ممتاز في يوم من الأيام . وفي نهاية المكالمة أبلغه بقرار إقالته . ولكن مع ذلك أمتدح ريغان أوليفر نورث ووصفه بالبطل ، في حين أن الأدميرال جون بويند مستشار الأمن القومي إستقال بعد أن أحاطت به الفضيحة المدوية .

كانت هناك دهشة من الرأي العام الأمريكي ، بعد كشف الفضيحة من الرئيس ، الأمر الذي أدى إلى مهاجمته من الحزبين الديمقراطي والجمهوري [2] .

علق الرئيس الأمريكي الأسبق ، جيمي كارتر على ذلك قائلاً : " لقد دفعنا فدية للرهائن ، أن هذا خطأ فاضح " . أما الرئيس الأمريكي الأسبق ، فورد فقد ذكر قائلاً : " أياً من كان الذي وضع هذه الخطة السرية ، يجب أن يدينه الكونغرس والمواطنون " [3] .

وفي هذا الصدد ، كتب جورج ويل قائلاً : " إن المستشارين المقربين من ريغان يتميزون بقلة الكفاءة وهم من أسوأ من أحاطوا برئيس أمريكي منذ الحرب العالمية الثانية " [4] .

علق الرئيس ريغان على ذلك قائلاً : " لم أكن على علم بكل الحقيقة ، ولكن لم يكن هناك من يصدق الرئيس بمن في ذلك شقيقه .. بعضنا يكون مثل من يسيرون خلف طابور العرض في الشارع الرئيس ينظفون آثار سير الأفيال في المكان " [5] .

كان من نتائج كشف الفضيحة ، إنخفاض في شعبية ريغان ، الأمر الذي أظهرته إستطلاعات الرأي العام ، ولأول مرة أصبح هناك شك وريبة في صدق الرئيس [6] .

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٤٦٣ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٤٦٤ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٤٦٤ .

[4] المصدر نفسه ، ص ٤٦٥ .

[5] المصدر نفسه ، ص ٤٦٤ .

[6] ألقت زوجة الرئيس ريغان ، نانسي ريغان اللوم على رئيس العاملين في البيت الأبيض ، وعده المسؤول عن أسوأ أزمة صادفت الرئيس . من وجهة نظرها كيف يكون ريغان هو المسؤول عن قضية مثل إيران – غيت ، بعد أن كان يصف نفسه " ثاني أهم الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة " ولكنها إستدركت وقالت " على كل حال لقد حدث كل شيء تحت عينيه " . وأضافت نانسي قائلة : " إن ريغان قد خدع ، وإن مساعديه لم يكونوا أوفياء له " .

وحري بالذكر ، تجاهل رئيس العاملين في البيت الأبيض في شهر شباط من السنة نفسها ، أوامر نانسي ريغان ، وأن يعقد مؤتمراً صحفياً للرئيس ريغان الذي لم يعقد سوى ٤٧ مؤتمراً صحفياً فقط طوال ثماني سنوات قضاها في الرئاسة ، أقل من أي رئيس في القرن العشرين .

ومن ناحية أخرى ، ذكرت نانسي ريغان : " هذان الشخصان (نورث وبويند كستر) يعرفان حقيقة ما حدث " . وصرحت نانسي لوسائل الإعلام قائلة : " لا أحد غيرهما يعرف الحقيقة ... روني لا يعرف أي شيء ، وكذلك نحن نسعى للحصول على شهادة نورث وبويند كستر " .

تجدر الإشارة في هذا المجال ، أن زوجة ريغان ، نانسي ريغان قد دفعت زوجها لأن يعرض منصب رئيس العاملين على " هوارد بيكر " السناتور الجمهوري السابق ، ولذلك بعد الإعلان عن نتائج اللجنة سربت نانسي للصحافة خبر تعيين " هوارد بيكر " في المنصب ، وعندما سألتها الصحافة عن ذلك قالت سكرتيرتها الصحافية ، أن نانسي تتمنى حظاً سعيداً لريغان ، وترحب بهوارد بيكر . وقد أدهش هذا الإعلان الرئيس ، ورئيس الأركان . ومنع ريغان من أن يحقق لنفسه خروجاً مشرفاً من البيت الأبيض . راجع : المصدر نفسه ، ص ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ .

وفي هذا المجال يقول دينيس توماس قائلاً : " لقد كان من المحزن أن تشاهد شعبية الرئيس تنخفض يوما بعد يوم ، وأن نعرف أن كل قراراته تتخذها نانسي ومنجمتها " جوان كويجلي " ، ومنجمة أخرى لم تفصح نانسي أبدا عن إسمها[1] .

وبسبب الضجة التي أحدثتها الفضيحة ، بدأ ريغان أكثر تشتتا فهو لم يستطع أن يفهم لماذا فقد المواطنون الأمريكيون ثقتهم به خاصة بعد أن أمر بتشكيل لجنة تاور للتحقق في القضية ، كما أنه عين دافيد أبشاير ، السفير السابق لدى حلف شمال الأطلسي كمستشار خاص للجنة لتوفير المعلومات اللازمة للتحقق ، بحيث لا يستطيع أحد أن يتهم ريغان بالتستر على المتورطين في الفضيحة[2] .

ولكن ريغان ، رفض أن يقدم أي إعتذار في وسائل الإعلام عن بيع أسلحة لإيران ، وإنما إكتفى بالإعتذار غير المباشر عندما قال : " لقد وقعت أخطاء " ، ولم يحدد من الذي إرتكب هذه الأخطاء ، ولكنه على أي حال وجه اللوم إلى نورث وبويند كسبَر عندما إنفرد بهما[3] .

يقول جورج شولتز في مذكراته عن ذلك: لم اكن أعلم الا بالنزر اليسير عن التفاوض مع إيران[4] بشأن رهائن محتجزين في لبنان،[5] بيد انني كنت جاهلاً الدافع وسبب

---

[1] والحق ، بخلاف عدد قليل جدا من المساعدين الذين كانوا يثقون فيهم ، لم يكن أحد يعلم حتى أبناؤها مدى إعتماد نانسي ريغان على المنجمين ، ويقول إبنهما (رون ريغان) : " كنت اعتقد لمدة طويلة أن الصحافة تمزح عندما كانت تذكر هذا الموضوع .. ثم تذكرت إنني شاهدت (سام دونالدسون) يتناول هذا الموضوع في برنامجه بصورة جدية تماما ، فسألتها في النهاية ، وعرفت أن ذلك صحيح ، وقد أدهشني ذلك مثلما أدهش الجميع " . وتقول باتي ديفز " أنا اعتقد أن هناك تشابها بين الشخصيات التي تولد في البرج نفسه ، ولكنني لا يمكن أن أسمح لأحد أن يوجه حياتي فإذا قال أحد لا تخرجي من المنزل اليوم لأن النجوم في موقع سيء سأقرر على الفور مغادرة المنزل ، وأستقل أول طائرة مسافرة إلى جنوب أفريقيا " . راجع : المصدر نفسه ، ص ٤٦٩ – ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٤٦٨ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٤٦٨ .

[4] يقول وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق جورج شولتز : " يعود سبب نشوء فضيحة إيران غيت إلى حد ما إستخدام هيئة المجلس نفوذ البيت الأبيض بصورة خاطئة ، والتملص من محاسبة ومراقبة الفرع التنفيذي ، ولهذا لم أقبل توصية لجنة تاور القاضية بترأس هيئة مجلس الأمن القومي لمجموعات من ممثلي مختلف المؤسسات الحكومية ، وأيضاً ترأس الإجتماعات على مستوى القيادة ، وبذلك تتحكم الهيئة ببرنامج أعمالهم وخطوات سيرهم " . راجع : مذكرات جورج شولتز ، اضطراب ونصر ، ج٢، الخيوط الأولى، ترجمة محمد محمود دبور ، محمود العابد ، عمار جولاق ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤، ص ٣٨٠.

[5] احتدم الصراع بين مجلس الأمن القومي ووزارة الخارجية على عهد الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان ، في مسألة إختطاف طائرة TWA رحلة ٨٤٧ ، حيث تم خطفها في ١٤ حزيران من العام ١٩٨٥ وكان على متنها ١٥٣ مسافرا وملاحا ، معظمهم من الأمريكيين . طالب الخاطفون بإطلاق سراح ٧٦٦ سجيناً عربياً محتجزين لدى الكيان الصهيوني ، فضلاً عن ١٧ سجينا في الكويت . في هذا السياق يقول وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جورج شولتز : " في ١٨ حزيران وصل رد الرئيس حافظ الأسد على رسالة الرئيس ريغان وكان في صيغة سؤال : هل نفهم من ذلك أن الولايات المتحدة ستبذل جهودها لإخراج السجناء اللبنانيين خصوصاً وأن الولايات المتحدة قد شجبت من دون قلق سجنهم ونقلهم إلى خارج لبنان وخرق إسرائيل بذلك لميثاق جنيف الرابع ؟ وقبل أن أعمل على صياغة الإجابة كان لاري سبيكس الناطق الرسمي باسم البيت

اطلاق سراح جاكبسون. وكنت مطلعاً على محاولات سابقة لاطلاق سراح الرهائن، وعارضت بشدة ما ارتأيت انه مقايضة للسلاح بالرهائن، ففي عام ونصف عام تقريباً من ذلك الوقت، وفي اواخر ربيع، عام ١٩٨٥، شاعت الأقدار ان أوقع على أول إشارة بهذا الصدد، عندما علمت ان مستشار الأمن القومي (NSC) بدمكفارلن، وعدداً من موظفي مجلس الأمن القومي أرادوا ارسال اسلحة الى إيران في محاولة لإطلاق سراح رهينة أمريكية محتجزة وبتورط إسرائيلي، ودخلت في أربعة صراعات رئيسة ما بين أواسط عام ١٩٨٥ وخريف عام ١٩٨٦ من اجل وقف صفقة كهذه، وشعرت في كل مرة- او تم التأكيد لي- ان وجهة نظري هي المسيطرة والمنتصرة، غير أن الأمر لم يتوقف، ولم أستطع القضاء على خطره برغم جهودي"[1].

ويردف شولتز قائلاً: "وفي إجتماعين إثنين مع الرئيس ومستشارين رفيعي المستوى، عارضت بيع كمية من السلاح إلى إيران، سواء اكان ذلك مرتبطاً باطلاق سراح الرهائن ام لم يكن، وايدني بذلك واينبرغر كل التأييد، ودافعت عن وجهة نظري قائلاً ان إخبار مسؤولي الخارجية بشيء ما تم التصرف بخلافه سينتهك سياستنا الخاصة بناء ويدمر كرامتنا، ويكسبنا احتقار الجميع بمن فيهم الإيرانيون، وتورطت في القضية شخصيات مريبة حاولت خداعنا لتنفيذ مآربها الخاصة"[2].

ويضيف شولتز قائلاً: "كان السفير جون كيلي السفير الوحيد (من بين ثلاثة) الذي اتصلت به هيئة مجلس الأمن القومي بشأن تلك العملية، ولم يبلغ وزارة الخارجية عنها، وكان سلوكه في الميدان العملي متبايناً بشدة مع سلوك سلفه السفير ريغنح بارثو لوميو"[3].

الأبيض ، وفي موعد الإيجاز الذي يعطيه للصحفيين الساعة العاشرة صباحا ، قد أعلن أن الولايات المتحدة " ترغب من إسرائيل إطلاق سراح السجناء " المعتقلين في إسرائيل . واستبد بي الغضب ، وذهبت للرئيس لأخبره بمدى الضرر الذي تعرضت له سياستنا بسبب سبيكس ووافقني على ذلك . وصدر الأمر إلى جميع موظفي البيت الأبيض بأنه من تلك الوقت فصاعدا يجب أن تراجع وزارة الخارجية في أية مسألة . وقد حصل ذلك بالطبع بضغط من وزارتي التي طلبت عدم تدخل موظفي البيت الأبيض . وجاء في رد الرئيس ريغان على الرئيس الأسد : " لن تتم أية صفقات عن طريقنا ، ولن نطلب من الآخرين أن يعقدوا صفقات مع الخاطفين كذلك . وأن العائق أمام إطلاق السجناء هو إحتجاز الرهائن في مطار بيروت فقط .. " راجع : مذكرات جورج شولتز اضطراب ونصر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٠ ، ٢٢٥ .

[1] المصدر نفسه ، ص٢٧٦.

[2] المصدر نفسه ، ، ص٢٧٦.

نقل عن هاشمي رفسنجاني الناطق باسم مجلس الشورى الإسلامي رقتئذ ، " أن مكفارلن قد زار طهران سرا في أيلول من العام ١٩٨٦ ، وبرفقته أربعة أمريكيين ، وأنهم جاءوا على متن طائرة تحمل معدات عسكرية لإيران تم شراءها من تجار أسلحة عالميين وأقاموا في غرفة في أحد الفنادق لمدة خمسة أيام ثم غادروا " . وأضاف رفسنجاني : " حمل المبعوثون جوازات سفر إيرلندية ، وجلبوا معهم (كعكة وإنجيلا يحمل توقيع الرئيس ريغان) . يقول شولتز في هذا المجال : " وصنعت الكعكة على شكل مفتاح - يفترض أنه مفتاح للصداقة بين الولايات المتحدة وإيران - وأكلها الحرس الثوري الجائع لدى وصولها أرض المطار ، وكانت الحادثة غريبة جدا بحيث يصعب تصديقها " . راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ .

[3] المصدر نفسه، ص٣٦٤. وجون كوولي ، الحصاد ، ترجمة عاشور الشامس، بيروت ، ١٩٩٢ ، ط٢ ، ص٧٥-٧٦.

وقد بلغ من حنق شولتز عندما علم بواقعه بيروت، حدا جعله يهاجم كيلي علنا ويحظر على موظفي وزارة الخارجية الاتصال خارج القنوات الادارية للوزارة بدون تعليمات صريحة منه او من الرئيس[1].

عند سماعه بهذه الواقعة لم يتمالك لي هاميلتون رئيس لجنة الاستخبارات بمجلس النواب عن الاوضاع بما اعتمل في نفسه قائلاً: "انني لا اعتقد انني سمعت ابدا بحدوث شيء كهذا من قبل هذا التخطي الكامل لوزير خارجية امريكي[2].

يمكن ان يتخيلوا ان مثل هذه الصفقات تظل سراً لمدة طويلة في الشرق الاوسط، فالامداد بالسلاح يجب فقط ان يتبع الانفتاح السياسي لا ان يسبقه (لقد مر ما يقارب عشر سنوات بعد التقارب مع الصين قبل ان تبيع الولايات المتحدة أسلحة إلى بكين).

يضيف جورج شولتز على ذلك قائلاً : " لطالما ترك بانلي ، الإنطباع أنه يريد كمستشار للأمن القومي أن يكون مثل هنري كيسنجر ، أن يقوم بأعمال كبيرة ومثيرة سرا . وكما حقق هنري الإنفتاح على الصين ، كذلك كان لدي بد فكرة الإنفتاح على إيران "[3] .

تفيد دراسات الولايات المتحدة الإستخبارية التي أجريت فيما بعد أن الكيان الصهيوني كان مع ذلك الوقت يقوم بشحن الأسلحة (غير الصهيونية) لإيران ، وأن شخصيات من أمثال يعقوب نمرودي (الذي وقع والعقيد دينغان بعد أقل من أسبوع من موعد تلك الحادثة إتفاقيتهما البالغ قيمتها ٨ , ١٣٥ مليون دولار) والوسيط منوشهر غربانيفار كانوا يعدون لصفقات خاصة تتعلق بأسلحة أمريكية . وفي شهادة لروبرت ماكفارلين قال إن وكالة الإستخبارات المركزية لم تخبره عن تلك الصفقات " الإسرائيلية " ، كما أخبر وزير الخارجية جورج شولتز في برقية أرسلها إليه بعد الإدلاء بتلك الشهادة أنه من الواضح أن القنوات " الإسرائيلية كانت موجودة منذ مدة طويلة . وذكر أحد موظفي مجلس الأمن القومي ، أن ماكفارلين كان يتجاهل تلك التقارير لعدم وجود أدلة قاطعة عليها ، وأن رئيس الوزراء " الإسرائيلي شيمون بيريز قد أكد للولايات المتحدة عدم وجود تجارة من ذلك النوع[4] .

يقول في هذا السياق ، جون كوولي : " بعد وقت طويل من ذلك التاريخ كان لي حديث مع الجنرال أهارون ياريف الذي كان في عام ١٩٨٩ يدير هيئة للتخطيط – مسالمة إلى حد ما – تعرف بإسم مؤسسة الدراسات الإستراتيجية بجامعة تل أبيب ، فسألته عن الحكمة في تزويد إيران بالأسلحة الإسرائيلية سرا في الوقت الذي كان زعيمها يفصح عن نواياه لتحطيم إسرائيل علنا ؟ كما ذكرته بأن حزب الله ينظم الهجومات الإنتحارية ضد القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان . هز ياريف كتفيه ، ثم قال : " أنت بالطبع على صواب فيما تقول على الأقل في الوقت الحاضر . ولكنك تعلم وأنا أعلم أن مصلحة إسرائيل الإستراتيجية تكمن في المحافظة

---

[1] توفلر ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٥٢.

[2] المصدر نفسه ، ص٣٥٢-٣٥٣.

[3] مادلين أولبرايت : مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا إستعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥ .

[4] جون كوولي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٥ .

على صداقة إيران ومساعدتها لمقاومة عدوان العدو المشترك وهو اليوم عرب العراق وقبل ثلاثة آلاف سنة كان نبوخذ نصر والبابليين . فضلاً عن ذلك ، فإن الكثيرين ممن فيهم إسرائيليين قد أثروا من جراء صفقات السلاح مع إيران [1].

مع دخول القوات الإيرانية لبنان لمواجهة قوات المشاة البحرية الأمريكية ، والجنود الفرنسيين التابعين لقوة السلام المتعددة الجنسيات وطردهم ، كان خط محور طهران – تل أبيب يعمل في غاية الفاعلية [2].

وفي واقع الأمر ، أراد مكفارلن بوصفه مستشاراً للأمن القومي أن يصبح مثل وزير الخارجية الأسبق هنري كيسنجر ، فيحقق أشياء عظيمة وإستثنائية ، ولكن بصورة غير معلنة . وكما حقق كيسنجر " الإنفتاح على الصين الشعبية " ، كانت لمكفارلن فكرة تحقيق " إنفتاح على إيران " . وأراد مكفارلن تحقيق هذا الإنقلاب بطريقة سرية بعيداً عن تدخل مجلس الأمن القومي ، ومن ثم يقدم للرئيس النجاح في إعادة إيران إلى صف الدول الغربية [3].

لكن كيسنجر تعامل مع مسؤولين في الحكومة الصينية ، ولم ينتهك قوانين الولايات المتحدة في تحقيق هدفه ، بينما حصل العكس فيما يخص تلك الأسلحة مع إيران ، حيث نفذت بالتعاون مع تجار سلاح دوليين سيىء السمعة وغير محترمين ، وبالتعاون مع وكلاء سريين . فضلاً عن ذلك ، تورط في بعض المراحل أوليفر نورث وبل كيسي ، وهيمنت مسألة الرهائن على مجمل الخطة ، ولابد أن الإيرانيين أدركوا ، وبمساعدة فورة وإثارة وسائل الإعلام من دون أدنى شك ، أن الرئيس الأمريكي رونالد ريغان [4] ، سيفعل أي شيء في سبيل إستعادة الرهائن [5].

---

[1] جون كولي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٦ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

[3] مذكرات جورج شولتز ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٨ .

[4] كتب هنري كيسنجر عن ريغان قائلاً : " لم يكن ريغان يعرف التاريخ كثيراً ، واستخدم القليل الذي يعرفه تدعم آرائه المسبقة . وقد تعامل مع الإشارات التوراتية إلى المعركة الفاصلة كأنها توقعات صلاتية . ولم يكن تكثير من الطرف التاريخية التي كان مولعاً بها أساس من الحقيقة .. كانت تفاصيل السياسة الخارجية تضجر ريغان . لقد استوعب قليلاً من الأفكار الأساسية عن مخاطر الإسترضاء وشرور الشيوعية ، وعظمة بلاده ، لكن تحليل القضايا الموضوعية لم يكن من نقاط قوته " .
كان نهج ريغان المبسط وإفتقاره إلى المعرفة يقودان إلى الإلتباس بوصفه مديراً للسياسة الخارجية . وفي ثماني سنوات شهد ستة مستشارين للأمن القومي ، ووفقاً لوزير خارجيته " كانت وكالة المخابرات المركزية ومديرها بيل كايسي مستقلين مثل خنزير على الثلج ، ويمكن أن يكونا وائقين بقدر ما كانا مخطئين . وقاد ريغان أيضاً تدخلاً عسكرياً كارثياً في لبنان ، وفضيحة إيران الكونترا .
ومع ذلك كله ، أفاد أن جورج دبليو بوش أبلغ جون ماكين : " لا أريد أن أكون مثل والدي ، أريد أن أكون مثل رونالد ريغان . وقد اختار مسح أجرته قناة ديسكوفري ريغان كأعظم شخصية في التاريخ الأمريكي ، متقدماً على لنكولن وواشنطن ومارتن لوثر كنغ جونيور . راجع : مادلين أولبرايت ، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا إستعادة سمعة أميركا ودورها القيادي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١ .

[5] جون كولي ، مصدر سبق ذكره ؛ المصدر نفسه ، ص ٣١٨ .
عندما كان نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني ، يخدم في الكونغرس ، كان داعية للفرع التنفيذي على حساب الفرع التشريعي . ولم يعمل أحد بجدية أكثر منه لإضعاف سلطة الكونغرس على مراقبة البيت الأبيض . وكعضو جمهوري رفيع المستوى في لجنة الإستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ في عام ١٩٨٧ ، كان تشيني يسعى إلى الدفاع عن تعاملات إدارة ريغان في فضيحة إيران – الكونترا . برر تشيني أعمال الكولونيل أوليفر نورث ، واللواء البحري جون بوين دكستر ، ومساعدين آخرين لإدارة ريغان . وفي هذا السياق ، قال مستشار البيت الأبيض جون دين : " انه يتوجب أن نتذكر أنه خلال الفضيحة ، أصبح تشيني المدافع الرئيس عن الرئيس ريغان في الكونغرس " . راجع : جون نيكولز ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٩ .

وقد تضاعف هذا الخطأ عندما سمحت الحكومة الأمريكية للهاجس المتسلط بشأن مصير الرهائن في لبنان بان تؤدي الى مقايضة الأرواح الأمريكية بالأسلحة الأمريكية، وقد تحول الأمر الى محاكاة عندما قرر اعضاء هيئة مجلس الأمن القومي تحويل ارباح صفقات السلاح الإيرانية الى الكونترا في نيكاراغوا [1].

كشف آية الله منتظري في مذكراته بعد ثلاثة عشر عاما من إعدام مهدي هاشمي في عام ١٩٨٧ ، أن الأخير لم يكن وراء تهريب المتفجرات ، بل جهات بعينها في وزارة الإستخبارات الإيرانية . وقدر أن هاشمي أعدم لأنه كشف عن زيارة مكفارلين مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان لطهران في عام ١٩٨٦ والتي أسفرت عن صفقة " إيران غيت " ، والتي حصلت إيران بموجبها على أسلحة أمريكية أثناء الحرب مع العراق[2] .

اعترف رفسنجاني ، المدير الرئيس للصفقة بحدوث قضية " إيران غيت " ، عندما صرح قائلا : " أنها كانت ضرورية لنا بسبب سياق الحرب وضروراتها ، إلا أنها أيضا كانت خيارا واعيا من جانبنا ، ومبادرة أطلقناها نحن ، وظلت تحت سيطرتنا في تفاصيلها كافة. وعندما أقيمها الآن أصنفها كجزء من مفاخر العمل الدبلوماسي . لكن الوضع السياسي الملوث هو الذي يسمح أحيانا للبعض أن يقول ما يشاء دون حساب . في تلك المبادرة استطعنا إيجاد انشقاق حقيقي في الإدارة الأمريكية ، وأزمة ظلت تلاحقهم لسنوات ، واقتربت من أن تتحول إلى فضيحة تشبه فضيحة ووترغيت مع نيكسون . وبالمقابل فقد إستطعنا أن نحصل على إمتيازات عديدة ، كما أنها أفادتنا سياسيا بشكل جيد ، ولم ندفع ثمنا سوى مساع حثيثة لإطلاق سراح رهائن غربيين كانوا محتجزين في لبنان ، إذ كنا نعتقد بأن البعد الإنساني للقضية كان يتطلب تدخلنا لأننا لم نكن مرتاحين لوجود رهائن . استطعنا الحصول على إحتياجاتنا من صواريخ تاو وهوغ والتجهيزات الصوتية لراداراتنا دون أن ندخل في ضرورات وتبعات المفاوضات المعروفة [3] .

ويقول نيكسون في هذا المجال: ان مجلس الأمن القومي يجب ان لا يتورط تنفيذياً في العمليات السرية، فلضمان النجاح يجب ان تكون هذه الأنشطة قابلة للتنصل منها يجب ان تنفذ بطريقة يمكن للولايات المتحدة معها انكار تورطها بطريقة يمكن تصديقها، لكن ذلك يصبح مستحيلاً اذا اديرت العمليات السرية من مبنى المكتب التنفيذي الضيق. الا اننا ينبغي لنا على اية حال، ان نميز بين العمليات السرية والمفاوضات السرية، وينبغي للرئيس ان يكون قادرا على ان يستخدم مستشاره لشؤون الأمن القومي مفاوضاً عنه اذا اراد، وفي اغلب الأحيان ولاسيما اثناء المباحثات الحساسة مع زعماء الحكم الشمولي، يكون رئيس مجلس الأمن القومي افضل من وزير الخارجية[4].

---

[1] ريتشارد نيكسون ، نصر بلا حرب ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٣ – ١٢٤ .

[2] مصطفى اللباد ، حدائق الأحزان إيران و " ولاية الفقيه " ، ط ٦ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ١٩١ . وأسد الله بادامچيان ، خاطرات منتظري ونقد آن ، انديشه ناب ، تهران ، ١٣٨٢ ، ص ٧١ ج – ٧٧ ج ، ٧٠٩ – ٧١٠ ، ٧١٥ – ٧١٧ .

[3] محمد صادق الحسيني ، الشيخ الرئيس من قرية الياقوت الأحمر الى عرش الزعامة الذهبي ، رياض الريس للكتب والنشر بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٩٨ – ٩٩ .

[4] ريتشارد نيكسون ، نصر بلا حرب، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٦ .

والحق، يقصد نيكسون ان صلاحيات مجلس الأمن القومي الأمريكي قد تجاوزت صلاحيات وزارة الخارجية، وفي هذا يقترح نيكسون عودة وزارة الخارجية الى ممارسة المسؤولية الكاملة عن السياسة الخارجية[1].

ادين في قضية إيران-كونترا عضو مجلس الأمن القومي السابق الكولونيل اوليفر نورث وجون م.بوينيكستر[2] مستشار اخر لريغان في مجلس الامن القومي[3].

ونتيجة لذلك دعا الرئيس ريغان[4] الكونغرس إلى التحقيق في قضية إيران-كونترا، ووضع توصيات تقليص امكانية حدوث فضائح مماثلة في المستقبل[5].

اصدر ريغان ايضاً نتائج شفهية بشأن قضية إيران-كونترا، واصدر نتائج تحقيق سعى من خلالها على نحو ارتجاعي اجازة ما كانت الـCIA قد فعلته وبعد تلقيه تقرير مجلس

---

[1] المصدر نفسه، ص ١٨٥، ولويس فيشر : مصدر سبق ذكره، ص٢١٥-٢١٧.
يتحدث الكاتب الأمريكي بروستراك دبلي عن وجود منصب مؤقت وباسم منصب وزير خارجية فوق العادة، تم ايجاد مثل هذه الوظيفة ثلاث مرات منذ نشوء مجلس الأمن القومي، اعطيت هذه الوظيفة لكل من دين اتشيسون وجون فوستر دالس.
جون فوستر دالاس كان جده مبشراً مسيحياً الذي قام بسفرة في مركب شراعي من بوسطن الى مدارس في الهند، وكان جده جون ديفيز فوستر تقلد منصب وزير الخارجية سنة ١٨٩٢ أيام الرئيس هاريسون، درس القانون في جامعة السوربون في سنوات١٩٠٨-١٩٠٩، اشترك في مؤتمر السلم في باريس عام ١٩١٩، اصبح وزيراً للخارجية في ادارة ايزنهاور عام ١٩٥٧، وهو شقيق دالاس الذي اصبح مدير آلـ C.I.A. على عهد الرئيس ترومان، تأثر بآراء الرئيس ودرو ولسن، راجع: الن دالاس، مصدر سبق ذكره، ص٦٠٩، وهنري كيسنجر، وفي هذه التجارب الثلاث، اكد الرئيس نظرياً وواقعياً للمسؤولين في الدولة ان وزير الخارجية يعد هو الوزير الاول في الموضوعات الخاصة بالسياسة الخارجية والدفاعية، وانه ينبغي النظر الى قيادته بكل تقدير واحترام، وقد اصبح هناك نوع من التكامل خلال هذه الحقبة بين الأمور الخارجية والعسكرية، فضلاً على وحدة الكلمة التي تميزت بها الحكومة. راجع: دبلي بروستراك، مصدر سبق ذكره ص٢٠٧.

[2] أعطى ريغان حصانة محدودة لكل من أوليفر نورث وبويند كستر للإدلاء بشهادتيهما أمام لجنة المخابرات في الكونغرس. راجع : كيستي كيلي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٦٨ .

[3] كان في قائمة من اتصلوا بالإيرانيين في فضيحة إيران – غيت ، مايكل ليدين ، وهو ناشط أمريكي محافظ ، وهو الذي عرف منوشهر غوربانيفار ، الوسيط الإيراني المحافظ ، على أوليفر نورث .راجع : جورج تينت بالإشتراك مع بيل هارلو ، في قلب العاصفة السنوات التي قضيتها في السي آي إيه ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٢٢ .

[4] رونالد ريغان من مواليد عام ١٩١١ ، الرئيس الأربعون للولايات المتحدة (١٩٨١ – ١٩٨٩) من الحزب الجمهوري ، صاحب" مبادرة الدفاع الستراتيجي "المعروفة بحرب النجوم . راجع : نعوم تشومسكي ، سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٢ .

[5] دبلي بورستراك ، مصدر سبق ذكره ، ص١٨، وللمزيد من المعلومات راجع : دونالد نودارد، ليفرنسوكي كولمان، في قضية الأخطبوط من بيروت الى لوكربي خفايا المخابرات العسكرية الامريكية، طرابلس، ١٩٩٧، ص١٣٨-١٣٩، ومادلين أولبرايت ، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا إستعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥ .

نأور، أصدر ريغان قراراً توجيهياً لمجلس الأمن القومي تحت اسم ٢٦٦ NSDD في ٣١ آذار ١٩٨٧، ومنع ذلك الأمر موظفي مجلس الأمن القومي من القيام بعمليات سرية، وفي وقت لاحق اصدر ريغان القرار NSDD٢٨٦ الذي يشترط الحصول على نتائج تحقيق مكتوبة (مع انه يسمح بالنتائج الشفهية في الحالات الطارئة وذات المدى القصير) ويمنع في الوقت ذاته اصدار نتائج تحقيق بمفعول ارتجاعي[١] .

وأيد تقرير الكونغرس بشأن إيران-كونترا النتائج المكتوبة، ومع اصدار نتائج ارتجاعية، كما اعترض على وجود عبارات مبهمة مثل "الاشعار في الوقت المناسب" التي تضمنها قانون الرقابة على المخابرات لعام ١٩٨٠ وأوصى بوجوب اشعار الكونغرس قبل المباشرة بأية عملية سرية (باستثناء حالات نادرة)، ومرر مجلس الشيوخ ١٩٨٨ تشريعاً يشترط على الرئيس اشعار الكونغرس بأية عملية سرية خلال ٤٨ ساعة، ولكن مجلس النواب، فشل في اتخاذ اجراء بشأن مشروع القانون، وقال مسؤولون في الادارة في شهاداتهم، ان هذا القيد ينتهك سلطات الرئيس الدستورية[٢] .

صدر قانون عام ١٩٩٠ حدد لاجازة الأعمال الإستخباراتية اجراءات قانونية جديدة لتنفيذ العمليات السرية، وقد ادخل قانون اجازة العمليات الإستخباراتية لعام ١٩٩١ تعديلات على قانون مراقبة الإستخبارات لعام ١٩٨٠ باشتراطه عدداً من الاصلاحات ادخالها على نتائج التحقيقات الرئاسية بشأن العمليات السرية، اذ طلب ان تتم كتابة والا تكون لها تأثيرات إرتجاعية، وانها لن تخول احداً بأي اجراء سينتهك القانون الفدرالي او الدستور وانها يجب ان تحدد أي طرف ثالث (دولة اجنبية) لها علاقة بالعملية السرية وقدمت تلك النتائج للجنتي الإستخبارات في المجلسين[٣] .

وهنا لابد من التأكيد، من ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كان لها الدور البارز في السياسة الخارجية الأمريكية، يكفي ان نذكر بعض الشواهد على ذلك منها ما جاء في مذكرات ايدغار هوفر المدير السابق لـ(CIA) والذي اكد كيفية اختراق الاخيرة لتخوم الكوبية، وقيامها بتنفيذ فعاليات عسكرية ضد النظام السياسي في كوبا، وكيفية انتهاء غزو الجزيرة بالفشل، الا أن الوكالة لها الدور الحاسم في كشف منصات صواريخ نووية سوفيتية في كوبا، وهذا يعني ان الوكالة في مستهل الستينات من القرن العشرين كانت اداة رئيسة في تنفيذ سياسة "الدومينو" والقائمة على مساندة الأنظمة المناهضة للشيوعية[٤] .

---

[١] لويس فيشر، سياسات تقاسم القوى: الكونغرس والسلطة التنفيذية ، ط٣، ترجمة مازن حماد، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٩٤ ، ص٢١٨-٢١٩.

[٢] المصدر نفسه، ص٢١٩.

صادق الكونغرس على مجموعة من القوانين التي تقيد من صلاحيات المؤسسة التنفيذية، وتعديلات جاكسون فانيك وستيفنسون في عام ١٩٧٣و ١٩٧٤ واضحة في هذا المجال والتقييدات على استخدام وكالة المخابرات المركزية في خريف ١٩٧٤، وقانون الرقابة على تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٥. راجع: فواز جرجس ، السياسة الأمريكية تجاه العرب ومن يصنعها، ط٢ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٢، ص٨٢.

[٣] فيشر، مصدر سبق ذكره ، ص٢١٩-٢٢٠.

[٤] منصف السليمي، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠٤.

ومن المؤكد فيه، أن كيسنجر ومن خلال مراقبته السلوك السياسي الخارجي للوكالة، كان قد أدرك دورها في حرب فيتنام ومدى تورطها فيها بسبب معلومات خاطئة من قبلها وهذا ما أشار إليه ماكس سكايدمور، وقد تكرر هذا الاخفاق من قبل الوكالة عندما واجه كارتر أزمة الرهائن الأمريكان في إيران بناء على معلومات خاطئة من الوكالة في المجال الإقتصادي والسياسي في إيران وعلى عهد الشاه، واعتمدت عليها لتنفيذ عملية انزال جوي لانقاذ الرهائن، واخفاق المحاولة، على الرغم من تعاون سبعين شخصاً محترفاً معها في هذا المجال[1].

وتجدر الإشارة في هذا المجال، أن كيسنجر عندما كان مستشاراً في مجلس الأمن القومي، وضع اجهزة تنصت على هواتف معاونيه، من اجل ضبطهم والتأكد من عدم قيامهم بتسريب معلومات مهمة للصحف والكونغرس[2].

اما مسؤولية وزير الخارجية فانها تختلف عن ذلك اختلافاً كبيراً فهو يجلس يومياً على رأس تشكيلة واسعة من العلاقات التي لا تنعكس دائماً على جدول اعمال الرئيس او على أعمال مجلس الأمن القومي[3].

وحينما تسلم كيسنجر وظيفة وزير الخارجية في خريف ١٩٧٣، حاول تغيير هذه الخطة، حاول ان يجعل من الخارجية أداة رئيسة في عملية صنع القرار، وقد ساعده في ذلك وظيفته كمستشار للأمن القومي، ذلك لان الإفصاح عن السياسة الخارجية وادراتها من وجهة نظر كيسنجر يجب ان تترك بشكل رئيس الى مجلس الأمن القومي، ووزير الخارجية وان إعداد الخيارات التي هي ما تقوم به الآلية عبر الوزارية بشكل رئيس تكون من صلاحية المستشار الأمني، لكنه لم يحقق نجاحاً في هذا المجال[4].

أدلى كيسنجر في شهادة له امام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ في أيلول ١٩٧٣، يمكنني القول ان الفكرة القائلة ان هذا العمل هو غير اعتيادي، اما فيما اذا كان يعد غير قانوني، بكل سهولة لم تخطر ببالي ابداً، كما انني وحسب معرفتي لا اعلم فيما اذا كان هذا العمل قد قامت به الإدارات السابقة[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص٢٠٤-٢٠٥.

[2] توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٩.

[3] كيسنجر، سنوات العصف، مصدر سبق ذكره، ص٧٠٦.

[4] كان تأثير لجنة العلاقات الخارجية يوازي اهمية وزير الخارجية في الولايات المتحدة، فهو قناعتها في المؤسسة التنفيذية، وهو الشخص الذي يمكن تحميله المسؤولية، وهو الشخص الذي تستطيع اللجنة ان تنقل اليه اراءها السياسية بانتظام وعندما يكون ذا تأثير دائماً تؤدي اللجنة دوراً رئيساً وعندما يتضاءل دور وزير الخارجية كذلك يتضاءل دور اللجنة، ومع ذلك فان الوزير واللجنة دائماً في حالة تنافس بينهما، والحق يتوجب على وزير الخارجية ان يحافظ على هامش من حرية التصرف للمؤسسة التنفيذية، واما اللجنة فانها تسعى حتى الى فرض تصوراتها بعضهما بعضاً، لعل ذلك يكون بوسعهما تعزيز بعضهما بشكل متبادل، ولكن اذا دفع وزير الخارجية او اللجنة بمطالبها الى حدها الأقصى فان النتيجة تكون الزلل الشلل بالسياسة الخارجية. راجع: المصدر نفسه، ص٦٩٢.

[5] سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره، ٩٨-٩٩.

يقول كيسنجر في مذكراته: ان ما جعلني اوافق على التنصت على الهواتف هو منع تعريض حياة المواطنين الأمريكيين، والفيتناميين للخطر من قبل اشخاص، يكشفون عن معلومات عسكرية، او تنمو عليها لغرض اضعاف سياسات تم التوصل اليها بعد جهود مضنية[1].

والحق، قام كيسنجر بتكليف الجنرال هيغ بمتابعة هذا الموضوع، وعليه فقد قام الأخير بتحديد اسماء الأشخاص لمراقبة هواتفهم، وكان يراجع مكتب سوليفان[2] بصورة منظمة من اجل الاطلاع على هذه المحادثات، وهو الوحيد كان بامكان ايقاف أعمال التنصت[3] لإثبات ولائه لنيكسون، بل كوسيلة لمعرفة ولاء هؤلاء الموظفين له[4].

وعند فوز الرئيس كلينتون في انتخابات الرئاسة، قام كلينتون بادخال اصلاحات جديدة في داخل وزارة الخارجية، إذ عين فيها اشخاصاً ولأسباب داخلية، وقيامه بتقليص ميزانية الخارجية إلى درجة ادت الى عدم قيامها بالمهمات الملقاة على عاتقها[5].

من ناحية أخرى ، كان القليل من المسؤولين الحكوميين الأمريكيين يعرفون عن القناة الخلفية للمفاوضات مع ليبيا ، وكان بعض الأشخاص البارزين الذين لا يعرفون بأمر المحادثات السرية يريدون إذاعة خبر ضبط القطع[6] .

يعود موضوع ضبط القطع إلى خريف من العام ٢٠٠٣ ، حيث أن سفينة مسجلة في ألمانيا ، تدعى بي بي سي تشاينا ، تحمل قطع أجهزة طرد مركزي متوجهة إلى ليبيا ، وبعد أن عبرت قناة السويس ، عملت المخابرات المركزية الأمريكية على تحويل وجهة السفينة إلى ميناء تارانتو الإيطالي ، حيث وصلت إلى هناك في ٤ تشرين الأول . عثر المفتشون على قطع أجهزة طرد مركزي في حاوية طولها أربعون قدما مدرجة في بيان شحن السفينة بأنها "قطع آلات مستعملة"[7] .

---

[1] المصدر نفسه ، ص٩٩.

[2] قتل ويليام سوليفان في حادث اطلاق النار بالخطأ اثناء رحلة صيد قرب بيته في ولاية نيوهامبشاير في تشرين الاول١٩٧٧، أي بعد ربع سنوات من تقاعده. راجع: المصدر نفسه، ص١٢٥.

[3] قال سوليفان، ان مراقبة الهواتف لم تكشف عن أي دليل يدين أي موظف بارتكاب مخالفات أمنية وقد تبين عدم وجود أي موظف يمكن اتهامه بعدم الولاء، او عدم الاخلاص للوطن، بل كانوا غير موالين لكيسنجر، وكانوا يشيرون له المشاكلات وبدأ بعض منهم في الإختلاف معه وعدم مسايرته . راجع: المصدر نفسه، ص١٢٥.

[4] المصدر نفسه، ص١٠٦.

[5] فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص٦٢.

يعتمد الرئيس الامريكي السابق بيل كلينتون على المستشارين في مجلس الأمن القومي اكثر من اعتماده على وزارة الخارجية في الموضوع الخاص بالسياسة الخارجية، ولا ننسى في هذا المجال ما قام به مارتن انديك مستشار الأمن القومي في تبني سياسة (الاحتواء المزدوج) الخاصة بالعراق وايران على الرغم من ان المسؤولين في وزارة الخارجية ابدوا عدم ارتياحهم بهذه السياسة، الا انهم كانوا غير قادرين عن عمل أي شيء ازاءها . راجع: المصدر نفسه ، ص٦٥.

[6] جورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٧ .

[7] المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .

أوفد البريطانيون ضابطا كبيرا إلى ليبيا لإبلاغ العقيد معمر القذافي قبل أن يصل نبأ ضبط الشحنة إلى الصحف . وقد أكد الليبيون أن الشحنة كانت مرتبة قبل أن تبدأ المفاوضات السرية الحالية ، وإن الأشخاص المسؤولين عن مراقبتها لم يعملوا بأمر القرار الوشيك للتخلي عن أسلحة الدمار الشامل [1] .

ونتيجة لذلك ، قامت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، تجمع فرقا من خبراء أسلحة الدمار الشامل الذين قد يتوجهون إلى ليبيا للتفتيش على برامجها [2] .

وفي هذا الوقت بالذات ، كان وكيل وزارة الخارجية الأمريكية للحد من الأسلحة ، جون بولتون ، يعتزم عقد مؤتمر صحفي لذكر الحادثة كنجاح كبير " لمبادرة أمن الإنتشار " ، وهو برنامج أعلن عنه الرئيس بوش الإبن قبل سنتين لتعزيز التعاون الدولي في الحد من شحنات الأسلحة غير القانونية [3] .

الأمر الذي دفع بمدير المخابرات المركزية الأمريكية ، جورج تينيت الإتصال بريتشارد أرميتاج ، وهو من القلائل في وزارة الخارجية المطلعين على نشاطات المخابرات المركزية الأمريكية ، وطلب منه الإيعاز إلى بولتون بالتنحي جانبا ، جاء الإيعاز غامضا بالنسبة إلى بولتون ، وأدى إلى اتصاله بكابس وتوبيخه على عدم التوجه إليه مباشرة [3] .

تم تحديد موعد إعلان الإتفاق بين الأطراف المعنية في ١٩ كانون الأول وفق تنسيق مدروس ، حيث يقوم العقيد القذافي بالإعلان أنه قرر التخلي عن برامج أسلحة الدمار الشامل ، وبعد ذلك يتلي رئيس الوزراء البريطاني بتعليقات علنية يرحب بها بتلك الأخبار ، تليها ملاحظات من الرئيس بوش الإبن [4] .

بهذا الخصوص ، يقول جورج تينيت : " كنا نخشى من احتمال أن يلغي القذافي الإتفاق بأكمله بسبب الإحراج إذا أطلق المسؤولون الأمريكيون لغة الهجوم المعهودة والمستحقة على ليبيا " .

يتضح مما تقدم ، ان هناك هبوطاً ملحوظاً بدور وزارة الخارجية الأمريكية في عملية صنع القرار امام تنامي قوة الاخيرة الإستخباراتية وفي حقبة الحرب الباردة، بدليل ان البنتاغون والمخابرات ومجلس الأمن القومي قد همشوا وزارة الخارجية في عدد من المسائل ومنها: عدد المستخدمين وموارد الميزانية.

ان هذا يمكن تفسيره في الآتي[5]:

١. بدأت الإدارة الأمريكية تتصرف وكأنها وزارة خارجية ايضاً، وفي هذا المجال يقول روجرز[6]: لقد ادركت ان نيكسون اراد ان يكون قائداً لسياسته الخارجية ولم يرغب في ان يشاركه احد في ذلك الدور".

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٣٠٤ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ – ٣٠٨ .

[4] المصدر نفسه ، ص ٣١٠ .

[5] فوزار جرجس ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٢-٦٣.

[6] اعطى نيكسون صلاحيات لروجرز وزير الخارجية بمعالجة القضايا الخاصة بالشرق الاوسط، وهي المنطقة الوحيدة التي عهد اليه بمسؤولية القيام بها، ولكن في الوقت نفسه كان نيكسون وكيسنجر يحاولان وضع هذه المنطقة تحت سيطرتهما. والحق، كان روجرز يتمتع بالسلطة من الناحية الشكلية فقط ، راجع : سيمور هيرش ، مصدر سبق ذكره ، ص٩١.

٢. أصبحت الخارجية الأمريكية تمثل معنى (الخمول البيروقراطي)، لعدم مواكبتها الابتكار بصورة جيدة دين راسك عندما كان وزيرا للخارجية وهو يصف سنوات وزارة الخارجية على عهد كينيدي وجونسون.

٣. انتقدت الخارجية الأمريكية بسبب ارتباطها بمكافأة الالتزام وتقبل النظام وعدم وجود لتخطيط فيها.

٤. عدم مواكبة موظفي الخارجية مع التقنيات الحديثة الملحة كالتدريب الاقتصادي وعدم تعاملهم مع المتغيرات الدولية.

وقد عبر عن هذه الحقائق جميعاً الدبلوماسي الأمريكي السابق جورج بول قائلاً: " إن السمعة السيئة التي لحقت بوزارة الخارجية في عدة جهات ناتجة جزئيا من حقيقة انها كانت لمدة طويلة كبش الفداء لكل فشل في المجال السياسي، بينما ادعى الرؤساء النجاح لأنفسهم دائماً، فانه من الأمور التقليدية ان يعلن البيت الأبيض كل الاحداث السياسية الخارجية السعيدة، بينما يترك الأخبار السيئة لكي تنقلها وزارة الخارجية"[1] .

في اجتماع لمجلس الأمن القومي عقد قبل نحو ثلاثة أشهر من الحرب على العراق ، سأل الرئيس بوش الابن ، الجنرال طومي فرانكس ، ما الذي سيفعله بشأن الأمن والقانون والنظام في المناطق الخلفية ، قال فرانكس للرئيس بوش : " جرى الاهتمام بالأمر ياسيدي ، سأعين ضابطا أمريكيا يتولى شؤون كل مدينة وبلدة وقرية "[2] .

قبل نشوب الحرب في العراق ، أعد موظف في مجلس الأمن القومي تقديرا لعدد القوات المطلوبة لإقرار الوضع في العراق بعد الحرب ، كان الجواب : ١٣٩٠٠٠ إذا كان النموذج أفغانستان ، وأكثر من ٣٦٠ ألف إذا كان النموذج البوسنة ، و ٥٠٠٠٠٠ على الأقل إذا كان النموذج كوسوفو[3] .

عادت أهمية وزارة الخارجية الأمريكية من جديد من خلال تعيين بول بريمر[4]

---

[1] د. فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص٦٣-٦٤.

[2] جورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٦٨ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٤٢٨ .

[4] تولى بريمر عدداً من المناصب المهمة في وزارة الخارجية الأمريكية من بينها عمله كمساعد لستة من وزراء الخارجية قبل تقاعده عام ١٩٨٩، وشغل بريمر مناصب دبلوماسية في ملاوي والنرويج وهولندا وافغانستان الا انه لم يشغل أي منصب في منطقة الشرق الأوسط. وقد اشتهر بريمر بالصرامة والحدة وإستعداده الدائم لاتخاذ موقف حاسم. وكان بريمر يشغل منصب مدير إدارة مكافحة الارهاب في وزارة الخارجية وعينه الرئيس الأسبق، رونالد ريغان سفيراً متجولا لمكافحة الإرهاب عام ١٩٨٦. وقد تم تعيينه كرئيس مشارك للجنة الوطنية للإرهاب عام ١٩٩٩ وهي اللجنة التي اصدرت تقريرا في عام ٢٠٠٠ لمراجعة سياسات الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب. وبخصوص هذه النقطة حث بريمر الرئيس كلينتون على مواجهة الإرهاب والدول التي أطلق عليها 'مارقة' مثل سورية وإيران والسودان بشكل اكثر عدوانية. ولبريمر مواقف متشددة للغاية ضد الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي. راجع في هذا الصدد: السبيل، العدد٤٩٠، ٢٠٠٣، الأردن، عمان، ١٣-١٩ايار ٢٠٠٣.كان يعمل في القطاع الخاص ، حيث أدار قسم إدارة الأزمات في الشركة الأمريكية الكبيرة ، مارش اند ماكلينان ، لم يسبق لبريمر أن زار العراق ، ولم يتكلم العربية ، ولم يعمل في مجتمع خارج لتوه من حرب ، ولم تكن لديه أية خبرة في مجال بناء الدول ، ولم يتح له غير اسبوعين ليتكيف مع تعيينه الجديد ، وهي عملية تتطلب الاستماع والمطالعة لمدة تستمر بضعة أشهر في العادة ، وذلك للتهيؤ لتعيين روتيني مثل التعيين كسفير في أي دولة . في الوقت الذي كان فيه بريمر يسعى إلى اكتساب المعلومات عن العراق ، بشر في تعيين كبار

عندما وافق الرئيس بوش على تعيينه في ٩ آذار ٢٠٠٣ كمبعوث رئاسي الى العراق ، ومنحه سلطة سلطة تامة على موظفي الحكومة الأمريكية وأنشطتها وأموالها هناك . وتبعه رامسفيلد بتعيينه مدير سلطة الائتلاف المؤقتة ، وتفويضه بكل الأعمال التنفيذية والتشريعية والقضائية في العراق [1] ، وذلك بعد انتهاء وقف العمليات الحربية في العراق والتي خاضتها الولايات المتحدة في ٢٠ آذار ٢٠٠٣. وقد أصبح بريمر بموجب ذلك أكبر مسؤول مدني في العراق مترئساً الجنرال المتقاعد جي غارنر الذي عينته الولايات المتحدة الأمريكية كرئيس للإدارة المدنية في العراق . بهذا المعنى ، أصبح بريمر المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش ، وتمر سلسلة القيادة التي تعلو من خلال وزير الدفاع دونالد رامسفيلد الى الرئيس مباشرة . أمام هذه الصلاحيات الكبيرة التي منحت لبريمر ، وصفته بعض التقارير الصحفية بأنه : " نائب الملك الأمريكي " في العراق المحتل [2] .

معاوية ، كان من بينهم عدد من السفراء المتقاعدين الذين كان قد عمل معهم بوزارة الخارجية قبل ١٥ عاماً ، وباستثناء السفير المتقاعد هيوم هوران ، جمهوري نشط من جماعات الضغط في واشنطن ، ومحترف في مجال الخدمة الخارجية ، فضلاً عن خبرته الإدارية ، لم يكن أحد منهم يتمتع بالخبرة في المنطقة ، ولا بمهارات اللغة (يقول مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية السابق جورج تينت : " في أوائل أيار ٢٠٠٣ تلقيت مكالمة من كولن باول يسأل عما أعرفه عن جيري بريمر . قلت : " إنني لا أعرفه حقاً " ، ومما سمعت ، كان بريمر سفيراً سابقاً ترأس لمدة من الزمن مكتب مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية . " لم أسمع بالتأكيد أي شيء سيء عنه " . راجع : جورج تينت بالاشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣٠) . وفي حقيقة الأمر نجح بريمر في القضاء على العراق كوطن موحد ، وما من قوة كانت ستتمكن من إصلاح ما قد تم تخريبه . كان البريطانيون قد استعانوا بالمحترفين في العراق ، فأدركوا الكارثة المحدقة بالاحتلال قبل أن يتوقعها أصحاب الأيديولوجيات في البنتاغون والبيت الأبيض . أما رئيس الوزراء البريطاني السابق أنطوني بلير تفرد في كونه الأجنبي الوحيد الذي لم يكن في وسع إدارة بوش أن تتجاهله . راجع :السفير بول بريمر و مالكولم ماك – كونل ، عام قضيته في العراق النضال لبناء غد مرجو ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٦، ص ١٠ وبيتر و . غالبريث ، نهاية العراق كيف تسبب القصور الأمريكي في إشعال حرب لا نهاية لها ، ترجمة أياد أحمد ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش . م . ل ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص١٣٦ – ١٣٧ ، ١٣٩ .

(1) يقول بريمر في مذكراته : " أشارت بعض القصص إلى أنني أعرف رامسفيلد منذ أن عملنا معاً في إدارة فورد ، ولاحظت أن رامسفيلد اقترح اسمي لهذا المنصب على الرئيس . وشددت قصص أخرى على سنوات خدمتي الدبلوماسية حيث تعرفت إلى باول ، وخمنت أنني مرشح الخارجية " . راجع : بريمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩ .

(2) بريمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ .

مع إقدام غارنر على تشكيل حكومة في نيسان من العام ٢٠٠٣ ، كان عليه أن يواجه تداعيات معارضة وزارة الخارجية لحكومة انتقالية . وكانت وزارة الخارجية ترغب في منح الدور الرئيس لقادة عراقيين من غير المنفيين ومن الداخل ، غير أنها لم تتمكن من التعرف على الكثير من هؤلاء ، باستثناء المقيمين بكردستان . ويعزى السبب في ذلك إلى عدم تعامل هؤلاء مع سلطة الاحتلال ، لذا فكان تشكيل حكومة أكثر شمولاً سيعني وجود حكومة احتلال أكثر نشاطاً . في حقيقة الأمر ، رغم موقف البنتاغون الواضح من حكومة انتقالية في عراق ما بعد الاحتلال ، لم تكن الإدارة الأمريكية قد قررت بعد إن كانت تريد حكومة انتقالية ، فكانت بعض الدوائر في الإدارة تفضل حكومة عراقية أكثر شمولاً . كانت هناك رغبة بين صفوف محترفي السياسة الخارجية بتوسيع المشاركة الدولية في حكم العراق لحقبة ما بعد الحرب ، وبإشراك الأمم المتحدة ، غير أن فئة أخرى ضمن الإدارة وبدوافع أيديولوجية ، كانت تبغي الولايات المتحدة أن تتزعم إعادة تكوين العراق بموجب الأنموذج الثاني للحرب في كل من ألمانيا واليابان . أما رامسفيلد والمحافظون الجدد فإن بهجتهم إزاء النصر العسكري السريع ، ودون اعتبار للكارثة الجارية على الأرض ، فكانوا يتحركون نحو تبني هذه الأجندة

ومع أن بريمر كان مبعوثاً رئاسياً ، فإن وزير الدفاع سيكون المسؤول المباشر عنه ، حيث وقع الرئيس بوش الإبن أمر الأمن القومي الرئاسي رقم ٢٤ في أوائل كانون الثاني ٢٠٠٣ الذي يعطي بموجبه وزارة الدفاع المرجعية الكاملة والتامة عن العراق بعد الحرب [١].

على الرغم ، من التقارير الصحفية العديدة التي ذهبت من ان البنتاغون استبعد وزارة الخارجية من المشاركة في اعادة اعمار العراق ، فإن وجود كروكر ، وعشرات آخرين من الخارجية ، فضلاً عن كبار العاملين من الخارجية الذين عملوا مع بريمر ، يظهر ان المسؤولين في الخارجية كانوا مشاركين مشاركة فعالة بعد سقوط بغداد . وفي هذا المجال ،

الطموحة . كانت وزارة الخارجية الأمريكية قد أمضت عاماً كاملاً قبل الحرب لإعداد خطة بخمسة عشر مجلداً لكيفية حكم العراق بعد الحرب (كان بول ولفوبتز ودوغلاس فيث وريتشارد بيرل من بين الثمانية عشرة شخصاً الذين وقعوا رسالة علنية من مجموعة تدعى مشروع القرن الأمريكي الجديد تدعوا إلى الإطاحة بالرئيس صدام حسين . وغالباً ما ينسى أن تغيير النظام في العراق كان أيضاً السياسة المعلنة لإدارة كلينتون ، وهدف قانون تغيير النظام في العراق الذي أقره الكونغرس في سنة ١٩٩٨ . وخصصت مائة مليون دولار إلى وزارة الخارجية لإنفاقها على السعي إلى إنهاء حكم الرئيس صدام حسين . وقد برزت هذه السياسة في أعقاب فشل برنامج العمل السري لعام ١٩٩٦ وأعلن عنها أمام العالم . راجع : جورج تينيت بالاشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٤ – ٣١٥) . وكانت الإدارة تفتقر إلى التنظيم لدرجة أن وزارة الدفاع (الذي كان بريمر سيعمل لحسابها كما كانت مسؤولة عن إعداده) لم تخبره بوجود هذه الدراسة المعدة من وزارة الخارجية ، بل كان سيسمع عنها عبر وسائل الإعلام بعد مدة من وصوله إلى بغداد . كانت وزارة الخارجية قد جمعت سابقاً فريقاً من الخبراء للتخطيط للعراق مابعد الحرب ، وكان لدى ريتشارد أرميتاج مساعده يوينع ٧٣٦ جاهزة للقيهم مع حواسيبهم ونحو ثمانين ممن يتكلمون العربية ، ولديهم معرفة بالمنطقة إلى بغداد للبدء بإقامة سفارة في الظل . لقد كان البنتاغون خطط أخرى ، وهي بالتأكيد لا تشمل وزارة الخارجية ، التي يعتقد كثير ممن كانوا يؤيدون رامسفيلد أن أداءها كان ضعيفاً في أفغانستان . وقد آثار مارك غروسمان ، وكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية ، المسألة مع دوغلاس فيث مراراً ، وكان فيث يقول إنه سينظر في الأمر . وسرعان ما اتضح أنه من وجهة نظر البنتاغون ، يمكن أن يظل فريق خبراء وزارة الخارجية منتظراً على المدرج في دالاس أو في قاعدة أندروز الجوية ، حتى ينقل إلى بغداد إلى ما شاء الله . تجدر الإشارة في هذا المجال ، أن الرئيس بوش عندما اتخذ قرار الحرب على العراق ، لم يكن لديه على الإطلاق الأمور المتعلقة بكيفية حكم العراق بعد الإحتلال ، هل كانت الولايات المتحدة ستدير احتلالاً مطولاً كما فعلت في ألمانيا ؟ هل كانت ستعين حكومة مؤقتة ، وكيف كان سيتم اختيار اعضائها ؟ هل كانت ستجري انتخابات ؟ كيف كان سيدون دستور العراق ، وما الذي كان سيتضمنه ؟ ماهي الإجراءات التي كانت ستتخذ بحق القوات المسلحة العراقية ؟ وأمور أخرى . كانت هذه القضايا موضوع معارك داخلية شديدة داخل الإدارة ، وكان يفترض برجل لم يمضي على عمله في العراق غير أسبوعين حلها . راجع : بيتر و . غالبريث ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٤ – ١٣٥ ، ١٣٧ – ١٣٨ . وجورج تينيت بالإشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣٦ .

أشارت سلطات التحالف الأمريكي – البريطاني في العراق ، أن مجلس الحكم الإنتقالي الذي أعلن عن قيامه في ١٤ تموز ٢٠٠٣ ، سيكون له دور كبير في عملية صنع القرار القادمة . وهنا لابد من الإشارة ، أن بول بريمر كان له الحق بالقبول والرفض على قرارات مجلس الحكم الإنتقالي . راجع : الدكتور حامد محمود عيسى ، القضية الكردية في العراق من الإحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي ١٩١٤ – ٢٠٠٤ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٥٥٩ ، ٥٦١ .

[١] جورج تينيت بالإشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٧ ، ٤٣٠ .

لابد من الاشارة ، إلى أن الخارجية وبمشاركة كروكر الفعال ، بعد وصول بريمر الى بغداد ، قدمت خطة كاملة لأنشطة مابعد النزاع في العراق [1] .

وبهذا القرار تكون وزارة الخارجية الأمريكية تجاوزت البنتاغون الأمريكي، اذ كان في نية الأخير تعيين شخص يمثل التقاليد العسكرية الأمريكية. وبموجب هذا الاختيار يبعث الحاكم المدني الأمريكي بريمر بتقاريره مباشرة الى وزير البنتاغون دونالد رامسفيلد[2] بالرغم من ان من المعروف ان جي غارنر من الأصدقاء المقربين لرامسفيلد الذي وصفه بانه صديق وشخص موهوب للغاية.[3] أما الرئيس بوش فانه عبر عن رايه عن بريمر قائلا: ((انه صاحب خبرة كبيرة له تأييد كبير في الادارة الأمريكية)). وفي واقع الأمر ، بعد تعيين بول بريمر الذي

---

[1] بريمر ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٧ -٣٨ .

[2] إن التغيير من الهيمنة إلى الانفرادية كان قد تزامن مع السيطرة الكبيرة لوزارة الدفاع على وزارة الخارجية في المنافسة الإدارية والموارد . ففي منتصف الثمانينات وخلال حقبة التسعينات من القرن الماضي عانت كلا من الميزانية العامة لوزارة الخارجية والوكالة الدولية للتنمية من تخفيضات حادة ، وبلغت التناسب الانفاقي العسكري الإجمالي على الشؤون الدولية كان يعادل تقريبا نصف ميزانية الدفاع في العام ١٩٤٨ ، في حين متوسط الانفاق عليها في التسعينات بلغ ٦% من إجمالي الإنفاق العسكري ، راجع : Steven W. Hook ,"Domestic Obstacles to International Affairs : The State Department Under Fire at Home « ps : Political Science and Political , pp ,٢٣-٢٩ إلا ما علمنا بأن ميزانية الدفاع الأمريكي هي أكبر من ميزانية عشرة قوى عسكرية في العالم ، إذ بلغت في العام ١٩٩٧ : ٦٧ بليون دولار ، راجع : Martin Walker Whose Internationalism , Whose Isolationm , Anti – Internationalism Conference , Carnegie Councilon Ethic and International Affairs and World Policy Institute , New York , April ١١،١٩٩٦ , p. ٥٦ .

[3] حظي جي غارنر بثقة وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد ، تميز بمعرفته عن القضايا العراقية ، كونه قد اشترك في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ، وبعلاقته الجيدة مع بعض شرائح المجتمع العراقي . هو رئيس شركة سي . ي . كوليمان المساندة لأنظمة الصواريخ في حرب العراق . زار الأرض المحتلة عام ٢٠٠٠ ، بناءا على دعوة من المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي .
أشاد جي غارنر ، بالجيش الصهيوني، أثناء الإنتفاضة الفلسطينية . أعلن أنه سيدفع الحكومة العراقية الجديدة التي جاءت بعد الإحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ، من الإعتراف بالكيان الصهيوني .
كان جي غارنر في مقدمة الداعين لتصفية معاهدة الحد من "الأنظمة البالستية ، أشرف على مجموعة بطاريات صواريخ باتريوت . فضلا عن اشرافه على اعادة توطين اللاجئين خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ قبل توليه قيادة سلاح الفضاء والدفاع الستراتيجي . أنتدب غارنر مهمة الإشراف على العراق قبل أشهر من الإحتلال ، ثم أرسل إلى الكويت لجمع فريقه وإعداده ، وقد وصل غارنر وفريقه إلى العراق في ١٨ نيسان لتولي مسؤولية " مكتب إعادة الاعمار والمساعدة الإنسانية " . علق السفير البريطاني في مصر جون سوديل الذي كان في بغداد لتقصي الأوضاع نيابة عن رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير في برقية بعث بها إلى لندن– عقب الإستغناء عن خدمات غارنر – : " إدارة غارنر في حال يرثى له ، فهي بلا قيادة أو ستراتيجية أو تنسيق ، أو هيكلية ، كما أنها منعزلة عن العراقيين العاديين ... غارنر وفريقه المكون من جنرالات متقاعدين في العقد السادس من أعمارهم يمتازون بالنوايا الحسنة ، ولكنهم في حالة من التخبط " . راجع : الدكتور حامد محمود عيسى ، القضية الكردية في العراق من الإحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي ١٩١٤ – ٢٠٠٤ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥٥ . وبيتر و غالبريث ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٦ . وجورج تنيت بالإشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٨ .

ينتمي الى تقاليد وزارة الخارجية ، بمثابة نصر حقيقي للأخيرة ، وتنامي دورها في عملية صنع القرار ، مقابل تراجع أهمية بقية مؤسسات الدولة الرسمية في هذه العملية .

عندما تولت كوندليزا رايس[1] منصبها كوزيرة للخارجية الأمريكية في بداية عام ٢٠٠٥، أعلنت أن " وقت الدبلوماسية حان " وبتوجيه منها أصبحت وزارة الخارجية واضحة

---

[1] يعرفها المقربون منها باسم كوندي ، وهو اسم يسهل التلفظ به أكثر من اسمها الكامل المعروف . ابتكرت أمها ، وهي عازفة بيانو وأرغن ، اسم كوندوليزا من العبارة الإيطالية كون دولسيزا ، وهي علامة موسيقية توعز إلى العازف كي يعزف بعذوبة . ولدت رايس في الرابع عشر من تشرين الثاني من العام ١٩٥٤ . التحقت بمعهد موسيقي محلي ، ووصلت بمستوى عزفها إلى آفاق جديدة . التحقت وهي في العاشرة من عمرها بمعهد بيرمنغهام الجنوبي للموسيقى ، وكان المعهد قد فتح أبوابه حديثا أمام الطلاب السود . (حصل السود على حق التصويت عند إقرار التعديل الخامس عشر في العام ١٨٦٩) . التحقت رايس بمدرسة سانت ماري في العام ١٩٦٩ ، حيث نالت الشهادة منها وهي في عمر السادسة عشر ، كما تفوقت بأدائها في العزف على البيانو في معهد لامونت للموسيقى التابع لجامعة دنفر . شجعها الدكتور كوربيل (ولد كوربيل في تشيكوسلوفاكيا في العام ١٩٠٩ ، وتلقى علومه في باريس ، وذلك قبل أن ينال اجازته في القانون من جامعة تشارلز في براغ . استلم كوربيل منصبه الأول في الحكومة التشيكية بصفته وزيرا للشؤون الخارجية . أصبح في العام ١٩٣٧ الملحق الصحفي في السفارة التشيكية في بلغراد عاصمة يوغسلافيا . عمل كوربيل بصفته سكرتيرا شخصيا للوزير الخارجية التشيكي جان مساريك ، وما لبث أن أصبح رئيس هيئة الاذاعة التشيكية . أدى الضغط الذي مارسه نظام الحكم الجديد في براغ إلى تركه لوظيفته في العام ١٩٤٩ ، ونتيجة لذلك هاجر كوربيل مع أسرته إلى الولايات المتحدة ، حيث أصبح أستاذا في جامعة دنفر ، وعميدا للمعهد الجامعي للدراسات الدولية في العام ١٩٥٩ ، وتسلم كذلك منصب مدير مؤسسة العلوم الاجتماعية . تصف رايس ، كوربيل على أنه " أبوها الروحي ") من الانضمام إلى معهد العلاقات الدولية التابع للجامعة ، وهو المعهد الذي قام بتأسيسه . وفي غضون ذلك تعلمت رايس اللغة الروسية . تخرجت رايس بشهادة بكالوريوس في العلوم السياسية وذلك في العام ١٩٧٤ ، وهي لما تزل في التاسعة عشر من عمرها . ثم نالت شهادة الماجستير في الإدارة الحكومية من جامعة نوتردام في الثامن من آب من العام ١٩٧٥ ، ثم التحقت ببرنامج الدكتوراه في جامعة دنفر ، حيث حصلت على درجة الدكتوراه ، وهي في السادسة والعشرين من عمرها . تم تعيينها أستاذة جامعية مساعدة في مادة العلوم السياسية في جامعة ستانفورد وذلك في عام ١٩٨١ ، وفي أيلول من العام ١٩٩٣ تعينت مديرة لجامعة ستانفورد ، وفي كانون الأول من العام ٢٠٠١ تم تعيينها مستشارة لشؤون الأمن القومي لتعد رايس المرأة الأولى التي شغلت هذا المنصب ، وهي المستشار العشرون الذي يتولاه . يذكر أيضا أنها ثاني شخص أسود يعين في هذا المنصب بعد الجنرال كولن باول ، الذي عين في هذا المنصب في عهد إدارة ريغان . عمدت رايس إلى تنشيط دور مجلس الأمن القومي في التنسيق مع الرئيس ، وذلك في أعقاب حادث اعتراض المقاتلة النفاثة الصينية لطائرة التجسس الأمريكية وهو الحدث الذي وقع في أوائل شهر نيسان من العام ٢٠٠١ . تولت وزارة الخارجية مسؤولية التفاوض مع الصين الشعبية بهدف إعادة طاقم الطائرة إلى الولايات المتحدة . استطاعت رايس إقامة توازن بين مهماتها في مجلس الأمن القومي ، مكنها من أن تكون صانعة للسياسات الإدارة ، ومديرة لهذا المجلس . يرجع ذلك إلى إسهاماتها في وضع برنامج الدفاع الصاروخي للرئيس بوش ، فضلا عن عملها في تنسيق المعلومات الهائلة المتدفقة على مجلس الأمن القومي والمتعلقة بالحرب المسماة على الإرهاب . وأخيرا رايس أخرا ، تم تعيينها وزيرة للخارجية في إدارة الرئيس بوش الابن في كانون الثاني من العام ٢٠٠٥ . وصنفتها مجلة تايم من ضمن أبرز خمسين من قيادات البلاد الشابة . راجع : أنطونيا فيليكس ، مصدر سبق ذكره ، ص١١ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٣ – ٧٤ ، ٧٩ ، ٨١ – ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٠٢ – ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٤٥ .

أكثر في صياغة السياسة الخارجية مما كانت عليه في أثناء إدارة بوش الأولى ،[1] ويبدو أن الإدارة الجديدة مهتمة جدا في العمل بالتعاون مع الحلفاء والبلدان الأخرى . بل أن الرئيس ، الذي يريد على ما يبدو مداواة الجروح التي أحدثها من قبل ، كلف كارن هيوز ، وهي من أكثر المساعدين الذين يثق بهم ، بمهمة تنسيق الخدمات المقدمة إلى العالم الإسلامي [2] .

وفي مراسم أداء هيوز اليمين ، قال الرئيس بوش الابن إنه يتوقع منهما الحرص على أن كل هيئة ووزارة تعطي للدبلوماسيةالعامة مستوى الأولوية نفسه الذي أعطيه لها " [3].

والحق ، أن تقوية وزارة الخارجية في الولايات المتحدة على عهد كوندوليزا رايس ، إنما ترجع إلى جملة أمور ، يمكننا تلخيصها في الآتي : -[4]

١ – تتمتع كوندوليزا رايس بصفات القيادة والإقناع . وفي هذا المجال ، يقول جون فيريجون الذي انضم إلى قسم العلوم السياسية في جامعة ستانفورد بصفة أستاذا في العام ١٩٨٣: " إنها قائدة شديدة الفعالية ، وصاحبة قرار ورؤية واضحة للأمور . إذا ما اختلفت معها على أمر من الأمور ، فسوف تجد أنها تمتلك أسبابا وجيهة تؤيد وجهة نظرها ، وعادة ما تفوز وجهة نظرها عندما تعارضك بطريقة فعالة " .

٢ – قربها وعلاقتها من أسرة آل بوش ، حيث تعد واحدة من أقرب الأشخاص الذين يثق بهم الرئيس بوش الابن، فضلا من أنها صديقة قديمة لأسرة بوش ، كما سبق لها أن عملت

---

[1] كانت كوندليزا رايس تمثل الجيل الجديد في البيت الأبيض ، وهي موظفة سابقة في مجلس الأمن القومي لبوش الأب وأكاديمية معروفة في الوسط الجامعي . وقد علمت الرئيس بوش عن السياسة الخارجية في أثناء الحملة الإنتخابية ، فلديك رابطة شخصية قوية معه ، عوضت عن مكانتها الأدنى في علاقاتها مع المسؤولين الكبار الآخرين .
لم تكن رايس فعالة جدا كمستشارة للأمن القومي في تنسيق نظام إتخاذ القرارات ، لأن وزيري الخارجية والدفاع أقدم منها وغير مبالين للإنقياد لها . كما أن نائب الرئيس أنشأ مجلس أمن قومي مصغرا خاصا به مما أتاح للبيسي الإستفادة من الرابطة الوطيدة بين الرئيس ونائبه ، كسب نفوذ بيروقراطي قلل من سلطة رايس . لكن مع أن ذلك ، قلص فعاليتها البيروقراطية ، فإنه لم يفقد اعتماد الرئيس المتزايد عليها لتعزيز غرائز الثقة بالنفس المتنامية لديه .
لقي نفوذ رايس الأيديولوجي على بوش مساعدة من وولفويتز ، وكبير موظفي نائب الرئيس سكوتر ليبي . وكان الأخيران قد تعاونا معا في وضع وثيقة استراتيجية عام ١٩٩١ ، وفاها حجة للتفوق العسكري الأمريكي العالمي الصرف ، ولكل منهما آراء متطرفة فيما يخص العراق والكيان الصهيوني وعلى غرار بعض المسؤولين الثانويين الذين اختاروهما للمناصب الرئيسة في البيت الأبيض ووزارة الدفاع ، كانا في التسعينات من بين الموقعين على الرسائل الموجهة إلى الرئيس كلينتون أو رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو ، التي تحث على مزيد من سياسة المواجهة القوية مع العراق ، وقد قدم هذا الحشد من الأشخاص مدعومين بأشخاص من خارج الإدارة ، الزخم الاستراتيجي للمبادرة التي تكشفت في أعقاب ١١ أيلول ، وبلغت ذروتها بعد سنة ونصف في الغزو العسكري للعراق . انتهز مستشارو بوش السياسيون المحليون الرئيسيون حينئذ ١١ أيلول كفرصة لإدعاء الأفضلية السياسية ، وبرفع الهجوم غير الشرعي إعلان حرب رمزي منحوا بوش مكانة القائد الأعلى في زمن الحرب التي تخوله ساحة انتخابية معززة . وقد حسبوا أن الشعور الغضب المحلي الذي العام ، ونشر الذعر والخوف والارتياب الذهني في أوساطه يمكن الحصول على فوائد سياسية ، وقد حصدوها في انتخابات سنة ٢٠٠٤ . وهكذا أصبحت الحرب الدائمة على ما يسمى بالإرهاب أداة سياسية داخلية بقدر ما هي أداة سياسة خارجية . راجع : زبغنيو بريجنسكي ، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٥- ١٤٦ .

[2] ستانلي رنوليف بالاشتراك مع بول ودوورد ، الجبروت والجبر تأملات في السلطة ، والدين ، والشؤون الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٤ .

[3] في هذا الشأن ، حدد الرئيس بوش الابن استراتيجية من ثلاث نقاط : طلب مساعدة القطاع الخاص ، والرد بسرعة أكبر على ما تسمى بالدعاية الإرهابية . وحث الأمريكيين على دراسة التاريخ والتقاليد للشرق الأوسط. وأضاف بأن كل مواطن " يرحب بطالب في بيته ضمن إطار برنامج تبادلي هو بمثابة سفير للولايات المتحدة . راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ .

[4] أنطوني فيلبس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩ ، ١٨ ، ١٢٠ - ١٢١ ، ١٣٩ ؛ ١٦٤ ، ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٢٣٣.

من ضمن كبار مستشاري بوش الأب للشؤون السوفيتية .سبق لبوش الأب أن أعجب برايس أثناء حكمه عندما عملت تحت إدارة مستشاره لشؤون الأمن القومي ، برنت سكوكروفت . لاحظ بوش الأب عندها ذكاءها وولاءها الهائلين ، وسرعان ما أحضرها إلى الدائرة الداخلية لعائلته . أصبحت صديقة جورج بوش الابن منذ الأسابيع الأولى لتسلمه منصب حاكم تكساس ، ثم أصبحت أيضا أرفع مستشارة للسياسة الخارجية فور بدء جورج الابن حملته الرئاسية ، لتشمل مسؤوليات رايس في فريق فولكان على العمل مع بول ولفوويتز لوضع برنامج دورات تدريبية نصف يومية مكثفة لجورج الابن . غطت هذه الدورات مواضيع الدفاع ، وانتشار الأسلحة وأوربا ، فضلا عن مواضيع أخرى . نفذ الرئيس بوش الابن ظهورا آخر محضرا بعناية ، وذلك في العام ٢٠٠٣ ، تأكد فيه أن رايس هي أقرب مستشاري الرئيس الذين يثق بهم . يذكر أن رايس كانت واحدة من عدد قليل من المسؤولين الذين كانوا على علم بخطط الرئيس بوش الابن للقيام برحلة يوم عيد الشكر إلى بغداد في شهر تشرين الأول ، وهي الرحلة التي أعدت بسرية تامة ، وهدفت إلى رفع معنويات الجنود الأمريكان . علمت زوجة بوش الابن ، لورا بوش ، باحتمال قيام الرئيس بهذه الرحلة ، لكنها لم تعلم بحدوثها فعلا إلا قبل ساعات قليلة من إقلاع طائرة سلاح الجو رقم واحد (الطائرة الرئاسية) . وعلمت بنات الرئيس بأمر الرحلة في ذلك اليوم أيضا ، لكن لم يبلغ والدا بوش بأمر هذه الزيارة إلا بعد أن حطت طائرة الرئيس في بغداد . أما طاقم البيت الأبيض فكان على علم بأن الرئيس سيمضي عيد الشكر في مزرعته في كراوفورد . أعرب الرئيس بوش عن ثقته في كفاءة مستشارته للأمن القومي ، وذلك بعد أسبوعين على فوزه في الانتخابات التي جرت في شهر تشرين الثاني من العام ٢٠٠٤ . أعرب الرئيس كذلك عن إعجابه بمؤهلاتها مرة ثانية عندما قام بتعيينها كوزيرة للخارجية في إدارته المقبلة بعد تقاعد كولن باول من العمل الحكومي[1] .

٣ – تشعب علاقاتها في أوساط الحزب الجمهوري ، ونتيجة لخدمتها في البيت الأبيض[2] .

---

[1] يتميز كل من رايس وبوش الابن بسمات قوية تربطهما ببعضهما ، وهي الإيمان الديني العميق ، فضلا عن القيم التي يعبر عنها الرئيس بوش في خطاباته التي ألقاها بمناسبة الذكرى الأولى لهجمات أيلول من العام ٢٠٠٢ . كشفت هذه القيم عن طابع ديني يكمن وراء سياسته الخارجية ، وبدت البوصلة الأخلاقية التي تحدثت رايس عنها واضحة في تعليقات الرئيس بوش حول واجب الولايات المتحدة الذي يتمثل بنشر مبادئها في أنحاء العالم كافة . عكست تصريحات رايس سياسة الصقور التي تتبناها الإدارة تجاه الحرب على العراق ، واستعدادها للمضي فيها لوحدها ، وذلك على عكس آراء سكوكروفت . ونلاحظ أن رؤيتها للسياسة الخارجية بدأت تعكس نظرة الرئيس ومجموعة المحافظين الجدد في إدارته ، وذلك بعد حدوث الهجمات . راجع : أنطونيا فيليكس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

[2] سجلت رايس اسمها بكونها تنتمي إلى الحزب الديمقراطي في العام ١٩٧٦ ، وهي السنة نفسها التي بدأت فيها برنامج دراستها لنيل درجة الدكتوراه ، صوتت رايس لصالح جيمي كارتر في الانتخابات الرئاسية ، لكنها غيرت رأيها بكارتر ، وبالحزب الديمقراطي نتيجة معالجة كارتر لمسألة الغزو السوفيتي لأفغانستان ، في نهاية شهر كانون الأول من العام ١٩٧٩ ، حيث قال كارتر في هذا المجال : " أنه صدم وحزن نتيجة الهجوم ، وأن رأيه بالسوفيت قد تغير بصورة خلال الأسبوع الماضي أكثر مما تغير خلال العامين الماضيين اللذين سبقاه " . عدت رايس أن الصدمة والمفاجأة اللتين أظهرهما كارتر دلالة على السذاجة ، وأن تصرفاته جاءت ضعيفة جدا . تقول رايس : " أتذكر أنني رحت أفكر : من تظن أنك تواجه ؟ هذه حكومة قبيحة . بالطبع لقد قاموا بغزو بلد أجنبي ، اعتقدت أن الوقت قد حان لإتباع سياسة أكثر صلابة تجاه هذا

نستطيع هنا إيجاد تشابه يجمع بين رايس ، ومادلين أولبرايت ، (١)(٢) وهو كونهما غريبتين في بداية حياتهما . قدمت مادلين إلى الولايات المتحدة عندما كانت في عمر الحادية عشرة ، وهي تشيكية كانت تتكلم الإنكليزية بلكنة بريطانية ، وهي تقول " أمضيت الكثير من

النظام الشمولي " . وهذا يعني أن كارتر من وجهة نظر رايس ، لم يفهم الطبيعة الحقيقية للإتحاد السوفيتي ، وعليه نرى أن رايس بادرت إلى التسجيل ، بكونها منتمية للحزب الجمهوري أثناء الحملة الرئاسية التي جرت في العام ١٩٨٠ ، وصوتت لصالح رونالد ريغان . في هذا المجال تقول رايس : " لطالما كنت معجبة بما فعله ليندون جونسون لحركة الحقوق المدنية في العام ١٩٦٤ ، الأ أنني قررت في العام ١٩٨٠ : أن الولايات المتحدة لا تتبع سياسة خارجية فعالة ، كما أنني أعجبت بقوة ريغن ، وتطورت آرائي السياسية بعدها لصالح حكومة أصغر " . راجع : أنطونيا فيليكس ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(١) مادلين أولبرايت ، مهاجرة ، وابنة دبلوماسي تشيكوسلوفاكي سابق ، لأبوين يهوديين . تقول أولبرايت في هذا المجال : " على الرغم من أن تراثي يهودي _ كما علمت في مرحلة متأخرة من حياتي – فإنني تربيت كمسيحية كاثوليكية . وكنت أصلي إلى مريم العذراء بانتظام ، وأحلم بأن أكون كاهنة (حتى الفتاة الكاثوليكية يمكنها أن تحلم) ، وطالما كنت أعزو صيغت أخلاقياتي بما تعلمته في الكنيسة بالقدوة ، وما تعلمته من والدي ، وغرس في نفسي الجد في العمل ، وبذل أقصى ما عندي طوال الوقت ، واحترام حقوق الآخرين . وعندما كنت طالبة في المدة الثانوية بكلية ولزلي ، كان علي دراسة الكتاب المقدس ، كتاريخ ، وتعلم قصة إسرائيل القديمة ، مثلما أتعلم تاريخ اليونان وروما " . إن ثلاثة من أجدادها ، وعدد آخر من أفراد عائلتها توفوا في المحرقة المسماة ب (المحرقة النازية) . أثر ماساريك كثيرا في تفكير والدها . فخلافا لكثير من المفكرين الذين يعتبرون الإنسانية بديلا للإيمان بالله ، وجد ماساريك أن الإثنين مرتبطان ، فالإيمان الديني بالنسبة إليه عني إظهار الإحترام لكل شخص ، والرغبة في مساعدة الآخرين . ولم يكن ماساريك يعتقد أن من الضروري الإيمان بالله لكي يكون المرء أخلاقيا ، لكنه رأى أن المعتقد الديني ، إذا فهم بشكل صحيح ، يفعل الكثير للحض على السلوك الصحيح وتقويته . وفي هذا المعنى تقول أولبرايت : " وثمة آراء مماثلة ، ومما يقصد الدين تحويله إلى مصدر للنزاع والكراهية ، كما أن ذلك يحدث مشاكل حادة للولايات المتحدة والعالم " .

عملت مساعدة تشريعية للسناتور إدموند موسكاي في المدة الواقعة بين ١٩٧٦ – ١٩٧٨ . أصبحت عضوة في مجلس الأمن القومي في المدة الواقعة بين ١٩٧٨ – ١٩٨١ . حصلت على زمالة دراسية في المدة الواقعة بين ١٩٨١ – ١٩٨٢ ، خلالها قامت بتأليف كتاب : " دور الصحافة في التغييرات السياسية في بولندا في بداية عام ١٩٨٠ . في المدة الواقعة بين ١٩٨١ – ١٩٩٣ ، كانت أستاذة السياسة الخارجية في جامعة جورجتاون ، وفي ٦ شباط ١٩٩٣ شغلت وظيفة المندوبة الدائمة للولايات المتحدة في الأمم المتحدة . وأخيرا ، تم تعيينها من قبل إدارة كلينتون ، وزيرة للخارجية في ٥ كانون الأول ١٩٩٦ . لها عدد من المؤلفات ، من أبرزها : " الخدمة الدبلوماسية السوفيتية . تتحدث بطلاقة الفرنسية والتشيكية والبولندية . راجع : مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بل وودورد ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩ – ٢١ ، ٢٥ ، ٨١ .

(٢) تقول دراسة حديثة أعدتها المجموعة النسائية للسياسة الخارجية ، إن الرجال ما زالوا متقدمين في ما يخص الأعداد . لكن يلاحظ أن أعدادا متزايدة من النساء يتركن بصماتهن على هذا الحقل . وتذهب الدراسة قائلة : " إن مؤسسة السياسة الخارجية ، والتي تتألف أساسا من الذكور ، هي في طريقها إلى التحول . ويلاحظ أن أعدادا كبيرة من النساء في الولايات المتحدة تدخل حقل المناصب الدولية ، وتتولى مراكز قيادية ، وهو الأمر الذي يخترق قرونا من التقاليد ... لتشاهد وجوه هؤلاء النساء ، وتسمع أصواتهن في الأروقة ، وفي كواليس السلطة ، كما لم يحدث من قبل " . يذكر ملخص لهذه الدراسة أن حقبة ما بعد الحرب الباردة استطاعت تقديم فرص أكثر للنساء في الولايات المتحدة في حقلي الدبلوماسية والدفاع ، وفي حقول أخرى مثل حقوق الإنسان والقانون والإغاثة الإنسانية والتجارة والبيئة ووسائل الإعلام . وشددت الدراسة على أهمية مادلين أولبرايت في هذا الإتجاه . وجاء في الدراسة : " إن تعيين مادلين أولبرايت لتكون الوزيرة الرابعة والستين للخارجية يرمز بشدة إلى التغييرات الكامنة في هذا المركز ... شكل العنصر النسائي في العام ١٩٧٠ ما نسبته ٨ و٤% من موظفي السلك الخارجي الأمريكي ... أما في العام ١٩٩٧ فاستطاعت النساء احتلال ١٨ % من المناصب الخارجية الرفيعة في هذا السلك ، و ٢٤ % من المناصب الإدارية الرفيعة فيه ، فضلا عن ٢١ % من مجموع السفراء ... و ٤٠ % من مساعدي الوزير ... و ٢٨ % من المساعدين ... وأخيرا احتلت النساء نسبة ٣١ % من مجموع نواب مساعدي الوزير . شملت هذه المجموعة النسائية للسياسة الخارجية ٦٠٠ امرأة تقريبا ، وأبرزت المميزات التي تقول النساء إنها أسهمت في نجاحهن في هذا الحقل . وفيما يخص رايس ، قال أحد زملائها في جامعة ستانفورد أثناء الحملة الرئاسية لبوش الابن ، إنها أحدثت ضجة . ويقول مايكل ماكفول : يهيمن على السياسة الخارجية رجال ضخام ، أو ذوو شعر أشيب ، وهؤلاء ليسوا معتادين على شخص مثل كونداليزا رايس " . راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

الوقت بالقلق ، لأنني أردت التأكد من تلاؤمي مع مجتمعي الجديد" حمل وضع رايس إثارة أكثر بالطبع ، فهي طفلة سوداء تعيش في أكثر مدن البلاد تميزاً بالفصل العنصري ، لكنها تلقت توجيهاً شديداً منذ نشأتها ، وذلك للتأكد من أنها ستنجح بطريقة استثنائية ، وليس فقط من أنها ستتلاءم مع ثقافة البلاد عموماً [١] .

لكن أولبرايت ورايس تشتركان بصفات تجمعهما ، أعجبت كل واحدة منهما بأبيها ، وحاولت التفوق عليه . أحرزت مادلين التقدم في حقل العلاقات الدولية على أمل العمل في مهنة والدها جوزيف كوربيل . وتقول مادلين : " حاولت أن أجد نمطاً لي يماثل نمط والدي ، ويرجع الكثير مما فعلته إلى رغبتي في أن أكون مثل والدي " . اتبعت رايس من جهتها خطوات والدها ، جمعت ما بين التعليم الجامعي والإدارة الجامعية ، تماماً مثلما فعل والدها ، وكرست حياتها للشبان الفقراء ، وهو الإلتزام الذي ميز حياة والدها جون رايس ، فشاركت في تأسيس مركز الجيل الجديد في كاليفورنيا . ويتذكر أن رايس تضع إيمانها في صلب حياتها ، كما كان الحال دائماً مع والدها[٢] . يلاحظ المرء تشابهات إضافية تجمع ما بين رايس ومادلين في حقبة الصبا . وتتمثل هذه التشابهات في الحماية والإلتزام المتحمس لتعليمهما . وصفت مادلين والديها بأنهما مفرطين في الحماية ، وهي تقول إن والدها قد ذهب بعيداً في الحرص على تعليمها . كتب دوبس قائلاً : " اعتاد على تصحيح مقالاتها ... وقلق كثيراً بشأن إلحاقها بأفضل المدارس، فخطط جيداً لمستقبلها " . وذهب والدا رايس بعيداً جداً لحمايتها من رعب سياسة التمييز العنصري ، وكرسا نفسيهما لتعليمها وتثقيفها ، وأعطياها في البيت الإنتباه نفسه الذي تلقاه في قاعة المحاضرة [٣] .

ركزت رايس ومادلين ، بكونهما باحثتين ، على أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي ، لكننا نلاحظ أنهما لا تشبهان بعضهما في المعترك السياسي مع أنهما شخصيتان بارزتان في الشؤون السياسية . تعرفت مادلين على رايس بكونها الإبنة التي يرعاها والدها في جامعة دنفر[٤] .

فيما يخص وزارة الخارجية السوفيتية، فانها كانت لا تختلف عن مثيلاتها في الدول الكبرى المتقدمة، تعرضت الوزارة الى تحولات كبيرة، اذ بدأت في عهد تروتسكي، وزارة تعمل من اجل مفهوم الثورة العالمية، لانه في حالة اخفاق الثورة يكون تطبيق مبادئ الدبلوماسية السوفيتية مستحيلاً، وفي حالة نجاحها تكون غير ضرورية. وقد اشار الى هذه الحقيقة تروتسكي عندما قال: "سوف اوجه بعض نداءات ثورية لشعوب العالم ثم اغلق الدكان". وفي ظل هذه التطورات اصدر تروتسكي في ٢٦تشرين الثاني ١٩١٧ مرسوماً قام بموجبه بتصفية أدوات الدبلوماسية القيصرية، وبموجب ذلك طلب من موظفي السلك الدبلوماسي في

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ .

الخارج اعلان ولائهم للنظام الاشتراكي الجديد او ان يعدوا انفسهم مقالين[1]. ونتيجة لذلك فقد قام النظام الجديد بتعيين المهاجرين الشيوعيين كممثلين غير رسميين للحكومة الجديدة، وكان بينهم ليتفينوف الذي عين في لندن، وقد دفعت هذه التطورات قيام مجلس مفوضي الشعب اعادة انشاء سلك دبلوماسي موقت، واصدار مرسوم في ٤ حزيران ١٩١٨، الذي اعاد فيه النظر من جانب واحد بدرجات البعثة الدبلوماسية التي اقرها مؤتمر فينا عام ١٨١٥ حل محلها درجة "الممثل المفوض" وعمد المرسوم الى فرض مبادئ المساواة السوفيتية على ممثلي الدول الاجنبية ففرض اعتبارهم جميعاً أي كانت درجاتهم مفوضين ممثلين متساوين[2].

ان قيام الدبلوماسيين السوفيت بمهمة النشاط الثوري في العالم الخارجي كان من شأنه ان يعيق اقامة العلاقات السياسية والتجارية مع العالم الرأسمالي، وعليه نرى انه عند مجيء جورجي شيشرين في نيسان ١٩١٨ بعد تروتسكي، قام بتحويل النشاط الثوري من وزارة الخارجية الى الحزب، وتكوين سلك دبلوماسي من جديد، وعند انشاء الإتحاد، وتركيز الدبلوماسية في موسكو، كان من مهمات مفوضية الشؤون الخارجية اصدار قانون في ١٢تشرين الثاني ١٩٢٣ الذي سار العمل به اذ كان اساساً قانونياً لتأليف وزارة الخارجية وتنظيمها إلى إنهيار دولة الاتحاد السوفيتي[3].

---

* لشخصية وزير الدفاع ومساعديه في الولايات المتحدة ادوار حاسمة في عملية صنع القرار ، كما هو الحال مع رامسفيلد وبول وولفيتز ، راجع : Time ، ١٢-٢-٢٠٠٤ تجدر الاشارة في هذا المجال، ان دوغلاس فيث وكيل وزارة الدفاع لشؤون السياسات في البنتاغون ، وموظفوه تجاهل خطة عمل وزارة الخارجية في العراق مابعد الحرب التي استغرق اعدادها عاما كاملا ، وحالوا دون السماح لكبير المخططين في وزارة الخارجية ، توماس واريك ، بالتوجه الى العراق. وكان واريك قد جند نحو ٢٤٠ منفيا عراقيا في أوروبا والولايات المتحدة ممن لديهم خبرات في مجالات القانون الجنائي والاقتصاد والنفط . والحق ، لم يكن فيث وغيره من الصقور في البنتاغون يريدون تدخل وزارة الخارجية . راجع : هالبر ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٩١.

[1] اسطوروبل، فرنون، "السياسة الخارجية السوفيتية في روي مكريدس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة د.حسن صعب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص٣١٦. أصدرت مفوضية الشعب للشؤون الخارجية في ٩ كانون الأول ١٩١٧ مرسوما تم بموجبه الاستغناء عن ثمانية وعشرين دبلوماسيا ومبعوثا والقناصل والمستخدمين ، والتوقف من الدفع من أيرادات الدولة . ولكن مع ذلك تم تجاهل هذا المرسوم من خلال الأستغناء عن الدبلوماسيين في الخارج وضغط القوى الكبرى وقتذا على السوفيت . والحق ، عمل الدبلوماسيون القدامى في الخارج ضد الإتحاد السوفيتي بسبب أن الحكومات الأجنبية كانت منعزلة عن جميع القواعد الدولية وأعرافها ، وعلى هذا الأساس فأنها تعاملت مع هؤلاء الدبلوماسيين القدامى بمثابة ممثلين رسميين لروسيا القيصرية ، وعلى سبيل المثال ، عدت الولايات المتحدة Bakhmetyev كسفير روسي لديها حتى عام ١٩٢٢ ، على الرغم من تعيين الحكومة السوفيتية لـ K . Martens في كانون الثاني ١٩١٩ محله . ومرد هذا فأن القوى الغربية لم تكن لتعترف بدولة الإتحاد السوفيتي ، وبالتالي لم تكن لتعترف بممثليها في العالم الخارجي . كما تم أختيار M. , M . Litvinov كسفير للإتحاد السوفيتي في بريطانيا في كانون الثاني ١٩١٨ ، وأختار السوفيت أيضا V . V . Vorovsky كسفير في ستوكهولم في ٢ كانون الأول ، وفي الوقت نفسه تم أختياره كسفير في السويد والدنمارك والنرويج . راجع : B. Ponomarnov , A. Gromyko,V.Khvostov , History Of Soviet Foreign Policy ١٩١٧-١٩٤٥ , Progress Publishers , Moscow , ١٩٦٩ , PP. ٤٧-٤٨ . ومكريدس، مصدر سبق ذكره ، ص٣١٦.

[2] المصدر نفسه، ص٣١٧.

[3] المصدر نفسه، ص٣١٨.

وهنا ينبغي تأكيد حقيقة جوهرية مفادها، انه عندما تشبثت الثورة البلشفية في روسيا القيصرية لدى الثوار بمبدأ المسؤولية الجماعية، اذ عهد بإدارة وزارة الخارجية في بداية الامر الى هيئة تكونت من الوزير وثلاثة او اربعة من كبار معاونيه، وكان على الوزير ان يمارس سلطته ومسؤوليته بالاشتراك معهم، وقد ظهر التحول نحو المسؤولية الإدارية الفردية عند صدور الدستور الاول في اذار ١٩٢٨، وكان من نتائج ذلك اعطاء المفوض سلطة التقرير في الشؤون الواقعة في نطاق وزارته وفي حالة تعارض قراره مع وجهة هيئة الوزارة، كان للهيئة من دون ان توقف قرار الوزير ان تستأنف امر الخلاف لمجلس الوزراء او بريزيديوم الحزب. فاصبحت المسؤولية الجماعية اشبه شيء بالتهرب من المسؤولية الفعلية. كان من نتائجها انفراد الهيئة باصدار الأوامر من دون اعطاء اهمية لمكانة المفوض ومسؤوليته الشخصية، الأمر الذي دفع بستالين في عام ١٩٣٤ الى الغاء الهيئة الأمر الذي أدى الى أن يتخذ السوفيت قرارا في ١٣ كانون الاول ١٩٣٦واستنادا للمادة ٧٧ من دستور الإتحاد السوفيتي الصادر في عام ١٩٣٦ ، تم بموجبه تحويل مفوضية الشعب للشؤون الخارجية الى مفوضية تضم دولة الإتحاد السوفيتي جميعا وقد أدى ذلك الى اطلاق يد المفوض في شؤون مفوضيته الا ان الهيئة تمت اعادتها من جديد في اذار ١٩٣٨، ولكن من دون إعطاء صلاحيات لها، فجعل منها اللجنة التنفيذية للمفوضية وجرد مجلسها من حق التقرير وحتى الاستشارة، وعليه بقيت العلاقة بين الوزير والهيئة الى انهيار دولة الإتحاد السوفيتي كما وضعت في عام ١٩٣٨، ولتغير عدد اعضائها على وفق إرادة الوزير إلا في الظروف الاستثنائية على الرغم من ان تعيينهم كان من اختصاص مجلس الوزراء وفي تطور لاحق تم إصدار قرار اخر في ١٥ اذار ١٩٤٦ من قبل مجلس السوفيت الأعلى تم بموجبه تحويل المفوضية الى مجلس الوزراء ، ثم بعد ذلك تحولت الى وزارة الخارجية [1].

فيما يخص تقاليدالكيان الصهيوني ، في وزارة الخارجية نرى أنه في الستينات من القرن الماضي ، كان وزير الخارجية لايمثل الشخصية الاولى في اتخاذ القرارات الهامة المتعلقة بالسياسة الخارجية. لقد كانت هذه المهمة من مسؤوليات رئيس الوزراء نفسه ولاسيما في المدة الطويلة التي امضاها بن جوريون في السلطة كرئيس للوزراء ، كان بن جوريون هو وزير الخارجية وحين تولت جولدا مائير للوزارة من بعده . وقد دافع بن جوريون عن موقفه هذا قائلا : " انني أود ان اقول بصراحة ان رئيس الوزراء الإسرائيلي يجب ان يكون هو نفسه وزير الخارجية ، ان الشؤون الخارجية ، شأنها في ذلك شأن الدفاع ، من المجالات الهامة والحساسة في الحكومة ، وهي قد تتاثر بقرار سليم او خاطيء يتخذ في أدنى المستويات وهذا غير حاصل في الوزارات الأخرى . "[2]

---

[1] المصدر نفسه، ص٣٢٠-٣٢١.راجع في هذا الصدد: الدكتور احمد نوري النعيمي ، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية التركية إنموذج العلاقات العراقية التركية ، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد ، بغداد ، ٢٠٠٦، ص٤٠-٤١ .

[2] ابراهيم العابد ، سياسة اسرائيل الخارجية اهدافها ووسائلها و ادواتها ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ،١٩٦٨ ، ص ٩٥ – ٩٦ .

لقد بلغ من اصرار بن جوريون كرئيس للوزراء على موقفه هذا وعلى فهمه هذا للجهة التي يجب ان تتحمل المسؤولية الأولى في التقرير بشأن السياسة الخارجية ، الى درجة انه بعد استقالته من رئاسة الوزارة في العام ١٩٥٣ ، وبعد عودته عن الأستقالة بعد مدة وجيزة أعلن بأنه لايرى لنفسه مكانا في رئاسة الوزارة اذا استمر شاريت في تصوره لمهمته كوزير الخارجية ، ووضع القضية أمام حزب الماباي ، فوافق الأخير على رأي بن جوريون فاستقال شاريت وخلفته جولدا مائير وزيرة للخارجية بالدرجة الثانية على ان تظل مقاليد الوزارة تقريرا وتخطيطا بيد رئيس الوزراء . لقد كانت جولدا مائير تفهم حين تولت وزارة الخارجية أنها ستكون الوزيرة ، بينما سيكون بن جوريون واضع السياسة الخارجية . وكان هذا سببا من قبول بن جوريون أن تكون جولدامائير وزيرة للخارجية . وهذا يعني ، أن لرئيس الوزراء حتى الى يومنا هذا ، له دور كبير في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، الا ان هذا الدور يقترن بالدرجة الأولى ، على شخصية كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية . ومن هنا يفترض علينا أن نقارن بين بن جوريون وليفي شكول ، وبين موشيه شاريت وجولدا مائير وبين الأخيرة وأبا أيبان . والحق ، لم يقم شكول عندما تولى رئاسة مجلس الوزراء بالدور الرئيس الذي كان يقوم به بن جوريون في مجال الشؤون الخارجية ويعزى السبب في ذلك الى تكوينه الشخصي ، والى فترة جولدا مائير من وزارة الخارجية عند تسلمه هو من رئاسة مجلس الوزراء ، وتحويله الى جهاز (نجحت بطبعه بطابعها الشخصي) . وعندما وصل أبا ايبان الى وزارة الخارجية لم يستطيع متابعة حياة جولدا مائير ، بسبب انقطاع معلوماته عن طبيعة العمل السياسي الداخلي في الأرض المحتلة وعدم معرفته بمراكز عملية صنع القرار ، كونه كان مندوب للكيان الصهيوني في مقر الأمم المتحدة في نيويورك . وكان هذا سببا الى نقل القرارات المهمة على مستوى السياسة الخارجية الى مرافق أخرى من الدولة [1] .

وهنا لابد من الإشارة ، الى ارتباط السياسة الخارجية برؤساء الوزارات ، أو برؤساء الجمهوريات بالدرجة الأولى ، وبوزراء الخارجية بالدرجة الثانية ، ولاسيما اذا عرفنا أن الرؤساء يعملون عادة كمساعدين لرؤسائهم .[2]

وصفوة القول في الكلام، ان اعطاء دور رئيس لوزير الخارجية في السياسة الخارجية يتوقف على توفر عناصر ثلاث اساسية هي[3]:

١. ان السياسة الخارجية في هذه الحالة بحاجة الى وجود زعيم مركزي يتمتع بالقوة قادر على اختيار مستشاريه، ان الرئيس في القرن التاسع عشر كان بإمكانه وعلى مستوى الرسوم الكمركية ان يفوض وزير خارجيته مهمات السياسة الخارجية، اما في الوقت الحاضر، فقد تفاقم الأمر نتيجة تعقد العلاقات الدولية، فانه من الصعوبة بمكان تفويضه هذه المهمات، لان الأمر يتطلب هيمنة استخدام الرئيس على السياسة الخارجية.

---

(1) المصدر نفسه ، ص٩٧-٩٨ .
(2) المصدر نفسه ، ص٩٧-٩٨ .
(3) المصدر نفسه ، ص٩٧-٩٨ .

٢. ينبغي للرئيس ان يختار في وظيفة وزير الخارجية ووزير البنتاغون ورئيس المخابرات اشخاصاً قادرين على قيادة وزاراتهم لا السير وراءها.

٣. يتوجب على الرئيس ايجاد نظام يتميز بالقوة والمتانة لمجلس الأمن القومي، وهذا يعني ان الرئيس بحاجة الى شخص قوي قادر على تنظيم عملية صنع القرار في السياسة الخارجية وان يوجه الأداة البيروقراطية بالشكل الذي يريده[١].

أن تنفيذ السياسة الخارجية هو عملية تتطلب اشخاصاً محترفين اكثر كفاءة وقدرة من السياسيين او الهواة على التعامل مع الدول الاخرى، ويأتي وزير الخارجية في مقدمة هؤلاء الدبلوماسيين الذين تقول النصوص القديمة انهم وحدهم الذين يمكنهم القيام بدور الوسطاء في العلاقات مع العالم الخارجي[٢].

اختلفت الآراء بشأن اهمية وزير الخارجية في السياسة الخارجية، اذ ان هناك رأياً يقول (بانه المرغوب فيه ان يتولى الشؤون الخارجية لدولة كبرى، أشخاص متخصصون في الحقل الدبلوماسي). في هذا المجال أكد نيكسون عدم الخلط بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية[٣]. في حين أن ليون اشار قائلاً: (على انه ليس هناك مسوغ على الاطلاق لأن تخضع الدبلوماسية في أية مرحلة من مراحلها لنقد او مراقبة القوى العاملة او وزير الصحة او وزير الاشغال او المواصلات، لأن ذلك سوف يؤدي الى الخلط بين الصلاحيات والمسؤوليات، ومن شأنه ان يثير مناقشات سطحية، كما انه سوف يؤدي الى إلحاق الضرر بالسرية التي لابد من توافرها لضمان نجاح العمل الدبلوماسي[٤].

يمكننا ان نؤكد في هذا المجال، أن دور وزير الخارجية في السياسة الخارجية قد تضاءل في الوقت الحاضر وهناك امثلة تعزز هذا الرأي، فاذا نظرنا الى تشكيلة الحكومة الفرنسية برئاسة موروا في حزيران ١٩٨١ نرى ان إختصاصات عدد من الوزراء لها علاقة بالسياسة الخارجية، من هؤلاء وزير الدفاع ووزير التجارة الخارجية ووزير التعاون والتنمية ووزير الشؤون الأوروبية، فضلاً عن ذلك ان جل الوزراء الفنيين يمارسون عملاً دبلوماسياً كالحال مع وزراء المواصلات والإقتصاد والمالية والتعليم والزراعة والصناعة والصحة والبيئة والبحار والاتصالات السلكية واللاسلكية والبريد وفي اطار المنظمات الدولية[٥].

---

[١] محمد السلمي، مصدر سبق ذكره، ص١٨٥.
[٢] المصدر نفسه، ص٣٢٨.
[٣] المصدر نفسه، ص٣٢٨، وراجع بالتفصيل بشأن ذلك: هارولد نكولسون، مصدر سبق ذكره، ص١٧٨-١٨٩.
[٤] مرسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٣٢٨.
[٥] المصدر نفسه، ص٣٢٩.

أن معظم الوزارات الفنية تشترك من الآن فصاعداً بوظيفة تمثيل السلطة العامة لدى السلطات الاجنبية او المنظمات الدولية، وهناك مثال جيد يقدمه لنا عمل مجلس وزراء الجماعة الاقتصادية الأوروبية، اذ ان ممثل كل بلد يشغل دورياً من قبل وزراء مختلفين (الشؤون الخارجية، المالية، الزراعة، النقل.. الخ) بحسب طبيعة المسائل المدرجة على جدول الاعمال، ويقوم الوزراء الفنيون بصورة عامة بتأمين رئاسة الوفود الوطنية الى المؤتمرات الكبرى التي تنظمها المؤسسات المتخصصة. راجع المصدر نفسه، ص٦٣، والدكتور عبد المنعم سعيد، الجماعة الاوربية تجربة التكامل والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٦، ص٦٦-٦٨.

رابعاً: تنفيذ عملية صنع القرار

أن تنفيذ عملية صنع القرار تفترض مشكلات ثلاثاً[1]:

١. إختيار الاداة بمعنى اختيار اصلح اداة تعكس حقيقة الموقف من جانب وبحيث تتصرف طاقة قوية للوصول الى تنفيذ القرار السياسي، ان اعلان حرب والدخول في قرار يستخدم القوة لمجرد مواجهة اهانة السفراء لا تعني قوة للدولة صاحبة الشأن، وانما اختلال في سياستها الخارجية.

٢. التنسيق بين الأدوات، ان مخطط السياسة الخارجية لابد من ان يقوم بمثل هذا الدور، وعلى النمط الخارجي فان العمل الدبلوماسي والعمل العسكري والعمل الدعائي يجب ان يكمل كل منها الآخر، الى درجة ان كلا منها يكون الهجوم الأول وخط الدفاع الأخير.

٣. عملية التفاوض هي جوهر العلاقة بين القوى الدولية، والتفاوض بهذا المعنى أكثر اتساعاً من القانون الدبلوماسي، فبرغم ان الإتصال على مستوى رئيس الدولة الذي يوصف بدبلوماسية القمة، إلا انه في الواقع لا يعبر عن هذه الحقيقة لانه نوع من الإتصال بين القوى السياسية الحاكمة من خلال الغاء عملية التمثيل الدبلوماسي، فضلاً عن ذلك، ينبغي ملاحظة ذلك: ان غالبية الاتفاقيات الدولية المعاصرة لا يتم تنفيذها من خلال العمل الدبلوماسي، وانما بوساطة خبراء السلطة او من في حكمهم، ومن ثم فان علاقة التفاوض يجب ان تفهم انها مرادف للعمل الدبلوماسي.

وفي هذا المجال، لابد من معرفة الوظيفة الدبلوماسية من حيث علاقتها بالنواحي العلمية للاعداد الدبلوماسي -بالنسبة للرجل الدبلوماسي- التي تكون مجموعة من الصعوبات اذ يمكننا ايجازها في الآتي:[2]

١. فاول هذه الصعوبات يرتبط بالتناقض الواضح بين طبيعة المنهاج العلمي والثقافي التي درج عليها الدبلوماسي، لقد درج الأخير على منطق العلوم الاجتماعية، إذ أن دراسته تقوم على ثقافة قانونية او تاريخية، في وقت أضحى فيه المنطق العلمي يسيطر عليه الأسلوب الرياضي والإحصائي، هذا يفسر اتجاه تقاليد بعض الدول الى الفصل الواضح بين واضع ومخطط السياسة الخارجية من جانب والقائم بالوظيفة الدبلوماسية من جانب اخر، الأول ذو ثقافة علمية متخصصة يغلب عليها التحليل الرياضي لا تتقابل نظرية الإحتمالات بالنظرية الستراتيجية، اما الثاني فهو ذو ثقافة عامة تكاد تكون سطحية يفترض فيها ان تؤدي وظيفة تنفيذية تجعل منه اقرب الى رجل العلاقات العامة، من ان يشارك ولو بطريقة غير مباشرة إعداد السياسة الخارجية، ينتقد استاذنا الدكتور حامد ربيع هذا الإتجاه مؤكدا هذا في النقاط الاتية[3]

أ. من وجهة النظر العملية، أن كل دبلوماسي مدعو ولو في مرحلة معينة من مراحل حياته، الى ان تكون له المشاركة بطريقة مباشرة او غير مباشرة في إعداد السياسة الخارجية،

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٤٣-٤٤.

[2] المصدر نفسه، ص١٠.

[3] المصدر نفسه، ص١٠-١٢.

والحالة الأخيرة تفترض التمييز بين الطوائف الثلاث: فهناك اولاً السياسي، أي الرجل الذي يصل الى السلطة من خلال تفاعله بالقوى السياسية المحلية، سواء كان هذا التفاعل عن طريق الأساليب الديمقراطية أي الانتخاب، او تم عن طريق الأسلوب التكنوقراطي أي العلاقات الشخصية، ووزير الخارجية في اغلب الأحيان، وكذلك معاونوه المباشرون ينتمون إلى هذه الطائفة، ثم أن هناك خبراء السلطة ، أي ذلك المتخصص الذي يدعى من جانب السلطة الحاكمة ليقدم له معونته وخبراته ، مع إفتراض أنه لا ينتمي إلى تلك السلطة لا حزبيا ولا عقيديا ، بل ومن المصلحة عدم إنتمائه ، وإلا فقد القدرة على التجرد وعدم التمييز . فهل تفتح له جميع جميع مصادر المعلومات ؟ الإجابة بنعم تفرض نفسها نظريا لأنه لا يمكن أن نطالب الطبيب بالعلاج والتشخيص دون أن يسمح له بأن يتفقد جميع أجزاء الجسد موضع العناية ، ودون ان نثق في شخصه فنرفع الحجاب عن الماضي والحاضر . ولكن ليس من حق الطبيب أن ينشر ما حصل عليه من معلومات بأي شكل كان ، وإلا خضع لطائلة العقاب . هكذا خبير السلطة يجب أن يخضع لقواعد صارمة مماثلة [1] .

وخبراء السلطة أعدوا اعداداً منهجياً يسمح لهم بالتنبؤ بالأحداث وبقياس التصرفات ومن ثم بناء نماذج للسياسة الخارجية، اما الطائفة الثالثة فهي طائفة الدبلوماسيين الذين يقومون بعملية التمثيل على مستوى العلاقات الدولية . اذا يمكننا القول ان خبير السلطة يعد نماذج القرارات السياسية، والسياسي يختار بين النماذج ويتخذ القرار النهائي، والدبلوماسي يقوم بعملية التنفيذ.

والحق ، انه لم نستطع حتى الآن أن نميز بين هذه الوظائف الثلاث وان نجعل من كل منها وظيفة مستقلة تفترض إعدادا مستقلا ومواصفات مختلفة الا تلك الدول التي وصلت الى درجة متقدمة من حيث التقاليد السياسية كفرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا الإتحادية والى حد ما الولايات المتحدة الأميركية، اما في المجتمعات الأخرى بصفة عامة فان أي دبلوماسي قد يرقى في السلم فاذا هو فجأةً بحكم درجته الإدارية اضحى مدعواً لان يشارك بطريق مباشر في إعداد السياسة الخارجية[2].

على ان هذه المأساة تزداد خطورة في المجتمعات النامية، فليس فقط الدبلوماسي لا يعرف حدود وظيفته إزاء من يتولى صياغة القرار السياسي بل السياسيPoliticain إزاء كل منها، فكم من رجل ليس له من إعداد مهني في أي من معانيه كخبير للسلطة او كدبلوماسي محترف وجد نفسه فجأة في منصب السفارة لم يتردد بهذه الصفة لا فقط في ان يقوم بوظيفة تنفيذية بل وفي ان ينتزع حقه بالمشاركة في إتخاذ القرار السياسي، على ان هناك ناحية اخرى تجعل من هذا الخلط بين الوظائف امراً بالغ الخطورة، ذلك انه في المجتمعات المتقدمة يوجد هناك العديد من الوسائل تسمح بضبط الإخفاق في السياسة الخارجية والرقابة لتحديد المسؤولية، اما في المجتمعات النامية لا الحياة السياسية بدائية وحيث الرقابة على عمل الإدارة لا وجود لها، وحيث الضبط الإداري الذاتي ضعيف وشكلي فان الإخفاق يصبح ولا مفر منه[3].

---

(1) الدكتور حامد ربيع ، العلوم السلوكية ، مصدر سبق ذكره ، ٣٠ .

(2) المصدر نفسه، ص٣٠.

(3) المصدر نفسه، ص٣١.

ب. الصعوبة الثانية تتركز في موقف علماء العلاقات الدولية من النواحي المنهاجية، فالمسلم به ان نظرية العلاقات الدولية تعاني قصوراً واضحاً من هذه الناحية حتى ان جميع المختصين يصفونها بانها القسم المتخلف من العلوم السياسية، فاذا كانت دراسة العلاقات الدولية هي نوع من انواع البحث العلمي وصورة من صور المعرفة المنظمة، فان الوظيفة الدبلوماسية تجمع بين العلم والخبرة والفن[1].

يتضح مما تقدم ان هناك خصائص للدبلوماسية المعاصرة التي تتحدد في: متخصصة، حضارية، لا سياسية، علمية.

١. أول ما يميز الدبلوماسية المعاصرة هو التخصص، وكلمة التخصص هنا يجب أن تفهم باوسع معانيها، والتخصص لا يقتصر فقط على الإعداد المهني ودرجاته، بل يتجاوز ذلك الى طبيعة الاهتمامات، فضلاً على أسلوب التعامل ذاته، ولفهم ذلك يتوجب علينا ان نؤكد النقاط الاتية[2]:

أ. يثير التخصص ضرورة التمييز بين الوظيفة الدبلوماسية، بمعنى التمثيل والعمل الدبلوماسي بمعنى إعداد القرار السياسي، لم يعد من المقبول في أي مجتمع سياسي يسعى الى ان يحقق فاعلية معينة في سياسته الخارجية اذ ان يخلط بين الوظيفة التمثيلية وبين عملية اعداد القرار السياسي حتى أضحى المشتغل في كل من هاتين الناحيتين يعكس اعداداً مختلفاً بل وتطلق عليه تسمية مختلفة، الاول هو الدبلوماسيDiplomet اما الثاني فهو خبير السلطةTechnician of Power.

ب. حتى في إطار عملية التمثيل الدبلوماسي، فهناك تخصص من نوع معين هو التمثيل العادي الذي يعد من وظائف الدبلوماسي العادي، إلى جانب ذلك هناك الدبلوماسي المتخصص في نوع معين من انواع العلاقات الدولية: الثقافية او التجارية او العلمية او الصحية او الإعلامية او العمالية، واذا كان الأول يعبر عن تقاليد الدبلوماسية التقليدية، فان الثاني يمثل صورة جديدة من صور الدبلوماسية تجمع بين الثقافة الدبلوماسية وثقافة نوعية أخرى مستقلة بل وقد تعارض الثقافة الدبلوماسية، والمثل على ذلك إستخدام الذرة وما يرتبط بها من مشكلات دولية.

ج. في نطاق عملية التمثيل الدبلوماسي سواء بمعناه التقليدي أم بمعناه النوعي فان التقاليد التي قد بدأت تتراكم بعد الحرب العالمية الثانية والتي تتركز في ظاهرة التكتلات الإقليمية قد فرضت بدورها صوراً جديدة من صور التخصص تدور حول عنصر "الإقليم Area diplomacy" والواقع انه لم يعد من الممكن تصور الدبلوماسي الذي يقضي حياته متنقلاً من اقصى أمريكا الجنوبية الى اقصى شمالي القارة الأسيوية، ومن الطبيعي تمكين الدبلوماسي من التخصص في منطقة معينة او في إقليم معين، ولعل هذا يعكس ما يقوله

---

[1] المصدر نفسه، ص ١٨-٢٦، و
Contemporary International Politics, P.١٨٦; Nicolosn, Harold, Diplomacy then and Now, pp.١٩٨-٢٠٤

[2] الدكتور حامد ربيع ، نظرية الدعاية الخارجية، مصدر سبق ذكره ، ص٢٠٨.

ديروزيل Duroselle من حيث الواقع هناك اليوم نوعان من أنواع الدبلوماسية، دبلوماسية بين الأعضاء المنتمين الى تكتل معين، ودبلوماسية في العلاقات بين الكتل المختلفة، هذا التنوع في الدبلوماسية لابد من ان يفسر التخصص الإقليمي في الأقل في بعض نواحيه".

د. ثم يقتصر التخصص على جميع هذه النواحي بل غزا ايضاً أسلوب العمل الدبلوماسي ذاته، وكان من الطبيعي ان تفرض أساليب جديدة من العمل الدبلوماسي مطابقاً في العمل الدبلوماسي نفسه، وقد يعتقد بعضهم أن الدبلوماسية السرية او التقليدية قد انتهت، ولكن في الواقع ان الذي وقع هو أنه عرفت أساليب جديدة للعمل الدبلوماسي.

وفي هذا المجال نستطيع أن نميز في أساليب العمل الدبلوماسي بين أنواع أربعة العمل الدبلوماسي بالطريق التقليدي او السري أي باسلوب المفاوضات ثم العمل الدبلوماسي بالطريق الإعلامي او الدعائي، ثم العمل الدبلوماسي بالطريق الخطابي وأخيراً طريق المهاجمة والإستفزاز. الأول يقوم على السرية ويعرف المفاوضات كقاعدة أساسية لتنفيذ الغاية من العمل الدبلوماسي، ويخضع لما عرفناه من القواعد التقليدية. اما الأسلوب الثاني فقد فرضته الثورة الإعلامية التي لم يعرفها العالم من قبل، وقد اضحينا اليوم نسمع عن دبلوماسية الإذاعة او بصفة خاصة عن دبلوماسية التلفاز، ولعل من تتبع الصراع الفكري بين المستشار الإعلامي لدولة الكويت في الأمم المتحدة في السبعينات من القرن الماضي وبين معلق التلفاز الأمريكي يستطيع ان يفهم بوضوح كيف أن هذا الأسلوب من أساليب الدبلوماسية يفترض اعداداً وتخصصاً من نوع اخر.

فالدبلوماسية التقليدية التي كانت وظيفتها تبعاً لذلك بانها من حيث العمل الدبلوماسي تقوم على اسس اربعة:

Courlens, Dignifiect, Continuous, and Gradual

أي الذوق والكرامة والإستمرار والتدرج، لا يمكن ان تصلح لاعداد الدبلوماسي الاعلامي.

الأسلوب الثالث هو الذي يوصف في بعض الأحيان بدبلوماسية الطريق العام: La diplomatic sur la place publique الذي يصفه الكتاب الأنجلوساكسون بأنه دبلوماسية الصوت العالي Diplomacy by loud-Speaker هو نتيجة طبيعية من تطبيق الأساليب التقليدية في الحياة السياسية الداخلية والمرتبطة بالمجتمع الجماهيري والصراع السياسي في النظم الليبرالية. في هذا الاسلوب تبرز الغوغائية وتسيطر على العمل الدبلوماسي قواعد أخرى لا يمكن إلا ان تناقض التقاليد الدبلوماسية التقليدية؛ لقد كان الدبلوماسي يوصف بأن واجبه هو أن يكون عيناً واذناً لدولته eye and ear ولكن هذه الدبلوماسية الجديدة تجعل منه فقط لساناً.

الأسلوب الرابع والأخير ، هو الذي فرضه الصراع الأيديولوجي، هو امتداد للأسلوب السابق ولكنه لا يقتصر على مجرد الخطب الرنانة التي لا تقود الى شي وانما يضيف الى ذلك عنصر الهجوم والإستفزاز مع تضخيم لمظاهر النجاح المرتبطة بنظام سياسي معين وتقليل لظاهرة الإخفاق المرتبطة بنظام سياسي اخر، وهذا ما يطلق عليه خبراء الرأي العام Diplomacy by Insult والذي هو تطبيق للعمل الدعائي في أدق معانيه.

ب- أن فكرة تحليل المضمون التي تحدد مفهوم تحليل المضمون ، التي لها علاقة بعملية الإنتقال من المايكرو إلى الماكرو ، التي تعد من أكثر أنواع تحليل المضمون صعوبة ، فضلاً عن وجود معوقات هي مثيرة للمناقشة [1] .

٢. أسلوب الإتصال Communication Method

٣. أسلوب المقارنة المنهاجية Comparstine Methodlogy

٤. أسلوب إعداد الرسالة الإعلامية Techmigue of Mass Media

وهكذا تتحدد وظيفة البحث العلمي من حيث علاقتها بالوظيفة الدبلوماسية في نواح ثلاث:

١. أساليب تقصي الحقائق.

٢. طرائق تفريغ النتائج وترتيبها.

٣. وسائل التنبؤ بالأحداث.

كل من هذه النواحي يقود الى فرع معين من فروع المنطق العلمي ذي الخصائص الآتية: الاول نظرية البحث الميداني، والثاني نظرية البحث التجريدي، والثالث نظرية التدبير السياسي.

رغم ذلك فالتحليل العلمي في العمل السياسي الخارجي من الممكن أن يواجه بعض الصعوبات ، يمكن ايجازها في الآتي :

١- عدم الاقتناع من جانب الجيل القديم . ذلك أن السياسة الخارجية لاتزال تخضع للجيل الذي نشأ وتكون في ظل المناهج التقليدية التي تدور حول المعرفة التاريخية والتحليل القانوني .

٢- يزيد من ذلك صعوبة تطبيق التحليل العلمي على مناهج إعداد السياسة الخارجية فيما يخص العمل الدبلوماسي ، حيث نجد في نطاق تلك الحقائق الثلاث الآتية : [2]

أ- عدم وجود خط واضح للفصل بين الخطة والتنفيذ .

ب- أن النشاط الدبلوماسي يكاد يستحيل تحويله تحويلاً كمياً والتعبير عنه بلغة رقمية.

ج- هناك مجموعة من القرارات المتعلقة للعمل الدبلوماسي المقترنة بالعمل الدبلوماسي التي تسمى بالقرارات اليومية وهي تقف من التحليل العلمي موقف الرفض بسبب ضيق الوقت و قيود إمكانيات إستخدام المنطق العلمي بالنسبة لمثل تلك القرارات .

يقول العالم الأمريكي هاو أن وظائف التخطيط السياسي في العالم الدبلوماسي يجب أن يتجه بصفة خاصة الى إهتمامات ثلاث : مايسمى بالمشاكل المحدودة ، مايعرف بإسم دراسة السياسات القومية ، مايعبر عنه باتخاذ موقف الخصم أو العدو [3] .

---

[1] الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠٩-١١٢ .

[2] المصدر نفسه ، ص١٠٣-١٠٤ .

[3] المصدر نفسه ، ص١٠٥ .

ولتحقيق هذه الأهداف من الدبلوماسي، ينبغي أن يأخذ بنظر الإعتبار الملاحظات الآتية :-

١- إرتباط المخطط وبصورة مباشرة مع القرارات اليومية.

٢- لابد أن يأخذ الدبلوماسي بنظر الإعتبار، مفهوم اللعبة الصفرية في العلاقات الدولية: أي بتعبير أدق، إقتران عمله الدبلوماسي بموضوع الربح والخسارة.

٣- أن موضوع التخصص، بالنسبة للدبلوماسي والمرتبطة بتوصياته المتعلقة بالحركة، يجب أن تهيمن على طبيعة دراسته وأبحاثه ونتائجه.

٤- أن المنطق العلمي للدبلوماسية الحديثة، لايكون بمعزل عن أبعاد التخطيط الأخرى للوجود القومي، بمعنى آخر، إرتباط المخطط إرتباطا مباشرا بجميع أجهزة التخطيط الأخرى، من تخطيط دعائي إلى تخطيط اقتصادي، فضلا عن التخطيط الإجتماعي.

٥- كل هذه الأمور جميعا، يفرض على العمل الدبلوماسي، البحث عن أساليب جديدة، رغم التكاليف الباهظة لها والصعوبات المرتبطة بها [1].

والحق، أن التفاصيل السابقة تعطي لنا الدليل لفهم معنى مسئول لا سياسية؛ فالمتخصص في تنظيم العلاقات الدولية يفرض التمييز بين السياسي والدبلوماسي وخبير السلطة؛ خبير السلطة يعد القرار السياسي يختار من بين أكثر من انموذج واحد، الدبلوماسي يتولى التنفيذ، فقط هذا الأخير هو الذي يعكس مهنة معينة أقرب إلى أن تكون إدارية تفرض استعداداً وثقافة من نوع معين، هذه الثقافة قد تصطبغ بالصبغة السياسية من بعض نواحيها، بل قد تكون هذه الصفة السياسية للثقافة لازمة وضرورية بالنسبة لتلك الدول ذات النزعة الأيديولوجية، ولكن كل ذلك ليس إلا من قبيل الأداة التي تسمح للدبلوماسي بأن يؤدي وظيفته. أما الوظيفة الدبلوماسية ذاتها فانها تفترض الفصل بين السياسي والدبلوماسي، بل وتفرض التمييز بين كل منها من حيث أداة وظيفته، هذا التمييز لابد من أن يقود الى عدم الخلط ومن ثم يصير السياسي وهو لا يصلح للعمل الدبلوماسي وهو لا يصلح للعمل السياسي[2].

في هذا المجال يقول الاستاذ الدكتور حامد ربيع ما معناه: "على أننا لو افترضنا أن الدبلوماسي قد يصلح للعمل السياسي فإن العكس غير صحيح بمعنى أن السياسي لا يصلح إطلاقا للعمل الدبلوماسي.

لقد سبق أن رأينا كيف أن الوظيفة الدبلوماسية تفترض بذاته تخصصات متنوعة وكيف أن الوظيفة الدبلوماسية تفترض بسبب وظيفتها العملية الجمع بين أنواع معينة من الثقافة العملية لا موضع لها ازاء الوظيفة السياسية، والواقع أن هذا ليس إلا نتيجة للتطور المعاصر للمجتمع السياسي.

فقد اضحى الوصول إلى السلطة السياسية لا يرتبط بأي إستعداد ثقافي ولا بأي تخصص علمي، بل ويمكن القول أنه في المجتمعات المتخلفة يصير التخصص العلمي عقبة ضد الوصول إلى السلطة، فإن السلطة مرآة تعكس المجتمع والمجتمع المتخلف يجهل التخصص ويفترض بحكم تكوينه أن غالبية يسودها عدم التقدم التكنولوجي ومن ثم فمن الطبيعي أن تكون الطبقة المسيطرة على الوظيفة السياسية وهي لا تعكس إلا تلك الصفات[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص١٠٦.

(2) الدكتور حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٢٨.

(3) المصدر نفسه، ص٢٨.



الخاتمة

يتضح مما تقدم ، أن الأبعاد الداخلية والخارجية تصير جزءاً لا يتجزأ من عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، اذا سلمنا بالحقيقة القائلة من أن هذه الأبعاد تصبح مادة رئيسة في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، وهنا يمكن القول بأن تنبؤ واعتقاد صانع القرار بسلوك معين يعد من العوامل المهمة إلى جانب الخلفية الداخلية والخارجية كمنهج لتحليل صنع القرار في السياسة الخارجية ، فإن هذا الفصل لايمكن ان يكون تاما بينها إذ أن علاقات متبادلة بينهما تختلف بإختلاف طبيعة الموقف والقرار .

وهنا يمكن القول بأن المختصين في السياسة الخارجية متفقون فيما بينهم بعدم إمكانية الفصل بين السياستين الداخلية والخارجية ، لأن الأخيرة هي إمتداد للاولى ، وبعبارة أدق أن السياسة الخارجية تستمد قوتها واصولها من السياسة الداخلية ، لأن طبيعة النظام السياسي هي التي تقرر وتحدد سياسة الدولة الخارجية .

وقد استنتجنا من هذه الدراسة أيضا من أن المناهج التقليدية في دراسة السياسة الخارجية بدأت في انتفاء اهميتها ، وبالتالي أصبح التركيز على المناهج المعاصرة ، والتي تتحدد في المنهج النظمي ومنهج اتخاذ القرار والمنهج المقارن والمنهج التحليلي .هذا يعني من جانب اخر أن أساتذة السياسة الخارجية يستخدمون جميع هذه المناهج من أجل الوصول إلى تأصيل نظري في عملية صنع القرار والتي تتحدد في الموقف الذي يعني الرد على الهدف الستراتيجي الذي يتجاوز على مفهوم الوصف والتفسير ليصل إلى معنى التنبؤ في السياسة الخارجية .

اما فيما يخص دور وزارة الخارجية في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية ، فقد ميزنا بين عملية إعداد القرار وعملية صنع القرار ، وميزنا بين طوائف ثلاث : خبير السلطة والدبلوماسي والسياسي ، الأمر الذي توصلنا الى نتيجة مع بعض الاستثناءات في بعض الدول ، أن وزارة الخارجية تقوم بدور تنفيذي في السياسة الخارجية ، وقد تدخل في بعض الحالات وفي بعض التقاليد في عداد عملية إعداد القرار ، ولا تتجاوز هذه الحالة أكثر من هذه التقاليد الدولية .

المصادر

اولاً – المصادر العربية

– الكتب :

١. إسماعيل ، محمد (دكتور) ، علم الاجتماع السياسي وقضايا التخلف والتنمية والتحديث ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٠ .
٢. أبو خزام ، إبراهيم (دكتور) ، الحرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين دراسة لواقع القوى العظمى وانعكاسات هذا الواقع على الوطن العربي ، ط١ ، مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٩٦م .
٣. أبو خزام ، إبراهيم (دكتور) ، الحروب وتوازن القوى دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٩م.
٤. أمين ، جلال (دكتور) ، العولمة ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٨م.
٥. أبو عيانة ، فتحي محمد (دكتور) ، الجغرافية السياسية ، الاسكندرية ، ١٩٨٥م.
٦. أبو هيف ، صادق (دكتور) ، القانون الدولي العام ، ط٧ ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٦٤م.
٧. بدوي ، عبد الرحمن (دكتور) ، مناهج البحث العلمي ط٣ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٧م.
٨. بدوي ، محمد طه (دكتور) ، مدخل إلى علم العلاقات الدولية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢م.
٩. ________ ، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية ، الاسكندرية ، ١٩٨٦م.
١٠. بركات ، نظام (دكتور) مراكز القوى ونموذج صنع القرار في إسرائيل ، دار الجليل ، عمان ، ١٩٨٣م.
١١. التكريتي ، بثينة عبد الرحمن (دكتورة) ، جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠م.
١٢. توفيق ، سعد حقي (دكتور) ، مبادئ العلاقات الدولية ، دار وائل للطباعة والنشر ، عمان ، ٢٠٠٠.
١٣. الجابري ، محمد عابد (دكتور) ، قضايا في الفكر المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م.
١٤. العابد ، إبراهيم ، سياسة إسرائيل الخارجية اهدافها ووسائلها وادواتها ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٨.
١٥. جرجس ، فواز ، السياسة الأمريكية تجاه العرب ومن يصنعها ؟ ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠م.
١٦. حتي ، ناصيف (دكتور) ، النظرية في العلاقات الدولية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م.
١٧. حداد ، ريمون (دكتور) ، العلاقات الدولية ، بيروت ، ٢٠٠٠م.
١٨. حسانين ، سيد أبو بكر (دكتور) ، طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، (بلا) .
١٩. حسين ، عبد الرزاق عباس (دكتور) ، الجغرافية السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيوبوليتيكية ، مطبعة سعد ، بغداد ، ١٩٧٦م.
٢٠. الحسيني ، السيد (د) ، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧م.
٢١. الحـ ـ ـاني ، محمد صادق ، الشيخ الرئيس من قرية الياقوت الأحمر إلى عرش الزعامة الذهبي ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
٢٢. الحكيم ، توفيق ، عودة الوعي النص الأصلي والكامل ، ط ٢ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧٤ .
٢٣. الحكيم ، توفيق ، عودة الروح ، ط ٢ ، دار الشروق ، ٢٠٠٧ .
٢٤. اللباد ، مصطفى ، حدائق الأحزان إيران و " ولاية الفقيه " ، ط ٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .
٢٥. حمادة ، بسيوني ، إبراهيم ، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي ، مركز دراسات الوطن العربي ، بيروت ، ١٩٩٣م.
٢٦. خشيم ، مصطفى عبد الله (دكتور) ، موسوعة علم العلاقات الدولية مفاهيم مختارة ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، بنغازي ، ليبيا ، ١٤٢٥.
٢٧. الخطيب ، محمد فتح الله (دكتور) ، دراسات في الحكومات المقارنة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

٢٨. الخيري ، أكرم ، آراء في الحرب (الإستراتيجية وطريقة القيادة) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٢ .

٢٩. خليل ، خليل أحمد (دكتور) ، العرب والقيادة ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨١م.

٣٠. ربيع ، حامد (دكتور) ، نظرية التحليل السياسي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٧ .

٣١. ربيع ، حامد (دكتور) ، نظرية الدعاية الخارجية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٩م.

٣٢. ربيع حامد ، العلوم السلوكية ، الجزء الثاني ، مكتبة القاهرة الحديثة : القاهرة ، ١٩٧٢ .

٣٣. ________ ، نظرية السياسة الخارجية ، مكتبة القاهرة الحديثة : القاهرة ، ١٩٧٣م.

٣٤. ________ ، الحرب النفسية في المنطقة العربية ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، بيروت.

٣٥. ________ ، من يحكم في تل أبيب حول تحليل علاقة التماسك في النظام الإسرائيلي ومتغيرات الحركة السياسية في الشرق الأوسط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥م.

٣٦. ربيع ، حامد (دكتور) ، النموذج الإسرائيلي للممارسة السياسية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٣٧. ربيع ، محمد محمود (دكتور) ، مناهج البحث في السياسة ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٨م.

٣٨. رشاد ، عبد الغفار (دكتور) ، الرأي العام دراسة في النتائج السياسية ، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م.

٣٩. الرشيدي ، وآخرون ، الأمم المتحدة ضروريات الاصلاح بعد نصف قرن وجهة نظر عربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٦م.

٤٠. الرمضاني ، مازن إسماعيل (دكتور) ، السياسة الخارجية دراسة نظرية ، بغداد ، ١٩٩١م.

٤١. زلوم ، عبد الحي يحيى ، نذر العولمة ، مطبعة الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٩.

٤٢. زهران ، جمال علي ، السياسة الخارجية لمصر ، مكتبة مدبولي ،القاهرة ، ١٩٨٧م.

٤٣. زهران ، حامد عبد السلام (دكتور) ، علم النفس الاجتماعي ، ط٤ ،عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

٤٤. السادات ، أنور ، البحث عن الذات قصة حياتي ، ط٢ ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٧٨م.

٤٥. سلامة ، غسان (دكتور) ، السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ دراسة في العلاقات الدولية ، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، ١٩٨٠م.

٤٦. سعيد ، عبد المنعم ، الجماعة الاوربية تجربة التكامل والوحدة ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ، ١٩٨٦م.

٤٧. سليم ، محمد السيد (دكتور) ، التحليل السياسي الناصري دراسة في العقائد والسياسة الخارجية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٤٨. ________ ، تحليل السياسة الخارجية ، ط٢ ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

٤٩. السليمي ، منصف ،القرار السياسي الأمريكي ، مركز الدراسات العربي – الاوربي ،١٩٩٧ .

٥٠. السمالوطي ، نبيل (دكتور) ، بناء القوة والتنمية السياسية دراسة في علم الاجتماع السياسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٧٨ .

٥١. الأسود ، صادق (د) ، علم الاجتماع السياسي ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد، ١٩٩٠م.

٥٢. الشاوي ، هشام (دكتور) ،الوجيز في فن المفاوضة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٩م.

٥٣. شريف ، حسين (دكتور) ، السياسة الخارجية الأمريكية وتحدياتها من الحرب العالمية الثانية إلى النظام الدولي الجديد ١٩٤٥-١٩٩٤ ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

٥٤. شمبش ،علي محمد (دكتور) ،العلوم السياسية ، ط٢ ، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٨٢م.

٥٥. شوقي ، عبد المنعم (دكتور) ، مبادئ تنمية وتنظيم المجتمع ، مطابع دار الكتاب العربي ،القاهرة (بلا) .

٥٦. شهيب ، ملحي صادق ، السياسة دراسة سوسيولوجية ، مكتبة الإمارات ،العين ،القاهرة ، (بلا).

٥٧. صادق ، دولت أحمد (دكتورة) ، وغلاب ، محمد السيد (دكتور) ، والشامي ، جمال الدين (دكتور) ، الجغرافية السياسية ، ط٢ ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٦١م.

٥٨. صالح ، محمد محمد (دكتور) ، تاريخ اوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ، ١٥٠٠-١٧٨٩ ، مطبعة دار الحافظ للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م.
٥٩. الصمد ، رياض (دكتور) ، العلاقات الدولية في القرن العشرين ،الجزء الأول ، بيروت ، (بلا).
٦٠. طلعت ، شاهيناز (دكتورة) ، الرأي العام ، القاهرة ، ١٩٨٣م.
٦١. العبدلي ، عبد المجيد (دكتور) ، قانون العلاقات الدولية ، دار أقواس للنشر ، مطبعة فن وألوان ، تونس ، ١٩٩٤م.
٦٢. عامر ، محمد عبد المجيد (دكتور) ،دراسات في الجغرافية السياسية ، الاسكندرية ، (بلا).
٦٣. العطار ، حسن (دكتور) المنظمات الدولية ، مطبعة شفقة ، ... ، ١٩٧٠م.
٦٤. علي ، نبيل ،ثورة المعلومات ،الجوانب الثقافية (التكنولوجية) في العرب والعولمة ،مركز دراسات الوحدة ، بيروت ، ١٩٩٨م.
٦٥. عبد الله ، أمين محمد (دكتور) ، في أصول الجغرافية السياسية ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٤م.
٦٦. العمري ،عباس رشدي ،إدارة الأزمات في عالم متغير ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ،القاهرة ، ١٩٩٣م.
٦٧. العروسي ، محمد علي (دكتور) ،العلاقات الدولية بين النظرية والتطبيق ، القاهرة ، ١٩٨٠م.
٦٨. ـــــــــــ ، الأعلام الدولي بين النظرية والتطبيق ، ط٢ ، مكتبة الانجلو مصرية ، ١٩٨٢م.
٦٩. عيسى ، حامد مصطفى (دكتور) ، القضية الكردية في العراق من الإحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي ١٩١٤ – ٢٠٠٤ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
٧٠. غضبان ، عبد محمد ، مقدمة في علم السياسة ، ط٢ ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٧ م.
٧١. غالي ، بطرس بطرس (دكتور) ، وعيسى ، محمود خيري (دكتور) ، المدخل في علم السياسة ، ط٣ ، مكتبة الانجلو مصرية ،القاهرة ،١٩٦٦م.
٧٢. فيصل،غازي (دكتور) ، منهجيات وطرق البحث في علم السياسة ،مطابع دار الحكمة ،بغداد ، ١٩٩٠م.
٧٣. فودة ،عز الدين (دكتور) ،النظم الدبلوماسية ، الكتاب الاول في تطور الدبلوماسية وتقنين قواعدها ، دار الفكر العربي ،القاهرة ، ١٩٦١م.
٧٤. القباع ،عبد الله مسعود (دكتور) ، السياسة الخارجية السعودية ،الرياض ، ١٩٨٦م.
٧٥. قبيسي ، هادي ، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين : المحافظية الجديدة والواقعية ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش . م . ل ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
٧٦. الكاظم ، صالح جواد (دكتور) ، والعاني ، علي غالب (دكتور) ، الأنظمة السياسية ، مطبعة جامعة بغداد .
٧٧. الكيالي ، عبد الوهاب (دكتور) ، كامل زهيري ، الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .
٧٨. متولي ، محمد (دكتور) ، وأبو العلا ، محمود (دكتور) ، الجغرافية السياسية ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧م.
٧٩. مصباح ، زايد عبد الله ، السياسة الخارجية ، منشورات Elga ، مالطا ، ١٩٩٤م.
٨٠. محمد ، فاضل زكي (دكتور) ، السياسة الخارجية وابعادها في السياسة الدولية ، بغداد .
٨١. محمد ، فاضل زكي (دكتور) ، الدبلوماسية في عالم متغير ، بغداد ، ١٩٩٢م.
٨٢. معوض ، جلال عبد الله (دكتور) ، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية التركية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م.
٨٣. مقلد ، إسماعيل صبري (دكتور) ، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات ،الكويت ، ١٩٨٤م.
٨٤. ـــــــــــ ، الاستراتيجية والسياسة الدولية المفاهيم والحقائق ، ط٢ ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٥م.
٨٥. ـــــــــــ ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٧م.
٨٦. المنوفي ، كمال (دكتور) الأنظمة السياسية المقارنة ، الكويت ، ١٩٨٧م.
٨٧. نصر ، صلاح ،حرب العقل والمعرفة ، ط٢ ، الوطن العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٢م.

٨٨. نصيف ، أ.د. ليلى ، جماعات الضغط اليهودية في أربع إدارات أمريكية ، أثر اللوبي الصهيوني في السياسة الخارجية الأمريكية ، شركة المنصور للطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٨٩م .
٨٩. نعمة ، كاظم هاشم (دكتور) ، العلاقات الدولية ، الجزء الأول ، ١٩٧٩م .
٩٠. ———— ، الوجيز في الاستراتيجية ، شركة أياد للطباعة الفنية ، بغداد ، ١٩٨٨م .
٩١. ———— ، نظرية العلاقات الدولية ، طرابلس ، ١٩٩٩م .
٩٢. نعمة ، كاظم هاشم ، (دكتور) ، في السياسة المقارنة ، المداخل النظرية ، دالة للطباعة والنشر ، طرابلس ، ١٩٩٨م .
٩٣. هدية ، عبد الله (دكتور) وآخرون ، حوار الشمال والجنوب وأزمة تقسيم العمل الدولي والشركات المتعددة الجنسية ، دار الشباب للنشر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٦ .
٩٤. هيكل ، محمد حسنين ، الانفجار حرب الثلاثين سنة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٠م .
٩٥. هيكل ، محمد حسنين ، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ، عواصف الحرب وعواصف السلام ، ط٥ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
٩٦. هيكل ، محمد حسنين ، الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول ، ط٣ ، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

- الكتب المترجمة :

- اتالي ، جاك ، آفاق المستقبل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- اندرسون ، جيمس ، صنع السياسات العامة ، ترجمة الدكتور عامر الكبيسي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٩م .
- اتكسورث ، بيتر ، وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C.I.A ، (بلا) .
- امبروز ، ستيفن اي ، الارتقاء إلى العالمية ، السياسة الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٣٨ ، ترجمة نادية محمد الحسيني ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
- اللاريجاني ، محمد جواد (دكتور) الاستراتيجية القومية دراسات في مصادرها وأهدافها ، ترجمة صلاح الرشداني ، دار التعارف للمطبوعات ، (بلا) ، ١٩٩٥ .
- لونيز ، لاري ، نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية ، القاهرة ، ١٩٩٦م .
- أولبرايت ، مادلين مع بيل وودوارد ، الجبروت والجبار تأملات في السلطة ، والدين ، والشؤون الدولية ، ترجمة عمر الأيوبي ، مطابع الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٧ .
- أولبرايت ، مادلين ، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكن استعادة سمعة أميركا ودورها القيادي ، ترجمة عمر الأيوبي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ش . م . ل ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- بروستريك ، ديلي ، نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية ، ترجمة الدكتورة وديدة عبد الرحمن بدران ، الدار القومية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- بريجنسكي ، زبغنيو ، الفوضى والاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين ، ترجمة مالك فاضل ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٩٨م .
- بريجنسكي ، زبغنيو ، الاختيار السيطرة على العالم أم قيادة العالم ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤ .
- بريجنسكي ، زبغنيو ، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧ .
- بريسكو ، جوزيف ، يوميات كولن باول ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، (بلا) .
- بريمر ، بول ، كوش – مالكولم ماك ، عام قضيته في العراق النضال لبناء غد مرجو ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٦ .
- بيرل ، ريتشارد ، فروم ، نهاية الشر كيفية الانتصار على الإرهاب ، ترجمة فؤاد السروجي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ٢٠٠٤ .
- بيكر ، جيمس ، سياسة الدبلوماسية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- بوش ، جورج ، التطلع إلى الأمام سيرة ذاتية ، مركز الكتب الأردني ، (بلا) .
- بوفر ، اندريه ، بناء المستقبل ، تعريب اكرم ديري وبسام العسلي ، بيروت ، ١٩٧٦م .
- تشرشل ، ونستون ، مذكرات تشرشل ، الجزء الأول ، منشورات مكتبة المنار ، بغداد ، (بلا) .

- تشومسكي ، نعوم ، ماذا يريد العم سام ، ترجمة عادل المعلم ، دار الشروق ، ١٩٩٨م.
- تشومسكي ، نعوم ، سنة ٥٠١ الغزو مستمر ، ترجمة مي النبهان ، ط٢ : دار المدى للثقافة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ .
- تشومسكي ، نعوم ، النظام الدولي الجديد ، ترجمة صفوان عكاش ، فصلت للدراسات والترجمة والنشر ، حلب ، ٢٠٠٠ .
- تشومسكي ، نعوم ، الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم ، ترجمة سامي الكعكي ، ٢٠٠٤ .
- تشومسكي ، نعوم ، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتصدي على الديمقراطية ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لندن ، ٢٠٠٧ .
- تشومسكي ، نعوم ، أميركا ... ماتقوله نحن نمشي محاورات حول القوة الأميركية في عالم متغير ، ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- تنيت ، جورج ، بالاشتراك مع بيل هارلو ، في قلب العاصفة السنوات التي قضيتها في السي آي إيه ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٧ .
- توفلر ، ألفن ، خرائط المستقبل ، ترجمة اسعد صقر ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٧م.
- ________ توفلر ، ألفن ، حضارة الموجة الثالثة ، ترجمة عصام الشيخ قاسم، بنغازي ، ليبيا، ١٩٩٠م.
- ________ ، صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد ، ط٢ ، ترجمة محمد علي ناصف ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠م.
- ________ ، الحرب والحرب المضادة الحفاظ على الحياة في القرن المقبل ، ترجمة د. صلاح عبد الله ، بنغازي ، ليبيا ، ١٩٩٥م.
- ________ ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ط٢ ، تعريب د. فتحي حمد بن شتوان ، نبيل عثمان ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٩٦م.
- توكفيل ، ألكسي دو ، عن الديمقراطية في أميركا ، الجزءان الأول والثاني ، ترجمة بسام حجار ، معهد الدراسات الإستراتيجية ، بغداد – بيروت ، ٢٠٠٧ .
- تونكين ، ج. أ. ، القانون الدولي العام ، ترجمة احمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- ثرو ، لستر ، مستقبل الرأسمالية كيف تصوغ القوى الاقتصادية الراهنة عالم الغد ، ترجمة عزيز سباهي ، دار الثقافة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٨م.
- ثرو ، لستر ، المتناطحون ، ط٢ ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، أبو ظبي ، ١٩٩٦م.
- جابرييل ، الموند بوالابن جي بنجهام باول ،السياسات المقارنة في الوقت الحاضر ،ترجمة هشام عبد الله ،الدار الاهلية للنشر والتوزيع ،عمان ، الاردن ،١٩٩٨م.
- ج . ر ، جوزيف س . ناي ، حتمية القيادة الطبيعة المتغيرة للقوة الأميركية ، ترجمة عبد القادر عثمان ، مركز الكتاب الأردني ، عمان ، ١٩٩١ .
- جارودي ، روجيه ،الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ترجمة قسم الترجمة بدار الغد العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦م.
- جنسن ، لويد (دكتور) ، تفسير السياسة الخارجية ، ترجمة الدكتور محمد بن احمد مفتي ، والدكتور محمد السيد سليم ، الرياض ، ١٩٨٩م.
- جود ، ستيفن ، الكونغرس الأمريكي الجديد ، ترجمة عزة قنادي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، (بلا) .
- جوليان ،كلود ،الإمبراطورية الأمريكية ، ترجمة نلجي أبو خليل والدكتور فؤاد شاهين ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٠م.
- راي ، ميلان ،خطة غزو العراق ، ترجمة حسن الحسن ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣ .
- رسلون ، واترب ، افول السيادة ، ترجمة سمير عزت نصار وجورج خوري ، دار النسر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٤ .
- رمضاني ، روح الله ، سياسة إيران الخارجية ، ١٩٤١–١٩٧٣، ترجمة علي حسين فياض ، عبد المجيد حميد جودي ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٤م.
- رني ، اوستن ، سياسة الحكم ، ترجمة الدكتور حسن علي الذنون ، المكتبة الاهلية ، بغداد ، ١٩٦٦م.

- رينوفان ، بيير ودوروزيل ، جان باتيست ،مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية ،ط٢ ،ترجمة فايز كم نقش ، منشورات بحر المتوسط ، بيروت – باريس ، ومنشورات عويدات ،بيروت – باريس ، ١٩٨٢م.
- روس ، دنيس ، السلام المفقود خفايا الصراع حول سلام الشرق الأوسط ، ترجمة عمر الأيوبي وسامي كعكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥ .
- زكريا ، فريد ، من الثروة إلى القوة الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي ، ترجمة رضا خليفة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٩.
- دال ، روبرت ، التحليل السياسي الحديث ، ط٥ ، ترجمة د. علا ابو زيد ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٣م.
- دالس ،ألن ،حرفة الاستخبار (بلا) .
- ديغلر ، كارل ن ،، الإنطلاق من الماضي القوى التي كونت أمريكا الحديثة ، ترجمة صادق إبراهيم عودة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٧ .
- ديغول ، الجنرال ، مذكرات الأمل التجديد ١٩٥٨–١٩٦٢ ، ترجمة الدكتور سموحي فوق العادة ، ط٢ ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ١٩٨٦ .
- ديفرجيه ، موريس ،الاحزاب السياسية ، ط٣ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م.
- دويتش ، كارل ،تحليل العلاقات الدولية ، ترجمة محمود نافع ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م.
- دورتي ،جيمس وبالستغراف ، روبرت ، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ، ترجمة الدكتور وليد عبد الحي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٥م.
- زاد ، زلمي خليل ، التقييم الإستراتيجي ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، أبو ظبي ، ١٩٩٧ .
- سليفان ، وليم ، أمريكا وإيران ، ترجمة نجدة الشواف ، دار الملتقى للنشر ، ليماسول – قبرص ، ١٩٩١ .
- ستيرن ، جيفري ، تركيبة المجتمع الدولي مقدمة لدراسة العلاقات الدولية ، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث ، ٢٠٠٤ .
- سيمونز ، جيف ، التنكيل بالعراق العقوبات والقانون والعدالة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٩٨ .
- سميث ، كارن إي ، و مارغوت لايت ، الاخلاق والسياسة الخارجية ، تعريب فاضل جتكر ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٥ .
- شارل ، الدبلوماسي ،ترجمة خيري حماد ،دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ، ١٩٦٠.
- شيراك ، جاك ، فرنسا جديدة فرنسا للجميع ، ترجمة أنطوان الهاشم وأحمد عويدات ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥ .
- شولتز ،جورج (مذكرات) ، اضطراب وانتصار ج١ ، الخيوط الاولى ، ترجمة محمد محمود دبور ، محمود العابد ، عمار جولاق ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٤.
- غالبريث ، بيتر و . ، نهاية العراق كيف تسبب القصور الأمريكي في إشعال حرب لا نهاية لها ، ترجمة أياد أحمد ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش . م . ل ، بيروت ، ٢٠٠٧ .
- فيسون ، كينيون أوكار الشر دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات المركزية والشكوك حول هجمات ١١ /٩ ، الدار العربية للعلوم ، مطبعة المتوسط ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ١١ – ١٢ .
- فرانك ، جوستن أ . بوش تحت المجهر الرئيس على أريكة التحليل النفسي ، ترجمة سعيد الحسنية ، الدار العربية للعلوم بيروت ، ٢٠٠٥.
- فرانكل ، جوزيف ،العلاقات الدولية ،ط٢ ، ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤م.
- فندلي ، بول ، من يجرؤ على الكلام اللوبي الصهيوني وسياسات أمريكا الداخلية والخارجية ،ط٢ ،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ،١٩٨٥م.
- فوكوياما ، فرنسيس ، نهاية التاريخ ، ترجمة الدكتور حسين الشيخ ، دار العلوم العربية ، بيروت ،١٩٩٣م.
- فوكوياما ، فرانسيس ، الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي ، ترجمة معين الإمام ومجاب الإمام ،١٩٩٨م.
- فوكوياما ، فرنسيس ، بناء الدولة النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين ، ترجمة مجاب الإمام ، العبيكان للنشر ، الرياض ، ٢٠٠٧ .

- فيليكس ، أنطونيا ، كوندي قصة نجاح كوندوليزا رايس ، ترجمة سعيد الحسنية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٧ .
- فيشر ، لويس ، سياسات تقسم القوى الكونغرس والسلطة التنفيذية ، ط٣ ، ترجمة مازن حماد، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٤م.
- كارتر ، جيمي ، قيمنا المهددة : أزمة أمريكا الأخلاقية ، ترجمة : حسام الدين خضور ، (بلا) .
- كانتور ، روبرت د . ، السياسة الدولية المعاصرة ، ترجمة د . أحمد ظاهر ، مركز الكتب الأردني ، عمان ، الأردن ، (بلا) .
- كلينتون ، بيل ، حياتي ، ترجمة حسام الدين خضور ، دار الرأي للنشر ، دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٤ .
- كلينتون ، هيلاري رودهام ، تاريخ عشته ، الحوار الثقافي ، دار الوراق للنشر والتوزيع ، لبنان – بيروت ، ٢٠٠٤.
- كلير ، مايكل ، الحروب على الموارد الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ،٢٠٠٢ .
- كيبل ، جيل وبان ريشار ، المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر ، ترجمة بسام حجار ، دار الساقي ، بيروت لبنان ،١٩٩٤ .
- كيبل ، جيل ، الفتنة حروب في ديار المسلمين ، ترجمة نزار أورفلي ، دار الساقي ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
- كيتيل ، رايموند كارفيلد ، العلوم السياسية ، الجزء الأول ، ترجمة الدكتور فاضل زكي محمد ، ط٢ ، دار التضامن ، بغداد ، ١٩٦٣ .
- كيسلي ، كيستي ، نانسي ريجان فضيحة في البيت الأبيض ، مؤسسة دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩١ .
- كودارد : دونالد ، كولمان ، ليغرنوكي ، في قضية الاخطبوط من بيروت الى لوكربي خفايا المخابرات العسكرية الامريكية ، طرابلس ، ١٩٩٧م.
- كلاوزفيتز ، الوجيز في الحرب ، ترجمة اكرم ديري ، الهيثم الأيوبي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ١٩٧٤م.
- كيسنجر ،هنري ،مفهوم السياسة الخارجية الامريكية ، إعداد الدكتور حسين شريف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م.
- كيسنجر ، هنري ، سنوات البيت الابيض ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد.
- كيسنجر ، هنري ، الدبلوماسية من الحرب الباردة الى يومنا هذا ، ترجمة مالك فاضل البديري ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٥م.
- مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، ترجمة خليل فريجات ، الجزء الرابع ، ط ٥ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٩ .
- كيسنجر ،هنري ، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية ؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
- كيندي ، بول ، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة محمد عبد القادر ، غازي مسعود ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٣م.
- لوتواك ، ادوارد ، انهيار الحلم الأمريكي الأزمة الاقتصادية في مجتمع متدهور ، ترجمة ليلى غانم ، طرابلس ، ١٤٢٥هـ .
- مادلين اولبرايت ، سيرة ذاتية ترجمة محمد توفيق البجيرمي ، الحوار الثقافي ، لبنان ، بيروت ٢٠٠٤ .
- ميرشايمر ، جون جي . ، ستفن إم . والت ، أمريكا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية ، ترجمة فاضل جتكر ، العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٦ .
- ميرل ، مارسيل ، السياسة الخارجية : ترجمة خضر خضر ، جروس برس ، ١٩٨٩ .
- ميرل ، مارسيل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، ترجمة الدكتور حسن نافعة ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- ميرلوحي ، السيد هاشم (دكتور) ، أمريكا بلا قناع ، ترجمة علاء رضائي ، الغدير – بيروت ، ٢٠٠٣ .
- مكريدس ، روي ، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم ، ترجمة الدكتور حسن صعب ، بيروت ، ١٩٦٦م.
- مكنمارا ، روبرت ، ما بعد الحرب الباردة ، ترجمة محمد حسين يونس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦م.

- مورجانثو ، هانز . جي ،السياسة بين الأمم الصراع من اجل السلطان والسلام ،ج١ ، ترجمة خيري حماد ، الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة ، ١٩٦٤م.
- ميرلوحي ، السيد هاشم (الدكتور) ، أمريكا بلا قناع ، ترجمة علاء الرضائي ، الغدير ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٣ .
- ناي (الأبن) ، جوزيف ، المنازعات الدولية مقدمة للنظرية والتاريخ ، ترجمة الدكتور احمد أمين الجمل ، ومجدي كامل الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ،القاهرة ، ٢٠٠٠م.
- نيكلسون ، هارلد ،الدبلوماسية ، ترجمة محمد مختار الزلزوقي ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م.
- نيكسون ، ريتشارد ،القادة ، ترجمة خضر إبراهيم .
- نيكسون ، ريتشارد ، نصر بلا حرب ، ط٣ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٩١م.
- نيكسون ، ريتشارد ، الفرصة السانحة ، دار الهلال ، ١٩٩٢م.
- نيكسون ، ريتشارد ، ما وراء السلام ، ترجمة مالك عباس ، الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان ، ١٩٩٥م.
- نيكولز ، جون ، ديك تشيني رئيس أمريكا الفعلي ، ترجمة محمود برهوم ، ورانة محمد حسن عزيزية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٦ .
- هارت ، ليدل ج.ل.، الاستراتيجية وتاريخها في العالم ، ترجمة الهيثم الايوبي دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٧م.
- هالبر ، ستيفان ، كلارك ، جوناثان ، التفرد الأمريكي المحافظون الجدد والنظام العالمي ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥
- هانس ، بيتر مارتين ،هارالد شومان ، فخ العولمة الإعتداء على الديمقراطية والرفاهية ، ترجمة الدكتور عدنان عباس علي ،الكويت ، ١٩٩٨م.
- هنتنغتون ، صموئيل ب. ، من نحن التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية ، ترجمة حسام الدين خضور ، دار الحصاد ، دمشق ، ٢٠٠٥ .
- هيرش ، سيمور ، ثمن القوة سنوات كيسنجر في البيت الأبيض ، ترجمة خالد إسماعيل الصفار ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٠م.
- ودوورد ، بوب ، القادة ، ترجمة محمد مستجير ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- ودوورد ، بوب ، خطة الهجوم ، ترجمة فاضل جتكر ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٤ .

- الكتب باللغة الفارسية :

- بادامچيان ، اسد الله (دكتر) ، خاطرات منتظري ونقد آن ، انديشه ناب ، تهران ، ١٣٨٦ .

- الرسائل الجامعية :

- بدران ، ودودة عبد الرحمن ، السياسة الخارجية في عهد كنيدي – رسالة ماجستير غير منشورة –جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٣م.
- البياتي ، عارف محمد خلف ، السياسة الخارجية السورية حيال الوطن العربي للفترة من عام ١٩٧٠-١٩٨٨م.
- ________ ، اثر المتغيرات الدولية الجديدة على السياسة الخارجية السورية (١٩٨٥-١٩٩٥) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ١٩٩٦م.
- الجادر ، احمد زكي ، النظام السياسي الدولي والصراع العربي-الإسرائيلي ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد ،١٩٩٣.
- السامرائي ، منتهى إسماعيل ، السياسة الخارجية الفرنسية تجاه العراق للفترة ١٩٦٣-١٩٨٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية القانون والسياسة ،١٩٨٨م.
- فقيرة ، جلال إبراهيم عبد الله ، صنع القرار في السياسة الخارجية اليمنية حول الجوار العربي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، ١٩٩٩ .
- النعيمي، أحمد نوري ، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية ،دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٥م.

- الدوريات :

- بدران ، ودودة عبد الرحمن (دكتور) : "تخطيط السياسة الخارجية نظرية وتحليلية" ، السياسة الدولية ،العدد ٦٩ ، ١٩٨٢م.
- البرصان ، أحمد سليم (دكتور) ، " مبادرة الشرق الأوسط الكبير : الأبعاد السياسية والإستراتيجية " ، السياسة الدولية ، العدد ١٥٨ ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، أكتوبر ٢٠٠٤.
- بكر ، حسن ، " مطارحة نقدية لنظرية فوكوياما " ، المستقبل العربي ،العدد ٩ ، شتاء ١٩٩٣م.
- بوخليفة ، حسان علي ، " التماسيح تستحوذ على أسماك البحيرة " ، ٤٦ ، محرم ، ١٤٢٠هـ ، أبريل – مايو ، وزارة المعارف –السعودية ، ١٩٩٩م.
- ثابت ،أحمد ، " العولمة والخيارات المستقلة " ، المستقبل العربي ،العدد ٢٤٠ ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٩م.
- خضور ، رسلان (دكتور) محسن سمير ابراهيم (دكتور) ، " مستقبل العولمة قضايا راهنة "، العدد ٧ تموز/يوليو ،المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق ، ١٩٩٨م.
- عبد الفضيل ، محمود ، حول أزمة الفكر الإستراتيجي – نظرة مستقبلية – المستقبل العربي ، العدد ١٩٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، شباط ١٩٩٥ .
- صلاح،عبد العظيم ، " الاتجاهات المضادة للعولمة " ، المعرفة ،العدد ٤٦ ، محرم ١٤٢٠هـ ،أبريل –مايو ، ١٩٩٩م.
- عبد المجيد ، وحيد ، الانتخابات الأمريكية وأزمة الشرق الأوسط ، السياسة الدولية ، العدد٧٩ ،١٩٨٥م.
- الرمضاني ، مازن (د)، "في التخطيط السياسي الخارجي :دراســة نظريـــة" ، الحقــوقي ، العــددان ١-٢ ،بغداد،١٩٧٨م.
- الرمضاني ،مازن (د) ، السياسة الدولية :بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي ،مجلــة العلــوم الـسياسية والقانونية ،العدد الاول ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،حزيران ،١٩٧٦م.
- كوهن ، وارين أي ، " نيكسون في الصين نقطة تحول في تاريخ العالم " ، أجندة الـسياسة الخارجيــة ، وزارة الخارجية الأمريكية ، مكتب برامج الإعلام الخارجي ، (بلا) ، نيسان – أبريل ، ٢٠٠٦ .
- السيهي ،أنيا ، " الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية "، السياسة الدوليــة ،العــدد ١٢٧ ، يناير ، ١٩٩٧م.
- مصطفى ، نيفين عبد الخالق ، "قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر :دراسة مقارنة " ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد ٤ ، المجلد ١٤ ، شتاء ، ١٩٨٦م.
- مقلد ، إسماعيل صبري (دكتور) ، " اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية "، السياسة الدوليــة ،عــدد ١٤ ، أكتوبر ، ١٩٦٨م.
- النعيمي ، أحمد نوري ، " الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية ، الحقوقي ، العددان الأول والثاني ، بغداد ، ١٩٧٧م.

ثانياً - المصادر الأجنبية

Books

- Almond , Gabriel A., and G.Bingham Powell , Jr. Comparative Politics Today A World View , Fourth Edition , Printed in the U.S.A., ١٩٨٨ .
- Arvid , Brodersen , National Character and Old problem Reexamined , New York , ١٩٦٦.
- Heloff , Dimensions in Foreign Policy , ١٩٦١ .
- Bryce , James , Modern Democracies , ١١ , New York : The Macmillan , ١٩٢١.
- Brzezinski , Zbigniew , The Grand Chessboard American Primacy its Geostrategic Imperatives , New York , ١٩٩٧ .
- Carleton , William , G., Realism and World Politics.
- Connor , Karen O' , Sabato , Larry J. The Essentials Of American Government Continuity and Change , New York ٢٠٠٢ .
- Davidson Roger H. , Oleszek , Congress and Its Members , Eighth Edition, Washington , D. C. , ٢٠٠٢ .
- Davison , phillips , Puplic Opinion , International Encyclopedia of Social Science , vol : XIII, ١٩٦٨,
- Dutsch , Karl , The Analysis of International Relations , Englewood Prentice-Hall , ١٩٦٨.
- Dexter , White , People , Society and Mass Communication , ١٩٦٤ .
- Duverger , Maurice , Political Parties , London , Metheren and Co , ltd , ١٩٦٤.
- Frankel , Joseph , The Making of Foreign Policy , Oxford University Press , ١٩٦٣.
- Goldberg , J.J., Jewish Powerinside the American Establishmet , U.S.A., ١٩٨٨.
- ——, National Interest , Printed in Great Britian , ١٩٧٠.
- Haas , Ernest , The Balance of Power as Analytic Concept .
- Harold and Margart Sprout , Invironmental Factors in the Study of International politics , ed , by Rosenau , the Free Press , New York , ١٩٦٩.
- Harvard , William C., The Government and Politics of the United States , London , ١٩٦٥.
- Henderson , Conway W.,International Relations Conflict and Cooperation at the Turn of the ٢١ st Century , New York , ١٩٩٨ .
- Hill , Norman , International Politics , New York , Happer and Row , ١٩٦٢.
- Holesti , K.J., The Concept of Power in the Study of International Relations
- ———, International Politics Aframework for Analysis , Englewood Cliffs, ١٩٦٧.
- Peter Hough , Understanding Global Security , Routledge Taylor & Francis Group , London & New York , ٢٠٠٤ .Norman , International Politics , New York , Happer and Row , ١٩٦٢.
- Hubertus , C J Duiker , National Character and Stereoypes , Amsterdam North Holl and pub ., Co. ١٩٦٤.
- Jentleson , Bruce W. ,American Foreign Policy The Dynamics of Coice in the ٢١ St Century , Printed in the United States of America , ٢٠٠٠ .
- Peter Hough , Understanding Global Security , Routledge Taylor & Francis Group , London & New ,York , ٢٠٠٤ ,
- Kegley Charles W.,Jr , Eugene R , Wittkopf , World Politice Trend & Transformation , Fifth Edition , St., Martins Press , New York , ١٩٩٥.
- K.m.Panikkar , The Principles and Practice of Diplomacy , Asia Publishing House , Bombay , ١٩٥٢.
- Kret , J., How Foreign Policy is Made , New York , ١٩٤٩.
- Jones , Roy E., Principles of Foreign Policy The Civil State in its world setting , Printed and Bound by Richard Clay ltd , Bungay , Suffolk , ١٩٧٩.
- Mcgrew , Anthony G., and Lewis , paul G., Global , Politics Globalization and the Nation State , Cambridge ١٩٩٢.
- Milton L. Rakove , Arms and Foreign Policy in the Nuclear Age , Oxford University Press .

- Morgenthau , J., Hans , Politics Among Nation , The Struggler for power and Peace , New York [illegible].
- Nicolson , Harold , Diplomacy , then and Now.
- Oleszek , Walter J. , Congressional Procedures and the Policy Process , Fifth Edition , Washington , D. C, ٢٠٠١.
- Padelford , Norman J., and Lincoln , George K., The Dynamics of International Politics , New York , The Macmillan Company , [illegible].
- Pearson , Lester B., Diplomacy in the Nuclar Age , Harvard University Press , [illegible].
- Perkins , palmer , International Relations : The World Community in Transition , Second Edition , U.S.A., [illegible].
- Rosenau , James W., Domestic Sources of Foregin Policy , The Free Press , New York.
- ———, The Scientific Study of Foreign Policy , the Free Press , New York , [illegible].
- ———, Study of International Politics , The Free Press , New York , [illegible].
- ———, Public opinion and Foreign Policy , New York , [illegible].
- ——— , Kenneth W.Thompson Gavin Boyd , World Politics An Introduction ,The Free Press, A Division Of Macmillan Publishing Co., Inc. New York, [illegible].
- Smith Jean Edward, George Bush s War, Henry Holt And Company, New York, [illegible],
- Snyder , Richard , and Furnis , Edger , American Foreign Policy , New York : Reinhand an Company , Inc , [illegible].
- Snyder , Richard , H.W Bruck and Spain , Burton , Foreign Policy Decision Making , New York, [illegible].
- Tunkin Grigory , Contemporary International Law , Progres Publishers , Moscow , [illegible].
- Waltz , Kenneth N. , Mar , The State & War , Athenretical Analysis N . Y : Colombia Unversity Press , [illegible] .
- Waltz, Kenneth , Theory Of International Polites Addison-Wesley Puplishing Compiay , Inc . Philippines copyright , [illegible] .
- Weltz , Kenneth N , "Structural Realism After The Cold War , In Understanding International Relations The Value Of Alternative Lenses , By Daniel J.Kaufman , Jay M.Parker. Kimberly C.Field , Fourth Edition, The McGraw-Hill Companies , Inc , New York, [illegible].
- Wanamaker , Temple , American Foreign Policy Today , Printed In The U.S.A , [illegible].
- Weiman , Unv . Of Southern Califoring , [illegible].
- Wright , Quincy , The Study of International Relation , New York : Appleton Century Crofts , Inc .

Periodicals and Articles :

- Gupta , Rakesh , " Interdependence and Security Among States in the [illegible] " , Strategic Analysis , April [illegible].
- Hass , Richard and Robert , " Globalization Its Discontent Navigating the Dangers of atangled World ", Foreign Affairs , May-June , [illegible].
- Hokins , Halford C., " The United States Posture in the Middle East ", Current History , Vol . [illegible], April , [illegible].
- Huntington , Samual P. , " The Clash of Civilization ", Foreign Affairs , Summer , ١٩٩٣.
- ——, " The Erosion of American National Interests " , Foreign Affairs , Vol. [illegible] , No . [illegible] , [illegible].
- ——, " The Lonely Superpower " , Foreign Affairs ", Vol. [illegible] , No.[illegible] , [illegible].
- Kratchwi , Frederick , " The Challenge of Security in achanging World ", Journal of International Affairs , Vol . [illegible] , No . [illegible] Summer / Fall [illegible].
- Rosenau , James , " Public Opinion in Laswells Future of Political Science " , Public Opinion Quarterly , Vol. XXVIII , Fall , [illegible].
- Talbott , Strobe , " Globalization and Diplomacy " , Foreign Policy , No.[illegible], Fall , [illegible].